
www.rewity.com
روايتي
تصميم كاردينيا73
هل تعرفين ...
كيف يكون كبرياء الرجال في الحب ؟
انه منطقة رمادية ..
تجعله يشعر بالغموض
حتى وهو وحيد مع نفسه
بالانفصال
حتى والف رابط يشده
لم تفهمي بعد ؟!
جربي ان ترتدي نظارة سوداء
وتطلعي عن بعد لاغلى من تحبين
تتمنين لمسه ولاتفعلين ..
انا معك دوما هكذا ...
اقف هناك بعيدا ...
لا أملُ النظر لأزهارك الوردية
لكن ... حذاري حبيبتي ....
توشك بتلاتها
ان تصبح على الارض مرمية !
أزهار قلبك وردية بقلم الكاتبة كاردينيا73
166
بقلم كاردينيا73
الجزء الخامس من سلسلة قلوب تحكي
أزهارُ قلبكِ وردية


بقلم كاردينيا73
الجزء الخامس من سلسلة قلوب تحكي
أزهارُ قلبكِ وردية
هل تعرفين ...
كيف يكون كبرياء الرجال في الحب ؟
انه منطقة رمادية ..
تجعله يشعر بالغموض
حتى وهو وحيد مع نفسه
بالانفصال
حتى والف رابط يشده
لم تفهمي بعد ؟!
جربي ان ترتدي نظارة سوداء
وتطلعي عن بعد لاغلى من تحبين
تتمنين لمسه ولاتفعلين ..
انا معك دوما هكذا ...
اقف هناك بعيدا ...
لا أملُ النظر لأزهارك الوردية
لكن ... حذاري حبيبتي ....
نوشك بتلالها ان تصبح على الأرض مرمية !
www.rewity.com
روايتي
تصميم كاردينيا73


تصميم كاردينيا73
ياسر
سعد
رافد
فرسان رواية ..
أزهار قلبك وردية
الجزء الخامس من سلسلة قلوب تحكي
بقلم كاردينيا73
قصص من وحي الاعضاء
www.rewity.com

أزهار قلبكِ وردية

الجزء الخامس من سلسلة

قلوب تحكي

بقلم الكاتبة كاردينيا73

حصرياً على شبكة روايتي الثقافية

www.rewity.com

(تنويه من الكاتبة .. ارجو قراءة

الاجزاء الاربعة الاولى من السلسلة قبل

قراءة هذا الجزء)

تنقيح لغوي : كاردينيا73

تصاميم الرواية (الغلافان الرسمي وغير

الرسمي ، التواقيع ، الفواصل ، وسام

التفاعل المميز ، قالب الصفحات

الداخلية ، الكتاب الالكتروني) :

كاردينيا73

تصميم البنر الاعلاني : انثى الهوى





مقتطفات من الاجزاء السابقة

سهر

مشاهد متفرقة من فصول

رواية أكتب تاريخي أنا انثى

الجزء الثاني من سلسلة قلوب تحكي

اشعة الشروق تداعب الستائر الطفولية الشفافة لتتخللها بتماهل ناعم حتى تناغش تلك الفتاة التي تجلس على سريرها تنحني للامام وهي تضم ساقيها لصدرها وتستند بذقنها على ركبتيها ...

عيناها استقرتا على رسمة من الرسوم المتحركة لاميرة البحر ذات الشعر الاحمر ، كانت قد لصقتها بنفسها على حافة سريرها الزهري عندما كانت في التاسعة او ربما العاشرة ..

ابتسمت دون ان تشعر وهي تتذكر عنادها للتمسك بهذا السرير حتى بعد ان اصبحت مراهقة ، لم تبالي بسخرية الفتيات وهن ينعتنها بالطفلة ، كانت تحب سريرها الزهري الى ابعد حد وتحب اميرات الرسوم المتحركة وتلصق صورهن دوما دون ان يخجلها هذا حتى وهي في سن الخامسة عشرة !

ربما لانها مجرد عنيدة وهي تتحدى صديقاتها عندما يزرنها ويدخلن غرفتها الخاصة وربما هي ببساطة تتعلق باشيائها ولاتريد مفارقتها...







لقد افتعلت مأساة عندما ارادت امها اجبارها على تغيير اثاث الغرفة الطفولي وهي بسن السابعة عشرة ،

فتمسكت برأيها وعاندت بتصلب شديد بل حتى بكت بهستيرية طفولية تخجل من تذكرها اليوم !

تنهيدة مرتعشة تسللت لصدرها وهي تفكر بخجل اعمق واكثر خزيا !

حتى هذه اللحظة تجد صعوبة في استيعاب الحالة التي كانت فيها خلال الاسابيع الماضية ! وكأنها لم تكن هي ! وكأنها كانت مغيبة عن سهر التي تعرفها .....

لم تكن يوما تتصور انها ستهين نفسها بجريها خلف انتقام مذل مهين ، انتقام حالما تذوقته بفمها بصقته لمرارة طعمه !

بصقته وهي تشعر بالمرض من نفسها ومما فعلته باسامة وشهد ، ومما فعلته بنفسها هي ايضا !

ما الذي جرى لها لتفقد السيطرة وتخرج من حدود شخصيتها التي تألفها وتحبها لتتقمص شخصية اخرى غريبة مريرة حاقدة مؤذية دون اي رادع !

لقد آلمها ان يتركها اسامة لاجل امرأة اخرى تعتبرها اقل منها شأنا وفي كل شيء ، لكن هل هذا يعطيها الحق لفعل ما فعلت ؟



ربما يمكنها ان تتغاضى عن تسخير سكرتيرته لتنقل لها اخباره فأي امرأة وهي تستشعر ان خطيبها تركها لاجل امرأة اخرى تظل تحوم حوله تنتظر تلك اللحظة التي تنكشف فيها الحقائق ، وقد تتغاضى ايضا عن ذهابها اليه وهي ترمي في وجهه الهدايا التي قدمها اليها خلال فترة الخطبة وان تعذر نفسها لانها كانت تشعر بكرامتها هدرت وارادت ان تنفس عن غضبها فيه ...

لكن ما لايغتفر اهانتها لذاتها وهي تلاحق شهد هنا وهناك كمعتوهة مهووسة بغية ان تمسك عليها شيئا والامر والادهى انها حالما حصلت على شيء وضعته بصورة اسوأ وهي تقدمه بتشفٍ مريض لاسامة !

دفنت سهر وجهها بين كفيها وهي تستشعر هذا الخزي يلاحقها واحساس بالذنب يتآكلها ...

لماذا فعلت هذا ؟ لماذا كذبت على اسامة واخبرته بكلمات لم تقلها شهد حقيقة ؟! هل الهب حقدها دفاعه عن تلك المرأة التي اعتبرتها سارقة ؟! هل آلمها عشقه الواضح لها مع كل همسة قلق خرجت من فمه لاجلها ؟

لماذا فعلت هذا .... لماذا ؟!! انها حتى لاتشعر انها احبته حقا ، كانت يثير فضولها وحماستها ، كان يشكل تحديا طفوليا انثويا ممتعا وهي تسعى للحصول على قلبه ، الامر كان اشبه بلعبة !

لكنها لم ترد مواجهة نفسها بذلك ... لم ترد الاعتراف .. والنتيجة اتت باسوأ مما كانت تتخيل !!

تنهدت واقشعر جلدها وهي تتذكر حالها ما ان انقطع الخط معه ! لاتزال حشرجة صوته ترن في اذنيها وتعذبها ، لم تكن يوما هكذا .. اكتشافها انها قادرة على فعل امر دنيء كهذا صدمها !

رفعت رأسها واشراقة الشمس تلمع على صفحة وجهها الجميل الحزين لتهمس باحساس رهيب بالذنب " ترى ماذا حصل بينكما ؟!!"

****

قال الاب لابنته وهو يناولها هاتفه النقّال

" اتصلي به الان ومن هاتفي انا لانه مؤكد لن يرد عليك اذا رآى رقم هاتفك "

نظرت سهر للهاتف في يد والدها وبدلا من ان تأخذه منه رفعت عينيها لوجه والدها باستعطاف قائلة " ما زلت اشعر اني لااستطيع مواجهته ، لااستطيع الاعتراف بما فعلت.. "

احتدت نظرات الاب وما زالت يده ممدودة بالهاتف ليقول بحزم " لقد مر وقت طويل بما يكفي لان تستجمعي شجاعتك ، لن امهلك اكثر ونحن لا نعرف الى اي مدى تسببت بالضرر ..."



رآها تضطرب فاضاف ببعض الرقة " اثبتي لي اني احسنت تربيتك ، اثبتي لي ان ما حصل كان فعل خارج عن سيطرتك واني ربيت فتاة شجاعة لتعترف بخطأها ،

ليس امام والديّها فحسب بل امام من اخطأت بحقهم ايضا ، وهذا ليس اي خطأ هذا بنيتي ... انه خراب بيوت..."

ارتجفت شفتا سهر فاغمضت عينيها ثم اخذت نفسا عميقا ، شعرت بالتماسك ففتحت عينيها هذه المرة وقد عقدت العزم فتناولت الهاتف من يد والدها وضغطت على الزر المناسب...

حالما جاء صوت اسامة مرحبا بتحفظ وقد ظنها والدها حتى قالت له بصوت ثابت " اسامة ... انا كذبت عليك !"

******



بعد سبع سنوات ....

ياسر

مشهد من خاتمة رواية سحر التميمة

الجزء الثالث من سلسلة قلوب تحكي

جالسا في سيارته على الجانب الآخر من الشارع راقب ياسر خروجها من المبنى الذي تسكنه مع عائلتها ، ستركب سيارتها الوردية نفسها ..

تبسم وهو يقول " الشيء الوحيد الذي لم يتغير بك يا سهر ... حبك للاشياء الانثوية!"

رآها كيف تسير بانوثة ناضجة وجمال يصقل يوما بعد يوم ، اجمل ما فيها عيناها الخضراوان .. تفيض دلالا وحياة ... لايعلم كيف ذلك الغبي اسامة الهاشمي اضاعها من يده ليتزوج امرأة مطلقة !! وها قد مر اكثر من سبعة اعوام وهي لم ترتبط بعده !

كسا بعض الشجن ملامح ياسر وهو ينظر اليها كيف تلتقط الظرف الذي وضعه بنفسه قبل نصف ساعة على نافذة سيارتها الامامية..

تابع حركة يديها وهما تفتحان الظرف بينما عيناها الجميلتان تتلفتان في حيرة هنا وهناك وكأنها تنتظر ظهور احد ما ليخبرها بسر هذه الفكاهة الصباحية...

اخرجت يدها القلادة من من الظرف ، كانت تعبس بتوجس في البداية ثم احتل الفضول محياها الجميل لتبتسم بحيرة وهي تعاود التلفت عسى ان يظهر المرسل من مكان ما...

همس ياسر بتلهف

" هيا سهر .. هيا اخرجي الورقة الصغيرة .. "

لم يتم جملته الا وقد اخرجت سهر الورقة المعنية من الظرف فتنفس ياسر الصعداء وابتسم وعيناه تنظران اليها بنهم ليهمس بالكلمات التي كان قد كتبها بنفسه على تلك الورقة بينما سهر تقرؤها الآن

تميمتي تميمتي .. اوصليني اليها

هل السحر فيك ام في مقلتيّها ؟!!

سهر ... ياسر .. سعد .. رافد

مشهد من الفصل الثامن عشر من

رواية تسألينني عن المذاق

الجزء الرابع من سلسلة قلوب تحكي

مساء في حفل عرس....

بابتسامة مرحة ساخرة قال رافد وهو يشير بحركات مرحة بحاجبيه ناحية العريس

" إذن عماد كان الاول من بين مجموعتنا الذي يكسر طوق العزوبية العنيد "

يضحك سعد بخفة بينما يكتفي ياسر بابتسامة صغيرة باهتة لا معنى لها...





الثلاثة كانوا يقفون جنب بعض في احدى زوايا قاعة العرس ببدلات كحلية انيقة...

وبينما رافد يتابع الفتيات الجميلات بعينيه وهن مزهوات بفساتين سهرة من كل نوع ولون كان سعد هادئا رزيناً رغم ان عينيه حادتا مرتين او ثلاث ناحية اكثر من فتاة اما ياسر فعلى غير طبيعته بدا متوترا غير آبه بما حوله شاردا بافكاره المبهمة !

" انظرا... انظرا .. من أتت هناك ... جميلة قسم ادارة الاعمال ... سهر ذات عيون القطة"..

التفت سعد عفويا بينما يضيف رافد بعينين لامعتين بشقاوة

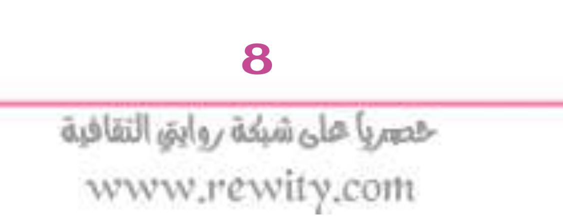
" ولعمري ازدادت جمالا بنضوجها .. والشعر الطويل يليق بها اكثر من القصير.. "

بابتسامة عريضة استقبل رافد اقتراب سهر منهم وقد كانوا على معرفة ببعض بينما سعد يلفت نظره توتر ياسر وتلك الملامح الغريبة لوجهه وهو يتطلع لسهر !

دوما ياسر كان يثير حيرته بتقلب مزاجه الغريب ..

ربما توتر نشأته العائلية غير المستقرة ساهمت في هذا لكن ياسر ايضا يتمتع بمزاج خشن فكاهي ساخر متأصل فيه...





التفت سعد بينما سهر تقف قربهم تلقي تحية مشعة كفستانها " مرحبا يا شباب ادارة الاعمال ... مضت سنوات لم نر بعضنا " ..

ثم ضحكت بنعومة بينما بينما يلقي رافد تحية ترحيب حار ليتبعه سعد بابتسامة لطيفة واخيرا ياسر اسبل اهدابه ليلقي تحية عابرة تكاد تكون تمتمة غير مفهومة...

تطلع سعد بفضول اليها وهي تضاحك رافد بينما يتكلمان عن ايام الجامعة..

لقد كانت تصغرهم بعامين لكنهم في قسم صغير نسبيا وكل المراحل ترتبط بعلاقات وثيقة الى حد ما...

بعيني رجل اخذ سعد يناظرها ..

ما زالت نحيلة رشيقة انيقة بشكل انثوي يميزها .. فستانها مذهل لاءمها الى حد كبير ..

فستان بخطوط مستعرضة متماوجة كامواج البحر تدرجت بلمعة متوهجة بين الفضي الى الابيض..

وشاح فضي لامع لفته حول رأسها ويجمع شعرها البني الطويل للخلف فتغطي خصلاته المتماوجة ظهرها بالكامل..

ثم توهجت عيناه اعجابا بتلك القلادة الفضية التي استقرت على صدرها .. لا ليست قلادة عادية .. انها أشبه بتميمة !

سألها سعد بفضول " من اين لك هذه القلادة الغريبة ؟ شكلها مميز وغريب "



رافد الآخر أخذ يتطلع بفضول للقلادة بينما لم يشعر أحد بياسر الذي رفع رأسه بحدة نارية..

امتلأ وجه سهر بابتسامة خلابة وهي تلامس التميمة وتقول " هل اعجبتك يا سعد ؟ انها هدية أتتني قبل ايام "...

صوت ساخر صدر عن ياسر وهو يقول باستخفاف واضح " اممممممم هدية "...

نظرت سهر ببعض الدهشة لياسر تستغرب نبرته ليعاجلها رافد بالسؤال المرح " وكيف حالك انت ؟ سمعت انك انهيت الماجستير "

فترد سهر وهي تهز كتفيها باناقة " نعم الحمد لله .. وانوي التقديم للدكتوراه.. "

فيقول رافد ضاحكا

" حقيقة لم اتخيلك من النوع الذي يسعى لتحصيل مراتب علمية.. "

ارتعشت ابتسامة سهر لتسأل بلباقة

" وماذا عنك انت ؟ "

بابتسامة عريضة فخورة ينحني رافد جانبا لياسر يحاوط كتفي صديقه بذراعه قائلا

" انا اكتفيت من الدراسة لاربع سنوات في الجامعة بعدها عملت لبعض الوقت في امور متفرقة غير جادة حتى عاد صديقي هذا الى الوطن لنتشارك بفتح مطعم جيد في حي راق قبل عام تقريبا .. والحمد لله هو مطعم يزدهر يوما بعد يوم.. "



بسلاسة أبعد ياسر ذراع صديقه عن كتفيه بينما لايرفع نظراته لاحد ومكتفيا بالصمت!

تبرع سعد قائلا " قبل ان تسألينني انا عدت مؤخرا للوطن بعد ان عملت لسنوات في بلد عربي استثماري واحضر حاليا لافتتاح مكتب صرافة "

تبسمت سهر وهي تقول بلطف

" وفقكم اللّه جميعا... "

ثم اضافت بعينين لامعتين وهي تتطلع لعماد الجالس قرب عروسه

" عروس عماد جميلة جدا... "

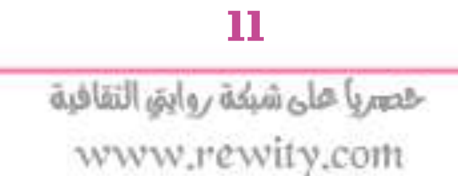
فيعلق رافد " لقد كان الاول من مجموعتنا الذي يتزوج هل تعلمين ؟! ما زلنا نحن الثلاثة رافعين شعار (عزّاب حتى ترضى بنا عروس)... "

فتضحك سهر يشاركها سعد بينما ياسر يرفع عينيه ليرمقها بنظرات لاهبة لتستقر تلك النظرات على تلك التميمة التي كان هو مهديها السريّ... !

سأل سعد بعفوية " وانت كيف حالك وحال زوجك ؟ لم أحضر عرسكما للاسف كنت قد سافرت .. لقد نسيت اسمه .. أكان سامر الهاشمي ؟"

تفاجأ سعد من انقلاب تعابير سهر بينما يشعر بلكزة خفيفة في ذراعه من كوع رافد !





ليتكلم ياسر مصححا وهو يحدق في سهر

" بل... اسامة الهاشمي .. "

احمر وجه سهر وهي تنظر لعيني ياسر بارتباك وحرج لكنه لم يرحمها ليضيف بسخرية لاذعة " وهما لم يتمما زواجهما ... لقد تركها ليتزوج بأخرى ... و سمعت ان من تزوجها كانت امرأة مطلقة... تقارب الثلاثين.. بينما سهر كانت لم تتجاوز الثانية والعشرين.. في ذلك الوقت طبعا ... ملفت هذا أليس كذلك ؟ خاصة انها لم تتزوج حتى الآن " !

تصلبت ملامح سعد وهو يرمق ياسر بنظرة خلطت الدهشة بالغضب بينما رافد كان مصدوما من اسلوب ياسر في احراج سهر بل حتى اهانتها بهذه الطريقة غير المبررة... !

لتفاجئهم سهر انها اول من استعاد رباطة جأشه فتقول " اصبحت خشونة طباعك هي الملفته ياسر وبشكل سلبي تماما لايليق بنضجك كرجل عانق الثلاثين .. فيما مضى كنت ممتعا بخشونتك الان اصبحت ... منفرا .. "

ثم التفتت ناحية سعد ورافد ورغم شحوب وجهها قالت بذقن مرفوع " عن اذنكما .. سررت برؤيتكما بعد هذه السنوات... "

تمتم سعد باعتذار لكنها اكتفت بمنحه ابتسامة هادئة ... ثم تحركت مبتعدة بينما سعد يغلي في اعماقه ليقول بنبرة حادة

" لماذا تصرفت بهذه الطريقة الدنيئة ياسر ؟ "

فيرد ياسر وقناع من البرود يتلبس ملامحه

" انا حر سعد .. افعل ما اشاء .. ولم أكذب في شيء فقط رويت ما حصل دون تنميق.. "

لكن سعد امسك ساعد ياسر بقسوة ليسأله بضيق " لماذا تفعل هذا ؟! انت تعمدت اذلالها امامنا دون سبب .. اهنتها واحرجتني انا ايضا وقد تسببتُ لها دون قصد بهذا الموقف السخيف .. "

ابعد ياسر اصابع سعد المتصلبة حول ساعده ليقول بملامح باهتة غريبة " عن اذنكما "...

ثم فاجأهم وهو يتحرك مبتعدا ليغادر القاعة بأكملها !

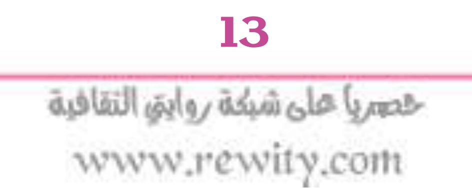
بحاجبين معقودين سأل سعد بعجب متزايد

" ما به ؟! لماذا يتصرف هكذا ؟! "

أجاب رافد بتردد

" ربما هو متوتر بسبب اخته جودا .. لقد اثارت مشكلة جديدة بالامس "





للحظة شعر سعد بالتوهان فيسأل بعجب

" اخته جودا ؟! هل ياسر لديه أخت ؟ متى حصل هذا ؟ ألم يتوفى والداه بحادث عندما كان في الثامنة عشرة ؟ عرفناه في الجامعة وهو يعيش وحده مع عمته ولم يكن له اخ او اخت "

ضرب رافد بباطن كفه على جبينه مستدركا قائلا " آآآآ تذكرت انت سافرت قبل ظهور موضوع جودا .. حتى ياسر كان مسافرا خارج الوطن .. كان الامر مفاجئا للجميع وهي تظهر بشكل فجائي من العدم ! كل ما علمته انها اخته من زوجة ثانية لابيه..."

سأل سعد باهتمام " غريب فعلا ... كم عمرها؟ هل هي صغيرة مراهقة ؟"

فيرد رافد متنهدا " ليتها كانت مراهقة لكنا تفهمنا مشاكلها .. ! هي الان في الثانية والعشرين لكن عندما حضرت كانت مراهقة صعبة المراس في السادسة عشرة.. "

ما زال سعد يشعر بالانزعاج..

رغم تعاطفه مع ياسر لكن لم يكن له الحق بالموقف الذي فعله مع سهر..

تأفف سعد وهو يسأل " متى عاد ياسر للوطن ؟ "





عينا رافد عادتا لتتبع جميلات الحفل بينما يرد بلا تركيز

" قبل عامين لا اكثر .. عمته ارسلت في طلبه بسبب مشاكل اخته ، الفتاة تخفق في دراستها الجامعية بشكل مريع عدا مشاكلها الاخرى التي لاتنتهي .. "

فيسأله سعد بجدية

" هل كنتَ تعلم بوجودها ؟ اقصد .. هل حدثك ياسر عنها يوما او حتى اخبرك عن زواج آخر لابيه ؟ "

هزّ رافد كتفيه بلا اهتمام ليقول " لا ... لم اسمعه يتحدث عن اخت له ابدا ولم يكلمني يوما عن والديه .. انت تعرف ياسر .. كتوم بشكل خاص فيما يتعلق بعائلته .. ولولا تواجدنا بمكان عمل واحد لما علمت بمشاكل اخته .. فكل يوم يرده اتصال بمشكلة جديدة فيهرع لتداركها .. لكنه لايعبر بشيء .. يلتزم الصمت دوما..."

تمتم سعد بتفكير وعيناه على سهر التي كانت تتنقل بين صديقاتها القديمات

" ياسر دوما كتوم بكل ما يخص مشاعره.. "

رنّ هاتف سعد النقال فأخرجه من جيب سترته الكحلية ليرى اسم جاره السيد مهيب..



أبتعد سعد مستئذنا من رافد ليغادر قاعة الاحتفال وهو يشعر ببعض القلق على امه الوحيدة في البيت فيفتح الخط ويقول

" مرحبا سيد مهيب .. "

فتتسع عينا سعد ليتمتم وهو يتحرك بخطوات متسارعة " انا قادم حالا .."



المقدمة

عودة من حفل العرس

ياسر

اغلق باب غرفته خلفه وبانفاس تضيق بصدره يفتح ربطة عنقه بحركات عنيفة ثم يخلع سترته فيرميها ارضا بعنف أشد ...

اخذ يفتح ازرار قميصه الابيض بنفس الحدة وهو يكاد يقطع خيوط ارتباطها بالقماش ..

انه غاضب .. غاضب نحوها بطريقة لم يشعرها من قبل.. لم يكن يتصور ان تتأجج نيرانه

هكذا برؤيتها وجها لوجه بعد هذه السنوات...

في الماضي كانت دوما تستفزه وتجعله خشنا معها لكنه تقابل خشونته بضحكة انثوية مجلجلة تخلب لبّه ...

اخذ ياسر يشتم ويشتم وهو يدور في غرفة نومه يكاد يضيق بجدرانها ...

لم يتصور ان يزداد الامر سوءا لهذه الدرجة ..

سابقا كان يحكم غضبه ..

الآن وقد التقاها اخيرا وجها لوجه ...

اكتشف انه .... لايستطيع ...



ضرب بقبضتيه على سطح مكتب الدراسة الذي رافقه سنيّ دراسته الجامعية ..

اعتصرت انامله حافة المكتب ليميل برأسه يغمض عينيه بذكرى وهج التميمة التي كانت الليلة تعلقها في رقبتها ...

كيف .. كيف يغار بجنون هكذا من هدية هو اهداها لها بنفسه ... ؟!!

زمجر وهو يفتح عينيه بغضب مستعر بينما يتمتم وهو يسحق اسنانه ببعض " بل كيف ترتدي هدية جاءتها من مجهول ؟! ام اعجبها ان يهديها رجل غامض معجب هدية كهذه ؟! "

صدره ينتفض بتمرد .. يعلو ويهبط باضطراد وعيناه المفتوحتان تحدقان ولاتريان ما امامهما حقا ...

انهما لاتريان الا صورتها الليلة .. بذلك الثوب الفضي اللعين الذي اظهر رشاقة بنيتها والشعر البني المتموج حتى اسفل ظهرها وعينا القطة الخضراوتان تسحران كل من يكلمها...

ضربة أخرى من قبضتيه وهو يفكر بكبريائه اللعين الذي يكبّله وقلبه ملعون أكثر من كبريائه فلا ينسى من خفق لها ولم يخفق لانثى غيرها ....



لاينسى من هجر الوطن لاجلها ... فما ان تمت خطبتها على اسامة الهاشمي حتى ارتحل ...

وعندما اضطر للعودة بسبب جودا فأول شيء فعله حالما عاد الوطن قبل عامين هو التقصي عن اخبارها .. رغبة مريضة في تعذيب ذاته... وكم اصابته الصدمة عندما علم بأن الزواج لم يتم !

بل انشطر نصفين .. نصف سعيد ومتشفٍ فيها ونصف غاضب يقتله الغيظ من اسامة الهاشمي..

الغبي.... الغبي كيف يترك سهر ؟!! كيف يفرط بفرصة امتلاك فتاة كسهر ...

كيف لايسهر الليل يعدّ النجوم عشقا لمن خُلق لها كل النجوم والعشق و السهر؟!

رفع كفيه يشد شعره وكأنه جن !

هل هو ضائع في كبريائه الذي يمنعه عنها ام غارق في عشقه الذي ثار الليلة لاجلها ..

الليلة ... الليلة كان ينتظرها بصبر بعد عامين من الانتظار ...

عامان وهو يحوم حولها دون ان تشعر به ..

دون ان تراه ...

لكن تلك التميمة التي وجدها قرب النهر سحرته وجعلته يخطو الخطوة الاولى ...

تشنج وهو يفكر.. وبماذا افادته التميمة ؟!!



ما أن رآها الليلة وهي تلبسها حتى تمكن منه الجنون المطبق ...!

يغار وتقتله الغيرة ..

من كل عين لمحتها واسترقت المزيد من النظرات لجمالها ...

حتى رافد وسعد لم يتحمل منهما ذلك التقارب السخيف والضحكات الرائقة ..

فتصرف معها بقسوة وعرّى جراحها بلؤم !

تحرك ناحية سريره يرمي جسده عليه غامرا وجهه في وسادته البيضاء فيعتصر الوسادة بين ذراعيه وهو يهمس بخشونة وناره تتلظى " ترى .. هل لامسك اسامة يوما يا سهر ؟! أكاد أجن كلما فكرت بهذا..."

سعد

أرخى ربطة عنقه وهو يجلس على كرسي جوار سرير أمه ليمسك بكفها النحيل وقد استسلمت اخيرا لاغفاءة نوم عميق ...

تطلع اليها بنظرات تفيض حنوا واحساسا بالذنب .. ها هي تنام اخيرا بعد استجاب جسدها للمسكنات ...

ساقها الايمن التفت حوله جبيرة ضخمة والطبيب أصر على بقائها لليلة على الاقل في المستشفى رغم عدم وجود كسور الا انها امرأة كبيرة في السن والمراقبة واجبة في حالات كهذه ...



رفع كفها يقبل ظاهرها وهو يهمس

" سامحيني أماه .. دوما اخذلك ولا أكون موجودا حين تحتاجين لوجودي ..."

رفع وجهه يتطلع لوجه أمه الذي ما زال متغضنا من آثار الآلآم التي عانتها ...

تذكر دموع الحسرة في عينيها ليلة الامس في حفل زفاف جدايل ...

كم كان يتمنى ارضاء امه أكثر وابهاجها بزواجه من ابنة خالته .. لكن الفتاة لم تكن له..

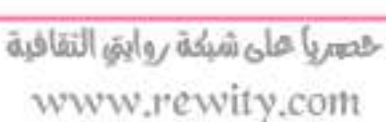
تأخر سبع سنوات ... ربما لو عاد قبل سنة او سنتين لكانت جدايل الشقية الروح من نصيبه ...

همس لنفسه " اجل اعترف سعد .. ان تلك الصغيرة السمراء أثرت بك كرجل أكثر من إثارة حميتك كأبن الخالة ... لكنها ابدا لن تكون لك .. انها لأيهم سليماني .. فدع مشاعرك تتلاشى دون ان يشعر بها أحد .."

أعاد ظهره للخلف مرخيا جفنيه ويده ما زالت تمسك بيد أمه .... يشعر بحاجة لبعض الرقاد ... أراح ظهره تماما للخلف واطبق جفنيه وأرخى عقله هذه المرة واستسلم ....

تسلل لاغفاءته الخفيفة احلام عن فتاة سمراء تقف بباب المرآب ضاحكة في وجهه .. تهب ريح الخريف فتبعثر اوراق الشجر الصفراء لتعلق بخصل شعرها الطويل الناعم ...





يمد يده ليزيح تلك الاوراق الشقية فتتحول الخصل الملساء الناعمة البنية لاخرى بسواد حالك كجناح غراب وتتموج بجنون ثائر بين اصابعه ! ...

تضيع الاوراق بين ثنايا ذلك الشعر الغجري لكنه لاييأس فيكاد يلهث وهو ما زال يبحث بأصرار ...

انامله لامست نعومة خديها فانتفض ببردة فعل جسدية غير عادية وبخشونة رجولية حاوط الخدين ورفع الوجه اليه يريد ان يعرف هويته فصعق من جمال تلك العينين الوحشيتين بلون البلور الازرق ...!

رافد

دخل البيت وهو يصفر باسترخاء مستمتع ..

سترته الكحلية وربطة عنقه على جانب كتفه معلقتان بطارف سبابة يده اليمنى ..

يقف امام مرأة الصالة البيضوية وهو ما زال يصفر ليمد يده الاخرى ويمرر انامله بخفة في خصل شعره المجعدة التي تميل للشقرة ...

ابتسم بصبيانية لعينيه الزرقاوين بينما يتذكر الحسناء التي (علقها) من الحفل كما يعلق سترته على كتفه الآن ....

اجفل على صوت أمه " لماذا تأخرت ؟! انها الثالثة بعد منتصف الليل ..."



حدق بامتعاض عبر المرأة لوجه أمه العابس ثم التفت ببطء ناحيتها ليقول

" اولا مساء الخير امي ... ثانيا انت تعلمين انني كنت في حفل زفاف عماد وقد التقيت ببعض الاصدقاء القدامى ..."

لكن عبوسها تضاعف وهي تقترب منه قائلة بصوت مكتوم النبرات استغربه منها في حالات كهذه " بل تأخرت كثيرا .. حتى ولو التقيت باصدقائك القدامى الاتفكر بأمك وقلقها عليك ؟!! ثم انك لاترد على الهاتف لاطمئن بعض الشيء .. لقد اوشكت ان ارتدي معطفي الشتوي وأخرج للبحث عنك في الشوارع ! "

تنهد بضجر ثم قال وهو يقترب منها " امي انا في الحادية والثلاثين في حال انكِ نسيتِ كالعادة هذه الملحوظة القيّمة ... لست نفس المراهق الذي يتأخر ليلا فتهلعين جزعا عليه لتخرجي وتبحثي عنه في شوارع الحي المظلمة وانت تحملين الفانوس ....! "

اوشكت ان تصب عليه مزيدا من حمم غضبها عندما مال فجأة ليقبل خدها بقوة ويده اليسرى تمسك بخصرها تمنعها الابتعاد ليهمس لها بشقاوة " ما هذه الحلاوة يا فتاة .. من الجيد اني لم آخذك معي للعرس لاختطفك احدهم مني هناك .."



استسلمت لمداعباته الشقية المحببة فتتنهد وعاطفة امومتها الفياضة تغلب غضبها عليه فتحاوط جذع ابنها البكر وتلقي براسها على كتفه تشكو منه اليه

" فقط لو تتزوج وتريحني ..."

زفر رافد بقوة وقد توتر جسده كالعادة على هذه السيرة مع امه تحديدا ودون غيرها .. لايعلم لم لايستطيع التلون بالمزاح الساخر امامها كما يفعل ببساطة شديدة مع الاخرين وهو يتكلم بفخر عن عزوبيته طويلة الامد!

لماذا يعجز امام أمه عن فعلها ؟!!! ليفضحه توتره وهو يهمس بضيق " ها قد عدنا ..."

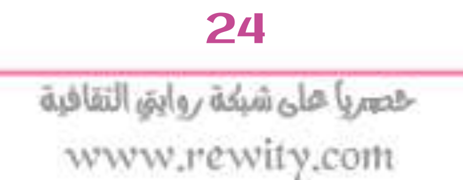
ابعدت الام راسها عن كتف ابنها لتحدق في وجهه العابس المتوتر وتسأله بالحاح " ألم تجد في حفل العرس فتاة جميلة تناسبك ؟ "

رفع وجهه للاعلى محدقا بالسقف ليردد بقلة حيلة " صبرني يا رب ..."

لكن الام لم تيأس كعادتها لترفع كفها تلامس جانب خده الخشن فتقول " اخوك الاصغر تزوج منذ ثلاث سنوات ولديه ابنة وانت بكري ما زلت تعجز عن ايجاد فتاة رائعة كابنة خالتك ... غالية .."

داخله اصبح يغلي .. يغلي ويغلي ...





اطبق فكيه يقاوم ليقول بعدها وهو يتصنع الهدوء

" أجل امي .... غالية فتاة يصعب ايجاد مثلها "

لاتتنبه الام لحاله فتسرف في الكلام عن كنتها وابنة اختها

" صحيح غالية فتاة مميزة واخوك راغب كان محظوظا بها لكن الفتيات الجيدات كثيرات بني .. ومؤكد ستجد فتاة بجمال غالية واخلاقها تحبك كما تحب غالية اخاك ..."

لم يستطع التحكم بحدة حركة يده وهو يبعد امه عنه ليقول ببرود ظاهري

" امي احتاج للنوم لو سمحت .."

تنهدت الام باحباط بينما ترى رافد يتحرك مبتعدا عنها متوجها نحو السلالم فتسارع لتنبيهه بصوت مستدرك خافت

" لاتصدر ضوضاء كعادتك وانت تتوجه لغرفتك ... فغالية فوق تنام مع لُجين في غرفة اخيك القديمة .."

توقف في منتصف الدرج اشتد ضغط كفه على السور الحديدي المذهب .. وبينما يولي امه ظهره فيترك العنان لمشاعره تتجسد على وجهه دون ان تنال نبرة صوته وهو يسأل بلامبالاة ظاهرية " هل فعلها مجددا ...؟ "

فترد الام بهمسها الخافت " لقد تشاجرا ..."





ثم تضيف بنبرة تفهم امومي مجحف بحق كنتها " انت تعرف اخاك احيانا لايحتمل تدللها وشكواها .. هو لايقصد الغضب والمشاجرة ولكنه ..."

يقاطعها وعضلة في خده ترجف

" ولكنه .. مدلل قاس عندما يريد .."

فتهب للدفاع عنه أكثر وترتفع نبرة صوتها دون ان تتنبه لذلك " انت من تقسو عليه ..."

اخذ نفسا عميقا وزفره .. ودون اضافة المزيد تحرك ليكمل صعود السلم ...

غرفة راغب القديمة مقابلة لغرفته ..

وقف هناك بين الغرفتين .. يده على مقبض باب غرفته وعيناه على باب غرفة اخيه المغلقة ...

وجع .. وجع .. وجع .. مضى وقت طويل منذ تمزق قلبه هكذا ... لكن .. ماذا بيده ..

انها ببساطة غالية ..... وستبقى غالية ...



الفصل الاول

صباح اليوم التالي للعرس ...

فتح ياسر باب حمام غرفته وهو يكاد لايرى امامه من شدة الصداع الذي يفتك برأسه منذ الفجر، يكره الدواء ويعاند اخذه بسذاجة مراهق ينطح رأسه بالحائط !

لكنه اضطر للنضوج ليبتلع للتو فقط قرصيّ مسكن عسى ان تخفف عنه حدة هذا الصداع...

شتم وهو يتعثر بتلك الفرشة المستطيلة الزرقاء التي تصر عمته بفرشها على ارضية حمامه في موضع وقوفه امام المغسلة البيضاء..

ماله هو مال هذه اللمسات غير العملية في حمامه المبهم الهوية والالوان ؟!!

انه حمام بسيط بألوان ... اقرب للرمادية ... وربما الازرق !

لايعرف حقيقة فكل ما اراده عندما جدده و أعاد تعميره ان يكون مناسبا وبلون حيادي وترك الباقي على مشرف البناء الذي اخذ العمل والاختيار على عاتقه ليحضر عاملين ينجزان المهمة خلال عشرة ايام لاغير...



لم تكن عمته راضية لكنه يستغل ضعفها
الخاص وعدم قدرتها على المطاولة في أي
نقاش لترضخ لاختياراته ... او الاصح
اختيارات البنّاء الذي وصفته عمته بـ

(خيار بشع) ...

لكنها هي الاخرى اثبتت نوعا من العناد
الانثوي الذي يلائم شخصيتها الرقيقة الانيقة
ففرضت عليه تزيين الحمام على طريقتها ..

فتضع فرشة للارضية وطقما فخاريا مخططا
لادوات الحمام الخاصة بقاعدة الصابون
وحاوية فرش الاسنان مع قدح وسلة مهملات ...

لقد عجز عن اقناعها انه لايحب هذه الامور
ولايستسيغها ....

لكن لافائدة ...!

فاستسلم لها كما استسلم يوما لرافد وهو
يقنعه بديكورات خاصة لمطعمهما ..

ويعترف ان رافد هذا ذو افكار خلاقة في
مجال الديكور لذلك ترك له تنظيم
الواجهة التي تجذب الزبائن بينما اكتفى
ياسر بتنظيم الدواخل من حسابات واشراف
على سير العمل ...

لم يترك له الواجهة فقط وانما ترك له
استقبال الزبائن واقامة العلاقات معهم ورافد
(متخصص علاقات) بابتسامته الشقية وروحه
الخاصة التي تجذب الاخرين اليه ...



توسط ياسر الحوض البيضاوي لينحني بجذعه ويفتح صنبور الماء وهو مغمض العينين فيسترخي شيئا فشيئا تحت رذاذ الماء الدافئ الذي أخذ ينهمر فوق رأسه بينما يفكر برافد وشخصيته المحببة الخفيفة التي تحبها الفتيات بشكل خاص ...

فكر انه رجل مميز بلا عقد كعقده هو ..

اجل يعترف ياسر بأنه رجل معقد ..

هو نفسه احيانا لايفهم اختلاجاته ...

وسهر هي احدى اكثر اختلاجاته تعقيدا...

فتح عينيه والمياه ما زال تنهمر ليهمس وهو يكز على اسنانه " حسن يا سهر .. سنرى من سينتصر ... انا ام انت ؟! "

بعد عشرون دقيقة كان يغادر الغرفة وهو يرتدي ملابس بيتية خفيفة بينما يشعر ان صداعه اصبح افضل بكثير ، هبط درجات السلم ببعض النشاط ليتراخى نشاط تلك الخطوات حالما وصله صوت صياح عمته فائزة! ولم يكن بحاجة ليتكهن من يجعل تلك المرأة الرقيقة التي ربته تخرج عن طورها هكذا ... انها جودا فقط .. ولااحد غير جودا!

كان يوشك على بلوغ باب المطبخ عندما سمع صوت جودا بنبرتها النارية تهتف

" لن تردعيني وتخيفيني بصياحك عمتي ..

اين سجائري ؟! اخرجيها لي ... الآن ..حالا "



فترد العمة فائزة بغيظ شديد ونبرة منهكة

" لماذا لاتصدقين اني رميتها ؟!! اقسم باللّه اني فعلت هذا ولااكذب عليك ولااريد ارهابك .. انا فقط اقلق عليك و لااطيق رؤيتك تدخنين وانت بهذا العمر الفتيّ "

فترد جودا ببعض الهياج المعتاد منها

" لااصدق .. رميتها فعلا ؟! كيف تفعلين هذا .. انها سجائري انا ... ملكي انا وحدي ولايحق لاحد اخذها مني ..."

فيستند ياسر بكتفه على باب المطبخ وهو متكتف الذراعين يبدي نوعا من اللامبالاة القاسية وهو يقول بتراخ

" بل واقعيا هي ملكي انا .. "

التفت اليه زوجان من العيون ...

عينا عمته فائزة المرتبكتان ذات اللون الداكن كدكنة عينيه هو .....

وعينا جودا اللتان تراجع توحشهما بعض الشيء وهي تطالعاه بتوجس .. خائف .. خائف قليلا فقط ... تلك العينان ذان اللون الازرق المبهر المشع الغريب تظهر ان صاحبته تهابه وهذا أمر يطمئنه ...

سمع تمتمة مرتبكة باسمه فعلم انها انطلقت من شفتي اخته جودا

" ياسر .. "



بينما سارعت العمة لتتحرك نحوه تحاول التغطية (كالمعتاد) على افعال جودا لتقول له بابتسامة مرتعشة وهي تحاول التصرف بشكل طبيعي

" صباح الخير عزيزي .. لقد تأخرت عن عملك كثيرا هذا اليوم .. اذهب وابدل ملابسك وسأحضر لك فنجا..."

تجاوز ياسر عمته وهو يتحرك مقاطعا اياه بتوجيه الكلام المباشر القاسي لجودا المتمردة " كل ما تملكينه هو في الواقع ملكي انا وحدي ... ولاسلطة لك للاحتفاظ بشيء الا اذا قررت انا هذا .."

لمعت تلك العينان المميزتان بشرارة الغضب المدحور بينما يبتسم ياسر بلؤم مضيفا

" كل ما تحصلين عليه حتى الآن هو من مالي أنا فلا تنسي هذه المعلومة ابدا وتذكري لست انا من بددتُ المال الذي تركه لك والدنا وانما جدتك المصون اختارت ان تبدد وديعتك بتهور أحمق ! "

تشنجت يداها رغم انه رأى بوضوح تراجع ثورتها لتهمس من بين اسنانها

" هل تعيّرني لانك تصرف علي ؟"

فتتحجر عيناه وهو يقول بنبرة صقيعية





" بل اذكرك فقط ببعض الحقائق .. انا وحدي من ادفع لك ثمن ملابسك السخيفة التي تختارينها بتهور احمق ورثته عن جدتك كما يبدو وانا من يعطيك ثمن الطعام السموم الذي تصرين على تناوله خارج البيت وادفع لك ثمن فشلك في دراستك الجامعية سنة بعد أخرى ومؤخرا اصبحت ادفع الرشاوي لمخافر الشرطة حتى يطلقونك .. وادفع لمن تتسببين لهم بالضرر المادي والجسدي حتى يلغون شكاويهم ضدك .. كل هذا ... ادفعه بمالي انا ... من كدي وتعبي ... بينما انت تتلذذين بعيش حالة طيش المراهقات وترفضين بناء نفسك لتستغني عن ... اذلالي لك ! "

تراقصت شرارت الدموع في عينيها بينما تقف العمة بينهما تناظرها باشفاق دون ان تستطيع قول شيء ...

زمجرت جودا وهي تحرك راسها بعنف يمينا وشمالا فينتفض شعرها الحالك السواد ويصبح اكثر هياجا وتمردا ثم تتحرك بخطوات هادرة لتغادر المطبخ لكن ياسر يعاجلها بالقول الساخر

" لاتنسي ان تغلقي باب غرفتك عليك بالمفتاح حتى تمنعي عمتك من محاولة استرضائك كالعادة ... "

التفتت اليه بهياج وشعرها يتناثر حول وجهها لتزمجر بتمرد وطفولية

" ربما لن تجدني عمتي لاني قد أقرر ان أقفز من الشباك ! "

فيضحك ياسر بجفاف وهو يغيظها بالقول

" لااظن .. فلن تكسبي الا كسر ساقك كما فعلت سابقا والنتيجة تحملتها بمفردك لثلاثة اشهر مضنية في قالب الجبيرة ..."

تتخصر جودا بتحدٍ وعيناها تظهران قمة الجموح وهي تصرخ " فعلا انت محق.. ولِمَ اقفز من الشباك واعرض نفسي للخطر ؟! بينما باب البيت مفتوح على مصراعيه امامي ...! "

يهز كتفيه ويبرم شفتيه بلامبالاة بينما يرد عليها بنبرة بدت مخيفة بما تسرده الكلمات من واقع الحال " مؤكد الباب مفتوح والشارع عريض لتتلقفك كلابه الضارية برحابة صدر ! لكن تذكري ... لاامال لديك .. والكلاب تنهش اللحم الرخيص وتقرقش العظام التي ليس لها ... صاحب او..حامٍ ..."

شهقة بكاء غاضب سبقت موجة كتلة العنف الجامح الذي انطلق ناحية السلالم بصخب يلائمه ...

راقب ياسر أفول جموحها بعيدا عن ناظريه ثم شعر بكف عمته على كتفه وهي تقول له بنبرة حملت بعض العتب



" دوما لديك الفاظ خشنة قاسية .."

التفت ياسر ليربت على كفها قبل ان يبعد كتفه عن مرمى تلك اليد وهو يقول بهدوء

" اسف عمتي .. اعلم ان طباعك وقابلياتك لاتتحملان هذه الضغوط العصبية .."

تحرك ناحية جهاز اعداد القهوة وبينما هو يعد قهوته سمع عمته تقول باشفاق وارهاق في نفس الوقت

" لماذا لاتحاول ان تكون لطيفا معها ؟"

تمتم بنفس الهدوء وهو ينتظر قهوته

" انها لاتحتاج للطف عمتي والا لما كنتِ استدعيتني لاعود للوطن ! فأنت منبع اللطف كله وتلك الغبية لم تقدره .."

همست بحرج

" اسفة بني .. الفتاة اهلكتني وانا لم استطع الاستمرار لوحدي معها .."

التفت نحوها عابس الوجه فأطرقت العمة فائزة وهي تشعر بالضيق بينما يقول ياسر بلهجة مريرة

" الذنب ليس ذنبك انت ... بل ذنبه هو .. هو وحده من اذنب وتحملنا توابع ذنبه وضعفه .."

كانت تعرف عن يقين من يقصد .. لقد ربته كأبن لها لم ترزق به وتعرفه عن قرب ...

رفعت اليه وجهها اللطيف فتقول بحنو







" سامح والدك بنيّ .. ربما هو آذى امك و آذاك و آذى المسكينة جودا لكن فعل كل هذا دون قصد منه .. لاتحمل عليه بنيّ وانظر لحال اختك المسكينة وستعرف انك كنت محظوظا مقارنة بها "

عقدة حاجبيه الاسودين تعمقت وهو يقول بقسوة ضارية

" محظوظ ؟! تقولين اني محظوظ عمتي ! "

فتحت فمها لترد لكن مزاجه السوداوي سيطر عليه ليضيف المزيد " هل تعلمين كيف كنت اشعر وانا مجرد فتى مراهق في السابعة عشرة واراه يذل نفسه لأمي ؟.. لقد .. لقد مرغ بكرامته تراب الارض وهو يسكب دموع

الندم والتضرع لتسامحه .. تنازل عن كبريائه وهو يتوسلها توسلا مذلا مهينا لترضى عنه وتغفر لكنها لم تفعل .. بل امعنت في اذلاله بتشف لم انسه حتى هذا اليوم .. لم تشتمه او حتى تضربه بل فقط عرّت روحه الضعيفة ووصمت رجولته بالنقصان ..."

عضت فائزة على شفتها بينما تحاول تهدأته بالقول

" لاتحاسبها على ما قالته بلحظة فقدان للعقل والتمييز .. لقد حطمها عندما اكتشفت ان له طفلة من امرأة اخرى .. امك كانت زوجة صالحة يا ياسر كما كانت اماً متفانية لاجلك .. لايعقل انك نسيت كل هذا لاجل .. ماحصل .."

ضرب بقبضته على حافة الخزانة خلفه لتتوهج عيناه بعنف شابه عنف جودا ليقول صارخا بكل ما يعتمل في نفسه ويكتمه من سنوات

" اجل .. كانت زوجة واماً مثالية جدا ! بدليل انها مزقت رداء الصلاح واحرقت سفن التفاني حالما اكتشفت ان زوجها متزوج عليها ببلد آخر وله طفلة في الثامنة يخفيها عن الجميع.. هل هذا مفهومك عمتي عن الصلاح والتفاني؟! انها لم تبالي بتحطيم رجولة وكبرياء ابي امامي وانا في ذلك السن الحرج.. ثم فرضت عليه عقوباتها .. ان لايرى جودا ابدا رغم معرفتها بوفاة والدتها ويكتفي بوضع وديعة لها تكفيها هي وجدتها .. ثم امعنت في ثأرها الانثوي البغيض وهي تفرض عليه وديعة مماثلة باسمي ولم تنس نفسها فطلبت منحها مبلغا مماثلا لها وحدها تتصرف به كما تشاء ..وهو رضخ .. بل اخذها في رحلة شهر عسل جديدة مكافأة لها على اذلالها له !... لقد جعلته يبيع البيت الوحيد الذي يملكه ليفعل كل هذا ويرضيها ! وبعد كل هذا عمتي فانا لااراها كما تصفين .. بل اراها فقط انثى انانية حطمت كبرياء زوجها بالحب العظيم الذي حمله لها وجعلته يدفع ثمن زلته اضعافا مضاعفة .."

اتسعت عينا فائزة وهي تحدق فيه بصدمة !





كانت هذه المرة الاولى التي يعبر ياسر عن مكنونات نفسه بهذه الطريقة العنيفة المباشرة التي تمرغت بالقسوة الخالصة المرعبة ...

كان يلمح بسخرية لاذعة .. يلقي بعبارات قاسية احيانا لكنه ابدا لم يكن محددا ومباشرا وهائجا بالتعبير هكذا ...

تمتمت بجزع " الامر ليس هكذا بنيّ .. هون عليك .. ما الذي أجّجه بداخلك هكذا مرة واحدة وعلى حين غرة بعد مرور كل هذه السنوات ؟!"

ضربة اخرى على حافة الخزانة جعلتها تجفل بينما يهدر بالمزيد

" ربما لاني لم انس ابدا عمتي ومازلت اشعر ان اذلال ابي كان اذلالا لي انا .. كلما طالعت وجهي في المرآة اتذكر وجهه وهو يتوسل لها .. ثم اطالع وجه جودا فتذكرني بانانية امي وحقدها الذي جعل الفتاة تعاني لتكون بكل هذه الفوضى العارمة .. والداي غرقا بلعبة الاذلال والمعاقبة لمنح الغفران ونسيا مشاعر ابنهما في الوسط .. ثم ببساطة قررا السفر فرمياني اليك مع وديعة وتنكرا لوجود جودا بعد ان رميا لجدتها المجنونة وديعة اخرى..."

ثم أخذ يضرب على صدره بقبضته ليقول بنبرة مزقت قلب فائزة العاجزة



" لقد كتمت كل شيء في صدري .. تنكرت لذلك الاحساس المخزي بانتمائي لهما معا .. وددت لو كنت لقيطا ولا انتمي لاي منهما ؟"

شهقت فائزة وهي تضع يدها على فمها الشاهق لترفع اليد الاخ تلامس لحيته الداكنة الخفيفة وتقول بألم لألمه " حفظك اللّه وحفظ اصلك .. لاتقل هذا بنيّ واطلب لهما الرحمة ويكفي انهما لقيا حتفهما في تلك الرحلة المشؤومة بعد ان التقطا جرثومة قاتلة ... "

يلتفت بوجهه جانبا وانفاسه تهدر بينما تضيف عمته تحاول امتصاصه وهي مفجوعة من هول ما كان يخبئوه حتى عنها هي

" انت رجل ناضج ياسر .. ومؤكد اصبح لديك معرفة ببعض ما يعتري النساء .. لقد ... لقد كانت امك رحمها اللّه .. غاضبة .. ثائرة ..

مجروحة في الصميم فلم تشعر حقيقة .. بفداحة ما تفعله .. صدمتها كانت لاحدود لها .. لقد تركت كل شيء لاجل والدك عندما رفضوه عائلتها هي ضحت بهم وتزوجته رغما عنهم ثم عندما انجبتك ضحت بمستقبل مهني لامع لاجل ان تتفرغ لك .. ليس انت فقط وانما ان تتفرغ لوالدك وهو ينطلق في وظيفته .. لقد سخرت كل طاقاتها وجهودها لاجلكما ... لم تكن تستحق زلة والدك تلك ...

بنيّ ياسر .. المرأة التي .. تتعرض للخيانة دون
ان ترتكب خطأ تصبح احيانا ظالمة ..
عدائية للغاية حتى لاقرب الناس لها .. وأمك
طباعها كانت .. حادة بعض الشيء .. معتدة
بنفسها لدرجة الغرور احيانا .. لكنها عشقت
والدك بجنون كما عشقها والدك.. "

أطبق فكيه قبل ان يتحرك مبتعدا عن
عمته وهو يتمتم بقسوة

" اذن يبدو انها نقلت عدائيتها لي ..."

لاحقته تحاول التخفيف عنه

" الى أين تذهب .. لم تشرب القهوة .. "

اخذ يلوح بذراعه بينما يتجه ناحيته السلم
دون ان ينطق بكلمة بينما عمته تملؤها
الحيرة مع ألمها لاجله ...!

تمتمت لنفسها بتلك الحيرة

" ماذا حدث له لينفجر بالماضي هكذا ؟!"

رنّ هاتفه بينما يرتدي سترته فيلتقط الهاتف
من على سطح مكتبه ويفتح الخط قائلا
بمزاج متعكر " مرحبا رافد .. اعلم اني
تأخرت لكني في طريقي للمطعم الآن .."

بدت نبرة رافد غريبة بعض الشيء وشاردة
حتى بينما يرد عليه " لاتقلق .. انا نفسي ما
زلت في البيت .."

عبس ياسر وهو يلتقط مفاتيحه ومحفظته ليتساءل باستغراب " ما زلت بالبيت ؟! انها الحادية عشرة .."

فيرد رافد بنفس النبرة رغم محاولته الواهية بتلوينها بمرحه المعتاد " اجل .. ففي حجري كومة لحم ابيض شهي وبزغب اشقر "

تأفف ياسر وهو يرد " ليس لي مزاج لحل الغازك السمجة ! انهي أكل كومة اللحم الغريبة الاطوار تلك ووافني للمطعم .. لدينا امور كثيرة نفعلها .."

استعاد رافد شخصيته وهو يضحك من قلبه ليرد ببشاشة " حسنا سأحاول انهاء وجبتي السريّة والتحق بك .. بالمناسبة .. اتصل سعد بي يعتذر عن الحضور لتناول الغداء عندنا فأمه لوت كاحلها ليلة الامس وهي تحتاج لرعايته ..."

سأل ياسر " هل هي بخير ؟"

رد رافد " نعم .. اخرجها من المستشفى صباح اليوم ... اتصل به لاتنس .."

تحرك ياسر وهو يقول " مؤكد سأتصل به حالا .. اراك في المطعم ..."

ثم اضاف ياسر متمتما ببضع كلمات قبل ان يغلق الخط مع رافد بينما عيناه تفيضان جمودا وهما تتذكران مرأى الفستان الفضي .. من جديد....



اغلق سعد الخط مع رافد ليستلم مكالمة من جدايل فانهاها سريعا وقد اضطر لابلاغها عن اصابة امه .. ثم تحرك بخطوات متعجلة ليجلب الماء مع الدواء المسكن فقد عادت لأمه الآلآم وتحتاج لتسكينها ...

طالعها وهي تهدأ اخيرا فتنفس الصعداء وهو يراها ترخي جفنيها لتستسلم للرقاد ..

تحرك نحو المطبخ وافكاره عادت لحلمه الغريب ليلة الامس ؛

يشعر بفضول غير عادي لذلك الحلم ..

لم يكن ممن يحلمون بل كان يستغرب دوما ممن يحكي احلاما مطولة راودته في منامه اما هو فحتى لو حلم بشيء فلا يذكره عند استيقاظه ...

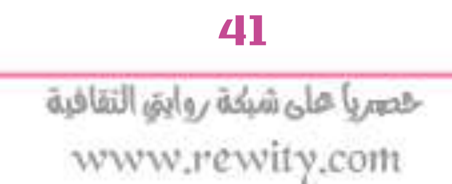
مؤكد انه رأى الفتاة سابقا ...

حاول ان يعصر ذاكرته بحثا عن وجه فتاة رآها في الواقع لتظل في مخيلته وتتسرب لاحلامه لكنه عجز ...؛

ثم فجأة تذكر وجها محددا ...

اجل .. ربما هي تشبه الى حد ما تلك المتدربة القادمة من احدى الدول الغربية وقد التحقت بالشركة التي كان يعمل فيها خارج الوطن.. لكن لا .. ليس تماما .. ربما متقاربتان لكنها ليست هي نفسها ...





عجيب .. حقا عجيب ... !

والاعجب ان يتأثر بالحلم لهذه الدرجة ... ربما لشدة وضوحه مع تناقض التشويش الغريب الذي حواه ...

حدق سعد بالقدح الزجاجي الازرق في يده بينما الشمس تنعكس باشعتها عبر النافذة على سطح ذلك القدح فيفكر ان لون عينيها اجمل من هذا بكثير .....

اخرجه من شروده صوت هاتفه النقال مرة اخرى فالتقطه ليرى اسم ياسر نابضا على الشاشة الصغيرة فيفتح الخط قائلا بنبرة رجولية بشوشة " اهلا بالوسيم الغامض "

يحدق بشرود للصغيرة ذات العام ونصف التي يجلسها في حجره امام مائدة الطعام المستديرة الخاصة بحديقة البيت ..

يبتسم عفويا وهو يلاحق يدها البيضاء الصغيرة تتلاعب بكتل الطعام (الغريب) من وجهة نظره والذي اعدته امها لها ... الصغيرة تفعص بتلك الكتل داخل الصحن الوردي المدور دون ان يدخل فمها لقمة واحدة !

انحنى ليهمس قرب اذنها " ستأتي امك وتغضب منك ... ومني أنا ايضا لاني اسمح لك بكل هذا العبث .. "





لكنها لاتبالي بهمسه بل تستغرق باللعب

وتبدأ ببعثرة الطعام خارج حدود الصحن

فتنثره على ملابسه وملابسها على حد

السواء...

كتلة لحم ابيض بزغب اشقر... تثير ضجة !

ابتسم رافد وهو ينحني ليعض خدها بخفة

فتعبس الصغيرة باعتراض عابس بينما

تستدير لوجه عمها فترفع يدها الصغيرة

الملطخة بالطعام وتدفع خده وهي تبرطم

شفتيها ...

يضحك رافد دون ان يبالي بمسح خده ثم

يحرك حاجبيه بشقاوة ويهمس لها

" اغضبي من عمك ياسر .. هو من قال لي انهي

وجبتك باسرع ما تستطيع "

لكنها عادت لتتلاعب بالطعام بتمادٍ بل

واخذت تضحك بابتهاج ...!

ابتلع ريقه وهو يحدق بجانب وجهها الصغير ..

انها تشبه امها ... ملامحها بالضبط ملامح

غالية لكنها اخذت شعر ابيها الذي يشبه

شعره هو الآخر ..

مائل للشقرة ومجعد بعض الشيء ...

" رافد .....! "

اسمه منطوق باعتراض عاتب ..



انها غاليۃ .. تقف خلفه وتضع ذلك العطر الذي يوتره ...

التفت اليها بابتسامۃ شقيۃ يجيد استخدامها لاخفاء اضطرابه الملعون ...

وجهها الشاحب المرهق طعنه في عقر قلبه لتتلاشى ابتسامته تماما وهي تميل بجذعها فتنفض فستان لُجين الزهري بيدها وهي تتنهد بنعومۃ..

تكهرب جسده كما في كل مرة تقترب منه وكم يتجنب اي تقارب بل اي انفراد ولو عن بعد ....

تطاير شعرها الداكن ...وتطاير عطرها ... وتطاير عقله مع كل تفصيلۃ منها ...

قلبه جن وعقله غاب وعيناه الخائنتان تتعلقان بيدها التي ارتفعت لتعيد خصله من شعرها خلف اذنها بينما يدها الاخرى ما زالت تنفض فستان الصغيرة بل تطاولت بحركۃ عفويۃ لتنفض اثار الطعام عن بنطاله وهي تعتذر بهمس شارد ...!

عندها دفع الكرسي وهبّ واقفا بحركۃ عنيفۃ كمن اصيب بصعقۃ ..!

جعلها تجفل لتستعدل غاليۃ تلقائيا بوقفتها و تحدق فيه بتساؤل وهو يحمل لُجين بطريقۃ متباعدة عن جسده كمن .. كمن لايتحمل حملها !



سألت باستغراب وهي تلتقط لُجين منه

" ماذا بك رافد ؟ هل ازعجتك (لولو) كثيرا اليوم؟!"

اخذ يضحك بحمق وهو يتحرك بعشوائية يدعي البحث عن سترته وهو يقول

" كيف تقولين هذا عن (وجبتي المفضلة) من اللحم الابيض ذات الزغب الاشقر ؟!!"

رأته مرتبكا فسألته وهي تقترب نحوه ببراءة وذهن مشتت

" هل تبحث عن شيء ما ؟ قل لي وسأساعدك"

فرد وهو يبتلع ريقه ويبتعد خطوة عنها ودون ان ينظر اليها " كنت ابحث عن سترتي .. تذكرت موعدا مهما مع .. شريكي ياسر"

تنهيدتها الطويلة اظهرت خيبة أملها لتعبر عن هذه الخيبة بوضوح قائلة " وددت لو .. تكلمت معك قليلا ... لكن لو .. كنت على موعد .. فلا بأس .. مرة اخرى ..."

ادخل يديه في جيبيه ولايعلم كيف يستطيع تجنب النظر اليها دون ان يثير تساؤلاتها ...

تحامل على نفسه ورفع عينيه ليحدق في ذلك الوجه المحرم عليه .. وجه خلق ليحمل الفرح لكن ها هو يحمل الهموم والاسى ...

يحدق في عمق العينين اللتين يحفظ الوانهما الثلاث ..زيتوني وذهبي ورمادي ....

يغبنهما من يختصر لونهما بالعسلي فقط...



عينان يجب ان تشع اشعاعا بتلك الالوان النادرة في تكاملها مع بعض ...

بالضبط كما كانت مشعة في مراهقتها لتجعله متيمّا بها بصمت مجبور ...

لكنه الآن لايراها الا الوانا باتت باهتة قد تمازجت بريشة فنان حزين كئيب ....!

سأل بصوت أجش

" ماذا هناك عزيزتي ..؟ استطيع تأخير اي موعد فلا تبالي ..."

ردت بخجل وهي تطرق براسها بينما لُجين الصغيرة تلامس شعر امها وتلطخه بالطعام

" اريدك .. ان تكلم راغب .. لااعلم لماذا اصبح سريع الغضب هكذا .. انت اخوه الاكبر وهو يتأثر بك كثيرا وسيسمع منك مرغما بشكل مؤكد .. "

تنهدت قبل ان تضيف بعينين زائغتي النظرات " خالتي .. لاتفهمني .. او ربما انا لااجيد افهام الاخرين ..."

ثم رفعت وجهها اليه تحدق في عينيه مباشرة فتسري كالمخدر في دمه بينما تأسره وهي تضيف بعشم يقطع نياط قلبه

" والداي لايتدخلان مع راغب لانه سريع الغضب ، واختي ناهد انت تعرفها لاتهتم الا بنفسها وعائلتها .. ليس لي غيرك يا رافد .. انا اعتبرك اخ لي ايضا وليس له فقط..

ارجوك .. انا .. لم اعد احتمل ان تستمر
الحالة بيننا هكذا ... انا .. احبه واريده
سعيدا معي .. اشعر انه لم يعد .. يحبني مثل
السابق.."

قالت جملتها الاخيرة وهي تحني رأسها حياء
والصغيرة تغني اغانيها الخاصة وهي تتعلق
بكتفها ...

كيف يمكن ان يجد وصفا لما يشعر به
الآن؟!

غالية تطلب مساعدته لرأب الصدع المتصدع
مع راغب ... ! تطلبه هو دون غيره ....

هذا قدره ... وللقلب احكامه ....

قال برقة وهدوء

" لاتقلقي عزيزتي سأكلمه .. اعدك ..."

وكانت مكافأته ... ابتسامة منها ...

ابتسامة مرتعشة لكن يكفيها انها ابتسامة
غالية فيشرق يومه بسعادة ابتسامتها ...

انتظر بصبر ان يرد عليه راغب وقد طالت
الرنّات ولا من مجيب !

عبس رافد وهو يعيد الاتصال مرة اخرى
ولحسن الحظ مع الرنة الثالثة جاءه صوت
اخيه وقد بدى واضحا انه استيقظ للتو !



سأله رافد بنفس العبوس " هل أنت نائم ؟! لماذا لست في عملك حتى الآن ..."

للحظة تلكأ راغب قبل ان يرد على اخيه الذي يكبره بخمس سنوات قائلا بنبرة غريبة

" نعم .. اخذت اجازة لهذا اليوم ..."

قال رافد بهدوء " هذا جيد .. يفترض ان تستعجل بالذهاب لمصالحة غالية واخذها مع لجين في نزهة او شيء من هذا القبيل ..."

تنهيدة ملل قبل ان يرد راغب " اذن امي اخبرتك .. حسن.. بصراحة ليس لي مزاج لتحمل غالية وهي تضيق علي الخناق بشكاويها التي لاتنتهي ! "

اصابع يد رافد على مقود السيارة اخذت تطرق بتوتر بينما يرد على اخيه بنفس النبرة الهادئة "إرضِها يا راغب .. ومتى ما رضيت سترى انها لن تضيق الخناق عليك .. غالية .. فتاة رائعة ولاتشكو كثيرا كما تحاول إيهام نفسك وادخاله في عقل أمك ... "

تأفف راغب دون ان يرد ليضيف رافد بتساؤل حذر " هل هناك ما يزعجك حقا يا راغب ؟ ام هل هناك ما يشغل بالك ؟"

التزم راغب الصمت فرمش رافد بعينيه وشعور غير مريح ينتابه ناحية اخيه ليعاود التساؤل باسلوب مختلف اكثر حزما وصراحة



" هل تشعر بالملل الزوجي ؟ هل هذا ما يوتر علاقتك بغالية مؤخرا لتكثر خلافاتكما بهذا الشكل ؟"

عندها رد راغب ببعض التردد " حقيقة ... نعم .. لقد اصبحت .. خانقة جدا ومتطلبة وانا مللت ! انها تريدني ان ادللها طوال الوقت واتغنى بجمالها ..."

اصابع رافد التي كانت تطرق بتوتر على المقود تصلبت الآن لتلتف حوله بينما يطبق فكيه بقوة وغضب هادر يموج في داخله ....

يبذل جهدا خرافيا ليسيطر على انفعالاته بينما يشتم اخاه الغبي الاحمق في سره ..

تذكر ابتسامتها فارتعش كله في استجابة لاقبل له بالتحكم فيها ولاجل عينيها ذات الالوان الثلاث استعاد سيطرته ليقول ببعض البرود

" المرأة تحتاج للاهتمام من هذا الجانب يا راغب ولاتنسَ انها .. كانت منذ صغرها ولم تزل حتى الآن .. حبيبتك ..."

يا الهي ما هذا التعذيب ... ؟!

ليكمل رافد وصوته الواثق ينجرح ببحة خفيفة " هي أحبتك منذ نعومة اظافرها .. وانت احببتها ايضا .. لم .. تكونا تطيقان انتظار التخرج للزواج ..."



قطرة عرق سالت على صدغ رافد الايمن وهو يبذل هذا الجهد ليقول ما قاله ...

لم تصله الا تنهيدة رقيقة من اخيه ثم قال راغب بنبرة صبيانية حملت عاطفة طمأنت رافد بعض الشيء

" ساذهب اليها حالا .. انا لااقصد ايذاءها ... انه طبعي الذي يفلت مني ولااتحكم في اعصابي ... اعترف اني قليل الصبر ... واصبحت نزقا سريع الملل .. "

ثم ضحك راغب بنفس النبرة الصبيانية وهو يضيف " هل تعلم ... الصغيرة لولو افتقدتها وافتقدت ضجيجها هذا الصباح ..."

سمع رافد صوتا غريبا يأتيه من جانب أخيه قبل ان يسارع راغب للقول " حسن رافد .. علي اخذ حمام .. الى اللقاء وشكرا لك "

اغلق الخط حتى قبل ان يرد عليه رافد بشيء !

عبوس رافد تزايد وهو يضع الهاتف جانبا .. احساس مقلق هذه المرة فرض نفسه بقوة وسط احاسيس اخرى تنتابه ...

بعضها مبهم متشكك يحتاج للتفسير ...

وبعضها .... حاااارق يحتاج لما يطفئه ....





دخل رافد المطعم وصوت صراخ ميّزه لياسر يأتي من جانب الادارة ...

تحرك وهو يتلفت حوله ليحمد الله ان لا زبائن في هذا الوقت فيتمتم بعبوس

" ما هذا النهار الذي يبدو انه سيطول؟!"

دخل غرفة الادارة الخاصة بياسر ليجده واقفا هناك خلف مكتبه والتشنج يشع من جسده بدوائر تكاد تكون واضحة للعين المجردة !

انتقلت عينا رافد لموظف الحسابات الذي يقف قبالة ياسر على الطرف الآخر من المكتب الانيق يتقبل صراخ مديره بصمت وجبينه ينضح عرقا...

انشق فم رافد عن ابتسامة عريضة اظهرت صفيّ اسنانه باستفزاز بينما يتقدم بخطوات متهملة أكثر استفزازا وتبدو لمن لايعرف صاحبها انه شخص لامبالٍ بشيء !

بتلك الابتسامة جلس رافد على حافة مكتب شريكه بينما يتطلع بتفكه للموظف المسكين الذي اخذ يستنجد به قائلا بتلعثم " ارجوك سيد رافد .. اشرح للسيد ياسر ان .."

قاطعه ياسر صارخا " لاتقحم رافد بهذا الموضوع .. ليس من تخصصه .."



عندها قال رافد ببشاشة " اعتقد اننا وصلنا لتخصصي يا ياسر ما دمنا في اطار ... امممممم .. العلاقات العامة ؟"

زمجر ياسر وهو يحدج رافد بعنف " ليس هذا وقت التهريج لو سمحت رافد .."

التفت رافد لصديقه وهو يرفع حاجبيه ببراءة مغيظة ليقول " اذن اختلفنا يا شريكي ويجب ان نتفاهم بمفردنا "

وباسلوبه هذا شوح بيده للموظف حتى ينصرف فتنحنح الموظف قبل ان يستأذن للمغادرة بينما ياسر يحني رأسه وهو يستند بكفيه على حافة مكتبه ...

لحظات مرت ساد فيها الصمت ليبدأ رافد فجاة بالتصفير للحن ما !

اهتزاز بسيط في جسد ياسر ثم اعقبه صوت مكتوم ليسأل رافد بنفس البراءة

" هل تتذكر هذا اللحن ؟ لقد نسيت اين سمعته حقا ؟ امممممممممممم ... ألم يكن لاغنية كانت تلك الفتاة الفارعة الطول في قسم العلوم تغنها لك كلما مررت بها وسط الساحة الرئيسية للجامعة ؟"

عندها لم يحتمل ياسر اكثر لينفجر في الضحك وينهار على كرسيه بينما رافد يراقبه باستمتاع ماكر ...





بعد موجة الضحك هذه انتهت بياسر يرفع يده اليمنى ليمسح بسبابته دمعة بطارف عينه ثم تطلع لصديقه المبتسم قائلا بصوت مسترخ " لا أحد غيرك يجعل دمعتي هذه تنزل هكذا من شدة الضحك ... دوما لك قدرة عجيبة على قلب مزاجي من النقيض الى النقيض ! "

فيرد رافد وهو يحرك يغمز بعينه اليمنى

" انا فقط اجيد اعادة تنظيم انفعالاتك المكبوتة واخرجها بطريقتي أنا لا بطريقتك المتشنجة ودون ان أمس كبرياءك الغالي جدا عليك ..."

مرخ رأسه على حافة ظهر كرسيه وباجفان نصف مطبقة يتطلع ياسر لرافد وهو يقول بصوت أجش ساخر " ممتن لمراعاتك لكبريائي وانت تفجر انفعالاتي ..."

رفع رافد يده لجبينه في تحية شكر اشبه بتحية الكشافة ليصمت ياسر تماما وهو يدير وجهه جانبا ..

سأله رافد بهدوء

" هل ضايقتك جودا هذا اليوم ايضا ؟ "

ما زال ياسر صامتا شاردا ووجهه الى الجانب ليمد رافد يده يتلاعب بالاوراق المرمية هناك فيحني رأسه وهو يضيف




" لكن .. لماذا اشعر ان الموضوع لايتعلق بجودا ؟!! "

عندها قال ياسر وهو يلتفت بوجهه نحو رافد

" ما رأيك ان نقيم حفلة خاصة في المطعم؟"

ارتفع رأس رافد مع ارتفاع حاجبيه ليحدق بعجب في وجه صديقه ذو الملامح الغامضة ...

سأل رافد " ما الذي جعلك تفكر بهذا الآن ؟"

رد ياسر وهو يسبل اهدابه

" لا شيء .. اعتقد اننا بحاجة .. لبعض الترفيه ... وبعض الدعاية لمطعمنا .. "

ابتسامة عريضة من رافد قبل ان يقول بشقاوة

" وانا ملك حفلات الترفيه ... لاتقلق .. دع أمر اعدادها علي ..."

تحرك رافد وهو يقف على قدميه ليفاجئه ياسر بالقول الهادئ

" ليست حفلا من هذا النوع ..."

ضيّق رافد عينيه وقد تاه منه مقصد ياسر ليضيف ياسر ببساطة ظاهرية

" اريدها حفلة للعائلة والمقربين .. ندعو اهلنا و .. اصدقاءنا ولابأس .. بزملائنا القدماء في الجامعة ... ادعُ عماد وعروسه ان لم يكونا سافرا .. سعد وهادي ومصطفى و..سهر و ندى .. وكل من حضر في عرس عماد ... "

التمعت عينا رافد قبل ان يرد بابتسامة جانبية " اعتبره تم ..... نهاية الاسبوع .. يوم الخميس مثلا......؟ "

فيرد ياسر وهو يعاود ليّ وجهه جانبا

" بل اجعله الخميس الذي يليه ..هذا .. افضل"

لم يناقشه رافد وقد ادرك ان ياسر (الكتوم) في باله امور اخرى يسعى اليها من خلال هذا الحفل ....

غادر رافد المكتب بابتسامة لامبالية تعكسها خطواته ..

يمشي الهوينا مرحا وهو يصفر ..

لايهم .. لا شيء يهم .. وماذا ان كان يلعب دور متفرج احمق على تقلبات صديقه المقرب ولايهتم بتفسيرها ... ثم يستمتع وهو يلعب دور المنفذ المستفيد لرغبات ذلك الصديق المزاجي المجنون ؟!

لقد اعتاد رافد نمط هذه الحياة ... يعيش حياته بالطول والعرض.. يوما بيوم ..

اهم اهتماماته ان يعتني بعائلته الصغيرة التي تهرب والده من الاعتناء بها ، فسنوات طويلة جدا مرت على هجران ابيه لهم.. حتى هجرت ملامح ذلك الاب ذاكرة ولديه وزوجته ...





باكرا جدا ترك والده السفينة ليرمي نفسه

في بحار جديدة اكثر تشويقا من سفينة

العائلة المملة .. !

رحل الى المجهول وانقطعت اخباره تماما

تاركا قيادة سفينته المتأرجحة لامرأة

مرتبكة مصدومة مغدورة الاحساس ...

ولم يخرجها من صدمتها واحساس الغدر الذي

طعنها بمقتل الا غريزة الامومة ...

ولدان في رقبتها ... البكر في الثالثة عشرة

والاصغر لم يتجاوز الثامنة ...

لقد تعلم رافد منها الكثير ..

هي امرأة بسيطة لكنها مقاتلة بطريقتها ...

تعلم منها كيف يصبح عمليا واقعيا ..

كيف يواجه مصاعب الحياة ببساطة دون ان

يزيد تعقيدها بالبحث عن الاسباب والظروف ..

تعلم ان يبتسم ويمرح حتى وهو يتألم ...

بل تعلم كيف يتحايل على الألم ويخدعه

ليضحك الألم في وجهه ويتناسى تعذيبه!

التحايل على الألم يعلمك طواعية سياسة

الاخفاء ... فلا يرى الاخرون ابعد من ابتسامة

تظلل ملامح وجهك ...

والاهم من كل هذا تعلم من أمه ...

الاعتناء .... (بما يخصه) ..



وكما تعلم منها الاعتناء بالعائلة علّم نفسه الاعتناء باصدقائه دون مبالغة في التدخل بشؤونهم ...

إنه صديق وفيّ عند الضرورة .. وكفى ...

جلس رافد على كرسيه في مكتبه الخاص المطابق لمكتب ياسر .. لم يكونا مكتبين فخمين .. فقط مجرد غرفتان متطابقتان بمساحتهما المحدودة وتعطي خصوصية لكل منهما..

رفع رافد ذراعيه يطويهما خلف رأسه بينما يحدق في نقطة وهمية في زاوية من زوايا السقف البني ...

ملامحه كانت هادئة ...

هادئة أكثر مما ينبغي ..

يفكر بمضمون (الاعتناء بما يخصه)!

عينا ياسر تحدقان بصورة قديمة أظهرها على شاشة الحاسوب المحمول المفتوح امامه...

صورة في الساحة الرئيسية للجامعة يقف هو وعلى يساره يقف رافد وسعد بينما على يمينه تقف ...سهر ... وكعادتها تتخذ وضعية وقوف تناسب طبيعتها الانيقة الانثوية ...

شعرها البني القصير يحيط بوجهها الفتي الجميل المبتسم باشراق وثقة ...





عيناها اللوزيتان تلمعان بخضرة كخضرة حشائش الربيع ...

رافد ضاحك بشقاوة وسعد مبتسم بجاذبية طالما سرقت قلوب الفتيات ...

اما هو .. ياسر ... فكان يبتسم ابتسامة يراها بليدة رغم انهم وصفوها ساخرين بـ(الغامضة) لكنها في نظره كانت مجرد بليدة يستخدمها كقناع .. قناع يخفي تحفزه الصارخ لان يستدير يمينا ويقبل شفتي سهر ويعتصر جسدها حتى تفقد الوعي !

دوما كان هذا تأثيرها عليه ..

ودوما كان بارعا ..شديد البراعة في اخفائه..

فكرامته كانت على المحك .. و كبرياؤه دوما هي خط احمر تقف عنده كل المشاعر في أوجها ولا تجرؤ ان تتخطاها..

وسهر كانت واضحة جدا في نظرتها لجميع شباب الجامعة .. ودون ان تخص احدا بعينه ...

قلبها لن يكون لايّا منهم !

لقد رفضتهم .. من صرح لها ومن لم يصرح ..

رفضتهم بتعال وهي تراهم اقل من أن يجذبوها حتى .. اقل من ان يثيروا فيها رغبة الارتباط..

لديها نفس الأنفة .. نفس نظرة الغرور ..

دوما ذكرته بـ ...أمه !





تقبضت يداه على حافة مكتبه وهو يحدق في العينين الخضراوين ..

تمتم ياسر وهو يكز على اسنانه " غرورك اوقعك في رجل كاسامة الهاشمي .. يكبرك بالكثير ويفوقك خبرة وحنكة فلهثت خلفه منبهرة مصعوقة حتى وقعت على وجهك ولم يلتقطك احد لتتقفي! "

التمعت عينا ياسر بحدة بينما يتمتم

" ها قد عدتِ لحياتي بشكل فعلي .. ترمين في وجهي قفاز التحدي دون ان تقصدي هذا .. لكني قبلت.. وما حرمت نفسي منه سابقا بعنادي سأناله هذه المرة بإرادتي و طريقتي الخاصة .. بل وسأثأر من ذلك الحرمان بالتمرغ في نعيم امتلاكك ... وبعد ان كنتُ اراقبك من بعيد .. وحيدا في منطقة رمادية حيادية آمنة لي .. سأسحبك الي لأكويكِ بلهيب ما يشتعل في داخلي .. سأكون فقط بالصورة التي تجذبك ... لانال قلبك في النهاية ولن تعرفي ابدا انك نلتِ قلبي يوما ... انكِ ملكته لسنوات ... وما زلتِ تملكينه .. "

تطلع سعد لنظرات الغضب البارد في عيني أيهم سليماني بينما يتقبل بصمت قرار جدايل بالبقاء مع خالتها تراعيها ...



لم يعلق سعد بشيء بينما ينسحب متعللا
بضرورة ذهابه لمحل الصرافة الذي ينشئه
حيث لديه موعد لتسلم بعض قطع الاثاث
اشتراها من مزاد علني بسعر زهيد ...

كان يستطيع تأجيل الذهاب او جعل مساعده
نعمان يتكفل بالامر لكنه شعر ان بقاءه
بوجود أيهم سيتسبب بالمشاكل لجدايل ...

غادر سعد بسيارته بينما باله منشغل على امه
من جهة وعلى جدايل من جهة اخرى ...

الفتاة ما زالت لاتبدو بحالتها الطبيعية .. انها
لاتبدو عروس لم تتم يومين في بيت زوجها ..

هناك ما يشغلها مما يجعل سعد في حالة
تأهب لأي حدث قادم محتمل ...

تأفف سعد من زحام الطريق بينما يسرح
خياله للمرة الـ .... عاشرة ربما ... لذلك
الحلم الغريب ...

رؤية جدايل اليوم جعلته يفكر بحاجته
الجدية للزواج ... لكن مؤكد ليس الآن ..

عليه ان يقف اولا على قدميه قليلا في عمله
الجديد ثم .. يبحث عن (بنت الحلال) ...

وربما .. ربما فقط ستكون غجرية الشعر
وعيناها كبلورتين زرقاوين ...

ابتسم سعد وعيناه تلمعان بنظرة رجولية
ليجفل بينما بوق سيارة يتصاعد من خلف
سيارته ليدرك انه شرد تماما وسير السيارات
تحرك وهو واقف متبلد مكانه ...؟



اخرج يده من الشباك الجانبي ملوحا بحركة اعتذار بينما أخذ يضحك وهو يقول بصوت أجش " كله من زائرة الليل .... عسى ان تزورني الليلة ايضا ! "

مساء .....

دخل رافد للبيت بتمهل متعمد وتأنٍ حذر .. يصدر اصواتا مرتفعة تارة بخطواته وتارة بيده وهو يحرك الاشياء في طريقه ...

انه يخشى ان راغب لم ينفذ وعده ولم يصالح غالية وفي هذه الحالة فإنها تظل في بيت خالتها لاتغادره ...

انها عادتهما في الخصام وخاصة في الاشهر الاخيرة قد تكررت كثيرا ....

وغالية لها طبيعة مهملة مستفزة !

انها تأخذ راحتها تماما هنا دون ان تحسب حساب دخول رافد للبيت في اي لحظة ... !

تارة ترفع طارف جلبابها من الاسفل حتى الركبتين وهي تساعد امه في تنظيف ارضية البيت او شطف الحمام وتارة تستلقي على الاريكة بوضعيات ملفتة والصغيرة (لولو) تنام جنبها مغمورة بصدرها...

ومرة صادفها تخرج من الحمام مهرولة بمرح وهي بمبذل ابيض تحمل صغيرتها التي تتلاعب بخصل شعر امها المبلل...





وفي كل هذه الحالات ما ان تتنبه لوجوده

حتى تعتذر ببساطة ودون اهتمام وكأنه ..

اخاها فعلا وليس ابن خالتها وشقيق زوجها!

" رافد ..! ما كل هذه الضوضاء التي تثيرها

بدخولك ؟!"

التفت رافد باسما لامه العابسة فيغمز لها قائلا

" كنت اشاكسك لتأتي لاستقبالي .."

انفرد عبوس الام لتتقدم لبكرها تمد

كفيها فتحيطان وجهه وتقول له بحبور

" ايها الفتى الشقيّ ..الن تكبر ابدا ؟!!"

فيضحك بابتهاج وهو يضم امه اليه ويقبل

خدها بقوة متعمدة تستفزها لتبعده وهي

تضرب كتفه ...

ثم تتنهد الام قائلة بامتنان وهي تتطلع اليه

" شكرا بنيّ لما فعلته مع راغب وغالية ..

مؤكد انك كلمته و جعلته يأتي اليها

ملهوفا ليصالحها ومشتاقا لصغيرته ..."

عانى رافد الامرين وهو لايظهر تشنجه لامه

بينما يغمر وجهه في شعرها الذي خطه الشيب

دون ان تبالي بصبغه فيتشمم رائحته الخاصة

ليستمد (سرّا) بعض القوة بينما يهمس بصوت

أجش مشاكس بشقاوة

" اذن انا وانت عدنا بمفردنا يا جميلة .."

تضحك امه من قلبها بينما تضربه على

كتفه مرة اخرى وقد بدأ يدغدغها

باصابعه...



ابتعدت الام وهي تقول بلهجة امومية حازمة

" اذهب وخذ حماما بينما اكمل اعداد

العشاء.."

راقبها رافد تعود للمطبخ بينما يستدير

متحركا ناحية الدرج مطلقا العنان لاوجاعه

فتسري بحرية ..

في كل انحاء جسده...

غالية الليلة...

ستنعم بحب زوجها ...





الفصل الثاني

أعادت ترتيب خزانة الملابس للمرة الثالثة

على التوالي !

هذه طبيعتها عندما تشعر بالضيق من أمر ما ..

أمر تعجز عن ايقاف التفكير به كما تعجز

عن تغييره ...

تخصرت سهر وهي تحدق عابسة في الخزانة

الشديدة التنسيق بعد جهودها الحثيثة منذ

الصباح الباكر لتتمتم على حين غرّة

" فلتذهب سلاطة لسانك يا ياسر الى

الجحيم !"

ثم دفعت باب الخزانة لتغلقها بحركة عنيفة

بعض الشيء تفرغ بها بعض شحناتها السلبية...

رمت بجسدها على سريرها الوردي تستلقي

بظهرها عليه وهي تكاد تختنق بغيظها ...

حدقت في السقف بينما تعض شفتها السفلى

وافكارها تثير حنقها اكثر واكثر ...

ذلك الخشن الطباع المزعج ..الكريه ..

دوما كان يتعمد مشاكستها عندما كانوا

في الجامعة لكنها في ذلك الوقت كانت

تتسلى باسلوبه المخالف عن اسلوب بقية

الطلبة الذكور معها ..



ياسر كان دوما متعاليا مترفعا ..وشامخا بأنفه عليهم بينما يتجاهل تودد الفتيات له فيظهر استخفافا صريحا بهن ويلسعهن بوابل قاس من كلماته الحادة كالمبرد... !

اما هي فكان يخصها بمعاملة مختلفة .. معاملة لاتحمل رائحة الاستخفاف رغم خشونتها .. بالعكس كانت أقرب للندية معه.. معاملة ترضي غرورها وتجعلها تشعر بالحماسة .. بالاستمتاع ... فتجابه خشونته الخاصة نحوها بضحكات رنانة تفيض ثقة بالنفس فتترك اثرها فيه لتبتسم عيناه فقط ثم يحني رأسه ويشعل سيجارة ... !

سكنت ملامح سهر وهي تردد بهمس هادئ

" اسامة ايضا كان يحب التدخين .. يحبها لدرجة الشراهة .. "

اغمضت عينيها لتفتح ابواب الذاكرة الذي اغلقته بمفتاح ارادتها ....

وها هي تفتحه بارادتها ايضا ...

اسامة الهاشمي ..

ذلك الرجل الذي سحرها بغموضه ونضوجه .. اختلافه عن اي رجل حاول التودد اليها .. لمحة الشجن في عينيه كانت تثير اهتمامها دوما وتجعلها في حالة تحدٍ... أحمق !

أجل كانت حمقاء .. صغيرة مغرورة حمقاء ..



لم يكن لها يد في دخول اسامة لحياتها فقد اختارها هو بنفسه لكن مؤكد كان لها اليد في كيفية خروجها المخزي من حياته ..

لسنوات ظلت تراودها الافكار المتناقضة ..

ما بين شعوربات كئيبا بكرامتها التي اهدرت على يديه وبين شعور بالخسة والوضاعة لما انحدرت اليه لتنتقم منه ...

لتكون الغلبة للشعور الثاني كوصمة عار تحملها على جبينها .. او ندبة سوداء تأبى ان تفارق روحها ..

الرجل لم يكن لها ... ابدا لم يكن ...

خنقتها العبرة رغما عنها ... لاتعرف لِمَ بالضبط لكنها شعرت بالأسى فجأة ...

هل كان كلام ياسر ليلة الامس كوخز أبر مسمومة تذكرها بتلك الـ(سهر) ذات الاثنين والعشرين ربيعا وهي تعاني شعور الرفض من خطيبها لاجل امرأة اخرى ؟!

ام ان كلامه جعلها تتذكر فجأة ان سبع سنوات مضت من عمرها نسيت فيها تعداد الايام والسنون فانشغلت بتحصيل الشهادات العليا نائية بنفسها عن (خطّاب الود) الذين حاموا حولها ...

انها سهر الأحمدي ... ربيبة الطبقة الاجتماعية الراقية المثقفة .. وحيدة والديها ومصدر فخرهما .. انها مصدر فخر حتى لنفسها ولكل من يعرفها فيشعرها بفخره لأي رابطة معها ..



لكنها مع كل هذا تشعر ...بالخواء ...

وكلما سمعت خبرا جديدا عن اسامة الهاشمي يتعمق ذلك الشعور الخبيث اللئيم ...

فتحت عينيها فطالعتها صورة السقف الابيض..

تمتمت باختناق " لقد أنجب ولدان .. ابراهيم واسماعيل ... ولدان كان .. يمكن ان يكونا ... ولديّ .. أنا ! "

ارتعش جسدها في ردة فعل غريبة عندما شعرت بوخز الدموع في عينيها ...

سارعت لترفع يدها وتمسح الدموع بينما تهمس بحزم " توقفي عن التصرف ككئيبة مملة ! ولا تجعلي البغيض ياسر يؤثر بك الى هذا الحد .."

رن هاتفها فجأة ليخرجها من مزاجها الكئيب فانحنت جانبا لتلتقطه من على منضدتها فترى أسم رافد يشع ..

ابتسمت نافضة عنها كل كآبتها لتفتح الخط قائلة بمرح عفوي

" لم أكن أتصور انك ستهتم بالاتصال بفتاة متواضعة مثلي بعد اهتمامك الواضح بالمبهرة ذات الثوب الارجواني "

يضحك رافد قبل ان يقول ببراءة مصطنعة

" اي ثوب ارجواني ؟! اذكر انه كان احمرا ام ربما .. اخضرا .. وقد يكون تحول في توقيت ما الى الفضي ! "



تتعالى ضحكات سهر بينما تسمع رافد يضيف لها بمرحه المعدي " اسمعي يا ذات الثوب الفضي .. انت مدعوة لحفل خاص جدا في مطعمنا انا وياسر .. سندعو الاهل والاصدقاء وزملاء الجامعة المقربين وانت في مقدمتهم طبعا ..."

هدأت ضحكاتها دون ان تعلق بشيء فناداها رافد بنفس النبرة المرحة " هيييييي اين رحلت ؟! لاتقولي انك لاتملكين ثوبا غير الفضي لتحضري به ....! "

سألت سهر بنبرة هادئة

" هل ياسر يعلم انك تدعوني؟ "

فيرد رافد بنبرة عادية " مؤكد ... (سليط اللسان) ذكركِ بالاسم مع بقية انعام أخر من بعض زملائنا في الجامعة .."

فقالت بنبرة تحدٍ وعيناها الخضراوان تبرقان

" متى موعد الحفل ؟"

لم تعلم ان رافد يبتسم باستمتاع ولاسباب هي تجهلها بينما يرد عليها بسلاسة

" بعد اسبوعين تقريبا ... يوم الخميس في الساعة السابعة مساء ..والعنوان سأبعثه لك في رسالة نصية ..."

قفزت سهر من سريرها لتقول وهي تفتح باب خزانتها مرة اخرى " سأكون سعيدة بالحضور "

بعد اسبوعين ....

يوم الحفل في المطعم ...

وسط الموسيقى التي تصدح كان يختلي بنفسه عن الاخرين ...

لربع ساعة وهو يقف هنا مظللا بالزرع الذي يحتل جانبا من قاعة المطعم الرئيسية ...

لم يسلم على احد حتى الآن بينما قدماه لاتطاوعانه ليبادر ويشارك ترحيب رافد بالوافدين من الاقارب والاهل والاصدقاء ...

حتى حضرت سهر ليستقبلها رافد بترحاب مبالغ فيه ... (برأيه) ... !

وقف ياسر هناك وعيناه تلاحقان طيفها بفستان مستفز من الموهير الاسود حتى الركبتين لتبرز ساقاها الحنطيين من اسفل حافته ...

انها تتحدى رجولته واقصى درجات صبره بارتدائها لهذا الفستان..

نظراته تنحني مع كل انحناءة من انوثتها ولم يبال ان يراه أحد ...

تصلب جسده وهو يفكر .. المشكلة ليست فيمن يراه هو بل فيمن يراها هي !

اخيرا لمحته ... كانت أول من يلمحه ...



التقت عيناه بعينيها القطيّتين فاشتعل خضارهما بتحدٍ استجلب لشفتيه ابتسامة متعة ساخرة ...

ربما ستظنه يسخر منها لكنه في الواقع يسخر من نفسه ...

يجيد وضع هالة التباعد البارد والاكتفاء المغرور بينما في داخله يحترق حاجة !

ارتفع حاجباها الرفيعان بتساؤل صامت ظريف..

ظرافة عانقت شفتيها اللامعتين بابتسامة...

تنهيدة خافتة خرجت من بين شفتيه بينما يتقدم نحوها ببطء كسول ...

عيناه تتلكآن بوضوح متحد على تسريحة شعرها الانيقة الذي جمعته للخلف فأبرز استدارة وجهها الناعمة ...

قال بابتسامة " مساء الخير ..."

فترد بابتسامة واثقة " مساء الخير ياسر .."

ثم تدور بعينيها في الارجاء وتقول بمجاملة رقيقة " حفلة ظريفة .."

ابتسامة جانبية منه ليقول بجفاء خشن

" رافد يجيد اقامة الحفلات ... الظريفة ..."

ما زال لايحيد بعينيه عنها بنظرة لم تفهمها مما وتّرها قليلا لتسأله ببعض العبوس

" لماذا تحدق بي هكذا ...؟ "





عيناه مغلقتا التعبير تماما .. تحاول سبر اغوار دكنتهما لكنها لاتفهمها .. !

دوما لم تكن تجيد فهمه ..

فهل العلة في قصور ذكائها ام في صعوبة تفسيره ...؟!

رد أخيرا وبدى مستمتعا بتوترها على نحو ساخر مغيظ " أحدق فيكِ .. لسببين ... الاول .. لنقل اني سعيد لاني ربحت رهانا مع نفسي انك ستحضرين حفل الليلة .. فلن تكوني سهر الأحمدي التي اعرفها اذا لم تفعلي .. تحب التحدي واثبات انها لاتبالي بشيء ... "

كالعادة .. صراحته حادة كسكين شحذ للتو !

حسن .. هو قالها لن تكون سهر الاحمدي لتظهر له تفاجؤها برده فشمخت بانفها تسأله بثقة " والسبب الثاني ؟"

عندها سكن كل شيء كسكون تعابيره ..

عيناه فقط تموجان بنظراتهما عليها ..

سرق انفاسها عنوة وهو ينظر اليها بتلك الطريقة المبهمة ليقول متفكها وبابتسامة خففت من حدة نظراته " الثاني ؟! اممممممم أحدق فيك لأمر شخصي يخصك ولااظنك تعرفينه حتى اليوم ..."

فتسأله وهو تبتلع ريقها بعجب " وما هو ؟! "





فيرد وعيناه في عينيها " (مجتمع الذكور) في الجامعة كان يطلق عليك لقب .. وردية ؟"

توردت بينما تفتح فمها هامسة " وردية ؟!!"

فيهز راسه بنعم بينما تشعر سهر انه يتلاعب بها ويتسلى بطريقة ما على حسابها ..

قالت بلهجة دفاعية " لكنه ليس لوني المفضل بالعموم .. صحيح سيارتي وردية وسريري وردي ... لكني لم اكن ابالغ باختيار نفس اللون لملابسي "

رفع حاجبيه بسخرية واضحة هامسا بتساؤل

" سريرك وردي ؟! "

ازداد ضيقها ولامت نفسها في سرها لانه استطاع استفزازها هكذا لتدافع عن نفسها ...

فيفاجئها بالقول وبنبرة غريبة لم تسمعها منه من قبل " وردية اشارة لروح الانثى فيك ...انت كنت وما زلت .. تمثلين انثى من الطراز الاول .. بهيئتك وتصرفاتك ونبرة صوتك واسلوب كلامك ... "

ضيّقت عينيها قليلا تحاول التركيز بتلك التعابير المغلقة عسى ان تجد المفتاح المناسب في مكان ما ....

لكنها عجزت لترد بنبرة حيوية متعمدة

" سأعتبرها مجاملة بريئة اشكرك واشكر (مجتمع الذكور) عليها .."



لم يبتسم بسخرية كما توقعت منه .. بل ظل على ذلك التعبير المبهم ليقول بهدوء

" لم يكن يجدر بي قول ما قلته لك في عرس عماد .."

ابتلعت ريقها فرأت نظراته تركزان على عنقها!

ابدا لن يهزمها ... لم تبدي اي انزعاج من تصرفاته بينما تسأل بتهكم بارد

" هل هذه بادرة متأخرة للاعتذار ؟! "

ارادت احراجه لكنه كان في مكان آخر بعيدا عن دوائر الاحراج التي تتمناها ليرفع عينيه اليها قائلا بنبرة باردة لاذعة " لن تصبحي غبية وتغفلي عن كونه ..غبي !"

قاومت ان ترفع يدها وتتلاعب بياقة فستانها .. لاتريد اظهار توترها المتصاعد فتسأله ببعض الحدة " اذا تغاضيت عن نعتك لي بالغبية فهلا شرفتني بمعرفة من هو الغبي مثلي ؟ "

اذهلها وهو يرد بصراحة مباشرة

" اسامة الهاشمي ..."

تخضبت وجنتاها بحمرة الاحراج ...

لقد تمكن منها هو دون ان تتمكن منه ...

أطبقت فكيها بتشنج بينما تتطلع لبرود تقاسيمه لتستعيد رباطة جأشها وتقول

" هل يمكننا ان نتفق على شيء يا ياسر؟"



رفع حاجبيه قليلا وهو يقول بلا مبالاة

" مؤكد ..."

همست بصرامة وهي تحدجه بنظرات مشتعلة

" لااريدك ان تذكر اسامة مرة اخرى .."

لوقت لاتعرف كم طال كان اشتعال التحدي يتأجج فيها وتجابهه هو فيرده لها بتحد من نوع آخر .. تحد بارد ساخر وكأنها طفلة لاتجيد التصرف ... فيتبسم لها بطريقة كرهتها ليرفع يده لصدره ويحني جذعه بحركة مسرحية قائلا

" هذا من دواعي سروري ..."

فتعود لقناع الشموخ وهي تقول " وانا قبلت اعتذارك الذي لم ينطق به لسانك حتى اللحظة .."

ثم تحركت مبتعدة عنه ودون ان تنتظر منه ردا او تعليقا ...

ارتعشت ابتسامة ياسر وهو يراقب ابتعادها الشامخ .. يحب غرورها لانه يميزها ويليق بها ويمقته لانه يقف عائقا بينه وبينها منذ سنوات ...

وبسلاسة تحرك هو الآخر يلقي السلام والتحية على الاخرين بينما يلمح عمته فائزة قلقة كالعادة وهي تحدق في مدخل المطعم..

انه يعرف بم تفكر ... او ما الذي تخشاه ...





تخشى فعلا اهوجا أحمقا من جودا هذه الليلة..

عمته المسكينة .. فقط لو تكف عن التفكير بما يمكن ان تفعله ابنة اخيها المتمردة ..

هو عن نفسه توقف منذ فترة طويلة واكتفى بأن يواجه كل فعل منها عندما يحدث في وقته ...

فلا قِبَل له بملاحقة افكار جودا المجنونة ليتنبأ بالقادم قبل حدوثه ...

" مرحبا ياسر ..."

التفت ياسر ليرحب باحدى زميلاته بينما عيناه تلمحان سهر تتضاحك مع رافد..

في الظلمة التي لاينيرها الا ضوء القمر من الشباك انحنى سعد بهدوء ليقبل جبين والدته بحذر حتى لايوقظها هامسا بحنان

" انا ذاهب امي .. احلاما سعيدة "

لم يكن يعلم ان امه منيرة لم تكن نائمة اطلاقا ! ولو امعن فيها اكثر الآن وعن قرب للمح بعض الغيظ المرتسم على ملامحها الساكنة المدّعية للنوم!

تكلم نفسها وهي تسمعه يتحرك حولها

" اذهب يا فتى اذهب .. ماذا تفعل حولي ؟!! هل سيطول كثيرا مكوثك بجانبي ؟! لقد تعبت من ادعاء النوم ..افففففففففف "





سمعت خطواته تبتعد اخيرا فتنفست الصعداء .. ثم سمعت هسيس كلماته مع ابنتيّ السيد مهيب لابد انهما حضرتا لتبقيان جوارها خلال غيابه ...

اخيرا اغلق باب غرفتها لتفتح هي عينيها دون ان تبدي اي حركة تحسبا لعودته المفاجئة لأي سبب ..

لقد أتعبها جدا حتى اقنعته بالذهاب لحفل صديقيه وانها بخير وستنام مباشرة ...

الا يكفي انها افسدت عليه حفل العرس قبل اسبوعين ؟!

كان يمكن ان يلتقي بفتاة هناك تعجبه ...

تمتمت منيرة بغيظ " اذهب يا فتى ولاتعد الا بعروس في يدك .. يكفي ان ابن سليماني سرق منك جدايل .. جد فتاة تسرقها أنت ولو من فم السبع الضاري ..!"

ثم ابتسمت في الظلمة ابتسامة فخر لتقول

" ولعمري انك لاتحتاج لان تسرق احداهن .. يكفي ان ارى فتيات الحي كيف ينظرن اليك لادرك انهن هن من يسعين لسرقتك.."

لتضيف بابتسامة مشاكسة " لقد اصبحن فجأن مهتمات باللياقة البدنية وممارسة رياضة المشي الصباحية تحديدا وبمواظبة تثير الاعجاب ! فتكاد يا بنيّ تتعثر بهن في هرولتك اليومية "



ثم تعبس لتقول " بينما انا اعضعض اصابعي غيظا اراقب كناطور الزرع من شبابيك البيت المختلفة اريد ان ألمح فقط نظرة اعجاب من عينيك فلا اجد شيئا .. يال حظك يا منيرة مع هذا الولد ..! "

تنهدت منيرة والظلمة تعطيها خلوة وصفاء مخيلة .. وكل خيالاتها عن ولدها الوحيد واحلامها الامومية حوله ..

تمتمت وكأنها تضع الحقائق نصب عينيها

" الفتى مميز جدا .. انه يجيد الابتسام ولااعلم ان كان جاهلا ام متجاهلا لتأثير ابتسامته على بنات حواء .. رزانته لاتخفي الحرارة الرجولية التي تنبض بها عيناه وتشع بها ملامح وجهه القوية وتبرزها بنيته العضلية الجذابة ... لكن المشكلة في قلبه ... هذا القلب الثمين لايتحرك بسهولة ... يكاد يقتلني غيظا !"

لتعود وتضيف باصرار

" سنرى يا ابن بطني الى متى زهدك في قلبك ... سيأتي يوم تتشقلب حياتك رأسا على عقب ودوري انا ان اعينك على الاختيار .. اريد رؤية اولادك السمر ... ومؤكد سيكونون سمر ... مهما كانت مواصفات الانثى التي ستختارها .. فجينات قوية كجيناتك ستكتسح.. "



ابتعدت سهر عن زميلتها ندى لتقترب من رافد وابتسامة جذابة تعلو ثغرها فتسأله ببشاشة

" اين سعد ؟ ألن يأتي ..؟ "

نبرة خشنة اجفلتها من الخلف ليسبق بالرد قبل ان يرد رافد

" سعد في طريقه الينا .. لقد اتصلت به للتو.."

عينا رافد تحركتا من وجه ياسر ذو الملامح الصارمة الى وجه سهر التي القت نظرة عابرة نحو ياسر وبتعمد متحد .. همس رافد في سره

" الامر اصبح ممتعا أكثر مما ظننت .."

أخفى ابتسامته بينما يولي سهر اهتمامه وهي تسأله بنفس البشاشة

" لماذا لايوجد وجبة افطار عندكم ؟ صدقني انها وجبة مهمة ومكان المطعم حيوي يستقطب العاملين في دوائر الدولة وطلاب الجامعات القريبة منكم ..."

حكّ رافد مؤخرة رأسه باصابعه بينما يبتسم بطفولية ويقول

" حقيقة لااعرف.. لم نفكر بالافطار ؟!"

فتسهب سهر بحماسة لاهية عن تمعن ياسر فيها " لاحظت وجود مساحة عريضة جانبية خارج قاعة المطعم يمكنكم استغلالها بوضع موائد بيضاء بسيطة وانيقة ومع شتلات زرع وورد يصبح النظر اليها صباحا بهجة والزبائن تتناول افطارها،



اقفاص طيور ملونة ستعطي المكان حيوية وانتعاشا ، فقط بضع لمسات فنية لتقديم وجبات افطار متنوعة ما بين شرقي وغربي، اتمنى لو تسرعوا بفعل هذا قبل مقدم الشتاء الوشيك.. على الاقل تكسبون بعض الزبائن وفي الشتاء تستطيعون تقديم وجبات الافطار في الداخل .. "

ابتسم رافد في وجهها ابتسامة عريضة ليفاجئها بالقول

" ما رأيك ان تشرفي بنفسك على وجبة الافطار هذه بكل متعلقاتها ؟؟ انا وياسر لانملك الوقت الكافي صباحا ..."

كاد رافد ان ينفجر ضاحكا من تعابير وجهيهما معا!

الاثنان صدما من عرضه وبينما صدمة ياسر تحولت لنظرات حادة فأن صدمة سهر تحولت لتعبير غريب يملؤه الشقاوة لتقول بثقة

" هل تعرض علي وظيفة ؟ "

رد رافد وهو يتجاهل رؤيته لتشنج ياسر

" اجل لم لا ؟ الا اذا كنت ستبدئين برسالة الدكتوراه الآن .."

هزت كتفيها باناقة وهي تقول

" لا .. كنت انوي اخذ استراحة لفترة قبل التقديم ... كما اني لم أحدد موضوع الرسالة بعد .."





فقال رافد وهو يرفع حاجبا واحدا

" اذن ؟! هل انت موافقة ؟"

التفتت سهر ببطء ناحية ياسر تحدق في تعابيره الصارمة فتقول بحلاوة مغيظة

" شريكك لايبدو راضيا عن اختيارك لي .."

عندها فقط انحسرت الصرامة من ملامح ياسر ليكتنفها السخرية البحتة وهو يقول بتشدق

" لقد تعودت على اختيارات شريكي المتهورة والتي تودي بنا وبشكل متكرر لخسارات واضحة وهنا يبدأ عملي .. انقاذ ما يمكن انقاذه ...! "

اتسعت عينا سهر واحمرت وجنتاها بينما تتفاجأ بضحكات رافد التي ارتفعت عاليا..

ليقول رافد بعد ان هدأت ضحكاته

" انه يمزح يا سهر ..."

فردت سهر بتشنج " لا .. لايمزح ... قد يمازحك انت لكنه لايفعل هذا معي ... ويجدر به ان يعلم مع من يتكلم ؟ "

اسبل رافد اهدابه بينما يسمع ياسر يرد عليها بنبرة تفيض سخرية اقرب للاهانة

" ومع من اتكلم ؟ انت مجرد دمية من البورسلين بحلاوة فائضة وجمال منمق ذات ابتسامة مصطنعة جامدة تستخدمينها للتظاهر بالنجاح في حياتك واستعراض انجازاتك الباهتة ،






بينما في واقع الحال ما زلت تأخذين مصروفك من والدك رغم انك على اعقاب سن الثلاثين... ! قولي لي من اين يأتيك التميز الذي تفاخرين به ..."

كانت سهر ترتعد مو هول هجومه الرهيب الذي صدمها بينما شعر رافد ان الامر يوشك ان يصبح خارج السيطرة فقال بنحنحة

" ياسر ...على رسلك .. انت تبالغ .. "

لكن ياسر واصل هجومه البارد

" انت مجرد فاشلة يا سهر ولم تحققي اي انجاز ذو قيمة حقيقية مؤثرة في حياتك .. مدللة وتعيشين عالة على ابيك حالك كحال باقي الفتيات الكسولات بانتظار التقاط العريس من حفلات الاعراس .. حتى شهادتك التي تفاخرين بها لم تكن الا وسيلة لتمضية الوقت بدلا من الجلوس بالبيت تطلين اظافرك الانيقة ... "

عيناها الخضراوين طفحتا بدموع لم تهطل بينما تقول بصوت متحشرج يخفي الكثير من الانفعالات

" تنعتني بالفاشلة يا ياسر..؟ انا .. تتهمني بكل هذه التفاهات التي القيتها في وجهي بصفاقة هكذا ؟! من تحسب نفسك لتكلمني هكذا ؟ "

فيرد وهو يهز كتفيه " الصراحة تؤذي غالبا "



عندها اشتعلت العينان خلف الدموع الحبيسة لتقول له " الصراحة تؤذي ها ؟! حسن .. هل تريد صراحة نحوك ؟ سأقول لك .. انت انسان سادي .. مريض بغروره لكنك من الداخل مرير سوداوي الى حد يثير الشفقة !... تخفي كل هذا خلف قناع سخيف من الغموض والسخرية من الاخرين ..."

كانت تنهت وهي تنهي هجومها الانثوي الضاري وبدلا من ان يشفي غليلها رؤيته فاقدا لاعصابه رأته ببساطة يبتسم ابتسامة باردة ليقول ببساطة ودون اي اثر لانفعال

" ألم أقل الصراحة تؤذي ؟!! لكن فاتك يا سهر ان تتعلمي ان مواجهة النفس بالحقائق تجعل الامور في عيني صاحبها اقل اهمية وتاثيرا .... لايهم ان كنت .. مغرورا .. ساديا .. مريرا .. او اي نعت آخر تلصقينه بي لتثأري من مواجهتي لك بالحقائق .. المهم هل سيتغير شيء من وضعك انت ؟ "

ارتبك رافد قليلا وهو يرى ياسر قد تجاوز كل الحدود مع سهر التي ظلت تواجهه بشجاعة دون ان ترف عيناها ...

اوشك ان يقول شيء ما ليلطف الاجواء عندما سبقته سهر وهي تستعيد كامل ثقتها بنفسها وهدوئها لتسأله بينما عيناها لاتفارقان عيني ياسر المتهكمتين

" رافد ... هل تعرض علي وظيفة حقيقية ؟"



رد رافد " نعم .. مؤكد.. لكن ان كنتِ ترفضين فانا اتفهم .."

ابتسمت سهر وهي تشمخ بذقنها وانحسرت تماما فيضانات الدموع التي اوشكت ان تستبيح خديها لتبقى تلك النظرة الخضراء المشتعلة فترد برقة وحلاوة

" بل انا موافقة ... وسأكون مسؤولة عن كل ما يخص وجبات الافطار ..."

الغموض عاد وكسا ملامح ياسر بينما يلتزم بالصمت ليسارع رافد الى شكرها وهو مذهول!

ثم تقول سهر اخيرا وهي توجه كلامها لرافد

" اعتذر لاني مضطرة للرحيل الان .. كنت اتمنى رؤية سعد ... سأتصل بك صباح الغد لنتفق على التفاصيل ..."

اعترض رافد قائلا " لكنها ما زالت التاسعة .. وسعد سيصل في اية لحظة .."

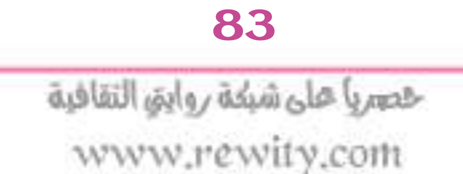
فبررت سهر بالقول الهادئ" انا أعود بسيارتي وابي اوصاني ان لاأتأخر .. ابلغ سعد سلامي .."

واخيرا التفتت لياسر فتقول برقة متناهية مستفزة بتصنعها

" اراك بداية الاسبوع ..يا مديري ؟"

وهكذا رحلت وهي تبتسم في وجه رافد الذي سارع للهرب (حاليا) من مواجهة ياسر بينما يكتم ضحكته بشق الانفس ...





تحرك رافد بضع خطوات عندما سقط قلبه في مكان ما مجوف من صدره حالما رآى أخاه راغب داخلا بصحبة .. غالية والصغيرة لولو ..

تمتم رافد في سره بتشنج " ما الذي أتى براغب؟! ألم يخبر امي انه لن يحضر .."

بعد ربع ساعة ...

سبابة يده اليمنى على جانب جبينه ويحرك جسده بتناسق مع كتفيه في رقصة مرحة محببة تفيض رجولية وشقاوة وعلى انغام الموسيقى الصادحة في الاجواء بينما يحمل على ذراعه الاخرى الصغيرة لولو وهي تقلده بوضع سبابتها على جبينها الابيض الناعم ...

يبدو لاهيا عابثا لكل من يراه لكن ذهنه متوقد نحو جميع من يهمه امرهم ومنذ أول الحفل ...

نحو ياسر الذي يبدو انه قرر ان يلعب لعبة ما مع سهر..

ونحو العمة فائزة الرقيقة التي لاتجيد اخفاء قلقها وهي تحدق في مدخل المطعم منذ بداية الحفل ...

ومؤكد .. نحو .. غالية ... المسبلة الاهداب المرتعشة المنكمشة داخل فستان بنفسجي قبيح لم يكن لائقا بها بينما اخاه راغب يلقي في اذنها كلمات بدت غاضبة معنفة لها ...



لِمَ حضر هذا الابله مع زوجته اذا كان متوترا معها ؟! هل يستعرض مشاكله الآن امام الجميع ؟ الابله الغبي ...

حسن ... لاشيء يستدعي تدخلا منه حاليا ...

وعقله يحتاج حاليا للتشتيت حتى يحافظ على مزاجه المرح ....

عيناه حادتا بتمعن لايعرف الحدود مع انثى جميلة دخلت مع احد زملائهم القدامى في الجامعة ومن هيئتها مؤكد هي ليست زوجته ولا حتى قريبته ..

همس في اذن ابنة اخيه بوقاحة سافرة مؤكد لن تفهمها

" انها تملك الاغراء الجسدي المثالي .. انظري لتلك المنحنيات البارزة لولو اراهنك ان جراح متخصص رسم خارطة الاغراء هذه بعد دراسة وتفكر عميقين ثم حشى الاماكن الضرورية للتضاريس المهمة .. "

لم يكن رد لولو الا بـ(داااااااا) وهي تضرب بكفها الصغير على خده !

ضحك من قلبه وهو يقرص خدها ويقول

" ايتها الشقية ... ستكونين انثى متزمتة لاتتقبل المزاح البريء ..."



تلاشت ابتسامة رافد وفقد تركيزه مع (تشتيته المختار) عندما لمح أخاه يقبض بحدة على مرفق غالية وصوته يعلو ليجذب بعض الانتباه اليه ثم يقودها خارج القاعة باتجاه مكاتب الادارة ...

تحرك رافد بخطوات تبدو هادئة ثابتة ليلحق بهما بينما داخله ينعصر عصرا ...

لاقى في طريقه العمة فائزة التي كانت ما تزال تدور في القاعة بحلقات توتر لاهية عن الجميع فاستوقفته هامسة بقلق واضح

" عزيزي رافد .. ليس لي غيرك اخبره .. تلك الفتاة المجنونة جودا اظنها تنوي شيئا الليلة ، بدت عيناها متحديتين لياسر لانه تجاهل دعوتها لحفل الليلة .. وكأنها الاميرة المبجلة وتحتاج لدعوة رسمية ! الآن اتصل بها ولاترد عليّ ! انا حقا قلقة ... "

تبسم رافد بهدوء وهو يناولها الصغيرة لولو قائلا " خذي الصغيرة عمتي وسأعود في الحال لن أتأخر .. ولاتقلقي .. سأكون موجودا اذا قررت جودا مفاجأتنا بأمور مزعجة .."

تتلقف العمة فائزة الصغيرة بينما تهمس له بحرج " فقط لاتخبر ياسر أني اخبرتك .. انت تعرف ..طبعه..."

تتسع ابتسامته الصبيانية ليطمئنها بالقول

" لاتقلقي عمتي .. انا اعرف انه لايحبذ الكلام عن مشاكل جودا "



فتتنهد وهي تهمس لذاتها " بل لايحبذ الكلام عن اي مشاكل تخصه ! "

هز رافد رأسه بلا معنى وهو يتابع طريقه لوجهته الاصلية ...

فتح رافد باب مكتبه ليجدهما هناك بينما صوت أخيه الاصغر يعلو وهو يهز زوجته من مرفقها صارخا " الا تكفين عن محاولة خنقي؟! كم مرة قلت لك لاتدخلي بكل شؤوني.. ها ؟!! كم مرة قلتها وأعدتها ... "

كظم رافد انفعالاته بشق الانفس وهو يتجنب النظر لرأس غالية المنكس بينما ينادي اخاه بحزم " راغب ...توقف .."

التفت راغب بملامح شوهها الغضب ليصرخ وهو يدفع بغالية نحو أخيه الاكبر

" أعدها أنت للبيت ... انا لم أعد اطيقها .. كان يفترض ان ابقيها مع امي ..."

كان رافد قد اغلق الباب بهدوء وهو يرخي اجفانه يعد في سريرته حتى الرقم عشرة ..

ثم حدد نظراته على اخيه متحاشيا النظر لجسد غالية المرتعش الذي يقف بينه وبين راغب ...

قال بسيطرة مذهلة على النفس

" راغب توقف واهدأ .. لايصح ما تفعله ولايليق بك ان تفقد اعصابك هكذا امام الناس ..





البعض انتبه لتصرفاتك الغاضبة وهذا امر ليس جيدا بحقك وحق زوجتك "

اقترب رافد متجاوزا غالية ليمسك ذراع اخيه ويقول بثبات " اهدأ الآن وصالح زوجتك "

لكن راغب نفض يد اخيه عنه وقال بنزق ومزاج ناري كريه " أصالحها ؟!! اتركني رافد.. اتركني والا اثرت فضيحة اكثر مما حدث وسأفسد حفلتك بالكامل.."

عندها فقد رافد بعض اعصابه ليهدر به " هل تتصور اني اهتم بمقدار شعرة بحفلتي ؟!!

ماذا جرى لك هل جننت لتفقد اعصابك واتزان عقلك لهذه الدرجة ؟! "

رد راغب بتعنت قاس ومغرور بينما يشير بذقنه نحوها " هذا انا .. وهي تعودت على طباعي ... لكنه انا من لم اعتد طباعها ولم أعد احب شكواها وخنوعها الباكي الكريه والتصاقها بي كعلقة !"

شهقة بكاء شقّت صدر رافد قبل ان تشق صدرها .. التفت اليها بحركة حادة ليراها تضع يدها المرتعشة على فمها وهي تشهق بالمزيد ....

زمجر رافد وهو يعيد رأسه لاخيه " لاتختبر صبري يا راغب .. كلمة أخرى تسيء بها لغالية وستجد فكك محطما .. وتذكر انك كنت ملتصقا بها كعلقة ايضا منذ صغرها ...



والاهم من كل هذا انها قبل ان تكون زوجتك وام ابنتك فهي ابنة خالتنا ومن لحمنا ودمنا... هذا لوحده يعطيها حقوق الاحترام لا ان تهينها على الملأ هكذا "

عندها نظر اليه راغب بنوع من الاستخفاف قائلا بملامح مشمئزة موجهة لغالية تحديدا

" كالعادة هي تجيد اثارة شفقتك عليها .. هذه هي غالية .. متفننة باثارة شفقة الرجال ولاشيء غير شفقتهم ! "

اطلق رافد صوتا غاضبا وهو يرفع قبضته ليهم بضرب أخيه فيسبقه صوت غالية الباكي المتوسل

" لا .. رافد .. لاتفعل ... يكفي ما حصل .."

تجمدت قبضة رافد بعجز لايطاق بينما يبعده راغب وهو يقول " دعني رافد .. دعني .. انت يدك في الماء البارد ولاتعاني ما اعنيه.. انت تتصرف كأخ كبير لها وتنسى اني انا اخاك وليس هي ... لماذا تلقي علي اللوم دائما ؟! "

ثم تحرك راغب متجاوزا غالية بلامبالاة بينما يضيف " خذها معك لبيت العائلة ... ستقضي الليل بالبكاء كعادتها مؤخرا .. وانا لست في مزاج لاتحملها "

غادر راغب تاركا كل شيء خلفه ...

يحدق رافد في غالية وتفكيره لايتوقف ..





لايهم ألمه .. لايهم فتات قلبه ..

هي فقط من يهم ..

وهو عاجز عن حمايتها ....

التفت موليا اياها ظهره يدّعي انه يبحث عن مفتاحه بين الاغراض المبعثرة على سطح مكتبه بينما في داخله يغلي ....

أخوه الغبي يمزقها ببرود غريب وكأنه لم يحبها يوما ! يمزقها تاركا لرافد لملمة تلك الاشلاء الغالية المبعثرة على ارض كرامتها المنتهكة وقلبها المدمى ..

ليت كرامته من انتهكت بدلا منها وقلبه مات فداء لقلبها ولا يحتيي الا لاجلها ...!

" ماذا يحصل لي رافد ؟"

تجمدت يد رافد دون ان يلتفت اليها ليهمس باحتراق خفي " هل انتِ بخير ؟"

فتأتيه تمتمات العذاب " ماذا يحصل لي ... انظر لفستاني الكئيب .. شعري ... شعري ..."

لم يتحمل ليلتفت اليها يُطحن طحنا برؤيتها واقفة امامه مهلهلة الروح بينما تلامس شعرها بارتعاش ...

همس اسمها " غالية .."

فتردد بنظرات تائهة

" شعري باهت... متقصف ..."



ازهار قلبها وردية

بدت غير طبيعية وهو لايعرف ماذا يفعل ..

يا الهي ماذا يجب ان يفعل ؟!!

رفعت يدها النحيلة امام وجهها الشاحب تهمس " اظافري اصبحت تتكسر .."

بغباء رد " سأشتري لك فيتامينات .."

اخيرا رفعت عيناها الحبيبتان اليه حتى وهما ليستا له تبقيان حبيبتا قلبه ..

تبقى عينا غالية الاجمل على الاطلاق ...

تبقى غالية ساكنة روحه حتى تفارق تلك الروح جسده ...

قالت بنبرة تقتله من شدة الألم

" كل شي في خارجي يعكس داخلي ..اشعر اني اضعت نفسي في مكان ما ..."

ابتلع ريقه بصعوبة ومسح على وجهه بانهاك وكأنه يمسح آثار مشاعره المحرمة نحوها

فيهمس بحشرجة " غالية تماسكي ... سآخذك مع لولو عند أمي وارتاحي هناك .. لم يكن يفترض ان تحضرا الليلة وانتما لستما ... على وفاق .."

فاجأته بنبرة توسل منهكة " هل يمكنني البقاء هنا ؟ اقصد في مكتبك.. لااريد العودة .. فقط .. لااحتمل مغادرة اربعة جدران تسترني من اعين الناس .. اشعر اني .. ضعيفة .. قبيحة ..مثيرة للشفقة .."



دون ان تنتظر اجابته كانت تتحرك ناحية الاريكة الجلدية وهي تهمس وكأنها تحدث نفسها " انا اريد النوم .. لم أنم ليلة الامس وانا انتظر راغب ... كنت اريد اخباره .. بشيء مهم .. لكنه .. تأخر .. اتصل به ولايرد فقط .. يرسل لي رسالة نصية .. انه سيتأخر وربما سيبيت خارجا ... وهذا ما حصل .. لم يعد حتى عصر اليوم !"

وقفت جنب الاريكة تخلع حذائيها ببطء ثم استلقت بخفة الريش بينما رافد يتنفس بصعوبة وهو يقول " هذه الاريكة يمكن فتحها لتصبح اقرب لسرير ... ارتاحي لساعة وانا سأعتني بلولو .. سأقفل باب المكتب بالمفتاح حتى لايضايقك أحد .."

كان ملاحظة غبية عن الاريكة لانها سبق واستلقت واغمضت عينيها ليزداد غباؤه وهو يضيف " يو ... يوجد غطاء هناك في الخزانة .."

لقد نامت ! فمها انفتح قليلا وضمت نفسها لنفسها وكأنها تطلب الاحتضان !

اتسعت عينا رافد صدمة من هول افكاره الخطرة ...

سارع ليخطو لتلك الخزانة اللعينة فاخرج غطاء ليتقدم بصلابة ناحيتها يفتح الغطاء ويضعه فوقها دون ان ينظر ثم يغادر سريعا وانفاسه الساخنة تشق صدره وتذيب اضلعه ..



عند باب المطعم الخلفي وقف ياسر في وجه أخته التي كان قد لمحها حالما دخلت من الباب الرئيسية بملابسها السوداء الاقرب للابتذال من بلوزتها اللامعة حتى تنورتها الجلدية القصيرة والجورب الاسود الذي ابرز اغراء ساقيها .. ناهيك عن شعرها المجنون وزينة وجهها الفاضحة ! فسارع بخطواته وامسكها من مرفقها ليقودها للخلف ..

وها هو يقف قبالتها كالجبل القاسي يمنعها المرور والدخول بينما عمتهما فائزة تولول بصوت خافت والطفلة لوجين نائمة على كتفها " يال الفضائح .. يال الفضائح"

شمخت جودا وعيناها تتحديان أخاها الاكبر تحديدا بينما يتكلم بنبرة قاسية

" ما هذا الذي تلبسينه ؟ ولماذا تنثرين شعرك كمجنونة هربت من مصح عقلي للتو! "

تهز كتفيها بدلع مبالغ مستفز ثم تتحرك شفتاها المصبوغتان بالاحمر القاني لتقول بسخرية

" ماذا ؟!؟ اليست حفلة ؟! انا اواكب الاجواء لاشرفك بي .. شقيقي .. "

ثم تتغير تعابير وجهها بطريقة مسرحية وكأنها اخطأت في شيء لترفع يدها لفمها وتقول باسلوب متصنع

" آآآ عفوا .. نحن لسنا شقيقين بل مجرد أخوين من نفس الاب "

ثم انزلت يدها واشرست ملامحها لتقول بصخب ألم داخلي

" وبينما تحظى انت بالام المثالية السيرة والاصل احظى انا بسيرة أم لاحسب لها ولانسب .. أمي كانت مجرد امرأة منكوبة بفقرها المدقع لتبيعها أمها المجنونة في موسم السياحة لكل قادم للبلد ويقدر قيمة الجمال فيوقع على ورقة زواج رسمي مبارك ويقضي ايامه السعيدة ثم يعود متخم الجسد والغريزة لبلده حيث زوجته واولاده "

تشهق العمة فائزة بالصدمة كالعادة كلما تكلمت جودا بهذه الوقاحة الصريحة بينما يواجهها ياسر بنفس البرود والقسوة قائلا

" اذا كنت تحاولين استفزازي بوقاحة تعابيرك كما تفعلين مع عمتك فأنت تعلمين وقاحتي في المقابل لذلك انت ببساطة لم تحركي بي شعرة .. كما واني لست مصلحا اجتماعيا رقيقا أطبطب على ظهرك واشاركك رثاءك لنفسك الذي طال امده ... "

ثم أمرها بلهجة صارمة وعيناه تشعان بالتهديد " ستغادرين الحفلة الآن جودا وبمفردك وبهيئة بنات الشوارع التي اخترتها لنفسك.. ستركبين سيارة اجرة ووجهتك البيت .. واقسم باللّه ان لم اجدك هناك خلال ربع ساعة فلن تبيتي فيه ..."



عادت العمة لولولتها الخافته وهي تقول بصوت منخفض

" ياسر .. بني كيف ستعود هكذا ؟! يا الهي كيف ستخرج للشارع ...؟؟ "

بدأ الارتباك يخط خطوطه الاولى على محيا جودا ذو الجمال الخاص المتوحش فيلتقطه ياسر دون ان يستجيب لذلك الارتباك ليقول بنظرات ساخرة " دعيها تجرب عمتي .. دعيها تجرب احساس بنات الشوارع .. لترى انعكاس صورتها في عيون الانذال الذين سيحاولون التقاطها ورمي المال في وجهها ... ربما هذا سيعرفها ماذا يفترض ان ترتدي الفتاة المحترمة ...انها من النوع الذي لايفهم الكلام لكن يستجيب فقط للفعل .."

تمتمت جودا وقد بدا قلقها طفوليا

" هل حقا ... ستدعني اعود بمفردي ..؟!! "

يتكتف ياسر وبابتسامة لئيمة يقول " مؤكد .. ولأنك اختي .. سأتعطف عليك بمنحك المال الكافي لسيارة الاجرة .."

العمة تلامس خدها بجزع وهي تقول

" ألن توقف لها السيارة حتى ؟!"

فيهز ياسر رأسه نفيا وعيناه في عيني اخته الخائفتين " لا ...لتفعل هذا بنفسها .. كما حضرت بمفردها لتعد بمفردها .. "

فقالت جودا باذلال " لكني لم احضر بمفردي .. صديقتي التي أعارتني ملابسها هي من اوصلتني ..."

فتمتم ياسر بسخرية جافة

" ونعم الصديقة حقا ! اذن اتصلي بها لتأخذك مرة اخرى .."

أخذت جودا تتململ وهي تطرق بكعبيّ حذائها هامسة بضيق " لديها حفلة هي الاخرى .. ولن .. ترد علي .."

ضحكة خافته جافة صدرت من ياسر وهو يخرج من جيبه بضعة اوراق نقدية ليمد يده ويفتح حقيبتها الصغيرة فيدس فيها المال قائلا بتفكه " اذن اتمنى لك التوفيق بايجاد سيارة أجرة قبل ان تتلقي العروض الحقيرة القذرة في الشارع .. "

توسلته العمة فائزة " دعني أعود معها بني .. اتوسل اليك .."

بينما تستدير جودا بعنف تخفي دموع قهرها فيصلها صوت ياسر وهو يرد على عمتهما بصلابة " لن ترحلي معها ولو على جثتي .."

فتكاد تبكي العمة وهي ترى جودا تختفي من امامهما فتقول بهلع " بنيّ ستتعرض لمصيبة ان تركناها وحدها الليلة .. الا يكفي جمالها الصارخ ؟! الآن ومع هذه الهيئة ... يا الهي سيأكولونها أكلا في الشارع ... "

اخذ ياسر نفسا عميقا قبل ان يزفره بقوة ليقول بعدها " يجب ان تتعلم درسا تلك المغفلة ! اذا لحقت بها الآن فستعيد الكرة "



جاء صوت رافد من الخلف وهو يقول بهدوء

" ساذهب انا خلفها لاتقلقا ... ولن اتركها حتى اراها تركب سيارة اجرة وتصل البيت بسلام .. لن تتعرف على سيارتي الجديدة ..واذا استدعى الامر تدخلا مني في اي موقف فسأخبرها اني كنت عائدا من توصيل غالية للبيت .."

ثم التفت رافد ناحية العمة فائزة يوصيها بحذر " من فضلك عمتي اعتني بالصغيرة فأمها .. مرهقة جدا وتركتها نائمة في مكتبي واغلقت الباب عليها بالمفتاح .. اخي .. راغب... اضطر .. للمغادرة بسبب أمر عاجل .."

هزت العمة فائزة رأسها وقد اعتادت من رافد ان يناديها عمتي كما يفعل ياسر ...

أما ياسر فالتزم الصمت وهو يحدق في اثر صديقه ...

خرجت جودا من الباب الخلفي وهي تكتم بكاءها .. في الظلام للمرآب الخلفي للمبنى شعرت بالوحدة القاسية والخوف الرهيب ..

ارادت ان تلتف حول المبنى للشارع العام عسى ان تجد سيارة اجرة لرجل مسن محترم لكنها غيرت رايها وقررت الانتقام اولا !

فبدلا من ان تتخذ الممر الجانبي الذي يؤدي بها للمقدمة حتى الشارع العام تحركت ناحية المرآب ووجهتها سيارة بيضاء محددة ..



انها سيارة ياسر ...لن تتركها الا واطارات الاربع مستوية مع الارض !

تحركت بصعوبة بين السيارات المتوقفة يعيقها علو كعبيها وحالما ابصرت السيارة من مسافة قريبة ابتسمت بتشفٍ طفولي فاندفعت باتجاهها بتهور فلم تشعر الا ونهاية احدى الكعبين يعلق في حفرة ما لتشهق وهي تتهاوى وتسقط فيرتطم رأسها بحافة سيارة قريبة ثم يعم الظلام .....

المرآب الترابي الخلفي كان شبه مظلم ومكتظ بالسيارات الراكنة باتجاهات ووضعيات شتى لتقاطع بعضها طريق بعض ...

تأفف سعد وهو يجد بصعوبة فراغا فوق الرصيف الملاصق للمرآب حشر فيه سيارته...

اطفأ المحرك وترجل من السيارة وهو يلتقط هاتفه النقال ليدسه على عجل في جيب بنطاله...

لقد تأخر جدا واوشكت ان تقارب العاشرة ..

اولا تاه في العنوان ثم دخل في زحام فظيع حتى وصل ... واخيرا عانى حتى وجد مكانا يحشر فيه سيارته ....

تحرك بين السيارات المتراصة ووجهته الى الممر المرصف ليستخدمه حتى يلتف من خلف المبنى الذي يقع المطعم في طابقه الارضي ...



ووسط الانارة الخافتة توقفت خطواته وهو يحدق ببعض العجب لكومة سواد غير محددة الهيئة ملقاة على الارض الترابية جوار احدى السيارات ..

تحرك سعد وهو يضيق عينيه بتركيز ثم تسارعت خطواته عندما اكتشف ان (الكومة السوداء) ما هي الا فتاة !

باهتمام وصل اليها ليدرك انها فاقدة الوعي بوضعية شبه مضطجعة على الارض وجزء من ظهرها ورأسها ملقاً بشكل مائل على حافة الدعامة الامامية لاحدى السيارات المتوقفة...

هبط اليها على ركبتيه وعيناه التقطتا اولا صدرها الذي يعلو ويهبط بانتظام فاطمأن انها حية.. كلمها بهدوء ليتأكد من مدى وعيها

" انسة ... يا انسة هل تسمعينني ؟"

لكنها لم ترد ..

القى نظرة سريعة على شعرها الطويل المجنون الحالك السواد وقد اغرق وجهها تماما ثم رانت نظراته لملابسها يبحث عن دلالة على وجود دماء او اي اشارة لوجود اصابات فعبس وهو يحدق ببلوزتها السوداء اللامعة ثم بالتنورة الجلدية القصيرة جدا لما فوق الركبتين ..

أما الجورب الاسود السميك الذي يغطي الساقين فمشقوق بشكل طولي ممتد من ركبتها وحتى منتصف فخذها حيث حافة التنورة كاشفا عن جزء واضح من بشرتها البيضاء الناصعة ...

اخذ يتلفت يمينا ويسارا عسى ان يجد ما يرشده للتصرف الصحيح فهذه الفتاة مريبة بملابسها وهيأتها لكنه مهما كان لن يتركها مرمية هكذا وهو لايعلم مدى اصابتها ...

لم يجد احدا والمكان شديد الهدوء لايعكره الا اصوات السيارات القادم من الشارع العام القريب وبعض الضجيج الخافت من المحال المتفرقة في المنطقة ..

عاد ليحدق برأسها ..للحظة شعر انه رآها في مكان ما !

لكنه لم يركز في هذا وهو يقرر اخيرا ليمد كفيه نحو رأسها يمسكه ويبحث بتأن عن اي اصابات او جرح ...

ما زال يشعر بالغرابة وهو يقلب رأسها بين كفيه واصابعه تغرق بين خصل شعرها الثائرة..

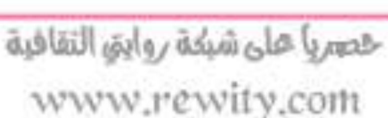
هل فعل ذلك سابقا ام انه يتوهم ...؟!!

كانت اصابعه الان تلامس بشرة وجهها الباردة عندما بدأ يسمع أنينا مكتوما يصدر منها ..









كفاه تلقائيا رفعا وجهها اليها وهو يبعد خصل الشعر عنه يسألها

" هل تشعرين بألم في اي مكان ؟"

رمشت عيناها المغلقتان ثم فجأة فتحتهما ...

اتسعت عينا سعد وهو يهمس بتشتت

" يا ألله ...."

وقبل ان يستيقظ من اكتشافه توحشت العينان التي اخذت من البلور الازرق لونهما ثم زمجرت صاحبتهما وهي تهب بجذعها للامام كمجنونة تصرخ فيه بشتائم فظيعة ويداها تهجمانه عشوائيا ومن حيث لا يعلم !

كان في وضع غريب وهو يحاول السيطرة عليه واستيعابه ليتصرف بشكل صحيح بينما تنهال عليه الفتاة ضربا وصفعا وهو يردد

" اهداي .. اهدأي .. يا الهي ... فقط استمعي الي .. انا لن اؤذيك ..."

لكنها تواصل صراخها " لاتلمسني .. سافل منحط ...." وفي لحظة كانت تجمع بقبضتها حفنة تراب من الارض والقتها في وجهه فأغمض عينيه وهو يشتم بينما تنشب اظافرها الطويلة في خديه فيطلق سعد صوتا متوجعا مكتوما بينما يحاول ان يبعدها عنه دون ان يؤذيها وعقله ينبهه على الدوام انها ربما تكون مصابة ...



" ماذا يحصل هناك ...؟ "

التفت سعد ليميز عبر الظلام صديقه الراكض نحوهما وقد ميز صوته

فقال سعد وهو يتنفس الصعداء بينما يحاول ابعاد المتوحشة عنه " رافد ... تعال وساعدني ... هذه الفتاة المتوحشة قد تكون مصابة بجسدها وربما عقلها ايضا كما أظن ... آآآآآآآآآآآآآآآآآآه "

كان هذا توجع أخر بينما يشعر سعد باظافرها تنغرز في رقبته وصراخها يعلو

" هذا الحقير كان يحاول اغتصابي ؟ "

وصل رافد ليهبط ارضا على ركبتيه بينما يردد سعد بصدمة " انا .. اغتصبك ؟!؟ "

ولحيرته رأى صديقه رافد يجلس متربعا على الارض ويسند وجهه على باطن كفه وهو يتطلع اليهما متنهدا قائلا بتفكه

" هلا فككتما هذا الاشتباك بالايدي حتى نفهم من المصاب هنا بالضبط ؟"

تطلع سعد اليه وهو يقول بغيظ " تعال وابعدها عني دون ان اؤذيها .. وجدتها ملقاة على الارض مغمى عليها وعندما حاولت مساعدتها استيقظت وبدت كمجنونة ... ؟ "

هاجت جودا مرة اخرى فكان رافد سريعا ليمسك ذراعيها يمنعهما مزيدا من التهور ليقول بجدية



" اهدأي جودا .. انه صديقنا سعد ... صديق ياسر ايضا وواضح انه مدعو لحفل الليلة قبل ان تحطمي واجهته الانيقة .. اهدأي عزيزتي .. هل وقعت ارضا واغمي عليك ؟..."

ثم تركها ليلتفت ناحية سعد موضحا " انها جودا يا سعد ... الاخت الصغيرة لياسر..."

في حركة عنف اخيرة مفاجئة منها دفعت جودا صدر سعد بقبضتيها فتراجع للخلف عفويا ليجلس على الارض يتطلع اليها بصمت وتفكير عميق بينما انفاسه تهدأ شيئا فشيئا...

أما جودا فقد تكورت على نفسها وانحشرت ملتصقة بالسيارة خلفها ...

قالت اخيرا وهي تحني رأسها ردا على سؤال رافد " انكسر كعب حذائي فوقعت .. يبدو ان رأسي ارتطم بحافة السيارة ... "

فيسألها سعد قبل رافد " هل تشعرين بصداع ؟"

فتهمس بخشونة " اشعر بصداع مؤكد بعد تفعيصك لرأسي !"

فيسأل رافد مدعيا الجدية " هل فعّصت رأس الفتاة المصابة يا مفتول العضلات ؟"

ثم فجأة انهار رافد بالضحك ليقول بعدها بنبرة غريبة " يا لها من ليلة للاحتفال !"





لم يرد عليه سعد بينما يخلع سترته بهدوء ويضعها فوق ساقيها المنكمشتين فتبعدها وهي تقول من بين اسنانها

" لااشعر بالبرد ..."

ليرد وهو يعيد السترة فوق ساقيها " وانا لم اضعها لادفئك بل .. لاسترك .. جوربك مشقوق شقا طوليا .."

عضت شفتيها وهي تحني رأسها ودموع تنساب على خديها لتهمس كطفلة

" اين .. ياسر .. انا اريده في الحال .."

عينا سعد تحدقان فيها دون ارادته ...

هل هذه فتاة ذلك الحلم الذي راوده ؟

أخذ يلامس وجهه موضع خربشاتها الشرسة ثم فجأة أخذ يضحك هو الآخر ورافد يشاركه الضحك ...

صرخت بهما " ايها المجنونان كفا عن الضحك وناديا أخي فربما أكون مصابة واحتاج لاشعة مقطعية لرأسي ! "

استند سعد بكفه على الارض وابتسامته عالقة بشفتيه الممتلئتين ثم قال بصوت أجش وهو يحدق فيها بقوة " عن نفسي لن انادي احدا وانا بهذه الهيئة ! انا ايضا مصاب واعتقد اني الآخر احتاج لاشعة مقطعية..."





هدرت به جودا " اتصل عبر الهاتف يا غبي ! "

اتسعت ابتسامته دون ان يرد عليها او يحقق مطلبها ... فقط عيناه تشعان عليها ...

أخذ رافد يحدق فيه بدهشة ليقول متنحنحا

" سعد .. احم .. اعتقد يفترض ان ننقل جودا .. اخت ياسر الصغيرة ... للمستشفى .. ام ان لك رأيا آخر ؟! "

يقابل سعد نظراتها الحاقدة الشرسة بتفكه رقيق وهو يرد على رافد

" اتصل انت بياسر .. وسيارتي موجودة لتقل كل المصابين... للمستشفى ..."



الفصل الثالث

ينظر سعد اليهما معا عبر المرآة الامامية للسيارة وبصيرته لاتكف عن التقاط الاشارات المتضاربة !

تركزت عيناه على يد جودا المرتبكة على صدر أخيها تعكفها بتردد واضح وبغيتها (الواضحة لادراك سعد) ان تملك الجرأة لتتشبث بقميص ياسر !

لكنها لاتفعل بل تغمض عينيها وجسدها كله متوتر كتوتر جسد أخيها الذي انصاع مرغما لاصرارها الطفولي ان يجلسها في حضنه على المقعد الخلفي كما أصرت قبلها ان يحملها بنفسه لسيارة سعد وهي تدعي عدم قدرتها على المشي بسبب دوار شديد ينتابها ...

كانت .... تكذب ...

ادرك هذا سعد كما ادركه ياسر الذي أكتفى باطلاق شتائم مكتومة بينما يحملها ناحية سيارة صديقه الذي عرض نقلها للمستشفى بعد ان لاحظوا ان سيارة ياسر عالقة بسبب سيارة اخرى واقفة خلفها ...

لكن ياسر كان حادا وقاطعا وهو يطلب من رافد عدم اخبار العمة فائزة بل طمأنتها على وصول جودا للبيت والتحجج بأي مبرر لغياب ياسر عن نهاية الحفل ...



تحركت عينا سعد لتتركزا على جانب وجه ياسر بملامحه المكفهرة العابسة بينما يتطلع من الشباك المجاور له ...

للوهلة الاولى قد تظن انه شديد القسوة على اخته بينما يرفض محاوطتها بذراعيه لكن يده اليمنى تخونه فتمتد كل فترة لتستقر خلف ظهرها بتشنج !

كأنه يبذل قصارى جهده ويستعين باقوى ما لديه من سيطرة على النفس حتى لايحتضنها..

حاد سعد بنظراته فتستقر على تلك المتوحشة الفاتنة التي اختارت احلامه هو دونا عن باقي البشر لتتسلل اليها ...

كيف يمكن ان يحلم بها وهو لم يرها يوما ؟!

هل يعقل ان يحصل هذا له تحديدا ؟

انه لايؤمن بالاحلام لكنه لاينكرها وقد سمع اكثر من مرة عن حصول امور مشابهة ..

ان ترى قدرك في حلم ...!

يا لها من عبارة تثير الضحك في نفسه رغم انه لاينكر تأثره بالفكرة ...

وكيف لايتأثر من هذا (القدر البلوري النظرات) وقد هزّت تلك النظرات اعماقه ..

تُرا ... ما حكايتها هذه الجنية الغاضبة التي تنفث اللهب حولها بشكل عشوائي ...؟!





عقد حاجبيه قليلا وهو يتذكر ما قاله له رافد سابقا في عرس عماد عن اخت ياسر الجامحة التي تتسبب بالمشاكل كالمراهقات المتعبات ...

عاد لينظر اليها بملابسها ذات الذوق المبتذل ! لم يتعود يوما ان يطلق الاحكام متعجلا ، دوما هو صبور ويتأنى في النظر لدواخل البشر وما يظهرونه الذي قد يخالف ما يضمرونه..

كما يحدث الان وهو يرى الاخوين يظهران غير ما يخفيان عن بعض ...

الفتاة جائعة لتتشبث باخيها الاكبر تريد غمر وجهها في صدره والتنعم بدفئه وحنانه والاخ ملهوف ليطمئن عليها رغم القسوة والجفاء اللذين يظهرهما نحوها ...

انسابت نظرات سعد لسترته الملقاة على ساقيها وقد تمسكت هي بها باصرار ..

تمسكها بستر نفسها جعل سعد يوقن انها ليست كما تحاول الظهور حقا ، بل هذه الملابس هي احدى وسائلها لتصرخ في وجوه الاخرين علّهم يرونها ويشعرون بتخبطها واحتياجها للمساعدة ...

عبس وهو يعاود التركيز للطريق بينما يفكر مرة اخرى .. ما حكايتها بالضبط ؟!

مِمَ عانت فعلا لتصبح هكذا ؟







قلبه نغزه برقة وهو يفكر بتلك اليد
التائهة على صدر اخيها بينما اليد الاخرى
تتمسك بالسترة لتسترها ...

فكرة ومضت في رأس سعد فلم يتردد لينفذها
فيدوس بقدمه متعمدا وبشكل مفاجئ
مدروس على عتلة الايقاف ...

ارتجت السيارة بهم ليعتذر سعد ببراءة وهو
ينظر لوجه ياسر الذي اطلق الشتائم لكن
سعد حقق بغيته وهو يرى صديقه يحتضن
أخته لصدره (مضطرا) فتنعم تلك الصغيرة
بما لم تجرؤ على طلبه ..

بعد جهد جهيد تمكن رافد من طمأنة العمة
فائزة وهو يدفعها دفعا واهنا لتغادر سيارته
وتدخل بيتها ...

لقد أعاد عليها مرارا وتكرارا وطوال طريق
العودة ان جودا بألف خير وقد اخذها ياسر
للمستشفى فقط لزيادة في الاطمئنان بعد ان
تعثرت ووقعت ارضا ..

في البداية عندما عاد رافد للحفل بعد مغادرة
ياسر وجودا مع سعد كذب على العمة عندما
اخبرها ان ياسر هو من قرر اللحاق بجودا حتى
يطمئن بنفسه لعودتها للبيت سالمة مما جعل
العمة ترتاح بل وتنفرج اسريرها لتستمتع
بالقليل مما تبقى من الحفل وهي تشعر بالتأثر
لحنان ياسر على اخته الصغرى ...

تطلع رافد باشفاق على العمة المسكينة وهي تغلق باب المرآب مثقلة بالهم ثم تشوح بيدها نحوه حتى يطمئن ويغادر ...

مؤكد اول ما ستفعله هو الاتصال بياسر للاطمئنان على جودا اولا ثم معاتبته لعدم اخبارها بما حصل ..

تنهد رافد وهو يتحرك بسيارته متجنبا النظر للخلف حيث استسلمت غالية لرقاد جديد وفي احضانها الصغيرة لولو الغارقة في النوم ...

يا الهي كم هي منهكة وتحتاج للنوم العميق الهادئ ..مؤكد ان لولو ستستيقظ كعادتها عند الفجر تنهك امها بكثرة الشغب ...

كم يود لو يفعل شيئا ليعينها ...

ألهى عقله وهو يقود السيارة بالعودة للتفكير لحال صديقه ياسر الذي لايفهمه احد كما يفهمه هو ..

حتى العمة الرقيقة فائزة لاترى فيه الا ما تريد ان تراه .. ومعظم ما تريده هذه الانسانة الشفافة ان ترى الدفء والمثالية من حولها ... امرأة قلّ بل ندر مثيلها ...

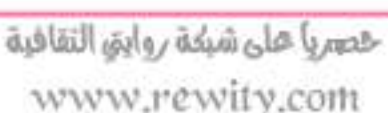
عاشت طوال حياتها راضية بالقليل .. قانعة بما تأخذه الدنيا منها دون ان تعترض ...

ربما هي راضخة اكثر مما يجب .. وربما هي تقدر ضعفها وتكتفي بتلقي المصائب بصدر رحب .. انها تتقبل الاقدار بطريقتها ..









كما تقبلت وفاة خطيبها في حادث بأن عزفت عن الزواج تماما وفاء له ! رغم انها كانت في منتصف العشرينات وتملك من الجمال والرقة ما يجذب كثير من الرجال ... لكنها رفضت جميع من تقدموا لها وعكفت على مراعاة والديها حتى توفيا ..

العمة فائزة هي الشخص الوحيد الذي يتكلم عنه ياسر بانطلاق .. بل انه يحب التكلم عنها وكأنه يستلذ بوجودها في حياتها .. يرحب بتاريخها الرقيق المثير للشجن فيذكره على الدوام ...

ياسر ... صديقه الاقرب لنفسه والذي يوصف بغرابة الاطوار وسلاطة اللسان ...!

لايستطيع رافد وصف ياسر بالحنون كما تحاول العمة فائزة اقناع نفسها وربما طبيعتها الحنونة هي من تفرض عليها هذه الرؤيا الدافئة ناحية الاخرين بشكل عام ..

في نفس الوقت .. رافد ليس لديه ادنى شك ان ياسر يحب اخته فعلا ومتعلق بها كما هي متعلقة به ... لكنهما الاثنان لايملكان القدرة على التواصل بشكل طبيعي ...

ياسر يحاول انقاذها بأقسى الطرق كمن يضطر لاجراء جراحة عاجلة بدون مخدر ..

ربما ليس لديه الصبر الكافي وربما هو يرى حال اخته لايحتمل مزيدا من التلكؤ ..



الليلة مثلا لم يكن ياسر ليترك اخته تعود دون حماية منه ولو لم يعرض رافد عليه اللحاق بها لكان وجد وسيلته ليلحق بها ولو بسيارة اجرة... فقط حتى يعلمها درسا بطريقته...

ابتسم رافد رغما عنه وهو يكاد يجزم ان ياسر اراد ان تتعرض جودا لموقف صعب وقد خابت آماله حقا ان سعد هو من التقف جنونها وطيشها ...

هذا اسلوب ياسر الخاص في التعامل ورغم اختلاف رافد معه لكنه يعرف ان صديق عمره لايستطيع تغيير نفسه ولا تبديل تركيبته...

" رافد .."

تجمد جسده بهمس اسمه على شفتيها فاختلطت في رمشة عين كل الافكار حول مشاكل ياسر لتتقهقر بعيدا وتصبح شبه ضبابية في رأسه ..

رد وهو يشد على فكه الاسفل بتوتر خفي

" سنصل بعد قليل عزيزتي .."

تنهدت ... تنهيدتها هذه نار تنفثها في صدره ..

لم يقاوم ان ينظر اليها عبر المرآة فيبتلع ريقه وعيناه تلامسان صفحة وجهها المهموم ..

تذكر كيف تلكأ على باب مكتبه يتحرك ذهابا وايابا يستجمع قواه ليدخل اليها ...





وعندما وجد شجاعته وامسك بالمفتاح بيد مرتعشة كارتعاشة مراهق غر حتى سمع طرقا خفيفا من الجانب الاخر من الباب وهمسها الذي يمسك بتلابيب قلبه " رافد .. انت هنا ؟ "

فيضرب بجبينه على حافة اطار الباب دون ان يصدر صوتا ! فقط يحتاج لبعض الألم الجسدي عسى ان يفيق من هلوسة مشاعره التي تقتله ...

ثم همس لها دون ان يجرؤ على فتح الباب

" أجل .. عزيزتي .. هل انت .. مستعدة للعودة "

شهقة تصله عبر الباب لتقول بنفس التنهيدة

" اجل ... ارجوك .. افتح الباب اريد العودة لبيت خالتي .."

وهكذا كان ..

اخذها مع العمة فائزة التي كان ممتنا لوجودها معه كدرع يحتمي به من افكاره المدمرة وسلوى تُلهي مشاعره المستبدة ...

" هل تظنه عاد لشقتنا ؟"

التفت اصابعه بتشنج حول المقود ، انها لاتفكر الا براغب ...

وراغب .. لم يعد رافد يعرف حقا بم يفكر أخاه الاصغر .....او .. ما يفعله ...

رد رافد بنبرة هادئة لاتعكس ايا من اختلاجاته " مؤكد عاد وستجدينه نائما ويشخر ... "

ثم اضاف بمرح " ليهب فزعا من نومه الغليظ مفتقدا ضوضاء لولو وشقاوتها فيأتيكما مهرولا قرابة الفجر ..."

تمتمت غالية باختناق " لا أظن ..."

توتر رافد واستشعاراته لاتطمئنه بما يلتقطه منها ليسأل بشقاوة ظاهرية

" لاتظنين ان نومه غليظ مثله ؟ "

فترد بنفس الاختناق " بل لاأظن انه نائم اصلا كما لاأظن انه سيفتقد لولو .. "

ابتلع ريقه بصعوبة ثم ضغط على جوارحه المنهكة ليقول بلطف " غالية .. انت مرهقة في مراعاة لولو .. انها كثيرة الحركة ومشاغبة جدا فلماذا لاتطلبين العون من خالتي انعام .. اعلم انك لاتثقلين على امي بسبب ضعف قلبها لكن خالتي انعام تستطيع المساعدة وهي تعتني فعليا بتوأم ناهد "

ما زالت ترخي راسها للخلف وهي تتطلع جانبا عبر الشباك ثم ترفع اناملها تلامس الزجاج البارد وهي تهمس باحباط مزق قلبه

" انت قلتها .. امي تعتني بالولدين وهما اكثر شغبا من لولو .. "

زمجر رافد دون شعوره " لقد كبرا حقا ولااعلم لم ناهد لاتلحقهما برياض الاطفال ؟ ما هذا الوسواس بالخوف من الامراض التي قد يلتقطانها من المدرسة ؟!!



والداك يفترض ان يدفعانها لتتجاوز هذه المخاوف السخيفة وقد اصبح لديها خمسة اولاد وهي لم تعد صغيرة لكل هذا التدلل الذي لايناسب عمرها "

ردت بلا روح وبنبرة مزقت قلبه

" انت تعرف ان ناهد المدللة المفضلة لدى والديّ .. انهما لايملكان ان يقولا لها اي شيء يزعجها ويتقبلان منها كل شيء .. حتى انانيتها المفرطة ! "

لايعلم ماذا يفعل ليساعدها .. لو كان بيده لجالس لولو نيابة عنها لترتاح قليلا وتعاود الاهتمام بنفسها .. لكنه يعلم لايمكنه فعل هذا .. لا يثق بنفسه ليقترب ..

اما امه فعليلة القلب ويعلم ان غالية متعلقة بها حتى اكثر من امها لذلك هي تحاول دوما كلما حضرت لبيتهم ان تساعدها بشؤون البيت ومؤكد لن تثقل عليها بطلب العناية بلولو ..

عاد لينظر اليها ويقول باصرار " دعينا نحاول احضار مربية لتساعدك وتخفف عنك .. اعلم ان الاولى أثرت بك سلبا لكن ..."

قاطعته غالية بنبرة مصرة " لا رافد .. كانت تجربة واحدة تكفيني العمر كله ... كلما تذكرت كيف تركت تلك الفتاة باب الشقة مواربا وبكل اهمال لتخرج لولو زاحفة



ولولا رحمة الله ورآها جارنا وهي قرب الدرج تحاول النزول فربما كانت ضاعت صغيرتي مني للابد .. "

ارتعش جسد رافد وهو يتخيل لولو تتعرض للاذى او .. او ربما يختطفها احدهم ..

تصبب العرق البارد من جبينه فيهمس بصوت أجش " معك حق ..."

لم ترد بشيء وهو لم يضف المزيد ...

استمر الصمت حتى وصولهم للبيت ودخولهم اليه فتتحرك امامه غالية وهي تحمل على كتفها لجين لتدخل عبر الباب وتتوجه نحو السلم باستسلام مرير فتتسلق درجاته بصمت بينما امه تتساءل بتوجس عما جرى ...

حالما اختفت غالية في الطابق العلوي رمى رافد مفتاحه بعنف على الارض حتى أجفل أمه ليقول لها بغضب مكتوم

" ابنك المدلل يحتاج لاعادة تربية ! "

بهتت الام من عنف بكرها لتسأله بوجل

" ماذا حصل ؟!"

رد رافد ويده تتقبض " اماه .. راغب يلعب بالنار ولم أعد استطيع تحمل لملمة اشلاء غالية في كل مرة ! انها لاتستحق ان يعاملها بكل هذه الحقارة واللامبالاة .. لايفترض ان نسكت أكثر ويجب ان تتدخلي بنفسك لتواجهيه باخطائه .. هذا الوضع الشاذ لايمكن ان يستمر .."



تماسكت الام قليلا وقد اذهلها بل واخافها مزاج رافد الغريب ...

اخافها ليس منه بل من جدية ما يقوله ..

تعترف انها دللت راغب كثيرا لكنها حاولت تعويضه عن والده الذي فقده مبكرا ولايذكره .. بينما رافد كان رجلها الصغير الذي اسندها دوما ..

و رغم انه لايكبر راغب الا بخمس سنوات الا انه بطريقة ما لعب دور الاب له و شاركها تدليله والعناية به وراغب في المقابل كان يراه مثله الاعلى الذي يتشبه به ...

لكن راغب لم يتشبه برافد الا ببضع جوانب ، كان يحب انطلاقة اخيه الاكبر وخفة ظله وتأثيره على الفتيات فوجد راغب في غالية مطمحا ليعبر عن (رجولته) .. ليلتصق بها منذ صغرهما ويفرض عليها تملكه ..

في البداية تصور الجميع انه يمارس دور الاخ الاكبر المتسلط عليها كما يفعل رافد معه وكانوا يضحكون من افعاله ...

لكن مع بلوغه سن السادسة عشرة لم يتوانَ عن طلبها للزواج !

لقد قالها بصريح العبارة وهو يسحب غالية المحمرة الوجنتين من يدها ويقف امام امه وخالته ليقول بغرور سنه ورجولته الوليدة

(انا قررت الزواج من غالية عندما ندخل الجامعة)



كان الامر صادما ومضحكا ومبهجا في آن واحد ...

لكن كان له ما اراد .. وسميت غالية باسمه وتم الزواج بعد تخرجهما من الجامعة بناء على اصرار والد غالية ...

نظرت الام لرافد بحزن وقلق ...

كم تمنت لو زوجته هو الآخر لتطمئن عليه قبل ان تفارق الحياة لكنه عازف عن الزواج وعجزت عن دفعه ليفعلها ..

وها هو غارق بمشاكل اخيه كالعادة .. حائر بينه وبين غالية التي يعتبرها اخته كما هو راغب بل واكثر ...

غالية التي كانت لاتفارق جدران هذا البيت ضحكاتها ومرحها وشقاوتها المشتركة مع راغب بينما رافد تربو عيناه عليهما معا يحميهما من بعيد ..

وغالية كان يختصها رافد بالعناية الخاصة لرقتها الفطرية وحاجتها للحنان وقد اهملت امها منحها ما تحتاجه لتلجأ الفتاة لبيت خالتها تبحث عن بغيتها وتجدها فيه ..

احيانا تشعر اقبال ان ابنة اختها تحب التدلل لتحصل على المزيد من الحب والاهتمام واحيانا تشعر ان راغب من تغير واصبح متباعدا ويمنحها القليل الذي لايكفيها ..



تنهدت اقبال والقلق يستولي عليها بينما تمسك بكف ابنها رافد تسحبه ناحية غرفة الضيوف لتنفرد معه دون مخاوف ان تسمعهما غالية ..

لقد بدأت تشعر منذ فترة بقلق غير مريح للوضع بين غالية وراغب وغضب رافد بهذه الطريقة الليلة وامامها تحديدا يخبرها انه طفح كيله من اخيه الاصغر ..

لكنها لاتملك الا ان تمنح راغب بعض الاعذار فهو ما زال صغيرا لتحمل اعباء الحياة باكرا وكم ودت لو يقتنع بترك الشقة والعيش معهم هنا لكنه أبى وأصر على استقلاله وحريته الشخصية ...

اغلقت الام باب غرفة الضيوف خلفهما وجلست على الاريكة واجلست رافد معها الذي زفر بقوة وهو يمسح على وجهه ...

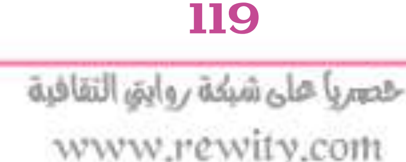
قالت الام بتماسك وهدوء " اخبرني بصراحة.. ماذا يحدث بين راغب وغالية ؟ هل اخبرك احدهما بما يسبب القلق الذي استشعره منك ؟"

حدق رافد في امه فيشعرها بالغرابة !

دوما كان رافد ذو نزعة تميل لحجب جزء من انفعالاته .. وهو يجيد فعل هذا ...

انه يشبهها ...!





هي استطاعت الوقوف على قدميها بعد فعلة زوجها القاتلة وادعاء القوة والتماسك بل حتى التسامح والرضا امام الجميع لكنها في الداخل كان ضعيفة .. ضعيفة وشرسة في ذات الوقت ..

ضعيفة بالمسؤولية التي القيت على كاهلها بمفردها وعلى حين غرة دون مقدمات وشرسة يغلي الغضب في احشاء انوثتها تريد ان تنهش من حولها ايا كان فقط لتعبر عن الآمها المبرحة ..

لكنها كبتت وصمتت ... حتى مع معرفتها قبل بضع سنوات بما آل اليه حال زوجها صمتت ولم تخبر مخلوق ..

حتى انها لم تطلب الطلاق ولم تفكر به يوما فعلت كل هذا لاجل ولديها .. كما فعلته لاجل نفسها .. لانها تعلم ان استسلمت لذلك الضعف والغضب لكانت جنت وضاعت وضاع معها الولدان ....

ربتت الام على يد ابنها البكر وقالت

" اخبرني بما يجول في بالك عن اخيك ، انا لاحظت ان مشاكله مع غالية زادت كثيرا عن الحد المقبول .. فماذا حصل الليلة ؟ "

تطلع رافد لامه يحاول جاهدا ان لايثير قلقها بشدة ليقول

" امي .. راغب يحتاج منا لوقفة .. مشاكله مع غالية اصبحت تأخذ منحنا صعبا .."



عقدت الام حاجبيها وهي تسأله

" كيف ؟!"

رد وهو يكبت المزيد من حرائقه المضرمة

" اشعر انه .. يخفي امورا غير مريحة لايفصح عنها بوضوح .. ويقلقني اكثر شعوره المبكر جدا بالملل الزوجي .. لقد اخبرني بنفسه انه يشعر بهذا الملل .. لكن لاتخبري غالية لاني لم اخبرها بما قاله ولن اخبرها بالطبع .."

للحظة أجفل من ردة فعل امه !

عيناها الحنونتان المهتمتان بطبيعتهما الامومية التي يألفها تجمدتا تماما وبتعبير غريب لم يره فيهما من قبل !

وجهها شحب وشفتاها انشدتا بقساوة ..!

ارتبك رافد قليلا وهو يهمس متسائلا بقلق

" امي ... هل انت بخير ؟!"

ظلت على حالها وهي تنظر في عيني رافد ولكنها تبدو وكأنها .. لاتراه !

قلق رافد اصبح جديا فامسك كفها ليجده باردا فيشد عليه باصرار قائلا بحزم

" امي كلميني .. ماذا يحصل معك ؟ لاتبقي صامتة هكذا .."

صوتها كان باردا مع لمحة تهكم لم تخطئها اذناه " الملل الزوجي المبكر .."

فجأة وقفت الام على قدميها تنتزع يدها من يد ابنها ليقف رافد وهو يحدق فيها باضطراب...



استدارات ببطء فناداها رافد بجزع

" امي ! "

لم تلتفت اليه وهي تفتح الباب لكنها همست بنبرة غريبة اكثر هدوءا واقل شذوذا من سابقتها " سأكلمه بنفسي .. دعني ارى عينيه وهو يقولها في وجهي .. انت فقط اعتن بغالية ولولو .. "

غادرت الام تاركة بكرها في حالة تخبط وحيرة لاتوصفان ....

يحمل بيده صور الاشعة مبتسما للممرضات في طريقه لغرفة الفحص حيث ترك ياسر مع اخته ..

سعيد هو انها بخير تماما ولايوجد الا كدمة بارزة قليلا في جانب رأسها ..

كاحلها ملتو قليلا لكن أمره هين وبسيط ..

تلك الصغيرة محتالة ومشاغبة من طراز خاص ...

عن بعد رآى الممرضة التي صاحبت طبيب المعاينة تغادر غرفة الفحص وهي تمسك بمقبض الباب وحالما رأته ابتسمت في وجهه وتركت المقبض طواعية لتتقدم اليه ببضع خطوات قبل ان يصل اليها ..

فتاة جميلة بملامح منمنمة وخدين طفوليين متوردين بشكل طبيعي ..



رد لها سعد الابتسامة فاحمر وجهها اكثر وابتسمت عيناها بحرارة ...

تنحنح سعد وهو يسألها مرخيا نظراته بعيدا عنها " هل انهى الطبيب معاينته ؟ "

ردت الفتاة بنبرة تفيض باعجاب لم تستطع مواراته

" اجل .. وقد خرج للتو بعد ان اطمئن بالهاتف على نتائج الاشعة .. انت تعرف انه منهك وقد انتهى وقت عمله .."

هز سعد رأسه موافقا بينما يسمع الفتاة تسأل باهتمام وبعض الغيرة " هل هي قريبتك ؟"

رد سعد بلطف " نعم قريبتي .. حسن .. شكرا لك .. اسمحي لي سأذهب اليهما "

اراد التحرك لكنها اوقفته وهي تطيل الكلام عن تعمد بينما تسأله

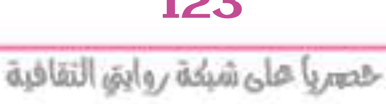
" هل تريدني ان اعقم هذه الخدوش في وجهك ؟ انها خدوش بسيطة لكن الافضل تعقيمها .."

لكن سعد رفض قائلا

" لا داعي شكرا لك ولاهتمامك .."

ثم تجاوزها بينما تصله تنهيدتها الخافتة واوشك ان يطلق تنهيدة مشابهة وهو يفكر بحاجته الماسة للزواج .. !

يحتاج لتلك الالفة والحرارة المفعمة بالحياة بين امرأة ورجل ...



لقد طال زهده في النساء والعودة للوطن تفعل
افاعيلها معه وكأنه كان مجمدا لسنوات
مشغولا بلهاثه خلف المال في الغربة حتى
نسي روحه واهله وناسه ..

لقد نسي نفسه حتى.. نسي انه انسان ورجل ...

لكن منذ أن عاد وهو يشعر ان داخله يذوب
ويحن للمزيد من الدفء الذي تعبق به ريح
الألفة هنا ..

لايعلم هل هو تأثير والدته عليه بروحها
المرحة الفياضة العاطفة فتعيد له ذاكرته
المنسية عن دفء العيش مع العائلة وبين اهل
وجيران يودونك ويهتمون لامرك ..

ام انه ببساطة تاثير ذلك الشعور بـ
(الانتماء لوطن) .. ؟؟

شعور اضاعه في بلد غريب ولم يدرك فداحة
الخسارة الا عندما جاءته أمه وسط امواج
الغربة العالية لتشده للشاطئ عنوة ..

ولحسن حظه كان في يعيش فترة عصيبة
بعد الخسارة المالية التي مُنيّ بها لتكون
رؤية امه أكثر وقعا في نفسه وهو يواجه
خسائر افدح من المال والغربة ..

لقد واجهته أمه بعجزها وشيخوختها المقبلة
فقلبت كيانه وصدمته بصحوة السنين التي
تبعثرت بين يديه وهو لاه عنها ....



زفر بقوة وهو يواصل تحركه ليصل عند الباب الموارب .. توقفت خطواته الهادئة وهو يلمح عبر شق الباب (قدره) المتمرد امامه !

ابتسم بتفكه ثم أخذ ينظر اليها جالسة على حافة السرير الابيض وقد تخلت (للاسف) عن سترته وتمسك بالشرشف الابيض فوق ساقيها بينما تتطلع بقهر في ناحية محددة ...

وهنا اطلق سعد تنهيدة حقيقية بينما يتمتم في نفسه بتسلية رقيقة مرحة

" هل هذا قدرك حقا يا سعد ؟! مجنونة فاتنة تقطع الانفاس .. جامحة لكنها جائعة للضبط والربط ! من اين جاء لك هذا الحلم يا مهبول ؟!! "

اوشك ان يطرق الباب لينبه لدخوله عندما فاجأته حدة صوت ياسر وهو يقول

" هيا بنا لنعود للبيت ... عمتي شديدة القلق "

وبينما يصل سعد صوت ياسر تجلت له هيئته ايضا وهو يقترب من جودا ليقف قبالتها دون ان ينظر اليها ..

ضيّق سعد عينيه وهو يراقب هذا المشهد باهتمام شديد ...

رآى يدها البيضاء ترتفع ثم تعود وتهبط لتعاود الارتفاع لتخور مهزومة الى حافة السرير ..

اراد ياسر التحرك فارتفعت تلك اليد سريعا لتمسك بكم سترته .. فقط مجرد امساك واه لكنه تشبث عاطفي واضح ...



تمتمت وهي تدعي الشموخ والصلف

" عليك ان تحملني .."

فيرفع ياسر وجها عاصفا بالغضب فيهدر فيها قائلا " لن احملك .. كفاك ادعاء ! انت تعرفين ان كاحلك لايشكو من شيء "

فتجر حافة كمه بطفولية بينما تزمجر برعونة

" لايهمني كلام الطبيب الاحمق ! كاحلي يؤلمني وقد يزداد سوءا بسببك .."

عندها صرخ فيه وهو يميل بجذعه نحوها

" بل بسببك انت يا عديمة العقل ! هل انت راضية الآن عن ليلتك الخاصة بالاحتفال ؟"

فتواجهه جودا بتحد اثار زوابعا في داخل سعد المراقب في الخفاء لتقول لاخيها بنفس روح الشموخ والتحدي " اعتقد ما حصل الليلة كاف لتدرك اني قادرة على حماية نفسي من اي وغد ! ويكفي ان تنظر لوجه صديقك العضلي واسأله ماذا فعلت به ؟.."

عندها فقد ياسر كل اعصابه ليصرخ فيها وهو يميل بكل جذعه نحوها

" مجنونة وغبية انت ! هل تتصورين انك اثبتِ شيئا الليلة ؟! هل انت من الحمق لتتصوري انك تغلبتِ على رجل بحجم سعد وقوته البدنية ؟!!



هل وصلت لمرحلة من الانكار انك تصدقين حقا ان رجلا قويا مثله ستوقفه خربشاتك السخيفة باظافرك البشعة هذه ؟ كان يستطيع دحرك بخنصره الصغير لو اراد لكنه حماك حتى من قوته الجسدية وتركك تفعلين فيه ما فعلتِ .. حقا اكاد لاصدق كمية الغباء التي تلف عقلك الصغير هذا كغمائم سوداء تأبى الانقشاع لتدركي ما يحصل حولك .."

تعقد حاجبيها الاسودين بقوة وعيناها البلوريتان تنضحان بلمعة دموع القهر بينما يخرسها ياسر بمنطق كلامه وهو يضيف المزيد

" انت كنت محظوظة ان سعد هو من وجدك مغمى عليك.. كان يمكن ان يكون اي رجل اخر حقير يحملك الى جهة لايعلمها الا الله ويفعل بك ما يشاء .. وعندها .. خرابيشك المضحكة التي تتفاخرين بها ستكون تسلية اضافية له وقد تثيره اكثر ليفعل بك الاعاجيب .."

كان سعد مذهولا !

مذهولا باسلوب الكلام الذي يتبعه ياسر..

ومذهولا اكثر بنظرات جودا لاخيها ...

الاثنان اصاباه بالذهول حقا ...

ياسر يوصل الرسائل القاسية لاخته وباقصر الطرق المباشرة واكثر صدمة وهي .. من الغرابة انها تستجيب حقا له رغم كل ردات فعلها الرافضة المتمردة ..

هذه الفتاة تحتاج للمزيد من ياسر .. منه هو تحديدا ... انها تعشق اخاها رغم كل ما يحدث لكنه لايمنحها ما تريد ...

هل يعاقبها بهذا الحرمان ؟

ام انه عاجز عن منحه ؟

حقا لايعرف ....

كل ما يعرفه سعد الآن ان عليه انهاء ما يحصل في الداخل ..

عيناه ثبتتا على يد جودا التي ما زالت تتعلق بكم سترة ياسر بينما يطرق الباب وهو يتنحنح ليعلمهما بوجوده ...

فتح الباب وعيناه على ياسر الذي استعدل في وقفته بينما يحاول تخليص كمه من يد جودا التي أبت تحريره !

ضحكة داخلية تردد صداها في قلب سعد ..

لمحة ومضت في ذهنه وهو يفكر بجودا تمسك بكم سترته هو ..

قال سعد برزانة " الممرضة قالت لي انكم علمتم نتيجة الاشعة .."







وشوح بالاشعة في يده بينما تميل نظراته لجودا وهو يقول بنبرة هادئة تتوشح ببعض الشقاوة " الحمد للّه على سلامتك جودا "

حقد .. حقد طفولي نطّ من عينيها كوحشين بلوريين ازرقين يهاجمناه عن بعد وبضراوة ..

همس في سره بتفكه عميق " يال حظك يا ابن منيرة .. ويال حظ منيرة معك اذا علمت بمن تتلاعب بافكارك وتزور احلامك "

أخذت سهر ترمي كل ملابسها ارضا علّ بعضا من غيظها يهفت !

اول الضحايا كان فستانها الاسود الموهير وكم كانت فخورة بنفسها وهي تغادر البيت به وامها تلاحقها بالاسئلة عمن سيحضر الحفل لتركز في اسئلتها على سعد تحديدا الذي يعجبها منذ ايام الجامعة وحالما علمت انه لم يتزوج حتى الآن حتى سلطت كل اهتماماتها عليه .. فلم تكف عن ازعاج سهر بدفعها للتقرب منه ...

والدها يضحك من مساعي زوجته لتزويج ابنتهما .. انه لايبالي .. دوما قال لها ان لاتهتم بما تهتم به معظم الفتيات وانها دوما ستبقى مختلفة عنهن .. والزواج قسمة ونصيب وليس مسعى ثابتا لأي فتاة ..

كان يغضب امها بافكارها التي يسكبها في اذنها لتصل تلك الافكار عقلها وقلبها ..



هي سهر الاحمدي .. قوية الشخصية فخورة الى درجة لاتنتظر زواجا تقليديا .. يكفي مرة واحدة جربت هذا النوع ولم تنجح ..

انها لاترفض الزواج كما تتوهم امها .. انا لم تصب بعقدة من تجربتها مع اسامة ..

هي فقط تريد اختيارا من نوع مختلف ..

اختيارا يرضيها ويحقق لانوثتها الشبع ...

فجأة تذكرت ياسر وتلك الهجمات التي كالها لها بتدفق ضار !

عاد غضبها منه يتأجج .. ليس منه فحسب وانما من نفسها ايضا ...

رغم ان والدها بارك وفرح بخطوتها على قبول عرض رافد واعتبره نوع من التغيير في حياتها بعيدا عن التحصيل العلمي ولو الى حين ، اما امها فقد هللت وهي تسأل ان كان سعد سينضم اليهم ايضا !

رغم هذا الا انها لاتشعر بالثقة التي اظهرتها امام ذلك الفظ الغليظ الذي دفعها لترضى بالوظيفة نكاية به ...

لقد ارادت دحره وطوال طريق العودة للبيت كانت ما بين شاتمة له وما بين معدة لخطط مذهلة للعمل القادم الذي ينتظر اثباتا لكفاءتها وعقليتها في العمل ..

لكن حالما عبرت عتبة الباب ورأت امها تعد الفطائر في المطبخ بمساعدة الخادمة حتى شعرت بالذهول مما اقدمت عليه ..



هي لاخبرة فعلية لها في هذا العمل !

بل في اي عمل ..

لقد اربكها ان تكتشف ان بعضا من كلام ياسر كان محقا فيه ..

ماذا حققت من شهادة الماجستير ؟

ماذا اضاف لها التحصيل العلمي ؟ وهل حقا هي سهر بشخصيتها المتلونة بالحياة مصيرها بين رسائل الماجستير والدكتوراه ؟

اخذت تهز رأسها بارتباك بينما تتمتم بحنق

" الابله .. لقد تلاعب حتى بايماني بجدوى التحصيل العلمي العالي .. من هو لاعتبره مرجعا لي في اختياراتي لمستقبلي .."

نفضت شعرها وكأنها تنفض افكارها المعتمة التي زرعها ذلك السوداوي في عقلها ..

حسنا ستريه من هي (الوردية) ...

تحركت عبر فساتينها الانيقة المرمية على الارض لتصل خزانتها المفتوحة على مصراعيها ..

اخذت تبحث بعشوائية غريبة عنها لكنها بحاجة ماسة لايجاد قميص محدد ..

وكم فرحت وهي تسحب ذلك القميص من تحت الملابس وتحدق بفرح شقي في لونه الوردي الفاقع !



اوقف سعد السيارة امام بيت ياسر ففتح ياسر الباب حيث يجلس جوار سعد في رحلة العودة رافضا طلب جودا الخافت ان يجلسها في حجره كما فعل سابقا في طريق ذهابهم للمستشفى..

ترجل ياسر ليلتف حول السيارة بينما عينا سعد تحدقان عبر المرآة في تحدي عينيها الصارخ ..

وحالما فتح اخوها الباب ذاب التحدي لتتعلق عيناها بتدلل مؤثر على وجه ياسر اللاهي عنها بتمتماته الغاضبة وهو يطلب منها التمسك جيدا بسترة سعد حتى لاتسقط..

حملها مرغما .. اجل كان مرغما .. لانها لاتستطيع المشي فعلا لا بسبب التواء كاحلها بل لان ساقها مكشوفة جدا عند الفخذ وقد اتسع الشق في جوربها الاسود السميك ...

لم تغفل عينا سعد عن ذلك الاتساع وذلك البياض في بشرتها النقية عندما ازاحت جودا شرشف المستشفى بتمرد عن ساقيها تظهر سببا لياسر كي يحملها رغما عنه ...

اوشك صديقه ان يخنق اخته ولا يلومه سعد حقا على رغبته هذه ...

لكن بطريقة ما تبدو جودا كطفلة جاءت من البرية لاتعني حقا ما توحيه بافعالها ..

" شكرا لك سعد .. آسف اخرتك كثيرا على والدتك .. فقط انتظرني لحظة وسأعيد لك سترتك "



كان هذا ياسر وهو يحمل اخته المتعلقة برقبته بينما يلف حول ساقيها سترة سعد..

رد سعد بلطف " لاتقلق .. لقد اطمأننت عليها بالهاتف وهي نائمة ومستريحة ومعها فتاتان من الجيران تعتنيان بها "

لايعرف لم حادت نظراته نحو جودا وهو يذكر كلمة (الفتاتان) وشيء فيه توهج بخفة وهو يرى عبوسها ...

هز ياسر رأسه بينما يستدير ليتحرك باخته ناحية باب المرآب يفتحه ويستمر بطريقه للامام ..

يراقب سعد قمة رأسها الظاهرة من فوق كتف اخيها ثم فجأة رفعت وجهها لتطل عيناها ذات الوهج البلوري الخاطف للانفاس ..

رغم انه يفترض ان لايحدق فيها هكذا لكنه لم يستطع الا الانغماس في ذلك الوهج الرباني الصنع ...

ولم تمنحه المزيد من الوقت لترفع وجهها اكثر حتى ظهر كله من فوق كتف ياسر لتفاجئه وهي تخرج لسانها بحركة طفولية مضحكة !

ارادت اغاظته وربما صدمه لكن كل ما حصلت عليه ابتسامة براقة شقت فمه ..



لتعود وتغيب بكل وهجها وهي تغمر كل وجهها بياقة سترة اخيها ...

بعد لحظات عاد ياسر اليه حاملا السترة وقد بدا وجهه منهكا بعض الشيء .. اشفق عليه سعد حقا وادرك ان معاناته اعمق حتى مما ظهر له جليا هذه الليلة ..

تمتم ياسر بالشكر بينما يعده سعد بالمرور عليه صباحا وايصاله للمطعم حيث ترك سيارته .. ورغم قول ياسر ان لاحاجة لهذا الا ان سعد اصر متعللا برغبته بقضاء بعض الوقت معه ومع رافد ...

تحرك سعد بسيارته بتراخ عبر شوارع المدينة التي هدأت حركتها بشكل كبير..

حادت عيناه ناحية السترة الملقاة على الكرسي المجاور فمد يده ليلتقطها ويقربها من وجهه ليتشمم عن قرب ذلك العطر النسائي الثقيل الذي يفوح منها ..

لم يحب العطر !

رمى السترة على الكرسي مرة اخرى وهو يفكر ان هذا العطر لايليق بها ... عطر مبهرج كما كانت ملابسها مبهرجة واستعراضية حتى ...

تلك الفتاة ... اثارت حقا اهتمامه .. اكثر من الحلم الذي تسللت اليه في غفلة غريبة من عقله ..!



بعد ساعة ....

بحذر شديد فتح ياسر باب غرفة أخته لتواجه عيناه الظلمة التي تغرق اركان هذه الغرفة الصغيرة ..

كم يتمنى لو يوسع لها غرفتها ويجعل لها حماما خاصا يشعرها بمزيد من الخصوصية التي قد تسعدها كفتاة شابة ..

لكنه لن يفعل .. ليس الآن ...

تقدم بخطوات هادئة وعقله يرشده لمكان سريرها في اقصى زاوية الغرفة وقرب الشباك تحديدا ..

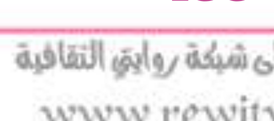
لماذا يشعر انها اختارت قرب الشباك كحاجة دائمة في اعماقها للتأهب للهرب ؟!

وقف قرب السرير يتطلع اليها بهدوء وتفكير .. وجهها غارق بسيول شعرها الاسود الغزير وجسدها متكور بوضعية الجنين بينما تحشرالغطاء بين ساقيها المثنيتين..

كتم ياسر تنهيدته وهو يحدق باحباط في سروالها البيتي القطني الطويل الذي لاتتخلى عنه ابدا عند نومها .. لايهم ما ترتدي فوق هذا السروال الذي يكاد يهترئ ..اي بلوزة بسيطة تفي بالغرض .. لكن هذا السروال الرمادي القبيح لاتتنازل عنه ...!

لم تكلمه يوما عما عانته مع جدتها كما لم تصارح العمة فائزة بشيء ...







لكن ياسر عرف بعض الامور المقززة عن تلك الجدة .. لقد كانت تبيع والدة جودا حرفيا للسواح تحت مسمى الزواج .. وكان للاسف والده احد هؤلاء المشترين رغم انه لم يكن سائحا كان فقط مهندسا منتدبا من شركته لفرعهم في ذلك البلد ولمدة لاتتعد العامين...

ويبدو ان بعده عن زوجته لاشهر طويلة جعله يفتقد العلاقة الحميمة فوقع في فخ

(زواج السياحة)

تقبضت يدا ياسر بل ارتعشت تلك القبضة وهو يعتصرها عصرا ..

هل يمكن ان تلك الجدة حاولت .. حاولت .. بيع جودا ؟!!!

لقد كانت في السادسة عشرة عندما توفيت جدتها وفتاة بجمالها بضاعة نفيسة ذات سعر عال ...

ما يهدأ مخاوفه ان الجدة عندما حصلت على الوديعة من ابيه لم تكن جودا الا طفلة صغيرة فاخذت جدتها تنفق المال على نفسها وقد جاءتها حالة تصابي متأخرة جدا لتتزوج زواجات متعددة من شبان مختلفين ، فهذه المرة كانت هي (المشترية) وانفقت مال جودا عن اخره على نزواتها الشاذة حتى غدت مفلسة تماما عند وفاتها ..





لكن .. هل مال جودا كان كافيا ليدرأ عنها حب الجدة للبيع ؟!!

ماذا حصل عندما كبرت جودا ؟

كم يتمنى ان يعرف .. ربما سيرتاح بعض الشيء من ذنب ليس هو من اذنبه لكنه يتحمل ثقله ..

انه دين ابيه وامه وعليه هو ان يسدده لجودا..

تحرك ياسر ليغادر بهدوء كما دخل بهدوء وباله منشغل بعدة اتجاهات ...

انه يحتاج سهر .. يحتاجها حقا ..

يحتاج ان يملكها .. يحتاج ان يعشقها بكل الجنون الذي يكبته في داخله ..

يتقلب رافد في سريره ذات اليمين وذات الشمال وذهنه يرفض الانصياع لاسترخاء الرقاد ...

لقد اعتاد جفاء النوم له عندما تبيت غالية في بيتهم .. لكن هذه المرة الجفاء يزرع الشوك في سريره فينغز جسده في كل مكان ...

تمتم وهو ينقلب على ظهره محدقا بالسقف

" ما هذا العذاب يا ربي ؟! الا مفر منه ؟ ألن ارتاح يوما ؟ "

اغلق جفنيه والنار التي تتأجج في داخله تكاد تخرج من عينيه ..

غصة تخنقه وهو لايكف عن تذكر وجهها الشاحب الحزين ..



لم يكن يحتمل حزنها الرقيق وهي صغيرة
فكيف يحتمل حزنها القاتل وهي امرأة ..

حزن يشع من خلاياها فيحرق خلاياه ...

تذكرها صغيرة في التاسعة تجلس على
الارض في احد اركان الحديقة تضم ساقيا
لصدرها وتسند جبينها على ركبتيها وهي
تحاوط رأسها بذراعيها تكتم شهقات البكاء..

كان ابن الخامسة عشرة وغالية بالنسبة له
جزء من عائلته الخاصة .. حالها حال راغب ..

اقترب منها وهو يستغرب انزواءها الباكي وهي
التي كانت تشع مرحا وضحكا على الدوام ..

لازال يذكر شعرها القصير المتطاير وبنطالها
الاحمر المترب وقميصها الابيض ذو القماش
المخرط .. انه حتى يذكر اثار تلك البقعة
من الطين على ظهر القميص !

لم يطل الامر وهو يسألها عن سبب البكاء
ليعرف انه .. راغب ..

راغب الذي يكبرها بعام واحد كان يغار دوما
ان رآها تلعب بصحبة قريناتها من فتيات الحي
فيلجأ لسحبها وسط اللعب باستبدادية ظنها
رافد وقتها انها استبدادية (أخ) ..

لكنه اخطأ التقدير كما اخطأ الجميع
التقدير وهم يتضاحكون من استبدادية الاخ
المفترضة تلك ...

رافد نفسه لم يكن ينظر لغالية الا كأخت
.. حتى ذلك اليوم الذي رآها تبكي فيه ..
حتى افضت اليه بسبب بكائها ...

كانت قد تمردت على راغب ورفضت الانصياع
له بأن تترك اللعب مع صديقاتها فما كان من
راغب الا ان فار غضبه الارعن ليكور بعض
الطين من مكان قريب ويرميه على ظهر
غالية اللاهية باكمال لعبها في الشارع ...

كانت تتألم ... ليس ألما جسديا .. بل ألما
معنويا ان راغب استطاع ايذاءها ثم هرب
بعدها عندما رآها تقع ارضا دون ان يفكر
بالاقتراب والاعتذار ...

وبعد ان حكت لرافد عن فعلة اخيه اخذ
يداعبها ويراضيها ويتوعد راغب أشد العقاب
حتى انه اخذ يخطط معها كيف سينتقمان
منه سوية ...

عادت ضحكاتها تملأ الدنيا من حوله فرحا
وفي لحظة فاجأته وهي ترتمي بحضنه تغمر
وجهها في رقبته وتلف ذراعيها حوله تشد
جسدها الطفولي لتلصقه بجسده الفائر
بمشاعر رجولة جديدة يتعرف عليها للتو ...

ارتبك من احساسه .. وزاد الطين بلة عندما
همست

(انا احبك رافد)



كان مجرد تعبير طفلة لكن رافد .. في تلك اللحظة وهو يضم (الطفلة) لصدره ادرك بغرابة ان هذه الطفلة يريدها ان تكون له !

عاد رافد من تلك الذكرى لواقع مرير ...

تجري الرياح بما لاتشتهي السفن ...

لم تكن تلك الطفلة له .. ليس كما اراد .. وها هو عاجز عن مناصرتها ليعيد اليها ضحكاتها ..

(شعري باهت .. اظافري تتكسر)

اوجعه الوصف الذي نطقته ..

كيف يساعدها ؟ كيف يجعلها تشعر بالرضا عن نفسها ...

آآآاه لو كان بيده ...

آآآآآآه لو يستطيع البوح كم هي فاتنة لروحه حتى بابشع الفساتين وبشعرها الباهت واظافرها المتكسرة ...

فتح عينيه ليطالعه السقف ببرود ساخر ...

نفض رأسه واجلى افكاره السخيفة ..

فكر وفكر ... ثم ابتسم فجأة !

ملأه الرضا فالتف الى جانبه باسترخاء وأغمض عينيه وهو ما زال مبتسما ..

غدا سيجعلها تشعر بالتحسن ...



دفع رافد بابتهاج المال للصيدلاني ثم خرج وابتسامته العريضة تنير وجهه ..

حرك الكيس بطفولية ليسمع صوت حبوب الفيتامينات ترتج في العلبة الاسطوانية ..

يشعر بالتحسن الكبير حقا ...

لقد فاجأ غالية منذ الصباح بأنه سيأخذها رغما عنها لمزينة الشعر بل واجبرها ان تعده ايضا انها ستشذب اظافرها ...

بينما طلب من امه الاعتناء بلولو واعدا اياها انهما لن يتأخرا ..

وكان ما اراد ...

تركها عن باب صالون الحلاقة الانيق وقد بدت مترددة قلقة لتركها لولو مع جدتها ..

لكنه شجعها وهو يشوح لها من بعيد لتدخل..

لحسن الحظ لم ترتدي الفستان البشع بل انتقت مما تحتفظ به من ملابس في بيت خالتها بنطال جينز وبلوزة مشرقة الالوان ...

كانت الصيدلية قريبة من الصالون فقرر شراء الفيتامينات ايضا ثم اخذ يتجول في الاسواق ليقضي الوقت بعد ان اتصل بياسر ليخبره انه لن يستطيع القدوم للمطعم حتى العصر ...

تطلع لساعته فادرك انه قد مرت اكثر من ساعتين فاتصل بغالية لتنعشه نبرة صوتها التي استعادت حيويتها وبهجتها ..

انشرح صدره وذاب قلبه لاجل فرحها ...



اخبرها انه قادم فوعدته الانتظار امام باب المحل ...

خطواته الحيوية اقتربت ليراها من بعيد ..

كانت توليه ظهرها لكن .. شعرها القصير الاسود اللامع تملك نظراته .. ذكره بتلك الطفلة التي احتضنته يوما وقالت

(احبك رافد)

تراخت حيوية خطواته وقلبه يرتج بفوران بطيء مهلك بينما تستدير اليه لتنظر في وجهه بابتسامة خلابة ....

لم يشعر الا بكيس الفيتامينات يسقط من يده على الرصيف وهو يرتعش امام اشعاع العينين الحبيبتين ذو الالوان الثلاث ...





الفصل الرابع

ترجل سعد من سيارته يعانق بصفحة وجهه اشعة شمس الصباح ...

تبسم ببشاشة متذكرا صدمة امه صباحا برؤية (الخرابيش) في خده ..

اقنعها انها لاشيء وقد كان يفض عراكا بين اثنين لااكثر..

خسف قلبه اشفاقا لرؤية الخيبة على وجه امه عندما اخبرها انه لم يحضر الحفل بسبب تلك المشاجرة المزعومة وكيف نقل احدهم للمستشفى !

لتنتهي خيبة املها سريعا وهي تعنفه بل تجر اذنه لتدخله في ذلك الشجار السخيف تاركا حفلة (بغاية الاهمية) كما عبرت عنها ..

لم يتمالك نفسه ليغيظها بالسؤال وهو يخلص اذنه من يدها " واين تكمن اهميتها اماه ؟"

فترد بحنق وهي تضربه في كتفه " الاهمية في العروس يا ابن بطني .. لم اترقب عودتك طوال الليل حتى غلبني النعاس الا لأجل ان اعرف هل وجدت نصيبك ام لا .. "

تحرك سعد مبتعدا عن سيارته وهو ينفض رأسه ضاحكا من كلمات امه التي صبتها فوق رأسه قبل خروجه من البيت ..



انها لاتكف عن دفعه ليجد الفتاة المناسبة التي تعوض خسارة جدايل ..

لاتريد ان تصبر عليه ليقف على قدميه في محله الجديد ..

لكنه لايستطيع لومها لانها تفتقد روح جدايل في البيت وتلك الفتاة كانت روحها مشعة ومحببة للنفس ..

هنيئا لأيهم سليماني بها .. وهنيئا لبيت ذلك الرجل بنفحة الدفء الخاص من جدايل..

ريح الخريف التي حملت برودة الشتاء القادم عن قريب تسللت لجسده العضلي عبر فتحة قميصه فتمنحه انتعاشا وتملأ نفسه بدغدغات رقيقة تبهجه ..

ابتسامة ملأت وجهه وهو يقف قبالة باب المرآب الرمادي اللامع لبيت ياسر ...

يرفع رأسه ويتطلع لذلك البيت من طابقين..

بيت متوسط الحجم لطيف التصميم ..

جدرانه من الخارج طليت باللون الابيض وشبابيكه باطارات رمادية ..

انه نفس البيت الذي تركه قبل سبع سنوات مع لمحة تجديد واضحة لطلائه الخارجي ..

تُرا ...هل جدّد ياسر دواخله ايضا ؟

مد سعد يده وضغط على الجرس بينما يرفع يده الاخرى ليقرأ ساعته وقد اشارت الى العاشرة صباحا ...



انتظر خروج احدهم بينما تعود عيناه لسبر اركان هذا البيت بفضول واعجاب ...

مرآب طولي وتمتد الى جانبه حديقة معتنى بها يحيطها سور من الياس المشذب بعناية بينما تناثرت اشجار الحمضيات وتربعت كملكة نخلة واحدة في الزاوية البعيدة ...

امه ايضا تعتني بالحديقة لكن يبدو ان الخالة فائزة تفوقها في التنسيق ...

لقد اعطت البيت رونقا واناقة انثوية واضحة... خاصة مع شتلات الورود التي تنتظر الربيع بصبر حتى تخرج براعمها من جديد...

ولم تنس وضع طاولة دائرية بيضاء وحولها بضعه كراسي فتغري الناظر بالجلوس والتمتع بالجمال من حوله ....

طال وقوفه دون ان يخرج له احد ...

فكر ان يتصل بياسر هاتفيا عندما تعلقت عيناه عفويا على الشبابيك العلوية ...

فوجد نفسه ينسى ياسر ليتساءل بفضول ممتع...

هل ذلك الشباك لغرفة جودا ؟

ام ربما ذلك الذي في الزاوية هو لها ؟ يخيل اليه أنه الأنسب لشقاوتها وهو يفكر بها تستخدمه لدخولها وخروجها نكاية بياسر ...





ضحكات امتلأت بها دواخله ومعها دغدغات

اكثر تأثيرا انتشرت في جسده ..

جودا ... مختلفة كاختلاف اسمها ...

لم يكف عن التساؤل في نفسه ..

لو كان رآها البارحة دون ان يحلم بها مسبقا

هل سيكون لها نفس التأثير عليه ؟

وهل هي حقا من روادت احلامه ام انه مجرد

تشابه في العينين وطبيعة الشعر ..؟ هذا هو

كل ما ظهر منها في ذلك الحلم ...

ليلة الامس (لخيبة امله) نام دون احلام على

الاطلاق ... لقد أمل ان يراها مرة اخرى ..

أمل ان يمعن النظر فيها ليعرف لماذا أثرت به

هكذا ؟

جمالها خاص يعترف بهذا ..

فيها وحشية .. ليس في نظرة عينيها

البلوريتين فقط بل حتى في رسمة حاجبيها

الغاضبين العريضين وبروز شفتيها

المكتنزتين والبارزتين للامام باغراء ...

جمال وحشي بامتياز ومستفز بامتياز ايضا ..

تراجعت افكاره عندما سمع صوت الداخلي

يفتح لتطل منه الخالة فائزة بابتسامة حلوة

معدية ..

فيجد نفسه يبتسم لوجهها الجميل الرقيق

بينما تتقدم منه بقامتها القصيرة التي

احتوتها طقم صوفي بسيط ولطيف بلون اصفر

باهت ..



الشيب خطّ شعرها الكستنائي الذي ترفعه على الدوام في كعكعة بسيطة ..

تبدو في عينيه كرجل اكثر رقة وانوثة مما لو اختارت صباغته واخفاء تلك الشعرات البيض منه ...

مالت براسها باعتذار بينما تفتح له باب المرآب وتقول بعد التحية

" عفوا بنيّ .. ياسر يأخذ حمامه لقد تأخر بالنوم ليلة الامس .. كلنا تأخرنا في الواقع عدا ... جودا ..."

بدا بعض العبوس على ملامحها لتستعيد سريعا بشاشة الترحاب وهي تمد ذراعها تدعوه

" تفضل بنيّ .. تعال وانتظر ياسر في الداخل.."

لكنه تقدم خطوتين قبل ان يقول بابتسامة صافية " شكرا خالة فائزة .. سأنتظره هنا .. الجو رائع ومنعش .."

ردت له وهي ترفع سبابتها النحيلة بمزاح

" نادني عمتي فائزة كما يفعل رافد .. واذهب واجلس على احد تلك الكراسي في الحديقة ريثما اعد لك فنجان قهوة او شاي اذا احببت "

شكرها بالقول

" شكرا لك عمتي فائزة لكن .. "

قاطعته فائزة باصرار انثوي " لايوجد لكن .. اذهب واجلس يا اياها الفتى العضلي وانا سأعد القهوة لنا جميعا .."



اذعن لها وهو يهز كتفيه ويبتسم بشكر صامت ...

تحركت فائزة لتعود للداخل بينما يتحرك سعد بتباطؤ ناحية الحديقة ..

حركة .. وصوت مكتوم جذباه بسرعة ناحية مكان قصيّ مخفي من تلك الحديقة حيث تكاثفت الاغصان وارتفع سور زرع الياس..

ضيّق عينيه وهو يكتشف بعض الدخان الابيض المتصاعد من خلف سور الياس ..

تقدم بفضول ناحية تلك الزاوية القصية عند حدود الحائط الفاصل مع الجيران عندما

بزغت تلك المتوحشة الفاتنة كجنية ثائرة..

للحظة اجفل وفي اللحظة التالية شعر باشعاعات ظهورها تخترق جسده ...

شعرها مبعثر حول وجهها المميز .. لكن هذا الصباح هدأ جنون خصلاته عما رآه ليلة الامس ...

لم يكن يظهر منها الا نصف جسدها العلوي ببلوزة بيضاء قطنية على الارجح ...

أخذت تحدق فيه بصلف لامبال بينما تمسك بسيجارة بين شفتيها المكتنزتين فتمج منها ثم تطلق الدخان بتحدٍ نحوه ...



كان ينظر اليها وكأنه يحدق بلوحة غير اصلية !

انها تجيد رسم هالات الادعاء لكنها لاتجيد اخفاء صراخها الداخلي كي يراها الاخرون ويشعرون بها ...

تمتم بهدوء متجاهلا اسلوبها المستفز في شرب السيجارة

" مرحبا جودا .. كيف تشعرين اليوم ؟ "

تحركت لتعبر سور الياس فيظهر سروالها البيتي الرمادي ثم لتفاجئه انها .. حافية !

وقفت قبالته تماما وقد كانت تتمتع بطول القامة وامتلائها باغراء ..

انها مختلفة تماما عن بنية عمتها ...

اخذت تقول بلامبالاتها التي تقصد منها الاستفزاز بينما عيناها تتابعان احتراق سيجارتها " وكيف تشعر انت وقد اشبعتك خربشة ليلة الامس ! "

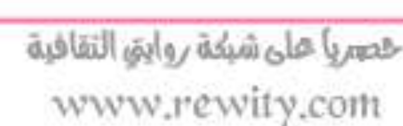
رد بابتسامة هادئة

" لم تقتلتني خربشاتك لحسن الحظ .. "

ضحكت بتهكم وقد بدأ يشعر بالانزعاج لتمسكها السخيف ان تدعي صورة مقيتة عنها ...

عادت لتنظر لسيجارتها وللحظة لامس حاجبيها العبوس فرمت السيجارة ارضا قبل ان تنتهي لتعود وترفع وجهها اليه قائلة









" اخي يظن انك كنت تستطيع التغلب علي بسهولة لو اردت "

يعترف انه مندهش من تلك الجرأة والتباسط في كلامها معه ...

مد قدمه وداس بحذائه على السيجارة ليطفئها وهو يقول باختصار " اخوك محق .. "

ثم انحنى برشاقة ليلتقط السيجارة المطفأة فقالت جودا بتهكم

" هل ستبدي الآن أسفك على صحتي لاني ادخن ؟!"

فيرد وهو يتطلع في عمق عينيها " بل سأبدي اسفي لانك تدخنين وانت لاتحبين فعل هذا!"

اشرست تلك العينين لتعاند بقهر طفولي

" يال ذكائك الخارق ! وكيف اكتشفت هذه المعلومة الرهيبة ؟! "

رد بهدوء شديد وهو ما يزال يتطلع في تلك العينين " لانك تمسكين السيجارة بتكلف شديد وكأنك تجاملينها على مضض ! ولانك لم تتوقفي عن النظر اليها بملل وحتى بحنق تتمنين انتهائها ثم لم تحتملي الانتظار اكثر لترميها قبل ان تتميها ..."

ثم اضاف بابتسامة جانبية مستمتعا باتساع عينيها المذهولتين " اراهن انك تفعلين هذا مع كل سيجارة .. اقصد ترمينها قبل ان تنتهي منها "



بدت مرتبكة وهي تبتعد بعينيها عنه هامسة بضيق " انت شديد الملاحظة .."

لم يؤكد لها الامر لكنه فكر بفكاهة ان يا ليته لم يكن كما وصفته للتو !

فهو لايملك الا ان يلاحظ اغراء قدها وجمال تكوينها وتفاصيلها .. عبثا حاول تذكير نفسه انه لايجوز له النظر اليها هكذا لكنها فتاة غير عادية ... وانجذابه لها فوري ومرعب لطبيعته المتأنية !

على غفلة منه جعلته يلهث داخليا وهي ترفع ذراعيها وبدأت تجمع شعرها بفوضوية وكيفما اتفق ثم هدرت بشتيمة لم تكن صادمة لحسن الحظ وما ان لملمت شعرها لتلفه حول نفسه في عقدة من الخلف حتى فاجأته وهي تتحرك جانبا نحو احد الاشجار فتكسر فرعا صلبا نحيلا فيها وبكل بساطة حشرته في شعرها لتثبته على الطريقة اليابانية ...

نظرت اليه مباشرة تصدمه بهدوء ملامحها وتلك النظرات البلورية تشع منها وكأنها تدرك الامر ... تدرك تأثير تلك النظرات عليه وتستخدمها ضده ...

لكنها واقعيا ... ساذجة و لاتدرك ...!

انها فقط تتطلع بفضول غامض نحوه وليس بمقدورها حجب عينيها المميزتين عنه ...

اسبلت اهدابها وهو ما زال يتطلع اليها حائرا ..



ثم تحركت بتمهل جسدي جذاب لتتجاوزه بتجاهل دون ان تضيف المزيد بل فقط سرحت في ملكوت اخر تاركة لسعد حرية مراقبتها وهي تتوجه الى داخل البيت ..

حافية القدمين وفرع شجرة مسكين يجاهد ليحافظ على تماسك شعرها الفوضوي في عقدته الغريبة ...

عقب السيجارة ما زال في يده .. يحدق فيه وكأنه مجرد أثر .. اول أثر يمسكه نحو تلك (المختلفة) ...

هل هذا قلبه الذي يخفق بنمط غير عادي فيمتعه لابعد حد ؟

هل هي بكل ما فيها السبب فيما يحدث له الآن ؟

ام ان غرابة لقائه بها وظهورها المفاجئ الصادم في حياته هو السبب ؟

تحرك سعد نحو الطاولة البيضاء ليستقر جالسا على اقرب كرسي .. رفع العقب امام عينيه يحدق فيه بتركيز وكأنه سيجد فيه الاجابات ...

عفويا اخفي العقب في جيبه حالما شعر باطلالة العمة فائزة تتحرك نحوه وهي تعتذر برقتها المألوفة وتخبره ان ياسر قادم حالا ...



وقف سعد على قدميه ليخطو نحو العمة يحمل عنها الصينية الكبيرة نسبيا وقد تراصت فوقها فناجين القهوة وصحنين من المخبوزات المنوعة والبسكويت وبينما يشكرها وهما يتوجهان لتلك الطاولة البيضاء سألته بتوجس هامس

" اريد ان اسألك بني قبل مجيء ياسر .. هل اساءت جودا .. التصرف معك ليلة .. الامس ؟"

انتظرها تجلس احتراما قبل ان يضع الصينية على الطاولة ويجلس هو الاخر ...

رفعت العمة احد الفناجين تقدمها له بينما تنتظر رده بارتباك اشاع تورد الحرج على وجنتيها...

ارتشف سعد من قهوته ..أخفى تحسسه من مرارتها وهو الذي يحبها معتدلة ..

ثم تطلع للعمة بابتسامة مؤثرة

" انها فتاة شجاعة خالة.. عمتي .. لقد وجدتها صدفة مغمى عليها وعندما حاولت مساعدتها استعادت وعيها واخذت تدافع عن نفسها بكل شراسة ظنا منها اني اريد بها سوءا لاسمح الله"

تنهدت وهي تلتقط فنجانها فتمسكه دون ان ترتشف منه بينما عيناها الناعستان بطبيعتهما تسرحان قليلا قبل ان تقول بهم

" انها ما زالت صغيرة وتحتاج لمن يفهمها .."

وكأنها كانت تكلم نفسها فشعر سعد بالحرج ولم يعقب بشيء ...



احنى رأسه ليرتشف من قهوته عندما نغزه حدس ما .. حدس ان هناك من يراقبه !

رفع وجهه وعيناه تبحثان عن مصدر حدسه حتى وجدتا ضالتهما في ذلك الشباك في الزاوية...

اذن هذه غرفتها كما توقع !

اخفى ابتسامته بشق الانفس وهو يطالع وقفتها الأبية عند النافذة تحدق فيه وعيناها تغزلان حوله خيوط حريرية من الفتنة الخالصة ...

انها ماهرة جدا بغزلها ..

عاد واسبل اهدابه يرتشف ما تبقى من القهوة وذهنه غارق في التفكير والتحليل ...

ليقاطع افكاره ظهور ياسر وقد بدا بمزاج عابس ...

وبينما يقف على قدميه قال ياسر وهو يقترب

" اسف جدا للتأخر عليك سعد .. لقد اصابني الارق ليلة الامس ولم استطع النوم حتى طلوع الفجر.."

تبسم سعد بتفهم بينما يستشعر توتر ياسر ..

فقال سعد بلطف

" لاعليك .. لم تتأخر كثيرا .."

ثم غمز بمرح ناحية الصينية قائلا

" والعمة فائزة دللتني ..."



تطلع ياسر لعمته وكأنه لم يرها قبل ان يشير سعد لوجودها فتقدم نحوها هامسا بشكر بينما يلتقط من يديها فنجان قهوته فيرتشف منه على مهل ...

عينا ياسر ارتفعتا فجأة للاعلى فرأى طيف اخته عند الشباك ليعقد حاجبيه فما كان من جودا الا ان تراجعت للخلف واغلقت الستائر بعنف !

وضع فنجانه ببعض الحدة على الطاولة فيشكر عمته مرة اخرى بكلمات مقتضبة مخبرا اياها انه ربما سيتأخر الليلة ..

سارع سعد لوضع فنجانه هو الاخر بعد ان أتم شرب قهوته وهو يعلن جاهزيته للذهاب لتصر العمة فائزة على اعطاء كل منهما قطعة من مخبوزاتها قبل ان يرحلا ...

في الطريق التزم ياسر الصمت وبدا متوترا لابعد حد ..

سأله سعد عن رافد فأخبره ان رافد قد يتأخر في الحضور للعصر ..

عندها قال سعد انه سيستغل النهار لقضاء بعض شؤونه حتى الظهر فيأتي وقت الغداء حتى يتفرغ باقي اليوم لقضائه مع صديقيه معا ...

هز ياسر رأسه موافقا بينما الشرود يسيطر على محياه ...

بقلم كاردينال7



انزله سعد على ناصية الشارع مقابل واجهة المطعم فترجل ياسر وهو يقول لسعد بملامح مغلقة التعابير " نسيت ان اعتذر لك .. عما فعلته جودا معك ليلة الامس .."

عفويا رفع سعد انامله لخده وهو يقول بمرح

" انها فتاة صغيرة لكنها تجيد الدفاع عن نفسها بضراوة .."

ابتسامة باهتة من ياسر بينما ينسحب بعيدا عن السيارة يلوح لسعد وهو يقول بنبرة عابثة

" دعني اذهب لارى شؤون مطعمي فيبدو ان رافد لديه مغامرة جديدة هذا الصباح مع احداهن وترك لي النهار لاتحمل مسؤولياته.."

تتطلع غالية عبر نافذتها الجانبية بينما يسود صمت متوتر في اجواء السيارة لاتعرف له تفسيرا !

ماذا حصل قبل قليل ؟!

سؤال يتردد صداه في رأسها ولاتجد له اجابة !

تذكر انها كانت تنتظر رافد عند باب صالون التجميل .. ثم التفتت فابتسمت له طواعية

وبعدها .... ماذا حصل ؟

اوقع الكيس الذي كان يحمله بيده ثم ..

ثم ..ثم ماذا ؟!

لماذا يستعصي عليها ايجاد الوصف ؟!

اخذت تعنف نفسها بنفسها ...



" وماذا ان نظر اليك رافد ؟

هو دوما ينظر اليك ..

مُذ وعيتِ على الدنيا وهو ينظر اليك ...

بعينيه الدافئتين اللتين تجعلانك تشعرين بالطمأنينة ...طمأنينة لم يمنحك اياها لا والدك ولا زوجك ..."

تاهت منها الكلمات مرة اخرى ...

لم تملك الا ان تتساءل باحساس غريب..

ما بال الدفء تحول في تلك اللحظات العجيبة لـ ... لـ ... لنار .. !

نار اشعلت زرقة عينيه فباتت قاتمة ..

شديدة القتامة ...

ارادت التطلع اليه لكنها لم تجرؤ ...

شيء ما يمنعها الالتفات نحوه ....

حتى لم تجرؤ ان تسأله كيف تبدو ؟!!

تتساءل بقلق مبهم ... هل هو .. غاضب ؟

هل بالغت بتزيين وجهها مثلا ؟

انها تذكر جيدا عندما كانت مراهقة لم يكن يحبها تتبرج بينما راغب كان يبتسم بجذل ويشجعها ...

هل تبدو مبتذلة بتبرجها الان ؟

فربما المزينة قد بالغت قليلا ...






تلك المرأة البشوشة الوجه ألحت عليها لتغيير شكل حاجبيها اولا بما يناسب الدارج حاليا بين النساء ..

وقد أعجبتها النتيجة فوق المتوقع فأصرت بعد اكمال تسريحة الشعر ان تضع لها زينة وجه ايضا لتبرز جمال وجهها بعد التغييرات التي اجرتها بينما كانت احدى مساعداتها تكمل تشذيب اظافرها وطلائها ...

حتى انها بدأت تلح عليها ان تصبغ لها بضعة خصل لكن غالية كانت حاسمة بالرفض فلا تستطيع التأخر أكثر وترك لولو مع خالتها اقبال العليلة ..

اخذت غالية تتطلع لاناملها السارحة على الكيس في حجرها ... اظافرها مشذبة بعناية والصبغ الابيض الشفاف زادها رونقا ...

عادت لتلامس نعومة الكيس .. انه الكيس الذي سقط من يد رافد عندما التفتت اليه فاكتشفت لاحقا ان محتوى الكيس لها ...

اعطاه اليها رافد بعد ان التقطه من الارض قائلا بصوت غريب ودون ان يعاود التطلع اليها

" هذه فيتامينات لاجلك .. الصيدلاني قال انها ستفيد الشعر والاظافر تحديدا .."

شكرته بارتباك بينما تراه يتركها ويسارع الخطوات امامها فتلحق به باستغراب مما تستشعره منه...



بقلم كاردينيا

وها هو طوال الطريق يلتزم الصمت ويشعرها

باحساس غير مريح لم تشعره منه من قبل ..

وهذا الصمت الثقيل جعلها تشعر بالاختناق ...

اخذت افكارها السوداء تتجمع وتعمي

بصيرتها عن تحليل رافد بشكل صحيح ..

فسواد تلك الافكار جعلها تتوهم بعض

الاشفاق في تلك النظرات التي اشتعلت ..

ربما هو ليس غاضب منها ..

قد يكون غضبه موجها لراغب ...

اجل .. مؤكد ..

غضبه موجه لراغب الذي يهملها كثيرا ولم

يستطع تقديم امر بسيط كهذا ..

كأن يمنحها بعض الوقت ليشجعها على

الذهاب لصالون التجميل بدلا من ان .. يبالغ

في تجريحها واهانة انوثتها ... وكأنه ..

وكأنه يتلكك !

غصت بألم أكبر ...

انها ليست غبية .. هناك أمر آخر يحدث مع

راغب .. وحدسها كانثى يواصل تحذيرها

ولكنها مرهقة لتواجه الامر بنفسها وليست

لديها جرأة لتخبر رافد عما يعتريها من

شكوك منذ فترة ...

غارقة في دواماتها .. تائهة في مدارات زوجها

الغامضة .. معزولة عن مدارات الذي يجلس

جوراها متشنجا...!



مدارات رافد النارية توشك على التوسع بما لاقبل له على السيطرة عليه ...

ماذا فعل بنفسه ؟ ماذا فعل ؟!

اي جحيم مستعر يصر بغباء على ألقاء روحه فيه ؟!

بل انه لايلقي بروحه فقط بل سيسحب معه ارواح اقرب الناس اليه ...

واولهم غالية ..

سيحرقها تماما ان علمت ..

ستتحطم ان ادركت يوما ان من تعتبره أخا وحاميا ما هو الا عاشق لها حتى النخاع ...

بفرح غامر اخذت سهر تلاعب زوج الكناري ذو اللونين الاصفر والاخضر ...

لقد اشترت ثلاثة ازواج باقفاص ثلاثة منفصلة ...

لكن هذان الاثنان هما المفضلان لديها ..

الوانهما مبهجة وتجعلك تشعر بالسعادة الفورية ... انها الوان طبيعية تماما .. لادخل لصنع الانسان فيها ... وهذا اكثر ما يشدها لتلك الطيور ويبهرها ... ألوانها الخلابة التي تبهج روح الناظر اليها ....

وضعت مزيدا من الدخن وهي تغلق باب القفص الصغير ...







نفضت يديها في بعضهما البعض ثم أخذت تملس على شعرها الطويل الذي تركته على طبيعته هذا الصباح ...

تشعر بمنتهى الثقة لانها تبدو بكامل اناقتها وانوثتها ...

قميصها الوردي بكميه الطويلين بدى رائعا عليها وقد تناسب بشكل ملفت مع بنطالها الاسود الجديد ذو القصات المستعرضة ...

تبسمت وهي تميل بوجهها لتهمس للطيرين

" لاتنظرا الي هكذا .. انا احب انوثتي واحب الاعتناء بها واظهارها ، وهي لاتبخل علي باعطائي شعورا مذهلا من الثقة .."

لم تشعر بالخطوات المكتومة التي تقترب منها لتجفل بعنف لخشونة الصوت القريب من خلفها " كيف دخلت هنا ؟ من سمح لك ؟ هل هو عبد الكريم ؟ "

كانت قد التفتت اليه تواجهه وهي تبتلع ريقها من اثر اجفالها بينما تضع يدها على صدرها تتنفس بتلاحق وهي ترد بملامح مرتبكة

" اجفلتني ياسر ! نعم .. العم عبد الكريم سمح لي بعد مكالمة مع رافد .."

فيعبس ياسر في وجهها ويتساءل

" رافد ؟! "





فترد باضطراب حرج هذه المرة " هل نسيت ..

؟! لقد وظف... " قطعت جملتها وهي تتطلع لعبوسه فتنتفض كرامتها .. هي لم ترتكب اي خطأ ليعاملها كتلميذة مدرسة دخلت مقر الادارة المتشددة دون استئذان !

عبست هي الاخرى لتواجهه بصلابة

" هل نسيت ياسر ام انك ببساطة غيرت رأيك بخصوصي ؟ "

تراخى بعض عبوسه ليرد بنبرة غريبة وهو يحدق في قميصها " اولا انا لاغير رأيي بخصوصك .. ابدا .. لاافعل هذا ..."

ثم رفع عينيه لعينيها مضيفا ببعض الاستهانة المغيظة " ثانيا انا قلتها لك سابقا عملي هنا ان اتفادى الخسارات الكبرى حتى لاانفلس ..."

لن تكون سهر الاحمدي ان لم تعلمه أصول محاورة النساء فيبدو ان بضعة سنين في الغربة زادته فظاظة فقالت ببرود وهي تستعيد ثقتها بنفسها

" الا يمكنك تعلم بعض اللطف وترك فظاظتك مع نعليك عند باب غرفتك ؟ انت حتى لم تقل (صباح الخير) ! "

احنى رأسه بحركة مسرحية وهو يهمس بصوت أجش " صباح الخير ..."



ثم لمعت عيناه السوداوين عندما اضاف برقة ساخرة " انا اسير حافيا في ارجاء البيت .. هذه مجرد معلومة .. لكِ ... "

احمرت قليلا بينما يبتسم ابتسامة صغيرة قائلا بتفكه ساخر

" لامانع عندي ان تعلميني بعض ... اللطف .. سيكون امرا ممتعا ان اراك تنهارين يأسا مني.."

ردت باصرار ووجهها ما زال متوردا " لن ايأس .."

تطلع حوله يرمق اقفاص الكناري بقلة اعجاب بينما يعقد حاجبيه متسائلا

" من احضر هذه الاقفاص ؟ "

عدت حتى رقم خمسة قبل ان ترد عليه بصبر " ألم نتفق انني موظفة هنا الآن ؟ أم انك نسيت افكاري التي اعجبت رافد ..؟ "

فاجأها بعبوس جدي وهو يتساءل بحزم

" تقصدين انك اشتريت ثلاثة اقفاص مع ثلاثة ازواج كناري على حساب المطعم دون ان ترجعي الي اولا ؟ "

ارتبكت من جديته العابسة وارتباكها هذه المرة كان مختلفا .. لقد شعرت فعلا انها تسرعت هذا الصباح وهي تتوجه لسوق الطيور وتشتري ازواج الكناري ...لكنها كانت منفعلة ومتحمسة ...





قالت تعبر عن نفسها " لقد اردت .. ان ابدأ باكرا .. " ثم اضافت بلهجة دفاعية عندما ازداد عبوسه المخيف " بالله عليك ياسر ما قيمتها لتعترض عليها عابسا هكذا ؟!"

رد بنفس الجدية المربكة " كل فلس يصرف في المطعم له قيمة ويجب ان يدون في الحسابات .. ام انك نسيت دروس ادارة الاعمال يا صاحبة شهادة الماجستير ؟ .."

مررت اناملها على جبينها بينما تطلق تأففا وهي تقول بنزق " أفففففففففف ياسر .. اخصمها من راتبي المفترض عندك ولننهي هذا الجدل "

ضيق عينيه قليلا ولاحت خيبة الامل في نظراته اليها ليقول معبرا عن تلك النظرات

" كما توقعت ... هل هكذا تحل الامور سهر ؟ اي راتب تريدين ان اخصمه منك وانت لم تمض لك الا بضع ساعات في العمل ؟!! اخرجي من اطار الفتاة المترفة والتي لاتفكر من اين يأتي المال وكيف يأتي لتصرفه هي على ملابسها الانيقة.. "

فتسأله بوجوم " ماذا تقصد ؟"

ليرد بصراحة مزعجة " اقصد انك لست من عائلة فاحشة الثراء .. اعترف لعائلتك بالرقي الاجتماعي والاصالة في الجذور



واعلم انها عائلة ميسورة الحال لكن منذ رأيتك لأول مرة قبل اكثر من عشرة سنوات وانت تتصرفين وكأنك اميرة مدللة او ابنة مليارديرلاتهتم الا بما ترتدي من الملابس وما تستخدم من عطور وزينة وجه ! أكاد أجزم انك تكلفين والدك ثروة ..."

ردت بعنفوان سحره وهي تكز على اسنانها

" انا لست تافهة ياسر لاتصرف كأميرة او مدللة فاحشة الثراء كما تصفني واعتقد انك تعرفني بما يكفي لتدرك هذا عني .."

عيناه تتمليان النظر لتقاطيع وجهها .. يبدو وكأنه فخور بها لسبب لاتستطيع تحديده !

هذا الرجل مجنون ... قطعا مجنون ...!

قال بصوت مبحوح جعل قلبها ينكمش وجلدها يقشعر " انا قلت (وكأنك) .. ولم اقل انك فعلا هكذا يا وردية ... "

أسبل اهدابه وهو يضيف بنبرة عادت لسخريتها اللاذعة " لاتتهوري مرة اخرى وتحضرين طيور سخيفة كهذه "

نسيت قلبها الذي انكمش وغلبتها طفوليتها وهي تدافع عن طيورها قائلة " انها ليست سخيفة ..لاتقل عنها هكذا ابدا... "

ثم التفتت بحدة ناحية الطيور تسترضيها بهمهمات معتذرة بينما يرفع ياسر وجهه ليحدق فيها بابتسامة مستمتعة دون ان تراه ...



أخذ سهر تربت ببعض الانفعال على القفص

وهي تحدق بالكناري وتوجه الكلام لياسر

" انها طيور مذهلة .. بل انها خلابـ...آآآآآآه..."

حركة يدها المنفعلة اجفلت الطيرين

فتحركا مرفرفين بجناحيهما الصغيرين

ليثيرا بعشوائية ودون قصد حبات الدخن

فيتطاير بعضها نحو وجه سهر وشيء ما دخل

في عينها اليسرى..

سألها ياسر بقلق وهو يراها تتوجع وتدعك

عينها " هل انت بخير ؟"

فتضرب بقدمها الارض وتتصرف كطفلة

غاضبة مدللة فعلا وهي تقول بشكوى عارمة

" كله بسببك انت .. عيني آآآآآه ياسر .. شيء

ما دخل في عيني ويؤذيها من الداخل .."

اخذت تتحرك في مكانها بتخبط وهي ما

زالت تدعك عينها فتزيد الوضع سوءا ...

مباشرة امسك ياسر ذراعها وهو يقول بحزم

" اهدأي .. وتوقفي عن دعك عينك .. اثبتي

مكانك ودعيني اساعدك .."

اطاعته وهي تغمض كلتي عينيها بينما تعقد

حاجبيها وتسأله بقلق

" هلا اخرجتها ارجوك ؟ انها تؤلم ! "



ذابت ملامحه وهو يتطلع لذلك الوجه

المغمض العينين .. دمعة سالت من عينها

المصابة لتسيل على خدها مد يده المرتعشة

ليمسح الدمعة بافتتان ...

امرها بهدوء يخفي ما يعتمل داخله من عواصف

عاتية " استرخي .. "

ثم بتأن اخذ يمد اصبعه بين جفنيها ويهمس

بينما يولي تركيزه لمساعدتها

" فقط القليل وسأصل اليها .. لاتحركي

راسك .. استرخي .. اجل... ها هي .. سأخرجها

فقط امنحيني ثانية اخرى ... ها هي .. "

سألته بنفس الطفولية " هل افتح عيني

الان..؟ دوما بابا كان يخرج لي ذرات الغبار

التي تتقصدني باضطهاد ...! "

يشعر حرارته مرتفعة في اقصاها وهو يحدق

بشفتيها ليبتسم مرغما وهو يقول بصوت

مبحوح " افتحي عينيك ببطء يا مضطهدة ..

انه حبة صغيرة جدا من الدخن..."

ثم تراجع خطوة للخلف فتفتح سهر عينيها

لتحدق به وهي ترمش بصعوبة وقبل ان

تشكره قال لها بجفاء

" اذهبي واغسلي عينك بالماء البارد..."



استدار بكل جسده منهيا الحوار فلاحقت سهر خطواته وهي ما زالت تغمض عينها المصابة لتقول

" لحظة ياسر.. يجب ان نتكلم في الامور المالية الآن تحديدا .. هل يمكنني عرض كل افكاري لك الان لتقيم التكلفة حسب الميزانية .."

تمتم وهو يواصل تحركه " اغسلي عينك اولا ثم الحقي بي لمكتبي ... كحلك سال ولطخ عينك وخدك بشكل مريع كما لااريد ان تصابي بتقرحات لانك لن تكفي عن الشكوى والبكاء ..."

نفخت بتأفف مسموع لاذنيه المرهفتين لأي همسة منها لكنه لم يوقف خطواته بينما يستسلم اخيرا لاسترخاء ملامحه فيخلع القناع الساخر ويغرق عميقا في نشوة الاحساس بلمس بشرتها .. خديها ... رموش عينيها ..

أطلق انفاسا قصيرة متلاحقة ببطء حتى لايكشف ما يحدث له ..

دخل مكتبه واغلق الباب خلفه بينما يتساءل بصبر يوشك ان ينفذ منه ...

متى ؟ متى سيلمس قلبها هكذا .. ؟

يغرق فيه ومستعد ان يموت غريقا ايضا ..

للحظة .. للحظة فقط وهو يلمس ذلك الوجه اوشك ان يجن ويلتهم تلك الشفتين الورديتين ..

انها تتحداه في عقر مملكته ...

ترتدي له الوردي الفاقع بينما تجادله في كل شيء وتعترض على كل شيء ..

انفاسه تتخبط بصخبها في صدره وهو يجلس على كرسيه ليهمس بوعد لاهث

" اقسم بالله يا سهر لأنالن تلك الشفتين قريبا .. قريبا جدا برضاك او رغما عنك ... لن أكون ياسر ان لم اتزوجك خلال اقل من شهر..."

تهرب راغب من النظر في عيني امه ليتسلح بالعبوس والحنق بينما تطغى نبرة اللوم على صوته وهو يقول لها

" امي لقد ايقظتني من اجمل ساعات نومي في صبيحة يوم الجمعة لتأمريني بالحضور على وجه السرعة فامتثلت لطلبك وانا شبه مذعور من حصول امر خطير وحالما ترينني تحدقين بي بهذه النظرة الغريبة لتسألينني ماذا يحدث لك مع غالية؟!"

امسكت امه ساعده تمنعه الابتعاد عنها عندما حاول لتأمره بصرامة

" انظر في عيني يا ولد واخبرني الحقيقة "



لكنه واصل تهربه وهو يمرر يده في شعره الاشقر بنزق شديد صارخا بنبرة وقحة

" امي انا لم اعد ولدا! انا رجل في السادسة والعشرين .."

للحظة أجفل وصوت امه يأتيه جافا قاسيا بينما تزجره " لاتصرخ في وجهي .."

ابتلع راغب ريقه وهو ينكس رأسه ويقول

" آسف .."

كانت تعرفه ... لم ينكس رأسه للمحة ادب متأخرة .. انما فعلها ليهرب !

لكنها لن تمنحه فرصة الهرب .. ليس قبل ان تعرف وتراها في عينيه ...

قالت له بنفس القسوة

" انظر في عيني راغب .."

اقلقتها انفاسه المتسارعة ... انه مذنب !

هكذا كانت تكتشفه عندما كان صغيرا ..

فلا تفعل الا ان تطمئنه ان لايخشى العقاب ..

هل اطعمت دون ان تدري وحش ابيه المتربص بجيناته ؟!

تمتم راغب ردا على طلبها " لااريد ..."

آثرت بعض اللين لتلين عناده بينما داخلها يغلي بالذكريات المرة ..

سألته بهدوء " ماذا هناك بنيّ ؟ هل .. غالية تزعجك في شيء ربما ؟ "



تنهد بعمق فعقدت حاجبيها وهي تسأله بحدة

أفلتت منها " لماذا تتنهد هكذا ثم تلتزم الصمت ؟! اجبني فقط .. "

لم يبدِ اي استجابة حتى رأسه لم يرفعه اليها...

تماسكت تدفع ذكرياتها المرة بعيدا لتواجهه بالقول " هل تعلم كم ليلة باتت فيها غالية عندنا خلال الشهر المنصرم ؟ ثماني مرات او ربما تسعة ! هل تراه امرا طبيعيا ..؟ "

رد بنبرة غريبة وهو ما زال يأبى مواجهتها بعينيه " لا .. ليس طبيعي .."

ثم اضاف بنفس النبرة

" ربما انا من لست طبيعيا ! "

خفق قلبها بقوة فشعرت فجأة بالاختناق فهمست تخفي جزعها

" مِمَ تشكو .. ؟ صارحني ..."

اخذ يمسح على صدره بحركات عنيفة ويقول " اشعر بثقل يجثم على صدري .. اشعر اني .. تعجلت في كل شيء ولم امنح نفسي فرصة .."

الاختناق تحول لألم فعلي في قلب الام لكنها قاومته بل حاربته كما تحارب بضراوة شياطين تلك الوساوس المريرة فسألت بهدوء ظاهري " تعجلت في الانجاب مثلا ؟"





هتف وهو يرفع وجهه اخيرا " ليس الانجاب فقط .. بل حتى .. في الزواج .."

اتسعت عينا الام بلا تصديق وهي تحدق بتلك النيران الثائرة المألوفة التي رأتها يوما في عينين شبيهتين بعيني راغب فتهمس باسمه تنكرها " راغب ! "

حجب راغب عينيه مرة اخرى وهو يطرق برأسه ليقول بتنهيدة طويلة " امي انظري الي انا ما زلت في السادسة والعشرين وقضيت مراهقتي وشبابي مع غالية الى درجة اشعر اني معها ... منذ قروووون .."

كانت ما تزال تنكر .. ومن يلومها ؟

مستحيل .. ليس مرة اخرى ..

مؤكد الامر لن يتكرر ..

تحشرج صوت اقبال وهي تقول بتصميم وعناد " انت احببتها .. لقد اردتها زوجة وحبيبة منذ بلغت السادسة عشرة .. لم يكن زواجكما تقليديا .. "

فيرد ببرود وبكلمة واحدة يتيمة " نعم .."

فتمسك ذراعه وتهزه متسائلة بحنق

" ماذا تعني هذه الـ(نعم) ؟"

تمتم راغب بهمس مريب النبرة

" سامحيني امي .."



كانت تسمع صوت دخول السيارة في المرآب

لكنها كانت مشوشة جدا ولايعلم الا اللّه بما

تشعره و.. ترفضه ..

فلا قِبل لها على مواجهته والاعتراف به ...

خرجت الكلمات تائهة على شفتيها

" اسامحك على ماذا بالضبط ؟"

ارتفع صوت غالية حالما فتحت الباب وهي

تقول بخجل " مرحبا ..."

التفتت الام مع راغب ليحدق الاثنان بانبهار

ومفاجأة وبينما انخرست الام للحظة عبّر راغب

بلفظ اسمها وبنبرة تفيض اعجابا وكأنّ كل

ما قاله قبل ثوان لم يكن ! " غالية .."

تمالكت الام نفسها وهي ترى راغب يتقدم

نحو غالية يحيط خصرها بكفيه بينما

يتفجر وجه الفتاة فرحا مترددا بعض الشيء

فتقول الام وهي تدفع تخبطاتها الموجعة

جانيا " حبيبتي تبدين اية في الجمال .."

خيال رافد لم يشعر به احد بينما يقول بنبرة

تفيض تشنجا وقسوة

" مرحبا .... راغب .."



الفصل الخامس

خيال رافد لم يشعر به احد بينما يقول بنبرة تفيض تشنجا وقسوة " مرحبا راغب .."

لم يرد راغب وقد بدى منشغلا بزوجته .. بطلّتها الجديدة ... فمال بوجهه دون حياء ليطبع قبلة طويلة على خدها فتنهره الام بمزاح ظاهري

" تحشم يا ولد ! "

ضحكت غالية بتردد وهي تحاول ابعاد كفيّ راغب عنها خجلا من وجود خالتها ورافد وارتباكا من الموقف برمته ليهمس لها راغب بصوت مسموع للجميع وهو يميل لخدها مرة اخرى " هل اختطفتك الجنية الطيبة ؟"

حاولت صده وهي تعض شفتها السلفى وتقول ببشاشة مرتبكة " بل اختطفني رافد .. هو من أصر على أخذي الى صالون التجميل .."

تطلع راغب للحظة واحدة نحو اخيه ثم عاد لزوجته قائلا بعينين لامعتين رغبة واضحة فيها " دوما كان هو (جنيتك الطيبة) التي تحقق لك كل ما تريدين .."

هذه المرة تمادى راغب وهو يميل ليقبل عنقها ويضمها لصدره بقوة عندها دفعت الام كتفيه بتوتر وما زالت تصبغ على كلماتها المزاح بينما تقول



" قلت لك تحشم ! الا تخجل ان تعانقها هكذا امامي وامام اخيك هكذا..؟!"

رد راغب بجذل وبعض الغرابة " اعذريني اماه انها تبدو كسندريلا ليلة الحفل لااجد صبرا والسحر قد يتلاشى عند منتصف الليل ..!"

كانت الام تعاني تشتتا بينما تلتفت الى بكرها تنشد عفويا دعمه ، وكأنها تريد منه تفسيرا يؤكد او ينفي ما تشعر به وتتوجسه من خلف كلمات راغب ...

تبرز عينا رافد بجمود ظاهري لينطلق صوته بنبرة لاتوصف ويصعب التكهن بطبيعتها وهو يقول " امي .. سأخرج مرة اخرى .. لن استطيع تناول الغداء معكم.."

تملكت اقبال الدهشة من حال رافد هذه المرة ...!

هل ارتعش صوته ام خيل لها ؟

هل عيناه حمراوان جدا ام انهما بطبيعتهما المعتادة ؟

جسده .. جسده في اشد التوتر وكأنه سينفجر !

لم يكن ينظر لاحد على وجه الخصوص .. عيناه جامدتان في تحديد هدفهما فيزيد الام تشتتا ما بين مراقبة راغب وما بين تفسير تجهم رافد وانسحابه من الغداء على غير المتوقع !



حاولت الام تمالك نفسها وركزت على بكرها تاركة الصغير راغب لاه مع زوجته يدغدغها ويداعبها وهي تضحك بخفر وتبعد يده باستحياء متوتر ...

سألت الام وهي تدنو من رافد بقلق " هل هناك مشاكل بالعمل بني ؟ كنت تنوي الغداء معنا وسمعتك تحدث ياسر انك ستتأخر للعصر ..."

تمتم رافد وهو يطرق برأسه

" أجل .. بعض المشاكل فقط .. لاتقلقي ..."

ضحكة ارتفعت من غالية فبرزت حدة واضحة في صوت رافد وهو يضيف لأمه

" سأرحل الآن ...ليس لدي وقت... ياسر ينتظرني منذ فترة .."

ما زالت الام مشوشة فضلت الاهتمام حاليا بمشكلة راغب وستفهم من رافد ما يحدث في عمله لاحقا ...

عند الباب تلاحقه خطوات امه المودعة وتمتماتها بالدعوات الصالحة ...

سأل رافد قبل ان يخطو للخارج " اين لولو ؟"

فترد الأم وقلبها يذوب لقلب ولدها وسندها الذي لاينسى احدا من صلة رحمه

" انها نائمة بني ..."







هزّ راسه ومضى بخطواته مغادرا كما أتى ...

لم تعرف الام ... ان آخر ما سيفعله رافد هو الذهاب لعمله ...

فما يضطرم الآن في احشائه جنوني ... جنوني وسيبحث عن اي مخدر عاجل ليسكن هذا الجنون قبل ان يفلت من عقاله المتضعضع اصلا ويحطم كل شيء ... كل....شيء !

تطلعت الام لابنها الاخر وهو ما زال يستمتع بزوجته فاوجعها قلبها وهي تفكر ان راغب لم يسأل عن ابنته ..

ولا لمرة واحدة منذ حضوره ...

فكر ياسر كم من الممتع ان يطول شعرها هكذا ...

ايام الجامعة كان قصيرا ويليق بوجهها فيجعلها كقطة مشاغبة حلوة ...

اما الآن وهي تميل بجذعها النحيل نحوه تشرح له افكارها غير متنبهة لشعرها الذي يتدلى حتى يكاد يلامس خده فمؤكد هو ممتن لقرارها بتطويله ...

ربما عندما تصبح له قد يلاحقها بالطلب لتعود بشعر قصير فيجد متعة ملامسته قرب بشرتها مباشرة كما حلم دوما ان يفعل ...



تطلع بطرف خفيّ لفكها الذي يشتاق فمه للثمه فيهمس بحرارة محدثا نفسه " ماذا سيحدث ان سحبتها الان ومددتها امامي على سطح مكتبي ولن أخلي سبيلها حتى أنالها بالقوة .. ولا شيء غير القوة سيطفئ نار التوق اليها .. ترى هل ستتفهم جنوني ؟ هل ستتفهم حاجتي المميتة اليها ..؟ "

صوتها بدى منفعلا وهي تستعدل بجذعها وتتخصر قائلة باعتراض انثوي صارم " ياسر ! انت تكاد تغمض عينيك .. هل ستغفو ام ماذا ؟!! قد يكون كلامي مملا لك لكنه عمل ويجب ان تركز بما اقول ، الا يفترض ان تكون بذهن حسابي متيقظ لنقرر الامور المالية للاضافات التي اريدها ؟ "

رفع ياسر ملامح متسلية ساخرة بعض الشيء وهو يرد عليها بتفكه " لاتجيدين قراءة افكاري .. كالمعتاد ..."

عبست وهي تتساءل بينما تتلاعب بقلمها

" ماذا تقصد ؟!"

فيرد بخشونة " لايهم ما اقصد .. المهم ان كل ما عليك الآن هو شرح افكارك ومتطلباتها وفي النهاية سأختصر وأعدل بما يضمن قلة الخسائر ..."

اطلقت صوتا مغتاظا لتميل قليلا وهي تستند بكفها على حافة مكتبه وتقول من بين اسنانها " توقف عن محاولة احباطي واعتباري مصدرا للخسائر .. "



حدق في عينيها الغاضبتين وابتسامته الساخرة لاتفارق فمه لكنه لم يخفِ اعجابه باصرارها وهي تقول بترفع جذاب

" انا على قدر المسؤولية مهما تخيلتني مدللة تافهة .. انت صاحب عمل حر ومؤكد تعرف ان الاعمال هي من تتكلم وليس الظنون المسبقة المجحفة ..."

اتسعت ابتسامته الساخرة ليتراجع للخلف في كرسيه يتطلع اليها باستهانة مستفزة فيقول ببطء وهو يشير لشروحاتها التي كتبتها على الاوراق امامه

" هل تسمين هذه ... الخرابيش الطفولية عمل محترفين يستحق مني كامل التركيز ؟!

كل ما كتبته مجرد لعبة اطفال بالنسبة لي.. اتساءل هل هذا ما تعلمته في قسم ادارة الاعمال ام ان الدراسات العليا اصابتك بنوع من الجمود والتبلد فلم تعودي تميزي كيفية دراسة المتطلبات وتكلفتها بشكل علمي وعملي ؟"

احمرت وجنتاها فانزلت نظراتها تحدق بكلماتها المدونة بشكل عشوائي على الورقة ...

شعرت بالحرارة تشع من اذنيها اللتين اخذتا تطنان ....

ابتلعت ريقها وهي تعتصر القلم في يدها من شدة الاحراج ...



لماذا يثبط عزيمتها هكذا ؟!

لماذا لايحاول ان يكون لطيفا قليلا وهو يشرح لها طريقة العمل الصحيحة ...؟

هل يسعى لان يجعلها تفر من العمل منذ اول يوم ليتشفى فيها ؟!

لن يحصل ... واللّه لن يحصل ...

ولن تنوله اذلالها بطفولية هكذا !

إنه هو الطفولي المزعج الكريه وليست عملها الاول الذي قدمته له ....

بكل برود ظاهري ارخت عضلاتها بارادة من حديدة والبست وجهها قناعا باردا بل تمادت لتبتسم وهي تمد يديها الانيقتين وتلملم الاوراق لتقول بحلاوة بينما تحدق مباشرة في عينيه

" معك حق ياسر .. اعتذر .. سأعيد ترتيب الامور بشكل اكثر تنظيما و .. احترافية ... وغدا صباحا سيكون على نفس هذا المكتب ما تريد وبالكيفية التي تريدها ..."

للحظة اشتعلت عيناه وهو يهمس بصوت مبحوح " ليتك حقا تفعلين وتضعين ما اريد على مكتبي وبالكيفية التي اريدها ... ستفاجئيني حقا ان فعلتِ .."

لماذا تشعر انه يعني امرا آخر ؟!!





رمشت بعينيها للحظة وهو تواجه عينيه الداكنتين فاضاف ياسر " يليق بك هذا الوردي .. وكأنه خلق لاجلك "

تطلعت بتماسك اليه تسأله بما تستشعره منه

" هل هذا تغزل يا ياسر ؟"

يهز كتفيه بينما ترتعش عضلة في وجهه قبل ان يرد بوقاحة

" ولم لا ؟ انت تتقبلين الغزل بروح رياضية عالية ! تتقبلينه من رافد بفرح عارم وتبحثين عن تغزل مماثل في عيني سعد .."

تبتسم بجذل وهي ترد شعرها للخلف تسأله برقة مستفزة

" هل تغار ؟ "

غامت عيناه وهو يرد بنبرة غريبة لم تفهمها

" احذري اسئلة كهذه يا سهر فجوابها ربما سيصدمك "

ابتعدت خطوة للخلف باحساس غريزي ثم قالت بنبرة خافتة وهي تتجاهل تعابيره وكلماته

" سأذهب لأكلم مسؤول الطباخين لاتفق معه على قائمة الافطار "

ابتسم باسلوبه الساخر المغيظ رغم عودة الدفء لعينيه فغادرت سهر وهي تتوعده بمفاجأته ...





بعد منتصف الليل ...

نصف مستلق على سريره بينما يقرأ في بعض الحسابات المالية للمطعم ويضع تكهنات مبدئية متوقعة لافكار سهر ...

ابتسم وهو يعيد رأسه للخلف ملقيا الاوراق جانبا ومريحا رأسه على مخدته ...

دخول سهر هكذا لحياته يجعله يشعر انه حي... حي ويتنشق الهواء بعد طول اختناق ...

تلك المغرورة تحتل قلبه من سنوات ولن يبخل على قلبه بامتلاكها بعد كل ما عاناه ....

رن هاتفه النقال فمد يده جانبا ليلتقطه من فوق منضدته الجانبية ...

تفاجأ قليلا مع بعض الشعور بالغيظ وهو يرى اسم رافد ...

هذا الفتى يصيبه بالجنون .. لقد اختفى طيلة النهار وعندما اتصل به لم يرد بل اكتفى بارسال رسالة نصية موجزة انه مشغول جدا بأمر مهم ولن يحضر ابدا وقد أكد عليه اذا اتصلت امه ان يطمئنها انه مشغول بالعمل ...

فتح الخط وهو يكاد يهدر به متوقعا انه قضى يومه بصحبة احداهن فقال عاقد الجبين

" اخيرا تذكرت شريكك بعد مغامراتك العاطفية ليوم كامل ! سعد توعدك بفرك رأسك حالما يراك لانه حضر خصيصا ليتناول معنا الغداء سوية "





بعد موجة التهديدات والتوبيخات التي اطلقها ياسر تفاجئ بصوت رافد يأتيه بنبرة مقلقة غير طبيعية على الاطلاق

" يا... سر ... ماذا ... تفعل الان ؟"

رد ياسر وهو يتوتر قلقا " انا اراجع الحسابات .. انت ماذا تفعل .. صوتك غريب ..! "

بدى كلام رافد ممطوطا بشكل غير معتاد منه وهو يرد بحشرجة

" انا اقف ...على باب بيتك ..."

تحرك ياسر تاركا سريره متجها ناحية شباك غرفته وهو يقول بقلق متصاعد

" انها الثانية بعد منتصف الليل ..! لماذا لست في بيتك ..؟ "

رآه فعلا عبر الشباك يقف عند باب المرآب وهو يتمايل مع الهواء ليصله صوت رافد مثقلا بالسخرية المريرة " تعال يا صديقي قبل ان اثير فزع جيرانك بصياحي .."

هذه المرة سارع ياسر ليغادر غرفته وهو يكلم رافد بحزم " ماذا جرى ؟! انا قادم اليك .. لاتفتعل الفضائح ... انتظرني ..."

ضحك عاليا بينما ياسر يغلق هاتفه على عجل ..





فتح ياسر باب المرآب لينظر لرافد بعينين مصدومتين !

كان شعره مشعثا بجنون وعيناه حمراوين بشكل مخيف وفمه متراخيا بابتسامة مريعة تفيض مرارة .. قميصه نصفه خارج بنطاله وازراره مفتوحة حتى اسفل صدره .. بنطاله نفسه كان متربا بشكل ملحوظ ..

تقدم اليه يمسكه من كتفيه ويهزه متسائلا

" ما بك ؟! هل دخلت في شجار ؟ هل شربت شيئا ؟ قل لي رافد ..."

همس رافد بعينين غائمتين تلمعان كمن هو مصاب بالحمى " ليتني اجد شرابا يشفيني او اجد من اضربه فافرغ فيه جحيمي ..."

ثم أخذ يضحك بجنون وهو يضيف " تنفع مقدمة اغنية شعبية هابطة !"

عقد ياسر حاجبيه ودون تردد تقرب منه يتشممه فتأكد انه ليس بمخمور مما اقلقه اكثر ...

اخذ ياسر يهزه بقوة وهو يكلمه بثبات

" تماسك رافد .. هل تناولت مخدرا ؟ لم أرك يوما بهذا الحال .."

لم يحصل الا على هزة نفي من رأس رافد ..

ظل ياسر يحدق في وجه صديقه .. وجهه غريب ونبرة صوته اكثر غرابة وكأنه يهلوس ... جبينه يتصبب عرقا رغم برودة الليل ! يا الهي ماذا يحصل معه ؟!



فاضت عينا رافد بألم مبرح لم يستعص على ياسر الاحساس به وقد صدم من كمية الألم تلك ليقول رافد بنبرة مختنقة

" مضى زمن لم نسبح في النهر .. تعال لنسبح الان .. الا تريد ان تغلبني في عبوره مرة اخرى ايها السباح الهادر ؟؟"

رد ياسر باستهجان للفكرة خاصة مع حالة رافد هذه " الآن ؟! في الليل والمياه باردة ؟! "

مال رافد برأسه ليستند بجبينه على كتف ياسر ويهمس باحتراق " وهو المطلوب .. انها النار .. النار تسري في كل جسدي وتمنعني الحياة نفسها .. لحمي ينسلخ عن عظمي والألم عظيم .. عظيم يا صديقي .."

سأله ياسر بالحاح مصدوم " رافد ! ... اخبرني ماذا يحصل معك .. انت منهار ! "

يتقطع صوته وكأن قلبه يتقطع معه وهو يرد على ياسر هامسا بحشرجة " احتاج ان اطفئها.. احتاج .. اطفئها الليلة فقط ... الليلة ليست كالاخريات ...و لاتسألني ...ياسر ... فقط ساعدني.. فقط الليلة احتاج .. مساعدة احدهم .. سأموت ان لم اطفئها .."

عندها قرر ياسر رفع رافد من كتفيه ونظر في عينيه بابتسامة ليقول بتهور " تبا للمياه الباردة ... فلنذهب ونسبح فيها ونشعلها ..."

للحظة تجمدت نظرات رافد فقالت بصوت مبحوح " لن تسأل يا صديقي ...؟"



شد ياسر على كتفيّ رافد وأكد له بوعد قاطع " لن اسأل ابدا .. انت تعرفني جلف ولا يسأل عن مشاعر الاخرين .."

ليضيف بوعد من نوع آخر " لكن هذا الجلف موجود دائما عندما تحتاجه.. وسأكون معك مهما كانت الاسباب او ... النتائج ... "

يحدق فيها في نومها وتلك الابتسامة السارحة العالقة على شفتيها ..

لقد كانت ليلتهما صاخبة .. يعترف بهذا .. ذكرته بليلة العرس ...

لكن .. هل يكفي ؟!

ها قد عاد للواقع الذي بات ثقيلا عليه ولم يعد يحتمله ...

رافد وامه يعملان المستحيل لانعاش هذا الزواج لكنهما لايعلمان انه هو وحده من يحتاج الانعاش !

لقد طال الوقت ... طال كثيرا ..

وكلما مر يوم جديد شعر بمزيد من الغضب لحاله ...

تمتم راغب بقسوة وه يحدق في غالية الغافلة

" سامحيني غالية ... سامحيني .. لم اعد استطيع التحمل ... "



بعد بضعة ايام ..

يحدق في الاوراق التي استحصلها للتو من قسم شؤون الطلبة في الجامعة ..

اوراق ستفيده في تسجيل مكتب الصرافه كشركة ذات نشاط محدود ..

واذا حصل ودخلت تلك الشركة الضخمة المعروفة كمساهم فعال سيزدهر عمله بشكل غير عادي ...

أخذ سعد يتأكد من الاختام وصحة الصدور والتواريخ .. طبيعة دقيقة فيه ليتأكد من كل شيء على أتم وجه ..

غادر غرفة الموظف المختص يسير في الممر الطويل نسبيا ناحية باب المبنى الخاص في هذا الركن من الجامعة ..

كان يتبسم عفويا وهو يطالع بعض الطلبة والطالبات ويستعيد احساسه الجميل لتلك الايام الحلوة المميزة ..حيث تبدو الاحلام اكثر وضوحا واسهل تحقيقا بفورة الشباب وقلة الخبرة بالحياة التي تذلل من قيمة الصعاب المتوقعة !

عند باب المبنى المؤلف من طابقين فقط وبينما هو يخرج تشابك طريقه مع فتاة كستنائية الشعر متوسطة القامة كانت تدخل للتو .. فتصادما للحظات عندما ابتعد عنها برشاقة وهو يعتذر ...





تحرك يمينا فتحركت هي الاخرى الى اليمين اعتذر وهو يتحرك يسارا لتتحرك بنفس الوقت ناحية اليسار...

تطلع لوجنتيها اللتين احمرتا حرجا لترفع عينيها الواسعتين اليه تعتذر برقة " اسفة .."

فمنحها ابتسامة عريضة وهو يتنحى جانبا تماما بحركة رجولية فيشير بذراعه ويقول

" تفضلي آنستي .. الطريق كله لك .. "

ازداد احمرار وجهها والتمعت عيناها النرجسيتين بتأثر واضح به .. لتتعلثم بالشكر وهي تشد محاضراتها لصدرها وتسارع بخطواتها المتعثرة ...

من المريح رؤية نماذج فتيات ما زلن يحتفظن بحيائهن ...

لاحظ عند خروجه بضعة فتيات اخر نظرن اليه باعجاب واضح صريح وعيونهن تبرق ...

اطرق براسه وهو يكاد يضحك سخرية ليقول في سره " حسن علي ان اعترف .. الحياء اصبح عملة نادرة في ايامنا هذه ! "

واصل سيره مغادرا المبنى الصغير ومتوجها ناحية البوابة الرئيسية للجامعة ..

افكاره متداخلة مع بعضها منذ ايام ..

رغم ان عمله بدأ يستقر وجاره السيد مهيب ساعده كثيرا بارسال الزبائن له الا انه يشعر حقا ان ذهنه غير صافٍ ...



وربما قلبه من يحتاج للصفاء ليختار وليفته ..

فيريح امه ويريح نفسه ...

انه ليس غبي كي لايدرك تأثيره على الجنس الناعم ..

يعلم ان طريقته العفوية في التصرف معهن محببة لهن وهذا يسعده لانه يقدر رقة بنات حواء واحتياجهن للاحتواء ...

اذن لماذا لايختار واحدة منهن بدلا من الدخول في معمعة تلك المتوحشة ؟!

لماذا تسيطر عليه فكرة انها وليفته ؟!

هي فتاة ابعد ما تكون عن مواصفات الزوجة التي يحتاجها كشريكة عمر له ..

انها مثلا لاتشبه جدايل في شيء وقد جذبته جدايل لفترة ما بين ميل عاطفي نحوها واعجاب بروحها القوية الدافئة ...

اذن لماذا جودا ؟!

انه لايكف عن التفكير بها ...

ويحتفظ كمراهق غر بعقب السيجارة منها ..

يتطلع اليه احيانا وهو مستلق على سريره ليلا..

زفر بضيق وهو يعبر بوابة الجامعة بينما يواصل افكاره...

لماذا لايختار فتاة عادية كنرجسية العينين التي تصادم معها قبل قليل ؟



هناك شيء ربطه بجودا .. تلك الغريبة الاطوار .. الصارخة بنداءات الحاجة !

طوى الاوراق في يده وتحرك على الرصيف المحاذي لسور الجامعة حتى يصل سيارته المركونة في مكان بعيد نسبيا عن البوابة..

بضع خطوات عندما تفاجأ بما يراه عن بعد ...

لم يصدق عيناه بينما تتباطأ خطواته وهو يلمح تلك المتشحة بالسواد فيميز قدها المغري من بعد امتار ....

بنطال جينز اسود وسترة جلدية سوداء وشعر حالك كالليل بخصل ملتوية مرفوع بذيل حصان حر الحركة ...

عبس سعد وهو يراها تدخن بوقاحة بينما تتطلع لشاب امامها يبادلها النظر بعينين غاضبتين وحاجبين معقودين ...!

تسارعت خطوات سعد بحدس ينبؤه بأمر غير مريح سيحدث ...

كان في منتصف المسافة اليها عندما هاله ان يرى ذراع ذلك الشاب الغاضب تمتد نحوها لتلتف اصابعها حول ذراعها وتشدها اليه ..

تفاعل غضب هادر في سعد وضاعف سرعته حتى كاد يهرول بينما يعلو صوت جودا بعنف ليصله واضحا وهي تهدر في الشاب وتحاول نزع ذراعها منه " دعني قتيبة .. اترك ذراعي هل جننت .. لااريد الذهاب معك لاي مكان .."



سقطت سيجارتها اللعينة ارضا بينما يشدها المدعو قتيبة يلتهمها بنظرات مجنونة هادرا بنبرة مشحونة مقلقة " لقد لوعتني بما فيه الكفاية .. تعالي والا ... آآآآآآآه .."

في لحظة كانت ذراع قتيبة ملوية بيد واحدة من سعد وقد اجبره اجبارا على اطلاق جودا ...

شهقت جودا رغما عنها بينما يدفع سعد المدعو قتيبة خطوة واسعة للخلف ...

صرخ قتيبة وهو يتقدم نحو سعد مهددا

" ابتعد ولاتدخل .."

كانت جودا قد تراجعت خلف ظهر سعد العريض بينما سعد يلوي ذراع قتيبة التي امتدت له بنفس الطريقة وبتحكم فريد ليدفعه للخلف مرة اخرى وبمنتهى الهدوء والصلابة قال له

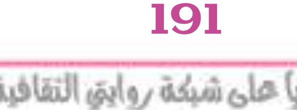
" لاتجبرني على ايذائك.. واياك ان تلمس جودا مرة اخرى .."

اتسعت عينا الشاب والذي يبدو في من عمر جودا ثم عاد وتشوهت ملامحه الوسيمة بغضب مجنون

" من انت ؟! صديق قديم ام ربما ... جديد ؟ "

تمتم سعد من بين اسنانه

" انقذ نفسك وغادر ..."



لكن الشاب بدى موجوعا وهو يصرخ فيه بانتقام" انها مجرد فتاة رخيصة و....آآآآآآآآآآآآآآآآ"

لكمة على وجهه طرحته ارضا لتبدأ جودا بصراخها الشاتم لقتيبة وقد بدأ الناس يتجمعون حولهم ومنهم من يحاول تهدئة الوضع ..

صرخة حاسمة من سعد اخرست جودا

" اغلقي فمك فورا ..."

كان الشاب ينهض وهو ينفض ملابسه ويتوعد بالانتقام لينسحب وقد ادرك ببساطة عدم قدرته على مواجهة سعد ...

تفرق الناس بينما سعد يتطلع لجودا التي تعضعض شفتيها بارتباك ...

ثم فجأة عبست وهي تنظر لسعد وتقول بغيظ

" لاتحدق بي هكذا كما يفعل ياسر ! لست مسؤولة اذا كان هذا الاحمق يظن نفسه لايقاوم ! "

ثم شمخت بعنفوان ونظرة غريبة في عينيها البلورتين المحاطتين بكحل اسود لتقول بوقاحة فجة

" ما ذنبي ان كان الكل يقع في غرامي بجنون؟؟ انهم يلهثون كالكلاب من حولي يظنون انهم قادرين على نهشي ...! ما ذنبي ان كانوا يريدون ما لا اريد اعطاءه؟! "



بهدوء شديد اخذ سعد يحدق في تلك العينين اولا بكل الجموح والصرخات المتوالية المنطلقة منهما ..

يحددهما ذلك الكحل الاسود الثقيل وبطريقة ما اضاف سحرا موجعا لأي رجل يملك دماء تجري في عروقه ...

بشرتها البيضاء الناصعة التي لاتشوبها شائبة اصطبجت تحت اشعة شمس الظهيرة والملابس السوداء جعلتها اكثر توهجا وبروزا ...

شفتاها المكتنزتان صبغتهما بالاحمر الناري المستفز ولتضيف مزيدا من البهرجة بذلك الحلق ذو الفص الاسود اللامع في جانب انفها الصغير ...

عدا الحلقان الدائريان الضخمان في اذنيها ...

كلها عبارة عن كتلة استفزاز ...

رغم ابتذال هيئتها الا انها مغرية بشكل سافر...

تمتم سعد مكررا جملتها الاخيرة بتساؤل

" يريدون ما لاتريدين اعطاءه ؟! لكنك تعرضينه مع كل الاعلانات اللازمة فلا تلومي لهاث المشترين وتجمعهم حولك كما يتجمع الذباب حول قطعة طعام مرمية في عرض الشارع ..."



اتسعت عينا جودا بصدمة لتقول بارتعاش الاهانة " انت وقح ! وسأخبر ياسر عن كل تجاوزك معي .. رافد لم يكلمني يوما هكذا.. من تحسب نفسك .. ها ؟ "

ابتسم سعد واشعة الشمس تنعكس على اسنانه البيضاء فيقول بصوت مبحوح

" اولا انت لم تخربشي وجه رافد يوما كما فعلت بي ... وثانيا انصحك قبل ان تتوجهي له شاكية كالاطفال ان تمسحي كحلك السخيف وتنزعي عن انفك هذا الحلق المضحك حتى يكون تأثيرك على ياسر افضل وانت تخبرينه بكل ما حصل للتو .. من أوله حتى .. آخره ..."

فارت الدماء في عروقها وبتهور احمق وغيظ متفجر دفعها لترفع يدها في لحظة وتصفعه على وجهه !

توهجت عيناه للحظة سريعة خاطفة ثم سرعان ما هفت الاشتعال ليتحول لهدوء تام حطم الباقي من اعصابها ..

انه لم يحاول حتى رفع يده ليمنعها .. ولديها حدس أكيد بأنه كان قادرا على فعلها ببساطة قبل ان تلمس يدها خده ..

اخذت تلهث وهي تضم يدها التي صفعته لصدرها وتحدق فيه بارتعاب غريب بينما هو يبتسم ... فقط يبتسم بطريقة بهرتها ..



همس اخيرا برقة ذائبة

" آخر ما اردته ان امنحك شعورا بالاهانة ..

اردت فقط ان اريك ما ترفضين رؤيته .. كما ترفضين رؤية اخاك الذي يفعل المستحيل لانتشالك قبل ان تقعي ارضا وتخسري كل شيء .. هل تتصورين حالك ان استمريت هكذا كيف سيكون بعد عشر سنوات ... عشرين سنة ؟! من سيكون الخاسر الوحيد جودا ؟ من...؟ يؤسفني فتاة مثلك بكل ما حباها الله به من نعم فتتنكر لها وترفسها بل وتتنمرد عليها بهذه الطريقة .. "

كانت ما تزال تلهث وهي تحدق في عينيه القويتين بينما هو يرسل لها تلك الابتسامات التي تلامس احساسا شديد الرقة والغرابة في اعماقها ...

استدار بجسده العضلي المهيب ورفع ذراعه ليلوح لسيارة اجرة وحالما توقف السائق التفت اليها سعد يسالها بمداعبة محببة

" انت عائدة للبيت صغيرتي اليس كذلك ؟"

عبست وما زال داخلها ينتفض لترد بهمس عنيف " لاتناديني صغيرتي .. من انت لتناديني صغيرة ؟!! كما اني قادرة على ايقاف سيارة اجرة فلم يكن هناك داعي لهذا الاستعراض الرجولي للشهامة ..."





شمخت وهي تتجاوزه بينما تصلها صوت ضحكاته الخافته لتفتح باب المقعد الخلفي بينما يهمس لها سعد

" تصرفي كالكبار وسيسرني جدا واكثر مما تخيلين بأن اعاملك مثلهم .. الى اللقاء يا .. صغيرة ..."

زمجرت بصوت مغتاظ بينما تصعد للمقعد وسعد يكلم السائق بمودة يطلب منه ايصال قريبته لبيتها بأمان ...

فجر الجمعة ...

تشققت ظلمة الليل الطويل فانبلج الفجر على استحياء..

عاري الصدر حافي القدمين لايرتدي الا ذلك البنطال البيتي المخطط يقف رافد قرب الشباك العريض للمطبخ مطلا على المرآب محدقا بذلك الباب الابيض الحديدي الخارجي المغلق وكأنه باب يصد نيرانه التي لا تهدأ الا لتعود فتتأجج بضحكات شامتة وتقتات على حطب عشقه المحرم ...

اسبوع مر على ذلك اليوم الذي تحطم فيه ادرعته المتينة امامها ... فهرب !

اسبوع وهو هارب من كل شيء ..

حتى من امه التي بدت غارقة في افكارها هي الاخرى بينما غابت اخبار راغب وغالية .. فلا هو سأل ولا أمه ابدت خطوة جديدة نحوهما ...

مضت الايام بحجيم بارد يلهي نفسه بمناوشات ياسر وسهر ومشاحناتهما المستمرة التي ستنتهي مؤكد بانفجار ناري بينما يراقب بذهن لاه تصرفات سعد واسئلته المستمرة الخفية عن جودا ...

صديقاه يسبحان في بحور العشق كما يبدو ..

احدهما غارق في العمق منذ سنوات والثاني يغرق دون ان يدري ...

وهو ... رافد .. الغارق الاول .. غارق حتى القاع!

غارق منذ مراهقته ...

غارق في عشق لن يكون له يوما بنيان حي ...

ماذا ينتظره بعد ؟

بل كيف سيستمر هكذا دون ان يفقد عقله تماما ..

الشهران الاخيران كانا معذبين بما يكفيه العمر كله ... معذبين بشكل ... فوق الاحتمال .. فوق الوصف .. فوق قدرة البشر ...

كثرة تواجد غالية قريبة منه اصبح يقتله ببطء ...





بل بات يشعره بالاشمئزاز من نفسه وهو يذوب عشقا فيها !

انها تعمي قلبه عن رؤية اي امرأة مهما كانت...

والقلب راض .. يا الهي كل هذا العذاب وهو راض ولايريد لغير غالية ان تكون مليكة متوجة على عرشه ...

ماذ بيده ان يفعل ...؟!!

هل يرحل بمفرده بعيدا تاركا امه لتتحطم ؟!

ام يحاول مرة اخرى اقناعها ان تهاجر معه ؟!

قبل عام واحد عندما تجرأ وفعلها ظلت امه لاسبوع كامل لاتكلمه ...

رغم انه اخبرها انها مجرد فكرة سخيفة غير جدية الا انها كانت تعاني بشدة لمجرد تفكيره بالامر ..

جعلته يشعر بالذنب الفظيع لانه قلّب عليها مواجع هجر ابيه لها ورحلته الى المجهول ...

انها ترتعب من السفر .. ترتعب ان تهجر بيتها .. تموت من فكرة الانفصال عن احد ولديها ...

وحتى لو اقتنعت امه هل يستطيع ترك غالية تعاني وحدها تحت رحمة راغب ؟!

يا الهي تعاستها تسبب له تعاسة اكبر من تعاسة فقدانها الى الابد ...

انها روحه .. نبضه .. كيانه كله يختل اذا دمعت عينا غالية ...





باغتته آلآم روحه وهو يتذكر ما حدث ها هنا

قبل اقل من اسبوع فتسخر تلك الآلآم من

تفانيه المرضي لاسعاد غالية...

تذكر وجه اخيه يميل ليلامس بشفتيه عنقها

...ويداه .. يداه تلتفان حول خصرها ...

هبت عاليا نيران الغيرة المجنونة ...

ضرب بقبضته وبكل قوته على الحائط

المجاور له ...

ثم توالت الضربات بجنون حتى خدر كفه من

شدة الألم ...

يا الهي .. أما لهذا العذاب من دواء ناجع ؟!

لقد خرج يومها يهذي من شدة الألم ..

بحث عن امرأة .. اي امرأة ... تحمل اي اسم ...

النار كانت تستعر فيه فيقتات عليه ذلك

الألم الخبيث ليلوعه هو يتخبط يبحث عما

يطفئ ناره ويقتل ألمه ..

لم يستفق من جذوة ضياعه وهو يقبل عنق

تلك المرأة بجنون الا عندما ناداها باسم

(غالية) !

نفر كمالملسوع عائدا لكرسيه ليتركها

ذاهلة تحدق فيه باستغراب في ظلمة السيارة

حيث اجتمعا .. لم يتنبه وقتها لاحراجها مما

حصل الا وهي تسأل بتعثر

" هل .. حصل شيء خاطئ ؟! لماذا ... ؟ "



انه لم ينفر منها ليتركها كما ظنت بل نفر من نفسه باشمئزاز مريع لانه فقد نفسه ليتخيلها غالية...!

اسم غالية افلت من قلبه وليس من لسانه !!

حرك السيارة بصمت ليعيدها من حيث اخذها بينما انطلق في المدينة هائما على وجهه حتى حطت رحاله على باب جامع والناس تدخل لاداء فريضة صلاة المغرب فدخل ليشاركهم الصلاة فيخجل حتى من الوقوف بين يدي ربه...

يخجل ان يطلب منه رحمة لايستحقها..

هو كله محمل بالاثام الثقال ...

مكتوب عليه الاحمال ..

لكنه يدرك ... ان الاوجاع لاتبرر الاثام بل تثقلها اكثر واكثر ..

يكفي انه يعشق زوجة اخيه .....

يكفي انه يريدها بكل جارحة نابضة بالحياة فيه ... حتى وان انكر هذا لسنوات...

كان كالطير المذبوح يهلوس وهو يقف على باب بيت ياسر بعد منتصف تلك الليلة العصيبة ..

لايعرف كيف وصل هنالك ...

المهم انه وصل ...

المهم ان صديقه لم يخذله ..

كما وفى ياسر بوعده فلم يسأله ...







اصوات وحركة جذبت نظره عند باب المرآب جعلته يخرج من دوامات الضياع التي يعيشها..

تطاول رافد بعنقه ليتأكد من وقوف سيارة بالفعل امام باب البيت تحديدا ومن لونها المميز ادرك انها سيارة اجرة !

شيء ما اعتصر قلبه بتوجس ...

وبينما يمد يده ليفتح باب المطبخ المطل على المرآب تعالت انذارات التوجس عندما لمح رأسها من فوق الباب .. شعرها القصير يتطاير بينما نام رأس لولو الاشقر على كتفها ...

لم يشعر ببرودة ارض المرآب وهي تمر عبر باطن قدميه الحافيتين كما لم يشعر ببرودة الهواء وهي تصفع صدره العاري ..

انفاسه تتسابق اليها كتسابق خطواته ...

وصل باب المرآب بينما سيارة الاجرة تغادر ليرى غالية تحتضن لولو وهي تستدير ببطء عكس اتجاهه ..

فتح الباب على عجل وهو يرتعش من تأثره بها ليقول بخوف غريب تملكه

" غالية ! ما الذي اتى بك فجرا ؟!"

التفتت اليه وهاله اتساع عينيها وشحوب وجهها الشديد وآثار الدموع الجافة واضحة على خديها الذابلين ..



لقد كانت في حالة صدمة ....

تطلعت اليه وهو دون ان يشعر مدّ ذراعيه
نحوها .. نحو طفلته الغالية ... هامسا
بحشرجة قلقة

" تعالي عزيزتي .. ماذا حصل ؟ "

للحظات تجمدت مكانها تتطلع اليه بغرابة
ثم ذاب الجمود فتمايل جسدها نحوه في انهيار
واستسلام مميت تهمس باسمه " رافد "

ودون ان يعرف كيف ... اصبحت في لحظة
بكل جسدها النحيل على صدره ...هي ولولو
معها .. وجه غالية ضاع في رقبته وشفتاها ....
شفتاها ملتصقتان ببشرته ..

اشتعلت الدماء تحرق شرايينه وتضيق بها ذرعا
فيجن جنونها لتضخ كسيل هادر وتتمركز
في رأسه بكثافة حتى شعر ان الدماء ستنفجر
من انفه واذنيه ..!

في هذه اللحظات المجنونة وهو يحتضنها
هكذا ادرك متأخرا انه يسندها بالكامل ..!
ادرك انها ... انها ... مغمى عليها تماما...

شتم نفسه وهو يتصرف سريعا ليلف ذراعه
باحكام حولها وحول لولو بينما يميل ليمد
ذراعها الاخر تحت ركبتيها ويرفعها ...

عاد للداخل بخطوات متسارعة وقلبه قد
استبد به الهلع عندما شعر فجأة باحساس
غريب..!



تطلع اليها يمشط جسدها بعينيه يبحث عن
مجهول يستشعره والاضطراب يسيطر عليه
لتتسع عيناه بصدمة لرؤية بقعة دم بدأت
بالظهور والاتساع شيئا فشيئا على الجزء
السفلي من فستانها الازرق الشاحب ولم يشعر
بنفسه الا وهو يصرخ بجزع مجنون

" غااااااالية "



الفصل السادس

كانت ترفع فنجانها باناقة تلائم اناقة اناملها النحيلة ترتشف ما تبقى من شايها ببعض التعجل بينما تتطلع لساعة يدها ..

سألت أمها التي تشاركها الافطار

" ألم يعد ابي حتى الآن ؟"

فترد امها " لا .. قال هذه الجمعة قرر ان يطيل الوقت الذي يخصصه ليمارس رياضة المشي الصباحي .."

وقفت سهر برشاقة ثم تحركت لتلتقط اساورها وقلائدها الخرزية التي وضعتها جانبا حتى تكمل افطارها ...

أمرت الام الخادمة بأن ترفع الاطباق بينما تتطلع لابنتها الوحيدة بتمعن ...

انها فتاة جميلة .. تملك تلك الانوثة المحببة للرجال .. كل ما ترتديه يليق بها فتبدو وكأنها عارضة ازياء ..

اليوم تبدو وكأنها في اعلان لملابس الخريف الشبابية بهذا القميص الاصفر بلون الشمس والبنطال في وروده بتدرجات اللون البنيّ .. لتكتمل اناقتها بحذاء جلدي خفيف يبرز رقة قدميها ...





انها تملك كل المقومات لكنها عنيدة لتتقبل العروض ببعض المرونة ..

ما زال فشلها مع اسامة الهاشمي يقيد خياراتها..

سألت الام بينما سهر تقف امام مرآة صغيرة في المطبخ تشد وشاحا اصفرا حول شعرها

" هل تلتقين بسعد ؟؟ هل يحضر للمطعم؟"

رمقتها سهر عبر المرآة وهي ترد بابتسامة محتالة " ربما سيأتي هذا الصباح ليجرب افطارنا كما زعم .."

لم تستطع الام منع انشراح تقاسيم وجهها وهي تشجعها بالقول " هذا ممتاز .. تناولي معه الافطار .. اعلم انك تناولته للتو لكن شاركيه المائدة وهو بقدح قهوة سيكون امرا محببا ان تتشاركا وجبة صباحية وتتحدثا.. الرجال يحبون مشاركات ناعمة كهذه .."

التفتت سهر لامها بينما تحلو في رأسها الفكرة.. !

ليس لاجل سعد كما تخطط امها بل لاجل ان تغيظ ذلك الفظ الذي يثير جنونها بتقلباته فلا تفهم شيئا من كثرة الاشارات الصاخبة المتنافرة التي يرسلها نحوها ...

خطت سهر بضع خطوات عائدة لكرسيها فتلتقط حقيبتها المطبعة باشكال الورود كتلك الورود على بنطالها لكنها لم تتنبه لسترتها التي وقعت ارضا بينما تعلق حقيبتها على كتفها وترد على امها بالقول



" امي ... لاافهم سر الحاحك على سعد تحديدا ؟ لماذا ليس ياسر او رافد مثلا وانا اعمل معهما بالفعل واراهما يوميا ؟ "

امتعضت ملامح الام ثم تنهدت وهي تنظر لرقة ابنتها بتعاطف قائلة

" يا ابنتي خذي بنصيحة امك ... الاول جاف فظ وانت .. لايليق بك هذا النوع من الرجال ولن يرضي متطلبات انوثتك المميزة ... والثاني عابث كما قلتها انت بنفسك مرارا وانا لااطمئن عليك مع نموذج كهذا حتى لو ابدى استقامته .."

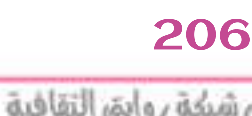
لتنفرج اسارير الام وهي تضيف

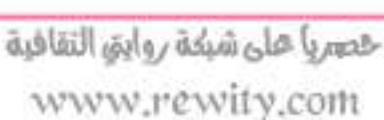
" بينما سعد رجل يملأ العين برجولته الواضحة قلبا وقالبا..رجل كهذا سيجيد ملاطفة انوثتك وتقديرها كما تستحق "

لاتعلم لم شعرت بالانزعاج من كلام امها خاصة ما قالته في حق ياسر .. لكنها آثرت ان تضع حدا لاحلام امها حول سعد قائلة ببعض التذمر

" انسي سعد امي .. ولاتلحي اكثر على مسألة ارتباط محتمل بيني وبينه .. انه صديق عزيز ومميز لااكثر .. انا لااشعر ان بيننا اي توافق في المشاعر .. لايوجد حتى اي ميل عاطفي لا من جهتي ولا من جهته .. "







لكن الام لم تيأس لتحثها بينما ابنتها تمسك قبضة الباب

" اوجدي الميل انت سهر .. سعد يستحق ان تبذلي بعض المجهود البسيط .. "

هزّت سهر راسها وهي تشعر باليأس من اقناع امها ...

غادرت الشقة الفخمة لعائلتها ونفسها تمتلأ بنفس الاثارة الصباحية منذ ابتدأت عملها الاول في المطعم ..

تبسمت وهي تغادر المبنى وتضع النظارة الشمسية فوق عينيها لتهمس باعتراف صغير

" لايمكن ان انكر جاذبية ذلك الفظ وتأثيره الفعال عليّ مما يجعلني في حالة تحفز وترقب دائمين معه .."

بعد ساعة ....في المطعم ...

اخذت سهر تدلك ذراعيها تبعث فيهما الدفء بينما تضحك لسعد وهما يدخلان عبر شرفة المطعم وتقول له

" لسعات البرد اليوم لاتعرف المزاح .. الشتاء حضر ولن ينتظر المزيد ليعلن عن وجوده بجبروت .."

تطلع اليها سعد بلطف قبل ان يقول

" من الافضل ان ترتدي سترتك .. أحضرت سترة معك اليس كذلك ؟"



عضت سبابتها بدلع وكأنها طفلة نسيت حل الواجب المدرسي وهي ترمش بعينيها وتقول باعتراف مرح

" لقد نسيتها في البيت .."

اطلق سعد ضحكات رجولية جذابة بينما يحرك كتفيه وذراعيه ليخلع سترته ..

سألته سهر وهي ترفع حاجبيها بدهشة

" ماذا تفعل ؟"

كان قد خلع سترته الكحلية الرياضية الطراز ليمدها لسهر قائلا بابتسامة

" ارتدي سترتي .. اعلم انها ليست باناقة ملابسك لكن هذا افضل من ان تمرضي .."

هزّت راسها بابتسامة شاكرة وهي تقول بلطف

" لا سعد .. لاداعي حقا .. الجو داخل المطعم ادفأ من الخارج كما سأشرب شايا مرة اخرى فادفأ خلال دقائق .."

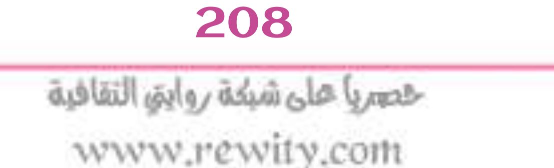
لكن سعد أصر بينما يغمزها قائلا

" افعلي بي خير وخذيها سهر .. امي كانت في اسوأ مزاجاتها هذا الصباح فارتأيت ان أخفف من حدة حنقها علي بالاستسلام لألحاحها بارتداء هذه السترة "

تبسمت بشقاوة وهي تاخذ السترة منه وتلبسها بينما تسأله بفضول انثوي

" ولماذا تحنق عليك .. اعترف ؟ "





تنهد وهو يرد

" تريدني ان اتزوج ؟ تظن الامر سهلا جدا .. "

رن هاتفه النقال فقطع حديثهما ليخرجه سعد من جيب بنطاله ويفتح الخط وبدى انه يحدث احد مساعديه في مكتب الصرافة خاصته..

اخذت سهر تتلاعب بقلائدها وتدندن باغنية ما عندما لمحت ذلك الخيال الاسود رابضا في تلك الزاوية حيث الممر المؤدي للادارة ..

اذن فهو موجود باكرا اليوم ... ؟

كل خلاياها تحفزت باثارة وجوده ...

ترى .. هل رآها تقف مع سعد وتضحك معه ؟

امالت نظراتها بعيدا عنه وعن تعمد بينما يقتلها الفضول لتعرف ..

كم تود ان ترى تلك العينين الداكنتين ان كانتا تحملان شعلة غيرة واضحة ام لا ...؟!

انهى سعد مكالمته بينما يبدو متعجلا وهو يعتذر منها لضرورة المغادرة فورا فلديه موعد مع زبون مهم ...

حاولت سهر خلع سترته لتسلمها له لكنه كان قد ابتعد وهو يشير لها ان تبقيها معها ...

ودّعت سعد بينما تتحرك باتجاه المطبخ تبغي طلب بعض الشاي عندما اصطدمت فجأة بجدار آدمي اسود كسواد مزاجه الحالك ..







منحته ابتسامة فياضة وهي تبتعد بخفة

وتقول " صباح الخير ياسر .. أتيت باكرا ! "

ابتأست عندما لم يرد تحيتها ، فقط سأل

بجفاف " ألم يكن سعد معك للتو ؟ اين ذهب

قبل ان اراه واسلم عليه ؟ "

ردت بهدوء وهي تمعن النظر في عينيه

" لقد جاءته مكالمة عاجلة من عمله واضطر

للمغادرة سريعا .."

احنى ياسر وجهه بينما يبذل جهدا خارقا

حتى لايمزق تلك السترة عليها !

وربما سيفعل ما هو اكثر جنونا كأن يمزق

كل ملابسها التي تتمختر فيها امامه ..وامام

الجميع .. اللعنة !

سألت بخفة تحرقه غيظا " متى سيأتي رافد ؟"

رفع وجهه بحدة وهو يرد من بين اسنانه

" لن يحضر اليوم .. لديه بعض الامور العائلية

.. يبدو ان زوجة اخيه اجهضت.."

لاح على وجهها الاهتمام الصادق وهي تقول

بتعاطف رقيق "المسكينة .. ! الا يفترض ان

تذهب اليه ؟ " لتضيف بنظرة تفكير " قد

اذهب انا الاخرى .. فربما يحتاج لشيء مني "

لم يحتمل ياسر الا ان يرد بحدة ساخرة

" منك انت؟! وما دخلك انت مع عائلة رافد ؟

تفرضين نفسك على أناس لاتعرفينهم هكذا

ببساطة؟! ثم ماذا سيحتاج منك انت

تحديدا؟! الا ترينها مبالغة غير محسوبة .."

انعقد حاجباها الانيقان بينما ترد بتركيز على كل كلمة " لم أكن سأفرض نفسي كما عبرت بسخرية كعادتك المزعجة .. لقد اردت ان اكون لطيفة ومراعية لصديق عزيز لااكثر .."

ابتسامة متهكمة لامست جانب فمه وهو يقول بنبرة لاذعة تفيض شحنات متفجرة

" كم تليقان انت وسعد ببعضكما ! هو لطيف يتبرع بسترته لفتاة تجيد التدلل وانت لطيفة تتبرعين بوقتك الثمين لزيارة امرأة لم تريها او تعرفيها يوما ! لقد أذبتما مشاعري المتجلدة حقا "

استفزها جدا ولم تستطع الا ان ترد بالمثل على هذا المغرور " ليست مشاعرك المتجلدة فقط يا ياسر بل عقلك وروحك ايضا .."

اغتاظت وهي تراه غير متأثر على الاطلاق بينما شعت نظراته بمرح خفي وهي يستفزها بكلماته التي يمطها عن قصد قائلا

" متجلد .. متجمد...متبلد او اي صفة تبحثين عنها في اللغة وعلى نفس الوزن والقافية .. "

ليضيف بوقاحة " وفي طريقك جدي نعوتا مناسبة لاستجدائك اهتمام سعد ومحاولتك التأثير في مشاعر رافد عبر ابداء اهتمام بقريبته.. "



شعرت بالحر ..! الدماء تفور في شرايينها..

دون ان تشعر خلعت سترة سعد فيتناثر شعرها وكأنه اشعاعات للنار التي تسري في عروقها بينما تهدر فيه وهي تتخصر امامه " لاتقلق .. لدي نعوت كثيرة يا متجلد يا متبلد الاحساس .. لكن بدلا من الاستجداء اسميها طلب باستحياء من رجل بشهامة سعد وبدلا من التأثير في مشاعر رافد انما هو التآزر مع شخص يهتم بالاخرين دون ان يطلب شيئا لنفسه.. "

عيناه تعلقتا بالسترة التي خلعتها للتو وتشد عليها باناملها الناعمة التي يود لو يعضها واحدا تلو الاخر وببطء .. ببطء شديد ...

قال بصوت مبحوح " جيد انك خلعتِ هذه السترة القبيحة ، كانت تبدو كريهة جدا عليك .."

ثم رفع عينيه اليها هامسا " هل انهيت قاموسك ام سنقضي النهار في البحث عن مترادفات ومعان جديدة ؟! "

قبل ان ترد مد يده فجأة وسحب بخشونة السترة من بين اصابعها المتشنجة مما جعلها تتأوه ...

اشتعلت عيناها الخضراوان اكثر واكثر..

تقدمت نحوه تمد يدها الانيقة وهي تخرخش بأسوارها لتهمس بحشرجة العناد والغضب

" اعطني السترة .."



خلابة منعشة في غضبها ...

هل يمكن ان تصبح اكثر جاذبية لرجولته ؟
يحدق فيها دون ان ترمش عيناه بينما قلبه
يهمس بما يأبى لسانه النطق به

" اعطني... (أنتِ) ! "

شدت على الشفتين المصبوغتين بلون ذهبي
باهت بينما يدها الممدودة لاتتراجع عن طلبها
لتعاود تلك الشفتين النطق بالطلب لتختصره
بكلمة واحدة لااكثر " السترة .."

رباه ... اشعري بي يا مجنونة !

ام انني المجنون الوحيد هنا ؟!

لم يستطع المقاومة وهو يهمس بنبرة حارة
مختصرا طلبه هو الآخر " انتِ .."

ارتبكت نظراتها فتقدم نحوها يكاد يلامس
جسدها بينما تسأله بوجل " أنا ماذا ؟.."

فتح فمه ليرد عليها عندما مر بهما زبون شاب
ليشكر سهر (تحديدا) على وجبة الافطار
وبابتسامة متسعة غاية في السماجة ، فردت
له سهر بابتسامة حلوة اجادت اخفاء اضطرابها
لما يحدث بينها وبين ياسر الذي لم يكلف
نفسه عناء الابتعاد عنها محرجا اياها بينما
عجزت هي عن التراجع وخلفها الحائط مباشرة

وحالما ابتعد الشاب عاد الصوت الفظ ليقتل
تلك اللحظة السابقة المهمة بينهما " أنت
تبالغين بتوزيع ابتساماتك المتملقة البلهاء
على الزبائن .. اوقفيها بالله عليك لانها تثير
النفور والاشمئزاز بكثرة تصنعها "





كزّت على اسنانها وهي تكاد تهدر فيه

" وما شأنك انت وشأن ابتساماتي ؟!"

فيبتسم ابتسامة جافة مغيظا اياها اكثر

بالقول " قلت لك من البداية .. عملي ان اقلل

الخسائر قدر الامكان .. قدر الامكان يا

وردية .."

نفخت بتأفف في وجهه ثم اخذت تتطلع في

عينيه بتحد ليفاجئها بنظرة داكنة لاهبة

تفيض غموضا كصندوق مغلوق بالف قفل

وقفل ! لكنه صندوق لايكف عن اغرائها

لتكسير اقفاله وفتحه عنوة لترى ما فيه

بفضول قطة ..

بجرأة قربت وجهها منه تهمس بصوت يفيض

بحلاوة انوثتها " ولو يا ياسر .. مهما قلت وفعلت

فلن انهار يأسا منك.. "

ثم استدارت لتتركه بينما تصلها صوت

ضحكاته ...

لم تشعر الا وقلبها يخفق .. يخفق بقوة ..

همست لنفسها وهي تعاند قلبها

"لن اضعف ..ولن تضعف الآن ايها الاحمق

وتتأثر برجل فظ مقيت مثله قبل ان أتأكد .."

اخذت نفسا ثم اطلقته ببطء لتحدث ياسر

هذه المرة في سرها

" لقد صار لي هدفان الان ايها المغرور ..

خشونتك الفظة وقلبك الاكثر فظاظة .."



عضت طارف شفتها وهي تتلاعب بشعرها بينما تمشي الهوينا ...

لم تعرف ان ياسر يلاحق قدها بنظرات تشتاق للمزيد منها وانفاسه ثائرة بينما سترة سعد تتجعد بين انامله ...

بعد ساعات ....في المستشفى ..

يده ما زالت الرعشة توهن حركتها...

لكنه حركها مرغما ليعيد هاتفه النقال الى جيبه ...

الرعشة ما زالت تحوم حول اطرافه بتملك وتمتد بنفس التملك لكل شبر من جسده ..

شعر جلده يقف بينما تغور الرعشة لاعماقه فتهز قلبه هزا بين اضلاعه ..

لن ينس حتى مماته دماء غالية وهي تلطخ ثوبها كما لطخت بنطاله البيتي المخطط ..

كان في حالة لهاث مجنون وهو يركض بها هنا وهناك لتستيقظ امه على صرخاته بينما كانت لولو تصرخ بالبكاء ارتعابا ..

كل حواسه تعطلت والدماء تزداد غزارة في تدفقها منها..امه تولول وهي تأخذ الصغيرة لجين منه بينما انهمك هو بلهاث مجنون ليلف غالية بغطاء سميك ويعود بها راكضا لخارج البيت تركض خلفه امه الجزعة تحمل حفيدتها الصارخة بالبكاء..



كل هذا لم يخرجه من حالته...

وصل المستشفى وهو ما زال حافيا نصف عار واخذ يصرخ كمعتوه حتى يروا ما بها وينقذوها ...

امال رافد جبينه للجدار الابيض قبالته يستند به بل وبكل جسده لذلك الجدار ...

جدار بارد في احدى ممرات هذه المستشفى..

كل شيء بارد ومخيف .. ام انها برودة الموت التي اوشكت خنق دفء الحياة من جسدها..

دمعة سالت منه لم تستطع كبرياء الرجولة منعها...

سمع صوت الباب القريب يفتح ويغلق على مهل فسارع ليبتعد عن الجدار وهو يمسح تلك الدمعة قبل ان تلمحها امه ..

اقتربت اقبال بوجه شاحب من بكرها تحمل لولو على كتفها وقد استسلمت الصغيرة اخيرا للنوم بعد موجة بكاء هستيري وهي ترى هسترة الكبار من حولها...

تمتمت الام باختناق " هل رد عليك ؟"

هز رافد رأسه نفيا وهو يقول بجمود " لايرد .. لقد بعثت له برسالة اشرح له ما ..حصل .."

مسحة قلق اعترت ملامحها وهي تهمس

" هل تظنه بخير ؟"



قسوة وحشية تعبر عن غضب مكبوت وهو يرد على امه مزمجرا من بين اسنانه

" انه بالف خير .. ليس لدي ادنى شك بهذا .. راغب يجيد الاعتناء بنفسه وتدليلها ..

ومؤكد بعد مشاجرة معتادة ومتوقعة مع غالية تركها وحيدة بين اربعة جدران وبات خارجا ليرفه عن نفسه تاركا اياها تعاني حتى أتت الينا منهارة نازفة لتفقد ... الطفل .. بينما هو نائم في العسل "

سالت دموع الام وهي تشدد من احتضان لولو بينما تتقلص قبضتي رافد وهو يتوعد بحرقة

" اقسم هذه المرة سأجعله يدفع ثمن ما فعله"

مسحت الام دموعها وهي تهمس بحشرجة

" اترك راغب الان .. تعال معي .. حاول الكلام مع غالية.. انها حتى لم تستجب لي ولا حتى لصغيرتها ! وكل ما قالته (لااريد ان يعلم والديّ بما حصل) ... "

تنهدت وهي تضيف بأسى " الحمد للّه حملها لم يتجاوز الشهرين والا كانت تعلقت به أكثر.." ثم أخذت تهمس بجزع وارتعاب داخلي من القادم " حاول ان تفهم ما جرى فصمتها يقتلني .."

اي آلآم كُتبت عليه تحملها ...؟

كيف يستطيع ان يقاوم رغبته باحتضانها .. باختطافها بعيدا عن كل ألم...

انه عاجز .. عاجز وضعيف..



كل ما فعله لم يجدِ نفعا ...

لم يستطع اسعاد غالية ...

تمتم وهويتجلد " قادم امي... "

تحركت الام وهي تتمتم بنبرة مرتبكة غريبة لاذني رافد

" نظراتها تخيفني بنيّ .. تخيفني مما تخفيه عنا .. لااشعر انها مشاجرة عادية .. لااشعر ابدا انها كذلك .. هناك .. امر كبير يحصل او حصل بينهما ..."

لم يعقب رافد بشيء بينما ذهنه تلقائيا يتركز مع غالية حالما فتح باب الغرفة تلحق به امه..

اقترب من السرير الابيض الشاحب الذي توسط الغرفة بينما تستلقي غالية على جانبها بنفس الوضعية التي تركها عليها ..

عيناها مفتوحتان بجمود يرعبه بمعانيه وفمها الرقيق مزموم بقوة...

نظراتها خنقته..

كانت نظرات قاسية .. باردة شديدة البرود..

شديدة الغرابة على عينيها !

لقد اذهلته عندما استفاقت اول مرة بعد ان انتهى مفعول المخدر لتكون السباقة بالقول الخافت المنهك

" لقد فقدت طفلي .. اليس كذلك ؟"



لم يسمع رافد رد امه وهي تواسيها وتطمئنها ان اللّه سيرزقها بغيره فكل ما جذبه تعابير وجه غالية وهي تستدير بصعوبة لتنام على جنبها ولم تعد تستجيب لشيء منذ ذلك الوقت..

مرت ساعتان وهي بهذا الوضع..

اعطتها الممرضة مسكنا دون ان تطلبه..

وكأن المها النفسي يفوق بمراحل ألمها الجسدي بعد العملية التي اجريت لها..

اقترب منها ..ما زالت عيناها بنفس الجمود لكنه تشجع وهو يسحب كرسيا ليجلس مقابلا لوجهها ثم ابتسم بكل الحب الذي حمله للـ(طفلة غالية) ...

همس بحنان دافئ "مهما كان ما حدث وتتصورينه كبيرا .. فأنا سأكون معك فيه لأصغره لكِ رغما عن انفه .. "

ارتعش رأسها المستريح على المخدة البيضاء لكن جمود نظراتها لم يتغير فعاود المحاولة وهو يتقطع بشراسة من الداخل

" هل تذكرين عندما كنت طفلة وتتدللين عليّ لاشتري لك ما تحبين ؟ انا كنت ارد عليك ضاحكا واقول (كل ما تريدين رهن اشارتك .. انت غالية .. وستظلين غالية) .. والان اعيدها عليك ... طفلتي .. كل ما تطلبين مجاب .. لانك الاغلى .. ارمي كل شيء عليّ .. ولن أكون رافد الذي دللك دوما ان خذلتك في شيء .. "



اخيرا حصل على لمحة تأثر منها ...

لم تنظر اليه .. لكن يكفيه تلك الدمعة

التي اذابت بعض جليد نظراتها ..

تتطلع اقبال بوجل لكنتها وابنة اختها

وربيبتها ...

لا احد يعلم ...لااحد يشعر بالنار التي

تخمدها عنوة منذ اسبوع...

اخذت تتمتم في سرها وهي تشد المصحف

لصدرها بينما عيناها تجمدان كجمود عيني

غالية " لااريد ان افكر بهذا يا رب .. لااريد

ان اصدق .. ! "

في مكتب الصرافة ..

كان سعد في غمرة العمل وقد اتفق على

بضعة صفقات جيدة عبر الهاتف عدا الزبون

الذي التقاه صباحا ...

يشعر بعودة حيويته اليه وتذكره بأيام عمله

المزدحمة خارج الوطن ..

لكنه لن يقع في نفس الخطأ ..

لن يغرق وينسى كل من حوله ..

لن يفعل ...

" مرحبا ..."

انها هي ....لن يخطئ نبرة صوتها !



رفع رأسه ليحدق مباشرة لتلك العينين..

اول ما جذب نظره ان وجهها خال تماما من مساحيق التجميل وشعرها مربوط للخلف ثم تنبه لبساطة ملابسها هذا اليوم..

مجرد بنطال جينز باهت وبلوزة بيضاء عادية..

ومع هذا جذبت نظر مساعديه الاثنين اللذين اخذا يتبسمان لها ببلاهة ..

عيناه التقطتا ايضا حملها لكيس كبير نسبيا غريب بمحتواه الثقيل كما يبدو جليا للعين ...

دفع برزمة المال التي كان يعدها لمساعده وهو يحدجه محذرا فاحنى الشاب رأسه بينما سعد يرد التحية لجودا

" مرحبا .. كيف حالك ؟ "

ثم تحرك ليبتعد عن مساعديه ويسحب جودا من مرفقها نحو باب مكتبه قائلا بحزم " ماذا تفعلين هنا ؟ وكيف عرفت عنوان مكتبي ؟"

ردت بصفاقة وهي تقاوم دفعه لها خارج المكتب للشارع " انا مجرد زبونة .. قد لااشبه تلك المنحلة التي تعرض جسدها امامك حتى تراعيها بالسعر لكني ابقى زبونة .."

عقد سعد حاجبيه وهو يسأل بحيرة

" اي منحلة ؟! "

فردت بحدة وهي تثبت اقدامها على الرصيف



" فتاة السيلكون التي تستعرض مفاتن جسدها وهي تمشي .. لقد خرجت قبل لحظات مع دخولي فلا تدعي البراءة وانك لم تلحظها .."

انفرد حاجباه وهو يتطلع لوجهها الخلاب ... انها من اجمل ما رآى من الفتيات ..

جمالها صارخ بالوحشية بشكل ملفت وكأنها فتاة الادغال !

اجل .. جودا فتاة الادغال التي ترفع شعرها بخصن شجرة وتمشي حافية القدمين ..

ابتسم لها وهو يسأل بنبرة خافتة

"دعي (المنحلة) وشأنها .. اجيبي على سؤالي.. كيف عرفت ؟"

رمشت وهي تحدق في عينيه اللامعتين بشمس الظهيرة فتتساءل .. ام انهما تلمعان هكذا حتى في الظلام ؟!

اتسعت ابتسامته وهو يقرأ افكارها الطفولية فتعبر بملامح غلبها الحنق وهي تقول بوقاحة تخفي خجلها

" لاتضيع وقتي ووقتك باسئلة سهل توقع اجاباتها .."

ثم رفعت كيسها الثقيل امام وجهه تلوح به وتقول بصفاقة

" خذ .. اريد مقابل هذا شراء ما يعادله من العملة الاجنبية "



اختفى الدفء من عينيه واتسعتا بشكل اربكاها قليلا ولم ينطق بشيء بينما يمسك مرفقها مرة اخرى ويسحبها بعيدا متجاهلا اعتراضاتها ..

وصل لسيارته المركونة ففتح الباب وأمرها بنبرة شديدة الحزم " اصعدي للسيارة جودا.. يجب ان أرى كمية المال الذي تحملينه دون ان اجذب النظر .."

تأففت وهي تطيعه لتجلس وتضع الكيس في حجرها بينما يغلق سعد بابها ليلتف حول سيارته ويجلس في مقعد السائق ..

دون ان يطلب اذنها مد يده واخذ الكيس ليفتحه ..

ظهرت الصدمة على عينيه وهو يقدر المبلغ الضخم الذي تحمله ...

اغلق الكيس واسبل اهدابه ليسود الصمت المتوتر ...

قطعته هي وهي تسأل بتوجس

" ماذا هناك ؟ "

لم يرفع عينيه اليها بينما يسأل بنبرة تحمل مع الحزم نوعا من الشدة التي ارعشتها

" من اين لك هذا المال ؟"

حاولت ان تتمسك بصلافتها المعتادة كجدار تختبئ خلفه من احساسها بشناعة افعالها فتقول بنبرة متعالية حادة " لادخل لك .."



عندها فقط رفع عينيه يواجهها بنظرات قوية

يعيد سؤاله ببطء وتركيز

" من اين لك .. هذا المال جودا ..؟"

ابتلعت ريقها وهي ترد بتعلثم غلبها

" انه ليس لي ..انا.... اعمل ..لحساب أحدهم .."

ارتفاع طفيف في حاجبيه وهو يردد الكلمة

" تعملين ؟!"

تبتلع ريقها مرة ثانية بينما " نعم .. صديقة

لي في الجامعة .. تعمل في هذا المجال و...

عرضت علي الاشتراك فيه .."

اخفى بذكاء ردة فعله بينما يسألها سؤالا آخر

" هل ياسر يعرف بهذا ؟"

عندها انتفضت لتهاجم اخاها بالقول " ياسر

لايتوقف عن اذلالي لاني .. متعثرة بدراستي

قليلا .. وكيف أنه يدفع مصاريفي .. انه

لايطاق ! "

أعاد السؤال بصبر

" سؤالي واضح جودا .. ولم اتلقَ أجابته حتى

الآن ... هل ياسر يعلم ؟"

كلمة واحدة خرجت من فمها وأكدت مخاوفه

أكثر " لا .."

برقت عيناه المؤثرتين فتراجعت جودا غريزيا

للخلف فيرتطم ظهرها بالباب بينما خرجت

الكلمات حادة من بين شفتيه الممتلئتين

" انت مجنونة .."



حاولت ان تبادله شراسة وهي تقول

" اياك وأهـ.."

عندها ارتفع صوته بنبرة لم تسمعها حتى من ياسر .. كانت نبرة مختلفة .. نبرة تحمل قوة غريبة ودفئا شع في كيانها فارضاه رغم كل ما يحدث لها الآن !

" انت مجنونة وغبية وتستحقين كل قساوة اخيك عليك .. ستودين بنفسك بل وبه هو شخصيا الى التهلكة ..!"

اتسعت عينا جودا بصدمة !

كيف ستودي بياسر للتهلكة ؟! يا الهي ؟

اضاف سعد بنفس النبرة " هل انت مدركة انك اقحمت نفسك بتجارة العملة في السوق السوداء ؟"

ازدادت عينا جودا اتساعا بينما تهز رأسها نفيا ليقول سعد وهو يعقد حاجبيه فيرعبها بملامحه اكثر من كلماته " هل تعلمين قوانين البلد الصارمة جدا بهذا الموضوع تحديدا ؟ سيرمونك واخاك خلف القضبان في احسن الاحوال .. قد يصادرون كل شيء من اخيك .."

تمتمت جودا وهي تشعر بالرعب والضياع

" ما .. ما دخل .. ياسر ..؟! انا التي .."







بترت جملتها الركيكة وهي عاجزة عن التعبير اكثر بينما يفسر لها سعد بنبرة غاضبة

" لانهم سيظنون انه هو من يشغلك فهو صاحب عمل حر ... بينما انت مجرد طالبة فاشلة .. وتجار العملة لايظهرون في الواجهة ابدا .. انهم فقط يظهرون عندما يظنون ان من يعمل لحسابهم يسرقهم فيكونون كالوحوش الضارية في العقاب ..."

لم تستطع اخفاء رعبها من الصورة التي يرسمها لها سعد لكنه ورغم اشفاقه عليها لم يستطع التهاون في امر خطير كهذا ..

سألها وقد استعاد هدوءه ولو ظاهريا

" كتبتِ صكا على نفسك لتلك الفتاة مقابل المال الذي سلمتك اياه ... اليس كذلك ؟"

هزت رأسها ايجابا ..

فزفر بقوة رغما عنه وهو يتمتم

" مؤكد لتأمين نفسها رغم انه مع اناس كهؤلاء لديهم اساليب شتى لاستعادة حقوقهم فيما لو فكرتِ بسلبها منهم ..."

جرؤت على سؤاله

" لكنك ..انت نفسك.. تعمل في الصرافة ؟"



حدجها بنظرة كالصاعقة لانها ما زالت تعاند ليعنفها بالقول " هل انت جاهلة لهذا الحد ؟ انا امثل مكتب رسمي ومجاز وله ضوابط حكومية وكل اعمالي تسجل والجهات المختصة تطلع عليها دوريا .."

عيناها اضعفتاه وهما تترقرقان بزرقة لامعة كبحيرة عميقة شفافة همس اسمها

" جودا ..."

لم ترد ... فقط تتطلع اليه بتلك النظرة التي تغزو قلبه بصخبها فسألها برقة

" لماذا تفعلين هذا حقا ؟ لااعتقد انك اردت الحصول على المال .. فياسر لايبخل عليك بشيء .."

عضت شفتها المكتنزة المرتعشة بينما يضيف سعد

" ثقي بي جودا .. انا اريد مساعدتك .. انت اتيت اليوم لي لانك شعرت بوجود الخطأ .. اردت ان اساعدك .. ان احميك .. حتى من نفسك .."

فردت بثورة عناد وفخر لامست قلبه

" ياسر .. يحميني .. انا لااحتاج اليك "

فيرد برقة اكبر " اذن فربما هذه المرة تريديني ان احمي ياسر ... ؟ "

انتفضت في حمائية وكانه أهان اخاها فقالت بهجومية " انه لايحتاج اليك .. وانا ايضا لااحتاج اليك ... اعطني المال لاعيده ..



كانت فكرة سخيفة لاول مرة اجربها وانت حولتها لقضية أمن دولة ..! انا لااهتم بكل ما قلته الآن .."

لم يحتمل مناغشتها وكانت فرصة ذهبية ليتقرب .. ليفهم .. ليشعر ..

" بل حضرتِ لانك تهتمين ..."

اشرست تلك العينين وهي ترد بهجومية اكبر

" لاتمدح نفسك وتتصور اني اهتم بك ! "

جلجلت ضحكاته في اركان السيارة فاحمرت وجنتاها رغم غضبها ليقول بعد ان هدأت تلك الضحكات الرجولية

" انا لم أقل ابدا انك تهتمين بي .. بل قصدت انك تهتمين بنفسك .. "

نظرات مجروحة في عينيها لتهمس بنبرة تعكس تلك النظرات

" اذن فانا الانانية التي لاتهتم الا بنفسها "

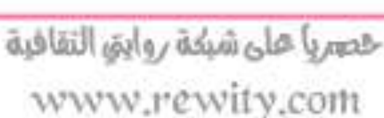
لانت ملامحه وهو يفسر لها ببطء

" لست انانية صغيرتي .. انت فقط في فوضى عارمة مع الذات .. لكنك قوية وتحاربين .. صحيح ان محاربتك حتى الآن عشوائية لكن على الاقل تهتمين بنفسك وتحاربين .."

بدت للحظات مبهورة متأثرة بعمق بما قاله فاضاف وهو يتطلع لجمال وجهها

" هل تعلمين ما تحتاجينه لاعادة تنظيم الفوضى في داخلك ؟ ان تهتمي لمن يحبونك وتحبينهم ..







انت تحبين ياسر بل وتعشقينه كما افترض

انك تحبين تلك العمة الرقيقة الحنون ..

لكن اهتمي بهما كما يهتمان بك ... فربما

ستجدين نفسك عندها جودا .. عندما

تشعرين ان تتبادلين المشاعر مع اناس تثقين

بهم وتربطك بهم صلة رحم ودم .. "

كانت انفاسها تتسارع بينما تتطلع اليه

بافتتان .. ادرك هذا ببعض الحزن !

لايستطيع انكار رغبته كرجل انه يود لو

يجعلها مفتونة به ... هو لشخصه ..

وليس لكلماته التي تمس عمقها ...

كم هي شفافة امامه ويسهل قراءتها ...

استعدل في جلسته وشغل محرك سيارته بينما

يسأل بهدوء " هل تعرفين بيت تلك الفتاة ؟"

تمتمت بارتباك " نعم اعرف .. لماذا؟"

رد وهو ينطلق بالسيارة

" سنذهب اليها الآن فتعيدين اليها المال

وتأخذين الصك .. واحرصي على ادعاء

الغضب من اخيك الذي اكتشف الامر وثار

بغضب مجنون مما جعلك تأتين لبيتها يوم

الجمعة ولم تنتظري حتى بدأ الاسبوع

الدراسي في الجامعة .."

لم ترد بشيء بينما تستقر على مقعدها

بوجوم..





اضاف سعد وهو يرمقها بطارف عينه

" ضروري ان تفعلي كل ما قلت يا صغيرة ..

اريد الفتاة ان تصدق ان اخاك قد يفضح

امرها .. وتجارة كهذه مطالبها الاولى

والاساسية هي الكتمان .."

ايضا لم ترد فسألها " صفي لي العنوان.."

بنفس الوجوم اعطته العنوان لكنها اضافت

بعدها بشراسة " لاتخبر ياسر ..."

لم يرد سعد بينما يركز في الطريق ..

فألحت جودا بطفولية وقد تنازلت عن شراستها

" ارجوك .. لااريده .. ان يعرف .. لااريد

اغضبا..."

لم تتم كلمتها فابتسم تلقائيا وهو يفكر في

صمت ان هذه الفتاة لاتصدق !

هل يوجد نظير لها على سطح الارض ؟!

فتاة الادغال الثائرة الشرسة ...

تأكد سعد من الصك الذي استلمته جودا

للتو ثم مزقه بنفسه قبل ان يعاود الانطلاق

بسيارته وهو يقول لجودا بهدوء

" سأعيدك للبيت واذا رآك احد معي قولي

اني رأيتك صدفة في الشارع واوصلتك.."

تمتمت جودا بـ(نعم) خافتة بينما انشغل سعد

كيف سيبلغ ياسر بما حصل ويقنعه ان

لايظهر لجودا معرفته بالامر ..







عليه ان يقنعه ...

فالفتاة تحتاج حقا للمراقبة والعناية ..

كما تحتاج للتفهم ومنحها المساحة لتعبر عن
ثورة نفسها بطريقة لاتؤذيها ...

توقع نفسها في حفرة تلو الاخرى وعن تعمد ..

وكل ما تريده ان ترى يد تمد اليها فتتعلق بها
لتخرجها من ظلمتها ...

لكنها ساذجة ولاتدرك ان بعض الحفر
عميق .. عميق جدا ...

مم عانت الفتاة لتكون جائعة للحب بهذه
الطريقة ومتمردة على الاخذ والعطاء هكذا؟!

لم يعرف من رافد الا ان والدها تزوج والدتها
سرا اثناء سفره للعمل في ذلك البلد ..

وبعد وفاة امها ظلت مع جدتها حتى توفيت
الجدة هي الاخرى لتعود لبلد والدها وتعيش
مع عمتها ...

كم يتمنى لو يستطيع سؤال ياسر ...

فُتِح باب الغرفة بقوة ليطل راغب بقامته التي
توازي قامة اخيه الاكبر فينظر مذهولا
للسرير الابيض حيث ترقد غالية على جانبها
بينما امه تقرأ القران قرب رأسها ...



اما رافد فاحتل الاريكة في جانب الغرفة وفوق حجره تستلقي الصغيرة لولو على بطنها بينما يهزها ويمسد على شعرها الاشقر ...

تشنج الجميع بدخوله ...

تشنج جسد غالية دون ان تستدير وتشنجت الام وهي تغلق المصحف في يدها وتشنج رافد وهو يوقف هزهزته للصغيرة ويتطلع بعينين تقدحان شررا لهيئة اخيه التي تنبأ عن تصورات قد تكون كارثية .. تصورات وشكوك يرفض رافد مواجهتها ..

كان راغب اول الناطقين وهو يحدق في الوجوه بينما يهمس بحشرجة

" ماذا حصل ؟ كيف اجهضت غالية ؟ هل .. هي بخير ؟"

بدى قلقا .. لكن لايمكنه اخفاء احساس الراحة !

توتر رافد اكثر وهو يتحرك بحذر ليرفع الصغيرة ويضعها على مهل لتستقر على الاريكة هانئة بنوم عميق بينما يتحرك نحو اخيه الاصغر وهو يضع يديه في جيبيه يسأله بهدوء ظاهري

" قل لنا انت ماذا حصل يا راغب ؟ "

ثم اشار رافد برأسه ناحية غالية مضيفا وهو يكتم الغضب بشق الانفس





" انها لاتقول شيئا .. مصدومة ولاتعبر عن شيء مما حصل بينكما وجعلها تأتي الينا فجرا بسيارة اجرة لتنهار في نزيف حاد !"

ارتبك راغب بوضوح وهو يتطلع لجسد غالية المتشنج رافضة الاستدارة اليه ...

لم يشعر بنظرات الام التي تفتح عينيها على وسعهما لاتحيدان عن عينيّ فتاها الاصغر وقلبها تتأجج نيرانه بغضب قديم ....

اخذ راغب يمرر يده بشعره المشعث كهيئة ملابسه بينما يقول بحرج " لقد .. تشاجرنا .. وانا ... خرجت .. ليلة الامس ..و .."

علا صوت غالية فجأة وهي تستدير اخيرا بكل جسدها وتصرخ بهستيرية

" اخبرهم كم انت مدلل قاس كسول وتنتظر دوما من الاخرين تهيئة كل الاجواء لارضائك .. ويتقبلون ايضا عدم رضاك على مجهوداتهم برحابة صدر ....! "

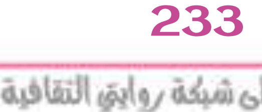
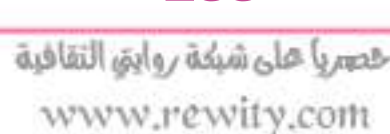
ذهل رافد من عينيها ..

من نظراتها المليئة بالحقد بالغضب الاعمى..

يا الهي لم ير يوما غالية هكذا !

كان مصدوما بها كما بدا راغب نفسه مصدوما بانفجارها بينما الام تقرأ فتاها ثم تسمع كلام كنّتها فتكاد تردده !!

وبنفس الكلمات ... من ذاكرتها البعيدة !


اضافت غالية وبنفس النبرة بينما شعرها

القصير يتطاير مع حركات رأسها العنيفة

" كن رجلا مسؤولا يا راغب لمرة واحدة

واخبرهم كيف طالبتني ببساطة وعنجهية

ان انزل الجنين حالما اخبرتك بوجوده .. ثم

كيف عبرت بنفس البساطة والعنجهية انك

مللت لعبة الزوج والاب وانك تحن لدور الشاب

الحر الذي حرمتك منه بموافقتي على الزواج

منك "

تشنجت قبضتا رافد وعيناه تتسعان وهما

تحدقان بوجه اخيه المصدوم بينما تواصل

غالية بعينيها الحاقدتين المليئتين بدموع

القهر والكره

" اخبرهم كيف القيت كلماتك البشعة

وبكل خسة ونذالة تصفني اني ما عدت الا

شبح امرأة ! شبح لم يعد يستهويك وانك

المسكين اضطررت.... للخيانة! "

تجمد كل شيء حول رافد واكتسح لون

الغضب الاحمر كل شيء ...

لم يشعر الا بقبضتيه تمسكان بخناق اخيه

يهمس بشراسة مخيفة امام وجهه راغب

المصفر " هل تزوجت على غالية ؟"

صوت الام تخلل موجات المشاعر العنيفة

لتهمس بحشرجة غريبة باردة ردا على سؤال

ابنها الاكبر

" بل يخونها مع العاهرات !"



تطلع راغب نحو أمه وهاله ان يرى تلك النظرات التي عكست نفس نظرات غالية اليه الآن ...

لكنه لم يفهم .. لم يدرك ..

كان عقله في خضم الارتباك من كل ما حصل وما.. سيحصل !

كره ارتباكه .. كره تجريمه في عيونهم جميعا على أمر ليس في طاقته ...

شعر راغب بالغضب والسخط المكبوتين في داخله يتأجحان بجنون ولايحتملان مزيدا من الكبت.. وكما اعتاد تلقائيا ليفجر في غالية هذا الغضب فيشتمها بالقول

" ايتها الحقيــ.... آآآآآآآآآآه"

لكمة هادرة على وجهه أوقعته أرضا وأسالت الدم من فمه وانفه بينما يميل اليه اخاه رافد مرة اخرى ليمسك بخناقه ويرفعه عن الارض ويسأله بنبرة متفجرة " هل تخون غالية مع العاهرات حقا ام انها مجرد كذبة في لحظات غضبك المقيت لتفرغ فيها شحناتك التعيسة ؟"

كان راغب يمسح بذهول الدم عن انفه وفمه بينما تقول غالية والدموع تسيل على خديها دون ان تفقد ملامحها تعابير الحقد الاسود

" لاتتعب نفسك رافد .. لقد شعرتها قبل ان يرميها في وجهي ليلة الامس .. كنت اكذب واكذب واكذب .. كلها كذبات على نفسي وحدي .. "



التفت اليها رافد ينظر اليها بعذاب يوازي عذابها بل أكثر فاكتسى وجهها الجميل باليأس والوحدة التي قتلته قبل ان تقتلها وهي تضيف بنبرة ميتة " أجل أكذب ... فراغب لم يكن مجرد زوج ... انه ...عائلتي .. "

ثم التفتت لخالتها المتجمدة مكانها بلا تعبير لتقول لها " انه ابنك خالتي اقبال .. انتِ من ربيتني ومنحتني ما لم تعطه لي امي التي انجبتني.. فوجدت في حِجرك وبيتك دفء الحب لي .. "

ثم عادت لوجه رافد وقالت

" وهو اخوك يا رافد .. فلو صدقت خيانته وفقدته سأفقدك انت ايضا ... "

جن جنون رافد واخذ يهز اخاه الاصغر وهو يصرخ فيه بعشوائية

" لماذا ؟! لماذا تخونها ؟ هل لانها كانت مرهقة بعض الشيء مع طفلتكما ؟؟ هل لانها لم تجد الوقت لتكون لك عروسا كل ليلة ترضي رغباتك التي لاتنتهي ؟! ايها الحقير النذل كان يفترض ان تساعدها لا انت تهينها وتهين نفسك بمعاشرة القذارات.."

ما زال يهزه بعنف ويهدر فيه

" تملك غالية وتعاشر من لاتصل لكعب حذائها ..؟! "



عندها صرخ راغب وهو ينظر بطريقة غريبة لرافد

" لاتدعي الطهر والعفة ! ولاتظهر هذا الاشمئزاز مني .. فأنت اخر من يتكلم .. دوما كان لديك صف طويل من الحسناوات ام تظن ان تغافل امك عنك ينفي الحقيقة ؟ لست بافضل مني لتحاسبني .."

ذهل رافد من منطق اخيه ومن نظراته التي تفيض غيرة !

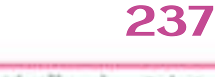
تمتم بنفس الذهول

" هل جننت ؟! تقارن نفسك بي ؟! انا لست متزوجا ام انك لاتتذكر الا الحقائق التي تبرر لك افعالك الخسيسة ؟ "

فيرد راغب بتعنت وقهر والغيرة تتآكله دون ان يستطيع اخفاءها

" ولماذا لااقارن ؟! دوما كنت تحظى بما اتمناه .. الانطلاق الجاذبية .. الحرية لتفعل كل ما تشاء ... حتى ان لم تكن متزوجا .. انت تعيش حياتك بالطول العرض وتستمتع بكل شبابك بينما انا مكبل بانثى واحدة منذ مراهقتي .. انثى تجيد لفّ المزيد من السلاسل حول عنقي لتخنقني وهي تسارع لانجاب طفلة ثم تحمل بالاخر مدعية انها لم تتعمد فعل وأنه حصل رغما عنها ... "





ثم تمادى راغب بقساوته الفريدة وهو يحدق بوجه غالية ويقول بكل الرفض لحياته

" لم اعد احتمل هذه الحياة .. وظيفة بليدة لاعود لشقة بائسة اتشاركها مع امرأة ظننتها يوما كل حياتي لاجدها مجرد خيال باهت تحمل طفلة لاتكف عن ازعاجي ببكائها "

هدرت غالية وهي تضرب على جانب السرير بانفجار جديد لم يتوقعه راغب نفسه بينما تفقد كل اعصابها وتماسكها

" فاخترت الانطلاق بعيدا ... اخترت تكسير القيود التي كرهتها .. اخترت الطيران لقارة جديدة بعيدة عن قارتنا البائسة ..."

تنبهت حواس رافد وهو يترك ملابس اخيه ليركز لاهثا مع كلمات غالية وما تعنيه فيسألها بنبرة مبحوحة من شدة التوتر

" ماذا يحدث ؟ ماذا تقصدين غالية ؟! "

شهقاتها تقطعت فأخذت غالية تضرب بيدها على صدرها وكأنها تريد ايقاف الألم بينما تقول بانهيار " البارحة وانا منهارة ألملم ملابسي في حقيبة بعد ان تركني ورحل يقهرني بقوله انه ذاهب ليعاشر امرأة حقيقية لاتفكر فقط بالحمل وتشويه جسدها اكثر ... وجدت ...جواز سفره ... "



رفعت عيناها لراغب الذي يبادلها نظرات الصدمة بينما تهمس المزيد " لقد جدده ... وليس هذا فحسب .. لقد اشترى... تذاكر غير مؤكدة الحجز وغير مرجعة ... ووجهته ...امريكا ..."

تمتم رافد " امريكا ؟!! "

فترد غالية وهي تكاد تترنح في جلستها

" لقد حصل على تأشيرة دخول لامريكا منذ شهر ! شهر كامل وهو يخطط لهجري .. هجر طفلته .. هجرنا جميعا .. يفتعل الازمات والمشاكل بيننا فقط ... ليجد لنفسه التبريرات والاعذار ..."

التفت رافد بحده نحو اخيه يسأله بما تذكره للتو " هل لهذا طلبت مني المال قبل بضعة اشهر ؟؟ قلت انه لصديق لك يريد وضعه بالبنك فقط بشكل صوري ليقدم تأشيرة دخول لامريكا.. وانا الاحمق ساعدتك واستدنت بعض المال لاجلك .."

كلمة واحدة خرجت من فم راغب " نعم.... "

ثم تلبسته القساوة والاصرار وهو يضيف

" انا ساسافر ربما بعد اسبوعين اذا تأكد الحجز .. ولن يمنعني الا الموت من هذا السفر.."

شعر رافد بزلزال يهز أركانه لما يسمعه !





لم يخطر في باله للحظة ان راغب قد يخطط لكل هذا ...

ما زال الثلاثة غافلين عن الأم التي تعيش حالة فريدة .. !

هي ليست الغضب .. ليست القهر .. ليس الثأر الذي لم تسعَ يوما لنيله ...

بل كل ما سبق تعيشه اقبال مضافا عليه حالة من الزحف نحو الموت ... موت يأتي على درجات .. عندما تشعر نبضات قلبك اختلفت وحركة الدماء في عروقك بردت و عضلات جسدك ضمرت وانكمشت ... انه اليأس .. يأس يغذيه .. الغضب المكبوت .. والقهر المدفون والثأر البائت حيا من سنوات طوال ...

سأل رافد وهو يحاول ان يتماسك

" وماذا عن زوجتك .. عن ابنتك ؟؟! هل فكرت فيهما ؟ "

رد راغب وهو يطرق بوجهه

"انهما .. ستبقيان معك ومع امي ... "

بوجع لايوصف تمتم رافد وكأنه يلفظ انفاسه " ماذا تقصد ؟؟ تقصد حتى تلتحقان بك فيما بعد ؟ عندما تستقر امورك صحيح؟"

عندها رفع راغب رأسه برفض قاطع هادرا

" لا ... اريد الهجرة بمفردي ...! اريد التحرر والشعور بذاتي وبشبابي الذي ضاعت اجمل سنينه في مسؤوليات بيت وعائلة... "



عاد غضب رافد ليتأجج وهو يعيش هذا التناقض المجنون الذي يفتت روحه كما يفتت قلبه ..

لايحتمل ان يشعر بعذابها من فعلة اخيه كما لايقوى على عذاب فراقها ان رحلت وهاجرت بعيدا فلا يراها ...

لكنه دوما يختارها هي .. وليعش هو وعذابه الارعن في قلب الجحيم ...

شحن رافد جنون الغضب في داخله يريد ان يفعل أي شيء حتى يدفع راغب ليأخذها معه هدر مشتعلا كالجحيم " انت مجنون ! تريد ترك غالية ولجين هنا بينما ترحل انت بمفردك لتحقق مغامراتك ؟! انت مختل .. مختل تماما "

للمرة الثانية وسط هذه الملحمة الرهيبة تتكلم الام لتفسر بهدوء مخيف

" بل هي الجينات بنيّ.."

أخذ رافد يهز رأسه برفض مجنون ويتوعد اخاه الاصغر قائلا بشراسة

" سأمزق جيناته أمي واحرق اشلاءها في اقرب مزبلة .. لن يغادر البلد ... راغب سيمزق جواز سفره بنفسه او سيضطرني انا لفعلها ..."





ردد راغب بسيطرة غريبة على النفس

" ربما تستطيع تمزيق جواز سفري .. ربما
تستطيع حتى حبسي بالقوة بين اربعة جدران
.. لكنك ابدا لن تستطيع جبرني على
العيش مع غالية .. لن تحيي مشاعري نحوها
من جديد .. ليس وانا بهذا الوضع .."

حدق راغب في الوجوه المذهولة ليضيف
بقساوة وهو يحدق في وجه زوجته الذي
تضاعف شحوبه بينما كلامه موجه لاخيه

"مهما فعلت يا رافد .. لن تنجح .. فليس لك
على مشاعري من .. سلطان ..."



الفصل السابع

كانت غالية تشد بقبضتيها على غطائها الابيض ... تسمع بلسانه ما سمعته سابقا دون ان يقوله بلسانه !

لكن يظل وقع الاحرف التي تتشكل على اللسان اوقع واكثر ايلاما من ادراك مسبق للعقل ...

سأل رافد مصعوقا " هل تريد تطليقها ؟"

فينفي راغب بعنجهية " لا ... لم افكر بتطليقها ... أردت فقط ان تظل معكم حتى اجد نفسي و...."

صرخت غالية تقاطعه بجنون الألم

" ستطلقني ايها البائس الحقير رغما عنك .. حتى لو غيرت رأيك ولم تسافر .. انا لا اريدك .. اشمئز منك واشعر بالقرف لمجرد وقوفك قريبا مني .."

توجعه كرامته من كلماتها المشمئزة منه فيرد راغب بقساوة مريعة ونبرة انتقامية

" حسن .. انت التي اردتها ..! انا لن اطلقك غالية وسأبقيك معلقة هكذا كما أبقيتني معلقا بدور الزوج الكئيب ! وعندما اكتفي من حريتي ربما سأعود او ربما.. آآآآآآآآآه امي ؟!"





حدق الجميع مذهولين بالام التي كانت قد تحركت في غفلة منهم لتصفع ابنها صفعة مدوية ...

الصقيع سكن عينيها .. بشرتها بدت اكثر شحوبا وتجعدا !

حدقت في ابنها الصغير الذي لم تمد يدها اليه يوما الا لتحتضنه او تمسد عليه لتطمئنه وتشجعه .. وها هو غدا الوحش الذي زرع بذرته اباه قبل ان يفعل فعلته ويهرب ...

قالت الام والصقيع يجلد كلماته قبل نظراتها " اذا استمريت بخطتك هذه فلن تطأ ارض المطار مغادرا الا وغالية مطلقة منك ... وسأقيم الحداد عليك واعتبرك ... مت! "

بدى راغب مصعوقا ببرودة فعل الام كما صعق كلا من رافد وغالية ...

تمالك راغب نفسه ليتمتم مناديا اياها بنبرة صبي شاكٍ مستعطف " امي... "

زجرته بعنف وعيناها تبرقان بالقسوة

" صه..... "

انعقد لسانه بينما تضيف بنفس الهدوء

" ولو فعلتها كجبان وهربت بليلة سوداء دون ان نشعر بك وقبل ان تطلق الفتاة سنرفع قضية طلاق وانا بنفسي سأشهد معها ليطلقها القاضي رغما عنك.. "

تشوش رافد من حالة أمه.. بدت غير طبيعية غير طبيعية على الاطلاق..



عادت الام لتضيف وهي تلتفت بابتسامة
اكثر غرابة تحدق تارة في الطفلة النائمة
ولم تستيقظ رغم كل هذا العنف ! وتارة
اخرى تلتفت ناحية غالية وهي ترمي اليها
بنفس الابتسامة لتقول وبريق عينيها يشتد

" لن تعيش غالية الهوان والذل .. لن تعيش
تكبت صرخات الغضب يوما بعد يوم .. بعد
يوم... لن تعيش وهي تشعر ان داخلها انطفأ ..
وأن انوثتها حكم عليها بالاعدام ونفذ
الحكم.. "

ثم خصت رافد بنظراتها الغريبة لتضيف وهي
تحاوره " لن تتكرر المأساة ...اليس كذلك
يا رجلي الصغير ؟ لن نسمح ابدا بتكررها .."

لم يستيقظ رافد من توهانه مع حال امه الا
على صوت خطوات راغب وهو يغادر الغرفة
شاتما لاعنا !

لاحقه رافد وهو يناديه في اروقة المستشفى

" توقف راغب .. توقف قلت لك "

امسكه في مرآب المستشفى بينما يهدر راغب
" يكفي رافد.. لم أعد احتمل لوم وعتب .."

حاول رافد جهده ان يستعيد تركيزه .. فما
يحصل مهول .. مهول جدا .. انه طوفان .. ولا
يوجد غيره من يصده ...

قال رافد وهو يمسك كتف اخيه " اي لوم
وعتب .. حياتك العائلية تنهار وانت تقول لي
لوم وعتب ؟!"



رفع راغب عينيه لاخيه يرد بصدق اذهل رافد نفسه " ولو استمريت معها سأنهار انا يا رافد !

حاول ان تفهم .. لافائدة من محاولاتك انت وامي لرأب صدع في جدار لان الجدار نفسه تهدم .."

واجهه رافد بالقول " انت غبي متهور مجنون .. الا ترى امك ... انها منهارة وبحالة غير طبيعية .. الا تشعر بها هي الاخرى ؟ "

فيرد راغب بتساؤل حارق " لماذا لاتشعر بي ..؟ لماذا لاتحاول فهمي .. انا اشعر حقا بالاختناق .. اشعر اني تورطت من حداثة سني في حمل اكبر مني والكل دفعني دفعا لاحمله دون ان ينصحني بالتريث .. حتى امي لم تنصحني .."

افلتته رافد فتمايل راغب حتى استند بجسده على سيارة قريبة بينما يمرر يده بشعره ويقول " اعلم ان لاذنب لغالية بكل هذا واني ورطتها منذ البداية وانا افرض عليها وجودي كحبيب ثم قيدتها امام اهلنا بزواج مرتقب قادم .."

ثم رفع وجهه ليحدق في رافد يطالبه بالتفهم بنظراته بينما يعبر لسانه بالقول

" هل تعلم متى بدأت اشعر بهول ما اقدمت عليه ؟ عندما رسبت وأعدت سنتي الدراسية الجامعية الاخيرة واصبحت مع غالية التي تصغرني بعام.. نذهب سويا ونعود سويا ونقرأ سويا ونأكل سويا و و و .. حتى كدت أجن وانا افكر هل ستكون الامور هكذا ؟!



الخلل لم يكن فيها هي بل فيّ أنا ! انا من ندمت وارتعبت ...ولولا اصرار والدها على اتمام الزواج لكنت اخرته بعض الشيء لاعيد التفكير .."

عاد واطرق براسه بينما يتنهد ويقول " جبنت وصمت .. واعترف اني كشاب كنت متشوقا لها لانثى وقد امتلكت مشاعري من سنوات .. "

اغمض رافد عينيه وموجة ألم تعتصره فلم يشعر الا بصوت راغب يقول بشجن

" مشاعر المراهقة ليست حقيقية رافد .. "

فتح رافد عينيه ليهمس بغضب مكبوت

" تكلم عن نفسك .. كثير يرتبطون من الصغر ويستمر حبهم بعد الزواج .."

عندها استعدل راغب ليصلب طوله ويشرح وجهة نظره " وان يكن ..؟! وان اعتبرت ان الغالبية يفعلون .. لماذا لاتحاول تقبل اني من الاقلية ؟ لماذا علي ان ادّعي ..؟! الا ترى ما يحدث ؟ اني اجرحها وانتقم منها دون ان ادري او اريد .. لكني غاضب .. وحانق .. احتاج لحريتي .. احتاج ان اعيش بمفردي .. وامي لا تفهمني .."

تملك رافد قلق مميت وهو يتذكر تصرفات امه الغريبة ليهمس " امك تعيش اسوأ مراحل حياتها .. وانت وسط اهتمامك بنفسك وما تشعر به انت تحطمها .. انك تعيد التاريخ القديم الموجع لأبانا معها "

عندها رد راغب باعتراف صلف " حسن انا ابن والدي .. وكان عليها ادراك هذا قبل ان تشجعني بأسراف مع خالتي انعام لارتبط بغالية حال تخرجنا من الجامعة .. لقد جعلتني اظن ان وساوسي وشكوكي ستدحر حالما نتزوج وان الحياة العائلية ستمنحني السعادة التي أنشد "

تكورت قبضة راغب بتشنج بينما يضيف

" لم يحصل رافد ! وانا غير سعيد مع غالية وغير سعيد بوظيفتي الروتينية المملة وغير سعيد بدور اب لااشعر به وغير سعيد وانا اخدع غالية واخونها مع بائعات الهوى .."

سأله رافد بحرقة لم يخفيها

" وماذا عنها هي ؟! كيف تفكر ان تتركها ببساطة هكذا لتعيش كما عاشت امنا ! "

الذنب كسا ملامح راغب للحظة قبل ان يقول " انا .. ما كنت اخطط لاتركها تماما .. اقصد اردت فقط بعض التحرر ... عام او ... عامين ربما .."

فيردد رافد ساخرا " او عشرة .. أو عشرين .."

يرتبك راغب وهو يردد بتوسل

" رفقا بي يا اخي ..."

لم ييأس رافد من محاول ثنيه فقال





" ارفق بك ؟! وماذا عن امي وغاليۃ من سيرفق بهما ؟؟ انت ذاهب لتحقق احلامك بالحريۃ والتمتع بشبابك تاركا في عنقي مسؤوليۃ لملمۃ اشلائهما معا .. وماذا عن لولو ؟! هل ستكبر ولاتجد والدها كما حصل لنا ؟ "

عينا راغب امتلأتا ألما لكن انانيۃ مشاعره واحتياجاته التي يدركها غلبته ...

قال وهو يهز رأسه

" لافائدة رافد .. إفهم انه لافائدة .. لقد حاولت .. حاولت كثيرا .. حتى خيانۃ غاليۃ فعلته لاحاول ان اخرج من نطاق الحلقۃ الخانقۃ للزواج .. لكن ليس كافيا .. لم يعد كافيا .."

عندما تجمدت ملامح رافد ليواجهه ببرود بالقول المباشر كمحاولۃ اخيرة

" امك جديۃ يا راغب .. اذا هاجرت حقا لامريكا فسيكون لزاما عليك منح غاليۃ حريتها ..كما سيكون عليك مواجهۃ هذا العالم بمفردك وتنسى ان لك عائلۃ .. "

بدى هول الصورة التي رسمها رافد في عيني اخيه واضحا ...

لكن راغب تحرك مبتعدا وهو يهمس

" وداعا اخي ..."





ليلا ....

سريرها ملتصق بالنافذة ...

تحبه هكذا ولاتشعر بالقدرة على النوم ان لم يكن سريرها ملتصقا تماما بأقرب شباك!

كما لاتستطيع النوم دون سروالها الطويل ..

تثني ساقيها وتضمهما لصدرها وتسند ذقنها على ركبتيها بينما تتطلع للظلمة التي خيمت على الحديقة ...

حديقة عمتها الاثيرة على قلبها ..

تذكرت اليوم الاول لها مع عمتها فائزة ...

حين تسللت ليلا للحديقة وافترشت الارض لتنام !

لم تنس فجيعة عمتها في الصباح وهي تبحث عن ابنة اخيها المراهقة ظنا انها هربت لتجدها نائمة في الحديقة ....

المرأة المسكينة اوشكت ان تصاب بازمة قلبية ... !

تبسمت جودا رغما عنها وهي تتذكر الصباح الاول الذي اشرق عليها في موطن والدها .. موطنها المفترض الذي تحمل جنسيته ...

لقد احضروها عبر السفارة ليسلمها احد الموظفين كقاصر تحت حكم عمتها ...



لازالت تذكر نظرات عمتها الفزعة اليها
عندما استملتها !

وهل تلومها ؟!

شعر مقصوص بتسريحة صبيانية مشعثة
بشعة وملابس مهترئة كانت العجوز لاتسمح
لها بارتداء غيرها لتخفي جمالها عن عيون
ازواجها الحمقى ...

بل ان العجوز بنفسها من كانت تقص شعرها
بهذه الطريقة البشعة ..

لاتذكر بشكل واضح اول زوجين للعجوز
لكنها تذكر الزوج ما قبل الاخير ..

كان سكيرا ولم يهمه شيء الا الحصول على
النقود اخر الليل ليخرج لاهثا خلف حاجته
للشرب بعد ان يرضي حاجة العجوز المرضية
للمعاشرة ...

وهي جودا ابنة الثانية عشرة كانت تصلها
همهمات الاصوات المكتومة بينما تنام في
الغرفة القبيحة المجاورة لغرفة العجوز ..

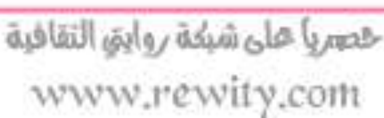
العجوز العجوز العجوز ...

لم تستطع يوما الشعور انها (جدتها) ..

لم تنادها يوما بهذه التسمية ...

ومؤكد لم تشعرها ...

العجوز من حكمت عليها ان لاتناديها
(جدتي) حتى لاتوحي انها عجوز !


ضحكت جودا رغما عنها وهي تفكر انها اطلقت عليها تسمية العجوز لتغيظها ..

الشيء الوحيد الذي فعلته تلك المرأة المتصابية وكان جيدا لها هو اجبارها اياها على الذهاب للمدرسة ..

كانت جودا تتصور ان هدف العجوز لايتعد ان يكون لرغبتها في ان تتخلص من وجود حفيدتها في البيت فتسرح وتمرح بحرية مع ازواجها المتعاقبين ..

لكنها علمت لاحقا السبب ...

كما علمت جواب سؤال كان يثير فضولها في مراهقتها ... لماذا جدتها حرصت على ابقائها مقيمة في البيت ولم تطردها ببساطة للشوارع...؟

وبغض النظر عن اسباب العجوز المهم ان ازواجها لم يكونوا مهتمين بالطفلة الصغيرة النحيلة التي لاتتوقف جدتها عن ضربها واهانتها ومعاقبتها ...

لكن لسوء الحظ الزوج الاخير .. أهتم....

ارتعدت فرائص جودا وهي تغمض عينيها بارتجاف داخلي ...

كامل .. الحقير !

عندما تزوجته العجوز كانت جودا مقبلة على الخامسة عشرة وجسدها فائر بالانوثة ..



لم تنفع قصة الشعر البشعة ولا التجويع ولا الملابس المهلهلة القذرة في حجبها عن عينيه القذرتين ...

هو السبب في تمسكها بارتداء السروال الطويل في النوم ... بعد ان ايقظها ذات ليلة وهو يلامس فخذها بعد ان رفع منامتها بحقارة كاشفا عن ساقيها ...

صرخت فيه وعضته وخربشته لتوقظ العجوز من غفوتها ... فتأتي هادرة لتكتشف ان زوجها الحقير يتحرش بحفيدتها ...

وبدلا من ترميه خارجا اختارت جودا لتصب جام غضبها عليها ...

لكنها لم تطرد جودا ايضا ! واكتفت بالضرب والاهانة ...

دوما كانت تتساءل جودا ...

لماذا العجوز تأويها اصلا ؟!

لماذا لاتطردها من البيت وترميها ..؟؟

ثم علمت لاحقا السبب..

انها الوديعة ! الوديعة المالية التي تركها والدها والتي تشترط على العجوز ابقاء جودا تحت سقف بيتها .. واستمرارها في الدراسة ...

غامت عينا جودا وهي تتذكر العام الاخير لها مع العجوز ...

ومع كامل الحقير ....



كانوا ثلاثتهم في حالة تربص ببعضهم البعض.. كامل يتربص بالمراهقة جودا والعجوز تتربص بكامل وجودا... تتربص بهما هما الاثنين ...!

سريرها يلاصق النافذة الصغيرة تأهبا لأي محاولة من الحقير ليلا بينما تسد باب حجرتها بخزانة مكسورة ..

وعند ادنى صوت تفتح الشباك استعدادا ...

رغم كل هذا الخوف ...لم تهرب ...

فالخوف من المجهول كان افظع في نفسها ..

كما انها أملت ببلوغ سن الرشد حتى تأخذ مالها وترحل ..

كم كانت واهمة ولم تدرك ما يحدث ..

مدت جودا يدها لشباكها الحالي ... تلامس برودته بارتعاش تتذكر برودة الليلة الاخيرة لها مع جدتها... لا .. بل العجوز !

كان كامل وهو رجل في الاربعين يتشاجر كالعادة مع ...العجوز ..يطالبها باعطائه مزيدا من المال وهي ترفض وتسبه وتشتمه ...

لاتعلم جودا لم شعرت بالخوف تلك الليلة ..

لم تعلم لماذا اجبرت نفسها على النوم !

لقد مارست جهودا جبارة لكي تدخل في غفوة اجبارية ولاسباب مجهولة ...

تلك الليلة الباردة كانت اكثر برودة لان جودا اختارت ان تفتح الشباك في اقصى حالات التأهب !



لم تعلم ان الفرار من اتهام بجريمة قتل كان اهم لكامل الحقير من محاولة بائسة لنيل جسد مراهقة شرسة قذرة ...

لكن لاحد صدقها عندما اتهمته بقتل جدتها ...

صباح اليوم التالي عندما اكتشف اهل البلدة وفاة العجوز لاحد صدقها عندما قالت ان كامل هو الفاعل !

الكل اقنع نفسه ان كامل هرب من حجيم تلك العجوز اخذا معه ما تبقى لديها من مال فانهارت العجوز لتسقط ارضا ويرتطم رأسها بحافة السرير الصلبة ...

وقيدت الوفاة كحادث عرضي ...

رفعت جودا كفيها لراسها تنكش شعرها الطويل بحركات عنيفة !

تتمتم لنفسها بنبرة مجروحة " انت ايضا يا جودا أتيتِ للحياة كحادث عرضي ! انك نتاج بائس لاحد يريده.. "

برقت نظرات تلك العينين وسط ظلمة احساسها انها مرفوضة ...

همست اسمه رغما عنها " سعد .."

ثم تذكرت كلماته

(هل تعلمين ما تحتاجينه لاعادة تنظيم الفوضى في داخلك ؟ ان تهتمي لمن يحبونك وتحبينهم .. انت تحبين ياسر بل وتعشقينه كما افترض انك تحبين تلك العمة



الرقيقة الحنون .. لكن اهتمي بهما كما يهتمان بك ... فربما ستجدين نفسك عندها جودا .. عندما تشعرين ان تتبادلين المشاعر مع اناس تثقين بهم وتربطك بهم صلة رحم و دم ..)

لاتعرف ماذا جرى لتتذكر كل هذا ؟!

لاتعرف لِمَ وسط فوضى الماضي تتذكر عينا سعد وهما تبرقان وتحدقان فيها ..

لاتعرف لم لاتكف عن تذكر تلك الكلمات التي قالها لتضيف لجوعها جوعا ...!

اخذت دموعها تسيل وتشهق كطفلة ..

تشدد من ضم ساقيها لصدرها وتبكي من صميم قلبها ...

تعالى صوتها دون ان تشعر ...

كما لم تشعر بإخيها وهو يفتح الباب ويتقدم نحوها ببطء ...

وقف جنب سريرها فينادي اسمها " جودا .."

رفعت باجفال وجهها الباكي اليه وحالما تعرفت على ملامحه العابسة في الظلام عادت لتشهق بالبكاء وهي تفكر ان لو اصاب ياسر اي مكروه ستموت !

مدت يدا مرتعشة بتوسلها تمسك بسرواله البيتي في مناجاة صامتة ...

ولعجبها جلس ياسر جنبها ليزفر بقوة وهو يقول بنبرة تفيض خشونة " تعالي ..."



وبشهقة عنيفة رمت نفسها على صدره تجهش في البكاء ...

انه هو فقط .. من منحها القوة بوجوده في حياتها ... حتى العمة فائزة لم تستطع منحها هذا الشعور ...!

كم تتمنى لو ترضيه ..؟!

لاتعرف لم حقا تشعر انها تريد ارضاءه هو تحديدا ...

لكنها لاتستطيع تحقيق هذا ...

ثورة تجيش على الدوام في صدرها ..

تجعلها تتصرف بجنون مطبق !

اغرقت وجهها المبلل بالدموع في صدره القاسي ، لايُلين قساوته الا نبض قلبه ...

اجل هو لديه قلب .. وقلبه هذا يحميها ...

هي تشعر بهذا دون ان يقوله ..

لم تكن ترى ياسر وتجهم وجهه في الظلام بينما يفكر بما اخبره به سعد ظهر اليوم ..

كيف سيحميها من نفسها ؟

كيف سيسحبها من وسط ثوراتها المحتدمة ..

اغمض عينيه تاركا اياها تتمرغ بوجهها الباكي على صدره بينما يكز على اسنانه ويتمتم في سره " ماذا فعلت ابي ؟! لماذا تركت هذه الصغيرة حيث لااعرف ما عانته ؟! ماذا فعلت ابي ؟ ماذا فعلت ؟!"





بعد بضعة ايام ..

قرب باب مكتبه وبينما تطلعه سهر على بعض الامور الخاصة بطلبية طعام جديدة تصدح اغاني فيروز الصباحية ...

تمتم ياسر بمزاج سيء " فيروز مرة اخرى ؟! "

فتحت سهر عينيها واوشكت ان تشهق حتى وهي تقول " انك تصدمني ! هل يوجد كائن حي لايحب صوت فيروز ؟"

بابتسامة جانبية لامعنى لها اجاب ببرود

" انا كائن وحسب معلوماتي ما زلت حيا اتنفس ولا احب صوت فيروز .."

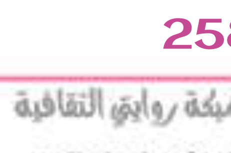
عقدت حاجبيها وهي تشير للزبائن عبر الشبابيك المطلة على الشرفة قائلة باسلوب عملي رغم ان داخلها يغلي غيظا

" البشر الطبيعيون يحبون فيروز في الصباح واكثر من زبون شكرنا لاننا اصبحنا نضع لهم هذه الاغاني مع وجبة الافطار .. فأرجوك لاتبدأ بممارسة اسلوبك التعسفي السوداوي عليّ ياسر .. ودعني انا اقرر مع رافد هذه النواحي لانك لاتفهم ما يحبه الزبائن ويجذبهم "

اخذ يهز كتفيه بلا مبالاة مغيظة بينما يؤشر بسبابته على جانب رأسه ويقول

" انها تسبب لي الصداع .."






تأففت بطريقتها التي يحبها فتتكور تلك الشفتين بطريقة شهية تؤرقه ليلا قبل ان يرحمه النوم بفرض سلطانه عليه

قالت سبب أرقه " وانت تسبب لي الاحباط .."

كفه تحرك ليستند عفويا على اطار باب مكتبه بينما يحتجزها جزئيا ودون ان تشعر بينه وبين الجدار ليقول بتفكه ساخر

" لماذا يا وردية .. ألانني لااجد اذني تستسيغان صوتها ؟! "

كانت تشعر ببعض التوعك الخفيف اليوم ولديها صداع هي الاخرى لكنها مع هذا لاتقاوم صوت فيروز ...

همست بتعب " ياسر ..."

يرد بنبرة متسلية " نعم .."

تسأله " هل تحب الموسيقى بشكل عام ؟"

يبتلع ريقه بينما يرد بذهن غائب مع شفتيها

" لا ..."

حزنت تلك العينين وهما تتوسلانه عدم احباطها اكثر فتسأله برقة

" ولا اي اغنية ؟!"

لا بد ان قلبه اصابه مس كهربائي ليشعر انه يكاد ينهار للحزن الطفولي الذي يطل من تلك العينين لاجل اغنية سخيفة لامعنى لها!

رد ببعض التلكؤ المتعمد

" امممم احببت مرة موسيقى تركية .."



تهللت الخضرة في العينين وشعت نبرات صوتها بأمل مضحك بينما تسأل بابتهاج

" تركية ؟ هذا رائع ...موسيقاهم كلها احساس وشجن"

قال بصوت أجش " اسف لتخييب ظنك كانت مجرد موسيقى لمسلسل تركي مشهور عن الحروب والصراعات "

عادت لتأففها الذي يثيره لتقول

" انت مُحبط حقا ! "

رفع حاجبا وانزل آخر ليغيظها اكثر بالقول وهو يصف تلك الموسيقى " موسيقى خاصة خشنة قوية ... هادرة ببدائية ... كانت تجعلني أرغب ..بتفريغ ..كل ..طاقاتي ..فيها"

اخذ ينظر اليها بطريقة جعلتها تتورد خاصة مع تركيزه عند اخر اربع كلمات ..

ادركت فجأة كيف يقفان قريبين في هذا الممر الخالي .. تنحنحت وهي تتحرك جانبا قليلا لتبتعد عنه وهي تسأله

" كيف ... سمعتها ؟"

رد وهو ما زال على وقفته " بالصدفة .. كنت امر يوميا عند ذهابي لعملي في مكتب عقاري في اسطنبول امام محل لبيع اقراص الاغاني والموسيقى وصاحب المحل يشغلها باستمرار ... يبدو انه كان يملك ذوقا كذوقي "

سألته بعجب واثارة في نفس الوقت

" كنت في تركيا ؟! "

هز راسه وبدا مستخفا بابتهاجها ليقول يرضي مشاعرها المتأثرة بالفكرة

"عشت لعام كامل في اسطنبول .. كانت اجمل سنة في حياتي .. اناس شديدو الحيوية الى درجة معدية .."

ارادت ان تسأله الكثير عن اسطنبول التي تحلم بزيارتها يوما عندما همس اسمها

" سهر .."

رمشت على صوته الغريب وهو يهمس اسمها هكذا لتنتظر كلامه عندما فاجأها باقترابه وهو يسأل بغموض

" لماذا لم تتزوجي حتى الآن .."

انفاسها تسارعت وشيء ما ربما حدسها الانثوي كان يدفعها دفعا لتستغل الفرصة فردت بطريقة انثوية لاتخلو من الفكاهة الجذابة والمعاني المستترة

" لم أجد ابن الحلال الذي يعجب .. قلبي .."

اخشوشن صوته وهو يسألها

" هل تبحثين عنه ؟"

رفعت حاجبيها الاثنين وبنظرة مغرورة اجابت

" هل تراني ابحث ؟! "

عيناه الداكنتان التمعتا بقسوة غريبة بينما يبتسم ابتسامة لامعنى لها ويسألها






" بالمناسبة أردت سؤالك عن تلك القلادة التي ارتديتها في عرس عماد .."

شعرت باحساس غريب !

انه ينتقل انتقالات عجيبة متلاحقة وتكاد تلهث وهي تجري هنا وهناك خلف انتقالاته تلك ...

سألته بتأن " ما بها ؟ هل اعجبتك ؟"

اسبل اهدابه وهو يرد بنبرة غير مفهومة

" نعم .. بدت غريبة .. من اين حصلت عليها ؟"

ردت ببساطة " كانت هدية .."

شعرت بتشنجه ! هل يعقل انه يغار ممن يمكن اهداها الهدية ؟!

لكنه لايعرف حتى من اهداها لها !

لكنها تعترف بفرحها المنعش لفكرة ان تثير غيرته ...

أعاد ألحاحه حول القلادة ليسألها

" هل تستطيعين سؤال من اهداك اياها من اين اقتناها ؟ اريد شراء واحدة مماثلة لاختي جودا "

حالما ذكر اخته التي لم تلتق بها حتى الآن شعرت بالفضول يتملكها .. ترى كيف تكون اخته ؟ هل تشبهه ؟ ولماذا لاتتذكر انه كان له اخت عندما كانا في الجامعة !

هل يعقل انه ذكرها بوقتها وهي نسيت ؟



ركزت في السؤال لتجيب بصدق

" لااستطيع مساعدتك للاسف .. اذا كنت تريد فيمكنني احضار...."

قاطع اقتراحاتها بالقول

" ولم لاتستطيعين ؟! اخبري من اشتراها لك انها اعجبت احدهم ويريد صياغة مثلها .."

عادت لتقول وهي تهز رأسها سلبا

" لا استطيع .."

فيسأل بغموضه المزعج الذي يربك عقلها

" ما المانع ؟ "

عندها أقرت قائلة وهي تحدق في عينيه

" لاني.... لااعرفه .."

ابتسامة صغيرة بدت لها متسلية للغاية بينما يعقد حاجبيه قليلا ويسألها مظهرا تعجبا ساخرا

" لاتعرفين من اهداك هدية كهذه؟!"

شمخت بذقنها لتقول

" نعم .. لااعرفه ... لقد وجدتها قبل فترة موضوعة كهدية على نافذة سيارتي "

رغم ان الابتسامة لم تفارق شفتيه الا ان نبرته شعت بمعان كثيرة منها الاستهجان ومنها القسوة ومنها العنف بينما يقول " وانت تقبلت هدية من مجهول هكذا ببساطة ؟! "

هزت كتفيها باناقة بينما ترد عليه " لم يكن لي خيار القبول او الرفض .. قلت لك وجدتها على سيارتي مع رسالة .."

سارع ليسأل باهتمام " رسالة ؟ ماذا كان.."

قاطعته بالقول الحاسم " لاتسأل عن فحواها لاني لن اخبرك .."

نفحات من شحنات غضب شعت منه بينما يسأل

" هل هو معجب حقا ؟ "

تحدته بالقول

" وربما مقلب من احداهن لتسخر مني ؟"

لكنه أصر وتشنجه يزداد " لكن الاحتمال وارد .. ان تكون من معجب ..."

ردت وهي تلامس صدغها " وارد طبعا .."

شعرت ان توعكها ازداد بينما هذا الفظ الجلف يفرض عليها تحقيقا ساديا وهي الغبية تعطيه الفرصة ليفعل فقط لانها تتوق ان يعترف بما يشعر نحوها فعلا ..

هذا ان كان الجلف يشعر..

صوته جاء حادا كالشفرة مما زاد من وجع رأسها وهو يقول

" هل ارتديتها في العرس عسى ان يظهر معجبك المجهول ويعترف لك بالحب .."



تنهدت وهي تشرح له بساطة الموضوع

" ارتديتها لانها كانت تليق بفستاني الفضي لااكثر .. وامي شجعتني .. هل يكيفك تحقيقا معي اليوم ؟ انا اشعر بالتوعك حقا وانت لاتفكر الا بقلادة لامعنى لها عندي !"

للحظة بدى مبهوتا من سلاسة منطقها في التفسير ...

تلامس صدغها مرة اخرى بينما لم تردع نفسها عن اغاظته بالقول

" تبدو مهتما للغاية بالمعجبين بي ! "

هذه المرة اقترابه ارهق انفاسها بينما يحدق فيها بحرارة واضحة ... لكنه صامت ..

عيناه فقط تتكلمان !

ماذا يفترض ان تفعل لتدفعه حتى يتكلم بصراحة واضحة ؟! ان تأخذ لتلك العينين المرعبتين بحرارتهما صورة فوتوغرافية وتواجهه بها ليعترف .. ؟!

لكن يعترف بأي شيء !

يا الهي مؤكد الحرارة دبت في جسدها وبدأت تهلوس !

بهمس مرهق قالت " لاتنظر الي هكذا .."

فيرد وهو يضحك بخفة ارعشتها

" لماذا ؟ انت بهجة للنظر .."

حدقت فيه لبضع ثوان قبل ان تستجمع شجاعتها وتسأل " ياسر .. ماذا تريد مني ؟"





يده التي كانت الى جانبه ارتفعت وللحظة امتدت اصابعه قريبا من خدها فأسبلت اهدابها وقلبها يخفق بجنون ترقبا ...

لم يلمسها .. فقط اصابعه توشك على فعلها لكنه همس " انت محمرة الخدين .."

فترد بشجاعة حسدت نفسها عليها

" لانك تحدق بي .."

فيسألها بلمحة غيرة لاتخطئ " هل كل رجل يحدق بك يجعلك هكذا ؟"

عندها رفعت نظراتها اليه تواجهه بالقول

" ليس كل الرجال ينظرون الي كما تفعل انت الان ..."

" مرحبا ... هل هناك اجتماع مهم عند باب مكتبك يحتاج حضوري ؟"

صوت رافد المتسلي وهو يقترب منهما جعل ياسر يبتعد تلقائيا للخلف بينما همهمت سهر بتحية قبل تمر برافد تاركة الممر للصديقين ...

استدار ياسر ليدخل مكتبه بينما يلحق به رافد وهو يقول ضاحكا

" عليك ان تتزوج الفتاة قبل ان تسيء لسمعتها اكثر ... تعرفني لساني طويل وسأخبر الجميع انك كنت تقبلها في الممر المظلم !"





التف ياسر حول مكتبه ليرد عليه ببرود

" لاتبدو مضحكا خاصة بهيئتك هذه التي يرثى لها ! متى ستحلق ذقنك وتقص شعرك لاتعرف على صديقي الذي اضعته في مكان ما؟! "

ضحك رافد لكن دون مرح !

ليجلس على كرسي قبالة المكتب فيعيد رأسه للخلف مسندا اياه على ظهر الكرسي فيغمض عينيه ويتمتم

" انا نفسي اضعت رافد في مكان ما .. اشعر اني شبحي ولايراني احد كما لااری نفسي ..."

جلس ياسر على كرسيه وهو يتطلع لرافد ويقول بهدوء " لقد بدأت تقلقني حقا .. وانت تعرف كم من الصعب اقلاقي عليك تحديدا"

لم يبدِ رافد اية ردة فعل ولم يتحرك حتى ..

سأله ياسر دون مواربة " هل اتصل راغب ؟"

تمتم رافد " لا ... ولايرد على اتصالاتي .. ولا اجده في اي مكان ! لااعرف اين ابحث بالضبط بعد ان قدم اجازة مفتوحة من عمله .. لكني متأكد انه يختفي عند احد اصدقائه الذين يرفضون اخباري عن مكانه النتيجة كما يقال فص ملح وذاب ! "

فيعاود ياسر السؤال " هل تحسنت غالية...؟ وماذا عن والدتك ؟ "







ما زال في وضعيته بينما يرد بنبرة يائسة

" غالية وامي ما زالتا في واد اخر .. امي بوجهها الجامد وكأنها لم تعد تعيش معنا على نفس الكوكب .. وكل ما تفعله تعتني احيانا بالصغيرة لولو وترفض الكلام عن راغب او حتى ماحصل رفضا باتا ... اما غالية فهي كما هي .. تطفح بنظرات المرارة والحقد بينما تحبس نفسها اغلب الوقت مع ابنتها في غرفتي..."

عبس ياسر وهو يتساءل بعجب وحيرة

" في غرفتك ؟!"

فيفتح رافد عينيه ليرفع راسه لصديقه وقد تملكت ملامح وجهه سخرية مريرة وهو يقول بتفكه ينبض بألم غريب

" ألم تعلم ؟! اجل .. اضطررت ان اعطيها غرفتي بعد ان اوشكت على التقيؤ على باب غرفة اخي القديمة ..."

عقد ياسر حاجبيه وهو يحاول فهم تلك الاشارات الغريبة من صديقه بينما يتمتم بحزم " تماسك رافد .."

التمتعت عينا رافد بعذاب وهو يقول بابتسامة موجعة " الصغيرة لولو تناديني دادا هل تعلم؟! وانا مطلوب مني اتقبل مناداتها هذه التي تخص راغب بها بابتسامة عريضة !



كما وعلي ان اتقبل جمود امي العليلة بصمت بينما يمزقني الرعب من حصول ازمة صحية لها واتقبل حال غالية بصمت ايضا وهي تنتحر ببطء ولاتكف عن طلب الطلاق ليل نهار !
واليوم مساء ستحضر خالتي انعام ايضا وهي لاتعلم الا ان شجارا مألوفا وقع بين غالية وراغب مما دفع غالية لتبيت عندنا بضعة ايام.. لكن مؤكد ستشعر بوجود الكارثة ولااعلم ماذا سأقول وبماذا سأبرر امام خالتي وزوجها ! "

شد ياسر شفتيه قبل ان يقول بحدة

" اخوك راغب سافل حقير.."

اغمض رافد عينيه وعاد برأسه للخلف كما كان ليقول بنبرة تحمل رعبا حقيقيا

" ماذا سأفعل ان طلقها حقا ورحل ؟! كيف ساتصرف معهن .. امي وغالية والصغيرة لولو "

وقف ياسر على قدميه والتف حول مكتبه ليصل الى رافد فيمسك كتفه ويشد عليه قائلا " ستفعل ما تفعله دوما .. تكون الرجل القوي الذي اعرفه ويجيد الاعتناء بعائلته .."

لم يجرؤ رافد على فتح عينيه ...

لن يجرؤ على كشف سره المثير للاشمئزاز..

حتى لياسر لن يجرؤ على فعلها ...



تدرو الكلمات في رأسه وهو يشعر باصابع صديقه تشد على كتفه

" آآآآآه يا ياسر ... ليتني استطيع البوح ..

ليتني املك القوة لاعترف بما يقتلني كل ليلة ... انت لاتعلم ... لاتعلم بالنار ...

غالية تعيش معي تحت سقف نفس البيت البيت و تنام على سريري ! "

بعد عشرة ايام

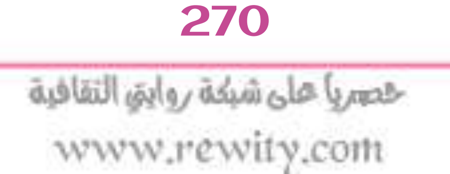
مساء ...

يتشاركان المائدة في زاوية المطعم ولايتوقفان عن الضحك منذ ساعة كاملة !

يتحرك ياسر ذهابا وايابا يراقبهما بطارف عينه من بعيد ونيران الغيرة يشعر بها تحرق احشاءه وتذيب عظامه واذا استمرا على هذه الحال ستشع النيران عبر مسامات جلده قريبا وتحرق ملابسه التي عليه !

ارتفعت ضحكة مرهقة من سهر فسحق ياسر اسنانه بينما يرى سهر تميل برأسها تريحه بدلال على سطح الطاولة المربعة امامها بينما يمج رافد من سيجارته ويسألها ان كانت بخير فترد بحركة نفي من رأسها انها ليست بخير لتلف ذراعيها حول رأسها بينما يلقي رافد نكتة اخرى فتبدأ موجة ضحك جديدة ..







كم يود ياسر لو يذهب لصديقه الذي اصبح يدخن بشراهة مؤخرا فينتزع تلك السيجارة من بين اصابعه ويطفئها في منتصف جبهته ليستفيق من حالة الهذيان التي هو فيها ويخدرها بادعاء الضحك والمرح !

وهل تظن تلك المتدللة انها تساعد رافد باهتمامها المبالغ فيه وهي تجالسه كل يوم جلسات المرح السخيف هذا !؟

ماذا ان ظن الاحمق انه يقع في هواها وهو بهذه الحالة من عدم الاتزان العاطفي !؟

ثم اليست تعاني من حمى او ما أشبه وانفها محمر من اثر زكام حاد ؟

لماذا أتت اليوم والجو عاصف ممطر !؟

تحتاج هي الاخرى لصفعة على وجهها وارسالها بسيارة اجرة لبيتها لتأخذ دواء وتنام بدلا من الهذر والنكات التافهة التي تتبادلها مع رافد..

هذه المرة شعت النيران بشكل مؤكد عبر مسام جلده وهو يرى رافد يميل نحو رأس سهر النائم وشعرها المتناثر بسحر على الطاولة ليهمس لها بكلمات لم تصل لاذنيّ ياسر لكن مؤكد جعلته يشعر انه كالثور امام قطعة قماش لعينة حمراء !

تقدم نحوهما بوجه شديد التجهم بينما يقول بقسوة علّها تطفئ بعض نيرانه " سهر .. الطاولة للزبائن وليست سريرا بديلا لك .. قومي وعودي لبيتك...لم يكن يفترض ان تأتي اليوم .. "



بتعب شديد رفعت رأسها لتواجهه بوجه محمر من اثر حمى واضحة لايعلم لم شعر بمزيد من الغضب نحوها فارتفع صوته وزادت خشونته وهو يقول " عودي للبيت حالا فحالك مؤكد يثير الرعب بين الزبائن .. بأرنبتي انفك الحمراوين كطماطم ناضجة وشفتيك المريضتين بشحوبهما الواضح "

ارتد رافد بظهره للخلف وهو يمج من سيجارته ويقول بتسلية " خفف عنها اليوم فقط يا ياسر الا ترى حالها ؟ "

نظرة نارية وجهها ياسر لرافد ردها له رافد بنظرة ملتمعة مستفزة وابتسامة عريضة بينما قال ياسر بعنف

" هي من لاترى حالها وسترى الزبائن قريبا يركضون مغادرين المطعم خوفا من العدوى "

تنهيدة ندت عنها فالتفت اليها ياسر ودون تفكير قرر وقال

" هيا .. احضري باقي حاجياتك وتعالي لاوصلك .. اتركي سيارتك هنا .."

تمتمت بعناد وهي تدلك جبينها " لااريدك ان توصلني .."

ثم اشارت بوهن لرافد وهي تضيف بهمس رقيق من شدة الارهاق

" رافد سيفعل "



وبّخها ياسر وهو يميل نحوها قائلا من بين اسنانه

" امتلكي بعض الاحساس بالاخرين وفكري ان عليه العودة لوالدته في هذه الظروف الصعبة التي يمرون بها ..."

عادت لتأففها وان كان هذه المرة خافتا لتقول بضعف وهي تعاود الميل برأسها لسطح المائدة

" أفٍّ منك يا ياسر .. الم تختزن في قلبك بعض الرحمة منذ عهد الطفولة مثلا ..؟ "

ارتفعت ضحكات رافد بينما يوجه ياسر كلامه الصارم لها وهو يقول " كفي عن التذمر المزعج وكفي عن تأخيري .. ليس لدي اليوم بطوله لاتحمل دلالك .. الظلام اشتد بالغيوم السوداء ولامعنى لبقائك "

رفعت وجهها وبات واضحا انها مريضة جدا رغم انه كذب بالقول ان شفتيها شاحبتان فعلى العكس هما متوهجتان بالحمرة الطبيعية بفعل حرارة جسدها المرتفعة ...

تمتمت تلكما الشفتان بهمس انثوي ضعيف

" فقط بعض الرقة .. هذه الليلة فقط .. واعدك لن اذكرك يوما انك كنت .. رقيقا معي .. ايها الخشن الفظ .."



جلجلت ضحكات رافد هذه المرة فنهره ياسر

" أصمت ... وكف عن التدخين .. تعرف ان رئتي ما زالتا تعانيان التحسس من الدخان "

رفع رافد كلتي يديه باستسلام قبل ان تميل يده بسيجارته ليطفئها بالمطفئة المعدنية امامه ..

تطلعت اليه سهر بوهن تسأله بفضول

" هل لهذا لااراك تدخن ؟ كنت تدخن بشراهة في الماضي .. حسن .. امر جيد غلبك شيء وجعلك تقلع عن امر ... تحبــه"

بخشونة رد " اصبحت تهذين .. هيا بنا .."

وقفت على قدميها وهي تهمس بانزعاج طفولي

" حاضر حاضر"

لم يعرف رافد كم مر على مغادرة سهر مع ياسر لكنه بتفكه تخيّل صديقه يجثو على ركبتيه يتوسل الحب من سهر !

ضحك رافد والضحكات احيانا تصبح كالسكاكين الثلمة ...!

الغبي ياسر .. الا يدرك كم هو محظوظ..؟

كم يتمنى لو يجد الشجاعة ليخبره عن معشوقته المحرمة التي تنام منهارة بالبكاء كل ليلة على سريره .. سريره ...سريره ... اااااااااااااااه...

بينما هو يقضي لياليه يشبع سرير اخيه باللكمات ...





" سيد رافد صديق لاخيك راغب كما عرّف عن نفسه أتى قبل قليل وسلمني هذه الرسالة وقال انه في عجلة من امره وطلب مني تسليمها لك شخصيا..."

رفع رافد وجهه لعبد الكريم الذي يعمل لديهم منذ عام تقريبا وللحظات لم يستوعب ما قاله هذه الرجل الذي يناهز الخمسين ..

تمتم رافد بتيه " رسالة من راغب ؟"

رد عبد الكريم وهو يمد الظرف الابيض اكثر ويقول " اجل سلمها الشاب لي ورحل .."

ثم تركها على الطاولة ورحل هو الآخر ...!

بعينين جامدتين تطلع رافد لذلك الظرف الابيض .. يده ترتعش وهي تمتد لذلك الظرف وتلتقطه ..

انفاسه انحشرت وقلبه غار في صدره ...

بل يشعر بدواخله كلها انكمشت ...

فتح الظرف واخرج .. رسالة ...

ورقة بيضاء واحدة سطرها اخيه الصغير باسطر الانانية والخيانة وبايجاز مؤلم !

(اخي رافد ...

عندما تقرأ رسالتي هذه أكون على متن الطائرة ... وانت تعرف وجهتي ...





لم استطع القدوم لبيت العائلة خاصة وانا اعلم ان غالية هناك .. اطلب من امي ان تسامحني وسامحني انت ايضا يا رافد ، اما غالية فلا اجرؤ على طلب السماح منها .. لكن هذا انا ولااستطيع تقديم المزيد اليها ..

لذلك سأنصفها واحقق مبتغاها الذي قد يريحها ويرد كرامتها ... اخبرها اني طلقتها .. وان طلقتها بائنة .. لقد أتممت الامر بشكل رسمي هذا اليوم قبل سفري مع المأذون الشرعي ... وربما غدا ستصلها الورقة الرسمية

انا راحل اخي .. اترك في عنقك امانة ثقيلة واعلم انك اهل لها ...

غالية وابنتي لجين ... ومؤكد امنا ...

ربما انت غاضب مني وتحتقرني لما فعلت وكنت جبانا فلم اواجهك لذلك لن ألومك حتى ان كرهتني لكني اتأمل ان سيأتي يوم وتفهمني لتقدر احتياجي للتحرر في هذه المرحلة من حياتي ... وربما الامر لن يستغرق طويلا لاعود .. من يدري ؟ وربما ..لا..

في كل الاحوال غالية انتهت بالنسبة لي ولم أعد اشعر الا بالذنب نحوها ...

لقد بعت سيارتي واما الشقة فهي باسم غالية من البداية .. مؤكد لن تستخدمها بعد ما حصل بيننا لذلك يمكنك بيعها لها والمال ملك صرف لها ولابنتي .. وانا سأحاول ان أبعث مالا لها حالما استطيع تدبر اموري لكن مؤكد ليس في الاشهر الاولى ...



سامحني اخي ...سامحني ...

انا احبكم جميعا ... فحاولوا مسامحتي..

وداعا .. وربما الى اللقاء ...)

غادر مساعداه قبل نصف ساعة .. فجو ممطر عاصف كهذا يغيب فيه الزبائن ولامعنى لابقاء المكتب مفتوحا ... ولا خيار الا الاغلاق المبكر ..

لملم سعد اغراضه واطفأ الاضاءات في مكتبه بينما يرتدي سترته الواقية من المطر قبل ان يغادر ...

المطر شديد ..برق ورعد ينذران ان العاصفة ستشتد أكثر ...

اغلق مكتبه بعناية ووضع الاقفال قبل ان يستدير بخطوات مهرولة على الرصيف مسرعا نحو سيارته المركونة على بعد امتار ...

تجمدت خطواته واخذ المطر يغرق رأسه وهو يتعرف على وقفتها المستندة على جانب سيارته !

تمتم بقلب خافق " يا آلهي ..."

قبل ان يعاود الهرولة نحوها ...

وقف امامها وهو يتمتم تحت المطر المنهمر

" مرحبا ..."

لم يعرف ماذا اصابه وهو يتمتم بهذه التحية المضحكة في هذا الوضع المربك !





لقد ابتلع الخرس لسانه فيعجز عن سؤالها لم هي هنا ...؟

كانت ترتدي السواد سترة وبنطال بينما لاتغطي رأسها بشيء ليتبلل شعرها تماما وتلتصق خصلاته على خديها فلا تبالي فتاة الادغال بينما تقف هكذا تحدق فيه ..

فقط لو تتوقف عن التحديق فيه بتلك العينين ...

منذ ان أتت اليه قبل اسبوعين بفعلها المتهور ذاك وقد قرر ان يقاوم تأثيرها فيه ..

بعقل ومنطق فكر انها فتاة تحتاج حقا للمساعدة وهو لايستطيع تقديمها لها ..

ليس وهو صديق لياسر ولايستطيع الاقتراب بشكل يرضي ضميره ...

ولعجبه مقاومته لها في الصحو كان لها ردة فعل عكسي على المنام !

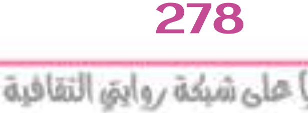
اخيرا زارته ...

كم طلبها سابقا لتزوره في احلامه لكنها لم تأتي ...

وما أن قرر الابتعاد حتى تلاعب به عقله وفرضها على احلامه مرة أخرى ...

ولم يكن حلما مريحا .. لقد جعله يشعر بالاختناق واستيقظ فزعا وهو ينادي اسمها ...

ثم تهور ليذهب للجامعة ذاك الصباح فقط لكي يراها من بعيد ..



ربما ليطمئن عليها وربما لانه.. يشعر بشوق غريب لتلك العينين اللتين سحرتاه..

اسبل سعد اهدابه وهو يتنحنح ليميل جانبا بجذعه فاتحا لها باب سيارته وهو يقول بصوت أجش

" ادخلي جودا قبل ان تغرقي بالمطر"

ردت بلامبالاة دون ان تتحرك من مكانها

" لاتخش علي لقد اعتدت لسنوات البلل تحت المطر دون ان يصيبني حتى رشح بسيط "

رفع نظراته لها فيراها ما زالت تحدق في وجهه المطر يغرقه هو الآخر لكنه لم يستطع الا مشاركتها جنون البلل !

تحركت الشفتان المغريتان بنبرة خشنة لتطلب دون اي مقدمات او حتى رجاء لطيف

" اريدك ان تساعدني في .. الفوضى التي اشعر بها ... في اخماد ثوراتي التي تجعلني اتصرف بتهور دون ان املك ردع نفسي "

عيناها تشعان وسط سواد خصلات شعرها المبللة بينما تضيف بقوة وانفاسها لاهثة منفعلة " اردعني انت ...! يجب ان تفعل ..."

تمتم بهدوء يناقض الصخب من حوله وفي داخله " لماذا ؟!"

فتتكتف وهي ترد بنبرة فظة

" لماذا اخترتك أنت ؟! لاني لا أجد غيرك يستطيع ..."



ابتسم في وجهها ابتسامة مشعة فالتقط تأثرها وهي تزيح نظراتها جانبا بخجل فطري لم تستطع اخفاءه..

سأل مصححا مقصده

" بل... لماذا تريدين ان اردعك ؟"

ما زالت لاتنظر اليه (لحسن حظه) ...لكنها اجابت بتأثر من نوع آخر

" لاني... لااريد ايذاءه .. ياسر ... لايستحق مني ان اؤذيه أكثر ... انا ..." ثم قطعت كلامها فجأة لتعود بعينيها اليه وقد استعادت وحشيتها المثيرة بينما توجه كلامها اليه قائلة بغضب غير مبرر " انت تفهمني دون ان اشرح ...وتصبر علي .. ولاتغضب سريعا كما يفعل ياسر .. ربما لانك لاتحبني مثله لأثير غضبك قلقا عليّ "

اغلق الباب الذي كان ما يزال مفتوحا ثم احنى رأسه ليستند بذراعه على سقف السيارة المبلل ثم همس لنفسه بتفكه يعلم جيدا انه لايناسب الوضع الذي هو فيه " يا ابن منيرة ... ورطتك أكبر بكثير مما ظننت ... وقد خرجت عن نطاق سيطرتك ! "

بسخط ارتفع صوت جودا لتقول بفظاظة

" لاتقف صامتا هكذا ! انطق يا حجر وقل انك ستفعلها ..."



استعدل بوفقته ثم مد يده ليعيد فتح الباب ودون ان ينظر لوجهها قال بصوت أجش

" اصعدي جودا قبل ان احملك بنفسي واضعك على الكرسي .."

العاصفة ثائرة بجنون خارج سيارة ياسر المتوقفة على قارعة الطريق ...

انها اعلان عاصف حقا عن شتاء مفاجئ صادم..

تساءل ياسر في سره .. ما معنى توقفه الاحمق هنا ؟ لماذا يطيل عذاب النظر اليها هكذا ؟

لكن ماذا يفعل لعينيه وهما لاتملان النظر لوجهها المائل جانبا على ظهر الكرسي بينما تغرق المدللة بالنوم ..

لن يجيد تدليلها هو يعرف هذا .. بل سيطلب الدلال منها بجوع !

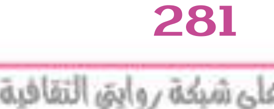
ولن يمنحها الا عنفا عاطفيا قاسيا ..

تحرك بجسده ليقترب منها يحدد بنظراته الجائعة منحنيات وجهها ..

رسم الحاجبين الرفيعين وارتفاع عظمتي الوجنتين والانف ذو الشامة الصغيرة الباهتة الى جانبه والرموش البنية المتشابكة مع بعضها ... ثم الفم ..

اه من الشوق للتواصل مع هذا الفم ..





تواصل يتخطى تواصل الكلمات التي ما عادت تجدي نفعا لتمنحه الصبر ...

نار اشتعلت فيه مرة اخرى ...

نار من نوع آخر لايطفئها العشق بل يزيدها تأججا وقساوة !

نار التقطت من قلب الجحيم اتونها ...

فقط سيموت ليعرف ...

هل لامسها ؟

سيجن ..!

هل لامسها ...؟!! قبّل شفتيها ؟!!

وقد جن فعلا ويداه الخشنتان تمتدان لذلك الوجه الناعم تضغطان دون شعوره على عظامه الرقيقة..

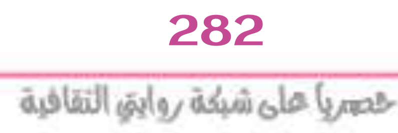
رآها تحرك وجهها بعبوس معترض بينما يلهث ياسر من أتون عاطفة العشق التي اختلطت بعاطفة الغيرة والغضب ...

انه مجنون غضبا بعشقها !

رمشت بعينيها لتفتحهما على مهل وتلقائيا ترفع يدها لوجهها لتتعرف على ما يمسكها بهذه الخشونة المفرطة ويسبب لها الألم...

اتسعت عيناها وهي ترى بتشوش وجه ياسر القريب جدا منها وملامحه تنبئ عن غضب مجنون مشتعل..





تمتمت "ياسر ! ما..ماذا يحدث ؟!"

هدرت خشونة نبراته بالسؤال الحارق

" هل..... لمسك ؟ "

تحاول ابعاد يديه عن وجهها وهي تقول بهلع

" وجهي ياسر .. انت تؤلمني .. ماذا بك ؟ "

تلفحها انفاسها الحارة بينما ارتفع صوته ووجهه
يكاد يلامس وجهها

" هل لمسك ؟ اخبريني ولاتكذبي .. ذلك
الـ(اسامة) .. هل فعل ؟! "



الفصل الثامن

هدرت خشونة نبراته بالسؤال الحارق

" هل..... لمسك ؟ "

تحاول ابعاد يديه عن وجهها وهي تقول بهلع

" وجهي ياسر .. انت تؤلمني .. ماذا بك ؟ "

تلفحها انفاسها الحارة بينما ارتفع صوته ووجهه يكاد يلامس وجهها

" هل لمسك ؟ اخبريني ولاتكذبي .. ذلك الـ(اسامة) .. هل فعل ؟! "

تحدق فيه برعب تلقائي ضخه عقلها لاطرافها فشلّتها لثوان !

ثم تغرق في تشتت بطيء فتتساءل ..

هل هي تهلوس ؟!

هل حرارتها ارتفعت لهذه الدرجة فباتت ترى خيالات وجه ياسر فوق وجهها تكتسح ملامحه امواج العنف بشكل مرعب !

حاولت تحريك وجهها فيمنعها بغلاظة اصابعه التي تمسكها بقسوة ضارية تكاد تنغرز في عمق ليونة خديها !!

شعرت برغبة فجائية للبكاء ! ربما لانها تتألم جسديا وهذا الفظ يقيدها كوحش بينما تشعر بحريق في حنجرتها وحرارة تتقد في جسدها ثم يتعالى وجيب الصداع الذي كان قد هدأ ليعود متفجرا في صدغيها ...



فجأة مال بجبينه لجبينها .. انفاسه تشتد ضراوة لتوقظها من هلوسات حمى الجسد وحمى الخيالات التي تؤكد واقع حصولها ...

همس بنبرة خشنة

" ردي علي سهر .. ردي انا ....سأججججن ..."

جملته .. كلمته الاخيرة تحديدا كانت وحشية في شجن !

الادرينالين يضخ في كل جسدها لاسباب مختلفة ... منحها القدرة لتستوعب هذا المجنون وما يفعله معها هنا ..

يا الهي..! انهما وحدهما في ظلمة سيارته المتوقفة على قارعة الطريق والعواصف تزمجر في الخارج ..!!!

اخذت تتلوى بوهن جسدي من أثر المرض بينما تعجز عن رفع ذراعيها وقد احتجزها بضغط مرفقيه فوقهما ...

حدقت في عينيه الداكنتين التي تفيضان بالجنون الذي عبر عنه بكلماته بينما انامله تستكشفان وجهها بقساوة لاتخلو من الارتعاش..

يهمس بتواصل " سأجن .. سأجن .. سأجن .."

قلبها جن مع جنونه بينما ما تزال تتلوى بهلع عاطفي لتهتف فيه باعتراض متحشرج النبرات

" ابتعد ياسر .. هل جننت ؟! دعني اتحرك.. ابتعد عني... كيف تتهجم علي هكذا؟ .. "



اشتدت دكنة الجنون في عينيه ليستيقظ حدسها الانثوي الاقوى فتتوقف على التلوي والمقاومة ثم غريزيا تنساق خلف ذلك الحدس وانفاسها تتسارع كتسارع انفاسه مستعينة بذلك الحدس فترقفت كلماتها وهي تحدق في عمق عينيه الهاجئتين هامسة بتوجع انثوي

" آآه .. ارجوك .. الا تشعر بي ؟ انا .. اتألم .. ابتعد لو سمحت.."

ذابت قساوة اصابعه مع رقتها الذائبة في انوثة فياضة ... لكنه لم يفلتها .. لم يبتعد ..

لم يخفف من خشونة التحديق في وجهها ..

بدى فاقدا للسيطرة ليهمس بنبرة مشحونة وانفاس لاهثة " كفي عن عبث النساء وتحايلهن اللعين المؤثر .. ردي علي .. نعم ام لا ؟ ردي علي سهر ... كلمة واحدة من بين اثنتين .. فاختاري احداهما..."

غامت عيناها ثم اسبلت اهدابها ليتملكها الانفعال العاطفي اكثر واكثر وكأنها غاز بربري لن يتوقف حتى نهاية المطاف لينال ما يريد مع اهم غزواته .. همست وهي مسبلة الاهداب

" هلا شرحت لي ما هو السؤال بالضبط الذي يجعلك تتجاوز كل الحدود هكذا معي فلا تتوان عن خنقني بتعذيب متوحش حتى ارد عليك ؟ "

تمتم بخشونة فظة " بنات حواء ...! لافائدة كلهن سواء ..."

رفعت نظراتها اليه تمارس اقصى ما لديها من ارادة لتسيطر على جنون قلبها وهو لايبدي اي محاولة او رغبة للابتعاد ...

تحدته بالنظرات قبل الكلمات " الا ترى انك تسأل السؤال الخاطئ ؟ بل انك تفعل الفعل الخاطئ مستغلة قوة جسدك .."

ضحكة خشنة كانت ستمزق طبلة اذنها !

مال بوجهه جانبا دون ان يعتقها وبجرأة ارجفت دواخلها ما بين خوف واثارة عندما شعرت بتشنجه ونفحات من هواء فمه على خط فكها وهو يهمس

" الفعل ؟! هذا لم يكن (فعلا) على الاطلاق!"

قلبها ينبض بكليته عند عنقها .. قريب جدا من نفحات الهواء التي تنطلق من فمه بينما يضيف بنبرة مبحوحة تفيض سخرية

" ما رأيك بالقبلة على الشفتين كفعل .. أولي ؟! .. لكني حذاري اذا قبلتك الآن يا وردية سأفقد السيطرة ولن اتوقف .."

تمتمت اسمه ووجهها يضج بالحمرة القانية

" ياسر ! "

هل وقاحته تصدمها ام ما يحدث بينهما هو الصادم اكثر ؟! لكن ماذا يحدث حقا ؟!





الامر بدأ يتعدى قابليتها على السيطرة والتلاعب بالكلمات معه .. هل يحبها ام يرغبها ام ماذا بالضبط ؟

ما معنى سؤاله عن اسامة ؟ بعد كل هذه السنوات يسألها ان كان اسامة لمسها ؟؟

هل هو مجنون حقا ؟

لماذا لايكون مباشرا ؟ ما الذي يمنعه ؟

يصدمها اكثر وقد بدأت تشعر بشفتيه تلامسان بشرة خدها بالفعل وهو يهمس بحرقة مغتاظة " واذا راوغتِ بالكلام مستعينة بانوثتك المثيرة المحتالة هذه سأقبلك حتى تعترفي صراحة .. (نعم ام لا)..”

عادت تحاول تخليص نفسها بينما يضيف المزيد وبنفس الحرقة " واذا رفضت الرد سأقبلك حتى تردي ..”

ثم المزيد " واذا قلت (لا) سأقبلك حتى يغمى عليك ..”

شهقت حتى ضاعت انفاسها في مكان ما مع ضياع خفقات قلبها !

وهو يستمر بالمزيد والمزيد وبعنف بالغ هذه المرة " واذا قلت (نعم) سأمزق شفتيك تقبيلا فلا تتذكرا شفتي رجلٍ قبلي ..”





تأوه وهو يغمر وجهه في شعرها فتردد صدى كلماته بين ثنايا خصله البنية

" النتيجة ... في كل الاحوال سأقبلك وليعينني الله سأفقد السيطرة ولااعرف ما هو الحل البديل يا وردية ؟!! لكني ... ما زلت بانتظار الرد ..."

تلويها تضاعف وهي تشعر بجسده يكاد يميل بكليته فوقها فتهدر باختناق " لو كنت املك قوة خيار الرد لصفعتك .."

ضحكات جافة وهو يغمر وجهه بجنون في شعرها

" اذا صفعتني يوما فتأكدي اني سأردها لك"

تتماسك وهي تقول بعنف

" كفى ياسر .. ابتعد .. لايحق لك حجزي هكذا وملامستي بهذه الطريقة ... لست فتاة رخيصة وانت تعرف من أكون .. اعدني الى البيت حالا .."

للحظات صمت قبل ان يهمس مرتعشا رغم سخريته " انت ترتعشين .. هل ستقولين انك خائفة مني او ربما تتأثرين ..؟ "

ردت له بتحد وهي تدفعه بجذعها ليبتعد

" انت ايضا ترتعش ..."

فيرفع وجهه ليقابل وجهها يبتسم ابتسامة غريبة قبل ان يقول بصوت أجش



" وهل انكرت ؟! انت انثى شديدة التأثير ..
لااتوقف عن التفكير بها ليلا لتتجادل معي
نهارا .. لذلك قررت ان احسم الامر .."

تمكنت اخيرا من اخراج ذراعها وحالما رفعته
لتضربه او حتى تبعده سارع ليمسك معصمها
بينما تطلق هي صوتا مزمجرا كقطة غاضبة
التمعت عيناه وهو يحدق في الشفتين هامسا
بوقاحة وغلظة " ستتزوجيني يا وردية اليس
كذلك ؟ ليس امامك خيار آخر حتى تجدي
عذرا لنفسك على قبول ... قبلاتي ...! "

اتسعت عيناها بذهول وغيظ سافر !

هل يعرض عليها الزواج بهذه الطريقة الوقحة
الفجة ؟!

رن الهاتف فشتم ياسر بينما يتراخى جسده
باحباط فهمست سهر بحدة " هذه امي ! هل
لديك مانع بالابتعاد عني لأرد عليها ؟! "

عاد ليشتم وهو يبتعد بينما التقطت هي
حقيبتها لتخرج الهاتف وهي تتجاهل انفاس
الثور الفظ الغليظ المجنون الذي بجانبها !

تضغط زر الفتح بعصبية وهي ترتجف ...

ترتجف خجلا وارتباكا وغضبا ايضا ..

جاءها صوت امها القلق وهي تسأل عنها
فتطلعت سهر للسماء التي بدأت تهدأ بصخبها
لترد على امها بالقول

" انا في طريقي امي .. لاتقلقي .."







ثم التفتت لتنظر في عيني ياسر الثائرتين بمشاعر رهيبة فتحدق فيهما بتحد ثم ترفع ذقنها بثقة انثوية وهي تضيف موجهة كلامها لامها عبر الهاتف " ياسر يقلني بنفسه امي ..خشيّ علي ان اعود بمفردي في العاصفة خاصة مع اشتداد الزكام علي .. لاتقلقي .. خمس دقائق وستجديني امام باب البناية ..."

زفر ياسر بعنف بينما تغلق سهر هاتفها وتعيده لحقيبتها بحركات بطيئة انيقة مستفزة ..

انطلق بسيارته وهو يزمجر من بين اسنانه

" فتاة لاتعرف الا الدلع والميوعة ! "

ثم التفت اليها وبعينيه الداكنتين خطف قلبها خطفا وهو يهمس بخشونة

" شئت ام أبيت سأنال ما اريد يا سهر الأحمدي .. اذا لم يكن اليوم فغدا ... "

لم ترد عليه بينما ترخي اهدابها وقد عادت اليها الحمى !

شغل سعد التدفئة في سيارته وهو يدعو اللّه سرا ان لايخذله الجهاز ...

ثوان طويلة مرت قبل ان يتنفس الصعداء بتدفق الهواء الدافئ لتعترض جودا بصفاقة

" من قال لك ان تشغل التدفئة ؟! "

فيرد بسلاسة وهو يتطلع لخصل شعرها الملتصقة بخديها " شعرك مبلل .."



بعنجهية بدت له مضحكة قالت

" قلت لك انا لاابرد ...! "

مال براسه قليلا وهو يتطلع لعينيها الرائعتين عن قرب هكذا .. كل شيء حوله يكاد يكون مظلما الا هاتين العينين البلوريتين فتتوهجان بشعلة اللهب الازرق ..

تمتم بصوت أجش وهو يحدق فيها بعمق

" اعتياد شعور البرد لايعني انك لاتبردين جودا .. ما تحتاجينه اعتياد شعور الدفء لتدركي اهمية الفرق بين الاثنين ..."

بدت مأخوذة به .. او مأخوذة بما قاله ...

انفاسها تسارعت لسبب ما لم يستطع سعد تحديده لكنها متأثرة حقا ..

كم هي صغيرة ولاتكف عن ادهاشه...

يريد سؤالها عن كل صغيرة وكبيرة في حياتها .. منذ خلقت في رحم امها ..

يتمنى لو تملك الذاكرة منذ ذلك الوقت !

يريد ان يعرف تفاصيلها بجوع يوازي جوعها للعاطفة والذي يطل من عينيها صارخا ..

احنت رأسها ورفعت يديها لتلملم خصل شعرها المبعثرة الرطبة بحركات عنيفة خشنة !

همس لها " رفقا بنفسك جودا .. "

تجمدت يداها لتترك شعرها وترفع عينيها اليه ترد له بنبرة مختنقة

" ولماذا ارفق بنفسي ؟ الرفق يعني الضعف ..
وانا اكره ان اضعف نحو أي شيء .. "

ارتفع حاجبي سعد بدهشة مضاعفة ! لايعلم لم خطرت في باله العمة فائزة فقال تلقائيا

" احكي لي عن عمتك جودا .. كيف ترينها؟"

توحشت عيناها بغضب مفاجئ لم يستطع التقاط اسبابه بوضوح بينما تهدر وهي تقترب منه .. وجهها امام وجهه مباشرة...

" عمتي ؟! ولماذا عمتي ؟"

ما هذا الذي يضج في اعماق عينيها ؟! انه لايفهم !

رد وهو يحافظ على واجهته الهادئة المسيطرة

" لاني اعرف كيف تشعرين نحو اخاك لكن لااملك صورة لمشاعرك نحو عمتك "

قبضتها المتشنجة ارتفعت امام وجهه وكأنها تهدده ! بدت غيورة جدا بنبرة صوتها وهي تسأل بعنف

" هل تهمك عمتي لهذه الدرجة ؟"

لكن ليست الغيرة فقط من يحركها ..

هناك امر اخر يثير غضبها ... رفضها وحتى اشمئزازها ...

رد بتفكير وهو يحدق في عينيها

" سؤالك محير .."



صدمته وقبضتها تنفذ التهديد فتضربه على كتفه الصلب وهي تصرخ " لماذا ؟! ألأني اقولها صراحة .. انا رأيتك كيف تنظر اليها ذلك اليوم .. عندما كنت انا خلف سور الياس في الحديقة .."

امسك القبضة الباردة قبل ان تضرب كتفه مرة اخرى فيحتويها بدفء كفه الضخم ويسألها برقة " كيف انظر اليها ؟"

انفاسها تضج في صدرها وقبضتها المتشنجة اسيرة قبضته لتهمس بعنف ونبرة اتهام

" تنظر اليها كانثى .. انها تعجبك .."

انه مشغول بتحليل اشاراتها الخطيرة عن اشارات قلبه الذي رفرف لغيرتها عليه ...

فمع الغيرة هناك أمر آخر .. اكثر عمقا ...

لامس بابهامه اصابعه المثنية في قبضته ليرد بابتسامة " نعم .. انها انثى جميلة رقيقة .. لكن هذا مع حقيقة كونها .. (عمتي فائزة) التي تكبرني بما يزيد عن العشرين عاما..."

حاولت انتزاع قبضتها وهي تصرخ فيه بوحشية " انها ليست عمتك ! وماذا ان كانت تكبرك حتى بثلاثين ..؟! "

لم يفلت قبضتها بينما ما زال في طريق الدهشة يسير مهرولا لتضيف جودا بصلف ووقاحة " قد يعجبك انها تملك بيتا مثلا .. لقد رأيتك ايضا كيف تعاين البيت والحديقة باعجاب مماثل "



ارتفعت قبضتها الاخرى فكان اسرع حركة ليحتويها بكفه الاخر ..

همس بحزم وعيناه تبرقان " اهدئي جودا .."

تحدق في عينيه وثورتها لم تخمد بعد فترتسم ابتسامة جذابة على شفتيه وهو يسالها بنبرة اقرب للدعابة

" هل تصورين كل اعجاب بشيء على انه رغبة تملك فيه ؟ "

شعر انها تاهت عن مقصده لكنها ذكية بالفطرة لتدرك ذبذبات ما خلف الكلام ..

اتسعت ابتسامته وهو يضيف مفسرا

" احب شروق الشمس فهل سأبغي امتلاكها ؟ وماذا عن السماء بوسعها ؟ وطير النورس وهو يحلق حرا فوق البحر ...؟ كيف سأملكهم مهما عشقتهم ؟ احيانا نحب الاشياء اكثر عندما تظل في مكانها الطبيعي الصحيح "

تمتمت بطفولية وهي تعقد حاجبيها

" ليس لدينا بحر هنا .."

ضحك ضحكة رجولية ولم يتنبه لاحمرار جودا تأثرا ثم هدأت ضحكاته ليقول " لديك طريقة لذيذة في التنقل بالافكار على نحو غير متوقع .. حسن ... كان هناك بحر ونوراس في البلد الذي عشت فيه مغتربا لاعوام ..."



كان قلبه يخفق بقوة لاحساس كفيها بين كفيه وقد سهت فتاة الادغال عنهما وكم هو سعيدة مبتهج لسهوها هذا ...

تمتم بصوت مبحوح وهو يغرق في جمال عينيها " اللّه جميل يحب الجمال .. ونحن خلقه زرع فينا حب الجمال .. ان اعجب بشيء لاتعني ان اطمع بامتلاكه ... انه فقط تقدير لقيمته"

اطرقت براسها وهي تهمس باحساس نقص واضح " عمتي .. جميلة ..."

فتتنهد لتضيف بغيظ " من الداخل كما الخارج .. كم احسدها ! "

ابتسامته ترققت بينما يشعر بارتباك الفتاة ، انه يشعر بكل نبض فيها عبر كفيه وكأنها ترتبك داخل قلبه هو ...

قالت وهي محنية الرأس " كنت... مجنونة هستيرية عندما حضرت لاول مرة واستلمتني هي ..."

ثم رفعت وجهها اليه قائلة باندفاع

" هل تعلم لعام كامل كانت تفترش الارض بجانب سريري ؟"

حرك حاجبيه قليلا وهو يسألها

" هل كنت تخافين النوم بمفردك؟"





ارتباكها عاد اقوى وهي ترد بتلعثم خالطه نوع من الغضب " لا .. اقصد .. لا اعلم .. انا لم اطلب منها "

لتضيف وهي تغرق في احساسها " كنت استيقظ كثيرا خلال الليل .. تأتيني نوبة قلق تخنق صدري .. اشعر ان جدران الغرفة تطبق علي .."

أخذت نفسا مرتعشا ثم قالت " كنت ... اتسلل للحديقة احيانا .. افترش الحشيش مع وسادتي وغطائي ..."

واخيرا عادت لتحدق فيه ثم تنزل بنظراتها لتتطلع بعجب لكفيها بين كفيه فتسحبهما ببطء بينما تقول بنبرة مبحوحة وعينين حائرتين " لم تجد عمتي حلا الا ان تنام في غرفتي .. وكلما استيقظتُ كانت تستيقظ معي فأشعرها خلال ثوان جالسة بقربي على السرير تهدئني وبرقة غريبة لم أرها في انسان قط تمارس سحرها علي .. ربما سكون الليل حولي هو من يجعل صوتها ساحرا هكذا .. لانها في النهار ... تفقد كل أثر لسحرها علي!"

انها حائرة في عمتها كما هي حائرة من نفسها! يال هذه الفتاة التي تغرقه في عمق الحيرة ...

اغمضت عينيها ورفعت يدها لاعلى ذراعها حيث منطقة الالتقاء بالكتف فتفرش اناملها هامسة " تضع يدها هنا .. "



ثم تربت باناملها وتعبر بالقول " تربت علي وهي تترنم باغنية للاطفال وتظل تربت...

وتربت ليتسلل الي شعور اغرب من السكينة .. كأنها منوم !"

كان مسحورا بها !

هي وتربيتتها تلك ...

يا الهي .. انها لم تعرف هذا الشعور الا من عمتها ... اين كانت امها ؟ وماذا عن جدتها؟

قلبه لم يحتمل اكثر وهو يراها ما زالت مغمضة العينين وتربت باناملها على نفس المكان وكأنها تعيش بالذكرى ..

قال متوقعا ما حصل بعدها " تركتك عندما اصبحت تنامين بشكل افضل .."

توقفت الانامل لتزيحها بحدة عن كتفها وهي تفتح عينيها وتواجهه بصلف

" انا من طردتها ! "

كان يعلم انها تحمي نفسها من الضعف عبر ادعاء الصلف والوقاحة

فسألها بنبرة هادئة " طردتها ؟"

ردت بنفس الصلف " نعم ... اصبحت اكبر من ان اتحمل اسلوب الاطفال المضحك هذا .."

كم يتمنى لو يمسك قبضتيها من جديد ..

قال يواجهها بالسبب الحقيقي " ام لأنك اصبحت تنامين بعمق ولم تعودي بحاجة اليها لتربت على كتفك ؟ "



تهربت من السبب الذي ذكره وهي تتحدث ببعض الوقاحة " عمتي لجوجة و... فائضة بالرقة والعطاء اكثر مما يجب .."

فتضيف بشراسة وهي تحدق في عينيه

" انها ضعيفة ..."

رفع ذراعه جانبا ليرخيه على مقود سيارته بينما يبتسم بتفهم مفسرا بالقول

" لانها رقيقة ؟"

فتعانده بالقول وقبضتها تعود للتشنج وهي ترفعها امامه " بل لانها لم تتحملني اكثر فارسلت في طلب ياسر ليعود ..."

ارادها ان تسترخي فناغشها بالسؤال

" ماذا فعلتِ بها لتدفعيها لهذا ...؟ "

اخيرا حصل على ابتسامة صافية بالشقاوة وهي ترد عليه بفخر" بل قل .. ماذا لم أفعل ؟!"

سرعان ما بهتت تلك الشقاوة اللحظية لتقول بنبرة تفكير واستكشاف " رقتها جعلتني اشعر بالتحرر ! بالانفجار ... اجل الانفجار ..."

حاول مساعدتها على التفسير قائلا " منحتك الاذن و المساحة اللازمة لتخرجي ما في داخلك .."

رددت وهي تعود لحيرتها وكأن الامر مستعص عليها " نعم ... لقد .. جعلتني اشعر ببعض الراحة .. كأني .. كأني ... لااعلم .... الامر صعب ان اشرحه ... "




فكر سعد في سره وكأنه ما زال يحاورها..

(لكن الباب الذي فتحته عمتك برقتها وقدرتها الطبيعية على تفريغ شحناتك المختزنة اصبح يحتاج للضبط والتحكم ... لقد اصبح الباب متسيبا فكان دور ياسر ليقف حارسا رجوليا صلبا يعالج هذا التسيب ...)

وكأنها تواكب افكاره الداخلية لتقول فجأة

" أتى ياسر قبل عامين ...فقط .. ليعيش معنا"

عقدت حاجبيها بينما تضيف بعبوس

" زاد تمردي عليهما معا ... اراد .. وأد حريتي وتحجيمها ..."

صمتت للحظة قبل ان يتحشرج صوتها بالقول المفعم بالعاطفة " لكنه منحني ما لم تستطع عمتي منحي اياه ..."

فتتوسل العينان البلوريتان اليه .. تسألانه التأكيد دون النفي او التشكيك

" انه يحبني اليس كذلك يا سعد؟يحبني جدا ويخاف علي ..."

تمتم بما ارادت وعن قناعة تامة منه

" مؤكد .. هو يحبك جدا .. انت مميزة له .."

فرحتها تهللت على وجهها فيضيف سعد بتركيز " عمتك ايضا تحبك .."



ملامحها تغيرت بينما تطرق برأسها وتهمس

" ليس مثله .. عمتي تحبني كما تحب كل الناس وتساعدهم بطيب خاطر .. لم تعطني المحبة الخاصة ...او الاحساس المميز ..."

يعترف انه بات يغار كليا من ياسر بينما يقول بصوت أجش " لكن ياسر اعطاك احساس الحماية كأخ .. كرجل قوي يمنحك الامان التام بوجوده في حياتك .."

يرتعش صوتها وهي تردد بهمس " لااريد ايذاءه ... لااريد .. لكني لااعلم ما بي ..!"

ثم ترفع وجهها اليه تسأله بتضرع ياسر القلب

" هل انا مجنونة ؟ ربما احتاج لمصح عقلي ! "

ردد بتفكه في سره وهو يحدق بوجهها

(سندخلها معا وقريبا يا فتاة الادغال) ...

رد بابتسامة وهو يغمز لها

" خسارة فتاة بجمالك في مصح عقلي ..."

اتسعت عيناها وهما تلمعان بشدة ثم عادت وازاحت نظراتها بعيدا بينما تعبس بغيظ ولمحة حيرة ...

بصمت شغل سعد السيارة ليتحرك بها بسلاسة وقد هدأت العاصفة بينما يفكر بقلب خافق

(انها تريد ان تصبح افضل لاجل اخيها.. لاجل ان يمنحها ما يمنعه ياسر عنها عن تعمد.. كم هي عاشقة بجموح هذه المجنونة الخلابة ...

يكاد يتمزق بالغيرة من ياسر ..! يريدها ان تعشقه بجموح هكذا ؟ انه... يريدها ..)



" اين جودا عمتي ؟"

بارتباك مخفي ردت فائزة على سؤال ياسر

" جودا .. في غرفتها .."

ثم حمدت الله ان ياسر يبدو مشغول الذهن على نحو واضح بينما يهز راسه ليتسلق درجات السلم وهو يتمتم " تصبحين على خير .."

تنفست فائزة الصعداء ...

حمدت الله مرة اخرى ان ياسر لم يسألها المزيد عن جودا ..

قد تستطيع الاخفاء عن ابن اخيها لكنها لاتجيد الكذب ...

لم تستطع مصارحته ان جودا خرجت لساعتين كاملتين وسط العاصفة ودون اذنها .. وانها لم تعد الا منذ ربع ساعة لاغير ...

تنهدت العمة فائزة وهي تطفئ الانوار لتتجه خطواتها نحو غرفتها في الطابق الارضي ..

او ما كانت غرفة والديها رحمهما الله ...

افكارها تضج بالقلق حول هذه الفتاة التي رفضت الافصاح عن أي شيء وبدت بحالة غريبة شاردة ..

اغلقت فائزة باب غرفتها خلفها بينما يتسلل اليها شعور بالذنب لانها لم تخبر ياسر...

لقد بدى مهموما هو الآخر .. مهموم وغاضب !





بعد بضع ساعات ...

منتصف الليل

دخل رافد تاركا حذاءه الملطخ بالطين خارج باب البيت الداخلي ليتحرك بهدوء شديد على السجاد المفروش ، يحيطه الظلام الذي يسود اركان البيت ...

لم يتوجه للسلم واختار اريكة في غرفة المعيشة ليرمي جسده المنهك من ترنح عقله!

مرت ساعة .. ساعتين وهو مضطجع هكذا .. الصدمة من رسالة راغب كانت كمخدر قوي شديد التأثير والفعالية في العقل ..

مخدر اخذ ينسحب ببطء من عقله تاركا اياه يترنح هكذا بينما تتزاحم الافكار المرعبة على ابواب ذلك العقل المنهك ...

الافكار تتلاطم بصخب وضجيج لايحتمل في رأسه وهو غارق ... غارق .. بين امواجها العاتية..

ماذا سيفعل الان ؟!

كيف سيخبر غالية ؟

بل كيف سيخبر امه ؟!

لقد كان في داخله يتوقع حدوث الامر لكنه نفاه بعيدا بتعنت وربما ببعض الامل في اخيه..

اراد حقا ان يصدق بحدوث معجزة ..



رغم ان الدلائل كانت تشير بوضوح ان المعجزة ابعد ما تكون عن التحقق !

يكاد يرى هذه الحقيقة كل يوم في عيني امه .. عيناها هادئتان بشكل مريب .. تظهران تقبلا صادما لما حصل ذلك اليوم في المستشفى ... لكن في قسوة مريرة!

امه تغيرت واصبحت تعيش حالة من العشوائية تطفو فيها عن اي شيء يحدث حولها ...

حتى انها لم تعد تقلق عليه كعادتها ولم تعد تنتظره مساء كي توبخه على تأخره في فعل كان شبه يومي منها ...

انها غارقة في نفسها تماما ...

غارقة في مرارتها ...

بينما عينا غالية تموجان بالغضب ...

ومرارة من نوع آخر ... مرارة الاحساس بالغدر ورغبة الانتقام ...

اين رحلت طفلته ذات الضحكة الرنانة والبشاشة الطبيعية التي تأسر قلب كل من يراها ...؟

اذناه تنبهتا لخطوات خفيفة على السلم القريب نسبيا.. خطوات سرقت انفاسه وهو يعلم صاحبتها بحدس فوري لايخطئ..

لم يتحرك من موقعه المظلم الذي يحجب اكتشاف وجوده وما هي الا ثوان وظهرت فتسرق (انفاس قلبه) رؤيتها مجسدة امامه في الظلام الصامت ...





احساس غريب تملكه وهو يحدق فيها تنزل آخر درجة في السلم لتقف مكانها مجمدة الحركة كجمود ملامح وجهها ....

ضجيج امواج افكاره انحسر ولم يبقَ على الشاطئ الا حقيقة واحدة يأبى قلبه المسروق ان يفكر بغيرها الآن تحديدا ..

غالية ... باتت حرة !

جن جنونه مع جنون قلبه لكلمة من ثلاث حروف ...(حرة)

اخذ يحدق فيها بجوع مختلف وقد تضببت كل الوقائع والظروف المستحيلة حوله ...

عيناه لم تأسرهما الحدود هذه المرة وهو يمعن النظر في كل شبر فيها ...

نحيلة جدا في منامتها الصوفية التي انسابت لتلامس الركبتين على استحياء وحول كتفيها شال صوفي قديم عائد لأمه ..

بينما لاتلبس في قدميها الا جوربا صوفيا يصل بطوله لمنتصف الساقين .....

شعرها قصير ووجهها شاحب تحت انارة السلم الخافتة التي تتركها والدته دوما منيرة في الليل ..

اذناه تطنان وجسده متشنج حتى اطراف اصابعه ...





يا الهي .. لماذا غالية ؟ لماذا تسيطر عليه لهذه الدرجة منذ سنوات لم يعد يحصيها...؟!

الآن تحديدا وهي بهيئتها المريعة هذه التي لاتحمل جاذبية انثى في عيني رجولته الا انه يكاد يتحطم ويركع على ركبتيه لاجل ان يظل ينظر اليها هكذا الى الابد ...

الجواب يعرفه قلبه قبل عقله الغبي ...

غالية ليست (انثى) !

لو كانت انثى فقط في عينيه لتمكن من دفنها في امرأة اخرى .. لتمكن من اقصائها .. من اخفائها ..

لكن كيف يخفيها منه وهي كله ؟!

غالية ليست فقط امرأة يعشق التراب الذي تسير عليه بل هي روحه التي ينبض بها جسده.. كيانه الذي يهتز لدمعها ..

هي قلبه ووجدانه ...

هي كلّه ... وكلٌ كلّه ...

عادت افكاره المجنونة توسوس في اذنيه وعيناه تلامسان نحولها بافتتان أبله ...

غالية حرة .. حرة .... حرة ...

اوشك ان يشهق اعتراضا عندما تحركت اخيرا لتتجه ناحية المطبخ ...

مرت لحظات غريبة بينما انفاسه تهدر ...



اتسعت عيناه شيئا فشيئا في صدمة الادراك لمنحى افكاره التي كان غارقا فيها للتو ...

لكن افكاره المجنونة لم تتركه لحاله لتأخذ بعدا جديدا اكثر خطورة وفتكا !

ما مصير غالية الان ؟! هل سترحل ؟!

هل ستعيش في بيت عائلتها مع لولو ؟

هل ستعيش تتجرع المرارة على نفسها وعلى ابنتها ؟ ام ... أم .. ربما ستجد رجلا يعوضها خيرا عن اخيه ؟ رجلا آخر يحب غالية ويعشق غالية ويضم غالية كل ليلة في سريره !

لم يعد رافد يرى بعينيه من شدة وهج الافكار التي تمزق العقل .. او ما تبقى من العقل في راسه...

ضجة ملفته من المطبخ جعلته يستيقظ من جنونه ليهب على قدميه متحركا بخطى مسرعة .. مجنونة !

العاصفة هدأت منذ ساعات وانقشعت الغمام على نحو كامل غريب لتصفو السماء وكأنها لم تلق بجنونها الصاخب ما بين رعد وبرق وامطار على رؤوس اهل هذه البقعة من الارض..

لم تشغل الضوء في المطبخ واكتفت بنور القمر الذي بزغ منيرا وسط السماء الصافية ..

اخذت تتحسس طريقها حتى وصلت لمكان غلاية الماء لتعد لنفسها كوبا من الشاي ...

تتحرك ببطء ويداها تعملان بشكل آلي ..





عقلها غارق في الظلمة كظلمة ما حولها ..
لقد باتت تحب جو العواصف لانها تشعرها
بانعكاس عواصف مشاعرها الغاضبة...

فتحت الدرج القريب والتقطت ملعقة صغيرة
واعادت غلق الدرج بهدوء ثم أخذت تحرك
الملعقة في الكوب لتذيب السكر ...

وسط هذه الظلمة التمع معصمها باسورة
خفيفة كضفيرة رقيقة ...

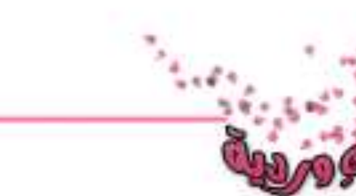
تجمدت يداها وعيناها تطالعان تلك الضفيرة
الذهبية وكأنها تكتشف وجودها الحارق
للتو !

اكتست عيناها بالغضب والقسوة وهي تتذكر
كم سنة مرت عليها لم تخلع هذه الاسورة
السخيفة من معصمها ؟

كان عيد ميلادها الحادي والعشرين عندما
اهداها اياها راغب ...

قفل الاسورة علق فلم تخلعها بينما كان راغب
يسخر منها ويقول " سأربطك بي للابد كما
ارتبطت الاسورة بمعصمك للابد ..."

بجنون الغضب كان تلهث فتفتح الدرج بعنف
هذه المرة فيصدر ضجيجا عاليا لتلتقط سكينا
حادا وبملامح يقسو على رقتها الغضب ورغبة
الانتقام حشرت نصل السكين بين الاسورة
ومعصمها !



شهقت ولفحة هواء باردة تهب عليها من الخلف

ويد كبيرة تمتد في نفس اللحظة لتمسك

بقوة يدها التي تحمل السكين بينما انفاس

متسارعة تلامس اذنها اليسرى ليأتيها اخيرا

صوت رافد مبحوحا

" اتركي السكين .."

تتقلب سهر في سريرها الوردي وهي تشعر

بالضيق ، خيالات متداخلة عبر هذيان عقلها

ما بين صحوه ونومه ... لم تكن كاحلام

عادية .. بدت كوجوه واصوات في ظلمات

تتخللها اضواء خافتة ....

تمتمت وقطرات عرق تلتمع على جبينها

" ياسر .. توقف .. انت ...انت .."

شهقت فزعة فجاة ورنين هاتفها النقال يتعالى

قرب رأسها ...

ورغم فزعها وعيناها المفتوحتان باتساع الا

انها لم تستوعب حتى انطفأ الرنين دون ان

يلقى منها استجابة ...

شعرت بقلبها يخفق بتباطؤ وهي ترفع يدا

مرتعشة لتمسح على جبينها ...

همست بارهاق المرض

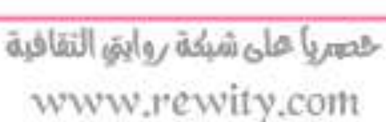
" يبدو ان الحرارة خفتت "

شعرت بحاجة لتغيير منامتها السميكة

الدافئة لاخرى اخف ...







تنهدت وهي تشعر بالاختناق من حرارة غرفتها فيبدو ان امها قد رفعت درجة حرارة التدفئة..

نهضت من السرير لتتحرك بتثاقل تبحث عن خفيها وهي تتأفف ...

وجدته اخيرا فنهضت وهي تخلع عنها منامتها لتضعها في سلة الملابس بينما تمد يدها نحو معدل حرارة التدفئة لتقللها ...

كانت ترتدي ملابس قطنية بيتية عندما رن هاتفها...

عندها فقط تذكرت ان ما افزعها من النوم حقا كان رنين الهاتف ...

عبست وهي تتساءل بتوجس عن المتصل بها في هذه الساعة .. لا بد انها منتصف الليل ..

تحركت وهي تشعر ببوادر صداع قادم بينما حرقة حنجرتها تؤلمها بشدة ...

رفعت الهاتف لتفتح عينيها بدهشة لرؤية اسم المجنون ياسر وتتنبه ايضا ان الساعة تشير الى الثانية والنصف بعد منتصف الليل ...

فتحت الخط وهي عابسة تهمس بصوت مبحوح من اثر المرض " ماذا هناك ؟!"

يأتيها صوته بنبرته الخشنة الحانقة

" لماذا لاتردين ؟!"

تمسح على وجهها بارهاق وهي تتذكر بشكل غير واضح ايصاله لها لمحل سكناها بصمت تام لايخلو من التشنج والتوتر بعد مكالمة امها لها ..



لتغادر سيارته بكلمة شكر عابرة لم يكلف نفسه هذا (الجلف) بالرد عليها او حتى ان يعرض عليها ايصالها لباب الشقة ..!

انها لاتصدق تأثرها به وهو على هذه الفظاظة كما لاتصدق ان قلبها يخفق ابتهاجا لانها جعلته يعترف على الاقل برغبته في الزواج منها ... حتى وان عرض طلبه بتلك الطريقة الهائجة الخشنة ...

تمتمت في سرها وهي تلامس شفتيها بسبابتها

(يا الهي هل قبلني فعلا ام لم يفعل ؟!)

ثم اخذت تستعيد كلماته فتتورد وهي تتذكر التفاصيل .. لتصل الى انه لم يقبلها فعلا وان مكالمة امها منعه من تنفيذ تهديداته النارية ...

صراخه شق طبلة اذنها ليخرجها من حالة الهذيان " سهر انا اكلمك ام اكلم الحائط جواري ؟!"

يال هذه الرومانسية المفجعة !

همست بصعوبة وهي تجلس على سريرها

" كم الساعة ياسر ؟"

عاود الصراخ وان بنبرة اقل ارتفاعا

" اللعنة ! وما علاقة الساعة ؟ "

تنهدت وهي تستلقي على سريرها تسأله

" لماذا تتصل ؟"



انفاسه تصلها بوضوح عبر الخط المفتوح بينهما ليسألها بصوت منخفض رغم خشونته

" هل اخبرت والديك ؟"

ابتسمت بشقاوة رغم معاناة المرض لتسأله مدعية البراءة " عن أي شيء ؟!"

عندها تزايدت خشونته وهو يقول بغيظ ناري

" أخخخخخخ سهر .. لو انك فقط بمتناول يدي الان .."

كل خلاياها اخذت تتقافز تحفزا واستجابة فتهمس تغيظه برقة مفرطة

" هل تعض اصبعك غيظا يا ياسر ؟! "

ليصدمها بالقول " وسأعضك انت شخصيا لو كنت امامي "

تنحنحت تخفي خجلها من وقاحته وجرأته فتسأله ببعض الجدية

" اريد ان اعرف .. لماذا تريدني زوجة ؟ "

رد بتهكم ساخر " معجب ولهان ! "

لم تبالي بتهكمه لترد بهدوء وهي تمسد على جبينها النابض بألم الصداع " لقد ارتبطت سابقا بمن اعجب بي ولم ينفع الارتباط .."

ثم اضافت منتقمة من خشونته " ولعلمك .. اسامة الهاشمي كان اكثر من معجب بي "



جاء صوته الهامس حادا كشفرة

" تستحقين القتل ! "

رددت باحباط ظاهري " منتهى الرومانسية ! "

ثم اضافت تغيظه

" هل ما زلت تبحث عن جواب ؟"

عادت انفاسه تخترق اذنها ثم سألها بتقطع

وكأنه يكز على اسنانه " هل لمســ....ـك ؟"

ضحكة مبحوحة منها بدت انثوية رغم كل

شيء لترد عليه بالقول الماكر " اختر احد

السؤالين ياسر .. هل لمسني اسامة ؟ ام ... هل

اخبرت والديّ عن طلبك ..؟ "

عندها رد بفظاظة شديدة وبرود مزعج

" سأحصل على ما اريد وكما اشاء يا سهر ..

لاتظني نفسك انثى حذقة.. "

فتحت فمها لترد عليه بعصبية عندما عاجلها

بالقول الآمر الاشد برودة

" غدا صباحا لاتتأخري عن العمل .."

هتفت به

" لكني مريضة .. مريضة جدا!!!!!!! "

فجاءها صوته بنفس البرودة رغم الوعيد

" اقسم باللّه حتى لو كنت جثة هامدة

ستحضرين واذا لم تفعلي سآتي اليك بنفسي

واسحبك من شعرك الطويل ذاك رغما عن

انفك .. "



تعاندته وتستفزه بالقول

" لكنك قلت عني اليوم ان اثير فزع الزبائن وسيهربون من المطعم بسببي .. وانا لااريد لك خسارة كهذه !"

قال بفظاظة

" تعالي لااراك بنفسي واحدد فأن ما زلت تبدين مريعة ارسلتك لبيتك من جديد "

تجر شعرها غيظا ! لكنها اقسمت في سرها لن يهزمها فترقرقت بمكرها الانثوي وهي تناديه وتقول له

" ياسر ... انا لم اخبرهما ..."

ساد الصمت للحظات حتى انفاسه لم تعد تسمعها ثم سألها بنبرة غريبة " لماذا ؟"

لو كان يراها الآن لاغاظه رؤية التماع عينيها في الظلام كقطة بينما ترد بسلاسة

" رد انت على سؤالي اولا واعدك ان اخبرهما صباحا .. وسؤالي هو ... لماذا تريدني زوجة ؟"

بنبرة باردة رد

" اريد ان استقر .. وانت مناسبة .."

آلمها رده البارد اكثر من صراخه وعنفه ..

رغم انها تعودت اسلوبه لكنها احبطت ..

حقا احبطت ... تناغشه .. تحايله .. تلاطفه تثير جنونه ... فقط حتى يرضي انوثتها .. فلا يفعل الا ان يهاجمها بشراسة صادمة او ببرود مؤلم ... تمتمت والألم ظاهر في نبراتها وكأنها على وشك البكاء



" لماذا انت فظ هكذا ؟ "

تنهد هامسا بالسؤال " ماذا تريدين ؟"

رددت ودمعة ضيق سالت على خدها فجأة

" دعني اذهب لانام.."

لم يغلق الخط بينما هي تخنق شهقة بكاء ..

المرض جعلها حساسة اكثر مما يجب وقد

تعبت من مناورة هذا الجلف الذي يريدها زوجة

بطريقته الفظة ...

ارتعشت فوريا وهو يسأل بصوت رجولي

" ستنامين في سريرك الوردي ؟"

ابتلعت ريقها وهي تمسح دمعتها وترد مؤكدة

" نعم ... في سريري الوردي .."

عندها همس لها وكأنه شفتيه تلامسان اذنها

مباشرة قائلا بخشونة مبحوحة

" سأشتري منذ الغد سريرا ورديا مزدوجا

لاجلك .. لن اطيق صبرا ليجمعني بك..."

ثم اضاف بنبرة اشد خشونة واصرار

" اراك بعد بضعة ساعات .."

ثم اغلق الخط تاركا اياها بعينين متسعتين

وخدين يشعان حرارة ...

الفصل التاسع

بصوت ساخر سألت غالية

" هل تظنني سأنتحر ..؟! "

ما زال يمسك يدها بقوة صارمة بينما داخله

يرتعد لمجرد مرور الفكرة في رأسه ليرد

عليها بصوت يبدي سيطرة غير حقيقية على

الاطلاق " اتركي السكين حالا وبعدها

ستتحدث عن ظنوني ..."

تحدق في يدها التي تحتويها يده فتلمع

عيناها برغبة كي تفرغ اذاها في اي شيء ..

ورافد ادرك رغبتها هذه دون ان يدرك وجهة

هدفها ...

يظنها تريد الانتحار !

ضحكة داخلية جافة تردد صداها في

اعماقها التي باتت قاحلة ... زرعها يحترق

وينابيعها تجف فتكاد تعيش حياتها وكأنها

في الرمق الاخير !

ورغم النيران .. ورغم الظمأ الا انها لن تضعف

ابدا ولن تمنح الخائن النذل هدية رخيصة

كهذه ..

ابدا لن تنزل لهذا الدرك فيظن نفسه بأهمية

لاتعرف سبيلها لقيمته البخسة !

بل ... ابدا ... لن تفعل الا ما يجعله ...يتألم ..!

لن تفلت أي فرصة تطالها يدها لتجعله يدفع

الثمن ...





جزاء على كل ألم طالها منه دون ذنب اقترفته ...

جزاء لتعذيبه اياها كل هذا الوقت بينما هي وبكل غباء تتمسك بعناقيد الصبر تقطف حباته المرة وتقتات عليها بصمت دون شكوى ... فقط كانت تنتظر .. تنتظر لحظة لاوجود لها ... لحظة ان يثوب الى رشده ويدرك قيمة ما يملك ...

كم كانت غبية .. كم كانت مثيرة للشفقة !!

تفاعل في داخلها التمرد والقسوة ..

همست بصوت حاد ساخر لرافد الذي يكاد يحاوطها بجسده جزعا عليها ...

" وان لم أفعل .. ماذا ستفعل يا رافد ؟ كيف ستمنعني والسكين يكاد يلامس معصمي "

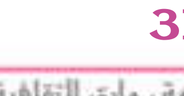
في داخلها تعلم ان رافد لايستحق منها هذا لكنها تتألم .. تتألم من سياط الغضب التي تجلدها كل يوم .. كل ساعة ...

شعرت بصوته اكثر جدية وهو يقول

" عندها سأؤذي يدك مرغما لارغمها على تحرير السكين بالقوة .."

لم ترحمه وتوضح له خطأ اعتقاده خاصة انه لم يلاحظ كما يبدو ان حافة السكين الحادة تلامس الاسورة وليس المعصم ...







عاندته وانفاسها تتسارع بثورتها الداخلية المتأججة

" وماذا ان سبقتك وقطعت شرياني..؟! هل نجرب لنرى من سيكون الاسرع ؟ "

رد بثبات " لن يحدث ابدا وانا موجود ها هنا .. لن اتردد لحظة في مد يدي الاخرى امام السكين واقطعي شرياني انا اذا شئت لانك لن تصلي بسكينك حتى لبشرة معصمك..."

تراخت يدها وقد سكنتها كآبة مفاجئة لتترك السكين طواعية ليده فيسحبه برفق بعيدا عنها ثم رماه بعنف على الارض ...

استندت بكفيها على حافة الخزانة ورافد لايبتعد عن موضعه خلفها مباشرة بينما انفاسه المتسارعة تثير شفقتها عليه وسط دوامات الكآبة والغضب والمكبوت ...

همست بسخرية كئيبة " ما زلت تلعب دورك يا رافد ... الرجل الذي يذود بنفسه عن عائلته.."

ثم ضحكت ضحكة مريرة وهي تضيف بقسوة " نفسك طويييييل بينما راغب ...."

خفت صوتها تماما عند نطقها باسم (راغب) فتركت جملتها معلقة بينما عيناها تتأججان بنيران الغضب والقهر ...

لم يستطع رافد الابتعاد حتى اللحظة .. يلتقط انفاسه بصعوبة بينما يشعر بالعرق يتصبب منه ...



لم يشعر الا وكفيه المرتعشين تمسكان اعلى ذراعيها .. وكأنه يخبر نفسه انها بخير ..

ها هي نحيلة ودافئة وتتنفس ...

غالية ستقتله .. يوما ما ستوقف قلبه ببساطة ليموت جزعا عليها ...

ضغط بانامله يعتصر ذراعيها دون ارادة منه بينما يسأل بتحشرج متقطع

" كيف .. تفكرين بفعل ... هذا ؟"

هزت رأسها فيتطاير شعرها القصير ويلامس وجهه بينما ترد باختناق مزقه " انا .. اردت قطع .. الاسورة وليس .. شرياني كما ظننت .."

سحق اسنانه وهو ينظر من فوق كتفها لتلك الاسورة اللعينة فعلم لماذا كانت متطرفة بقطعها بسكين حاد ...

دون تفكير لفها بين ذراعيه ولم يبال بشهقتها التائهة ثم رفع يدها لاهثا وبلمح البصر قطع الاسورة باصابعه ثم رماه ارضا ...

قال بنفس اللهاث المتفجر ودون ان ينظر في عينيها " في المستقبل قولي لي اي شيء تريدينه وانا احققه لك .. فقط .. لاتتبعي طرقا قد تسبب الاذى لك .. او .. الفزع لي !"

يقف قبالتها ولايستطيع الابتعاد ...

يريد فقط ان يكون قريبا ليشبع جوعه للاطمئنان عليها ...



همس يسألها بتحشرج

" هل حصل شيء اليوم جعلك منزعجة

بشكل خاص .."

ضحكة اكثر جفافا من سابقتها اهتز بها

جسدها بينما ترد بسخرية

" اضحكتني والله! منزعجة ؟ يا لها من

كلمة مهلهلة لا رونق فيها .."

صبر عليها وصبر على نفسه التي تتوق لسحقها

في احضانه علّه يمتص كل نيرانها ويريحها

منها ..

سألها بهدوء ظاهري

" هل أتت الخالة انعام اليوم ؟ "

ردت بنفس النبرة

" خالتك انعام حضرت مع زوجها .."

عقد حاجبيه وهو يرفع نظراته اليها اخيرا

يطالع وجهها عن قرب وقد فاضت ملامح ذلك

الوجه الحبيب بمشاعر شتى فيسألها رافد

بحنق

" لماذا تتكلمين هكذا ؟ لماذا لاتقولين

والديّ حضرا معا ؟"

ردت وعيناها تعذبانه في ظلام المطبخ

" اخبرتهما اني اريد الطلاق ... فهب ابي من

جلسته كما لم يهب يوما لاجلي ! ليهب اليوم

لاجل راغب ! تخيل ؟! "



اطبق فكيه بعنف بينما تضيف غاليته بألم ساخر لايطاق " اما امي فعزفت على نفس النغمة لتصرخ مع ابي في وجهي .."

سألها بتحشرج يكتم انفعالاته

" هل اخبرتهما عن الاجهاض ؟"

ردت بعنف " لا .."

سألها بدهشة لم يستطع اخفاءها

" لماذا غالية ؟ لماذا ؟ اخبريهما بكل شيء .. فقد يعذران حالتك ويتفهمانك "

هدرت والقسوة تفيض منها " لااريد ان يعذرا حالتي ... اريدهما غاضبين فهذا يروقني اكثر .."

عاد ليمسك ذراعيها ويهزها برقة وداخله مجنون لاجلها بينما يقول وكأنه يوبخها

" انت لست هكذا غالية .. لست هكذا .. "

عيناها تلمعان بنفس القسوة وهي تقول بتهكم

" ولماذا لست هكذا ؟ ألأنني استمتع بفقدانهما السيطرة اخيرا لأي موضوع يخصني بدلا من تلك اللامبالاة الباردة التي عشت في ظلالها طوال سنيّ حياتي ؟"

تمتم رافد

" انت تعرفين انهما يحبانك "



عندها فقط صرخت بوجع والدموع تتجمع في عينيها

" اجل احبا الفتاة الرقيقة التي لاتطالبهما بشيء يلهيهما عن الاعتناء بابنتهما الرائعة ناهد .. كنت دوما وحيدة منبوذة لا احد يهتم حقيقة لأمرها ..واخوك استغل ضعفي واحتياجي هذا ... كلهم مشتركون بما حصل لي ... كلهم قتلوني بالوحدة الرهيبة التي فرضوها عليّ "

انها تحطمه ! تفتت صخر صلابته ...

لم يشعر الا وهو يهزها ويقول بفقدان سيطرة او تفكير منطقي

" لاتقولي هذا .. هل قصرت معك في شيء ؟ "

عادت لتصرخ وهي تتلوى بألم روحي بين ذراعيه دموعها تعميها عن الرؤية

" انت لست ابي ... ولست امي .. ولست ..لست "

لم يحتمل وهو يضمها لصدره بعنف ليهمس بعنف اكبر " انا رافد .. لااريد اكثر .."

اخذت تبكي بهستيرية على صدره وهو يضمها اليه بجنون ..

يا الهي .. كم اشتاق لاحتضانها ..

اذن هذه هي غالية بجسد امرأة !

هكذا يكون شعور احتضان المرأة فيها ..

كم سنة مضت على هذا التوق ؟!



همست بلوعة تتوسله بصوت يقطع نياط القلب

" اجعله يطلقني رافد .. اجعله يحررني ..

سأموت ان هاجر وتركني معلقة مهجورة ذليلة.. "

ذراعاه تطوقانها وجانب وجهه يلامس شعرها وهو غائب .. ذائب حتى النخاع ...

همس بلهاث مجنون

" ماذا ان قلت لك .. ان طلبك.. تحقق ؟"

تمتمتها ممزقة وهي تردد بصدمة

" هل ... طلـ..قني ؟! "

مال بوجهه يدفنه في شعرها يلثم خصلاته باحتراق مكتوم لم تشعر به غالية وهي

غارقة في صدمتها بينما يهمس رافد بنفس الجنون " نعم فعلها ... حررك ...وسافر ..."

صدمة همسها ايقظته " خالتي ! .."

ابتعد عندها مصدوما من نفسه اكثر بينما يلتفت لامه عند باب المطبخ وقد بدت بعينين متسعتين بشكل مرعب بينما تهمس

" سافر ... سافر ! .... هجرني .. وسا...."

تحرك رافد نحوها في نفس اللحظة التي كانت تتهاوى فيها وهي تضغط بيدها على مكان قلبها بينما احرف اسم ابنها البكر تتقطع جزعا واستنجادا على لسانها

" ر...ا..ف...."





في المستشفى ..

تمتم رافد بصدمة وهو يحدق بالطبيب

" بداية جلطة ؟! "

رد الطبيب بهدوء يطمئنه

" نعم .. لكن لاتقلق .. انها امرأة قوية

وبطريقة ما جسدها يستجيب لقوة ارادتها ..

ساعدتنا كثيرا لنسيطر على الوضع .."

مرر رافد اصابعه في شعره المشعث بينما يسأل

الطبيب

" اذن .. هل تحتاج لـ... عملية او علاج؟"

قال الطبيب " اعطيناها العلاج الان وهي نائمة

مستريحة .. حالة قلبها مستقرة والحمد لله ..

ننتظر حتى نهاية اليوم لنطمئن اكثر "

هز رافد رأسه دون ان ينطق بكلمة ..

غرق تماما في افكاره .. ومخاوفه !

صباحا ...

" سعد بني .. فقط لو تنظر لهذه الصور .. انهن

فتيات رائعات .. قد تجد في احداهن ما

يجذبك لتتعرف اليها اكثر ..."

تنهد سعد باحباط بينما يشرب شايه وهو

يتطلع ليد امه التي تمسك بمجموعة صور

وواضح انها صور مختلفة لفتيات ...







لايصدق ان امه وصل بها يأسها لهذه الدرجة!

تطلع لوجهها المترجي فخسف قلبه بشعور ذنب كبير بات نقطة ضعفه حيال أمه ...

لايكف هذا الشعور عن مراودته فيحاول عبثا ارضاءها تعويضا عما فات ...

لقد زاد شعورها بالوحشة حالما علمت بخبر حمل جدايل ... فباتت اكثر ألحاحا وهوسا بموضوع تزويجه ...

وضع كوبه جانبا بينما يحاول الابتسام وهو يقول بلطف " اسمعيني يا ام سعد .. اتركي هذه الصور جانبا لاني اريد مصارحتك بأمر "

اوشك ان ينفجر ضاحكا وهو يرى اشعاعات اللهفة والترقب تنطلق من عيني امه بينما ترمي الصور عشوائيا لتتناثر على الارض ..

قالت بتدفق كلامي سريع وابتسامتها تشق فمها " اجل صارحني بني .. انا اريد منك المصارحة .. مؤكد يوجد فتاة تشغلك .. انت تخجل مني ؟! لا بني .. لاتخجل .. ان كان هناك اي عوائق انا بقوة الله سأساعدك لتذللها ... فقط اخبرني هل هي جميلة ؟ ابنة عائلة اكيد .. ماذا انهت من دراستها ؟ .. ربما هي تلك الفتاة سهر التي كانت معك في الجامعة .. اجل مؤكد سهر .. لقد التقيتها مرة اخرى بعد سنوات .. رغم اني كنت اراها مغرورة بعض الشيء .. لكن لايهم ...



ستتعلم التواضع منك ... اوربما فتاة اخرى ؟!
اجل انت يحضر اليك الكثير من الزبائن ..
بينهم نساء ولاشك ... مؤكد احداهن علقت
في عقلك ولم تستطع ان...."

قاطعها اسرافها اللاهث في الكلام وهو
يمسك كفها ويقول " رويدا امي .. دعيني
اتكلم لاشرح لك .. "

ضمت شفتيها على الفور لتغلق فمها وهي تهز
راسها بطاعة !

تنهد برقة مبتسما لوجهها ثم مال بوجهه
ليقبل ظاهر كفها ثم رفع رأسه ليقول بحنان

" هناك فتاة ...لـ.."

لم ينهِ الكلمتين الا وهبت منيرة تقف على
قدميها واخذت تزغرد !

وقف سعد هو الآخر عاجزا امام فرحتها بينما
داخله يقلق من ردة فعل امه شديدة التعجل ...

امسك ذراعيها وهو يحاول ايقاف تلك
الزغاريد بالقول " امي فقط اسمعيني ..
لاتتعجلي الامور ..."

توقف زغاريدها عنوة لكنها تبتسم بحبور
والدموع تلمع في عينيها من شدة التأثر ...

تمتم سعد في سره ببعض الضيق " ما هذه
المشكلة العويصة ؟! كيف سأشرح لها ؟
كيف سأقنعها دون ان أخيب ظنها ..؟ "



اجلسها وهو يحاول امتصاص اندفاعها في الفرح

قائلا " امي .. الفتاة تحتاج لبعض الوقت .. "

تسأله بلهفة وعينين متسعتين " هل قالت لك

ستفكر ؟ كم يوما طلبت ؟ يومين .. ثلاث ؟ "

اطلق تنهيدة جديدة وهي يحدق فيها بصمت

فعبست الام وهي تسأله باستهجان

" هل طلبت اسبوعا او اسبوعين ؟!"

بتأن وحرص شديدين رد سعد

" انا لم افاتحها حتى الآن ..."

لطمت منيرة على صدرها شاهقة وهي تردد

بحنق " لم تفاتحها ؟!!"

اخذ نفسا ثم قال ما اعتزم منذ ليلة الامس

فعله مع بعض التمويه امام امه حاليا

" انا اريد التقرب منها بشكل طبيعي امي ..

اقصد اريد ان اعرفها عن قرب قبل ان افتحها

بالزواج .. لاعرف طباعها و...اخلاقها اكثر ..

احتاج للوقت لاحكم بشكل جيد ان كانت

تناسبني .. "

شعور الذنب تصاعد في اعماقه .. هو لم يكن

صريحا تماما .. لكنه لايستطيع شرح ظروف

جودا الآن خاصة انه لايعرف حقيقة كل

تلك الظروف ..

لازال عليه ان يعرف الكثير عنها ..





اما منيرة فأخذت تحدق فيه تريد الاعتراض

لكنها بغيظ تعترف لنفسها ان له الحق

بالاطمئنان على من سيتزوجها ...

هذا الزمن اصبح مخيفا ولايعلم الا اللّه بما

يحدث للفتيات وما يخفينه حتى عن اهلهن..

لهذا السبب تحديدا كانت تريد جدايل بقوة

.. لانها مطمئنة تماما لاخلاقها وعقلها

وتربيتها ..

تمتمت الام ببعض الاحباط

" حسن على الاقل هي اعجبتك واثارت

اهتمامك .."

رد سعد وابتسامة واسعة ترتسم على شفتيه

" لقد اعجبتني جدا واثارت اكثر من الاهتمام

يا ام سعد .."

تهلل وجهها بينما يضيف المزيد بنفس

الابتسامة

" لقد اثارت قلبي ايضا وانت تعرفين ان قلب

ابنك ليست اي فتاة تثيره .."

ويا ليته لم يقل لها هذا الكلام فلم يكد

ينهي جملته حتى عادت وهبّت على قدميها

واخذت الزغاريد تهز اركان البيت مرة اخرى !

ينظر اليها سعد وهو عاجز عن قتل زغرودتها

هذه المرة .....



اتصل ياسر للمرة الثالثة وهو يشتم بينما هي لاترد..

توعدها ياسر وهو يكز على اسنانه

" حسن يا سهر تتحديني اليس كذلك .. انتظري الجنون وما هو اكثر من الجنون .."

اتصل للمرة الرابعة وقد قرر انها فرصتها الاخيرة قبل ان يفعل ما سيندمان عليه كلاهما عندما فتح الخط اخيرا ليهدر دون تحية " لماذا لم تحضري حتى الان ؟"

تراجع في لحظة كل جنونه بينما يسمع صوتا اخر غير صوت سهر وان كان يقاربه ..

فادرك انها امها وهي تقول ببرود صقيعي

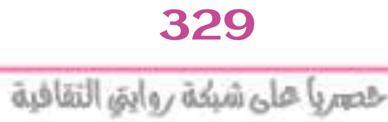
" سهر تعاني الحمى في السرير والطبيب اعطاها حقنة .. لذلك اعتبرها في اجازة "

اعتذر ياسر بنفس البرود وهو يكز على اسنانه غيظا ...

وحالما اغلق الخط اخذ يتحرك حول نفسه ويتمتم من بين اسنانه

" حمى وحقنة ؟ والام تكلمني ببرود ؟ حسن يا سهر ... لنا كلام اخر عندما تأتين هنا ونتفاهم .. "

تأفف ونار الانتظار لاترحمه بينما يهمس بغيظ " مدللة لاتطاق ؟ كما ان صبري لانالها لايطاق ... "



رن هاتفه فخفق قلبه الغادر متوسلا ان يكون هي !

ليُلطم القلب على فم خفقاته وهو يرى اسم رافد ..

فتح الخط وغيظه يتفاقم فيهدر في صديقه

" ماذا هناك انت الآخر ؟! "

جاءه صوت رافد بنبرات مقلقة " لن احضر اليوم يا ياسر .. امي .. توعكت .. فاخذتها للمستشفى.. انها بخير الآن لكن .. لن افارقها حتى اطمئن تماما لاستقرار وضعها .."

استعاد ياسر كامل تركيزه وهو يسأله

" ماذا حصل ؟ هل .. ظهر راغب النذل ؟"

رد رافد بضحكة قصيرة جافة

" (النذل) طلق زوجته وحلق طائرا تاركا اياي على الارض مع ضحاياه من النساء ومن كل الاعمار ..! "

تمتم ياسر " النذل الحقير .. فعلها .."

همس رافد بنبرة بدت غريبة في اذن ياسر

" انا واخي ورثنا عرق النذالة والحقارة من والدنا بجدارة ! رغباتنا الانانية الحقيرة تحكمنا وتجعلنا نرتكب افظع الاثام .."

عبس ياسر وهو يسأله " ماذا تقصد ؟! لم تقول هذا ؟! لِمَ تجعل نفسك في خانة واحدة مع اخيك وابيك ؟!! "



فرد رافد بتشتت

" لاتفكر ... مجرد هلاوس .. يكفي ان ارى امي تسقط منهارة امامي لتجعلني اهلوس .. "

ما زال ياسر يشعر بشعور غير مريح بينما يسأله عن امه قائلا " مؤكد صدمتها لاتوصف .."

تنهد رافد ليقول باختناق يعكس وجعه المكبوت

" امي لم تحتمل الخبر .. لكنها قوية بشكل يثير العجب والاعجاب .."

قال ياسر يشد أزره

" وانت قوي مثلها رافد .. وان ضعفت انا في ظهرك .."

تمتم رافد بشكر مشتت ثم اغلق الخط ...

بعد يومين ...

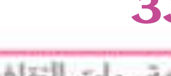
في بيت رافد ..

يقف رافد مستندا للحائط بينما يتطلع بقلق داخلي لوجه امه وهي مستلقية على سريرها بتماسك يثير الاستغراب كما يثير القلق ..!

تُجلس في حجرها لولو والى جانبها تجلس غالية والتي بدت خطوط وجهها اكثر حدة وقساوة وبرودا ...

هل هذا تاثير الطلاق عليها؟

ام لان امها تقف بتوتر واضح في نفس الغرفة؟





بتعمد تتلاهى غالية باطعام ابنتها طعام الافطار من صحن صغير ملون يخص الصغيرة بينما الصغيرة لاهية عن توتر الكبار من حولها تتلاعب في حجر جدتها وتطلق اصواتا مبتهجة وهي تكشر بضحكات متحايلة ....

لم تحتمل الخالة انعام اكثر فاقتربت ببضع خطوات ووجهها يتميز غيظا من تجاهل ابنتها لمصيبتها وواقعها الجديد ...

قالت الخالة انعام بنوع من الحزم الامومي

" غالية سأنتظرك حالما تنهين اطعام لجين لكي تلملمي كل حاجياتك انت وصغيرتك لتأتيا معنا .. والدك سيحضر بعد قليل .."

رافد يلتزم الصمت مخفيا انفعاله ولو آنيا حتى يرى الى ماذا ستؤول الامور ...

ردت غالية ببرود رغم انها تبتسم في وجه ابنتها " انا لن اترك خالتي اقبال ابدا..امي .. ابدا ... ابدا ..."

عينا رافد انتقلتا لامه فوجدها تبتسم برضا غير مريح بينما تعقب على كلام ربيبتها ببساطة موجهة الكلام لاختها الصغرى انعام

" غالية في فترة عدة وستقضيها هنا عندي.."

لاحظ رافد كفيّ خالته وهي تعتصراهما بينما تقول بغضب مكتوم تراعي صحة اختها غير المستقرة



" لكن يا ام رافد لامعنى لبقائها عندكم الان ومكانها في النهاية سيكون في بيت ابيها .. صحيح العدة توفيها المرأة في بيت زوجها لكن .. لاارى فائدة ترتجى من بقائها هنا ..."

التفتت الخالة ناحية ابن اختها تتوسم فيه المساعدة وقد اوشك صبرها ينفد

" قل شيئا رافد ..انا لن استطيع اقناع امك لوحدي ... ولااريد ان اضغط عليها لكن .. ما حصل كان كثير وراغب تصرف دون اي احترام لوالدها ..."

ما ان ذكر راغب حتى هبت غالية تكاد تصرخ قائلة " لاتقحمي رافد بالموضوع .. ولن يقول شيئا يغير رايي .. انا قررت .. انا حرة نفسي وسأبقى انا وابنتي مع خالتي اقبال .."

زجرتها امها ببعض الصدمة والحنق " هل جننت لتكلميني هكذا ؟! الا يكفي انك كذبت علينا مدعية انك من طلبت الطلاق ؟! الايكفي ما حصل من فضائح ستلوكها السنة الاقارب قبل الاغراب .. كيف ابن خالتها طلقها وهجرها مسافرا لامريكا ..."

زمت غالية شفتيها لتعود لواجهة البرود وهي ترد بهدوء قاتل " لذلك سأبقى مع خالتي .. انا وهي مصابنا واحد .. ونشعر ببعض .. لن يهمنا ألسنة الناس .. بل ستداوي كل واحدة منا جروح الاخرى ... لا قوة على وجه الارض ستجبرني على ترك بيت خالتي ... "



عادت الخالة انعام لتتطلع لرافد بتوسل صامت

لكن رافد ظل متمسكا بالصمت ...

عقله لايكف عن تحليل معالم وجه امه ..

وتلك الابتسامة الراضية التي تحيط بها

غالية كلما أصرت غالية على البقاء معها ...

عندها فقط طالعته امه بنظرة لاتصدق !

كانت نظرة رهيبة .. وكأنها تقول له

(انا بحاجتك آن الاوان بنيّ) ...!

بانفاس متسارعة وعينين متسعتين تراقب

جودا عبر النافذة الزجاجية للمحل كيف

يبتسم لتلك الفتاة (المائعة) التي تقف

قبالته تنتظر ما يفترض انه سيصرّف لها

العملة ...

تكاد تختنق ألما ..

ألم في صدرها لاتعرف له تسمية ...

كل ما تعرفه انها لاتحتمل ان تراه يبتسم

لاحداهن هكذا ..

لا .. لا .. لايجب ان يبتسم لاحداهن ..

انه موجع .. موجع ...جدا...

تحتاجه كثيرا ان يكون معها وحدها

ولاتعرف كيف تعبر عن حاجتها الملحة

تلك ..





ليلة الامس لم تستطع النوم وهي تفكر فيه..

تفكر بكلماته التي اخترقت عقلها ببطء

فسكنته ثم امتدت بسكناها الى حيث

لاتعلم ولاتفهم ...

لم تصبر حتى كلمته على هاتفه ..

بدى متفاجئا من مكالمتها مترددا في الكلام

معها مما جعلها تشعر بالجرح !

ثم اخبرها صراحة ان لاتتصل هاتفيا مرة

اخرى متعللا ان هذا لايجوز واعدا اياها انه

سيأتي للجامعة بنفسه ويراها ويكلمها ..

اثار غضبها لابعد حد وقد كانت في لهفة

لتكلمه كما فعلت معه في السيارة قبل

ليلتين..

خيبة املها الشديدة وغضبها المنفلت جعلاها

تغلق الخط في وجهه بعد ان صرخت فيه

بكلمات وقحة ... ثم استسلمت لبكاء

مخنوق حتى غفت وهي متورمة العينين ...

وبعد كل هذا لم تشعر صباحا الا وهي تختار

طريقها اليه ...

وها هي تؤنب نفسها بعنف ...

ما الذي أتى بها لمكتبه ؟!

لماذا لم تذهب لجامعتها اللعينة بدلا من

وقوفها تراقبه هكذا ...؟

عيناها التقطتا يد الفتاة وهي تمتد لتأخذ

المال من يده لكن (المائعة) تعمدت ملامسة

اصابعه بحركة مثيرة واضحة !



ثارت جودا بجنون ولم تشعر الا وهي تضرب بقبضتيها على الزجاج فارتج مصدرا ضجيجا عاليا وحالما التقت عيناها بعيني سعد سالت دموعها مدرارا لتستدير راكضة بعيدا ...

خرجت سهر من سيارتها الوردية التي ركنتها للتو وهي ما زالت تشتم ياسر في سرها ...

المتجلد المشاعر يصرخ فيها عبر الهاتف يتهمها بالتدلل وانها ليست اهلا للمسؤولية !

الكاذب المخادع ... يأبى ان يعترف انه يشتاق اليها ويكاد يموت ليعرف ردها على طلبه ...

تأففت وهي تتحرك تحمل معها حقيبتها وكيس ببضعة اغراض تحتاجها اليوم في المطعم ...

تمزق الكيس فجأة باحماله فتناثرت الاغراض على الرصيف ، اوشكت سهر ان تبكي من شدة غيظها واستفزازها ...

انحنت مقرفصة لتجمع ما تقدر من الاغراض داخل حقيبتها ووسط ارتباكها شعرت بوقوف رجل بعطر رجولي مألوف لذاكرتها ثم انحنائه ليساعدها بصمت ...

تمتمت سهر وهي ترفع وجهها اليه

" شكرا .. اسفة ..أ...."





صعقت لتهب واقفة باضطراب ويقف الرجل معها بسلاسة وهو يبتسم لها ويقول

" اعترف لم اعرفك بداية بشعرك الطويل... لكن السيارة الوردية لايمكن ان تكون لغير سهر الاحمدي ..."

توردت بل وارتعشت وهي تنظر اليه غير مصدقة لوجوده هامسة " مرحبا.. اسامة .."

رد بابتسامة آسرة عفوية " مرحبا .."

لم تستطع منع قلبها عن الخفقان وهي تتطلع لابتسامته التي انعكست في عينيه بدكنتهما المخضرة ..

عيناه اصفى واكثر لمعانا وهدوءا .. ابتسامته اكثر عمقا وتألقا ..

شيب تراقص على عزف اشعة الشمس في فوديه ..

جسده اصبح اكثر امتلاء مما تذكر..!

لقد بدى مختلفا ...!

بدى... دافئا .. دافئا جدا ...

غيرة انثوية نهشتها .. وكبرياؤها الطفولي يصرخ باحتجاج ...

فتتساءل بغيظ ..هل هذا تأثير شهد عليه ؟

سألها وابتسامته تظهر بضعة خطوط خفيفة اسفل عينيه تشي بسنه الذي عانق الاربعين بل وتجاوزها

" ماذا تفعلين هنا؟ "



ما زال ساحرا بل اكثر سحرا..

ردت بارتباك وهي تشير برأسها ناحية المطعم القريب " جئت .. اتناول افطاري .."

التفت قليلا وهو يقول " اين .. هنا ؟"

هزت راسها كحمقاء وهي تعترف بتأثير وسامته الناضجة عليها لتضيف ببلاهة

" نعم .. انهم يقدمون افطارا رائعا .."

تمتم وهو ما زال ينظر بفضول للمطعم

" حقا ...؟"

عيناه سرحتا بعيدا .. ابتسامة صغيرة لامست شفتيه وهو غارق بافكاره بعيدا عن سهر ..

عضت سهر شفتها السفلى وهي تفكر بحدس انثوي (انه يفكر فيها .. هل سيحضرها يوما ليتناولا الافطار هنا ؟)

لتلوم نفسها بعنف وهي تعيش افكارها الداخلية (ما هذا الغباء الذي جعلني اكلمه عن وجبات الافطار ؟ ولماذا لم أخبره اني اعمل هنا ؟ هل أشعر بالاحراج من بساطة عملي ؟!!)

لم تشعر به وقد التفت اليها ، بدى غامض النظرات كجزء لايتجزأ من طبيعته الاثيرة التي عرفتها يوما لكن غموضه مختلف الآن...

لقد بات مختلفا دافئا حتى في غموضه !

ماذا فعلت به تلك المرأة ؟!

سالها بلطف " وكيف حال والدك ؟"





ردت وهي تتمالك نفسها " بخير .. انه يعمل مستشارا ماليا في مؤسسة هيثم الجراح .."

ارتفع حاجباه قليلا وهو يقول بتقدير

" انها مؤسسة ضخمة .. ووالدك يستحق منصبا كهذا فيها .."

لاتعلم لم انفعلت بالرد قائلة

" شركتك ايضا كبيرة وناجحة "

تعلم انها بدت طفولية ..

لاتعرف لم هي مرتبكة هكذا ؟!

ربما لانها تراه وجها لوجه لاول مرة منذ ذلك اليوم في شركته قبل سبع سنوات عندما رمت في وجهه الهدايا التي احضرها لها ايام الخطوبة ...

قال اسامة وهو يبتسم بخفة

" شركتي لاتقارن بمؤسسات عملاقة كهذه سهر .. رحم اللّه امرئ عرف قدر نفسه .."

عقدت حاجبيها وهي تصر بالقول

" لاتقلل من نجاحك .. انت بنيت نفسك من الصفر بينما هؤلاء يعتمدون على البناء الاول لاجدادهم.. لقد اخذوا هذه المؤسسات ناجحة بالوراثة ... "



اتسعت ابتسامته بينما يقول بعدل

" شكرا لكلامك .. لكن مؤكد هيثم الجراح رجل اعمال ناجح لتستمر المؤسسة بالتطور هكذا ويحافظ على صلابتها بعد الازمات الاقتصادية المروعة التي حصلت .."

فسألته باهتمام

" وهل حافظت انت بعد الازمة؟ "

حرك حاجبيه وهو يقول ببشاشة

" بشق الانفس ... خسرت الكثير بل اوشكت ان افلس .. لكني اعوض الآن واقف على قدمي من جديد .."

ابتسمت ولم تعرف ماذا تضيف بعد بينما اسبلت اهدابها وهي تتطلع للارض تنظر بغيظ لبضعة اغراض اخر ما زالت مرمية هناك ...

فاجأها بالقول المرح

" حسن .. دفاعك المؤثر عن عصاميتي هكذا هل يعني انك سامحتني عما حصل قبل سنوات ؟"

عضت شفتها قبل ان ترفع نظراتها اليه وهي تتورد وتتعلثم بالقول

" اسامة ... انا .."

كانت ملامحه جدية ..

جدية تماما وهو يقول باهتمام



" انا مدين لك بهذا ... مدين لتلك الفتاة الصغيرة الرائعة التي آلمتها دون قصد ... الامر كان خارجا عن سيطرتي سهر ... يجب ان تعلمي ان ماحصل قبل سبع سنوات .. لم يكن بسببك .. صدقا العلة كانت فيّ انا ..
الماضي كان قابعا بداخلي يملؤني بحلوه ومره.. ليس ذنبك اني اردت اقحامك رغم أنف امتلائي ؛ "

تأثرت بكلماته وهي تعلم صعوبة نطقه باعتراف كهذا ... يبدو ان شهد جعلته اكثر رقة دون ان يفقد ذرة من رجولته ...

كم تتمنى ان تحظى بقدرة كهذه للتأثير في رجل يعشقها حتى الجنون كما تحلم ...

انها اذكى من شهد واقوى منها وان كانت تلك المرأة سبقتها لقلب اسامة الهاشمي واحتلته فلا يعني هذا ان سهر خاسرة ...

هذا يعني انها فقط دخلت في مكان ممتلئ كما وصفه اسامة للتو ...

فتحت فمها لترد عندها نزل عليها من الخلف صوت ياسر وهو يلقي التحية كالغضب الصاعق " مرحبا ..."

عدت حتى الثلاث فقط لان لا وقت لديها لتحتوي غضبه الجنوني فاستدارت اليه وهي تبتسم لوجهه بحلاوة حتى انها غمزت لها غمزة صغيرة جدا بينما تقول بانوثة



" ياسر مرحبا .. اقدم لك اسامة الهاشمي

انه... انه ...."

احست بالغباء وهي لاتعرف بم يفترض ان

تعرف اسامة لياسر ؟!!! بينما يطن في اذنيها

سؤال ياسر المتفجر قبل يومين

(هل لامسك ؟)

التفتت لاسامة وهي تشعر بمزيد من الحمق

بينما ترى اسامة ينقل نظراته بينهما وقد بدى

متسليا لسبب ما !

يال الذكور الكريهون !

مؤكد بذكائه وحتى دون الحاجة لذرة

ذكاء سيدرك ان هذا الثور الجلف الذي يقف

جوارها يغار كالمعتوه ....

عبست وهي تقول ببعض الغيظ

" اسامة هذا ياسر ..."

ليكمل ياسر فاجعا اياها بجرأته

" خطيبها ..."

بينما ذراعه بقدرة قادر اصبحت تحيط

خصرها بعنف لتلصقها به التصاقا ..!

اصابعه ستخترق خصرها في اية لحظة !

عيناها متسعتان وهي مستسلمة لاحساس الألم

عند خاصرتها بينما اسامة يعلق بسلاسة

مغيظة

" مبارك لكما ... "



سمعت سهر صوت قرقعة اسنان ياسر وهو يسحق فكيه ثم تمتم بنبرة فظة تفيض عنفها

" شكرا ..."

تنحنح اسامة وهو يرى هذا الـ (ياسر) على وشك فقدان السيطرة ولكمه بدلا من ان يمد يده ليصافحه كما يفترض كتعارف ...

قال اسامة اخيرا وهو يتحرك مبتعدا

" عن اذنكما ...و زواج سعيد ... "

لم يرد عليه احد وحالما ركب سيارته وانطلق ملوحا بيده هدرت سهر تفجر غضبها وهي تحاول دفع يده عن خصرها

" من سمح لك بالقول انك خطيبي؟!"

للحظة انكمشت من النيران المستعرة في العينين الداكنتين ..

ولم تشعر الا بقبضته القاسية تفلت خصرها لتمسك معصمها تكاد تحطمه ثم اخذ يسحبها خلفه وهو يتحرك بخطوات واسعة فبدى وكأنه يثير الزوابع حولهما معا ...

اخذت تعترض وتقول بغضب

" توقف .. آآآآآآه انت تؤذيني ايها الفظ الغليظ الذي لايعرف كيف يعامل النساء .. ما زال هناك اغراض وقعت مني على الرصيف .. اتركني ياسر .. اتركني قلت لك ..."



لكن ياسر لم يبال بها .. ولم يبال بنظرات المارة اليهما ولا حتى بنظرات عبد الكريم الذي وقف مذهولا وهو يلقي تحية بلهاء على ياسر وسهر .. تحية لم تلق ردا من اي منهما ..

استمر ياسر بجنونه حتى وصل باب مكتبه اخرج مفتاحه من جيبه ليفتحه بيد واحدة بينما سهر تتلوى في يده الاخرى تريد الخلاص..

ادخلها اخيرا عنوة ليدفعها بقوة حتى تعثرت واوشكت ان تسقط ارضا ...

كانت تلهث بينما تراه يغلق الباب بعنف كموجات العنف التي تشع من جسده فتنتشر في الهواء وتضيق بها جدران مكتبه ...!

يطرق بوجهه للاسفل بينما يتنفس بصعوبة .. تراجعت سهر للخلف وهي تراه يخلع سترته ببطء ويرميها ارضا بعنف رهيب ...

قلبها يخفق بجنون وهي تتمتم برعب طفولي

" ماذا ستفعل ؟! "

تقدم منها وهي تتراجع لكنه في لحظة امسك مقدمة سترتها الخضراء بلون الحشيش الاخضر في الربيع ودون كلمة نزعها عنها بعنف آلم جسدها ..

شهقت بينما تستقر اصابعه القاسية على كتفيها ...



كانت مخنوقة من كل هذا العنف بينما
تغرق اكثر في لجة مشاعر عنيفة في
المقابل...

اكتسحتها تلك المشاعر وهو يتحسس
الكتفين الرقيقين بعظامهما ثم يأخذ انفاسها
واحدا تلو الآخر وهو ينزل باصابعه فوق
ذراعيها يلامس بتلذذ خشن واضح نعومة
بلوزتها الصوفية الخفيفة الملتصقة
بجذعها...

يداها عفويا اصبحت على صدره في حركة
دفاعية وهي تهمس

" اهدأ .. ياسر .. لقد رأيته صدفة ..و ..."

قاطعها بزمجرة عنيفة وهو يحدق في عينيها
بغضب وحشي مخلوط بعاطفة اكثر وحشية

" انا اريدك ... حالا ...في حياتي "

وفي لحظة خاطفة جامحة كانت تختبر
قساوة صدره وهي تعتصر رهافة بنيتها ..

تشعر بوحشية شفتيه تمارس جنونها الهادر
على شفتيها ... جنون لاقبل لعقلها على
تصديق وجوده ...

مصدومة .. ضائعة ...

والطوفان الياسري المجنون يغرقها حتى
اذنيها...!





دموع جودا لم تتوقف عن الجريان على خديها ونفسها يضيق اكثر واكثر حتى بدأت تشعر كأن رئتيها اضمحلتا !

سائق سيارة الاجرة الفضولي سألها ان كانت بخير فصرخت به ان يصمت !

فاكتفى ان حوقل باللّه وصمت !

لكنه اصر ان ينزلها عن مسافة ليست بالقليلة من بوابة الجامعة في شارع خلفي ضيق متعللا بزحمة الطريق فاعطته نقوده وهي تطلق صوتا مزمجرا لتغادر سيارته وتعود دموعها للهطول ...

بدت كطفلة مشردة مجروحة حتى العمق وهي تجهش في البكاء وتمسح وجهها بكم سترتها البيضاء بينما خطواته تترنح بعض الشيء ...

فجأة شعرت بمن يقف خلفها مباشرة ويشدها من سترتها وقبل ان تلتفت لتصفع الفاعل شعرت بنصل مدبب اوشك ان ينغرز في لحم خاصرتها فتأوهت بألم بينما صوت مألوف يقول بحقد

" اياك ان تلتفتي نحوي .. استديري معي ببطء دون ان تثيري اي ضجة ... طاوعيني جودا والا سأطعنك هنا وسط الطريق ولن ابالي بشيء .. اتنقل خلفك هنا وهناك حتى وجدت الفرصة التي انتظرها .. "

تمتمت وقد ميزت الصوت بفزع " قتيبة ! "



تأوهت بقوة أكبر هذه المرة عندما اوشكت

ان تلتفت عفويا لوجهه فالنصل جرحها

بشكل فعلي وجعلها تطيعه بارتعاب بينما

همسه يزداد جنونا " اقسم باللّه سافعل

واقتلك لن استلذ اكثر من تلذذي برؤية

دمك سائحا على الطريق .."

برعب متزايد اطاعته بينما يسحبها جانبا

حيث يوقف ... سيارته ...

جعلها تدخل من مقعده حتى لاتهرب بينما

يدفعها بشراسة لتجلس على المقعد المجاور

ويدخل خلفها مباشرة ويشغل سيارته خلال

ثانية ليقودها بجنون بينما السكين المرعب

موجها الآن لبطنها مباشرة ..

تمتم بلهجة انتقامية

" ساعلمك كيف تتلاعبين بمن هم اعلى

قدرا منك بكثير .. ساعلمك ان لاتظهري

ترفعا وقيمة لاتملكينها ايتها الفاجرة ..."

انفاسها تتحشرج وعيناها لاتفارقان نصل

السكين الذي يخزها هذه المرة في بطنها

بينما قتيبة يقود بجنون هكذا ...

ألم شديد في خاصرتها واحساس مؤكد

بنزيف من جرح احدثه هناك ...

كانت مرعوبة لكن عقلها لم يتوقف عن

تحين الفرص ...



وحصلت على فرصتها عندما فقد سيطرته للحظة عن السيارة فشتم وهو يحرك يده الماسكة بالسكين لتقع منه ارضا بين ساقيه فتسارع جودا بردة فعل هوجاء متهورة لتبدأ بضربه وخربشته وهي تصرخ فيه

" انزلني ايها الحقير .. ايها الـ(......) ... سأمزق وجهك بل ساقتلك ايها ...."

جن جنون قتيبة وهو يسبها باقذر الالفاظ ويدفعها بعنف ليحمي نفسه من ضرباتها وخربشاتها ويحاول في الوقت ذاته السيطرة على سيارته وهو يقودها بتمايل خطير على طريق سريع يؤدي لطريق خارج المدينة ...

لم يصبر اكثر على ثورتها الهوجاء ليعاجلها بلكمة من قبضته على وجهها جعلت السواد يحيط بجودا من كل جانب فتتغرق في الاستسلام ...

ابتعد رافد عن طريق غالية وهي تغادر غرفة امه حاملة الصغيرة لولو ..

منذ تلك الليلة قبل يومين وهو يتباعد عنها.. لقد فقد السيطرة .. !

حريتها الوليدة جعلته يفقد السيطرة حقا وينسى كل المصائب التي عليه مواجهتها ليغرق في انانية العشق التي لاتفهم الا رغبة الالتصاق بالمعشوق ..



لقد تصرف بخسة وهو يحتضنها تلك الليلة

بعاطفة رجل هدّه الشوق والعشق هدّا ...

فيزداد شعوره بالخسة واحساسه بجسدها

المضموم لجسده لايفارقه ...

فلا يرحمه ليلا ... ولايعتقه نهارا ...!

اما هي .. فيا حسرته تعيش في عالم آخر وقد

اتخذت من امه قالبا لتقولب فيه نفسها فتدعي

القوة بينما داخلها ينهار ...

خالته انعام غادرت وهي تكاد تشد بشعرها

من تعنت ابنتها في البقاء في بيت خالتها بينما

حاول رافد تهدئتها وان تمنح ابنتها بعض

الوقت لتستوعب الوضع الجديد ...

نادته امه " رافد ..."

اقترب من سريرها باسما وهو يقول

" نعم يا جميلة ..."

لم تبتسم لتدليله ..

فقط تتطلع اليه بتلك النظرة ..

ابتلع ريقه وهو يشعر بالتوجس ...

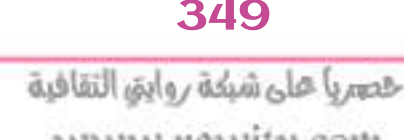
بماذا تفكر امه ؟

ماذا تريد منه ؟

قال مخفيا ارتباكه منها " اماه .. اخبريني ما

الذي يريحك وانا سأفعله طائعا ولن اجادل .. "






رغم كل توجسه ومخاوفه لكن ولاءه لأمه

بلا حدود ...

لن يحتمل خسارتها ...

ابدا لن يحتمل ان يحصل اي مكروه لامه ...

وهو لن يسمح ان تتحطم اكثر مما تحطمت

في حياتها ...

تطلع اليها بقلق لاجلها هذه المرة ...

عيناها بدتا شديدتي الغرابة ..

قسوة ورجاء ..

ذهول وتماسك ..

لايعرف كيف يفسرها...

قالت اخيرا وبصوت متحشرج مشحون

" اريدك ان تتزوج غالية حالما تنتهي

عدتها.."





الفصل العاشر

بحركة عنيفة مفاجئة انحرف قتيبة
بسيارته ناحية اليمين ليتجاوز باقي السيارات
بحركات مجنونة لاهثة كجنونه هو ...

وبرعونة اشد استدار بقوة لليمين وخرج عبر
فتحة غير نظامية في السور المعدني
المشبك الذي يمتد على طول خط الطريق
السريع فيدخل المنطقة الترابية ويثير خلفه
زوبعة من الغبار ...

كان قتيبة يلهث بجنون الغضب ورغبة
الانتقام وفوق هذا وذاك فائضا برغبة
جسدية منهكة ليمتلك هذا الجسد المغري

الملقى الى جانبه باستسلام يثير فيه مزيدا من
الرغبة لانتهاكه والتمرغ فيه ...

لم يصطبر حتى يذهب بها للشقة الخاصة
التي يعتبرها وكره ومرتع ملذاته ...

بنفس الجنون كان يسير عميقا بسيارته حتى
وجد نفسه في منطقة خالية تماما ...

لاصوت ولا نفس يعلو فوق صوت انفاسه الهادرة
تعطشا لكي يروي ظمأ جسده ...

اوقف السيارة برعونة وسط الخلا ....

اطفأها واستدار بجسده بينما لهاثه يعلو
ويعلو.. ويعلو ..

يداه المرتجفتان من شدة الرغبة سبقتا عينيه
للوصل لمفاتنها البارزة من تحت البلوزة ...



للحظة عيناه ارتفعتا لوجهها فيراها كما هي..

فاقدة الوعي ولاتشعر بما يفعل بها ...

ابتسامة غلب عليها التشفي شقت فمه بينما يتطلع للكدمة على خدها الايسر ...

يداه ما زالتا تلامسانها بنوع من العنف والتوق الجسدي ليميل برأسه ويبدأ فمه بانتهاك حرمة بشرتها عند رقبتها ...

جسده كله كان يرتجف وهو يميل نحوها ورغبته تكاد تصل الذروة ليهمس بنبرة متحشرجة

" اخيرا ايتها الشرسة العنيدة .. سأنالك كما اشتهي ... "

وفي حركة عنيفة مباغتة مزق مقدمة بلوزتها بيديه فاختنق من شدة الرغبة وهو يتطلع لجمال جسدها الابيض ليغرق فيه بجنون دون ان يتنبه انها بدأت تفيق بينما تمتد يده بنزق متلهف لزر بنطالها الجينز فتفتحه !

عندها فقط اخذت جودا تتحرك بتباطؤ ويخرج صوتها غير متوازن النبرات

" ما...ماذا .. من ..آه.."

صوتها المتعثر نبهه انها تفيق فاخذ يشتم بينما ذراعاها اخذتا تتحركان بعنف وتدفعانه بعشوائية ،



حاول تقييد الذراعين لكن جودا جن جنونها
وان بدت غير مدركة تماما لما يحصل لها !

فقط تركل وتضرب بقبضتيها بكل وحشية
وقوة بينما تشتم دون توقف ...

تصاعد العنف بينهما حتى كاد يلهث ارهاقا
من مقاومتها العنيفة فلم يتوان عن صفعها
مرارا وتكرارا على خديها وبعنف جسدي
رهيب بينما هي تقاوم وتصرخ من الألم ..

أعجبه صراخها فزادت اثارته فيتعمد مزيدا من
الصفع لانهاك جسدها واضعافه بالقوة !

وسط هذه الجنون لم يتنبه قتيبة لمن توقف
قرب السيارة ويحاول فتح باب السيارة المقفل
بجنون..

ثم لم يشعر الا بصوت تحطم يخترق مسامعه
بينما زجاج نافذته يتناثر فوق ظهره وقبل ان
يرفع رأسها باغتته (كماشتان) بشريتان
تكادان تخترقان لحم كتفيه وتكسران
عظامه .. وفي ثوان كان مذهولا بينما كل
جسده يُسحب دون ارادته عبر فتحة الشباك
المكسور ...

كل هذا حصل خلال بضعة ثوان من الزمن
ولم يستطع حتى تمييز وجه مهاجمه صاحب
(الكماشتين) لتنهال عليه الشتائم قبل
اللكمات ...

لايذكر انه تعرض في حياته لضرب مبرح
كهذا جعله يعتقد انه سيموت .. لا .. انه
سيموت حقا..



اظلمت الدنيا شيئا فشيئا في عينيه ثم ...
دخل في مغارة من الظلام الدامس ...

تركه سعد ملقا على الارض فاقدا للوعي
تماما ليقف هو على قدميه لاهثا ...

كل ما فيه يلهث بجنون ... حدق في قبضتيه
اللتين ما زالتا ترتشعان ...

يكاد لايصدق انه منع اغتصاب فتاة !

واي فتاة ... انها جودا .. جودا خاصته هو ..

عند كلمة اغتصاب لم يستطع منع عينيه من
النظر للحثالة الملقى على الارض فيمشط
جسده في تأكد مرتعب من النتائج ...

استعاد سيطرة نفسه بعض الشيء وهو يرى
ملابس هذا القذر كما هي ...

همس وعيناه تتسعان " يا الهي جودا ....!"

ركض ليلتف حول السيارة من جهة جودا ،
فتح بابها ليصدم برؤيتها ما زالت تتخبط
عشوائيا بحركات ذراعيها وساقيها ...

ابتلع ريقه وداخله يهدر بجنون ....

رؤية ملابسها الممزقة ووجهها المتورم المحمر
المكدوم جعله يشعر لاول مرة في حياته
برغبة حقيقية للقتل !

مال قليلا بجسده يحاول ايجاد طريقة للوصول
اليها وقد بدت في حالة هستيرية واضحة
بينما تشتم بكلمات غير مفهومة ...



بقلم كاردينيا

" جودا .. جودا ..."

زاد جنونها واخذت تهاجمه وهو لايفعل الا صد هجماتها بحذر ...

قلبه يخفق بجنون وغضبه يكاد يطيح بعقله وهو يرى مفاتنها لايسترها الا قطعة ضئيلة واحدة !

لم يطل به التفكير اكثر ليمد ذراعيه ويحتضنها عنوة ثم يحملها مخرجا اياها بصعوبة من السيارة ومقاومتها العشوائية تتضاعف وهو يحاول تكبيلها بشق الانفس ، سار بها حتى سيارته واختار المقعد الخلفي ليجلس ويجلسها في حجره لتغافله وتعضه من رقبته فيطلق توجعا بينما يرفع صوته بنبرة آمرة حازمة

" توقفي جودا .. هذا انا .. سعد ..توقفي .."

لكن عيناها لاتنظران بتركيز فادرك ان هستيريتها اعلى من ان تدرك اين هي اصلا ..

احتضنها بقوة اكبر وامسك رأسها يحاول تثبيت حركته المجنونة ليقول بصوت دافئ رجولي " انظري الي .. انا سعد .. سعد .. انظري الى وجهي ... فقط اهدأي وانظري .. لااحد سيؤذيك ابدا .. لقد ابعدت ذلك الحقير عنك وانت معي الان .. آمنة تماما ..."

فتحت عينيها فجأة على اتساعهما !

بدت مرتعبة حد الجنون .. !



لكنها ميزته لتتعلق ببلوزته ويتشنج جسدها باكلمه ثم اخذ جسدها يختض وهي تهمس بصوت غريب غير عادي

" كامل .. يريد اغتصابي .. ابعده سعد .. لقد .. جاء لغرفتي .. والعجوز نائمة .. اين ياسر .. اريد ياسر ... ابعده سعد ... ابعد كامل عني.."

لوهلة كان سعد مصدوما !

ما هذا الذي تفوهت به جودا للتو ؟!

من كامل ؟ ومن العجوز ؟!

وكيف يدخل غرفتها ؟

اليس اسم ذاك القذر (قتيبة) ؟

انه لاينس الاسماء ولا الوجوه ....

هو قتيبة الذي حاول سابقا التعدي عليها قرب الجامعة ....

اذن من كامل هذا ؟!

حاوط وجهها المتشنج بكلتي كفيه وثبته تماما لينظر في عينيها اللتين سكن لونهما المبهر لمعة هستيرية وفقدان التمييز ...

همس لها بتأكيد لايقبل الشك

" لن اسمح لأحد مهما كان ان يؤذيك .. ثقي بكلامي جودا ... لا كامل ولاقتيبة ولا اي قذر يطمع فيك ..."

تراخى تشنجها شيئا فشيئا ووهنت ذراعيها على صدره ثم أرخت جفنيها باستسلام يذيب القلب...



ألقت برأسها اخيرا على صدره وهي تتمتم بتوسل رقيق

" اعدني لياسر .. ارجوك .. لاتتركني .. سعد ..."

تملكه احساس مشحون بمشاعر شتى لكن .. لاوقت لمشاعره المتضاربة الآن ...

حاوط جذعها بذراعيه وحرك نفسه قليلا ليجعلها تميل وتضطجع على المقعد يحاول جهدها تغطية عريها من الامام ...

اضجعها على جانب جسدها ليمد يده للمقعد الامامي يلتقط سترة له ملقاة هناك ...

كان على وشك وضع السترة فوق كتف جودا التي استسلمت لانهاك جسدها عندما

اتسعت عيناه بهلع جديد وهو يحدق في البقعة الدم التي لطخت بلوزتها من الخلف !

تمالك نفسه وهو يمد يده دون تردد ليكشف عن ظهرها قليلا فيرى اثر جرح ...

فارت دماؤه مرة اخرى فغطى جودا بالسترة واخرج نفسه من السيارة واغلق الباب وبدلا من يركب لمقعده توجه ناحية الحقير ليجده ما زال مغمى عليه ...

اعتصر سعد قبضتيه ليته يعاود لكمه مرة اخرى حتى يلفظ انفاسه !

ولم يشعر سعد بنفسه الا وهو يركله بقدمه في خاصرته فيئن ذلك الحقير وهو ما زال في اغماءته ...

بصق سعد عليه قبل ان يتحرك عائدا لسيارته ليقودها بسرعة عبر الطريق الذي قطعه سابقا وهو يلاحق سيارة النذل قتيبة ...

لايعرف كيف انتهى الامر بجودا مع هذا الحقير بسيارته .. !

حالما هربت منه غاضبة قرب مكتب الصرافة راكبة سيارة الاجرة لحقها هو بسيارته وسط الزحام الخانق متوجها للجامعة حيث خمن انها ذهبت ..

تأخر عنها بعض الشيء وكان على الطريق الخلفي للجامعة عندما رآها هذه المرة برفقة قتيبة ...

يعترف ان الغضب المجنون والغيرة العمياء سيطرا عليه ليلاحقهما بسيارته حتى يعرف الى اين يذهبان ..

كان يغلي وهو يراها هادئة راضية بصحبة ذلك النذل ..

لكن الغيرة تبخرت والغضب هو وحده من تصاعد ولو بشكل مختلف حالما تمايلت السيارة امامه على اثر مهاجمة مباغتة من جودا لقتيبة ليحصل عراك بينهما وسعد عاجز عن فعل شيء سوى المراقبة وهو يضرب بقبضته على مقود سيارته ...





التفت سعد للخلف يحدق لجسدها المنكمش على نفسه ثم يعاود النظر امامه وهو يعتصر المقود بين اصابعه ...

انه يشعر بالقهر لانه لم يستطع انقاذها قبل ان تتعرض لمهاجمة ذلك الحيوان ... لكنه لم يستطع فعل شيء لانقاذها على الطريق السريع وذلك المعتوه كان يقود بجنون ورعونة ...

لم يستطع الا تتبعهما بوجل مرتجف ليتفاجأ تماما بانحراف قتيبة الى اليمين فيدخل في المنطقة المتربة ولم يستطع سعد تدارك الامر او اللحاق به واضطر ان يبتعد قليلا قبل ان يجد منفذا اخر من السور الجانبي المشبك..

ثم تاه لفترة في المنطقة المتربة وهو يبحث عن تلك السيارة كالمجنون ....

يا الهي ... لقد تأخر كثيرا عليها ... و لو تأخر لدقيقة اخرى لكانت جودا ضاعت الى الابد!

اجبر سعد نفسه على التراخي قليلا قبل ان يلتقط هاتفه وضغط اتصال مع ياسر ..

في المطعم ... مكتب ياسر ....

كان هجوما كاسحا على كافة الاصعدة ...

ذراعه الايمن التفت حول ظهرها وارتفعت يده ذات الاصابع الخشنة لتثبت رأسها من الخلف بينما ذراعه الايسر التفت حول خصرها بعنف لتثبت جسدها بالكامل ...



اما ذراعاها فمحجوزتان على صدره الملتصق بها كالتصاق شفتيه بشفتيها تمنعانها حتى التقاط انفاسها ....

جسده كله يدفعها بعنف حتى كادت حافة طاولة مكتبه تخترق لحم ساقيها من الخلف..

استنفارها ارتفع تواجه موجة العواطف المجنونة التي تكتسحها بخشونة سافرة ..

صخب قلبها لم يختلف عن صخب قلبه الذي رج اضلاعها ... ارتعادة جسده ارعدتها وصدمتها في آن واحد ...

خلصت ذراعها بشق الانفس ثم ...

صفعة مدوية ورأسه يرتد جانبا تواكبها شهقة مخنوقة ندت عن فم سهر الذي فك أسره للتو ...

صدرها يعلو ويهبط باضطراد يوازي ما يحدث لانفاسه هو ... لكن ذراعاه اصلب واكثر عندا من ان تفلتاها ...

لم تتنبه سهر لوضع ذراعيه بينما عيناها تشتعلان انفعالا وغضبا وهما تحدقان في جانب وجهه الذي علّمت عليه اصابعها ...

لسانها معقود لكن داخلها ثائر ... ثائر بطريقة لم تشعرها في حياتها من قبل ...

لااحد على الاطلاق اكتسحها هكذا ..



لاحد استباح حدودها بهذه الطريقة من قبل..

حتى اسامة وقد كانت خطيبته الفعلية وعلى وشك الزواج لم يقبلها بهذا الجنون ...

ببطء عاد ياسر بوجهه اليها فتبرق عيناه الداكنتان بشكل مخيف وهما تحدقان في عينيها ...

عيناه هائجتان بمشاعر تواصل غريزتها الانثوية تنبيهها لمدى خطورتها ...

لكنها كانت ثائرة بجنون ... مثله ...

همست بعنفوان بينما انفاسه تتقطع بالغضب

" ايا...ك ان تفعل... هذا معي ...مرة اخرى ... اياك... يا ياسر ..."

للحظات صمت لكن ثوراته العاصفة لم تصمت ... بدى ما زال فاقدا للسيطرة لكنه يتماسك بشق الانفس ... اصابعه تغور عميقا في ظهرها الرقيق دون ان يشعر ....

فاجأها وهو يسبل اهدابها فظنت انه سيعاود تقبيلها وقبل ان تبدي اي ردة فعل همس بصوت مبحوح خشن آمر " اصفعيني مرة اخرى .."

رغم نبرة الأمر كان يرتجف !

ليجفلها رغما عنها وهو يصرخ بعنف

" اصفعيني سهر ...يجب ان استفيق ... افعلي حالا قبل ان تفلت الامور أكثر "







عيناها تعلقتا بشفتيه المشدودتين بتوتر

رهيب .. لون احمر الشفاه الزهري خاصتها الذي

لطخ تلك الشفتين اشعل غضبها مرة اخرى

فرفعت يدها دون تردد لتصفعه للمرة الثانية...

ذراعاه اخذتا تتحركان ليفلتها ببطء فتتأوه

بوجع عندما التفت اصابعه حول اعلى ذراعيها

من الجانبين تعتصران لحمها وهو يهمس مهددا

مغمض العينين

" صفعتان تكفيانك العمر كله معي ..

لاتكرريها ابدا ... سأردها لك ان فعلتِ .. وانا

جاد في هذا ... "

دفعته في صدره في اللحظة ذاتها التي ابعد

كفيه عنها ...

تجاوزته وهي تسيطر على سرعة انفاسها ...

ظهرها يولي ظهره بينما تلملم شتات نفسها

المضطربة ...

وجدت بعض الخلوة في ان ترفع يدها تلامس

شفتيها المكدومتين ...

هذا الوقح المجنون ...

لمحت طارف سترتها الصوفية مرمية على

الارض فانحنت لتلتقطها وترتديها على مهل

وهي ما زالت توليه ظهرها ...

لاتعرف كم مر من الوقت لكنها احتاجت

لهذه الخلوة حتى تهدأ ...

انوثتها الطبيعية كانت ترتجف في ردة فعل

متأخرة على ما حصل ...



ولم تلجم لسانها لتهمس بانفعال

" لا بد ان عقلك مصاب بالحمى لتتعامل معي بهذه الجرأة والوقاحة والخشونة ..."

رد بصوت أجش يحمل نبرة متوترة ساخرة

" مع هذه البلوزة الفاضحة التي ترتدينها مؤكد اي كائن يحمل صفة مذكر على وجه البسيطة سيصاب بالحمى ! "

التفتت اليها بقوة فتفاجأت انه كان يحدق بظهرها مستندا بجسده لحافة مكتبه حيث كان يحتجزها كالمجنون هناك قبل دقائق...

نظراته كانت غامضة الآن بينما يتطلع اليها بوقاحة وصلف ...

تساءلت بحدة " فاضحة ؟! بلوزتي فاضحة ؟!!"

رد بجفاف وهو يتكتف

" انها ملتصقة جدا بثنايا جسدك ولاتترك شيئا للخيال ... "

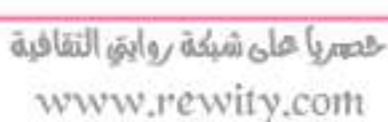
اتسعت عيناها بينما تهدر فيه بوجه مغضب بالحمرة " احترم نفسك ياسر ... اما بلوزتي الفاضحة فتذكر اني كنت البس فوقها سترة.. "

اشتعلت عيناه وهو يهمس بوقاحة اشد

" وانا خلعتها عنك خلال ثوان .. "

ليتطلع لشفتيها مباشرة وهو يضيف

" والباقي كان مجرد تحصيل حاصل ..."


وثب بحركة جسد مفاجأة مما جعلها عفويا تتراجع للخلف فابتسم ابتسامة ساخرة وهو يعبر بنبرة خشنة

" لن اقبلك الان .. لاتخافي .. فالصفع لن يجدي نفعا مرة اخرى .. "

تشوشت بسببه ...

تنظر اليه وتحاول استعادة دهائها لتتعامل معه..

انها تريده .. لاتكف عن التفكير به ...

لم يؤثر بها رجل كما يفعل ياسر ...

انه يخطف انفاسها بينما يتكشف لها هذا الجانب من شخصيته الذي ما عرفته يوما...

لقد اخبرت والدها صباح اليوم تحديدا عنه وقد طلب رؤية ياسر ومكالمته على انفراد اولا للتعارف ...

لكن ... هي تحتاج ان تفهم هذا الجزء المخفي منه اكثر ..

جزء تشعر انه مفتاح ياسر ..

المفتاح الاهم ...

لماذا لايعبر ولو بالقليل عن المشاعر التي يكنها لها ؟

لماذا لسانه لايطاوعه لينطق بكل الغيرة الجنونية التي يشعرها نحوها ...

هذا الفظ يحبها لكنه لايريد قولها الا بافعال مجنونة خارج نطاق التفسير والسيطرة ...



تمتمت عفويا باسمه " ياسر ..."

فيسألها بعنف مفاجئ وهو يقف على بعد بضعة سنتيمترات منها " هل ما زلت تحبينه ؟!"
عبست وهي تتساءل بحيرة " من ؟"

زمجر بفظاظة " لاتدعي الغباء .. انت تعرفين من اقصد ... اسامة الهاشمي..."

ارتفع حاجباها عجبا وهي تفكر باسامة الذي نسيته تماما خلال الدقائق العاصفة مع هذا المجنون ...

ردت بشموخ هادئ وهي تحدق فيه بثقة

" لا .. "

اقترب اكثر حتى اوشك ان يمسها بجسده فقاومت خوفها الغريزي حتى لاتبتعد ...

لن يرهبها بخشونته واسلوبه ..

عليه ان يتعلم احترامها واحترام انوثتها الناعمة وحدود التعامل في ضوء علاقتهما غير الرسمية حتى اللحظة...

همس بصوت مبحوح شديد الخشونة

" اذن اثبتي .."

ما زالت تحدق فيه بينما يكمل بتشنج

" اثبتي انك لم تعودي تحملين اي مشاعر حمقاء رعناء غبية نحوه .."

سألت وهي تحاول كبت تأثير قلبها الخافق بجنون على ملامح وجهها " كيف ...؟ "






باشتعال رهيب همس وهو يمسك ذراعيها من المرفقين

" قولي انك ستزوجيني خلال ايام فقط ..."

حاولت تخليص ذراعيها وهي تردد اسمه ليهدأ

" ياسر .. "

لكن انفعاله تضاعف فأخذ يهزها بتشنج اكبر اثار توترها كما اثار جيشان مشاعرها كامرأة بينما يهمس من بين اسنانه

" لقد مضت سنوات .. سنواااات ... الامر لم يعد يحتمل .. وانا لن امنع نفسي عنك بعد الان..."

عادت لتهمس باسمه باستغراب ودهشة

" ياسر ..! "

فزجرها بعنف

" ياسر ياسر ياسر ... توقفي عن ترديد اسمي "

اخذت نفسا لتهدأ هي بينما يضيف هو بصوت مشحون وصلف رجولي هادر

" افهمي انك يجب ان تكوني في حياتي انا ... افهميها سهر .. لاقدرة لي لاشرح بالكلمات الغزلية التي تتوقين اليها ... فقط افهميها و.....اشعريها ..."

ترقق صوته فجأة ليهمس ببحة عاطفية

" لقد اوصيت سريرا ورديا مزدوجا ..."

حركت راسها ووجهها يطفح بحمرة قانية بينما تهمس " لايمكن ..! انت لاتصدق بافعالك المتناقضة .."



ردد بضحكة خافتة مرتعشة

" اللون سيسبب لي الصداع اكثر من صوت فيروز لكني سانشغل عنه ..بكِ انت .."

كل ما قاله تشعره مذبذب وغير واضح كاشارات وامضة يفترض ان ترشدها داخل متاهة .. لكن ما يحصل انها تربكها ..

لم تجد بدا من التلاعب بوجهة الكلام في محاولة للوصول ليقين يطمئنها ...

ابتلعت ريقها بصعوبة قبل ان تقول بتردد

" اسامة .. جرحني .."

سحق اسنانه واصابعه تتقلص على ذراعيها

" الوغد الابله .."

تمتمت بتفهم انثوي " هو ... لم يقصد .."

صرخ بها وقد عاد ليهز جسدها " لاتدافعي ..."

كم تريد صفعه مرة ثالثة !

عبثا حاولت تخليص ذراعيها منه لتتنهد في احباط وهي تقول بهدوء

" انها الحقيقة ياسر .. هو لم يقصد .. احيانا يكون الارتباط بين اثنين خاطئا في تركيبته .. النقص الذي لديه لااملؤه انا "

همس وعيناه تفيضان بالوحشية والغيرة

" فليذهب هو ونقائصه للجحيم .. "

فربتت باناملها على ساعده وهي تردد بخفة

" هو ايضا لم يملأ النقص عندي .."



تجمد .... وعيناه ثبتتا النظر في عمق عينيها

بينما تضيف سهر وخضرة عينيها تلمعان

بالكبرياء

" انا احتاج لرجل يعشقني بجنون .. يشعرني

انه يراني انثى لاتضاهيها انثى اخرى ..."

اضافت بهمس رقيق مغو في ضعفه الانثوي

" قل انك تشعر هكذا نحوي وسأتزوجك

خلال ايام كما طلبت ..."

تحدق فيه بعجب !

ما كل هذا الصراع الذي يحتدم في داخله

وتفضحه عيناه ؟!!

يزم شفتيه بقوة وكأنه يمنعهما التصريح

بالكلام ...

عيناه فقط من تشعان بالمشاعر الصاخبة ...

اجفلا معا وصوت رنين الهاتف يعلو ...

لخيبة املها تركها وكأنه لم يصدق فرصة

الهرب !

تجاوزها ليوليها ظهره متحركا ناحية سترته

الملقاة عن الارض قرب باب المكتب فالتقط

السترة واخرج الهاتف بينما يهمس بصوت

أجش

" انه سعد ..."

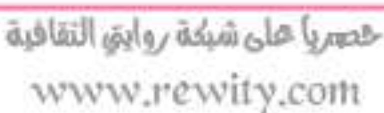
كزت سهر على اسنانها غيظا وهي تحدق في

ظهر هذا الفظ الغليظ الذي يهرب من الاعتراف

الصريح ..

يا الهي كان على وشك الاعتراف ....







هل هذا وقت سعد الآن ليتصل ؟!!

سمعت صوت ياسر وهو يتكلم عبر الهاتف

" مرحبا سعد .. انا في المطعم .. أجل .."

فجأة توترت الاجواء مع توتر جسد ياسر فخرج صوته بنبرة رهيبة

" ماذا قلت ؟! "

شعرت سهر ان هناك امرا خطيرا يحصل بينما تحدق في ظهر ياسر المتشنج ...

همست تسأل بوجل وهي تقترب خطوة

" ماذا حصل ؟"

لكن ياسر بدى وكأنه حتى نسي وجودها بينما يرد على سعد بنبرة تخنقها الانفعالات العنيفة " عد بها للبيت .. لاداعي للمستشفى .. انا قادم حالا ..."

اغلق الخط بينما تقف سهر خلفه مباشرة تسأله بقلق " ياسر .. ماذا حصل ؟ هل هناك من تاذى ؟ "

اجفلها بعنف استدارته اليها وعيناه اللتان كانتا قبل لحظات تفوران بالمشاعر الحارة الآن تعصفان بمشاعر العنف والبرود الصقيعي!

اتسعت عيناها بينما يقول لها بجمود

" انا سأتغيب اليوم ... اخبري رافد بهذا ..."





ثم ارتدى سترته وهو يتحرك لفتح الباب

لتلاحقه وهي تقول بقلق متزايد

" فقط اخبرني ماذا حصل ؟"

عندها صرخ فيها بغضب غريب مجنون

" اصمتي فقط ولاتتدخلي ..."

تجمدت قدميها لتتسمر خطواتها بمكانها

بينما يتركها ويمضي وهالات الغضب الغريب

تشع منه اشعاعا ....

في بيت رافد ...

قالت اخيرا وبصوت متحشرج مشحون

" اريدك ان تتزوج غالية حالما تنتهي

عدتها.."

اخذ رافد ينفض رأسه ليستوعب ما التقطته

اذناه من كلمات تفوهت بها امه للتو !

شعر انه في حلم او ربما كابوس ...

ماذا قالت امه بالضبط ؟!

يتزوج غالية حالما تتم عدتها ؟!!



وجد نفسه في حالة غباء وصدمة يردد هذه الكلمات التي تدور في رأسه وهو يحدق في وجه امه الهادئ

" اتزوج .. غالية .. حالما تتم .. عدتها؟!"

هزت الام راسها بتأكيد وهي تقول

" نعم ... لااريدك ان تتأخر يوما واحدا بعد العدة ..."

عاد لينفض رأسه !

لابد ان هناك خلل ما ...

لايمكن ان تعني امه الكلام الذي تردده ..

لم يخطر في باله للحظة ان امه ستطلب هذا وبكل هذا الهدوء والثقة !

عفويا اخذ ينقر باناملة على صدغه وكأنه يرج الكلمات في عقله عسى حروفها تتغير ..

لايمكنه الاستيعاب الان ...

انه حتى لايستطيع ابداء ردة فعل ...

اسوأ ما توقعه من امه ان تطلب منه ابقاء غالية في بيتهم الى الابد ...

هذا كان اقصى ما توقعه ...

وكان يخشاه كالموت بل واكثر ...

بل انه يفضل الموت على ان يقضي باقي حياته بهذا العذاب وغالية قربه بشكل يومي ...



لذلك كان يحضر للتعامل مع اسوأ هذه الاحتمالات بأن يقنعها بشراء شقة جديدة لغالية .. وان .. يعتني بها هي ولولو بنفسه ...

ان تكون غالية قريبة من البيت خير من ان تسكن معه تحت نفس السقف...

(تحت نفس السقف ؟!)

تساؤل اخذ يكرره في ذهنه بتبلد !

ثم شيء من الاستيعاب بدأ يتسلل لادراكه..

امه تريده ان يتزوج .... غالية !

يا رب السموات ...

هو .. رافد ... يتزوج .... غالية !

صوت امه جاءه من بعيد وهي تلقي على مسامعه المزيد " غالية وابنتها امانة في عنقك الآن .. لاتجعل الصغيرة لولو تشعر باليتم لحظة واحدة .."

ما ان ذكرت لولو وكلمة (اليتم) حتى انتفض ادراكه ليتسوعب ما يجري فيقول بنبرة حادة " والدها حي ....امي .. انه حي "

عندها تعمقت تجاعيد جديدة في وجهها واكفهر وجهها بشكل مقلق وهي تتمتم بشفتين شاحبتين ونبرة شديدة القسوة

" والدها مات ولا والد لها غيرك .."



اتسعت عينا رافد في ذهول من التعابير المخيفة على وجه امه بينما تضيف بنفس النبرة القاسية

" انت وعدت ان لاتجادل وستحقق لي طائعا كل ما اطلبه منك ..."

التمعت فجأة دموع في عينيها الواهنتين بالمرض وهي تهمس بخشونة

" انت لن تسمح ان تشعر لجين باليتم والنبذ اليس كذلك ؟"

اخذ رافد يهز راسه وهو يحدق في تلك العينين فيتذكرهما جيدا ... نفس النظرة البعيدة والانكسار والخوف وشعور النبذ ...

ثم همست المزيد وبنفس الخشونة

" غالية .. ما زالت صغيرة .. بلا سند تتكئ عليه حتى لاتنهار وتقع ... انا كنت اكبر منها سنا واكثر قوة .. كان لدي عملي الذي يسندني ويمنحني القيمة ... اما هي ... انا من جنيت عليها وزوجتها باكرا بنسخة ابيه ! "

كان يتمزق مع كل كلمة ...

كيف يمنع الألم عن اعز الناس لديه ؟

كيف ؟ كيف ؟

تجمدت حواسه وطنت اذناه بينما امه تقول

" انا اعلم كم تحبها .. منذ صغرها وهي مميزة لك ..."



اتسعت عيناه واخذ قلبه يتلوى جزعا ورعبا في صدره ليتصبب العرق باردا على جبينه بينما يهمس باختناق

" امي ....انا ..لم ..."

لكن امه قاطعته وهي ترخي راسه للخلف وتسبل اهدابها قائلة بنبرة حاسمة

" انها ربيبتك كما هي ربيبتي .. كل ما ستفعله انك ستجبر نفسك ان تحول طاقات الحب التي تكنها لها فتمنحها صفة الزوج وليس الراعي .."

الطنين زاد والعرق البارد اصبح ساخنا بسخونة المشاعر التي تتلظى بنيران اوقدتها امه للتو..

تمتم وهو يحاول التماسك

" امي فقط اتركي هذا الامر الان ودعينا نركز على استعادتك كامل شفائك .."

فتحت عينيها لتدير وجهها جانبا بعيدا عنه وهي تقول بنبرة قاطعة

" لن ابتلع الدواء حتى تعدني بتحقيق ما قلته لك .."

ابتلع ريقه وهو يمد يده ليلمس يدها المتشنجة على السرير لكنها تسحب يدها بعنف قاس تمنعه ملامستها حتى ليهمس رافد بصلابة ظاهرية

" امي مستحيل ما تطلبينه ! هل فكرت بكلام الناس ..؟ "



فترد بصلابة تضاهي صلابته وتزيد

" اخوك مات وانت ستظلل بحمايتك على زوجته وابنته .. من سينتقد او يعترض سأحشو فمه بالطين بيدي هاتين ..! "

تمتم رافد بحذر " راغب لم يمت امي .."

صرخت الام بعنف وهي تدير وجهها الى بكرها " صه ... لااريد سماع اسمه ..."

لكن رافد لايملك الا ان يواجه امه فالامر لايحتمل الصمت

" امي ..قد يعود .. في اي يوم قد يعود .."

بهتت ملامح الام تماما وبان عليها العجز والياس لتهمس بثقة غريبة " لن يعود ابدا .."

انقبض قلب رافد بينما تضيف الام بنفس النبرة والاملامح

" هل تعلم ان والدك يعيش في النمسا ؟"

هذه المرة انصقع رافد ليقف على قدميه وهو يردد بذهول وصدمة

" ماذا ؟!"

تطلعت الام لابنها وقد بدت تائهة عن صدمته غارقة في مأساتها التي لم تستطع يوما تجاوزها

قالت بنبرة ميتة

" سنوات مرت قبل ان اجرؤ على التقصي عن مكان وجوده .. كنت انت في سنة تخرجك من الجامعة .. عندها .. تمكنت مني خيلاء انوثتي لاثبت اني نجحت بدونه ...

اعطيت لنفسي الاعذار حتى ابحث عنه ..
اردت رؤيته وجها لوجه فاخبره بنفسي عن
تخرج ابننا البكر بمجهودي انا وحدي .."

هذه المرة سالت الدموع على وجهها بل خنقتها
غصة بكاء مكتوم وهي تكمل بكرامة
موجوعة بجراح لاتبرأ

" ليتني لم أفعل .. ليتني رضيت بما حظيت به
.. تخرجك كان اولى ثمرات نجاحي ..
لكني .. لم استطع تجاوز هجرانه .. اردت ان
اعطيه الفرصة ليطلب الصفح مني .. ربما
كنت سارفض لكني أردت بشدة ان اراه يطلبه
.. ان اراه يتوسل المسامحة والعفو ... لكني
كنت مغفلة ...."

دموعها اغرقت وجهها ورافد ما زال مصدوما
لتهمس بلوعة

" لقد اكتشفت ان .. والدك متزوج.. تزوج من
ارملة نمساوية ويربي لها اولادها الايتام !
تركني انا وترك ولديه وعاش حرا طليقا
لسنوات ليختمها بزواجه من اخرى يربي
ايتامها! "

انهار رافد جالسا مرة اخرى بينما يحدق بلا
شيء ! لتكون أمه اول من يستعيد رباطة
جأشها فتطرق الحديد وهو ساخن ..

قالت تضغط عليه بالمزيد وهي تمسح وجهها
من الدموع الخائنة



" هل ستجعل غالية تتعذب هذا العذاب وهي تتقفى اثر اخيك من امرأة لاخرى دون ان تطاله لتأخذ حقها منه ؟... ثم يقتلها كمدا وحسرة بزواجه بمن هي ربما اقل مقاما من زوجة ابيك "

التفت اليها رافد بوجهه يحدق فيها بصمت بينما تضيف الام بحاجبين معقودين عنادا وتشبثا بقرارها

" ان لم تحقق لي هذا ستقضي علي .. انا جادة تماما يا رافد .. لن اتناول الدواء حتى تعدني انك ستفعل ..."

شهقت العمة فائزة واخذت تضرب على خدها وهي ترى حال جودا بينما يحملها سعد للداخل..

لقد حاول جهده تخفيف الامر على العمة الرقيقة باخبارها بحالة جودا قبل ان ينزلها بنفسه من السيارة ...

لايلومها وهي ترى الفتاة بكدمات واحمرارات متفرقة على وجهها بينما يلف سترته باحكام حول جذعها ولايتصور ردة فعل العمة عندما ترى ملابسها الممزقة ...

هو لم يخبرها الحقيقة تماما .. فقط قال لها ان جودا دخلت في عراك عنيف مع زميل لها في الجامعة ...



نفس ما قاله تقريبا لياسر على الهاتف ...

قال سعد وهو يتجه عفويا ناحية السلم

" عمتي فائزة ارجوك اهدئي .. انها بخير صدقيني .. فقط منهكة .. انها حتى لاتحتاج الا لتعقيم لجرح صغير في ظهرها ...وربما بعض الكمادات على وجهها ..."

اخذت العمة تبكي بحرقة وهي تحدق بجودا التي تغمض عينيها وتأبى ان تفتحهما رغم وعيها لكنها مستسلمة لقيادة سعد للامور كما هي مستسلمة لذراعيه اللتين تحملانها..

تمتمت العمة بلوعة " الفتاة المسكينة .. اختارت طريق محفوفا بالنيران وها هي لسعتها"

وقف سعد حائرا بين تسلق السلم او ابقاء جودا في احدى غرف الطابق الارضي...

لكنه قرر ان ياخذها لغرفتها افضل لها فسأل العمة المرتبكة اكثر منه

" عمتي .. هل يمكنك ان تدليني على غرفتها ؟ انها تحتاج.. لتغيير ....ملابسها ... قبل ان يأتي ياسر ويراها هكذا "

هزت العمة رأسها باضطراب بينما تشير بيدها ليصعد السلم وهي تسبقه بخطواتها المترنحة حزنا ولوعة على ابنة اخيها ...

فقط تردد بخفوت

" حسبنا الله ونعم الوكيل .."





حالما وضع سعد جودا على سريرها لم ينظر اليها ولم يتطلع حوله حتى ليغادر الغرفة سريعا تاركا العمة تتعامل مع هيئة جودا المزرية ...

يشعر باضطراب عظيم ويحتاج ان يبتعد قليلا ليستعيد توازنه الذي اختل ...

صورة جودا تتعرض لمحاولة اغتصاب سترافقه طوال حياته ... كلما تذكر ذلك القذر وهو يجثم فوقها ويصفعها بعنف تكتسحه موجة غضب جديد لايعرف كيف يتعامل معها لتخمد ...

يده على سور السلم وهو ينزل درجاته ببطء شارد ... جروح تناثرت هنا وهناك على ظاهر يده .. لايعلم هل هي من الزجاج الذي حطمه بقبضته ام من اللكمات الهستيرية التي كالها لذلك القذر ..

على أحر درجة بالسلم سمع صوت فتح الباب لتتجمد خطواته عفويا وهو ينظر لياسر يتقدم نحوه وهدير انفاسه يسبقه ...

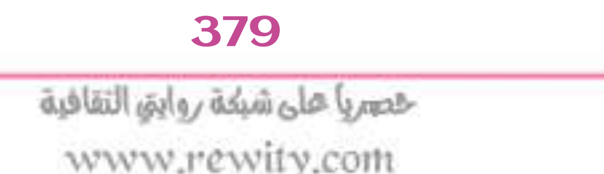
حدق الرجلان في بعض بصمت ليسأل ياسر بنبرة تكبت الكثير " اين جودا ؟"

رد سعد وهو ينزل الدرجة الاخيرة

" حملتها لغرفتها ..."

تحرك ياسر باتجاه السلم عندما امسكه سعد من ذراعه وهو يقول بصوت أجش





" ياسر ... انتظر قليلا .. انها بخير لكن
لاتدخل عليها الآن ارجوك ...العمة فائزة
تغير لها ...ملا..بسها .."

بشراسة وحشية حدق ياسر في سعد ليسأل
بحاجبين معقودين " ملابسها ؟!"

دوما كان ياسر لماحا ... لقد ادرك ان هناك
امر ما حول ملابس جودا ...

اطبق سعد فكيه وعاد له غليانه ليسأله ياسر
بعنف " اخبرني بما حصل .."

اسبل سعد اهدابه بينما يترك ساعد ياسر
وهو يقول مخفيا مشاعره " لقد اخبرتك ..
تشاجرت بعنف ..جسدي مع .. زميل لها
بالجامعة ... "

ضرب ياسر بقبضته على حافة سور السلم
بينما يسأل بتشنج " اريد التفاصيل سعد ..
كيف رأيتها مع ذلك الحقير واين كانا
بالضبط ؟ وما اسمه ان كنت عرفته ؟ "

بذل سعد جهدا خرافيا ليسيطر على نبرات
صوته بينما يقول بهدوء ظاهري

" كل ما اعرفه ان اسمه قتيبة واعتقد انه
زميلها بالقسم .. اليوم رأيتهما معا .. صدفة ..
في سيارته على الطريق خلف الجامعة ..
لكني سبق والتقيته مرة سابقة .. عندما
ذهبت قبل فترة لاستخلص بعض الاوراق من
الجامعة فرأيته يقف مع جودا قرب البوابة
الرئيسية وقد كان يضايق جودا بالكلام ..
فـ.. تدخلت انا بوقتها وانتهى الامر .. "



اتسعت عينا ياسر وتوهجت بالنظرات القاتلة

ليقول لسعد من بين اسنانه

" لماذا لم تخبرني انه تعرض لها سابقا؟"

مرر سعد يده فوق رأسه قبل ان يرد بضيق

" لم ارد ان اتسبب لها بالمشاكل خاصة ان الموضوع لم يتخط تحرش كلامي لشاب سخيف "

للحظات ظل ياسر يحدق في ملامح سعد بغموض ثم سأل بنبرة حادة جافة

" اريد تفاصيل ما حصل اليوم .."

بادله سعد التحديق قبل ان يقول بتأن

" كنت مارا على الطريق السريع كما قلت لك فلمحتها معه في السيارة وكانا .. يتشاجران ويتشاباكان بالايدي ..."

اطرق سعد قليلا برأسه قبل ان يضيف

" لحقت بهما وقد كان يقود سيارته بجنون ورعونة فلم استطع فعل شيء سوى اللحاق بهما ثم .. اضعتهما عندما اتخذ سبيله يمينا وبشكل مفاجئ عبر فتحة في السور المشبك نحو المنطقة المتربة ...لكني وجدتهما .. في النهاية .."

سأل ياسر بنبرة فاضت عنفا

" ماذا فعل بها ...؟ "



نظر اليه سعد وعقله يعمل بتلاحق سريع لتدارك الامور .. ياسر دوما كان عنيفا فامسكه من ذراعيه المتشنجتين قائلا

" لاشيء ياسر ... لم يفعل بها شيء .. فقط اهدأ ارجوك وتمالك غضبك ..."

صرخ ياسر وهو ينفض كفي سعد عنه ليصرخ هادرا " توقف عن اللف والدوران سعد .. انت من شهد كل شيء كما يبدو واضحا على ملامح وجهك ويجب ان تخبرني لانها لن تفعل ابدا... ماذا فعل معها ذلك القذر ؟ لم يكن مجرد شجار وتشابك بالايدي اليس كذلك ؟ اخبرني .."

تمتم سعد وعيناه تحدقان بقوة في عيني ياسر

" لا .. لم يكن فقط هكذا .. كان يحاول ... اغتصابها ...لكنه لم .... ياسر ... توقف ..."

ما ان قال سعد كلمة (اغتصاب) حتى انطلق ياسر كالسهم فوق درجات السلم ...

عفويا تسلق الدرجات خلف ياسر لكنه توقف في منتصفه تائها حائرا ...

واخيرا قرر ان يظل جالسا على السلم واذناه تلتقطان اي صوت قد يعطيه اشارة للتدخل ..

فتح ياسر باب غرفة جودا يسبقه عنفه ولهاثه انفاسه ...

وجد جودا في سريرها وقد ارتدت ملابس بيت بينما تنكس رأسها والعمة تمشط لها شعرها ..



تجمدت يدا العمة فائزة وهي تتطلع لوجه ابن اخيها بوجل بينما شحبت تعابير جودا دون ان تشحب بشرتها التي حملت اثار ضرب وصفعات واضحة للعيان ...

انكمشت جودا في سريرها بينما وقفت العمة على قدميها وهو تتمتم " ياسر ..."

عينا ياسر متركزتان على جودا بينما يقول بنبرة لاتقبل النقاش

" اخرجي لو سمحت عمتي ..."

رددت العمة بقلق " هناك جرح في خاصرتها يحتاج لتعقيم .."

تقدم ياسر خطوة اخرى حتى جاور السرير وهو يقول بحدة " انا سأفعل .."

بارتعاش وضعت العمة المشط جانبا قبل ان تتحرك لتمر بياسر وقبل ان تتجاوزه وقفت عنده قليلا تهمس له " رفقا بها يا ولدي ..."

لم يرد عليها ولم تفارق عيناه الداكنتان عيني جودا بينما تتنهد العمة بيأس لتغادر الغرفة حاملة معها سترة سعد ...

عينا ياسر تحركتا من عيني اخته المرتعبة لصدرها الذي يعلو ويهبط بانفعال واضح ..

ثم تحركت عيناه اخيرا ناحية المنضدة الجانبية حيث وضعت العمة قطن نظيف ومعقم ...

جلس على حافة السرير ليلتقط القطن والمعقم وهو يقول بنبرة جافة



" استديري حتى اعقم الجرح .."

اطاعته تماما وهي تستدير على جنبها
وتستسلم لارادة اخيها فيرفع حافة منامتها
الصوفية ...

كز على اسنانه وهو ينظر للجرح ...

لم يكن جرحا بسيطا ابدا ..

وبعنف مشاعره وضع الكثير من سائل التعقيم
على القطن ليضعه مباشرة فوق الجرح ..

توجعت جودا وهي تعتصر جسدها

" آآآه.. انه .. حارق ..."

سحق اسنانه هذه المرة وهو يعاود تعقيم
جرحها لتتوجع مرة اخرى بينما يهمس هادرا

" تستحقين اكثر من الحرق ايتها الغبية
عديمة التفكير ... لو بيدي لكنت احدثت
جروحا في كل جسدك واحرقتها بالمعقم
ببطء واحدا تلو الآخر .. عسى ان تثبت في
عقلك الذكرى كما يثبت الوشم في الجلد
فربما عندها ستتعضين وتتوقفين عن
الحماقات التي ستودي بك الى التهلكة ..."

تشهق ببكاء مكتوم وهي تردد بانكسار

" لن .. افعل الحماقات بعد الآن .. سأقبع في
البيت ولن اغادره ابدا ..."



وضع قنينة المعقم بعنف على المنضدة مرة اخرى ليمد كفاه لجسد اخته ويديرها عنوة اليه يصرخ فيها

" غبية كالمعتاد ! هل الحل ان تقبعي في البيت ؟! "

اخذ صدرها ينتفض بالبكاء ووجهها المتورم غارق بالدموع وعيناها تتوسلان اليه حاجتها اليه ...

دون كلمة امسك كتفيها وجرها بخشونة لصدره بينما يسب ويشتم دون توقف ...

انهارت جودا في البكاء وتعلقت برقبة ياسر بتشبث رهيب تهمس له بحرقة تفتت قلبه رغما عنه

" انا خائفة ياسر ... خائفة ...جدا .. خائفة من نفسي .. خائفة .. من الناس ..."

يضمها اليه اكثر وهو يقول بخشونته وفظاظته المعتادة

" لن يستطيع الخوف هزم طيشك وفرعنتك.. فثقي بي ان ما تشعرين به مجرد شعور عرضي لن يدوم طويلا مع مجنونة متهورة طائشة حمقاء مثلك ، اعطيكِ بضعة ساعات لا اكثر وسأجدك معلقة فوق النخلة تبحثين بغبائك المعهود عن حبات التمر في منتصف الشتاء .. "

اخذت تمرغ وجهها في رقبته تقتله وهي تتشمم كطفلة وتتنهد براحة ...



انها ترى فيه الاب الذي حرمت منه دون ذنب جنته ... ترى فيه امانها .. ويا ليته بقادر على منحها الامان المطلق ..

عليها ان تتعلم بنفسها كيف تتعامل بقوة مع هذه الدنيا ... ان تكتسب القوة لذاتها دون الاعتماد على احد ....

تمتمت بحرقة هامسة باعترافات ركيكة

" انا لم... افعل شيئا .. اقسم لك .. هو من... اختطفني مهددا اياي.. بسـ...كين في خاصر..تي ... ثم .. ثم .. حاول .. ان ... ان .. لقد صفعني .. صفعني كثيرا حتى .. اوشكت على .. رائحة انفاسه مقرفة ...آآه ياسر .. ارجوك .. لااريد .. لااريد الكلام

...اكثر انا .. انا فقط .. لاتغضب مني.. سعد ... انقذني .."

كل خلاياه كان في حالة هياج عنيف مجنون وهو يستمع لتمتماتها ...

انها المرة الاولى التي تشرح له ..

ويا ليتها تكف عن شرح التفاصيل ....

اعتصرها حتى آلمها بينما يقول من بين اسنانه

" اذن اصمتي جودا .. فقط اصمتي ... "

بعد نصف ساعة غادر ياسر غرفة جودا بملامح لاتحمل الا الجمود ...

عند نهاية السلم رآى عمته تتحرك بعشوائية تائهة .. سألها بهدوء " اين سعد ؟ "



اجفلت العمة قليلا وبدى انها لم تتنبه لنزوله

لتقول بملامح مهمومة

" غادر معتذرا منك ..."

ثم اقتربت تسأله بغصة

" كيف.. هي ...؟"

رد ياسر وهو يتجاوز عمته

" نامت ولعابها ساح على سترتي .."

تلاحقه بخطواته المتعثرة كما كلماتها وهي

تقول بغصة اشد

" هل رأيت... وجهها ؟ اثار .. الصفعا....."

استدار ياسر بعنف ليقول لعمته بشراسة

" اجل عمتي ... رأيت وسمعت .. وانا سأتصرف

وحق جودا لن يضيع ..."

رن هاتفه فجأة فاخرجه ياسر من جيبه وحالما

رآى اسم سهر وامضا على الشاشة ...اغلقه !



الفصل الحادي عشر

خرج رافد من غرفة امه وهو يكاد لايصلب طوله ...

لقد وعدها!

فقد عقله ووعدها انه سيفعل ما تريد...

لايصدق انه اقدم على هذا الوعد الجنوني!

لكن لماذا يشعر هكذا ؟! لماذا يشعر انه جنون مطبق لايستطيع عقل تقبله ..

ما الذي لايستطيع تقبله بالضبط ؟

ان غالية متاحة له الآن ..و ان امه بنفسها تطلب منه بل تأمره ان يتزوجها ؟!!

يا الهي ... هو يتزوج غالية ؟ وتصبح حلاله ..

ثارت رجولته كالجحيم ... يكاد يشعر بزئير وحش يحطم سجونا من الف باب وباب...

وحشه انطلق حاملة شعلة من نار ..

نار نار نار...

نار يشعلها في كل جزء من جسده...

في شرايينه واوردته ..

لكن .. لا .. لا لا لا ...

لابد ان هناك خطأ ما ...

هل هو الخطأ في عقله الذي لايتقبل ما فُرض عليه ام في قلبه الذي تتوقف خفاقته صدمة مما يوصله اليه العقل من مستجدات ..

هل اعتاد العذاب الى درجة لم يعد راضيا بالدواء الذي ينجيه ؟

ام انه يفضل الداء خوفا من خداع دواء يغويه؟

تمتم رافد بنظرات يسكنها الذهول

" الداء اصابك رغما عنك وها هو الدواء يُسقى في فمك رغما عنك ايضا ... وما بين داء ودواء قلبك يترنح برضا لقرب المعشوق "

رفع يده لصدغه يدلكه وهو تائه مذهول ...

كل ما استطاع فعله بعد تقديم ذلك الوعد ان يطلب من امه ترك مفاتحة غالية عليه ..

باطن كفه الذي كان يدلك صدغه اصبح يضرب هناك بعنف وهو يتمتم بهمس

" أفق أفق .. غالية سترفضك .. مؤكد سترفضك ..وكيف يمكن ان لاتفعل ؟! أفق ايها العقل التعيس بتعاسة القلب ... انها لاتراك الا كأخ .. أخ لها .. وأخ لحبيب عمرها الذي غدرها ..."

صوت ضحكات لولو جعله يفيق فوريا من حالة الهذيان والذهول ... ليسارع رافد في ارتداء احدى اقنعته بينما يواجه خروج الصغيرة راكضة بقدميها الصغيرتين عبر باب المطبخ...

خمن ان غالية ستظهر خلف طفلتها الهاربة من افطار الصباح في اي لحظة فدعا سرا ان يمنحه الله القدرة على ضبط النفس ..



اخفي تعابيره وهو يميل بجسده ليلتقط جسد
الصغيرة التي هربت من امها لاجئة اليه وهي
تناديه باثارة شقية

" دادا ..دا دا ..."

ضمها اليه بينما تلف ذراعيها الصغيرين حول
رقبته وتدفع جسدها اللين بصدره بينما
تحرك ساقيها بتحفز واثارة وكأنها تحثه
على الهرب بها بعيدا عن امها التي جاءت خلفها
كما خمن وهي تزفر بحنق ...

ضحكات الصغيرة ملأت الصالة بينما يداعبها
رافد وهو يدغدغها باصابعها يتلاهى بها عن
مواجهة امها ...

ورغم ادعائه الانغماس في اللعب مع الصغيرة
الا ان كل حواسه تلتقط تفاصيل غالية
وبشكل عفوي بل حتى غريزي ...

مهما حاول لايستطيع التحكم بتلك الحواس
التي تتمرغ عشقا وتوقا لالتهام كل تفاصيلها
وتشربها حتى اخر قطرة ..وكله ... عن بعد ..

وبينما تقف غالية على بعد خطوات متخصرة
وبملامح عابسة يرتعد جسده استجابة
لوجودها النحيل ... من قمة رأسها وهي تشد
شعرها القصير برباط مطامي للخلف مرورا
بقميص نومها الصوفي الازرق الذي يصل لما
تحت الركبتين بشق الانفس وحتى قدميها
المحشورتين في خف صوفي احمر ...



فكر في نفسه .. الا يمكنها ان ترحمه قليلا من ارتداء ملابس تثير رجولته بكثرة اريحيتها وقلة احتشامها ...

ماذا عليه ان يفعل لتفهم ؟

لتشعر بناره واحتراقه ؟

هل يصدمها بما وعد به امه عسى ان تفيق في غفلتها هذه امامه وتنظر اليه كرجل وليس كأخ .. ليس كأخ .. يا الهي انه ليس كأخ .. مطلقا لايحمل ذرة اخوة لغالية ...

" رافد انت تفسدها بتدليلك ..."

ابتلع ريقه وهو يرفع نظراته يحدق في وجه الصغيرة الشقية التي لاتكف عن التحرك في محيط ذراعيه بينما يرد على امها

" انها تحب الانطلاق .. فلماذا نكبلها ؟!"

ثم اسبل اهدابه وهو يبتسم بشقاوة هامسا بصوت مبحوح " اذكر امها عندما كانت طفلة اكثر منها شقاوة ونشاطا ..."

" دا دا .. دا دا ..."

تهلل لجين بفرح صاخب فيضحك رافد من قلبه مخرجا طاقات الانفعال الحبيسة بينما تزمجر غالية وهي تقترب منهما فتمد ذراعيها وهي تقول بحزم وتأنيب

" انت لم تكن تشجعني على التمادي كما تفعل مع هذه الشقية التي تثير جنوني .. بل كنت تعاقبني احيانا عندما ارتكب الشقاوات..."



وبينما تقول هذا كانت يداها قد استقرتا
على جذع الصغيرة التي التصقت اكثر بعمها
رافضة امها ...

تطلعت غالية بحنق لعيني رافد الضاحكتين
بذوبان غريب فيهمس لها بصوت أجش

" ما كنت اعاقبك الا عندما تؤذين نفسك
.. كنتِ وما زلتِ غالية علي .. جدا ...
ولااحتمل ان يصيبك خدش بسيط ..."

للحظات غريبة ظلت غالية تتطلع لعينيه
وملامحها بدت تائهة مشتتة ... اخذت تسحب
يديها ببطء عن صغيرتها وبدت الالوان الثلاث
لعينيها تشع كقوس قزح خاص جدا بها ..

قوس قزح غالية من ثلاثة الوان نادرة ...
لايعرف ندرتها الا هو .. هو وحده ...

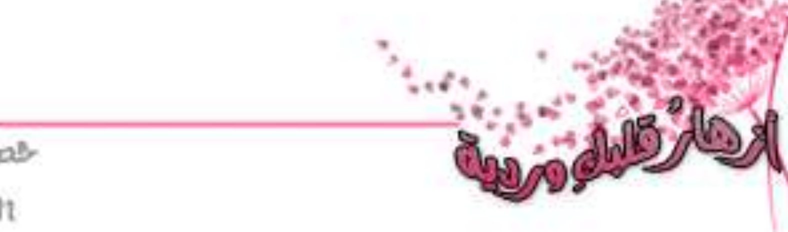
بشكل غريزي ابتعدت غالية خطوة للخلف
وهي ما زالت تحدق في رافد بتشتت ...

لعن وشتم رافد في سره ليسبل اهدابه وهو
يربت على جذع الصغيرة ويهمس لها في اذنها

" دادا يجب ان يذهب للعمل .. "

ثم اخذ يقبل رقبتها عن تعمد ليدغدغها
بلحيته النابته ...

وبينما الصغيرة تضحك من قلبها تقدم لامها
ليناولها اياها بصمت ... ويغادر البيت بصمت ...



تمتمت هاجر وهي تقف على قدميها بعد ان انهت افطارها مع سهر " هل ستظلين محدقة هكذا بشاشة هاتفك ؟!"

كانت سهر ما تزال تحدق فعلا في الشاشة الصغيرة بينما افطارها لم تمسه لتقول بحنق ووجهها متورد غيظا

" لقد اغلق الخط في وجهي هاجر ! ذلك الفظ الذي أكلني القلق عليه يغلق الخط ولا يرد علي ..."

سحبتها هاجر من ذراعها لتقف وتحركت مع ابنة عمها لتدخل للقاعة الداخلية للمطعم بينما تقول لها بشقاوة " انت قلت انه مجنون فماذا تتوقعين من مجنون ؟! "

لم تستجب سهر لدعابتها بينما تطرق براسها وهي تشعر بشيء اكبر من الغيظ يخنقها ..

لماذا يبعدها ؟ لماذا لايشكو لها ؟

قالت هاجر تواسيها بنبرة دافئة

" سهر ... لاتحزني هكذا .. "

ابتلعت سهر غصتها الطفولية بينما تغيظها هاجر بالقول " انت تحبينه ؟!"

تهربت سهر من الاعتراف وهي تحول الموضوع وتقول " ماذا سأقول لبابا ؟! يفترض ان يلتقيه اليوم ... ساضطر لتأجيل الموعد .. "

التمعت العينان العسليتان لهاجر لتقول بغمزة فطنة " انت تتهربين من السؤال يا ابنة عمي.."



تأففت سهر وهي توبخ هاجر بالقول

" توقفي عن ممارسة حبك المجنون لتحليل البشر علي انا ! لقد كبرنا على هذه اللعبة .."

ضحكة مميزة انطلقت من حنجرة هاجر لتقول بعدها " عشر سنوات لم تغير من طباعك شيء يا مدللة ابيك ..."

عادت سهر للتأفف وهي تقول " كفي هاجر .. مزاجي متعكر جدا .. اذهبي لعملك .. الا يفترض ان لديك جلسة تحضير للبرنامج .."

اخذت هاجر تحرك شعرها الحريري الاحمر وهي تقول " نعم ... هذا صحيح علي الذهاب.."

انحنت هاجر للامام فتقبل وجنتي سهر وهي تقول لها بحنو

" الى اللقاء ياابنة عمي وشكرا لوجبة الافطار الشهية ... "

ثم قرصتها في خدها وقالت وهي تحرك حاجبيها بشقاوة

"لاتدعيه يدحرك يا وردية .."

زجرت سهر بكبرياء " في احلامه .."

ضحكت هاجر عاليا ثم فجأة سكنت ضحكاته وعيناها تلتقيان من بعيد مع عيني رجل اشقر دخل للتو وانجذب اهتمامه لصوت ضحكاتها ..



لكنها مجرد نظرة وسرهان ما ولّى اهتمامه للبواب ويضاحكه ايضا ..

سألت هاجر بفضول " من هذا الذي يقف مع البواب ويتضاحك معه بفكاهة هكذا ؟"

التفتت سهر وهي شاردة بافكارها لترد بلا تركيز " انه رافد ..."

عينا رافد ابتسمتا قبل شفتيه وهو يتقدم ناحية الفتاتين فيلقي التحية " مرحبا ..."

ردت هاجر بصوت واضح واثق " مرحبا ..."

ابتسم لها رافد بينما تعرفهما سهر

" رافد هذه ابنة عمي هاجر .. تعمل في المحطة الفضائية القريبة .. "

تمتم رافد " اهلا بك ..."

فهزت هاجر راسها باناقة وشعرها يتمايل معها بانوثة طاغية ...

لم تتحرك عضلة في وجه رافد وهو يتطلع للفتاة الحمراء بينما تعرفه سهر بالقول

" وهذا رافد... زميل قديم لي في الجامعة ورئيسي حاليا في العمل "

ادركت سهر بغيظ متفاقم ان رافد يكتم ضحكته لتعبير (رئيس) الذي اطلقته عليه !

اوشكت ان تضربه على قصبة ساقه انتقاما فمزاجها لن يتحمل مشاكساته هذا الصباح ..

انسحبت هاجر باسلوب لبق بينما عيناها تلمعان بالفضول ....





حالما غادرت هاجر قال رافد بنبرة تتصنع السرية " لن يبدو مناسبا ان أكون رئيسا لك بعد اليوم .."

عبست سهر بغباء تسأله " ماذا تقصد ..؟ "

فيعقد حاجبيه ليقول وهو يدعي الجدية

" سهر ألم تسمعي الخبر ؟"

تنهدت سهر وتسأله مرة اخرى " اي خبر ؟ "

يغمز لها ويقول " ذاك الخبر المنشور .."

هتفت به بحنق " رافد لست في مزاج جيد للاحجيات .. قل لي ما هو الخبر واين نشر وما علاقته بي ..."

لكنه يتلاعب بها ويغيظها بالقول

" لااريد احراجك .."

كزت على اسنانه وهي تقول " رافد .."

عبس باستهجان مصطنع وهو يقول متبرما

" كان مزاجك اجمل بكثير قبل ان تعاشري شريكي الغليظ "

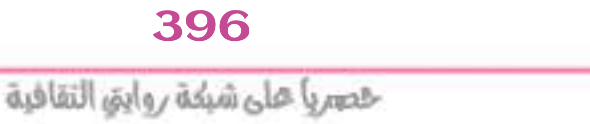
وقبل ان ترد عليه اضاف ببراءة

" الا يفترض ان ترتدي خاتما في بنصرك الايمن ... او ... ربما الافضل ان تضعيه في البنصر الايسر .."

توردت وجنتا سهر بينما تحيد بعينيها بعيدا ليضحك رافد من قلبه قبل ان يقول

" انه منشور على صفحة وجهك عزيزتي .."





التفتت اليه بوجهها التي تخضب بحمرة قانية

بينما تهدده بالقول الحانق

" انا في اسوأ حالاتي اليوم لاتجبرني ان أكون

خشنة معك .."

تصنع تنهيدة عميقة قبل ان يقول بأسف

" من عاشر القوم ..."

زجرته بنبرتها " رافد ..."

لكنه لايرتدع ليواصل اغاظتها بالقول

" سارعي لتقبلي به قبل ان ينفجر بنا جميعا ..

انت لاتعرفين المجنون كما اعرفه .. طباعه

لاتطاق في اغلب الاحيان "

عندها اقتربت من رافد تسأله بجدية

" رافد .. هلا اتصلت به انت ... او اتصل بسعد

الكتوم عسى ان يفصح قليلا عن بعض

الاسرار التي يتشاركها مع ياسر .."

حرك رافد حاجبيها بينما يتساءل

" هل فاتني شيء ؟! "

ردت سهر وهي تحني راسها قليلا

" كنت مع .. ياسر صباحا .."

فيسالها وهو يعض شفته السفلى كطفل شقي

" واين كنتما بالضبط ؟ لاتقولي في الممر

المظلم ذاك ...قرب باب مكتبه ..."



رفعت اليه عينين حادتين مهددتين بعاصفة هوجاء ان لم يتوقف فرفع يده باستسلام وهو يضحك ليعاود السؤال " وماذا حصل ؟ "

تنحنحت قبل ان تقول

" احم .. كنا نتحدث بموضوع ..."

اتسعت ابتسامته وهو يتفكه بالسؤال

" زواجكما المرتقب ..؟ "

اخذت تتلاعب بشعرها وهي ترد عليه وتشرح الامور بالمختصر " حسن .. نوعا ما كنا ... نتناقش .. لكن ... فجأة اتصل سعد به وتغيرت الامور 180 درجة .. ! لااعرف ما جرى له لكنه خرج كالمجنون.."

تراجعت ابتسامة رافد ليركز في كلام سهر ويسأل " ماذا قال بالضبط ؟"

حركت كتفيها باحباط بينما تقول

" لااعلم .. تكلم عن شخص انه تأذى او من هذا القبيل لكنه قال لسعد لاداعي للذهاب للمستشفى .."

سارع رافد لاخراج هاتفه النقال وهو يقول

" سأتصل به بنفسي .."

انتظرت سهر بلهفة لكن عبوس رافد انبأها بنفس النتيجة فقال رافد حائرا

" انه يغلق الخط !"

شعرت سهر بالضيق والقلق اكثر ..





ان لايرد عليها هذا يمكن ان يحدث مع

طباعه الغليظة معها .. لكن ان لايرد على

رافد فهذا امر يثير القلق لابعد حد ..

ناداها رافد " سهر .."

ردت بهمس " نعم .."

فقال بنبرة غريبة لكن عميقة في تأثيرها

" حاولي ان تتقربي من ياسر اكثر ..وكوني

حذرة وانت تتقربين .. انه ليس صعب الوصول

اليه لكن الطريق احيانا يصبح شائكا .."

لاتعرف لم شعرت بكل هذه القوة ..؟

لاتعرف لم شعرت ان لها هذه القوة مع ياسر

تحديدا دون غيره ...

قالت بشموخ وهي تحدق في عيني رافد

" انا لا اهاب الشوك ..."

ابتسامة عريضة ملأت وجه رافد ليغمز لها

مغيظا بالقول " ألم اقل لك ؟ انه منشور على

صفحة وجهك .."

غطت غالية خالتها جيدا بعد ان اطمأنت انها

نامت ثم خطت خارج الغرفة بهدوء تاركة

اياها تنعم بالنوم العميق ...

اخذت تدور في البيت على غير هدى ..

لولو تأخذ قيلولتها الصباحية التي لن تتعد

الساعة في احسن الاحوال وها هي وحيدة بين

اربع جدران خرساء !





حاوطت نفسها بذراعيها ورعشة برد تنتابها لتعترف ان البرد نابع من داخلها وليس من برد الشتاء ...

تحركت ناحية المطبخ وهي تعتزم اعداد فنجان شاي او قهوة ... او اي شيء .. لايهم الطعم .. فلم يعد لطعم الاشياء معنى ..

كل ما تريده بعض الدفء ...

اخذت تحرك الملعقة الصغيرة في الكوب وهي شاردة تماما ..

فجأة انتابتها رعشة اخرى مختلفة ...

(انفاسه خلفه وذراعاه تحاوطانها ...)

اتسعت عينا غالية فجأة وهي تتذكر احتضانه لها ..

تمتمت بعينين متسعتين ويدها توقفت عن تحريك الملعقة

" ماذا يحدث رافد ؟! ماذا يحدث ؟ "

التفتت بجسدها بحدة غير مبررة حتى لنفسها وكأنها توقعت ان رافد سيكون خلفها تماما كما حصل تلك الليلة قبل بضعة ايام ...

لهثت على نحو غريب وهي تتذكر عيناه هذا الصباح وهو يحمل لولو ...

اخذت تهز رأسها وتهمس بشفتين شاحبتين

" لابد اني جننت ! فقدت ما تبقى من ادراكي وعقلي ... اصبحت في حالة يرثى لها ... بل ان حالتي تثير الشفقة "





تحجرت نظراتها وهي تضيف بقسوة " لا .. ابدا لن يحدث .. لن اثير شفقة احد .. واولهم انا .. لن اشفق على نفسي واعيش دور الضحية .. لن اعيش في الاوهام .. ولن اغرق في التحليلات التافهة الغبية لتصرفات طبيعية تبدر عن رافد نحوي ... سأكون انا فقط .. غالية التي ستستعيد نفسها وتنتقم ممن خانها واذلها !"

بعد اسبوع ... مساء ...

ركن ياسر سيارته في مرآب الملهى الليلي وهو يتأفف عبر الهاتف مع رافد ليقول له بنزق

" قلت لك ليس بي شيء ..لااشكو من شيء.."

لكن رافد أصر بالقول

" ماذا تقصد ليس بك شيء ؟! هل تراني احمق ام اني عرفتك البارحة ؟!! منذ اسبوع وانت تتغيب عن الحضور للمطعم .. لم تمر الا مرة او مرتين ولم تبق لاكثر من دقائق ثم تغادر ... حتى سهر تتجاهلها وكأنها مصابة بمرض معد .. "

ترجل ياسر من سيارته وقال بجفاف

" لاتتدخل بيني وبين سهر .."

زفر رافد بقوة قبل ان يقول " لاتكن عنيدا كالتيس هكذا ! الفتاة مهما بلغت قوة شخصيتها وادعت اللامبلاة امامك وترد لك التجاهل بضعفين الا انها لن تحتمل المزيد"



صمت ياسر وهو يغلق باب سيارته ويستند بجسده عليها بينما يضيف رافد بحذر

" ان لم تجد بي شريكا مناسبا لتبوح له بكل ما يضايقك يجب ان تجد فيها هي .. انها ستكون زوجتك يا رجل .. هذا ان لم تجعلها تفر بروحها العزيزة منك ؟ "

واصل ياسر صمته وحالة من الجمود تسيطر عليه ... رافد لايفهم .. ولاحتى سهر تفهم ..

انه يعاني في داخله وبصمت ...

يكفي ان يرى جودا وهي تعتكف منكسرة في غرفتها لتتقلب عليه المواجع من تاريخ قديم مقزز يشعر بالخزي منه ...

يكفي ان يتذكر ضعفه امام سهر وانفلات عواطفه منه ليستعيد وجه ابيه وهو يتذلل لامه ..

يجب ان يستعيد سيطرته ..

سيتزوج سهر .. سيتزوجها رغما عن كل تلاعبها الانثوي الذي يزيده اثارة وتوقا ..

لكن اولا عليه ان يأخذ حق جودا ويجعلها شامخة وآمنة ...

لمح من بعيد شاب يقهقه بسماجة ومعه امرأة ..

الشاب تعرف عليه من الصور التي حصل عليها اما المرأة فلا تهمه خاصة مع زينتها وملابسها الفاضحة فمؤكد خارج نطاق اي اهتمام منه..



هتف به رافد " هل تتقمص شخصية ابي الهول هذه الايام ؟! لماذا تواصل صمتك ولاتعطيني مبررا واحدا لماذا علي ان ادفن شبابي بين دفاتر حساباتك ؟! اكاد لاعود لبيتي يا رجل وامي ستطردني ان استمريت على هذا المنوال ..."

تمتم ياسر وذلك الشاب يقترب

" سأكلمك لاحقا ... "

ثم اغلق الخط ليغلق الهاتف تماما حتى لايزعجه رافد مرة اخرى ...

غليانه يتصاعد كلما اقترب الشاب اكثر ..

اخيرا حظي به .. هذه المرة لم يحتاج لدخول ملهى ليلي اخر بحثا عن هذا القذر ..

تصبر ياسر وهو يرى الشاب يقف قرب سيارة حديثة ليرفع قنينة كحول كان يحملها بيده ويضعها فوق سقف السيارة .. ثم اخذ يبحث في جيبه عن مفاتيحه كما يبدو والمرأة التي ترافقه التفت لتقف على الجهة الاخرى من السيارة قد اخذت تضحك بصوت رقيع ...

تقدم ياسر وداخله ينتفض بغل الماضي البغيض ...

قال بصوت جهوري وهو يقترب جدا من قتيبة

" اسبوع كامل ابحث عنك ...حقا يصعب الوصول اليك .. ام انك كنت تختبئ ظنا منك ان الامر سيهدأ وينتهي بهدوء وبساطة ؟"



التفت قتيبة عابسا ليحدق في وجه الرجل الاكبر سنا بينما بعض الخمر تلاعبت بتركيزه فيقول بتوجس " اي امر ؟ ماذا تقصد؟ من انت ؟! وماذا تريد مني...؟ "

وقف ياسر قبالة قتيبة تماما بينما التفت بوجهه ناحية المرأة وامرها بشراسة

" ارحلي ..."

ببساطة تراجعت المرأة رافعة يديها باستسلام فلا تريد التورط بعراك مقبل بين رجلين ...

اخذ قتيبة يصرخ فيها شاتما

" توقفي ايتها(...) ... آآآآآآآآه"

لم يشعر قتيبة الا وقد امسك ياسر بخناقه وحركه في لحظة خطوتين للخلف ليرتطم ظهر قتيبة بالحائط بينما يصرخ به ياسر من بين اسنانه " هل يذكرك اسم جودا بشيء ؟"

شحب قتيبة تماما وجف ريقه وهو يحدق في عيني ياسر برعب بينما يتمتم

" من .. انت ؟ ... انا .. اخطأت بحقها .. لكن ذلك الرجل اخذ .. ثأرها مني.."

ضحك ياسر ضحكة مريعة مخيفة قبل ان يحرك جسد قتيبة ويرطمه بعنف في الحائط وهو يقول " ثأر جودا معي انا .. انا فقط .. اعرفك بنفسي ...ياسر.. اخوها الاكبر...."



اوشك قتيبة ان يغمى عليه وهو يتطلع حوله برعب متزايد ... كل ما فكر به ان هذا الرجل الذي يقول انه اخ لجودا سيقتله لامحالة في هذا المكان ...

اخذ قتيبة يتوسل وعيناه ما زالتا تبحثان هنا او هناك عن منجد

" ارجوك اهدأ .. انا لم أكن بحالة طبيعية .. كنت .. كنت مخمورا .. اجل مخمور .. ولم اميز حتى من ذاك الرجل الذي اشبعني لكما على وجهي وجسدي .. لقد كسر انفي واحدث بعض الكسور المخففة باضلاعي ... "

ابتسم ياسر بتشف وهو يرى ارتعاب قتيبة وكلما تزايد الارتعاب تزايد الرضا ...

اضاف قتيبة بنبرة توسل تكاد تصل للبكاء

" اقسم لك .. ظللت لايام اعاني الحمى بسبب لكماته العنيفة .. "

رفع ياسر حاجبيه قليلا بينما يقول بتفكه

" مخطئ هو ! لايفترض ان يلكمك هكذا!"

اتسعت عينا قتيبة وهو لايفهم بينما يضيف ياسر وعيناه يكتسحهما جنون الغضب

" اللكم يكون فقط مع الرجال .. اما امثالك فيرد عليهم بنفس طريقة تعاملهم مع النساء ... وها انا هنا لاعدل الموازين.."





انهالت الصفعة الاولى على وجه قتيبة المرتعب فيتوجع بجبن ثم صفعة اخرى واخرى .. يمينا ويسارا والرعب يكبله حتى من الدفاع عن نفسه وكلما حاول رفع ذراعيه ليحتمي من اثر صفعة مدوية جديدة ابعد ياسر ذراعه وانهال عليه بالمزيد...

اخذ ياسر يزداد جنونا في صفعاته وهو يصرخ

" هل هكذا صفعتها ايها الحيوان القذر ..؟ هل كنت تستمتع بالصفعات ايها الجبان "

اخذ قتيبة يتوسل الرحمة تارة .. وتارة اخرى يصرخ طالبا للنجدة فلا يسمعه احد...

في لحظة تركه ياسر فتخاذلت قدما قتيبة ليهبط مقرفصا للارض وهو يبكي كالاطفال .. ثم فزع قتيبة وهو يعاود الوقوف على قدميه حالما سمع صوت تكسر زجاج ..

اتسعت عينا قتيبة برعب لايضاهى بينما يرى ياسر يعود اليه حاملا قنينة الخمر التي كسر نصفها للتو ...

اخذ يلتصق بالحائط اكثر واكثر بينما يقترب منه ياسر وبحركة سريعة مد ياسر ساعده ليحجز رقبة قتيبة للحائط يكاد يخنق انفاسه بينما يده التي تحمل القنينة المكسورة تمتد تحت سترته ليصرخ قتيبة متوجعا وحافة الزجاج المكسور تنغرز في خاصرته ..



هدر ياسر بصوت مخيف ونبرة تتلذذ بانتقامها

" هل تشعر بالألم ؟ ها ؟ اخبرني ... هل تشعر بحافة الزجاج وهي تشق جلدك ببطء ؟ هل يمتعك الشعور ويذكرك بالسكين التي غرزتها في خاصرة جودا ؟ "

عادت لقتيبة هستيرية البكاء والتوسل ليتوجع مع كل نغزة مدروسة من ياسر في خصره ...

اخيرا رمى ياسر القنينة وهو يرى قتيبة شبه منهار ويوشك ان يغمى عليه من الرعب ..

ابتعد قليلا وهو يبتسم بتلذذ قاس ثم قال

" نوما هنيئا الليلة يا حبيب امك " وبلحظة نطحه ياسر رأسا برأس ليفقد قتيبة وعيه !

بعد ساعة ...

دخل سعد غرفته او ما كانت غرفة جدايل قبله ولسنوات بينما صوت امه يأتيه من المطبخ محذرا اياه من الامتناع عن تناول العشاء كما دأب ان يفعل خلال الايام الماضية ...

وضع مفاتيحه وهاتفه النقال على المنضدة الصغيرة المجاورة للسرير ثم اخذ يخلع عنه سترته الجلدية ويرميها على كرسي قريب ثم يتبعها بقميصه ..

كانت حركاته آلية فعقله شارد بعيدا عن محيطه الفعلي ...



من يراه يتخيله هادئ يفكر فحسب لكنه ليس بهادئ على الاطلاق ..

ولا ذرة تفكير عقلاني ومنطقي تدور في رأسه!

خلع حذاءه ورماه بحركة نزقة بعض الشيء قبل ان يرمي جسده على السرير ليستلقي على ظهره محدقا في السقف ....

لاول مرة في حياته لايستطيع تحديد مشاعره بهذه الطريقة المتخبطة المشتتة...

لاول مرة يشعر انه غير قادر على التعامل مع وضع معين بمنطقية يؤمن بها ويعتبرها اساس عقليته وفكره ...

اغمض عينيه لتتسلل اليه مرة جديدة ذكرى مفاتنها المكشوفة وبشرتها البيضاء المكدومة على خديها ورقبتها ...

فتنهار كل نظريات المنطق ولايجد الا رؤياه كرجل شرقي بل من اهل الكهوف متملك غيور عدواني عنيف ....

تقبضت يداه ليضرب بقوة على سريره ...

انه غاضب كالجحيم .. غاضب منها ولها ...

صحيح انها طفلة غبية تتصرف برعونة الا انها لم تستحق ان تنتهك بهذه الطريقة ...

انه لايستطيع نسيان حالتها ..

صورتها لاتفارق خياله ..



لاسبوع كامل امتنع حتى عن الاتصال بياسر وفي المقابل ياسر اكتفى باتصال وحيد في اليوم التالي من الحادث يطلب منه ان لايتكلم بما حدث حتى امام رافد ..

لايستطيع لومه .. ولايستطيع انتقاده على اسلوبه المتكتم في التعامل ...

الامر ليس بالهين .. ليس بالهين ابدا !

تنهد بقوة وهو يهمس لنفسه

" ما بك يا ابن منيرة ؟ اعترف ان شرخا ما حصل في صورة جودا في عينيك .. اعترف انك تجد صعوبة في تقبل ما حدث .. اعترف انك لست متحضرا متفهما للطباع البشرية كما تصورت نفسك دوما .. او ربما اخطأت في تقدير طاقتك على التفهم ومستواك في التحضر .."

أدار وجهه جانبا يتطلع لهاتفه النقال الملقى على المنضدة جوار سريره ...

تمتم بهمس مسموع لاذنيه " انها لم تتصل .. انها تخجل منك وتخجل من نفسها .. رغم انها ضحية لكنها تدرك في قرارة نفسها ان ما حصل كانت هي بتصرفاتها الغريبة المريبة سببا لحصوله ..."

(اردعني انت ...)

عبس سعد وهو يتذكر طلبها البريء في تلك الليلة العاصفة ...



خفق قلبه رغما عنه وهو يتذكر ملمس يدها الباردة بين يديه ...

ثم تراخت ملامحه وهو يتذكرها في يوم آخر تنظر اليه بقهر وغضب جنوني بعد ان ضربت بقبضتيها على واجهة مكتبه الزجاجية ..

ابتسامة رقيقة شقت شفتيه وهو يهمس

" انها تغار ... وكم هي غيرتها بدائية بعنفها فتاة الادغال تلك .. مشاعرها حارة لاتهدأ .."

ارتفع صوت امه من المطبخ القريب ليخرجه من خيالاته

" سعد .. اياك ان تكون مستلقيا على سريرك عاري الصدر ككل يوم ! نحن في الشتاء في حال نسيت هذا يا ابن بطني ... ارتدِ ملابس دافئة وانا اوشك ان انهي اعداد العشاء ... هذا المساء لا فكاك لك مني .."

تبسم سعد وهو ينهض برشاقة رياضية ليتحرك نحو الخزانة وما ان ارتدى بلوزة مناسبة لدفء البيت حتى رن هاتفه ..

تسمر في مكانه وهو يحدق في الهاتف عن بعد .. الهاتف يومض ويرتج مع رنينه المتصاعد ..

" رد على هاتفك يا ولد .. ام هل آتي وارد بنفسي ؟!"

تحرك سعد بسرعة وهو يبتلع ريقه ... حدسه كان في محله ... انها جودا ...

فتح الخط وقلبه يرتعش رغما عنه ..



هذه الفتاة لديها طريقة غريبة في التسلل الى القلوب بأكبر صخب ممكن... واكبر تأثير..!

صوتها غاضب مجنون ودون تحية حتى قالت بعنف

" لماذا لاتسأل عني ؟!"

هز رأسه وابتسم قبل ان يقول بصوت خافت

" الا يفترض ان تقولي مساء الخير اولا ؟"

فتزمجر بالقول " لن أقول .. انت .. انت ..."

قاطع تلكؤها بالقول الهامس " انا ماذا ؟"

اطلقت صوتا مغتاظا قبل ان تهدر فيه

" انت لاتحبني .. لاتعجبك الا الفتيات المتميعات بينما انا .. وحشية مزعجة ولا املك ذرة انوثة .."

ارتفع حاجبا سعد عجبا وذهولا ...

لايعرف كيف تستطيع ان تتكلم معه بكل هذه العفوية البريئة والصراحة الصادمة ..؟!

قال بصوت أجش

" لايفترض ان تتصلي بي جودا .. لايصح اتصالك وانت تعرفين علاقتي باخيك .."

عم الصمت ولم يعد يسمع الا صوت انفاسها ...

قالت بعدها بصوت تخنقه الغصة

" اردت اخبارك ... ان اخي اتصل بي من خارج البيت قبل قليل وأصر علي ان اعود منذ الغد... لمتابعة الدراسة في الجامعة ..."

همس ببحة وقلبه يهفو اليها " هذا جيد ..."

لتضيف وشهقة بكاء افلتت منها " واردت اخبارك ايضا .. اني كنت بحاجة .. لدعمك انت ايضا ..حتى أعود .."

ابتلع ريقه وهو يرد بتشنج وتردد واضح

" لك مني .. كل ما تريدين ..."

عندها انفجرت بالبكاء وهي تهتف به بين شهقات بكائها

" لاتقل (كل ... ما تردين) .. لا احد .. يمنحني .. كل ما اريد .. انتم .. كاذبون .. انانيون .. مدعون .. انا فقط .. الغبية التي .. تتخبط بحماقاتها .. هنا وهناك .. لكن .. لكن .. انا سأثبت لك اني لااحتاج اليك .. أني سأكون افضل فقط لاجل اخي .. اجل .. انا لدي اخي ياسر .. لست بحاجة اليك .. ولا لدعمك السخيف .. اجل انت .. كاذب .. كاذب .. وانا .. انا اتألم لانك كاذب .. لانك تنظر للفتيات هكذا .. لانك لاتنظر الي هكذا .. انا .. انا .. لااريدك .. ان تكلمني مرة اخرى .. انت .. تكرهني لان قتيبة حاول الاعتداء علي .... انت .. تراني استحق اليس كذلك ؟ لكنك منافق ..




منافق ولاترى ان من يستحق حقا اؤلئك النسوة الفاسقات اللواتي يلامسنك ويتوددن اليك دون حياء او خجل ..."

كانت اكثر خطبة منهارة مشتتة هستيرية سمعها في حياته فناداها همسا ليهدئها حتى يستوعب ما قالته

" جودا .. الامر ليس كما تعتقدين .. فقط اسمعيني ..."

لكنها قاطعته وهي في حالة هستيرية بكاء

" لا اريد ان اسمعك ايها المنافق الكاذب .. انت تستحق اؤلئك النسوة .. فاشبع بهن ! "

وانهت انفجارها باغلاق الخط بينما يحدق سعد في الفراغ امامه مذهولا !

ثم اجفل من ذهوله على صوت امه وهو يأتيه معنفا من عند باب غرفته

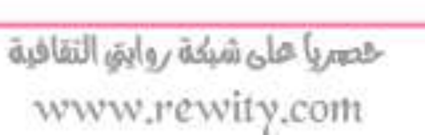
" ماذا فعلت بالفتاة يا ابن منيرة ؟! لاتقل لي انك اثرت غضبها قبل ان نخطبها ؟! "

تطلع لامه لايعرف بم يرد عليها بينما تقترب امه بخطواتها منه حتى وقفت قبالته مباشرة لتعقد حاجبيها وتميل نحوه تسأله بصوت خافت

" من اين جاء اهلها بأسم جودا ؟!! انه غريب ... هلا اعطيتني رقم امها لاسألها ؟ "

ضرب سعد كفا بكف وامه تحدق فيه بعجب!





صباح اليوم التالي ...

ركن ياسر سيارته على بعد خطوات من بوابة الجامعة قبل ان يقول لجودا بنبرة آمرة

" انزلي جودا ..."

تحتضن محاضراتها وكأنها تحتضن دميتها !

اصابعها متقلصة حول تلك المحاضرات ونظراتها منكسة للارض بينما تتمتم بتمرد واهن " لااريد ..."

عقد ياسر حاجبيها وازدادت نبرته صرامة وقسوة وهو يقول " قلت لك انزلي وافقأي عيني الوغد اذا تجرأ وتطلع نحوك .."

عضت شفتها السفلى قبل ان ترفع وجهها اليه وتهمس بصدق " انا خائفة ياسر .."

تطلع لوجهها الذي خلا من اية مساحيق وشعرها مسرح بعناية للخلف ليجعل وجهها اكثر وضوحا وبراءة .. فقط عيناها المميزتان تشعان بالتمرد والجنوح ...

انها تبدو بالضبط كما هي حقيقتها ..

حتى ملابسها البسيطة تليق بتلك الحقيقة التي تمثل روح جودا ...

مجرد قميص بلون الحليب وفوقه سترة صوفية بتدرجات الازرق لكنها لم تتخل عن البنطال الجينز الاثير ...

انها جميلة جدا .. بل تملك جمالا مبهرا مستفزا بجاذبيته .. وجمالها هذا هو ما يقلقه لانه يجتذب نحوها حثالة البشر ممن يطمعون فيها لاهثين ..

تمتم ياسر بسخرية

" ايتها البلهاء انت تخيفين بلدا بأكمله .. "

مرت ثلاثة فتيات يتهادين على الرصيف فأخذن يلوحن لجودا ببشاشة فترد لهن جودا التلويح بوهن !

سألها ياسر ببعض الشك وهو يشير براسه ناحية الفتيات

" هل هن زميلاتك ..؟! "

تنهدت جودا وهي ترد عليه

" معي في نفس الصف ..."

عقد ياسر حاجبيه وهو يعبر بالقول الفظ

" يا الهي ما اصغر هؤلاء الفتيات ! الا تخجلين ان تكوني وسطهن ..؟! "

هدرت به جودا وعيناها تشتعلان حنقا

" لاتسخر مني .. اياك ان تسخر مني .."

رفع حاجبا واحدا بلامبالاة ليقول وهو يربت بملل على مقود سيارته

" شغلي عقلك وانهي دراستك بدلا من التسكع مع (الطفلات) ..."







نفخت بقوة فذكرت ياسر بفلم من افلام

الرسوم المتحركة كان يتابعه في طفولته

حول تنين صغير غاضب على الدوام ..

فجأة التفتت اليه ومالت قليلا نحوه تتوسله

بهمس متردد " هل يمكنني ان ... ان .."

تطلع لعينيها باستفسار قائلا " ان ماذا الآن ؟!"

ارتجفت شفتاها وكأنها على وشك البكاء

لتهمس بغصة " ان اقبل .. خدك .."

تمتم ياسر وهو يهز رأسه

" هذا ما ينقصني ..."

ففاجأته بوثوبها نحوه وهي تقول

" لاتكن لئيما .."

ثم حققت ما ارادت وهي تطبع قبلتها الطفولية

على خده .. لتبتسم برضا بينما هو يتأفف

فتسأله بفرح

" هل ستأتي لتقلني للبيت ؟"

عبس وهو يرد عليها ساخرا " وهل رأيتني سائق

بالاجرة ؟ لدي عمل ملتزم به ... عودي

بالحافلة حالك كحال اولئك (الطفلات) "

عبست كما يعبس هو لتقول

" لاتقل عنهن ... طفلات ..."

امسكت عتلة الباب لتفتحها وتخرج وهي

تتمتم بتذمراتها غير المفهومة ...

حالما اغلقت الباب خلفها انزل ياسر زجاج

النافذة ليناديها " جودا .."





نظرت اليه بنفس العبوس عبر النافذة المفتوحة ودون ان تقترب منه قالت بنبرة عنيفة " نعم ... ماذا تريد ؟ "

ركز في عينيها الغاضبتين وقال بنظرة غامضة

" اذا صدمتني هذا الفصل الدراسي ونجحت في كل المواد سأتجاوز صدمتي وأبني لك حماما خاصا بغرفتك .."

ثم لوح لها بيده ليتحرك منطلقا بسيارته وهي تحدق امامها بذهول ..

تراجع ذهولها شيئا فشيئا لتغمر وجهها ابتسامة عريضة وهي تهمس

" حماما خاصا ......بغرفتي !"

في المطعم ...

تحرك ياسر عبر الممر المؤدي لمكتبه بينما يسمع صوت كعبيها خلفه .. يلاحقانه ..

ابتسم بجذل وداخله يموج بالاثارة بينما لايلتفت ويتركها تلحقه باستمتاع شغوف ...

وصلت اليه تلهث قليلا لسرعة حركتها لكنها عنيدة فتخفي لهاثها وهي تقول بشموخ بارد " صباح الخير .."

التفت اليها ببطء يتطلع لوجهها الذي اشتاقه كما اشتاق صاحبته فيهمس بصوت أجش

" صباح الخير .."

اخذت تهذر بالكلام وبنبرة اختارتها عملية بحتة بينما يترك هو لعينيه العنان فتنسابان فوق شعرها المتموج على كتفيها ويحيط بنعومة وجهها النحيل الجذاب ...

سترتها الانيقة الوردية حاوطت عظام كتفيها وقد اصبح يعرف جيدا كم هي رقيقة تلك العظام ...

لها الله ... كيف ستتحمل رقتها جنونه ليلة الزفاف ؟!

تعلقت عيناه بزهرة صناعية كبيرة بلون كحلي ثبتتها بدبوس على سترتها فوق مكان القلب ...

قلبها هي .. ذو الوريقات الوردية التي يتوق لقطفها وريقة وريقة ...

وتحت السترة .. فستان شتوي أخاذ بألوانه ما بين الوردي والكحلي ... بدت وكأنها تمزج عنوة الوان الربيع بالشتاء ..

أفاق من نظراته المتمعنة فيها وهي تزجره بحنق " هلا ركزت معي قليلا بدلا من ان تحملق فيّ هكذا ؟! هناك طلبية جديدة مستعجلة نحتاجها و.... آآآآ ياسر ؟"

خطفها بخشونة وهو يمسك خصرها من الجانبين ليثبتها على الجدار وهي تتلوى بين كفيه بينما هو يواصل الابتسام في جذل

" دعني ياسر .. دعني ..."



شاكسها بالقول وبصوت مبحوح

" تبدين مريعة باللون الوردي .. خاصة وانت تدمجينه بالكحلي .."

اخذت تضربه على كتفه وتهتف به

" ايها الوغد .... عديم الاحساس .. هل هذا ما تفتقت به افكارك بعد اسبوع كامل من الصمت ؟! "

يميل نحوها يهمس بتحشرج " انا وغد عديم الاحساس وانت وردية مريعة ! ترى اي اطفال منكوبون سيكونون اطفالنا ؟"

ليضيف ويداه تتحركان تحت سترتها بشغف

" اتصل بي صاحب ورشة النجارة .. السرير المزدوج الوردي اصبح جاهزا ..."

ابعدت يداه وهي تزمجر " لكن عروسك الوردية المريعة ليست جاهزة ! "

توقف الزمن بتجمد نظراته ثم توهجها الشديد فيهمس باختناق عاطفي

" عروسي .. اخيرا ...عروسي انا .."

تخضبت وجنتاها بينما تحاول ابعاد يديه مرة اخرى وهي تقول بارتباك " هل نسيت ام تتناسى انك لم تتقدم لعائلتي حتى الآن ... وانني رسميا ما زلت حرة ولو تقدم لي احدهم سأ...آآآآآآآآ ه "

اصابعه انغرزت في خصرها مقاطعا اياها بالقول " سأكسر عظامه ببطء .. عظمة عظمة .."



نظرت اليه ترتعش رغما عنها من عنفه العاطفي الذي بات يأسرها ...

لقد اشتاقت اليه بجنون خلال هذا الاسبوع ..

تجاهله البارد لها جعلها تشعر برعب ان تفقده!

همس ياسر اخيرا " ما لاتعرفينه انسة سهر اني كنت مع والدك قبل قليل .. التقينا في مقهى مؤسسة الجراح وتكلمنا .."

تبخر كل شيء في راسها بينما تردد بارتباك

" انت كنت مع ابي ؟! وهو ..لم يخبرني ؟!"

ضحكة ساخرة خافته " انا من طلبت منه ان يدعني اخبرك بنفسي يا متدللة "

اخذت تدفعه ليبتعد وهي تقول بانوثة غاضبة " حتى وان قابلت ابي .. انا لن اوافق .."

حجزها بين ذراعيه وهو يهمس قرب اذنها

" اذن ... سأسيء لسمعتك على طريقة رافد .. وكلما رأيتك سأقبلك وليجدوا في كل مرة جيشا جرارا يمنعني التمادي ..."

تعالى صوت رافد الضاحك من بداية الممر

" سمعتها ساءت بالفعل يا شريكي.."

اخذت سهر تغلي حنقا وهي تدفعه بعنف ووجهها تتعاقب عليه الالوان بينما يمسك ياسر ذراعها بتملك وهو يقول بصوت مرتفع

" بارك لنا يا رافد .. اقدم لك .. خطيبتي .. سهر الاحمدي ... "




زمجرت سهر بعناد

" فلتحلم بذلك ايها الغليظ المغرور ..."

ارتفعت ضحكات رافد مع ارتفاع رنين هاتفه ..

اخرج الهاتف من جيبه ليتفاجأ بأسم غالية ..

تلاشت ضحكاته ....اسبوع وهو يتخذ من غياب ياسر عن المطعم ذريعة ليتهرب من التواجد في البيت .. يتهرب من الانفراد بها ومن ملاحقات امه الصامتة كي يخبرها ..

اسبوع كامل وهو يخرج منذ الصباح الباكر ولايعود الا اخر الليل ...

ابتلع ريقه وهو يفكر ان ما يحاول اقصاءه من عقله ما زال هناك .. لم يبرح مكانه ...

لقد وعد امه ان يفاتح غالية بالزواج ...

شاء او أبى المواجهة ستحصل وهو في كلتي الحالتين سيتحطم ...!

ابتعد رافد عن المجنونين اللذين لايكفان عن النقار والتجادل ليفتح الخط بعد طول رنين ...

بقلب خافق يخرج صوته متحشرجا رغما عنه

" مرحبا غالية .. هل هناك شيء عزيزتي ؟ "

فيأتيه صوتها مرتجفا متقطعا باختناق

" رافد .. تعال الآن ارجوك .. احتاج ان اتكلم معك على انفراد .."



الفصل الثاني عشر

كان رافد في اشد حالات التوتر بل وحتى التشنج العضلي بينما يقود سيارته برعونة عبر شوارع المدينة ...

عندما وصل امام البيت رن هاتفه ففتح الخط عارفا المتصل ليترجل من سيارته متوجها ناحية باب المرآب ليفتحه بينما يرد بنبرة مطمئنة تناقض ما يشعر به

" لقد وصلت عزيزتي .. ها انا افتح باب المرآب وسأدخل البيت حالا.."

ما زال صوتها يضغط على مكامن ضعفه بارتجافه الهائج " انا اراك من فوق ! ... انتظرك على السطح .. ادخل بهدوء ارجوك فلولو نائمة مع خالتي اقبال ولااريدهما ان تستيقظا الآن ..."

رفع رافد رأسه عفويا للاعلى فيرى طيفها دون ان يميز ملامحها .. فقط ذلك الطيف النحيل واشعة الشمس تنعكس عليه بينما شعرها القصير الذي استطال قليلا يتطاير بفعل رياح الشتاء الباردة ..

هز رأسه بينما يغلق الخط ليعود لسيارته ويدخل بها للمرآب ...





تسلق درجات السلم كل ثلاث درجات سوية ..

كان لاهثا ليصل اليها ..

وفي طريقه مر بغرفته التي ينام فيها ليسحب غطاء صوفيا صغيرا ثم يخرج ناحية نهاية الممر القصير حيث الباب المؤدي لسطح البيت...

عيناه اجفلتا عقله وقلبه على حد السواء وهما لاتريانها عند السور حيث يفترض ان تكون !

قدماه تسمرتا في مكانهما بينما رأسه يتلفت بهلع يمينا ويسارا بحثا عنها .. ثوان مرعبة مرت حتى احتضن القلب رؤياها فانحسر طوفان الهلع في ثوان كما اكتسحه خلال ثوان ...

رآها هناك .. في اقصى ركن السطح محجوبة تقريبا عن الانظار وتحدق فيه بعينين متسعتين بشكل غير اعتيادي ...

تحرك نحوها بخطوات ما زالت اثار الهلع تصيبها ببعض الترنح .. غالية ستقتله يوما لامحالة ... سيكون قتيلها حيا وميتا ...

تنهيدة خافتة مرت عبر شفتيه اشفاقا على نفسه وهو يبصرها بنفس قميص النوم الصوفي...

أقترب منها وعيناه تفيضان قلقا ...

قلق من نوع آخر ...

تعابيرها لاتريحه .. لاتريحه ابدا...



حالما وقف قبالتها مد ذراعيه ليلف الغطاء الصوفي حول كتفيها وهو يقول بصوت أجش

" كم مرة قلت لك لاتصعدي للسطح .. بهذه الملابس .. كما ان ... الجو بارد .. بارد جدا.."

كانت مستسلمة وهو يشد الغطاء حولها باهتمام فقط عيناها تحدقان به بنظرة غريبة اثارت المزيد من القلق فيه ..

للحظة انتابته حالة هلع وفزع جديد وهو يفكر ربما امه فاتحتها بموضوع ... الزواج ؟!

هل يعقل فعلتها والدته رغم الاتفاق الذي بينهما ان يفاتحها هو بنفسه في الوقت الذي يراه ملائما ؟!

جاء صوتها بنفس النبرة المرتجفة الهائجة عندما كلمته على الهاتف لتقول له " ناهد اتصلت حال خروجك من البيت صباحا .."

ابتلع ريقه وبعض الهدوء والتماسك يعودان له قبل ان يسأل بثبات ظاهري " ماذا ارادت ؟ هل .. تلح عليك في العودة لبيت خالتي انعام ؟"

اخذت تهز رأسها وهياج من نوع أخر يعصف بملامحها بينما تقول بكلمات تتقطع من شدة انفعالها " ناهد .. تراني .. ضعيفة باهتة عالة على الجميع ... تراني عديمة الكرامة لاني .. لاني ..."

كان يدرك ان انفاسها المتلاحقة بعنف لاتساعدها على الكلام ..





صمت بشق الانفس يمنحها بعض الوقت بينما داخله يموج في النيران ...

لماذا عليها ان تتحمل كل هذا العذاب ؟

لماذا غاليته تعاني هكذا ؟

لماذا يضطهدها الجميع ويحطمها ...

كيف يجدون القوة لايذائها ؟!!

غالية .. ذلك الكائن الحبيب ...

صوتها ثقلت نبراته وهي تعبر بمزيد من القول

" لاني .. لاني اريده .. تظن اني ما زلت اريده ..

تظن اني افتعلت ... مشكلة مع .. والديّ

ورفضت العودة لبيتها متمسكة بالبقاء هنا ..

لاني اريد .. انتظار راغب .... اني .. اني ... آآآآآآه

يا رافد ... آآآآآآه من الجحيم الذي اعيشه .."

بضع آهات شققت قشرة واهنة يتخفي خلفها حجيمه الجبان ..!

ضرب جسديهما دفعات من الهواء البارد فتقبضت يداه بغضب بينما يراها تترنح وكأنها لاتملك حتى ان تصد رياح الشتاء عنها ...

اهتاج داخله كما تهتاج انفاسها بينما يهدر بغضب سافر " فلتبتلع اختك الانانية اعتقاداتها التافهة في جوفها والا سأجبرها على ابتلاعها بنفسي ... "

زاد ترنحها فلم يملك الا ان يمسك ساعديها بيديه يسندها وهو يقول بلهفة مفضوحة

" هل انت بخير .. غاليتي .. تماسكي .."





همست بنبرة ميتة وهي تتطلع اليه بنفس النظر الغريبة " قلها في وجهي رافد ..
لاتكذب علي انت ايضا ... هل تعتقد هذا سبب بقائي هنا ..؟ هل تراني كما تراني اختي .. كما يراني ابي .. امي ؟ مجرد امرأة ضعيفة مثيرة للشفقة منهارة تنتظر من هجرها ليعود ويعيد احياء ما قتله فيها ؟! "

كان يلهث وهو يحدق بغرابة نظراتها .. انها تنتظر اجابته وكأن اتزانها الداخلي او ما تبقى من اتزانها يقف على تلك الاجابة .. اجابته الصادقة التي تنتظرها ..

انها تتعذب .. تتعذب وتتلظى بنيران من كل نوع ... ولاترى غيره ليطفئ بعضا من هذه النيران ..

قال وهو يتنفس بصوت متلاحق مسموع

" اقسم بالله حتى لو كانت هذه اسبابك فلا يهمني ابقي تحت سقف هذا البيت العمر كله تأمرين وتنهين فيه كما تشائين ... ولو كنت ضعيفة مثيرة للشفقة في عيون كل الناس فعندي ستكونين اميرة تثير السعادة الابدية فقط بوجودها في المكان "

ترقرقت عيناها بالدموع وهي تهمس متمايلة

" كيف تستطيع تحويل البشع الى كل هذا الجمال ؟ "

ثم تجمدت الدموع في تلك العينين وقد انعكست اشعة الشمس عليهما اكثر فتتوهجان بالغضب فتهدر غالية بنبرة قاتلة



" لكني اريد ... نعم لي اسبابي في البقاء هنا .. اريد ان اجد في ذكريات المكان اول خيط لانتقامي ..! اريد ان اظل اتذكره بأسوأ الذكريات عندما كان يرميني هنا ويسرح خلف عاهراته ... اريد ... اريد ....."

هزها رافد دون ارادته وعذابه وصل لاقصاه هادرا كهديرها

" ماذا تريدين بعد .. قولي غالية ... اخرجي كل ما في داخلك ...اصرخي به .. اصفعي العالم كله بما يوجعك ولاتهتمي بأحد .. "

صرخت بهستيرية وهي تغرز اصابعها في ساعديه " اريد الانتقام كاملا قاسيا لايعرف الرحمة ..! اريد ان انتقم منه حتى يتلوى من الألم كما اتلوى كل ليلة ..اريد ان يتجرع الذل والمهانة والندم كما اتجرعهم انا في كل لحظة..."

صرخة جزع ندت منه باسمها (غالية) بينما تخذلها ساقاها فتوشك ان تنهار للارض لولا ان امسكها بقوة ليسحبها اليه ...

ارخت جفنيها لتهمس بيأس رهيب

" كم اتمنى لو عدت صغيرة حيث كنت انت تشاركني وضع الخطط الطفولية للانتقام منه كلما آذاني ... هل تذكر رافد ؟ الآن لم تعد تجدي هذه الخطط نفعا وانت .. لم تعد تستطيع مساعدتي ..."



كانت على بعد بضعة سنتيمرات لااكثر من صدره يمسكها بشق الانفس وعقله فقد اتزانه همس بانفلات عاطفي " لكني استطيع ..."

رفعت عينيها اليه تحدق فيه بتساؤل يائس غير شاعرة بما يتلظى فيه حتى همس ببحة مجنونة وهو يسند جبينه فوق جبينها

" انتقمي منه .. فيّ انا ! "

انفرد بها في مكتبه بعد رحيل رافد الاضطراري ..

عقله مغيب فلم يركز بحالة رافد بينما يسحب سهر قسرا ليحتجزها في مكتبه ..

يحتجزها بينه وبين طاولة مكتبه كما فعل ذلك اليوم عندما قبلها بجنون وفقدان سيطرة ..

لكن اليوم الامر مختلف ..

شعوره مختلف ...

بل لم يشعر يوما بما يشعره اليوم ...

طاقة مفعمة بفرح غريب تخيفه وهي تكتسح أركان روحه ...

يداه تتلاعبان مع يديها ...

يلامس خصرها فتبعده .. يلامس خدها فتبعد وجهها .. يمسك خصلة من شعرها فتسحبها بعنف مدروس فقط حتى لاتتقطع شعراتها الثمينة !



انه يفهمها كما لم يفهم انسانا من قبل ..

وكيف لايفعل وهي جزء لايتجزأ منه ..

وكما يفهمها يفهم نفسه وما تحبه رجولته

فيها ... يحب ان يفرض لمسته فيزداد اثارة

وهي تتمنع عليه وتبعده ..

يحب ان يناغشها بخشونة فتستجيب له بانوثة

مائعة تلهب خشونته اكثر واكثر ...

تأوه وهو يميل بشفتيه لرقبتها وقبل ان يمسهما

انسلت بخفة من تحت ذراعه المحاصر لها ..

وهو لم يحاول منعها مع انه كان قادرا

ببساطة..

توهجت عيناه بالشقاوة وهو يلتفت اليها وقبل

ان تهرب ناحية الباب قبض على معصمها

النحيل وجرها نحوه لترتطم بصدره بقوة آلمت

رقتها الجسدية ...

هدرت به وعينا القطة تتأججان بالغيظ

" دعني ياسر..."

تمتم بسخرية لذيذة " الى اين تريدين

الذهاب؟ مكانك هنا قرب زوجك "

زمجرت بغضب وهي تحاول تحرير معصمها الأسير

" لست زوجي ولا حتى خطيبي لتعلنني هكذا

على الملأ ! "

ادعى العبوس بينما يقول بمزاح خشن

" مواهبك في الحساب تخرب البيوت العامرة !

ام هي احدى نوبات الدراما الانثوية التي

تجيدينها يا ملكة الدراما ؟! فقط اذكرك





لم يكن هناك (ملأ) لاعلاني الا شخص

واحد هو ... رافد .."

اخذت تتلوى وهي تصر على تخليص معصمها

بينما تهدر فيه " اتركني ياسر .. اريد ان

اذهب لابي.. ان اعلم امي بنفسي .."

عاد ليقربها منه وهو يهمس بخشونة " متدللة

متميعة وتريد الـ(بابا)والـ(ماما) !"

لكنها تبعده وهي ترقق من صوتها وتقول

" آآآآآآآه توقف ... انت تؤلم معصمي .. لماذا

تؤلمني جسديا هكذا ؟ "

رد بلهاث عاطفي مبحوح " لااستطيع منع نفسي

... فكل ما فيك يجعلني في حالة غضب !"

توقفت عن المقاومة لتحدق فيه بعينين

متسعتين ذهولا وهي تتمتم بالتساؤل

" غضب ؟!"

فيرد بنفس اللهاث المحموم ووجهه يقارب

وجهها " نعم ... غضب ... اريدك ... كلك

بكل إنج فيك .. روحا وجسدا ... اريدك ان

تكوني في حياتي منذ الامس بل اول الامس

بل اول اول امس ... بل ... منذ رأيتك

تتمخترين بثقة وقحة مستفزة في أروقة قسم

ادارة الاعمال ... فلك ان تعدي الايام والسنين

مع شخص قليل الصبر مثلي وتحسبين بدقة

كمية الغضب الذي اختزنها بداخلي ؟"



صدرها يعلو ويهبط وهي تحدق فيه بذهول متزايد ... خفقات قلبها تصم اذنيها الا عن سماعه هو .. بلهاثه الحار وكلماته الصادمة ..

وكأنه تدارك انفلاته مرة اخرى فارتدى قناع السخرية ليقول بصوت أجش وعيناه الداكنتان تبرقان بسوداهما اللامع

" وبما انك فاشلة في الحساب بشكل مخز استطيع مساعدتك واخبارك النتيجة النهائية... لكن ... على طريقتي انا ، طريقة عملية بحتة لكنها شديدة الفعالية والتأثير!"

اصبحت تعرفه كما يعرفها ...

ادركت انه يحاول الهرب كلما وصل لنقطة تعري مشاعره بشكل مفضوح يرفضه ...!

سحبت معصمها بقوة من بين انامله التي تراخت طواعيا كما تراخت اعترافاته العاطفية ..

ثم قالت

" لدينا كلام كثير نقوله انا وانت .. لاتتصور ان الموضوع انتهى بذهابك لوالدي من خلف ظهري وانك وضعتني امام الامر الواقع وكانت الكلمة الاخيرة لك انت .."

تراجع للخلف وهو يبتسم بطريقة مغيظة ويستند بجسده على حافة مكتبه ليقول بفظاظته الوقحة



" اذهبي وابكي على كتف ابيك واشكي مني لامك سيسعدها هذا كما اتوقع ... تدللي عليهما ما استطعت الدلال .. فلن تجدي مني دلالا كدلالهما .. "

شمخت بذقنها بتحد وهي تقول

" انت شديد التفاؤل والثقة بالنفس .. سترى يا ياسر كيف سأعملك التدليل ..."

اشتد وهج عينيه اللتين كانتا تلتهمانها التهاما ليعض شفته السفلى بتحفز واثارة فيهب فجأة متوثبا بتوحش نحوها مهددا بطاقة رجولية نارية فتطلق سهر شهقة ذعر مثير وهي تسابقه بخطواتها الهاربة لتبتعد عنه مغادرة مكتبه بل والمطعم كله وهي تكاد تهرول متعثرة دون ان يكف لسانها عن توعده بالانتقام منه !

بعين امومية شديدة التفحص حدقت منيرة بابنها العضلي لتقول له بريبة

" لقد تأخرت عن العمل هذا اليوم ..! "

ارتدى سترته الجلدية فوق قميصه بينما يرد على امه بهدوء

" لم أنم جيدا ليلة الامس امي ..."

تحرك ليتجاوزها ناحية باب البيت فتلاحقه منيرة وما زالت نظراتها المتفحصة تكاد تريد اختراق عقله وان امكن قلبه !



قالت له عند الباب تحاول جر لسانه بطريقتها

" أرح قلبك واذهب لتصالح جودا يا فتى ..."

تنهد سعد وهو يلتفت لأمه ويقول

" ارجوك امي لاتبدأي ..."

تتعلق بذراعه وهو يخرج للمرآب متوجها ناحية الباب الحديدي ليفتحه فتناديه اولا ثم تقف في مواجهة جسده الضخم قرب سيارته لتقول له بنظرة تدعي الحكمة

" يا بني اطعني .. يجب ان تتزوجها اولا قبل ان تبدأ باغضابها ... تحت سقف بيتك تسيطر على الامور اكثر ... فقط تزوجها وافعل بها بعدها ما يحلو لك "

حدق في عيني امه ثم مال ناحية خدها ليقبله وهو يخلص ذراعه من تشبث يديها بينما يهمس لها بابتسامته الجذابة

" الى اللقاء امي ..."

فتح باب سيارته وامه لاتيأس فتلاحقه بالسؤال وهو يصعد لمقعده

" هل ستذهب اليها الان لتصالحها ؟"

اغلق بابه وانزل شباك نافذته ليقول متجاهلا سؤالها الذي لا رد له

" ادخلي حبيبتي ... الجوء بارد عليك "

لكنها تتمسك بالباب فتعبس باصرار وتسأل

" حسن .. قل فقط اين تعمل او حتى تدرس..؟"




تنهد محدقا فيها بيأس ان يجعلها تتوقف عن حصارها له بالاسئلة لتضيف سؤالا آخر

" طيب من أي عائلة هي ؟ "

غامت عيناه فتطلق سؤالا آخر

" هل هي جميلة ؟"

هذه المرة عيناه فضحتاه قبل لسانه وهو يقول بصوت رجولي " جمالها لايضاهى يا ام سعد .. بشرة بيضاء وضاءة وشعر كليل أسود بهيم وعينان تبرقان بلون البلور الازرق المسحور ..."

من بلاهة فرحتها تراخت قبضتاها عن باب السيارة ليستغل سعد الفرصة فيتحرك بسيارته ملوحا لها على عجل وهاربا من مزيد من الاسئلة ومزيد من الاجوبة المنظلته ...

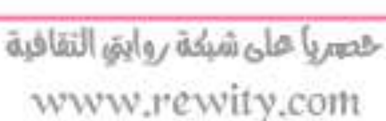
تحركت منيرة لتغلق باب المرآب خلف ابنها بينما تتمتم برضا وحبور وهي ترقص حاجبيها بفخر وانتصار

" الفتى العضلي يجيد اختيار الاناث كما يجيد الابتسام.."

التقى برافد في الممر فيقول له على عجل وهو ينظر لساعة يده " اخيرا عدت يا رافد .. كنت بانتظارك ...انا مضطر للخروج الآن لدي أمر احتاج الاطمئنان عليه .. لن أتأخر..."

اكتفى رافد بهز رأسه فتوقفت خطوات ياسر ليحدق فيه متسائلا " هل حصل شيء ؟ لاتبدو بطبيعتك "







تمتم رافد " لا ... لاشيء ... اشعر ببعض الدوار .. كنت الف بشوارع المدينة فقط .."

عبس ياسر وهو يقف قبالة صديقه ويستفسر باهتمام وبعض القلق

" تلف بشوارع المدينة ؟! رافد ..ماذا هناك ؟"

رفع رافد يده ليربت على كتف صديقه ويقول بابتسامة فاشلة فشلا ذريعا في اخفاء معاناته

" حالة رافدية من الجنون والبحث عن وجه جميل يقضي معه بعض الوقت .."

رد ياسر بفطنة " لن تخدعني بكلماتك هذه! حالتك ليست عادية اطلاقا .."

ذابت الابتسامة الواهية ليقول رافد بنبرة ميتة

" اذهب ياسر .. ليس الآن .. ليس اليوم .."

فتح ياسر فمه فسبقه رافد بالقول

" لكن مؤكد قريبا سأخبرك .."

تمتم ياسر مؤكدا

" لن أتأخر .."

ثم غادر على عجل تاركا رافد يتوه في خطواته فلا يعرف هل هو يتقدم ام يتراجع ام ربما هو يركض بجنون في سباق دائري مغلق لاينتهي ...



بعد ربع ساعة ..

يحدق رافد ببلادة في بضعة اوراق امامه تخص الحسابات لم يستوعب عقله منها شيئا لكن ياسر تركها على مكتبه منذ يومين وهو لايفعل هذا الا اذا تطلب الامر ان يطلع عليها رافد بنفسه للاهمية والموزانة في العمل ...

" مرحبا.."

صوت انثوي واكبه انتشار سريع لعطر مميز جعله يرفع رأسه عن تلك الاوراق ويحدق بنفس البلادة في حمراء الشعر الفاتنة ذات الاناقة المميزة..

تمتم رافد وهو يقف على قدميه

" مرحبا .."

رددت هاجر بابتسامة حلوة

" اعتذر عن ازعاجك .. لقد جئت لارى سهر .. اتفقنا على اللقاء هنا ولكني لااجدها ..."

رد رافد بابتسامة عفوية

" اظنها غادرت لأمر مستعجل .."

للحظة ارتبكت نظراتها العسلية وهي تسأله ببعض الحرج " هل تذكرتني ؟"

رد بسلاسة " نعم ... مؤكد ... انت ابنة عمها هاجر التي تعمل في المحطة الفضائية القريبة ..."





للحظة عيناها لم تفارقا عينيه مما جعل شعورا غريبا ينتابه وسط التخطبات التي يعيشها ثم فجأة قالت بنبرة غامضة

" حسن لابأس سأحاول الاتصال بها وفي مطلق الاحوال سلم لي عليها اذا عادت .. قل لها عليها ان تتمتع ببعض الذاكرة فيا يخص مواعيدها معي .."

ثم غادرت تتمايل باناقة بجسدها الرشيق الممتلئ بعض الشيء لكن بطريقة جذابة ..

امرأة فاتنة وبمواصفات خارقة لذوقه في النساء و فوق هذا .... مهتمة ..

لكن كل هذا لايثيره حقيقة ..

لايثير عمقه .. بل لايتعد نسمة تمر ولايذكرها بعد رحيلها ...

ليست المرة الاولى ..

ولن تكون الاخيرة كما يظن ..

سنوات مرت عليها تبدو طويلة .. طويلة جدا وهو يرى الكثيرات ..

ولا واحدة منهن استطاعت حتى خدش مشاعره!

ولا واحدة استطاعت فعل افعاليها كما تفعل غالية به ...

تملكه بمجرد تنهيدة .. تأسره وتلغي العالم من حوله بلمعة نظرة من عينيها ..







فتمزق النساء من حوله وكأنهن مجتمعات محض سراب ....

مسح على وجهه باضطراب وهو يتذكر ما حصل على سطح البيت صباح اليوم ..

عاد وجلس على كرسيه بينما عقله يأخذه اسيرا لتلك اللحظة وجبينه فوق جبينها وانفاسهما لاول مرة تختلط بدفء خاص ... دفء يتحدى برد الشتاء .. يتحدى برد روحه التواقة اليها حتى الممات ...

ما ان قال لها (انتقمي منه فيّ أنا) حتى دفعته في صدره ليسقط عنها الغطاء الصوفي الذي لفها به بينما تحدق فيه بنوع من الهلع والرعب!

هو ايضا كان هلعا ...

لقد اقدم في لحظة جنون على خطوة غير مبررة بالنسبة لها ولم يعد هناك من مفر ...

هلع يقاومه النكران شعّ في عينيها وهي تهمس بأسمه بصوت مرتجف

" رافد ..."

كل ما استطاع فعله ان يطرق برأسه ويدخل كفاه في جيبي بنطاله يخفي جيشان مشاعره وارتعاد اوصاله ...

تمتم " انا جاد غالية .. افعلي بي ما شئت .. اريحي نفسك من حمل عبء الانتقام وصبيه كله فوق راسي انا ..."



كل ما كان يسمعه منها تمتمات مضطربة

اشد الاضطراب تجعله يتشنج بألم

" توقف ...رافد .. ارجوك توقف عن الكلام.."

عندها ملأه غضب رهيب فيرفع وجهه اليه هادرا

" لماذا اتوقف .. ؟! الكل يريدني ان لااتوقف ... وانا ايضا لااريد التوقف بعد الآن ..

فليحدث ما يحدث ...لم أعد اهتم .. لم تعد لي طاقة حتى .. لافكر بالجميع في آن واحد.. "

اخذ تهز رأسها وتهذر

" رافد ماذا تقول ؟! انا لاافهم .."

عندها ابتلع ريقه وواجه الامر المحتم فقال وكأنه يوشك على الانتحار

" امي تريد مني ان اتزوجك غالية.. تريد ان يتم الامر حال انتهاء عدتك ... هل هذا الكلام واضح بما فيه الكفاية لتفهمي ؟"

عادت لتترنح فاقترب عفويا ليسندها عندما صرخت به

" لا .....ابتعد ! "

اخذ تتباعد وهي تترنح وتوشك ان تقع فعاد ليحوم حولها يريد اسنادها وهي يناديها باختناق " غالية توقفي .."



لكنها واصلت صراخها بنبرته المخنوقة
بينما تشوح بيديها الاثنتين وكأنها تبعده
حتى من محيط الهواء حولها

" ابتعد عني قلت لك ... ابتعد لاتلمسني .."

لكن عند باب السطح امسكها من ساعديها
عنوة وهي تقاوم بشراسة فلم يهتم وداخله
يغلي بكل شيء .. كل شيء دون استثناء
فيقول بهدير ذات نبرة نارية حارقة

" امي تريد سعادتك انت ولولو وحمايتك ..
وانا اريد نفس الهدف .. "

كانت ما تزال تتلوى وهي تصرخ فقط بحدة
نبراتها المبحوحة (ابتعد)

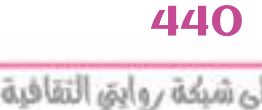
ليضيف المزيد بانفجار " سأبتعد الى الابد اذا
شئت .. وسأبقى الى الابد اذا شئت .. فقط
اختاري وخلصيني من هذه النار التي تحرق
لحمي وتذيب عظامي .."

جن جنونها فأخذت تضربه عشوائيا وبضراوة
على وجهه وكتفيه ...تهذر بكلمات منفعلة
غير مترابطة ولا مفهومة حتى لها ...

وهو تركها تفعل .. تركها تفرغ بعضا مما
تعانيه .. بعضا مما تدركه وترفضه ...

تركها تفعل ما تشاء حتى هدأت على نحو
متلاش لتبتعد عنه بخشونة وهي تلهث انهاكا
فتفتح باب السطح وتغادر بصمت ...





لايعرف كيف غادر البيت بعدها وكيف قاد
سيارته هائما ككل مرة يضيع فيها بسببها ...

بسبب غالية ...

بسبب قلبه الذي ابتلي بعشق غالية ...

رآها من بعيد تجلس وحيدة على مصطبة
منعزلة عن الاعين تحت شجرة ضخمة تقضم
من شطيرة تحملها كالاطفال بين كفيها
بينما تتلفت حولها بعبوس شرس مرتاب
تفضحه احيانا نظرات هلع تند من عينيها
كلما لمحت شبانا يقتربون منها ...

ادرك سعد وداخله يثور لاجلها انها تتأكد من
خلو المكان من وجود ذلك النذل ...

زفر وهو يهمس لنفسه

" فتاة الادغال سلبتني عقلي قبل قلبي ..."

تقدم باتجاهها وعيناه تتمليان النظر اليها ..

تبدو اليوم مختلفة عن اي يوم مضى ...

ملابسها بسيطة ولطيفة .. شعرها مسرح
بنعومة للخلف لايعكر خصلاته الا نهايات
متلوية بشكل طبيعي ...

وجهها ابيض صاف مشع .. لكن لايضاهي
اشعاع عينيها البلوريتين ...

كم تبدو صغيرة .. آسرة للقلب ..

تقدم نحوها بخطى ثابتة وهو يلتقط بتسلية
رقيقة دافئة اكتشافها لقدومه ..



كيف تحركت ركبتاها المتلاصقتان من

اليمين الى الشمال ثم كيف اهتز كتفاها

بارتعاشة لتعتصر الشطيرة بين كفيها

وعيناها تبرقان بالنظر اليه ...

ابتسم لها فشع البريق البلوري شوقا وغضبا !

ولايعرف ايهما يخطف انفاسه اكثر

الشوق ؟ ام الغضب ؟!

تفتت الشطيرة في يديها من قسوة اعتصار

اناملها لها ليتناثر الفتات على حجرها ..

هبّت تقف على ساقيها وهي تنفض فتات

الشطيرة عن حجرها وساقيها بينما تصل اذنيه

شتائمها البذيئة !

كانت ما تزال تتلاهى عنه بتنفيض ملابسها

عندما وقف قبالتها تماما لثانية واحدة قبل ان

ينحني للاسفل جالسا القرفصاء وهو يجمع

فتات الطعام ويقول بصوت رجولي أجش

" نعم الله لاترمى على الارض جودا لتطأها

الاقدام اللاهية .. "

سمع صوت زفيرها الغاضب فابتسم وهو يرفع

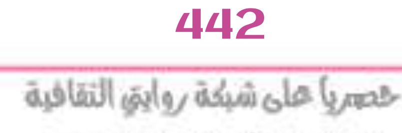
وجهه اليها يحدق في عينيها بقوة قبل ان

يقول بصوت فيه من الحزم ما يناقض ابتسامته

" لااحب سماع الكلمات البذيئة تخرج من

فمك ..."





ضربت بقدمها الارض تتحداه بالقول

" انا ارمي الطعام في أي مكان يعجبني واقول كل ما يعجبني ... لايهمني رأيك ولا رأي غيرك "

بهدوء شديد أكمل لملمة الفتات ليقف على قدميه ويحمله الى مكان خفي قرب الحشائش فيضعه هناك وهو يتمتم

" هنا ستأكلها الطيور ودواب الارض ..."

تراقبه بارتعاش متأثر بكل حركة يفعلها ثم تراه يعود اليها فتنكمش غريزيا بينما يقول ببطء

" لو قلت لك كل ما افكر به حاليا فمؤكد لن يعجبك ! "

ردت عليه بسلاطة وتهور " تجرأ وقل شيئا يزعجني وستجدني اصفعك مرة اخرى .."

تمهل وهو يطوف بملامحها الثائرة قبل ان يقول برقة " انت شديدة السذاجة عندما تظنين انك تملكين حرية تجاوز كل الحدود دون ان تفكري بالثمن الذي ستدفعينه .. بل إنك لست شجاعة تماما كما ظننت لانك لاتريدين تحمل عواقب افعالك .."

هدرت به وهي تكاد تشهق

" لماذا أتيت ؟! لماذا أتيت ؟!! "

فيرد وعيناه في عينيها " أردت رؤيتك .. ألم تغضبي ليلة الامس لأني لم أسأل عنك؟"





زمجرت ودموع الغيظ والقهر يتآكلانها من الداخل

" نعم.. انت .. انت تغضبني وتقهرني وتجعل قلبي .. يتألم .. بكل افعالك .."

نظراته اخترقتها قبل ان تخترقها كلماته

" وانت تؤلمينني بما تفعلينه بنفسك .. لاأكف عن التفكير والقلق "

هطلت دموعها وما زالت ملامحها ثائرة لكن خنقتها غصة وهي ترد عليه

" انت كاذب ومنافق .."

ابتلع ريقه وهو يرد بصوت أجش

" لاتعيديها جودا .. انا لم أنم ليلة الامس وتلك الكلمتان تضجان في اذني .."

اخذت تمسح دموعها بعنف بينما تتمتم بشراسة " انت تستحق اكثر من هذا .. كنت .. انتظر ان تأتي وتسأل عني .. لكنك .. لكنك .."

قاطعها بالهمس الحاد وهو يقترب عفويا منها

" ألم تفكري بالاضافة لكوني منافق كاذب اني اغار على عرضك جودا ؟ لقد اوشك احدهم ان يغتصبك !.... يا الهي... هل انت مدركة لما اوشك ان يحصل ؟! لا أكف عن التفكير لو اني تأخرت دقيقة واحدة لعجزت عن انقاذك.. "



رفعت عينيها اليه ببريق لامع مأخوذ بما قال !

تلوع قلبه في صدره وهو يتذكرها ممزقة الملابس مفاتنها شبه عارية ووجهها شوهته اثار الصفعات ...

تقبضت يداه وهو يسألها بحشرجة ونبرانه تتقطع بتردد من معرفة اجابتها

" كيف ترافقين ذلك الوغد.. كيف تركبين بسيارته ؟ لماذا فعلت هذا ؟ لماذا ؟! "

ابتلعت ريقها وهي ما زالت مأخوذة تخنقها الانفعالات الغريبة بينما تهمس ردا عليه

" لقد هددني بسكين في خاصرتي ..."

اتسعت عيناه وهو يتذكر الجرح في ظهرها ..

عندها بدى سعد من أفلت زمام نفسه ليسألها بخشونة غريبة عليه

" من هو كامل يا جودا ؟"

شهقت بعنف وهي ترتد للخلف مصعوقة النظرات لكنه اقترب بخطوة جريئة ليعاود السؤال بنفس الخشونة " من العجوز ؟ ومن هو كامل هذا ؟ اخبريني ان كنت ما زلت تريدين وجودي في حياتك "

كانت انفاسها تتلاحق وعيناها تبرقان بشدة لكنه لم يتنازل وهو يحدق فيها بقوة حتى تخبره ..

تمتمت بملامح ممتقعة

" العجوز ... هي .... جدتي .."



صدم رغم توقعه !

واصل ضغطه بالسؤال بنبرة صارمة

" ومن كامل ؟ من هو كامل ؟"

فردت بنفس الملامح وبشرتها تشحب اكثر واكثر " انه ... كان ... زوجها ...زوجها .."

لم يشعر بنفسه الا وهو يمسك مرفقها بقوة يسحبها خلف الشجرة تداريهما عن الاعين وهو يكاد يصرخ من هول ما يشعر به .. من رعب ما يتوقعه لكن بسيطرة جبارة همس بنبرة خافتة قاتلة

" ماذا فعل كامل يا جودا ؟ هل كان يأتي .. لغرفتك ليلا ؟ "

اخذت تختض ووجهها لم يتبق فيه نقطة دم واحدة لتهمس شفتاها بصدمة

" كنت ادفع الخزانة كل ليلة لاسد بها الباب وارتدي ملابسي كاملة استعدادا للهرب من الشباك ..."

بانفاس متقطعة سأل " هل لمسك ؟"

ردت وقد بدت غارقة في حجيم مهول

" مزقت وجهه يوما بخربشاتي لكن الحقير لم يكف عن المحاولة حتى قتل العجوز وفر هاربا ... لم يصدقني احد عندما قلت .. انه قتلها .."

تمتم سعد بعينين تكادان تخرجان من محجريهما " يا الهي !"





لم يكف ليلة الامس عن التحليل واستنباط التفسيرات لماضي جودا المجهول ..

قضى الليل ساهدا يجمع المعلومات التي يعرفها حتى الآن وينسقها بترتيب منطقي ..

لقد خطر في باله ان العجوز هي جدتها ..
لسبب ما كان يشعر بنفور جودا من جدتها
كما شعر ان الحالة الهوجاء التي أتت بها جودا لتعيش مع العمة فائزة وهي بعمر السادسة عشرة كان مصدرها تعامل جدتها معها ....

تصور ان كامل مجرد جار او رجل يعيش في نفس الحي لكن ان يكون زوجا للجدة ويعيش مع جودا في نفس البيت فهذا امر لم يخطر بباله قط ...

هذه الصغيرة تعرضت للكثير ...

انها اشبه باعمى يركض في طريق موحش مليء بالحفر لكنها شجاعة ولايمكن هزمها بسهولة وكلما وقعت تقف على قدميها لتواجه من اوقعها بعنف وشراسة رعناء ...

لقد اسماها فتاة الادغال في لحظة فكاهة !

لكنها حقا فتاة ادغال بدائية النزعة في الدفاع عن نفسها ..

غريزة البقاء لديها عالية لدرجة لاتوصف ..

هذا هو مصدر قوتها ... غريزة البقاء !



تمتم سعد بحشرجة

" انظري الي جودا ... انظري في عيني صغيرتي..."

انتفضت بقوة لتفلت مرفقها من يده وتبتعد خطوتين عنه وهي تحدق فيه بجمود بينما يلتقط سعد اقتراب بعض الطلاب من هذا المكان المنعزل فيتدارك الموقف ليقترب خطوة واحدة وهو يقول وعيناه تشعان بالوعد

" لنا كلام مرة اخرى .. كثير من الكلام .. اريدك فقط ان تعرفي انك ... مهمة ... مهمة جدا لي .. اراك فيما بعد ..."

ثم اسبل اهدابه ليستدير موليا اياها ظهره العريض ثم يتحرك مبتعدا عنها بينما يرفع كفه الايمن ملوحا في سلام صامت ..

لفت جودا ذراعيها حول نفسها وهي تحدق في ظهره الغارب وقد انعكست اشعة الشمس على سترته الجلدية فتتمتم بنفس الجمود

" انا اشعر بالبرد ! "

خرج سعد عبر بوابة الجامعة وهو عابس في تفكير عميق عندما اخرجه من شروده صوت بنبرة تتفجر غضبا مكتوما

" سعد ..."



التفت سعد الى يمينه وهو يحدق في هيئة ياسر النابضة بالانفعال فيتمتم ببعض الارتباك والاحراج

" ياسر .."

اقترب ياسر وشحنات التهديد تتقافز منه بينما يقول بسخرية متشنجة

" ماذا تفعل هنا ؟ لاتقل لي ان هناك مزيد من الاوراق تستخلصها ..! "

لقد علم ... علم ان المواجهة ستحدث ..

قال سعد وهو يستعيد هدوءه

" لا ... جئت لارى جودا واطمئن عليها .."

ارتعشت عضلة في خد ياسر بينما عيناه تبرقان بالغضب ليهمس من بين اسنانه بشراسة

" تعال واجلس معي في السيارة "

ثم استدار ياسر تاركا سعد يلحق به ...

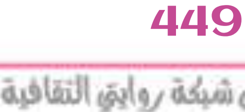
داخل السيارة كان الصديقان صامتين يحدقان للامام بنظرات باهتة تحجب انفعالات كل واحد منهما عن الآخر ...

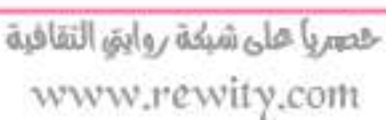
ياسر يحاول لجم غضبه المستعر وسعد يحاول تنسيق افكاره واتخاذ قراره ...

قال ياسر اخيرا في هجوم مباغت بارد

" انت تتعدى كل خطوط الصداقة يا ... صديقي ..."







أزهار قلبك وردية

رد سعد وهو يلتفت بوجهه ناحية ياسر

" استطيع ان افسر لك .."

ارتعشت شفتا ياسر بسخرية قبل ان يقول

" تفسر ؟ حقا ؟ اذن فسر لي لماذا تتواجد دوما في محيط جودا مؤخرا ؟ تحديدا منذ لقائك الاول به يوم الحفل في المطعم ... منذ ذلك الوقت وكل مشكلة تقع هي بها اراك في الصورة معها ..! "

سأل سعد بهدوء

" هل ما زلت تثق بي ياسر ؟ اقصد تثق بشخصي كما عرفتني خلال سنوات الجامعة وعرفت بيتي وعائلتي ..؟"

ضيق ياسر عينيه قليلا قبل ان يقول بنوع من الفظاظة

" لاتتلاعب بالاوصاف والكلمات وانت تعرفني كما اعرفك ... اريدك ان تكون صريحا مباشرا وتخبرني ماذا يحدث بالضبط بينك وبين جودا .."

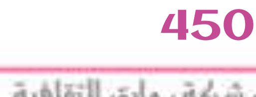
تمتم سعد وكأنه يكلم نفسه

" جودا ... طفلة .."

فهدر به ياسر وهو يضرب على مقود سيارته

" بل هي امرأة صارخة الجمال .. فلا تحاول استغفالي ..





ليرد سعدبنبرة واثقة

" هي امرأة صارخة الجمال لكن بروح طفلة معذبة "

صرخ ياسر بعنف ساخر

" وهل اصبحت ملجأ للاطفال المعذبين ؟! "

ثم امسك بخناق سعد في لحظة هياج يهزه ويصرخ فيه بالمزيد

" ماذا تخفي عني بعد يا سعد خلف واجهتك الغامضة الكتومة ؟ كم مرة قابلتها من خلف ظهري يا صديقي ؟"

لم يحاول سعد حتى تخليص نفسه من امساك ياسر به ففي داخله يشعر ببعض الذنب .. بل الكثير من الذنب ..

ربما ذلك الجزء المترسخ فيه من اصوله وجذوره ما زال قويا ويشعره انه خان ثقة صديقه ...

قال سعد يصدقه القول

" لم يحدث ان قابلتها من خلف ظهرك لكنها....."

قاطعها ياسر صارخا مرة اخرى

" لكنها ماذا ؟!"

قال سعد بثبات وقراراته تتبلور بوضع نهائي في عقله

" عدا ما قلته لك من اللقاءات هناك لقاء اخر .. هي من جاءتني لمكتب الصرافة "



عبس ياسر وهو يتساءل بشك

" تقصد عندما ارادت بيع العملة ؟"

رد سعد وعيناه في عيني ياسر

" لا .. لقد جاءتني مرة اخرى فيما بعد .."

رفع ياسر قبضته وقد فقد اعصابه مزمجرا

" ايها الوغد السافل .."

امسك سعد قبضة صديقه قبل ان تلكمه

ليقول بملامح مشدودة

" ياسر اهدأ .. جودا جاءتني تطلب المساعدة

لاجلك انت.... "

خلص ياسر قبضته من كف سعد ليعود

لخناقه وهو يهدر فيه

" ماذا تقصد ؟ توقف عن اللف والدوران "

بدأ سعد يفقد اعصابه هو الآخر فقال بغضب

مكتوم " الا يمكن ان نتكلم بهدوء اكثر

وتبتعد عن طريقتك العنيفة هذه ؟! "

لكن ياسر لم يهدأ بل زمجر بالقول

" لاتختبر صبري اكثر يا سعد وانت تعرفني

لااجيد التلاعب بالكلمات المنمقة مثلك "

عندها صرخ سعد

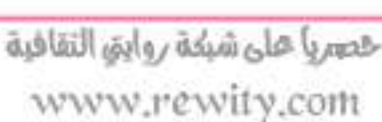
" انا لااتلاعب .. واعود لاذكرك انك

تعرفني منذ سنوات طويلة ولااحتاج لاثبات

اخلاقي لك الآن .. لم أغوي فتاة في حياتي

لابتدأ باختك الصغيرة يا ياسر .."







تراخت قبضة ياسر قليلا بينما خلص سعد نفسه منه بنزق واضطراب حقيقي ليتمتم

" جودا وجدت فيّ انا مصدرا للمساعدة .. ارادت ان اساعدها كي ترتدع وتكف عن افعالها الطائشة التي قد تسبب لك يوما مشاكل جسيمة تؤذيك .."

ثم نظر في عيني ياسر اللتين بدتا تسبران اغوار اقواله بينما يضيف سعد بصدق كامل

" كانت تريد حمايتك .. ربما انا من اثرت فيها هذه المخاوف المريعة عندما قصدتني لاصرف لها العملة بوقتها قلت لها انها لاتعرض نفسها فقط لخطر محدق وانما تعرضك انت ايضا لانك صاحب عمل حر وستتجه اصابع الاتهام اليك اذا قبضت عليها الشرطة "

هدأ ياسر تماما لكن عقله لايكف عن محاصرة سعد بما هو خلف كلامه الصادق

بينما سعد يزفر بضيق قبل ان يضيف

" جودا احتاجت لطرف خارجي .. خارج دائرتها الاهم في حياتها .. طرف تطمئن اليه وتثق به ليساعدها ... تطلب ما عجزت انه تطلبه منك او من عمتي فائزة .."

سأل ياسر بغموض

" ولماذا لم تطلبه من رافد؟! هي تعرفه اكثر منك بكثير .."



رد سعد وهو يهز كتفيه

" لاجواب محدد عندي .. الجواب الكامل عندها هي فقط .. كل ما فعلته اني استمعت اليها .."

ردد ياسر بنوع من الاستهانة

" سعد هذا الكلام انا لااشتريه بفلس واحد... سأسألك لآخر مرة ... من رجل لرجل ... ماذا تريد من اختي جودا ؟ "

خرجت الكلمات من فم سعد وعيناه تحدقان في عيني ياسر

" اريد الزواج بها ..."

في بيت طاهر الاحمدي ..

كانت الام في حالة هياج حتى بعد حضور زوجها بنفسه للبيت تاركا عمله منتصف النهار ...

هي من اتصلت بزوجها تطلب منه الحضور فورا حالما اخبرتها ابنتها الوحيدة عن (نكستها القادمة) ...

تمتمت سهر باحباط وهي تمرر اناملها على جبينها " امي... ارجوك .."

لكن الام لم تلتفت لابنتها بينما تهدر في زوجها " هل سنعيد المأساة يا طاهر ؟! كيف تريد تزويجها بهذا الفظ الغليظ ؟ الا يكفي ما حصل مع اسامة الهاشمي ؟"





حاول الاب احتواء غضب زوجته بالقول الرزين

" اهدأي يا حياة .. لاتقارني هذا بذاك.. لكل واحد شخصه ووضعه وظروفه .. "

حاولت سهر ايضا اقناعها بالقول

" امي ... ياسر مختلف عن اسامة ومشاعره نحوي مختلفة تماما ... كما انا نفسي مختلفة عما كنته قبل سبع سنوات ..."

هدرت بها الام وعيناها تفيضان بالقسوة الامومية

" اسكتي انت .. لازلت اذكر كيف تعلقت بذلك الرجل ولم أكن راضية عن فرق السنوات بينكما ولا حتى عن واجهته الباردة الساخرة على الدوام "

عقدت سهر حاجبيها لتدافع بانفعال

" لكن ياسر ليس باردا ولا ساخرا .."

فترد لها الام بنفس النبرة

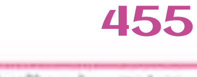
" انه اسوأ ! .. جلف فظ خشن ... اليس هذا ما تصفينه به عندما يثير غضبك كل يوم تقريبا ؟!"

عاندت سهر مع امها لتقول بثقة

" انا احب طباعه وسأهذبها بطريقتي ."

عنّفتها الام بالقول

" مغرورة كعادتك ووالدك سيساندك كعادته هو الاخر.."



عندها تدخل الاب بنبرة هادئة لكن لاتخلو من الصرامة

" هل تتصورين ان اضحي بسعادة ابنتي لمجرد ان اساندها فيما تريد ؟ هل فعلتها يوما يا حياة؟ "

ارتبكت حياة بعض الشيء قبل ان تتمتم بلهجة معتذرة

" انا لااقصد هذا .. انا .."

قاطعها زوجها بالقول

" اسمعي يا حياة .. اسامة الهاشمي بوقتها كان رجلا رائعا تتمناه اي عائلة حتى مع الواجهة التي ذكرتها والتي لم تكن تعجبكِ .. لكن أنا كأب كل ما يهمني ان اسلم ابنتي لرجل محترم ونزيه ومن اصل طيب مع توافق فكري واجتماعي ومادي ايضا .. وهذا ما أراه في ياسر الآن ..."

قالت الام بتصلب وتعنت

" اسامة الهاشمي كان اغنى منه .."

فرد الاب بثبات وعيناه العسليتان تلمعان

" لكنه لم يكن يحبها ..."

همسة خرجت عفويا وباعتراض انثوي من سهر

" ابي ...! "

التفت الاب لينظر لابنته بحنو قبل ان يقول بابتسامة فخورة



" انت قوية ومباشرة فلا تخجلي من الاعتراف بالامر .. انه لاينقص منك شيء وبذكائك الشقي ادرك انك تدركينه ايضا ... اسامة كان معجبا بك لكن قلبه كان ملكا لغيرك رغما عنه وعنك .. لاخطأ فيك انت بنيتي .."

توردت سهر قليلا وهي تحيد بنظراتها بعيدا عن ابيها بينما يكمل الاب بدهاء

" اما ياسر ..."

توقف متعمدا متمهلا لتعود انظار سهر اليه تشع بالحيوية التي ما رآها فيها منذ سنوات ليقول غامزا بطريقة تناقض وقاره ورزانته

" استطيع ان اقول ان لهفته الخشنة لاتمام الزواج كمدافع الحرب تعلن عن عشق متأصل فيه نحوك صغيرتي .."

هتفت به الام وهي تتورد هي الاخرى

" لااصدق انك والدها وتكلمها عن العشق والغرام بدلا من ان تنصحها بالتروي وتحكيم العقل والمنطق قبل ان تتورط مع ياسر هذا.."

عندها اعلنت سهر بنبرة مصممة

" انا اريد التروي .."

للحظة ظهر بعض العجب على ملامح الاب لكنه سرعان ما محاها وهو يقول





" هل تريدين مزيدا من التفكير ؟ هذا من حقك يا ابنتي .. لتوافقي على هذا الزواج بأسس صحيحة او حتى ترفضينه لاسباب منطقية طبعا.."

لكن سهر قالت بنبرة قاطعة للشك

" انا ... موافقة على الزواج ..به .. يا ابي .. لكن .. اريد التروي باتمام الزواج فقط .."

اوشكت الام ان تشد بشعرها وهي تقول

" هذا ما ينقصنا !؟ خطوبة اخرى على كف عفريت ..! "

لكن سهر تمسكت بذراع والدها الذي يتطلع اليها بتساؤل صامت فتقول له بنبرة رقيقة تتوسل التفهم دون ضغوط

" ارجوك ابي .. لا داعي للتعجل .."

فرد الاب بتأن مع بعض الفكاهة

" لست انا من يتعجل وانما هو .. اوشك ان يأمرني ان نتمم الزواج خلال اسبوع ! "

كزت الام على اسنانها وهي تردد بضيق وحنق

" ليس لديه ذرة لباقة ..!"

فقال الاب موجها كلامه لزوجته

" لكنه يعجب ابنتك .."

ثم اضاف وهو يتطلع لابنته هذه المرة

" واستطيع القول ان يعجب قلبها كما لم يحدث لها يوما .."



اطرقت سهر قبل ان تقول وهي تتابط ذراع

والدها

" نعم ... يعجبني .. ويعجب ... قلبي .. لكننا

لن نتمم الزواج قبل ستة اشهر .."

ثم رفعت وجهها ذو الملامح الانثوية الماكرة

لتضيف

" هذا شرطي ابي .. يمكننا عقد الخطبة

خلال هذه الفترة لا امانع حتى عقد قران .....

لكن لا عرس قبل مضي ستة اشهر .."



الفصل الثالث عشر

ردد ياسر بنوع من الاستهانة

" سعد هذا الكلام انا لااشتريه بفلس واحد...
سأسألك لآخر مرة ... من رجل لرجل ... ماذا
تريد من اختي جودا ؟ "

خرجت الكلمات من فم سعد وعيناه تحدقان
في عيني ياسر

" اريد الزواج بها ..."

اختلطت ملامح ياسر العابسة التي تموج
بالغضب الداخلي مع تعابير المفاجأة ليتمتم

وكأنه يحاول استيعاب صدق الفكرة
ومنطقيتها

" تتزوجها ؟!"

رد سعد بهدوء مؤكدا بنبرة ثابتة واثقة

" نعم ..."

ازداد عبوس ياسر وهو يضيق عينيه ويقول
بتوتر ملحوظ

" جودا غير مؤهلة لتتزوج حاليا ..."

رد سعد بما فاجأ ياسر اكثر

" اعرف انها ليست مؤهلة ..."



التمعت عينا ياسر بنظرة حادة ليقول بفظاظة وهو يحدق في ملامح سعد

" وماذا تعرف عنها بعد ؟ يبدو انك تشاركني معرفتي بأختي عن قرب ..."

اسبل سعد اهدابه بينما يقول بصوت أجش

" قبل ان اقول لك اي شيء اعرفه عن جودا أود ان اعرف رأيك ... هل توافق على فكرة تزويجي بها ؟ هل ستأتمنني عليها لاساعدها ان تتخطى الصعاب التي تواجهها ؟"

اتسعت عينا ياسر قليلا وهو يقول بعجب واضح لم يستطع اخفائه " انت جاد حقا ! "

رد سعد بتمتمة هادئة " نعم جاد ..."

قال ياسر عندها وهو يستعيد تركيزه

" فكرة زواج جودا حاليا لااراها مناسبة .. منك او من غيرك ... اريدها ان تقف على قدميها اولا وتدرك الحياة من حولها ..."

رفع سعد نظراته لياسر قائلا بلمحة اصرار

" سأساعدها ..ان سمحت لي ... "

لكن ياسر هز رأسه عفويا وهو يقول مفسرا بمنطقية حادة النبرات

" اريدها ان تعتمد على نفسها .. لا انت ولا انا ولا اي انسان آخر سينفعها غير ذاتها هي ... عليها ان تتعلم هذا وتكافح لأجله باظافرها واسنانها .."

لانت نظرات سعد وهو يقول بتأنِ " كن رفيقا بها ... لقد عانت الكثير يا ياسر "



عقد ياسر حاجبيه وعيناه الداكنتان تضيقان بنظراتهما التي تريد اختراق صديقه ومعرفة ما يدور في عقله ....

ظهر بعض التردد في عيني سعد قبل ان يقول بنبرة تعكس ذاك التردد

" هل تعلم انها ... انها .."

بنزق قال ياسر بتساؤل فظ

" انها ماذا ؟! قل ما عندك "

تنهد سعد محبطا من نزق طبع صديقه الذي لايساعده حتى يوصل اليه ما عرفه عن جودا دون ان يتسبب له بهياج عاصف !

لكنه اخوها ... ويجب ان يعرف ...

اخيرا قال سعد يحاول التمهيد لما يريد ايصاله

" ألم تستغرب ياسر من بعض تصرفاتها ؟"

صمت لحظة قبل ان يضيف

" هل تتذكر ليلة رأيتها مغمى عليها في مرآب السيارات وكيف هاجمتني بشراسة ؟ لقد اتهمتني بمحاولة اغتصابها امام رافد .. ألم تستغرب مثلي من سرعة افتراضها أمرا بهذه الخطورة ؟ "

التمعت عينا ياسر بذكائه المعتاد وطبعها اللمّاح لكنه آثر المراوغة وهو يقول باسلوبه الفظ

" الى ماذا تريد الوصول .. افصح .."



نظرة متفهمة مدركة من سعد اتبعها بالقول

" لن تخبرني بشيء اليس كذلك ؟ تريد الاخذ مني دون ان تعطيني ... لكن تذكر اني موضع ثقة دائما وجودا تهمني كما تهمك بالضبط ..."

التمعت عينا ياسر للحظة ثم قال بنبرة غامضة وملامح مغلقة التعابير

" اخبرني انت اولا وانا سأخبرك في المقابل "

حسم سعد أمره بالمصارحة فقال بصيغة سؤال

" هل تعلم من هو ... كامل ؟"

اتساع طفيف في عيني ياسر ثم قال بصوت أجش يحمل التنبه والاهتمام

" كيف عرفته انت ؟! هل هي من اخبرتك عنه ؟"

رد سعد بهدوء ظاهري " نعم .. اخبرتني اليوم تحديدا انه زوج ... جدتها .. "

صمت ياسر ولم يعقب بينما يضيف سعد بنبرة جادة " هل تعلم انها تشك بل موقنة بأن المدعو كامل قتل جدتها ....؟ "

رد ياسر بتصلب " أجل اعلم .. لقد استقصيت بنفسي عما حدث لجدتها في ذلك البلد ... لكن لايهمني ان قتل الجدة حقا ام لا ... ما يهمني ان استعيد المال الذي سرقه ذلك الوغد لانه يعود لجودا ، ولأجل ذلك ما زلت احاول ان اتقفى أثره .."

بقلم كاردينيا73



لم يستطع سعد التأكد هل يعلم ياسر كل شيء ام لا لكنه لن يتراجع الآن ليقول بحذر شديد

" وهل تعلم ان ... كامل ذاك ... كان يتحرش بجودا عندما كانت مراهقة ؟"

ردة فعل ياسر العنيفة أكدت لسعد انه لم يعرف هذه المعلومة .. كان قد امسك بخناق سعد في حركة تلقائية مؤكد لم يشعر بنفسه هذه المرة ليهدر من بين اسنانه

" ماذا تقول ؟!"

الغضب الذي يموج في عيني ياسر اختلط بسؤال كبير مفجع رهيب يحتاج ان يعرف اجابته ...

ادرك سعد السؤال فسارع ليطمئن صديقه ويطمئن نفسه هو الآخر بالقول

" اهدأ ياسر ولاتنفعل هكذا ... اعلم ان الامر صعب عليك .. "

زمجر ياسر مقاطعا اياه بنبرة عنيفة

" ساقتله ان ...."

قاطعه سعد هذه المرة وهو يمسك كتفي صديقه بقوة وينظر في عينيه مؤكدا بثقة

" لم يفعل لها ... شيء ...كان .. يخيفها فقط "

للحظة كان ياسر متشنجا متوترا ثم ابتعد بعنف عن خناق صديقه وهو يتمتم بالشتائم

" تبا له .. تبا تبا ... النذل .. الحقير"



شعر سعد بالحسد نحو ياسر لانه يعبر عن غضبه بطريقة فعالة بينما هو يتمالك نفسه ويخفي غضبه في داخله ...

وكله لاجل جودا ...

هي الاهم بالنسبة له ...

قال بنبرة متعثرة بثباتها

" ألن تنزل لترى .. جودا .. ستفرح كثيرا برؤيتك "

كانت ملامح ياسر جامدة وهو يحدق امامه بتفكير شارد غاضب بينما يتمتم

" لم آتي لرؤيتها ... جئت اتأكد من أمر .."

قال سعد متنبئا بسبب مجيء ياسر الذي دفعه هو الآخر للمجيء اليوم " الوغد قتيبة ارسل والده صباح اليوم ليقدم نيابة عنه التماسا لتأجيل العام الدراسي .."

التفت ياسر بوجهه لصديقه يحدق فيه بتعمق اكبر بينما يردد سعد ويده على عتلة الباب

" اراك لاحقا لتعطيني قرارك بخصوص ارتباطي بجودا ..."

ليضيف وعيناه في عيني ياسر

" انا جاد في طلبي ياسر .. واريدها زوجة في اقرب وقت ..."

تمتم ياسر بصدق لايخلو من العجب

" انا لاافهمك ..! لماذا جودا ؟! "



ابتسم سعد واقلت لسانه رغما عنه

" فيها ما يناديني وقلبي لبى نداءها .."

عبس ياسر وهو يقول بجفاف

" اريدك ان تبتعد عنها ..."

ترك سعد عتلة الباب وتحرك في توتر جسدي لرفض ياسر له فما كان من ياسر الا ان اضاف

" هذين الشهرين على الاقل ... اريدها ان تركز في دراستها وقد وعدتها بشيء يفرحها ان نجحت ... لااريد ان نشوش عليها الآن وقد ابتدأت تتلمس طريقها الصحيح لمستقبلها "

ثم أكد ياسر بالمزيد وبنبرة لاتحتمل المناقشة او الاعتراض

" لااريدك ان تظهر في الصورة معها ابدا يا سعد ... دع الشهرين يمران لاقرر استيعاب جودا للدرس القاسي الذي حصل لها مع الحقير قتيبة ... "

عندها قال سعد بتفهم ويده تعود لعتلة الباب تفتحه

" اعدك ياسر سأبتعد عنها هذين الشهرين فقط ... لكن بعدها اريد ردا واضحا لطلبي..."

ثم تحرك سعد مغادرا السيارة بينما يشيعه ياسر بنظراته وافكاره تتضارب في رأسه لتتوهج اكثر الافكار رغبة في الانتقام ...

الانتقام من ذاك الحقير كامل ...

وشكوكه السابقة حول ماضي جودا في بيت جدتها قد تأكدت الآن ...

صباح اليوم التالي

تمطّت سهر في سريرها وهي تتدلل في نبرات صوتها بينما تهمس عبر هاتفها النقال الذي فتحت الخط فيه للتو ترد على اتصاله

" صباح الخير ياسر .."

صوته جاء مبحوحا ودون ان يرد تحيتها الصباحية قال

" كما توقعت .. اولها استغلال ! لكن كوني واثقة التأخر لساعات ايضا سيخصم من راتبك .."

ضحكت بنبرة رائقة بينما تهمس له بأنوثة واثقة وتلكؤ متعمد

" اطالب بإجازة لـ.... للخميس القادم ... هل تجيد حساب الايام ام تحتاج لمساعدة ؟ انها فقط ثلاثة ايام لاغير ..."

جاءت نبرته حادة هذه المرة وهو يسأل

" لماذا ؟! "

اخذ تتلاعب بخصل شعرها بينما عيناها الخضراوان تلمعان بالاستمتاع فتهمس له بمراوغة رقيقة





" ألم تعرف ؟ ربما ... ربما سأتزوج ..."

تشنج عاطفي تملك نبراته رغما عن انفه

بينما يقول

" كفي عن اللوع سهر ..."

ضحكت مرة اخرى وهي تنقلب بمرح على

بطنها وتقول ببشاشة " انت مدعو لزيارة

عائلية مع عمتك واختك .."

سألها بصوت مبحوح

" هل تقلبّت في سريرك الوردي للتو ؟"

احمرت وهي تهمهم بـ(نعم)...

فيسألها مشحونا بعنف

" لماذا لاتأتين و... نتكلم وجها لوجه ..."

أطلقت صوتا رقيقا يعبر عن الرفض ثم قالت

وعيناها تلتمعان هذه المرة بمكر الاناث

" ابي قال ان لانتقابل حتى ولو في محيط

العمل حتى تتم الخطبة بشكل رسمي .."

لكن الامر لم ينطل على ياسر ليقول لها

بنبرة تفيض تهديدا

" ابوك قال هذا ... ها ؟! "

قبل ان ترد عليه اضاف هو بنبرة جافة

" سنكون عندكم في الساعة السابعة .."

ثم اغلق الخط !



تطلعت سهر بعبوس لهاتفها النقال بينما يتسلل اليها الغيظ للحظة .. لحظة واحدة فقط قبل ان تعم ملامحها البهجة والاستمتاع وهي ترمي هاتفها وتنقلب ضاحكة على ظهرها ليأتيها صوت ابنة عمها هاجر التي كانت ترتشف قهوتها وهي تجلس على حافة السرير الوردي

" هل اغلق الخط في وجهك ؟!"

الدهشة تفيض من نبرة هاجر لكن سهر لاتهتم وهي ترد ببساطة

" نعم ..."

عقدت هاجر حاجبيها وهي تسألها بنفس العجب والدهشة

" سهر ! كيف تتحملين منه هذا ؟! هل غيابي لاحد عشر سنة جعلك مختلفة عن سهر المعتدة بنفسها التي اعرفها ؟ "

تحركت سهر بجذعها واستعدلت جالسة في سريرها .. تتلاعب بخصل شعرها وعيناها تتأججان بالمتعة والتحدي بينما ترد عليها قائلة

" احد عشر عاما لم تغير شيء من اعتدادي بنفسي بالعكس ... لكن ما يحدث معه انه يعشقني ولايطيق تباعدي المتدلل عليه .."

ثم اضافت بغرور " انه غاضب كالمجنون لانه لايحتمل عدم امتلاكه لي حتى اللحظة ... الا يرضي هذا كبرياء وشموخ اي امرأة ؟!"



حدقت هاجر بتمعن في سهر قبل ان تسأل

" هل حقا لن تتمي الزواج قبل ستة اشهر .."

حركت سهر كتفيها وهي تغمز بعينها قائلة

" سأحاول جهدي التفاوض معه .."

ضحكت هاجر وهي تقول

" اذن تعترفين انه لن يرضى ابدا .."

شاركتها سهر الضحك قائلة بثقة ويقين

" سيجن على الاغلب .."

بعض الاستغراب تسلل لملامح هاجر وهي تتطلع لابنة عمها .. استغراب مخلوط ببعض القلق ...

القلق كان من ثقة سهر المفرطة لكن هاجر آثرت بذكاء ان تظهر الاستغراب فقط وهي تسألها

" لماذا تفعلين هذا ؟ لتعذبيه ؟!"

ملامح سهر تغيرت من الغرور المشاكس الانثوي الى الجدية وان لم تخلُ من الغرور ايضا قائلة ترد على هاجر

" لا ... بل لأعلمه كيف يعاملني كزوجة .. لأعلمه كيف يشاركني حياته وشعوره وادق تفاصيله ... لن ادخل بيته كعروس يتوق اليها بل كزوجة وشريكة في كل شيء يخصه "




التمعت عيناها الخضراوان بالتحدي وهي تضيف

" سأعلمه ان ينطق بالعشق بل أن يصرخ به وقد فاض كيله من كتمانه .."

تمتمت هاجر وهي تعود لارتشاف باقي قهوتها

" لست بالهينة يا ابنة عمي .."

أخفت هاجر شعورا ببعض الحسد نحو ابنة عمها بينما تلتزم الصمت ..

هي اجمل من سهر باعتراف سهر نفسها كما انها أكثر ذكاء وطموحا منها .. لكن سهر تتفوق عليها بنوع خاص من الانوثة ..

فيها جاذبية تميزها عن غيرها... سهر ببساطة عنوان لمعنى الانوثة الحقيقية ..

في داخلها وخارجها ....

" ما الذي أتى بك باكرا هاجر ؟ لاتقولي ان السعادة لاجلي دفعتك لهذه الزيارة الباكرة.."

صوت سهر كان مباشرا ومفاجئا لهاجر بنبرته الكاشفة بالمعرفة لكن هاجر تجيد اخفاء ردود افعالها فتدعي المكر بدلا من التفاجؤ وهي تقول

" والدي يسلم عليك .."



عادت سهر لتتلاعب بخصل شعرها وتسأل بتسلية

" وبعد ... ؟ اسألي ما أتيت من اجله .."

ذكاء هاجر دفعها لاتخاذ طريق الصراحة فسألت مباشرة

" من هو رافد ؟"

ارتفاع طفيف بحاجبي سهر الرفيعين الانيقين بينما تتمتم بغموض

" هل علقت بشباك ذلك المحتال ؟ "

رددت هاجر بضيق مكتوم

" محتال ؟!"

كانت سهر تتمعن في ابنة عمها قبل ان تقول بنبرة تراوحت بين الجدية والهزل

" انه كالحرير مع الاناث ... يُدمْنَ ملامسته لكنه يتسربل من بين اصابعهن ... "

ضيّقت هاجر عينيها قليلا وهي تسأل

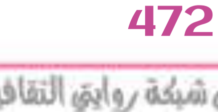
" ماذا تقصدين ؟"

أمالت سهر رأسها جانبا وهي تقول

" اخبريني انتِ .. كيف علقتِ به ؟"

ثارت اعصاب هاجر رغما عنها ولاتعرف لم فقدت رباطة جأشها هكذا وهي ترد بحدة على سهر

" لم أعلق ! ما هذا التعبير السخيف "





تطلعت اليها سهر بهدوء ملتزمة الصمت

فاطلقت هاجر تنهيدة خافتة قبل ان تضيف بنبرة عادية

" اثار فضولي واهتمامي لااكثر .."

لمحت هاجر بعض التعاطف في عيني سهر فزاد شعورها بالضيق !

لاتحب ان تشعر هكذا .. حتى امام سهر التي تعتبرها صديقة مقربة اكثر من ابنة عم ..

صديقة ظلا على تواصل رغم فراق السنوات ..

ورغم ان التواصل كان باهتا لكن الرباط الخفي ظل موجودا بينهما ...

تمتمت سهر فجأة " ألأنه لم يعجب بك من اول نظرة كما يفعل معظم الرجال معك ؟"

رفعت هاجر ذقنها بحدة لترد بيقين حقيقي

" بل اعجبته .. انا لااخطأ في التقاط هكذا اشارات من الذكور نحوي ... وهنا يكمن فضولي ..! "

عبست سهر قليلا وهي تعبر بالقول

" لاافهم ..ماذا تقصدين ؟ "

سرحت هاجر بعيدا بتلك العينين الزرقاوين اللتين منحتها الاعجاب لكن .. اعجاب يسيء لها بدلا من ان يفرحها ...

لقد اعجب بها رافد لكنها جعلها .. تشعر انها... حالها كحال اي امرأة جذابة اخرى !




قالت هاجر اخيرا مفسرة

" انه لم يبال باعجابه التلقائي بي ! هذا ما اثار فضولي لاعرف السبب ؟ "

ردت سهر توضح هي الاخرى " انه صديق مقرب مني يا هاجر .. مؤكد كونك ابنة عمي يجعل الاحترام يسبق اي اعجاب .. "

لكن هاجر قالت بثقة " ليس هذا السبب .."

تأففت سهر وهي توبخها نوعا ما

" ماذا جرى لك هاجر ؟! لماذا تعقدين الامور وتفلسفينها ؟! خذيها ببساطة .. انتِ اعجبته كأنثى لكنك خارج نطاق تقربه .. "

ثم اضافت بجدية وبكلمات تحمل معنى واضحا مباشرا

" رافد لايهتم بالعلاقات الجدية هاجر فابتعدي عنه .."

ببرود قالت هاجر

" لااعرف لماذا لم اقتنع بكلامك .."

تغاضت سهر عن برودها لتقول وكأنها ترد على كلامها " لستِ مقتنعة لانك اعجبت به في المقابل ولم تطيقي ان لايلتفت اليك بجدية.. "

مالت سهر بجذعها ناحية ابنة عمها لتربت على يدها المستندة على السرير وتقول بتحذير مبطن



" لاتعتبرينه تحد لاثبات جمالك وتأثيرك على الرجال .. لانك جميلة جدا حقا وانت تعرفين كم واحدا تمنى منك نظرة رضا ..."

انغلقت ملامح هاجر تماما بينما تعود سهر لجلستها الاولى وهي تضيف ببشاشة ظاهرية

" فضولك الصحفي لاتطبقيه الآن ..."

ابتسمت هاجر .. ابتسامة بلا معنى ...

لم تصل حتى لعينيها العسليتين ...

يوم الخميس ...

صباحا ...

منذ ثلاثة ايام وفي كل صباح تنتظر سماع صوت اغلاق باب الغرفة المقابل لباب غرفتها لتخرج من قوقعة اعتزالها ...

تمنع .. بل تحرم على نفسها التفكير بما حصل .... لا .. لم يحصل شيء ..

لم يحصل .. لم يحصل .....!

مالت بجذعها للامام لتتكئ بذقنها على ركبتيها المضمومتين لصدرها ..

منذ ايام وهي بهذه الحالة ...





تكاد لاتغادر غرفتها الا للاطمئنان على خالتها الصامتة كصمتها وتقديم الطعام والرعاية لها ... ثم تقضي النهار جالسة على سريرها تحدق في الفراغ الرحب حولها ولاتجد فيه متسعا يحتويها!

صامتة .. جامدة التعابير فقط عيناها تشتعلان بافكارها بين الفينة والاخرى ...

انها بجسدها هنا على سرير رافد الذي احتلته كسرير لها منذ خرجت من المستشفى بعد الاجهاض لاتقو حتى على لملمة حطامها..

عيناها غائبتا الحضور او حتى تمييز وجود ابنتها على مقربة منها تلعب بالعابها على الارض المفروشة بسجادة مزخرفة...

لكن تلك العينين تتوهجان بشعلة الماضي الذي لايكف عن التمسك بتلابيب روحها فيحرقها ببطء مستلذا باشتعاله اكثر واكثر كلما وجد حطبا جديدا من حطب ماضيها الحافل بالاهانات والانتقاص ..

ماض عاشته تحت سقف واحد مع راغب...

ذاكرتها اصبحت اكثر حدة وجموحا في تطرف التقاطها لصور بشعة من ذلك الماضي المقيت ...

عن وعي وادراك بل وتعمد اتخذت طريقها خلال اليومين السابقين لتغوص في تلك الذكريات ..

بكل ما فيها...



ذاكرتها ... تنهكها وهي تصفعها بالتفاصيل التي طالما اختارت ان تتجاهلها خلال سنوات عاشتها كزوجة لراغب ...

كتلك الشعرة الطويلة المصبوغة بلون كستنائي محمر التي وجدتها قبل شهرين في سرير الزوجية...

بل وقبلها ... برائحة ذلك السرير التي كانت تتغير كلما قضت هي ليلة في بيت خالتها بعد شجار كان يبتدع ويتفنن راغب في اثارته...

تجمعت الانفاس في حنجرتها تأبى التحرر في زفير تلقائي وهي تتذكر تفصيل .. آخر..

أثر جسدي ... على جسد راغب!

أثر (عضة حسية) على كتفه لم تكن غالية من احدثتها بينما يتبجح هو باعطائها ردا لسؤال صامت لم يُنطق انه حمل بين ذراعيه جرو فعضه...!

انامل غالية تقبضت وهي تلتف على غطاء السرير بقساوة حارقة والاشتعال في عينيها يزداد أكثر واكثر ...

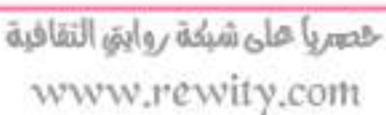
التفاصيل تتدفق كالسياط النارية منذ ايام بدت طويلة عليها ...

طويلة جدا ولاتريد ان تنتهي...

وكلمات راغب كانت اشد السياط قسوة وتعذيبا وامتهانا لكرامتها كأنثى .. كأنسانة ...







(مللت منك ... جسدك لم يعد يثيرني.. مللت من الكذب على نفسي كلما عاشرتك حتى اصل للذة الشهوة بشق الانفس...اختنقت من وجودك الدائم في حياتي .. ضقت ذرعا بنواح طفلتك الدائم ...)

زمجرة مخيفة خرجت من فمها المشدود كصرخة حيوان جريح ينهكه شعور الألم ويستنزف طاقة احتماله شعور الغضب ..

صرخت صغيرتها لولو فزعة لتبدأ بالصراخ الباكي وتترك العابها على الارض فتنهض متوجهة ناحية باب الغرفة المقفل وتضرب عليه بكفيها الصغيرين وهي تنادي بشهقات بكاء عالية

"دادا ... دادا .."

تحدق فيها غالية بشرود عن الواقع...

وللحظة تساءلت متى أتت صغيرتها للغرفة ؟!

ثم بتوهان عقلي اختلطت لديها الايام وهي تفكر بدهشة

(ألم تجعلها تخلد للنوم بجانب جدتها ؟)

ثم .. ثم اتصلت ناهد ..ثم ..... رافد....!

علا بكاء لولو وصراخها اشتد باشتداد ضربات قبضتيها على الباب وهي تنادي من جديد بغضب هذه المرة

" دادا ... دادا.."





اختض جسد غالية لتفلتها تفاصيل

الذكريات البعيدة مع راغب وتستقر جبرا في

حاضر قريب ... مرعب!

حاضر ... عمره بضعة ايام لا غير...

حاضر ... تفضل عليه تفاصيل مهينة من

عذابات الماضي ..

حاضر ... لاتفعل الا تجاهل معانيه والتهرب من

لقاء (مصدره) ونكران خسائره ...

انها تهرب بعقلها وروحها منه لانه .. يرعبها ...!

اجل يرعبها..

ويؤلم كما لم يؤلمها راغب يوما...

تزلزل كيانها واختض جسدها بقوة بينما

لجين ما زالت تبكي عند الباب المقفل ...

تمتمت غالية بعينين متسعتين بصدمة

متأخرة وهي تفتح بابا وهميا في عقلها اقفلته

في حماية ذاتية طارئة ...

" انا ... ورا..فد ؟! انا .. اتزو...."

لم تستطع ان تنطق حروفها لتضع يدها على

فمها وكأنها تمنع نفسها من التقيؤ!

عادت لتردد بهستيرية

" رافد ؟! را... را فد... انا ...و را..... فد.."



الكلمات اخذت تتدفق من الباب الذي شرع ..
بل هدرت الكلمات كسيول عارمة فتغرقها
حتى (قمة رأس) ادراكها المتبلد عن عمد
بما تأبى مواجهته منذ ايام ...

(.........” امي تريد سعادتك انت ولولو
وحمايتك .. وانا اريد نفس الهدف....”

“سأبتعد الى الابد اذا شئت .. وسأبقى الى
الابد اذا شئت .. فقط اختاري وخلصيني من
هذه النار التي تحرق لحمي وتذيب عظامي..”

“ امي تريد مني ان اتزوجك غالية.. تريد ان
يتم الامر حال انتهاء عدتك ... هل هذا
الكلام واضح بما فيه الكفاية لتفهمي؟”...)

صرخة اقوى ندت عن حنجرتها بينما تهب من
السرير لتقف على قدميها تلهث مفزوعة هلعة
وبملامح اشبه بمن يوشك على الموت ...

تمتمت بعينين جاحظتين من شدة هلع
افكارها

“ لا .. لا ... حتى رافد .. ؟! لايمكن ..
لايمكن ان اخسر كل شيء ... ان اخسر اهم
ما تبقى لي ... رافد .. رافد ... سندي .. ملجئي
... حمايتي ... كل عائلتي ... انه ... اخي ! يا
الهي اخي ...اخي ..”

عادت لجين لتصرخ بكاءً وبصوت عال بينما
امها مجمدة الاطراف على بعد متر واحد منها
ولكنها لاتميز الابعاد حولها ولا مصدر
الاصوات المتداخلة الصاخبة ...

(....."انتقمي منه .. فيّ انا.."....)

شهقت وكأنما اخذتها الكلمات على حين
غرة!

شيئا فشيئا اخذ جحوظ عينيها المرتعبتين
يخف ... لتختفي آخر لمسة من الهلع فتتوهج
تلكما العينان بوهج حاد قاس مع تتابع
صرخات لجين من حولها فكانت تلك
الصرخات الباكية وكأنها تؤجج فيها مزيدا
من النيران ("انتقمي منه ..... فيّ أنا") ....

مساء ...

في بيت طاهر الاحمدي ..

دخلت سهر بهدوء شديد دون ان تطرق الباب ..
والدها غادر المكتبة لاداء صلاة العشاء وهو
يطلب منها تقديم القهوة لخطيبها حتى يعود ..

كانت تعرف انها حركة من ابيها ليجعلها
تنفرد بياسر وتخبره بشرطها الذي تطور الذي
الى ... شروط ...!

رأته يقف قرب مكتبة والدها الكبيرة نسبيا
ملتقطا كتابا عن علم الاقتصاد بين يديه
يقرؤه بتمعن واهتمام شديدين ...



بعض العبوس وهو يضيق عينيه جعلها تتساءل ان كان بحاجة لنظارة طبية !

لكن عينيه ذو الدكنة المميزة كطباعه جذبتاها وهما تلمعان بينما تجريان على الكلمات في الكتاب بتمهل وتدقيق واضحين..

كم اصبحت تعشق لمعان الذكاء والفطنة فيهما ... كيف لم تره يوما هكذا ؟!

بل كيف لم تستطع التقاط العشق خلف تعامله الخاص لها ايام الجامعة ..؟؟

كيف غفلت عن تفسير نظرات الغضب الاقرب للثورة المطالبة بها هي تحديدا دون غيرها من فتيات الجامعة ...

كيف وكيف ......

رفع وجهه فجأة ملتقطا وجودها عند الباب حاملة الصينية الفضية الانيقة اللامعة ...

ابتسم بطريقته التي تغيظ لكن عيناه تفضحان شدة اللهفة والشوق لرؤيتها وقد غابت عنه لثلاث ايام ...

شوق ولهفة اجاد اخفاءهما في الجلسة العائلية التي سبقت العشاء ..

فقط مصافحة يده الخشنة التي اعتصرت عظام يدها اوصلت اليها كم كان مشتاقا وغاضبا من شدة الشوق !...





ثلاثة ايام تدللت عليه حتى بالمكالمات

الهاتفية فتتحجج كل مرة بحجة ما لتنهي

الاتصال سريعا او تدّعي انها وضعت الهاتف

على اختيار الصامت ولن تتنبه لمكالمته ...

اقتربت منه واثقة بنفسها وبابتسامتها ...

فستانها الاخضر اظهرها في اجمل حالاتها ..

زينة وجهها متقنة وتسريحة شعرها البسيطة

تلائم استدارة وجهها وتظهر نعومة تلك

الاستدارة ...

تحب الاعتناء بنفسها .. تعترف ..

لكن اصبح هذا الاعتناء سلاح جديد مع هذا

الجلف الذي تحبه ...

آآآه كم تحبه ... وقلبها معجب مفتون به ..

معجب بالازرق الذكوري الذي يمثله ...

تمتمت تشاكسه وهي تكاد تقف قبالته

" لماذا تعبس هكذا بالقراءة ؟ هل تحتاج

لنظارة طبية ؟"

عيناه تسرحان على قدها وهو يرد

" اعاني من ثلاثة ارباع الدرجة من حالة

(استكماتزم) لكثرة استخدامي للحاسوب "

رددت تغيظه " لكنك كالعادة عنيد

ولاتستخدم نظارة ..."

لم يرد عليها وعيناه استقرتا على شفتيها

اللامعتين بالذهبي ...



قال بسخرية " هلا اعطيتني فنجاني ؟ القهوة ستبرد ... وانا احبها حارة تلسع لساني .."

توردت معتذرة وهي تمد اليه الصينية الفضية الصغيرة التي استقر عليها فنجان قهوة فمد يده وبدلا من ان يلتقط الفنجان امسك معصمها بخشونة يعتصره كما اعتصر يدها في المصافحة اول حضوره ...

تمتمت سهر بنظرات متحدية تدعي الحنق

" اترك معصمي ... ستخلع المفصل يوما ما "

اقترب منها صدره يرتطم بالصينية ليقول بخشونة اشد دون ان يفلت معصمها " سأخلع مفاصلك كلها يوما ما وسأستمتع بفعلها "

ابتلعت ريقها واحمر وجهها فاستدارت عفويا ناحية باب مكتب والدها الذي تركته مفتوحا لتهمس بحرج

" خذ قهوتك ارجوك واترك يدي ... ابي سيعود قريبا ..."

ضحك بخفوت وهو يسأل بمشاكسة

" حلوة ؟"

ردت بنزق انثوي " بل متوسطة .."

قال بفظاظة

" احبها مرة .. لماذا لم تسأليني اولا ؟!"

تأففت وهي تقول " سأعمل لك غيرها .."



حاولت ان تتحرك لكنه لم يفلت معصمها
حتى اللحظة فحدقت به لتهمس

" اترك معصمي ياسر .. انت في مكتب والدي
وفي عقر داره .."

لم يهتم بما قالت ليسألها بصوت مبحوح وهو
يشير لصورة مؤطورة موضوعة على سطح
طاولة المكتب الابنوسي لوالدها " الا زلت
ترتدين ملابس سباحة من قطعتين ؟"

تطلعت سهر لتلك الصورة التي لم تسبب لها
يوما الخجل الا الآن بسبب هذا الجلف الذي
يقف قبالتها ..

كانت في الثامنة وترتدي لبس سباحة من
قطعتين موردة بالاخضر والوردي ...

هي بنفسها من اصرت على وضع الصورة
المؤطرة على هذا المكتب الفخم متحدية
مهابة المكان وجديته بتواجدها الصغير
المشع عبر تلك الصورة ...

ووالدها كالعادة استسلم لرغبتها ضاحكا ..

ردت على سؤال ياسر بعنفوان تخفي خجلها من
نظراته الجريئة " نعم .. اذهب للسباحة
بشكل دوري في النادي .."

تأوهت وهو يعتصر معصمها بينما يسأل
بفظاظة مهددة " في يوم السيدات صح ؟"

فعاندته بجرأة وهي تتحداه بالقول " وان كنت
افعل في اليوم المختلط هل ستعترض ؟ "



عيناه اخافتاها للحظة قبل ان يقول بنبرة تفيض تهديدا

" تتبجحين بقوتك في عرين والدك .."

هذه المرة تأوهها علا لتهدر فيه

" آآآآآآآآه .. معصمي ايها المتوحش .."

هدر بها هو الاخر وهو يأمرها بالقول الجاف

" قولي الحقيقة ... هل تذهبين للسباحة في ايام الاختلاط ؟ "

اخذت تحاول نزع يدها منه والدمعة ستطفر من عينها ولم تبالي بالقهوة التي تناثر سائلها البني من الفنجان على سطح الصينية اللامع ..

لم يفلتها لتقول باستسلام متعمد رقيق

" في ايام السيدات فقط هل ارتحت الآن .."

خفّف من قسوة اعتصاره لذلك المعصم النحيل لكنه اخذ يميل بوجهه نحوها وعيناه تتأجحان بالعاطفة النارية ليهمس باحتراق

" لا ... لم أرتح ... اريد فقط تخيلك وانت تسبحين بتلكما القطعتين لكن .. معي .. معي انا وحدي .."

اخذت تتباعد برأسها خوفا من تهور هذا المجنون لتتمتم بقلق " ياسر .. والدي سيعود في اي لحظة ..ارجوك ابتعد .."



كان وجهه قريب جدا وهو يهمس بعينين اشتدت لمعتهما

" رغم اني واثق انه لن يعود الآن قبل ان تنتمي ما تريدين قوله لي وجها لوجه بعيدا عن تدخل والديك لكني سأكتفي بالقول .. بضعة ايام وسننتهي من مشكلة انفرادي بك وعلى طريقتي ودون قيود .."

اخيرا حرر معصمها ونبضات قلبها وصلت لحنجرتها لتسارع في الانسحاب بعيدا وهي تقول ببعض التلعثم

" والدتي أحبت عمتك فائزة .. انها سيدة راقية .. لطيفة وجميلة .."

ابتسم بسخرية بينما يعيد الكتاب الى مكانه في المكتبة ليتحرك ناحية احد الكرسيين الجلديين المقابلين لطاولة المكتب وهو يقول

" للاسف امك لم تحببني انا .. ولم تجدني راعيا للطف والرقي كعمتي ...؟ "

استقر بجسده على الكرسي قبل ان يتطلع لوقفتها الحانقة فيضيف بصراحته الخشنة

" لكنها لاتجيد اللوع مثلك .. تظهر كل شيء بوضوح ... انيق ؟ "

اقتربت بضيق لتضع الصينية على سطح مكتب والدها وهي تتخصر بذراعه واحد وتقول بنبرة لوم ملوحة بسبابتها

" كنت تستطيع ان تكون اكثر لطفا وتجاملها بلباقة .."

أمال راسه ليقول باستهانة ساخرة

" عن ماذا اجاملها مثلا ؟!! عن ورق الجدران المزخرف باناقة ام عن الكريستالات البلجيكية الباهظة التي تملأ غرفة استقبال الضيوف ؟!"

زمّت سهر شفتيها قبل ان تقول بصبر نافد

" رغم انه لاضرر من المجاملة عن هذه الامور لكن تستطيع مثلا مدح طعامها .. الرجال يفعلون هذا على الدوام .. "

فيرد بنفس الصراحة المغيظة الفظة

" لكنها لم تطهُه بنفسها .. الخادمة فعلت "

كزّت سهر على اسنانها وهي تقول باصرار

" تحت اشرافها .."

فيحرك حاجبيه ويرد مكررا

" لكن الخادمة فعلت .."

لتصر سهر بعناد اكبر

" وبتدريب شخصي من امي .."

اتسعت ابتسامته وعيناه تنسابان عليها هامسا بتأكيد على كل كلمة

" لكن ... الخادمة ... فعلت .."

انفجرت به قائلة " اذن اشكر الخادمة .."

تلاشت ابتسامته وهو يمط شفتيه للامام ليقول باسلوب عملي اكثر اغاظة من فظاظته

" انها تأخذ اجرا لعملها ولاتحتاج لشكري حتى تفرح .. تحتاج فقط لزيادة في الراتب ..."

فاض كيلها وهي تقترب منه وتزمجر

" اف منك ... افففففففففف..."

رمشت عيناه باستمتاع وتبسم بمزاج رائق ليسألها " اتركي التأفف الذي لايليق الا بتلك الفتاة الصغيرة في الصورة مع قطعتي الملابس الموردتين واخبريني ... لماذا بدى عليك الارتباك عندما سألت امك العمة فائزة عن جودا ...؟ "

للحظة اضطربت لكنها سارعت لاخفاء ارتباكها لتسأل ببراءة

" ولماذا ارتبك ؟! لقد كان سؤالا عاديا حول من تشبه جودا؟ "

صمت ياسر وبدى غامضا لتضيف سهر بهذر ارادته طبيعيا بينما سعت لاعتراف منه

" عيناها ... غريبتان جدا ومميزتان .. لونهما غير مألوف .. انها لاتشبهك ولاتشبه العمة ... صارخة بجمال غريب ولاتبدو من بلدنا حتى.."

عينا ياسر اظهرتا برودا واضحا وهو يقول بجفاف





" لااحب اللوع يا ابنة ابيك ... جودا ليست بهذه الغرابة في الشكل وانت لست ذكية كفاية لتحددي منبع جمالها الى اين ينتمي..."

ارتبكت سهر وشعرت انها مكشوفة اكثر مما تريد بينما يضيف ياسر بنفس النبرة

" بماذا اخبرك والدك عن عائلتي يا سهر .. مؤكد سأل عني قبل ان يستقبلني مع عائلتي في بيته ..."

خلال ثوان درست سهر خياراتها لتقرر مجاراته في المصارحة وتقول مباشرة

" اخبرني انها اختك غير الشقيقة .."

حدة عنيفة التمعت في عينيه لكنها لم تتوقف لتضيف " وان اباك تزوج على امك في احدى البلدان التي اقام فيها للعمل .. "

صمتت بوجل وتلك الحدة تزداد ليهمس اخيرا بنبرة غامضة " وبعد ؟! .."

ابتلعت ريقها وهي ترد بنفس الصراحة " طلبت منه الا يخبر امي .. حاليا على الاقل... لأن.."

قاطعها ياسر بعنف تتمرغ فيه نبرات صوته كما عيناه " حذاري سهر ... حذاري من اي تلميح لانتقاص .."

وكأن حجرا علق في حنجرتها لتردد مدافعة عن نفسها



" انتقاص ؟! من تطرق لأي انتقاص ؟! لم يخطر في بالي حتى .. لكن .."

عاد ليقاطعها وهو يقول بانفعال ساخر

" امك الانيقة الطراز ستنتقص .. هذا ما تحومين حوله دون ان تقوليه صراحة اليس كذلك ؟"

تماسكت سهر لتتحرك بخطوات انيقة هادئة وتجلس على الكرسي قبالته ولم تتوان عن وضع ساق فوق ساق لتقول وعيناها في عينيه " ياسر .. انا لايهمني زواج ابيك من اخرى وان جودا ليست اختك الشقيقة .. حتى لو ضايق امي هذا فانا لااهتم .. كل ما اهتم به معرفة .. من يكون زوجي ... وعن قرب..."

نصف اغماضة من جفنيه ليسأل بصوت أجش

" ماذا تريدين ان تعرفي ايضا يا ابنة حواء ؟ "

لم تشعر حقا بالراحة مما تلتقطه منه ..

لكنها لن تتراجع...

سألت وهي ترخي عضلات جسدها بالكامل

" اخبرني عنها .. ولماذا تنظر اليك بتملك هكذا بينما تحيطني بنظرات الغضب حتى توشك ان تقفز نحوي لتفقأ عيني وتقتلع شعري من منابته "

رد ببداهة اقرب للسخرية منها " ليس لها غيري ... انها غيور ومتعلقة بي .. فماذا تتوقعين عندما تعرف اني سأتزوج ؟! "



سألت هذه المرة والغيرة بدأت تسلل اليها هي

" ماذا عن امها ؟ اقاربها من جهة الام ؟"

مرت لحظات قبل ان يرد عليها بنبرة شبه رسمية يملؤها الغموض والسخرية المتعمدة

" امها توفيت عندما كانت جودا في التاسعة وظلت تعيش مع جدتها لامها حتى توفيت الجدة هي الاخرى ولم تأتي للعيش مع عمتي الا منذ .. ستة اعوام ... هل هناك اسئلة فضولية اخرى لامعنى لها ؟ "

لم تهتم باسلوبه الساخر بينما تتمتم وكأنها تحدث نفسها

" لهذا لااتذكر ان لك اختا ايام الجامعة "

قال بنبرة محيرة لها " هل هذا سينتهي قريبا لنحدد موعد الزواج ؟"

عبست وهي تتساءل

" ماذا تقصد بـ(هذا) الذي سينتهي قريبا؟!! "

رد بصلف " اللف والدوران امقتهما سهر.."

فجابته بالقول " الا تلف وتدور انت ايضا ؟!"

صوته كان حاسما صارما وهو يسأل " متى ؟"

لم تدعي عدم الفهم وهي ترد عليه بعزم وثقة بالنفس

" احتاج لوقت ... "



ابتسامة جانبية ساخرة وهو يقول لها

" هل ستخيطين ثوب الزفاف بيديك كما تفعل الفتيات اللطيفات ؟ اشك في هذا .. انت لست لطيفة بل تنشدين الاستعراض والتباهي دون ان تتعبي انامك النحيلة في شيء ، و لذلك ستختارين فستان زفافك من افخم المحلات لتتباهين به امام باقي الفتيات .. وهذا لن يحتاج لوقت بل الى اموال تصرف .. وانا قادر على تحقيقه لك ..."

اطبقت فكيها بقوة ثم قالت تحاول افحامه

" انا موافقة على الزواج منك .."

ضحكة خافته مستهزئة وهو يقول ساخرا برقة " شرحت صدري سعادة ...! "

ثم برقت عيناه وهو يثب في جلسته ليحني جذعه نحوها مرتكزا بكوعيه على ركبتيه قائلا بهمس أجش " ألم ننتهي من توقيع موافقتك مع اول قبلة في مكتبي ؟!"

عيناه انزلقتا لساقها المتمايلة فوق الساق الاخرى فانزلتها سهر بتوتر وهي تهمس من بين اسنانها " فظاظتك لاتطاق .."

ردد بابتسامة مشعة

" لم تمنعك من الرضا بالزواج مني "

عندها ثارت كرامة الانثى فيها ...

ارادت دحره مهما كلفها الامر ...

لن تجعل اتمام هذا الزواج سهلا عليه كسهولة الموافقة التي فرضها عليها ..



انها سهر الاحمدي .. قوية ثابتة وتنال ما تريد ...

شمخت بذقنها والغرور يسيطر عليها لتقول بحسم ردا على جملته الاخيرة

" لكن فظاظتك هذه ستمنعني من اتمام الزواج سريعا كما تتمنى انت بيأس منذ سنوات.."

حدث أمر ما معه غفلت عنه سهر وهي غارقة بنفسها بينما يتمتم بنبرة غريبة

" اتمناه انا بيأس ومنذ سنوات ؟؟"

ردت والخيلاء تغلبها " نعم .. انت تتمنى ان تتمه الليلة قبل صباح الغد فلا تنكر ياسر..

انت لاتطيق الانتظار للحصول علي زوجة في بيتك..."

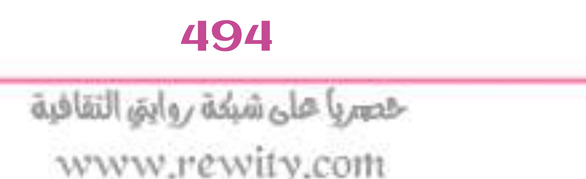
بنبرة صقيعية ونظرات جامدة سأل

" وانت متى تتمنين حصول هذا ؟؟"

ألهاها غرورها وتدللها وسعيها لفرض ارادتها عليه عن التقاط تغير مشاعره لتشمخ بعنفوان وثقة وهي ترد

" انا وضعت خطة زمنية ترضيني ... يمكننا اولا ان نقيم خطبة عائلية بسيطة الاسبوع القادم على ان نعقد القران بعد شهر من الآن ونقيم حفلا مهيبا لائقا بالمناسبة ... "





لاتعرف لم أجلت عقد القران لشهر .. ؟!

لكنها ارادت معاقبته .. يستحق ... سيرى اياما سوداء وهو يلهث خلفها من اجل لمسة لا قبلة حتى ..

سمعته يتمتم بغموض " والعرس ؟"

حدقت فيه وللحظة انتابها احساس غريب منه لكنها لم تتراجع وهي تقول ببعض التلكؤ

" ليس قبل .. ستة اشهر .. "

فتعود وتضيف بحزم ولهجة قاطعة

" ولن اتراجع عن شرطي هذا ... ابدا ..."

ظل ينظر اليها تلك النظرات الغريبة ...

لقد بدى غاضبا بطريقة لم تفهمها ...

كان في حالة لاول مرة تراه فيها ...

غاضب لكن بارد .. بارد جدا ...

تعودت على غضبه الناري وعنفه في التعبير ..

لكن هذا الصمت وهذا الغضب الجليدي النابض منه وتلك النظرات الغريبة وكأنه يراها بشكل مختلف ... وكأنها ليست هي !

انجذبت عيناها لشفتيه حالما تحركت تلك الشفتان الرفيعتان ليهمس بنبرة اقشعر لها جلدها " هل تظنين انك تخضعيني برغبتي فيك يا سهر ؟!"

رمشت وهي تستوعب تأثير الكلمات عليه هو لا عليها هي ...

قالت وهي تشعر انها تفقده بطريقة ما

" لم اقصد هذا ياسر .. دعني اشرح لـ..."

قاطعها بهدوء مرعب وعيناه يشتد جمود نظراتهما لتلامس بجمودها النفور .. النفور منها!!

" هل سمح لك غرورك ان تتوهمي بأنك ستلفيني لفا حول خنصرك الصغير مثلا ؟ ام تتصورين اني سأتوسل منك الرضا ؟! لقد ذهبت بعيدا بخيلائك سهر ... بعيدا جدا .."

غرقت سهر باحساس فظيع من سوء تصرف اقدمت عليه دون ان تعرف اين كان الخلل حقا...؟!

اجفلت بقوة بينما يأتي صوت العمة فائزة مرتبكا متحرجا قلقا من عند باب الغرفة

" ياسر .. بني .. جودا غادرت المكان ولااعرف متى غادرته حتى ! "

تحرك سعد بسيارته وهو يتثاءب يكاد النعاس يغلبه ..

نظر بانزعاج لجهاز التدفئة الذي يصدر صوتا مريعا !

اطفأه متحملا برودة ليل الشتاء على ان يتحمل مزيدا من الاصوات المزعجة ...

يكفيه نهار نابض بالاصوات البشرية المختلفة وصوت ماكنة عد النقود والهاتف الذي لايكف عن الرنين ... والمشاحنات والتفاوضات مع الزبائن ...

ومع كل هذا الضجيج الا ان احساسه بما حوله اكثر انسانية مما شعر طوال حياته ..

في بلاد الغربة كان الامر مختلفا ...

كل شيء هناك يدفعك للعمل بشكل متواصل دون توقف في سباق مع المجهول ...

اما دخوله اسهم البورصة ومراقبتها في صعودها ونزولها يجعل الذهن في حالة شحن لايطاق .. لكنه ادمان .. ادمان رهيب ...

تصبح الايام متصلة ليلها بنهارها ..

نمط سريع من الحياة يستعبدك ويحولك شيئا فشيئا لآلة لاتتوقف عن طلب المزيد ..

تكاد لاتشعر حتى بلهاثك وانت في الغربة ..

لايشعر الانسان بهذا اللهاث الا عندما توقفك يد حانية كيد امه وهي تسحبه من ذراعه صباحا ليتناول معها الافطار قبل خروجه ..

أو عندما تتصل به ظهرا حانقة منه لانه تأخر على الغداء الذي برد بانتظاره !

في الغربة لاتتنبه لندرة الاصدقاء بل انعدامهم رغم كثرة المرافقين والوجوه ...

ربما هو من كان مختلفا ولم يستطع التآلف مع احد بشكل عميق في غربته ..



ربما سعيه الحثيث لبناء مستقبله ألهاه عن النظر في عيون أناس حقيقيين من حوله ..

فلا أمه تشد اذنيه ولا اصدقاء مقربين يجبرونك على التواصل معهم بأريحية تفرضها العشرة ...

ولاجيران عاشرتهم طوال حياتك ولا أهل ولا اقارب يثيرون فيك نزعة الحماية ورابطة الدم....

ابتسم سعد ابتسامة أخاذة وهو يهمس بصوت مسموع لاذنيه

" و لا حبيبة .. بلورية العينين تأتي في وضح النهار لتضرب بقبضتيها على واجهة المكتب الزجاجية معلنة بصخب عن غيرتها الوحشية الآسرة .."

جودا ... بلورية العينين ... فتاة الادغال ... فتاته الخاصة جدا التي تحبه دون ان تدري او تفهم معنى ان تحب رجلا عدا اخاها ...

ترى كيف تشعر الليلة صغيرته ؟

هل يؤلمها قلبها الطفولي لان حبيب قلبها ياسر يخطب سهر ؟

كم يتمنى لو يروي شوقه لرؤية عينيها فقط لبضع لحظات لااكثر ..

لكنه وعد ياسر ..

ووعد نفسه ان يصبر عليها ..





انه لصالحها هي ....

وهذا ما كان يجعله يؤخر موضوع الارتباط بها..

لكن ما حصل حصل ولم يكن هناك بديل عن طلبها كزوجة من ياسر ...

رن هاتفه فالتقطه سعد مجفلا وحالما رآى الاسم تعالى خفقان قلبه .. لقد كان يعرف ...

يعرف انها ستتصل به الليلة ...

كان يعرف ويلهي نفسه عن التفكير طيلة النهار بانتظار مكالمتها ...

فتح الخط وهو يهمس بنبرة رجولية رقيقة

" مرحبا جودا ..."

جاء صوتها غارقا بالبكاء وهي تشهق وتقول

" اين انت ... انا اقف في البرد ... قرب ...مكتب الصرافة... المغلق .... الكريه .."

تصلبت ملامحه وهو ينظر للساعة التي تشير للعاشرة فقال كاتما حنقه

" انا قريب .. قادم اليك في الحال "

اغلق الخط وداخله يغلي ...

هذه الفتاة لن تكف عن رعونتها ...

ترجل من سيارته يكتم غضبه بشق الانفس بينما يراها تقف تحت عمود الانارة المقابل لباب مكتب الصرافة خاصته ...





كانت تبكي وتمسح وجهها كطفلة مشردة وحيدة على قارعة طريق شبه مظلم .. شبه مهجور ...

ابتأس من حالها بينما هبّة هواء بارد نثرت شعرها حولها بجنون .....

اقترب وهو يراها بنفس الملابس التي كانت ترتديها في الجامعة آخر مرة التقى بها ..

تلك الصغيرة الرعناء ستفقده عقله يوما ما ..

صوته سبقه وهو على بعد خطوة منها

" جودا ! ..ماذا حصل .."

لهفتها وهي تلتفت نحوه صرعت قلبه قتيلا ...

لم يشعر بنفسه وهو يقترب اكثر حتى اخذ ضباب انفاسها الدافئة تلامس صدره ..

دموعها تسيل من تلك البلورتين النادريتين اللتين تعكسان صورة وجهه ، نظراتها معلقة به وكأنه منقذها الاثير ...

تمتم في سره " هل تخدع نفسك يا سعد ان الصغيرة تحبك ام انك لاتعدو ان تكون ملاكا حارسا لامرأة تعيش طفولتها...؟!"

همس بصوت أجش " ما الذي أتى بك هنا جودا ؟ ولماذا تبكين صغيرتي ؟ يفترض ان تكوني جوار اخيك الليلة "



غامت عيناها بفيض جديد من الدموع

فتغلقهما وهي تنشج كطفلة غاضبة

وقبضتاها تتشنجان

" دمية الباربي البشعة تلك ... ستأخذه مني

.. اكرهها اكرهها .. المخادع وعدني ببناء

حمام خاص بغرفة نومي .. كان يحاول رشوتي

حتى لا اسبب له المشاكل مع تلك

البشعة..."

تساءل وهو يقاوم احتضانها " من تقصدين ؟"

تقترب منه فتمسه عفويا وهي ترفع قبضتيها

وتهتف بوجع " ستأخذ ياسر مني .. ستأخذه

مني يا سعد .."

تبسم رغم عنه ليرفع يده ويمسح دموعها

بافتتان بينما يهمس برقة يحاول التخفيف

عنها " تقصدين سهر ؟ انها فتاة لطيفة

وجميلة ستحبيـ..."

فتحت عينيها لتشع النيران البلورية فتدفع

يده بعنف عن وجهها وهي تصرخ فيه بجنون

" لاتمتدحها .. لااتحمل هذا .. انت تحبها مثله

.. سـ ... سـ .. سـ ... "

يداها ارتفعتا امام وجهها واصابعها تقوست في

تحفز هجومي تعكسه عيناها فيكمل لها

سعد وهو يحدق في اظافرها الطويلة المشذبة

بغير اعتناء



“ (سـ) ماذا صغيرتي ؟ ستخربشين وجهي ؟
تعودت على هذا منك لن أتاثر ...”

فجأة تراخت يداها وعادت دموعها لتفيض
وضباب انفاسها يغرق وجهه وهي تهمس
بحشرجة ألم وغيرة

“ انها .... جميلة .... جدا ..”

كتم تنهيدته وعيناه لاترى اجمل من وجهها
في ظلام الليل بينما يتمتم

“ وان يكن ؟! ماذا يهم ؟”

تمزق صوتها بالحسرة “ انا .. بشعة ... “

هذه المرة لم يستطع كتمان تنهيدته فهمس
بحرارة ولوعة توق “ ماذا افعل بك ؟! ...”

لكنها فقط تنشج بالبكاء حتى اغرقت
خديها ودموعها تتتساقط على ملابسها ...

يداه ارتفعتا رغما عنه ليحتوي وجهها بين
كفيه ويقول بنبرة رجولية مؤثرة

“ سهر من يفترض ان تغار من جمالك الباهر ...
حتى وانت بهذه الملابس التي لاتلائم مناسبة
عائلية مهمة كهذه الا انها تفوقينها جمالا
بمراحل ...”

اخذت تقاوم كفيه وهي تهدر فيه بعدم
تصديق “ لاتكذب .. لاتكن منافقا ... انا
بشعة ولااجذب الا القذرين ...”



لم يفلتها وهو يثبت وجهها لتطالعه فيضع عيناه في عينيها ويجبرها ان تسمعه وهو يقول بنبرة قوية

" لااحب ان اعيد كلامي ... لست كاذبا ولست منافقا ... ولست ..... "

تاهت الكلمات منه وهو يغرق في تلكما العينين ليتحشرج صوته بالقول

" ولست قذرا صغيرتي ..."

بدت تائهة وهي تحدق فيه لتتمتم

" انا لم اقل انك قذر......"

ثم اتسعت عيناها وعقلها يستدرك ما يقصده..

شعر بدفء وجهها تحت كفيه فادرك انها احمرت خجلا فأبعد كفيه بتردد وأنزل ذراعيه جانبا ثم أطرق برأسه يشتم نفسه !

تمتم اخيرا دون ان ينظر اليها

" جودا ... يا جودا ... تملكين جمالا يخلع القلوب من افئدتها .. "

همست اسمه بغرابة " سعد ؟"

فتنحنح وهو يضيف " لكنك تحتاجين لاكثر من الجمال الخارجي صغيرتي ... ما رأيته في سهر كان شخصها منعكسا على هيأتها ... انها فتاة ناجحة لكنك لست بأقل منها ... يجب ان .. تحققي نجاحا يتمناه لك ياسر ويجعله يشعر بالفخر بك امامها ..."





رفع عينيه اخيرا لها فوجدها تحدق فيه بانبهار مس قلبه فتهمس

" وماذا عنك ؟ هل ستفخر بي ؟"

رد وهو يبتلع ريقه بصعوبة

" انا ... اريدك ان تنجحي هذا الفصل ... اثبتي لي انك تستطيعين ... ستسعديني جدا لو فعلتِ ..."

سألت بنفس الانبهار الطفولي

" هل سيفرحك حقا نجاحي ..؟! "

رد بصدق نابع من قلبه

" الى درجة لايمكنك تصورها جودا ... "

اخذت ترمش ليضيف سعد بجدية وحزم

" لن تعاودي الخروج ليلا بمفردك هكذا وستركزين بدراستك فقط .. ولاتتصلي بي جودا خلال هذه الفترة لانك يجب ان تتعلمي احترام اخيك وان لاتفعلي امرأ يمسه او يمس كرامته بسوء... عديني انك ستنفذين ما أقول جودا .. عديني ..."

تطلعت اليه فتسأله بشك " انت تعني انك حتى لن تأتي اليّ في الجامعة ..؟ لتراني من بعيد ... "

ابتسامة تلاعبت بقلبه قبل شفتيه وهو يرد عليها " ولن تأتي اليّ انت ايضا في مكتب الصرافة ولن تتصلي ليلا .."



فتعبس وشهقة من أثر بكائها تخون انفاسها وهي تقول بتساؤل حزين " ولا نهارا ؟!"

فيؤكد لها برقة " ولا نهارا صغيرتي ..."

كانت شفتاها ترتعشان وكأنها على وشك البكاء مرة اخرى فلم يستطع منع نفسه من وعدها بالقول " وفي اخر يوم من الامتحانات الفصلية ستجديني انتظرك عند بوابة الجامعة لتخبريني انك أديت كل الامتحانات بشكل جيد او حتى مقبول ... "

تلك الشفتان المكتنزتان تبسمتا فاختلط الابتسام بالارتعاش في خلطة جذابة لتقول بطفولية " سأفعل لكن لاتتأخر ... نكمل الامتحان في الساعة الحادية عشرة ... "

رنّ هاتفه النقال قبل ان يرد عليها وحالما رآى اسم ياسر شعر بالضيق والذنب ففتح الخط وهو ينظر لعيني جودا بينما يرد على ياسر بالقول

" نعم ياسر .. وجدتها هنا في الشارع .. كانت تبكي ..."

رآى جودا تعبس وهي تتكتف وتقول بوقاحة

" قل له فليتركني ويهنأ مع باربيته البشعة "

نظرة تحذير من سعد جعلتها تتذمر بهمس غير مفهوم بينما يستدير وهو يكلم ياسر

" اعتذر ياسر .. لم استطع الا ان آتي اليها فالوقت متأخر وهي بمفردها هنا .. حسن .. لاتقلق .. سأنتظر معها حتى تأتي بنفسك لاصطحابها ..."





انهاك جسدي متراكم من قلة النوم وكثرة التفكير والسهر خارج البيت هائما في الشوارع دون ان يبصر مرتاديها ....

ما زال يهرب من غاليته ... ويهرب من نظرات امه التي تلاحقه ...

يا الهي ألا تكف عن ملاحقته ومحاصرته ؟!

ماذا تريد منه بعد ؟

لقد نفذ لها ما ارادت وها هو يعيش جحيم الانتظار ...

البيت اصبح خانقا له حتى لولو امتنع عن الاقتراب منها حتى لايلتقي امها ...

انه ينتظر الحكم بالاعدام ...

اجل ينتظره بيقين يفيض بالعذاب ..

غالية حالما تستوعب ما قاله لها على السطح ستلم اغراضها وترحل دون رجعة ...

ولن تكون قربه ابدا ...

ولن يراها ابدا ..

ولن يسمع صوتها ابدا ..

ولن تنادي اسمه ابدا ... ابدا .. ابدا ..

ستمحوه كما محت راغب ...

سترفضه من حياتها بأي صفة ...

لا أخ .. ولا سند ... ولا زوج للحماية ولا حتى بديلا للانتقام!



ستغيب غالية عن محيطه بالكامل فلا يراها...

ترى كيف سيكون طعم العذاب هذه المرة ؟!

اخذ رافد يرتقي درجات السلم بخطى بطيئة متثاقلة ... يده تلامس حافة الدرابزين دون ان تتكئ عليه حقا ...

انه في حالة يطفو فوق الاشياء ...

كل الاشياء ...

عقله فارغ ويخدعه بفراغ روحه ..

عند نهاية السلم تطلع يمينا حيث تقابلت غرفتا النوم الوحيدتان في هذا الطابق ...

اوشك ان يضحك بمرارة وهو يهمس بتعريف للغرفتين " غرفتي التي تسكنها غالية وغرفة زوجها راغب التي اسكنها انا ... الغرف مختلطة في تعريفها المتشابك كحال وضعنا المتشابك المزري ..."

على يساره ممر قصير حيث ينتهي بباب السطح وقبل باب السطح بقليل غرفة صغيرة جدا تستخدمها امه كمخزن لاغراض البيت التي لاتستخدم ...

اخذ يفكر الا يمكنه ان ينام هو فيها ؟

يستطيع ان يحشر نفسه حشرا بين كراكيب امه افضل من النوم على اشواك سرير راغب ...





ساخرا من حاله تحرك بخطوات مكتومة

حتى وصل الباب وفتحه بحذر كي لايصدر

صوتا ينبه لوجوده ...

لكن ... تكة باب اخر تعلن فتحها وصوت

هامس بنبرة جامدة " رافد ...."

تجمد في مكانه ويده تمسك بمقبض باب

غرفته تعتصرها عصرا ..

لم يلتفت اليها بينما صوته خانه ليخرج

متوترا متشنجا في اقصاه وهو يقول

" هل تحتاجين لشيء ؟"

فردت بنبرة بات يعتاد برودها

" التفت نحوي لو سمحت اريد ان اكملك .."

موجة غضب ثارت في داخله ...

يكفي هذا .... يكفي !

التفت اليها وهو يقول هادرا " لاتقولي شيئا

الآن غالية ... انسي كل شيء مما قلته ذلك

اليوم على السطح .. كانت حماقة ..."

تفاجأ بها تتطلع اليه بتماسك وثبات غريبين

والاغرب نظرتها التي لم يرها يوما في عينيها

لمعة غير مألوفة في تلك العينين جعلت

لونهما الثلاثي يختلط في وهج ناري واحد ..

امتزجت الالوان الثلاث وكأنه لم يكن لها

وجود من قبل ...



قالت ونبرتها هذه المرة تختلف بما تحمله من مشاعر مبهمة لم تصله

" لكنك وعدتني رافد .. اعطيتني كلمتك فكيف تريدني ان انسى ..؟! "

تاه في معنى الكلام كما تاه في تفسير حالة غالية فيسأل بقلق

" ماذا تقصدين ؟ اي كلمة اعطيتك اياها ؟ "

اسبلت اهدابها وهي تقول بصوت مبحوح

" لايهم ما اقصده ... المهم الآن انا موافقة ..."

ثم رفعت نظراتها لتلقيها في وجهه فتصرعه بثباتها !

" سأتزوجك حال انتهاء العدة..."

النبض في صدغيه ارتفع وهو يحدق في عينيها الباردتين كبرود الشتاء من حوله ...

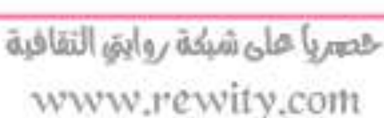
ثم شمخت بتعابيرها الباردة وهي تقول ببساطة " تصبح على خير.."

التفتت بعد ان القت قنبلتها تريد دخول الغرفة مرة اخرى .. غرفته هو ....

رباه .. ماذا قالت للتو ؟!

في ثانية واحدة اصابعه التفت حول زندها ليجرها اليه فترتطم عفويا بصدره شاهقة وبتلقائية فزعة اخذت تدفع صدره بعيدا عنها وملامحها منكمشة نفورا !

سكاكين .. سكاكين تكالبت عليه واجتمعت على تقطيع احشائه بوحشية ...



هدر فيها بهمس ثائر يفيض سخرية مريرة

" هل رأيت كم هو مقرف ومنفر ان ألمسك
فكيف تفكرين بقبول الزواج مني ..."

اخذت تقاومه وهي تردد بعنف

" دعني رافد ... دعني ..."

لكنه جن .. وكيف لايجن ... كيف لايفقد
نفسه كما فقد عقله ..

امسكها من الجانبين يهزها بعنف هو الآخر
ويهتف بها " كيف تفعلين هذا وتعلنين
موافقتك ثم تستديرين وانت تقولين ببساطة
تصبح على خير ؟! كيف تملكين قوة لفعل
هذا غالية ؟ "

اخذت تتلوى وهي ترد له بقساوة ضارية

" انت اعطيت وانا اخذت ... فتحمل نتيجة
عطائك كما سأتحمل نتيجة قبولي به "

لم يحتمل .. لا يستطيع ان يحتمل جرها اليه
عنوة يحتضنها رغما عن مقاومتها الشرسة
يميل بفمه لاذنها يهمس بحرقة من نبض قلبه
المكلوم بعشقها

" غالية ... طفلتي ... لاتفعلي هذا بنفسك
ولاتفعليه بي اتوسل اليك .."

هدأت بين ذراعيه لكن انفاسها تزمجر في
صدرها لتهمس بنبرة مخيفة تفيض قساوة





" هل تريدني ان ارفض يا رافد ؟ هل تشعر بالندم لانك تنازلت و رضيت بي .. انا ... فضالة اخيك !.."

صرخ بها وهو يعتصرها بين ذراعيه

" توقفي .... باللّه عليك توقفي ..."

كفاه يمران فوق ظهرها بينما يهفت صوته وهو يردد

" توقفي غالية .. توقفي ... توقفي"

فقد سيطرته وهو يميل بوجهه ليغرقها في رقبتها يلثمها بارتعاش مجنون ...

كله كان يرتعش ...

كله كان فاقدا لكله!

فجأة دفعته بعنف وهي تقول بهديرها القاسي البارد " اتركني ... انا لم أحل لك .. بعد ... ما زال عليك الانتظار لشهرين ونصف ..."

افلتها مفزوعا !

وارتد للوراء كمن صعق ...

لتصعقه اكثر بنظرات عينيها النافرة قبل ان تلتفتت وتدخل الغرفة وتغلق الباب خلفها تاركة اياه في ظلمة الممر بين البابين يخوض بانفاس مقطوعة في بحار مشاعره الهائجة ....



بعد ساعة ...

عند السور المطل على النهر ...

اختلط ضباب انفاسهما مع دخان سيجارة رافد ..

الصمت فرض عليهما وجوده الهادئ منذ اكثر من ربع ساعة ...

مال رافد بجذعه ليستند بمرفقيه على حافة السور الحديدي محدقا في جريان ماء النهر يتوق لأن يرمي نفسه فيه ..!

اما ياسر فيقف وقفته الشامخة ويداه في جيبي بنطاله يحدق هو الاخر وتعابيره شديدة الجمود ...

رمى رافد عقب السيجارة في النهر وهو يتمتم بهمس مفضوح

" تبا لك ايها النهر لماذا لاتغريني اكثر وتتلقف جسدي المحترق بنيرانه ..."

سأل ياسر بهدوء

" ماذا يحدث لك يا رافد ؟ "

تنبه رافد لما افلت من لسانه فاستعدل في وقفته ليواجه صديقه ويسأله

" دع ما يحدث لي واخبرني بما يحدث لك يا صديقي ..."

عينا ياسر لم تطرفا حتى وهو يحدق في رافد ليضيف رافد بتنهيدة







" فقط اخبرني لماذا لاتشعر بفرح مجنون بعد ان حققت حلم شبابك بالزواج من سهر ...؟"

احتدت نظرات ياسر لكن رافد لم يأبه لينفجر فيه قائلا المزيد

" لاتنظر الي هكذا! يكفي يا ياسر .. يكفي سنوات مرت وانت لاتنساها ام تظنني لم أكن أعرف ؟!.. قد اتفهم ايام الجامعة انك لم تستطع المصارحة .. لم تستطع حتى الاقتراب .. هي كانت مغرورة معتدة بنفسها ولديها مستوى توقعات للعريس مرتفعة جدا وكانت تجاهر بهذا بينما انت كنت مجرد شاب في مقتبل العمر وبكبرياء لعين لم يثبت نفسه في الحياة ولايملك ما يقدمه لها حقا ليرضي مستوى توقعاتها ... لكن الان وضعك مختلف وهي ايضا مختلفة .. وقد حصلت عليها حقا واصبحت ملك يمينك خلال فترة قياسية ايها المحظوظ الغبي ! "

خفتت بعض الحدة من نظرات ياسر لكنه أحاد بوجهه ليحدق امامه بينما يسترسل رافد اكثر والغيظ يقتله

" اجبني ياسر ... ما الذي يقتل فرحتك الليلة؟ ما الذي جعلك تتصل بي وتطلب رؤيتي عند هذا النهر البارد الذي سيقتل احدنا يوما ما ..؟ لماذا لاتقضي الليل في مكالمات عاطفية ساخنة مع خطيبتك ؟ اخبرني ياسر .. اخبرني ما هي المشكلة ؟"



تمتم ياسر بنفس النبرة الهادئة

" لم اخبرك .. سعد طلب الزواج من جودا قبل بضعة ايام ..."

حدق رافد ببلاهة في ياسر قبل ان يضيف الاخير

" لم تعرف جودا حتى الان وانا طلبت منه الانتظار حتى تنهي امتحاناتها الفصلية لنرى ان حدث معها تحسن ..."

انفجر رافد ضاحكا بهستيرية هذه المرة حتى دمعت عيناه فرفع سبابته يمسح دمعة عالقة بزاوية عينه اليمنى وهو يتمتم ساخرا بفكاهة

" الحمد لله هناك واحد من الفرسان الثلاثة يعيش حياته بشكل طبيعي ! "

لم يشاركه ياسر الضحك بل ظلت تعابيره على جمودها بينما يستعيد رافد هدوءه لتكتسحه كآبة ألمه المزمن !

اخرج سيجارة جديدة ليشعلها وبينما يأخذ النفس الاول سمع ياسر يقول بنفس الجمود

" انا اعشق سهر بجنون ! "

لم يصدق رافد ان ياسر نطقها حقا ليأخذ نفسا آخر من سيجارته وهو يقول بارهاق ساخر

" يا رجل ظننت اني سأنتحر قبل ان اسمعها منك ! الآن اين المشكلة لأن عقلي لايستوعب ؟ "



فالتفت ياسر لصديق عمره وعيناه تموجان بغضب رهيب مكتوم قائلا بصوت متحشرج

" المشكلة .. اني اعشقها بجنون ولااريد هذا الجنون ..."

رافد يغلي من الداخل ليقول بانفلات مجنون مصبوغا بفكاهة ظاهرية

" حقا انها مشكلة عويصة ! ما رأيك ان نتبادل الآراء ؟ فأنا لدي مشكلة من هذا النوع تقريبا .."

ارتعشت يد رافد التي تحمل السيجارة بينما يمج منها بشراهة ثم اضاف بنبرة تفيض عذابا

" انا أعشق زوجة اخي بجنون وأكاد أموت جزعا وخوفا من ان أشفى يوما من هذا الجنون!"



الفصل الرابع عشر

بعد شهرين ...

تناولت سهر لقمة اقتطعتها من عجّة البيض بينما تنهيدة تفلت منها لتهمس بشرود

" مضى اكثر من شهر على سفره لذلك البلد.. متى سيعود ؟! "

ابعدت هاجر عينيها عن مراقبة رافد من بعيد وهو يتكلم بترحاب مع بعض الزبائن لتركز بعينيها على ابنة عمها وهي تقول باهتمام

" ألم تقولي ان الامور تعرقلت هناك .. وتوجد قضية ومحاكمة ؟ "

هزت سهر كتفيها وهي تضع شوكتها جانبا وتقول بضيق شديد

" هو من قال لكن دون توضيح ... كالعادة .. كل ما اعرفه انه ذهب لاجل محاولة استعادة ارث لجودا اما التفاصيل فلا احصل منه الا على نبذات شديدة الاختصار والبرود ... "

امعنت هاجر النظر لابنة عمها فتسألها بصراحة

" ما الذي يضايقك سهر .. على ما يبدو ليس الاشتياق وحده من يقض مضجعك كما ظننت ..."



تفاجأت هاجر من ارتعاش يد سهر وهي تتحرك على المائدة بينما تقول بهمس متحشرج

" في الفترة قبل سفره .. تشاجرنا .. وسافر ونحن لسنا على وفاق .. الواقع منذ حفل خطوبتنا المختصر كنا متباعدين كما لم نكن يوما !.."

ابتسمت هاجر ابتسامة جذابة ناحية رافد الذي تنبه لها اخيرا فلوح لها بتحية من بعيد فترد له التلويح قبل ان يتحرك ناحية الممر المؤدي لادارة المطعم لتعود هاجر بتركيزها لابنة عمها وهي تقول " لقد سبق وقلتِ هذا لكنك لم توضحي لي ابدا تفصيل ما حصل .. تصورته شجار العاشقين لااكثر "

شوحت سهر بيدها في حركة نزقة مرهقة وهي تقول " انتِ كنت مشغولة بمشاكلك مع المحطة الفضائية ولم أرد التثقيل عليك ..."

ابتسمت هاجر بتعاطف رقيق وهي تهمس لسهر بمحبة صادقة " اسفة عزيزتي حقا انشغلت عنك ... الآن اخبريني بما حصل "

تطلعت سهر في عيني ابنة عمها لتقول باحباط واضطراب واضحين

" ظننت اني ساسيطر على الوضع واستعيده بعد الغلطة التي ارتكبتها معه ليلة أتى لخطبتي من والديّ .. رغم اني ما زلت مصدومة من ردة فعله القوية لكن هو ذو كبرياء مرضي لعين!..."



تنهدت سهر قبل ان تضيف " بعدها.. الامر ازداد سوءا .. انه يتعامل معي ببرود غريب وغموض قاتل منذ تلك الليلة ... نأى بكل عواطفه عني واصبح اقرب لـ(خطيب تقليدي مؤدب ... لايطاق ! "

ضحكت هاجر رغما عنها وهي تقول

" الأدب اخر ما اصف به ياسر ناهيك عن تعبير (تقليدي) الذي لايمت لشخصه بصلة "

رفعت سهر حاجبيها في تحفز وهي ترد باسترسال منفعل

" أرأيت ؟! انت نفسك تستغربين ان يكون ياسر بهذه الصفات ... انا لم اصدق حين اتصل بوالدي في اليوم التالي ليعلن رضاه عن موعديّ عقد القران وحفل الزفاف ! هكذا ببساطة وبكل برود يتصل بأبي ليخبره بدلا من ان يتصل بي انا ؟! ثم في يوم عقد القران في المحكمة يغادرنا بعد اتمام العقد ليلحق برحلة طائرة لم يخبرني عنها مدعيا سفره لأمر طارئ ... يا الهي هاجر .. لم ينظر حتى نحوي في المحكمة وردد عبارات الزواج خلف القاضي الشرعي ببرود قاتل ثم يخص والدي باعتذاره المختصر وانه لايعرف كم سيغيب ! لم يفكر حتى بوالدتي التي ارهقت نفسها باعداد الدعوات لحفل عقد القران وكل تخطيطاتها لاقامته بعد يومين من العقد في المحكمة .. تركنا نعيد ترتيب كل شيء ونلغي الاستعدادات التي اقمناها فعلا ،



ولولا لطف عمته فائزة ومشاركتنا في كل هذه الامور لما استطعت تهدئة امي وحملها على مسامحته على قلة احترامه وشحّة لباقته... ويا ليتني اعرف سببا حقيقيا لكل هذا !... شهر خطوبة بارد لينتهي بعقد قران سريع اشد برودا بين أروقة المحاكم ثم يتشاجر معي ويتركتني لشهر آخر مسافرا دون اني يطلعني متى سيعود حتى! لماذا كان لئيما لهذه الدرجة ولم يدعنا نقيم حفلا بمناسبة عقد القران ؟! "

تنهدت هاجر وهي تمسك يد سهر المرتعشة فوق طاولة الطعام المربعة لتقول لها بلطف

" لماذا تعودين لنفس الموضوع وتشككين باسبابه ؟... ألم يقل بسبب امتحانات اخته جودا ايضا ؟"

هدرت سهر وهي تسحب يدها من يد هاجر

" انه يكذب .. كان يستطيع تأجيل سفره ولن نؤثر بليلة واحدة على دراسة جودا ..."

ثم ارتعشت نظراتها وهي تحدق في هاجر بألم واضح وتضيف

" انه يعاقبني يا هاجر ... عيناه تسخران في تحد بارد مني ان كنت املك الجرأة على تكذيب تبريراته او الاعتراض عليها ...



لقد وافق حتى على اقامة الزفاف بعد ستة اشهر هل تصدقين ان ياسر يستسلم بهذه البساطة ؟ لقد ظننت سيقيم الدنيا ولن يقعدها ! "

ازدادت نظرتها ألما وهي تهمس بحشرجة

" انه حتى لم ... يتقرب مني ولا مرة واحدة خلال شهر الخطوبة .. يتباعد عن تعمد اثناء زيارته لي في شقة عائلتي ويقضي اغلب الوقت في مناقشات اقتصادية مع والدي ! "

بصراحة مباشرة واجهتها هاجر

" انت من بدأ يا سهر .. ام نسيتِ انه اصريتِ على اخذ اجازة من العمل حتى يوم عقد القران في المحكمة وحصرت كل المقابلات في محيط اسرتك .."

ردت بضيق وانفعال

" كنت غاضبة منه .. غاضبة لانه لم يرد على اي من مكالماتي تلك الليلة البغيضة .. رغم اني ارسلت له الكثير من الرسائل النصية اعتذر منه لاني تدللت عليه واسأت التعبير دون ان اقصده ... لكنه جلف فظ القلب ولايسامح بسهولة .. لاسبوع كامل بعدها لم يكلمني واكتفى بمكالمة ابي حتى رأيته في حفل الخطبة .. باردا متباعدا بشكل لايطاق ... "





اخذت هاجر تربت على يدابنة عمها مرة اخرى وهي تقول

" اهدأي عزيزتي .. اهدأي .."

لكن سهر غرقت في افكارها فتحني رأسها وتشبك يديها مع بعضهما في توتر ملحوظ لتهمس وكأنها تحدث نفسها

" اشعر اني اخطأت في تقدير الامور معه .. هناك حلقة مفقودة سأموت لأصل اليها ولا اعرف حتى الطريق الذي يجب ان اسلكه وهو بعيد عني هكذا ... انا غارقة في التخمينات وتائهة وسط غياهب ظلمة الجهل اتخبط ! ماذا يفترض ان افعل وماذا يفترض ان لا افعل ؟!

انه صعب ... صعب جدا ... لغز كبير .. محكم الاغلاق ... متناقض ..."

تمتمت هاجر بتساؤل " ماذا تقصدين ...؟""

رفعت سهر وجهها لابنة عمها وهي تقول بحيرة وغيظ

" انه يكره ان اتشرط عليه .. لكن ... في امور اخرى يستمتع بتشرطي وتدللي ..! حتى لو كنتُ تماديت تلك المرة لم يكن هناك من داع لكل هذه القسوة منه تجاهي ..."

رفعت اناملها لشعرها ثم تنزلها لحافة بلوزتها في حركة مضطربة وارتعاش انفعالي واضح لتهمس بضيق شديد وغيظ اشد

" اشعر ان عقلي سيتوقف عن التفكير .. انه يخفي عني امورا .. حتى عمتي فائزة اثبتت انها كتومة بامتياز ومناصرة له بولاء منقطع النظير وكلما اسألها عن شيء يخص ياسر تتهرب بلباقة وتلمح لي ان اسأل ياسر اما اخته جودا فهي تتجاهلني بطفولية دوما وما ان ازورهم في البيت حتى تتركني وتصعد لغرفتها لتتكفل العمة فائزة بالتبرير انها منشغلة بامتحاناتها ... لكن تلك الفتاة توترني بغضبها الصامت المشع نحوي .. لقد امسكتها مرة تخرج لسانها نحوي بشكل طفولي معيب ! هل تصدقين ؟! انها تكرهني ولاتطيق وجودي في حياتهم .. في حياة ياسر تحديدا ..."

قالت هاجر بتعاطف

" هوني عليك يا سهر .. الفتاة صغيرة وتبدو غيورة على اخيها الاكبر .. امنحيها الوقت لتعتاد عليك .. كل ما عليك الآن التركيز مع ياسر واتركي موضوع اخته .. اسأليه هو مباشرة وبشكل صريح عن أي شيء يخصه .. انتما زوجان الآن ولم يتبقَ الا بضعة أشهر لتزفي عروسا لبيته ..."

بابتسامة ساخرة مغتاظة قالت سهر

" كيف اسأله وهو لايريد مني السؤال ؟!! "

رن هاتف هاجر فالتقطته لترد عليه بينما تطلق سهر تنهيداتها المحبطة ...



انشغلت عنها هاجر بمكالمة مع العمل بينما تتطلع سهر لخاتمها ذو الحجر المميز والصياغة المبهرة ... حجر بلون عينيها ... قدمه لها ياسر ببرود شديد ليلة حفل الخطبة الكئيب الذي اقاموه في شقة والدها ... حفل ضيق لم يحضره الا المقربون جدا من العائلة ...

كان يفترض اقامة حفلا آخر بعد عقد القران يليق بمركز والدها وطموحات امها ...

لكن ياسر خذلها ... خذلها جدا...

انهت هاجر المكالمة لتقف على قدميها وهي تقول معتذرة

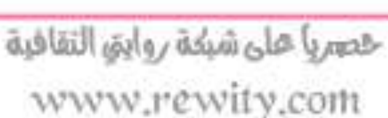
" عذرا حبيبتي .. يجب ان اذهب حالا .. مشاكل جديدة تنتظرني في العمل ... يبدو انني سأقدم استقالتي من هذه المحطة قريبا.."

هزت سهر راسها وهي تقف على قدميها لترافق ابنة عمها حتى باب المطعم ...

غادرت هاجر لتعود سهر بخطوات كئيبة داخل المطعم وبينما تمر بأحدى المزروعات الضخمة في احدى الزوايا بداية الممر المؤدي للادارة لاحظت بعض الوريقات الصفراء فعبست بغيظ لتقترب وتقتطع الوريقات الذابلة وتعتني بهيئة الزرع...







صوت رجولي و .... " تعالي شهد سيعجبك الافطار .. سمعت انهم يقدمون الافضل ..."

تجمدت يدا سهر لتسارع بحركة تلقائية لاخفاء نفسها بالكامل خلف الزرع بينما تستوعب الصوت الرجولي الذي لاتخطئ في تمييز هوية صاحبه ...

خطيبها السابق ... اسامة الهاشمي !

كتمت انفاسها بينما يمر بها اسامة غافلا عن اختبائها منشغلا بكل اهتمامه للمرأة التي يضم كفها بكفه بتملك عاطفي ...

امرأة ذات شعر حالك السواد طويل وكثيف فيغطي جانب وجهها ..

امرأة بفستان حمل !

اختنقت رغما عنها وهي تفكر

" شهد حامل للمرة .....الثالثة "

اختار اسامة طاولة منعزلة ملاصقة لاحد الشبابيك بعد ان رفضت شهد الجلوس في الخارج لبرودة الجو ...

وضع النادل فنجاني قهوة كما طلبا مقدما حتى يختاران فيما بعد وجبة الافطار ...

يجلس جوارها وعيناه تطالعان باثارة لحركة اعتادها من شهد مع فنجان القهوة ...

همس بصوت رائق مبحوح

" احب حركة اناملك حول دائرة الفنجان تجعلني افكر بـ..... ليلة الامس .."



رفعت شهد عينيها الواسعتين اليه تناظره بتوبيخ رقيق لنظراته الجريئة الفاضحة والمعاني التي يقصدها لتتسع ابتسامته وتذوب نظراته فتصبح بلون عجيب وهو يضيف بصوت أجش

" تذكرني بأول شعور لدي عندما اصبحتِ قربي .. قربي حقيقة انا وحدي ... متعلقة بي ومتشبث بك ... لااستطيع مهما حاولت وصف احساسي عندما تلقفتك بين ذراعي تلك الليلة لاخذك معي ... بعيدا ... ملكي وتحت يدي ..."

همست شهد " كنت مجرد محظوظة ان تلقفتني ذراعاك ... "

ثم سرحت بنظراتها لتعود لحركة اصابعها حول الفنجان وهي تقول ببعض المرارة

" لكن ستظل هناك الف الف شهد تتلقفها الاذرع القذرة في ليالي قهر موحشة !"

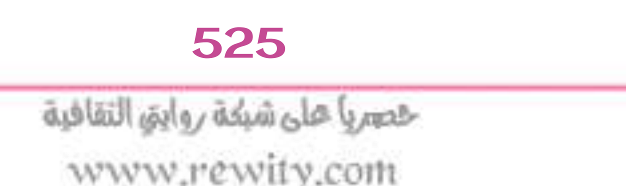
امسك اسامة يدها يحتضنها بتملك حار بينما يسألها

" هل يقلقك لهذه الدرجة انك تحملين بتوأم؟ "

همست بنبرة تحمل نوعا من الأسى

" بنتان ... انهما بنتان يا اسامة .. سأنجب لهذا العالم الذكوري القاسي بنتين ..."





تطلع حوله للحظة ثم دون حرج ومستغلا خلو المكان غافلا عن (تلصص انثوي) من خلف الزرع الجانبي ليرفع يد شهد لشفتيه يلثمها بحرارة وهو يهمس برقة

" بل شهدان ... لقد تمنيتهما من ربي كما تمنيت امهما قبلهما وربي اعطاني ..."

ترقق صوتها وفاضت عيناها عشقا لهذا الرجل المميز فتؤنبه ببعض الفكاهة هامسة

" ألم تتمكن من تمني (شهد) واحدة بدلا من ثلاثة ؟! "

رد بنظرات حارة تفيض عشقا

" من كثرة ما تمنيتها اردت ان تتكاثر الشهدات في حياتي ... ربما لأصدق ... فما زلت استصعب التصديق يا شمسي .."

سألت متوردة من مزاجه الرائق الدافئ هذا الصباح " تصدق ماذا ؟"

اعتصر يدها في كفه وهو يهمس قرب خدها

" لأصدق انك معي ... هنا .."

ضحكت بخفوت بينما يرفع كفها لصدغه ويهمس بذوبان

" كما انتِ منذ الازل ... هنا .."

تمتمت شهد بخجل

" توقف اسامة ! ما بالك اليوم ؟"





لكنه لايبالي ليضيف بذوبان اشد حرارة وهو ينزل بكفها لصدره يفترش اناملها على قلبه هامسا

" وهنا ..."

انفاس سهر تعلو وتهبط في انفعال عاطفي رهيب وهي ترى اسامة الهاشمي بهذه الحالة من التعبير عن العشق ....

لاتصدق ما سمعته يتفوه به لزوجته شهد ولاتصدق ان تلك العينين الداكنتي الخضرة اللتين ما عرفتهما الا ساخرتين بغموض يمكن ان تذوبا بتلك الحاجة والتوق لأمرأة.. اي امرأة مهما كانت ... انه لايخجل ان يعبر امامها بكل هذا الانفتاح...!

اصابع شديدة القسوة والخشونة التفت حول زندها وقبل ان تشهق مجفلة كان صوت اكثر قسوة وخشونة يهمس قرب اذنها

" يا له من مشهد (خضوع رجولي) مؤثر لدرجة تثير القرف ! يستحق منك تلصصا مخزيا كهذا "

قبل ان ترد بشيء كان يسحبها بعنف للخلف متراجعا بها بعيدا عن مكان تلصصها ليذهب يمينا حيث الممر المؤدي للادارة..

في الطريق التقيا برافد الذي اظهر مفاجأته وهو يقول " ياسر ؟! متى وصلت ...؟"

رد ياسر بعنف مكبوت وهي يسحب سهر بجانبه " فجر اليوم ... "



فتح رافد فمه ليتكلم عندما اوقفه ياسر بالقول وبنبرة متفجرة

" ليس الآن رافد .. لااريد احدا ان يدخل علي مكتبي لأي سبب مهما كان .. سأقتل من يطرق الباب ...."

كتم رافد ضحكته وهو يحدق بوجه سهر الشاحب الممتقع وملامحها التائهة !

تمتم رافد وهو يراهما يتجهان نحو باب مكتب ياسر " المجنون .. يوما ما سيوقف قلب الوردية رعبا ! "

ارتجّ داخلها مع ارتجاج الباب الذي اغلقه ياسر بعنف رهيب ....

صدرها يعلو ويهبط اكثر مما كان وهي تراقب متلصصة على مشهد اسامة وشهد ...

تواجه اعصار الغضب الهائج على مقربة منها بينما تلتصق بحافة طاولة مكتبه خلفها ...

تقدم منها (الاعصار) صارخا كالمجنون ونظراته اشد عنفا وجنونا

" هل هذا ما تريدينه من الرجال ؟ اذلال وتوسل وخنوع ..؟ افيقي يا سهر ... افيقي ... هذا لن يحصل ابدا ... لاتنتظرينه مني يوما .. ولن ترينه مع رجل غيري ... فتوقفي عن نظرات التحسر هذه كلما رأيته ..."



تقدم مزمجرا ليمسك ساعديها بقساوة مفرطة هادرا بها بعنف وعيناها تشتعلان بالنيران السوداء

" ستدفنين معي يا سهر هل تفهمين ؟ افتحي عقلك الغبي واستوعبي قدرك ... قدرك معي انا ... وانا كما انا ... لن أكون يوما ولا حتى في احلامك كما تريدين انت ..."

تحدق فيه بذهول مرتعب .. وجهه القريب وجسده اقرب وكل شيء مشتعل بينهما ...

انتفضت غريزتها الشجاعة لتهدر فيه بتحد وجنون يقارب جنونه

" وانا سأظل اتحسر يا ياسر ... ما دمت تحرمني من حقي فيك سأظل بحسرتي ولن أكتمها عنك ... ليس مع اسامة الهاشمي فقط وانما سأظهر هذا التحسر كلما رأيت رجلا يعبر عن عشقه لمعشوقته ... "

اتسعت عيناه بغضب أسود لكنها لم تتراجع بل اقتربت بوجهها اكثر حتى اوشكت شفتاها ان تلامسا شفتيه لتهدر بالمزيد

" افعل ما تشاء واصرخ كما تشاء .. لن تخيفني ولن ترهبني ... انا ايضا ساصرخ بحقي فيك وبطريقتي ..."



اصابعه تنغرز بضراوة في لحمها عبر بلوزتها الرقيقة فيبعدها قليلا عنه لكنها لاهية عن هذا العنف الجسدي لتواجه عنفا روحيا من نوع اكثر خطورة ...

لن تسمح له بقمع احتياجها ليعبر عن كل مكنونات صدره ...

ليس العاطفي فقط بل وكل شيء ...

حدسها الاثنوي في أوج قوته ونشاطه وسط هذا الاعصار الذي يلفهما معا ...

لم تتأخر في تلبية اشارات حدسها ففاجأته وهي تميل لتلصق جسدها به التصاقا ..

صدره كالحجر الصوان لكنها لم تبالي وهي ترفع كفيها تحشرهما بين جسديهما لتتشبث بقميصه فتجره جرا نحوها وبجرأة لم تتخيل يوما انها ستصل اليها هدرت فيه وعيناها تشتعلان بنظراتهما نحوه

" انا .... احبك ..."

وفي اللحظة التالية وقبل ان تخونها شجاعتها ألصقت شفتيها بشفتيه ...

دفعها ياسر بقسوة رهيبة لكنها كانت في حالة عناد لاتوصف لتعاود الاقتراب وجذبه من قميصه وهي تهمس باصرار

" احبك .."



صرخ فيها وجسده يتشنج

" يكفي .. لاتنطقيها الآن .. يكفي .."

لم تطعه لتعاود الصاق شفتيها بشفتيه لتقبله هذه المرة بحرارة هستيرية مفعمة بوجيب قلبها المحترق شوقا وعشقا ...

كان جسدها يرتعش باللهفة وعنف الاشتياق وقوة العواطف ...

قلبه يخفق بجنون تحت كفيها لكنه قاوم بعنف اشد ليدفعها بوحشية جعلتها ترتد بجسدها للخلف فتقع لاهثة متقطعة الانفاس على طاولة المكتب مستندة بمرفقيها ...

تحدق فيه بعنفوان مجنون ...

وهو يبادلها بعنفوان اشد جنونا ...

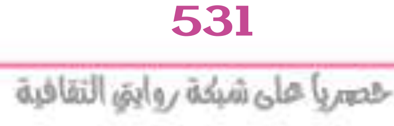
لم تتحرك من شبه استلقائها على الطاولة امامه لتبتسم ابتسامة محاربة شغوف لاتعرف اليأس وهي ترى صدره يعلو ويهبط بعنف وشفتاه ملطختان بأحمر شفاهها بينما عيناه تخوناه بالمشاعر الوحشية التي يقاومها ...

زمجرت بخشونة لم تعرفها في نفسها من قبل

" انت زوجي ... ملكي ... وانا احبك .... اعشقك ..."

جنّ وفقد سيطرته وفي لحظة كان يبطحها بجسده يكتسحها بمشاعر هادرة مجنونة مكبوتة من سنوات طويلة ..





ينهم منها بضراوة عاطفية مخيفة ويكاد يحطم عظام جسدها بين صلابة جسده وصلابة سطح مكتبه ...

لم تشعر بهذه الهستيرية العاطفية في حياتها بل لم تتخيل وجودها !

ولم تفق من تلك الهستيرية والانفلات الا عندما شعرت بيديه القاسيتين تمتدان بجرأة تحت بلوزتها لتبدأ بمقاومة انفلاته بل انفلاتهما معا....

" ياسر توقف .. لا .. توقف ..."

لكنه كان فاقدا للسيطرة وبعنف حركاته سقطت اغراض المكتب متناثرة على الارض لتصدر ضجة هوجاء وهي تقاوم جنونه لتتوسله بصوت متحشرج

" ياسر .. ارجوك .. نحن في المكتب .. توقف ستفضحنا ايها المجنون .. توقف حبيبي ارجوك ...ارجووووك ...."

سكن جنونه باستجابة فورية لتوسلها ...

انفاسه تهدر عند رقبتها واصابعه منغزرة بلحم خصرها ثم ... ابتعد فجأة ... ابتعد بكليته وهو يشتم ودون ان ينظر نحوها استدار موليا اياها ظهره ...



تحركت وهي تشعر بألم في كل جسدها ترتعش من عنف العاطفة ..

يداها ترتجفان وهما تعيدان ترتيب بلوزتها الناعمة فوق بنطالها الخمري الانيق ...

تطلعت لظهره المتشنج ..

لم يكن يرتدي الا قميصا بكم طويل فبرزت بوضوح كل عضلة متشنجة في ذلك الظهر العريض ...

نادته بهمس " ياسر .."

زجرها بهمس عنيف مبحوح

" توقفي عن الكلام ... فقط توقفي ... "

مرت لحظات من الصمت وهي تحاول السيطرة على ارتعاشها وارتباكها عندما سمعته يهمس بنبرة باردة

" اذهبي لحمامي الخاص واعيدي ترتيب ... هيئتك .."

أطاعته وهي تشعر ان قواها خارت من هذا العنف الذي تبادلته معه ....

وفي الحمام صدمتها عنيفة وهي تناظر صورتها المنعكسة في المرأة !

شعر مشعث بجنون وبلوزة متمايلة بعبث وبشرتها الحنطية تملؤها آثار قبلاته الخشنة..





بارتعاش خجل فتحت الصنبور فتملأ باطن
كفها من الماء البارد لتلقيه على وجهها
ورقبتها بينما ذهنها يرتعش بافكاره ....

في بيت سعد ...

لاحقته كعادتها وهو يخرج للمرآب فتكاد
تتعثر من شدة حماستها ولهفتها هذا اليوم
لتعود وتؤكد عليه

" سعد .. لاتغرق في العمل وتنسى موعد
جودا... الامتحان سينتهي عند الحادية عشرة
تماما .. هل سمعت ؟ ويفضل ان تكون هناك
بوقت أبكر... "

طالعها بطرف عينه وهو يفتح باب المرآب

" نعم امي .. لاتقلقي "

تحركت خلفه وهو يعود لسيارته وقبل ان
يفتح باب السيارة امسكت ساعده تنظر
لقميصه بعبوس " اين سترتك يا ولد ؟! "

تمتم وهو يميل لخدها يقبله

" الجو قليل البرودة اليوم .. لاتقلقي لدي سترة
في المكتب اذا شعرت بالبرد "

بان عدم الاقتناع والرضا لكنها عادت للبّ
الموضوع الاساسي وهي تقول بحزم

" احضر لها هدية غالية .."





فتح الباب ليدخل في مقعده وهو يقول

" ليس الآن امي .."

شهقت باستهجان واستنكار مبالغ فيهما

" لماذا يا فتى ؟! يجب ان تفرحها بشيء خاص"

ثم شغل السيارة وهو يرفع رأسه اليها ويقول

بابتسامة تقنع الصخر ان يذوب عن صلابته

" عندما تتم الخطبة سأغرقها بالهدايا .."

اغلقت بنفسها الباب وملامحها تشع بالرضا

والارتياح وحتى احلام اليقظة السعيدة ...

لتردد وكأنها تكلم نفسها

" متى سيكون العرس يا ربي ؟! فقط لو أكلم

عمتها بنفسي ..."

فتح سعد شباكه ليقول محذرا اياها بتشديد

" اياك امي .. ياسر ليس غريبا عنك وانت

تعرفين كم طبعه صعب منذ ايام الجامعة ،

لقد اتفقت معه ورضيت شروطه بالانتظار

لشهرين .."

اشفق عليها من تغير ملامحها التي امتدت ريشة

الاحباط لترسمها !

كان خطأه ان اخبرها من تكون جودا ..

لكنه لم يستطع الخلاص من ألحاحها لو لم

يخبرها ان جودا هي اخت ياسر الصغرى وان

ياسر طلب مهلة حتى تنهي الامتحانات على

خير ...

لم يخبرها بكل شيء بالطبع ..



بل أمعن التدبر بحذر وتأن في الحقائق حول جودا ليختار منها ما يرضي امه وفضولها دون ان تعرف التفاصيل ...

اول ردة فعل لها كان التشكيك !

فأمه تتمتع بذاكرة قوية وحالما اخبرها انها اخت ياسر سارعت للقول ان ياسر لااخت له ..

بل جرته من اذنه بقسوة امومية وهي تتهمه بالكذب عليها ...

فاضطر ان يخبرها ببعض التفاصيل المنتقاة ..

ان جودا اخته من ام ثانية تزوجها والده في بلد اخر وبقيت هناك مع جدتها حتى وفاة تلك الجدة لتأتي وتعيش مع العمة فائزة ...

لحسن الحظ امه لم تركز كثيرا بباقي التفاصيل فقد غلبها التعاطف مع جودا لتدمع عيناها وهي تذكر ربيبتها جدايل ابنة اختها اليتيمة التي لاتفتأ عيناها تدمعان كلما ذكرتها ...

لكن لسوء الحظ ايضا فأمه رسمت صورة لجودا تكاد تطابق صورة جدايل ...!

تمتم سعد في سره وهو يطالع وجه امه

" كم اتمنى لو تبقي يا امي على تعاطفك ! فلا وجه للشبه ولا حتي للمقارنة بين الفتاتين..."



قاطعت امه افكاره وهي تقول بغيظ نسائي

" لاافهم ياسر! لماذا يعقد الامور ؟! وماذا ان كانت متعثرة قليلا في دراستها انت ستساعدها ولن تلهيها عنها .. انه يعرفك عن قرب ويعرف قدراتك كرجل مدرك ومتفهم ..."

هذا الحوار لن ينتهي ابدا !

بل يتكرر بشكل يومي منذ شهرين ...

تنحنح سعد وهو يقول لامه

" امي لقد تأخرت عن عملي .. ولدي الكثير لانهيه قبل ان اذهب لجودا ..."

سارعت منيرة للابتعاد عن السيارة وهي تحثه بالقول

" اجل اجل ... اذهب... اذهب بني .. اريدك ان تنهي كل امورك قبل الموعد "

ثم غمزت وهي تضيف بابتسامة منشرحة

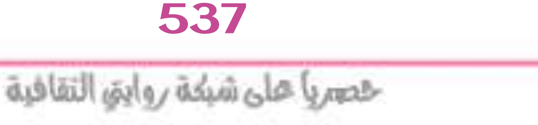
" قبّلها نيابة عني .."

امال رأسه وهو ينظر اليها بتوبيخ رقيق لتسارع بالقول مدعية البراءة " شفهيا وليس واقعيا يا ولد ... قل لها امي ترسل لك قبلة على الخد الايسر واخرى على الخد الايمن ..."

وكانت تشير بسبابتها على كل خد من خديها ...

فيرد سعد معاتبا ومذكرا بنفس الوقت

" امي لقد اتفقنا سابقا ... اخبرتك لن افاتحها بالزواج حتى يفاتحها اخوها بنفسه .."



بسطت كفيها وهي تقول مدعية البراءة

" وما الضرر ان قلت لها ان امي ترسل لك

قبلتين ؟ لاتخبرها اني حماتها المستقبلية

فقط قل لها اني احببتها من كلامك عنها .."

اسبل اهدابه وهو يتحرك بسيارته للخلف

ويقول " سأفعل ..."

تحركت منيرة لتغلق باب المرآب خلف ابنها

كما تفعل كل يوم وهي تدعو له من قلبها

" اعانك الله بني وهدى صديقك ليزوجك

الفتاة قبل قدوم الامتحانات الفصلية

الاخيرة.. فلا صبر لدي لمزيد من الانتظار .."

في مكتب ياسر...

خرجت سهر من الحمام وقد استعادت

تماسكها .. رغم خجلها الفظيع مما فعلته مع

ياسر الا انها متماسكة ...وليست نادمة ...

رأته عند الشباك يقف هناك مستندا بظهره

للحائط وعيناه باتجاهها ...

لقد كان ينتظرها ...

اشعة الشمس تنفذ كألواح الذهب الباهت

عبر الشباك فغمرت وجهه ومنعتها من تبين

تعابيره لكنها استشعرت عن بعد بالتوثب

الواضح في جسده الرجولي ...

يا الهي كم هو رجولي ...!



ابتلعت ريقها والخجل يعصف بها وكل ألم صغير نابض في كل جزء من جسدها يزيدها خجلا واضطرابا امامه ...

تمتمت بسيطرة واهنة على نبرات صوتها وهي تتقدم لتقف وسط الغرفة

" هل يناسبك ان يقام حفل عقد القران الاسبوع القادم؟ احتاج لتأكيد منك حتى اثبت الموعد مع امي ..."

صوته شديد الخشونة وهي يهمس

" فليذهب حفل العقد الى الجحيم ..! "

ابتلعت ريقها بصعوبة بينما يلتزم هو بوقفته المتوترة المتحفزة عند الشباك لتقول

بشجاعة وصلابة ما قررته خلال فترة بقائها في الحمام ...

" انا .. اتنازل ... عن مدة الـ ستة أشهر ... رغم انه لم يبق منها الا اربع لكن لايهم ... اتنازل عنها... حدد انت موعد الزفاف الذي تريده سواء بعد شهر او بعد سنة ... لن اعارضك ..."

ثم تقدمت خطوة واحدة لتشمخ بكبرياء وتقول

" عندما اخترت مدة الستة اشهر لم يكن لاجل ان .. اتحكم فيك .. او افرض عليك ارادتي ... بل لاجل ان نتعرف اكثر على بعض .. ان نكون شريكين حقيقيين .. "



تحشرج صوتها وهي تضيف بنعومة انثوية مؤثرة

" لاجل ان تتعلم كيف تعبر عن حبك لي لاني احتاج هذا ياسر ... احتاجه جدا .. انا انثى متطلبة جدا لانوثتها ... "

واصل صمته ونظراته ما زالت محجوبة بشعاع الشمس فتنهدت سهر وهي تحني وجهها للاسفل ثم قالت بنبرة عاطفية

" سأقولها لك مرة اخرى ... انا احبك .. زوجتك .. وسأظل أكرر هذا بكل فخر وتملك ... انا قررت ان أخوض معك هذا الزواج للنهاية دون شروط وسأتحمل العواقب لاني اريدك في حياتي كما تريدني انت ..."

تحركت ناحية باب المكتب تنوي المغادرة عندما أتاها همسه حادا خشنا

" قفي مكانك ... اياك ان تغادري الغرفة حتى يغادر .... هو ... مع زوجته ..."

تنهدت لتذهب وتجلس على اقرب كرسي وهو ما زال بعيدا ... على وقفته .... متباعدا في مشاعره ...

كان رافد يخرج من باب المطبخ بعد ان أخذ الطلبات الجديدة لهذا الاسبوع من رئيس الطباخين عندما رن هاتفه فتشنج كله وتسمرت قدماه بمكانهما متعرفا على هوية المتصلة ...



فتح الخط ليأتيه صوت غالية بتلك البشاشة
التي لازمتها خلال الشهر المنصرم تحديدا
وبشكل مدمر لاعصابه ...

" صباح الخير ..."

رد وهو يكاد يكز على اسنانه غيظا

" صباح الخير غالية .."

أخذت تمط في الكلام وهي تقول

" اممممممممم نحتاج لبرطمان عسل جديد "

اغلق عينيه وتوترت انفاسه ليتذكرها ليلة
الامس وهي تلحس ملعقة العسل امامه وعيناها
تلمعان بشدة تتحديان عينيه ....

كل يوم تقريبا يراها تأكل العسل بتلذذ
غريب يوتره ويحفز كل خلاياه بالانجذاب
الرجولي اليها .. انجذاب ما زال يقارعه ..

تمتم بصوت مبحوح " انت تتناولينه بكثرة "

للحظة صمتت قبل ان تقول بنبرة ذائبة
بشكل مصطنع

" هل تحاسبني رافد ؟ لم اعرفك بخيلا .."

اعتصرت انامله الهاتف اعتصارا ليرد بتحشرج

" تعرفين معك تحديدا لاابخل بشيء "

فجأة اخشوشن صوتها وهي تقول بجفاف خانه
الارتعاش

" اذن تحمل ! "



اغلقت الخط في وجهه ....

اخذ نفسا عميقا واطلقه بارتعاش يوازي ارتعاش نبراتها قبل لحظات ...

انها تتعمد فعل الاعيب النساء وهو يعرف ومدرك ومستسلم بغباء !

منذ تلك الليلة التي اعلنت موافقتها على الزواج به وهو يلتزم الصمت معها ..

ليس صمت الكلام رغم شحة الحوارات بينهما...

وانما صمت التعبير عن الاحساس ...

صمت التعبير عن الاختلاجات الثائرة على اختلافها بينه وبينها .... منه ومنها ...

يراقبها عن بعد وهي ايضا تراقبه بل وتتعمد مشاغلته بحركاتها ...

انها تتلاعب به كما كانت تفعل وهي طفلة شقية ... وان اختلفت الاسباب والاساليب ...

سابقا لم تكن تتصنع كما تفعل الآن بل تفعلها ببراءة ويقين انه لن يخذلها في أي شيء...

ليتها بقيت هكذا ....

ليته منع زواجها من راغب بأي طريقة قبل ان تتحول لهذا الكائن المتخبط.. الممزق برغباته الانتقامية والثأر من كل قهر واذلال..

ربما لو فعل لكانوا جميعا بخير الآن ....



اشارات كثيرة مشوشة ونارية بات يلتقطها منها وحولها ...

بشاشتها المفرطة الظاهرية التي تزداد بشكل مربك كلما اقترب موعد انتهاء عدتها ...

شهيتها التي انفتحت بشكل مريب للطعام ويقسم ان وزنها ازداد بما يقارب الخمس كيلوغرامات ...!

انها تأكل بشراهة وتختار الصحي بعناية ملحوظة ... تتناول فيتاميناتها وتمارس الرياضة حتى ..

تعتني بشعرها الذي استطال كثيرا واصبح ملفتا بلمعانه وهو يتأرجح بدلال حتى منتصف ظهرها...

باتت تعتني بنفسها اكثر من اعتنائها بلولو !

لم تهملها تماما لكن يشعرها سارحة البال عن صغيرتها ..

تبدو كمن كانت في غيبوبة لتدخل في غيبوبة معاكسة !

بعد ان كانت محطمة لاتجد دافعا لتعتني بنفسها اصبحت مهووسة نحو هذا الاعتناء ..

وكأنها في حالة سباق لكن لاتدرك انها تسابق في المضمار الخطأ !



وهو لايجرؤ على الكلام معها ..

لايجرؤ وهو يراها قد باتت ترفضه بطريقة غير مباشرة وكأنه تحول لمصدر خيبة الامل بعد ان كان مصدرا للامل فقط ...

كما انه لايجرؤ ... لانه ... مجنون !

مجنون بها لايكف عن التهام كل تفصيلة تقوم بها امامه عن تعمد وباستعراض متحد ان يتجاهلها ...

تحطمه وهي توحي له بصراحة ساخرة انها تستعد كعروس !

لكنها ليست عروس عادية ..

انها (عروس الانتقام) وهو يفتح صدره مستعدا لتلقي رماح ثأرها فيه ...

كل هذا وامه راضية ...

راضية عن كل ما يجري .. ظاهرا وباطنا !

صامتة وراضية ومستسلمة هي الاخرى لبقائها في سريرها طوال الوقت ..

تقضي النهار بصحبة غالية ولولو ...

كل شيء يبدو ظاهريا طبيعيا لكن في داخله مشتعل ويغلي بانتظار قادم مجهول ...

امه وغالية تدركان كما يدرك هو ان هذا الزواج المزعوم ليس طبيعيا على الاطلاق ...



الابتسامة تملأ الوجوه فتخادع صاحبها قبل ان تخادع من حوله ...

الاثنتان تعيشان حالة من الرضا الجنوني الذاهل وهو ضائع بينهما ولايملك الا الانتظار لتهدءآ معا ويتوصل معهما الى قرار مصيري ...

أعاد رافد الهاتف لجيبه وهو يتذكر حواره قبل شهرين مع ياسر ...

حوار متفجر بالاعترافات ...

اعترافات كانت سببا لهدوئه النسبي فيما بعد... كانت نقطة استعادة توازنه ...

زاده من الصبر لتجعله يحتمل ضغط الشهرين الماضيين ...

تذكر تلك الليلة العصيبة ...

في ظلام منتصف ليل شتوي بارد عند النهر برودة قارصة لم تخترق وهج الروح المشتعلة..

لايزال يذكر وجه ياسر الذي شحب تماما بينما يحدق في وجه رافد بصدمة حالما اخبره عن سره ...

اوشك رافد ان يرمي نفسه في النهر فعلا ليلتها ما أن رآى ملامح الصدمة على وجه ياسر ..

لم يطق رافد شعوره بالخزي .. لم يطق انه فضح قذارة مشاعره وانتهاكه لحرمة اخيه في زوجته ..

والاكثر خزيا انه غير قادر على منع نفسه عن تلك القذارة ولا عن ذاك الانتهاك ..







ليفاجئه ياسر بالسؤال المصعوق

" منذ متى ؟!"

عندها انفجر رافد بضحك مرير هستيري ارتج له هدوء المكان وربما حتى تعكرت صفحة مياه النهر لمرارته .....

ليرد رافد بنبرة أشد مرارة

" تسألني منذ متى ؟! ربما منذ وعيت وجودها كطفلة مقيمة في بيتنا طوال الوقت .. تلجأ لي .. تتدفأ بحمايتي ... تنتعش كزهرة بمحبتي الخالصة لها .. تأتمنني على اسرارها بكل ما يضايقها وتسارع لاخباري بكل ما يفرحها .. توجع قلبي من خشيتي عليها كلما تشاقت في طفولتها .. تثير غيرتي اذا تبرجت في مراهقتها ... وحتى الآن تنهك غيرتي عليها..."

فينظر في عيني ياسر هامسا بحرقة طال كبتها " دوما كانت غالية .. طفلتي أنا .. غاليتي ...الاكثر غلاء وأهمية في حياتي ..."

ثم اخترقه الألم وهو يضيف " لتصبح في لحظة مسروقة مني ... زوجة لاخي ... "

اشعل سيجارة جديدة مخفيا ملامح الشعور بالخزي ليقول بنبرة مريرة ساخرة

" وها انا عاشق متيم بزوجة اخي ! فما رأيك بنذالتي يا صديقي ؟!"



عندها تكلم ياسر اخيرا ليقول بهدوء

" انها ليست زوجة اخيك .. لم تعد كذلك"

فاض كيل رافد ليهدر بغضب

" هل ستتكلم كأمي ؟! تريدني ان اتزوجها بعد اتمام عدتها ! أهكذا ببساطة ؟! تتطلق من راغب بالامس فاتزوجها انا غدا ؟!! اي عقل يبقى على اتزانه من منطق شاذ كهذا ؟! "

قال ياسر بصدمة أشد

" ماذا ؟! امك تريدك ان تتزوجها ؟! "

رد رافد بانفعال مرتجف " اجل ياسر .. امي جعلتني ان اعدها بذلك ... بل جعلتني ان اقسم بأني سأتزوج غالية واحميها واربي الصغيرة لولو معتبرة ان راغب مات..."

تمتم ياسر بذهول " يا الهي ! "

أخذ رافد يمج من سيجارته بعنف وكأنه يطلب مسكنا عاجلا لما يقتله بألم فظيع ثم قال باضطراب شديد ويأس فظيع

" اجل .. فليكن الله في عوني لاني سأجن .. سأجن ياسر .. انا ممزق بين نارين ... بل ثلاث اربع ... عشر نيران ..! اكاد أموت ولايشعر بي أحد ... لا أحد حتى امي .. حتى هي لاتشعر بي ... امي تريد انقاذ نفسها في غالية ... لم تنس يوما ما حصل لها مع ابي .. هل تعلم انها تعقبت مكان ابي واكتشفت انه متزوج من اخرى اجنبية ويربي ايتامها ؟




رغم صدمتي عندما علمت لكني سرعان ما تجاوزت الصدمة .. فلايهمني اين هو ولا ما يفعل بحياته لاني اعتبرته انتهى من حياتنا حالما اختار انهاء دوره كأب ... لكن أمي يهمها ... ويقتلها ببطء من سنوات ... والان كرر راغب فعلة ابيه لتجعل امي تريد التعويض في ابنة اختها .. تريد رد اعتبار .. وغالية .. يا الهي اشعر انها ستجن برغبة الثأر والانتقام اللتين تأكلانها أكلا من الداخل ... وانا ... عاجز ان اقترب اكثر منها لاني مجنون ملهوف اليها فيطير عقلي ويحترق في أتون عشقي .. وعاجز عن الابتعاد لاني لن استطيع التخلي عنها ... انا مجنون بها ... اريدها بكل خلية من جسدي وفي نفس الوقت لااملك الا ان امقت كل تلك الخلايا مجتمعة!"

تطلع اليه ياسر بملامح عابسة متفكرة يحاول استيعاب كل هذا الكلام المتفجر بينما التمعت عينا رافد باستسلام كمن يستسلم للموت وهو يهمس بصوت متحشرج

" انها أدمان .. أدمان يا صديقي ... كل جزء مني محفور عليه اسمها ...موسوم برسمها ..."

ليجزع رافد سريعا ويغضب من حاله فيرمي السيجارة بعنف من يده وهو يضرب براحة كفه على صدغه هادرا

" يا الهي ... كم انا مقرف ! انها زوجة راغب .. زوجة اخي ... زوجة اخي ..."

امسك ياسر كف صديقه بحزم وصلابة يمنعه من ضرب رأسه اكثر ليقول له بنبرة خشنة وكأنه يقرعه

" قلت لك انها ليست زوجة اخيك .. أفق رافد وتماسك ولاتفقد عقلك كالمجانين ... "

حدق رافد جزعا في عيني ياسر !

فاضاف ياسر بفظاظة اسلوبه المعتاد

" انها ليست زوجة اخيك ايها الغبي .. انها الآن فقط غالية ابنة خالتك .. وانت تعشقها فلا تكن غبيا أكثر بأن لاتستغل الفرصة لتحصل عليها ... فليذهب كل منطق الى الجحيم .. لاتبالي بشيء ..."

اتسعت عينا رافد مذهولا من ردة فعل ياسر التي لم يتوقعها ليتمتم بوجل واضطراب

" سهل ان تقولها .... "

فأمسكه ياسر من كتفيه يهزه قائلا بعبوس

" وليس مستحيلا ان تفعلها ..."

أحاد رافد بوجهه بعيدا يغمض عينيه والألم يسري في جسده كما يسري في روحه ليسمع صوت ياسر يأتيه بنبرة حملت كمّا هائلا من الدهشة والحيرة

" يا الهي رافد ! كل هذه السنوات لم اشعر بك يوما .. كيف استطعت التعايش مع وجودها الدائم حولك ...؟!! "



لم يفتح رافد عينيه بينما يطعن نفسه بنفسه هامسا " قل كيف استطعت التعايش مع قذراتي ؟! "

هدر به ياسر منفعلا " انت لست قذرا .. لاتوهم نفسك رافد .. افتح عينيك ودعني اواجهك بما تأبى رؤيته .. "

فتح رافد عينيه وهو يعيد وجهه لصديقه الذي قال له وعيناه تفيضان بالقوة

" انت لم تفعل شيئا .. هل تسمعني ؟ لم تفعل شيئا الا ايذاء نفسك بغباء منقطع النظير ... فكفّ عن نعت نفسك بالقذارة فقد بت تصيبني بالقرف من تكرارها واوشك على التقيؤ حقا من مللي لسماعها ..."

صوت ساخر اطلقه رافد بينما يحني وجهه خجلا من مواجهة كلمات صديقه ليضيف ياسر وهو يهز كتفي صديقه بخشونة

" تعرفني انا والمجاملات واسلوب رفع المعنويات بيننا عداء ونفور ... فاحمد ربك ان وجدت بضع كلمات اقولها لك ... فلا تتعبني اكثر معك ... تقبل الواقع وتصرف بشكل عملي.."

قال رافد باختناق

" وماذا عنها هي ؟! انها ليست بوضع طبيعي .. لقد وافقت على الزواج يا ياسر .. لكنها ليست متوزانة ... انا بغباء عرضت عليها ان تنتقم من راغب بي انا .. وهي وافقت .. لكني لم اقصد ان اتزوجها .. مطلقا لم يخطر في بالي ...



اردتها فقط ان تفرغ غضبها بي لترتاح ... يا الهي انا لم افكر حقا بالامر ... ولااريد ان احصل عليها بهذه الطريقة المشوهة .. وانا عاجز عن رفض طريقتها ! "

رد ياسر " ما زال امامك شهرين ... دعها تستوعب اكثر وتهدأ ... هي ما زالت برؤيا مشوشة بعد كل ما حصل مع راغب ... ربما حين تنتهي العدة سترى الامور بشكل مختلف.. وقد ترى فيك اكثر من وسيلة انتقام ... "

بملامح هلعة رفع وجهه لياسر يسأله بعذاب يفوق الوصف " ماذا سأفعل ... ان قررت تركي .. اقصد ... ستتركني وتبتعد .. لن اراها ... سأفقدها الى الابد ..."

شد ياسر على كتفه ليقول بثبات " عندها ستتصرف كرجل كما عهدتك وتطوي الصفحة الى الابد ايضا ... والنساء من حولك كثيرات فلا تقضي باقي حياتك في هذا التبتل العاطفي القميء "

هدر رافد " هل تظن اني لم احاول ؟! لقد حاولت مع الكثيرات ولم استطع ... "

قال ياسر بثقة

" هذه المرة ستكون مختلفة .. صدقني ... لانها ستختار بنفسها اما انت او بدونك ... هي ستختار عنكما معا وما عليك الا تأييدها في الخيار ... "



عاد رافد لواقعه وهو يتمتم

" وهي اختارت ... اختارت ان تظل معي ...؟"

لكن رؤياها ما زالت مشوشة وان اختلف التشوش ...

اصبحت تراه هدفا تلهث لاجله ... مكبا لنفايات ملأت اركان روحها وفاضت بها ...؟

يناجيها بصمت الألم

" غالية .. اين انت طفلتي ... اريد ان ابحث عنك لكني لااجرؤ على المجازفة الآن ...
أخاف ان يغلبني قلبي وأتوه معك .. عندها لن يكون هناك عاقل بيننا لينقذنا من هاوية لاقرار لها ..."

شهران مرا لم يرَ فيهما بلورية العينين...

لكن الصغيرة خالفت الاتفاق اكثر من مرة وهي تتصل عند خروجها من اي امتحان صعب تواجهه ...

انها كالطفلة التي تعلمها ان تنام في سريرها فتواصل التسلل ليلا لفراش والديها متعللة بخوفها من وحش خيالي رابضا في ظلمة غرفتها هي دونا عن باقي الغرف ؟

هذه هي الصغيرة المتوحشة التي سكنت فؤاده وتربعت بطفوليتها على عرش قلبه...

تتسلل اليه باتصالاتها الهاتفية صباحا احيانا تكون قلقة واحيانا غير واثقة تبحث فيه عن دعم لاتعرف كيف تطلبه بلسانها ...



ركن سيارته على مسافة بعيدة عن بوابة الجامعة ..

لكنه لم يهتم .. سيمشيها بتلهف أكبر ...

يشعر بطاقة غريبة تثيره وتسخر من رباطة جأشه الظاهرية ...

انه مشتاااااااق ولوعة الشوق لتلك العينين يفتتّان صبره ...

شهران لم يرها ...

لايصبّره الا سماع صوتها عبر الهاتف بين الحين والآخر ...

لم يستطع ردعها عن فعل هذا واكتفى بأن يعاتبها على استحياء ...

لم يكن يريدها ان تتوقف عن مهاتفته ...

لم يستطع ان يكون حازما ليمنعها ...

عبس قليلا وهو يقترب من بوابة الجامعة دون ان يراها !

تطلع لساعته فوجدها تشير الى الحادية عشرة وخمس دقائق ...

يفترض ان تكون بالخارج الآن ..

يفترض ان .. تنتظره ...

تملك وغيرة انتابتا رجولته ...

ونوع من الانانية والحنق غير المبرر تسلطا عليه وعلى مزاجه ...

الشوق يفعل به الافاعيل !





لنصف ساعة واقفا ينتظرها بصبر نافد ...

ثم فقد الصبر ليدخل عبر البوابة وهو عابس ضيق الصدر ...

عيناه تتلفتان يمينا ويسارا بحثا عنها ...

ومزاجه من سيء الى اسوأ !

آآآآآآه ..... وجدها ...

شعرها بذيل حصان متراقص طويل فيتراقص قلبه طربا معه ...

ساقاه تحركتا حتى كادتا تهرولان به اليها...

انقشع كل تعكره بينما يبتلع شوقا جارفا اليها ...

صغيرته .. فتاة ادغال قلبه ...

لم يتنبه في البدأ لكنه تنبه لاحقا ...

عقد حاجبيه بقوة وهو يراها تقف مع ..رجل ..

ليس شابا جامعيا بل رجل ناضج ربما في الثلاثين ...

وذلك الرجل الذي تحدق فيه صغيرته باهتمام شديد واعجاب واضح كان هو الآخر ينظر اليها باعجاب ...

اعجاب من نوع مختلف !

" مرحبا .."

صوت سعد الثابت الرجولي جذب الرجل قبل جودا نفسها ليلتفت اليه ويواجه سعد وهو يرد تحيته ببعض التلكؤ ...



شعر سعد باستنفارات مريبة تقرع في داخله..

الرجل أكبر سنا مما ظن ..

يبدو في نهاية الثلاثينات وسيم جدا من النوع الذي يجتذب الفتيات بوسامته المفرطة ...

ومع ذلك الشيب الذي لامس مقدمة شعره قد يرونه اكثر سحرا وجاذبية ...

شيء ما .. ربما نوع من الارتباك الطفيف التمع في عيني الرجل لبضع ثوانٍ .. لغة جسده انبأت سعد ببساطة ان الرجل ليس نظيف السريرة في وقفته مع جودا ..

" سعد .. سعد لقد حضرت .."

تهليل صغيرته لحضوره ألهاه للحظات عن التمعن بذلك الرجل ...

تمتم سعد وهو ينظر لعيني جودا بشوق غلب انزعاجه مما رآه واستشعره بينما يتمتم بخفوت

" تأخرتِ في الخروج ..."

ردت جودا بفرح غامر ملأ محياها وهي تشير لذلك الرجل

" الاستاذ طارق كان يكلمني .. لقد قال اني حصلت على درجة ممتازة في مادته .. لقد اخبرتك عنها .. خفت اني لن اجتازها هذا الفصل لكن الاستاذ ساعدني وقال لكي يشجعني لاتحمس للدراسة اكثر ..."

عينا سعد التقتا بعيني (الاستاذ طارق) وقد بدى الاستاذ هذه المرة مسيطرا مبتسما بهالة من الهيبة والخيلاء الفارغة الكذابة !



قال سعد وهو يواجه المدعو طارق بملامح ساكنة " شكرا لك .. جودا تحتاج لكل تشجيع أبوي منك ..."

احتدت نظرات طارق برفض واضح تلقائي لكلمة (أبوي) التي اطلقها سعد عن تعمد امام جودا ...

القلق تصاعد في اعماق سعد ..

قلق وغضب مبهمين في تحديد مصدرهما بالضبط..

خاصة عندما لمح خاتم الزواج في يده اليسرى ...

ترى ماذا يريد منها ؟

رجل كهذا اخطر من قتيبة نفسه ..

امثال قتيبة واضحون وجودا اصبحت تعرفهم وتلتقط قذراتهم ونواياهم الصريحة ..

لكن هذا الرجل ناعم جدا .. محنك جدا .. مخادع بشكل لايقبل الشك ...

يجب ان يعرف ماذا وراءه ....

تمتم الاستاذ بنبرة باردة " انت اخو جودا صحيح ؟ لاتكف عن الحديث عنك .. "

ثم ادّعي التفكير ليضيف بنبرة شبه ساخرة

" اممممم لكن اذكر انها قالت ان اسم اخاها ياسر وليس سعد ..."



تقبضت يدا سعد بغضب يوشك ان ينفلت منه

بينما طارق ينظر اليه باستهانة وكأنه

يتحداه ان يعرّف عن نفسه بوضع مقبول !

بسيطرة محكمة تراخت قبضتا سعد ليرسم

ابتسامة يفوح منها التهديد قائلا

" ياسر صديقي المقرب وعائلته عائلتي ..."

ابتسم طارق بأدب وبدلا من يمد يده

للمصافحة وضعها باستخفاف في جيبه ليقول

بنبرة هادئة مستفزة

" تشرفنا ... ارسل تحياتي للاخ ياسر رغم اننا

لم نلتق لكن جودا لاتنفك تكلمني

عنه..."

ثم التفت ناحية جودا ليبتسم لها باطف

حريري

" اتمنى ان تجتازي كل الامتحانات بنجاح هذا

الفصل .. واذا واجهتك اي صعوبة انا موجود..

تستحقين التشجيع وقد تحسنتِ كثيرا خلال

الشهرين الماضيين ... الى اللقاء جودا..."

نطق اسمها برقة خاصة وترت سعد اكثر

ليكتفي طارق بتلويح باهت نحوه قبل ان

يتحرك باتجاه بوابة الجامعة مغادرا بخيلاء !

التفت سعد ناحية جودا يسألها بهدوء ظاهري

" يبدو الاستاذ طارق مهتما بمساعدتك ؟

كما يبدو انه يعرفك عن قرب .. هل درسك

في العام السابق ايضا ؟"



هزت جودا رأسها الجميل نفيا وبابتسامة عريضة مشعة موجهة لعينيه قالت

" لا .. انه لم يأتي لجامعتنا الا منذ ثلاثة اشهر لا غير .. لكنه رائع جدا والفتيات يحببنه كثيرا للطفه واسلوبه الرقيق في التعامل والاهتمام ..."

ضيّق سعد عينيه وهو يتطلع لتورد وجنتيها ليسأل " هل انتقل اليكم من جامعة اخرى او من بلد آخر ؟"

فردت ببساطة " بل من جامعة اخرى ...يقول انه يتنقل بين جامعات البلد لانه سريع الملل ولايطيق البقاء بمكان واحد لفترة طويلة..."

فجأة اقتربت جودا لاهثة الانفاس منه لتهمس بمشاعر متدفقة نحوه

" انت لم تنس الموعد ... انا سعيدة اليوم ... سعيدة جدا ..."

عيناه تنسابان فوق وجهها المفتون الفاتن بملامح مشتاقة كاشتياقه هو لكن في القلب نغزة ان كل هذه السعادة التي تبديها كان الاستاذ طارق احد اسبابها ...

تمتم سعد بصوت مبحوح

" لايمكن ان انسى شيئا يخصك صغيرتي .. لقد وعدتك ووفيت بوعدي ..."



ثم ابتسم ابتسامته المؤثرة ليقول بهمس رقيق

" امي ترسل سلامها لك ... سلام وقبلتان على الوجنتين ..."

تخضب وجهها احمرارا لكن عينيها تحدقان في عينيه بشغف بريء لم ير له مثيلا في حياته ..

تحدق وكأنها عاجزة عن ازاحتهما بعيدا عنه!

فيظل السؤال يدور في اعماقه ..

هل تراه حبيبا ... ام ملاكا حارسا ...؟

لم يعد هناك مجال للانتظار ...

انه لايريد الانتظار أكثر ..

انه غارق فيها ويحتاج ان يقترب منها بحرية أكبر ليحتويها ويعوضها اي نقص قد يلتقطه منها رجل خسيس ويستغله ليصل اليها ...

رجل ناعم محنك ... كالاستاذ طارق مثلا ..

في مكتب ياسر ...

لايكلف نفسه حتى عناء الادعاء انه لاينظر اليها ...

ولماذا يدعي وهو يريد النظر ملأ عينيه ...

شهر كامل لم يرها اصابه القحط ودمره الاشتياق ...





كان يعاقب نفسه لا يعاقبها هي ...

بل انه.... هرب !

اجل يعترف انه هرب يوم عقد القران في المحكمة ..

لم يحتمل ان تبقى قريبة منه وتصبح حلاله ويستمر بادعاء البرود والتظاهر باللامبالاة وعدم التأثر بها ...

لذلك حزم امره وسافر بنفس اليوم بل خرج من المحكمة بعد اتمام مراسيم عقد القران مباشرة للمطار حيث ابتعد ... ابتعد قبل ان يفقد السيطرة كما فقدها قبل قليل ...

اغمض عينيه وجسده يتشنج ...

لقد قالت...... (احبك)!

ضربت سيطرته بمقتل !

شطرت بسيف (أحبك) غيرته المجنونة من اسامة الهاشمي ثم مزقتها الى اشلاء ...

كل هذا التملك الذي ابدته نحوه جعلته يفقد رشده ولعا بها ..

لقد نسي كل شيء ... تلاشى كل شيء ..

لم يعد هناك الا هو وسهر ... حبيبته سهر ...

تأوه خافت خرج من بين شفتيه ليبتلع ريقه بصعوبة بينما يهمس في سره



" تماسك ياسر .. تماسك ... تلك الوردية المحتالة تجيد اطلاق الكلمات في توقيت رهيب .. لاتضعف الآن .. لا امرأة على وجه الارض تستحق ان تضعف ذليلا لاجلها .. انها امرأتك .. زوجتك ... فامتلكها كما كنت تشتهي دوما ... دعها تنير حياتك الملهوفة لضيائها .. ضيائها هي وحدها دونا عن باقي بنات حواء .."

" انا سأخرج الآن .. لايعقل انهما ما زالا موجودين حتى هذا الوقت "

هذا صوتها يفيض بالحنق اللذيذ ...

ابتسم ابتسامة متوعدة ليقول بخشونته التي تتحدى اعتراضها

" اخبري امك ان حفل عقد القران يوم الخميس القادم واما حفل الزفاف سيكون بعده باسبوعين ... اسبوعين لا غير يا سهر ..."

شمخت ذلك الشموخ الذي يهز رجولته افتتاناً لتقول بكبرياء

" اتفقنا ...."



الفصل الخامس عشر

بعد ايام ....

قدمت العمة فائزة فنجان القهوة لابن اخيها بينما تبدي ملامحها بعض الانزعاج من الجلبة والضوضاء التي يصدرها عمال البناء في الطابق الثاني من البيت ....

اخذ ياسر يرتشف القهوة ببطء بينما يطالع بطارف عينه جودا التي تلتهم شطريتها كطفلة مفجوعة !

ابتسم بسخرية رقيقة بينما يسمع عمته توبخ جودا قائلة

" يا فتاة تصرفي برقيّ بعض الشيء .. انت شابة جامعية ولست طفلة لتأكلي بهذه الطريقة الغوغائية .."

ترد جودا عابسة واثار الطعام حول فمها

" ألم تطلبوا مني ان اجتهد وادرس ؟! انا افعل واحتاج للطاقة لاستمر .. اشعر بجوع دائم ولا وقت لدي لاتبع الاصول في تناول الطعام ! "

تنهدت العمة فائزة وهي تحرك رأسها بقنوط ثم اجفلت شاهقة لصوت جديد قادم من الطابق العلوي لتتم بحنق وهي تتطلع للسقف

" متى سينتهي العمل في هذا الحمام؟! "



ثم تنزل بنظراتها لوجه ياسر تشكوه بملامح تعبر عن قلة تحملها

" أكاد أجن من كل اصوات الطرق المستمر وحركة الاقدام والاغبرة من كل نوع وصنف التي تملؤ ارجاء البيت كعواصف ترابية هاجمتنا وتأبى عتقنا.."

زفرت جودا بغيظ وهي تقف على قدميها لتقول بشراسة متدفقة

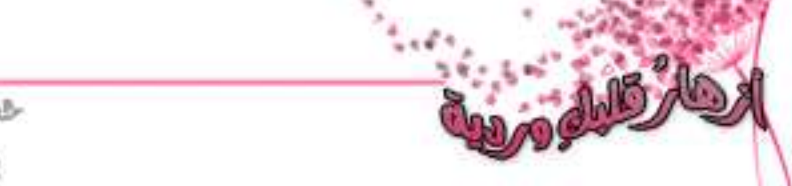
" ألأنه حمامي أنا ؟! لم تعترضي على تجديد غرفة العروسين ! ام ان ياسر وحده ابن اخيك وانا الفرع المائل في هذه العائلة ! "

لم يلتفت اليها ياسر ليواصل ارتشاف قهوته بهدوء بارد بينما عقدت العمة فائزة حاجبيها الرقيقين وهي توبخها بالصوت الذي يفتقد للحزم

" جودا .. لاتبدأي المشاكل منذ الصباح .. توقفي عن التصرف كالمراهقات .."

فتمسح جودا فمها بظاهر يدها بخشونة وهي تتطلع لياسر بقهر وتقول

" انا لست مراهقة .. اليس كذلك ياسر .. انت قلت انجحي في الامتحانات وستعاملني بشكل مختلف .. لكن اعرف ... اعرف السبب .. تلك الباربي البشعة هي من تجعلني ابدو سيئة بنظركم مهما اجتهدت وفعلت لااقارن بتلك المدعية المزعجة ..."



كانت تلهث بعد هذا الانفجار الصباحي وعيناها لاتفارقان وجه اخيها المطرق وملامحه التي عكست لا مبالاة ظاهرية بينما العمة فائزة تضع يدها على جبينها في حركة قنوط ويأس عن التعامل مع جودا ...

اخيرا التقط ياسر سكينا و قطعة خبز امامه على طاولة الطعام ليبدأ بدهنها بقليل من الزبدة وهو يقول بنبرة فاضت حزما

" اذهبي لجامعتك جودا .. ستتأخرين عن موعد سير الحافلات .. "

ثم رفع عينيه اليها مباشرة يواجه بصلابة تمرد عينيها قائلا بصرامة اشد

" وضعي في بالك اذا لم تحققي نجاحا مماثلا في الفصل الاخير من هذه السنة الدراسية فصدقيني لن اتوانى عن غلق باب حمامك الذي يجهز الان بألواح الخشب والمسامير .."

اطلقت جودا صوتا مزمجرا غاضبا لتلملم محاضراتها ثم تتحرك بعنف ناحية باب المطبخ لكنها تلكأت في آخر لحظة لتعود ادراجها .. عابسة متجهمة غاضبة ثائرة لكن عينيها تفيضان بالعاطفة ..

اقتربت من ياسر لتميل بوجهها وتطبع قبلة خشنة على خده قبل ان تستدير وتغادر بنفس الخطوات الغاضبة بينما ياسر يقضم من قطعة الخبز مخفيا ابتسامته الخبيثة ...



تنهدت العمة فائزة وهي تجلس على كرسي قريب من كرسي ياسر لتقول بضيق

" تلك الفتاة تثير الجنون ... لكنها في الواقع طيبة القلب وبريئة صافية ..."

تمتم ياسر " اجل .. بريئة بطريقة غريبة لاافهمها ... انها أشبه بطفلة في جسد امرأة .. تحتاج ان نحميها دوما حتى يشتد عودها .."

سألت العمة فائزة بأمل واه

" ألا يوجد اي طريقة لاستعادة مال جودا ؟"

سكن الغضب البارد عينيه وهو يقول

" لم يبق شيء من مال جودا لنستعيده عمتي .. الحقير انفقه بالكامل على ملذاته .. لذلك انسي هذا الموضوع لان لافائدة ترتجى منه.."

همست العمة بحزن عميق

" يا حسرتي على مال ابيك الذي انفق على الحثالة .."

ردد ياسر بقسوة خشنة " هو من اختار ..."

رمقته العمة بنظرة عتب ليسبل ياسر اهدابه محولا اتجاه الكلام لناحية اخرى

" كل ما استطعت فعله مع ذاك النذل كامل هو توريطه باتهام مباشر لقتل الجدة ... لم اترك البلد حتى تأكدت انهم قبضوا عليه واودع السجن للتحقيق .. "

ثم التمعت عيناه الداكنتان بقسوة وحشية وهو يتمتم من بين اسنانه



" ليتني فقط سبقتهم اليه .. كان لديّ حسابا
خاصا جدا معه .."

سألت العمة بقلق

" ماذا تقصد ؟"

وضع ياسر باقي خبزته في الصحن الصغير
المدور ليقف على قدميه ويقول بملامح مغلقة
" لاتفكري كثيرا عمتي .... الموضوع انتهى
الآن .. المهم ارجوك فقط اهتمي باتمام كل
شيء في البيت .. ربما الاثاث الجديد لغرفتي
سيصل اليوم قبل الظهر .. ومؤكد ستأتي سهر
لتعينك في ترتيبه وتنسيقه .. "

تحرك وهو يضيف مؤكدا عليها بحزم شديد

" لاتتعبي نفسك في كل شيء .. دعيها هي
تعمل ايضا وتتعب .. لااحب الميوعة والاتكال
على الغير .. وهي لاتأتي للعمل في المطعم
منذ عودتي من السفر لاجل ان تتفرغ لاعداد
حفل عقد القران يوم الخميس وتجهيز شؤون
البيت و حفل الزفاف ... "

وقفت العمة هي الاخرى لتقول له ببعض
التردد

" ياسر .. تقرب من سهر أكثر .."

توقفت خطوات ياسر قبل ان يصل لباب
المطبخ لتضيف العمة بنبرة شديدة الرقة

" الفتاة تحبك حقا بنيّ وتهتم بك .."



لم يبدِ اي ردة فعل واضحة لتتحرك قدماه خطوة للامام عندما تشجعت العمة لتقول

" اخبرها ياسر .. اخبرها عما يضايقك .. عن الماضي ... والحاضر ... اخبرها عن كل ما تهتم لشأنه .. انها فتاة ذكية ولا تأخذها العواطف فقط .. تدرك ان العلاقة الزوجية تحتاج لما هو أكثر من العواطف ..."

هذه المرة لم تتوقف خطواته حتى فتح الباب وهو يتمتم بتحية وداع ليغادر تاركا عمته تتطلع اليه بعطف واشفاق ...

تغني ...؟!

خنقه وجيب القلب وهو ينزل درجات السلم ببطء ويسمع صوتها يأتيه من عند المطبخ ..

ما اجمل صوتها ... بل ازداد حلاوة ...

مضت سنوات لم يسمعها تغني ...

في الماضي الجميل وغالية تترعرع امامه .. طفلة ...فمراهقة .. يحلم بها ويظنها ستكون له يوما ما عندما تغدو امرأة ...

كان يتخيلها ستغني له بل كان يوجهها لما يحب من الاغاني وكأنه يعدّها ليوم ستغنيها له وحده ...



يذكرها في عمر الثالثة عشرة عندما غنت في مسابقة اعدتها مدرستها.. وكانت المرة الاولى التي تغني فيها على الملأ ...

بدت مرتبكة صباح ذلك اليوم وغير واثقة من قدرتها على تأدية اغنية من اغاني وردة الجزائرية ...

لم يكتفِ بتشجيعها بل وعدها الحضور بنفسه .. ورغم تشككها في قدرته الدخول لمدرسة البنات وهو شاب يافع لم يتعدَ التاسعة عشرة الا انه فعلها لاجل طفلته ...

فقط اوصاها (عندما تقفين امام مكبر الصوت انظري ناحية السور في الجانب المحاذي للشارع الرئيسي ..)

وهي فعلت بوصيته حالما وقفت امام المكبر مرتعشة يخرسها الخوف تتطلع للوجوه المحدقة فيها بانتظار ما بين متحمس ومتململ..

فلم تنس لتحول نظراتها لذلك الجانب من سور المدرسة فوجدته جالسا هناك مختبئا بين اغصان شجرة ضخمة فأخذ يلوح لها يبثها حماسته دون ان يستطيع بثها خفقات قلبه ...

ابتسمت عندها وظلت عيناها تتطلعان اليه وهي تصدح بالغناء ...

طفلته كانت تغني له وحده ...



بدت وكأنها نجمة براقة من نجوم السماء

فأوشك ان يسقط من على السور وهو يترنح

عشقا فتيّا ذائبا فيها ...

عشق اخفاه بصبر في صدره لتلك الصغيرة

التي تكبر امامه ...

وما أن انهت اغنيتها وقبل ان يعلو التصفيق

كان هو يصفر ويهلل ويقفز كالمجنون

هناك فوق السور ليثير موجة ضحك بين

الطالبات وبعض المعلمات بينما علا صياح

المديرة الغاضب فيقفز برشاقة للجانب الاخر

ليسرع هاربا قبل ان يتمكن منه حارس بوابة

المدرسة ويمسكه ...

" دادا ..."

ركضت الصغيرة هامسة بأسمه الذي تناديه

به على الدوام لتصدم بساقه ثم تلتف حولها

كثعبان صغير شقي..

اما امها فلاهية عنها وما زالت هناك في

المطبخ تغني !

تنهد رافد وهو ينحني بجذعه ليحمل لولو

فتتعلق برقبته وتبدأ باصدار اصواتها العالية

احتفاء به ...

وعلى صوت احتفاء لولو الخاص توقف صوت

الغناء ...



تحرك رافد ناحية المطبخ وهو يدغدغ لولو ويلاعبها .. يعترف انه اصبح يلتجأ للصغيرة كسند له في هذا البيت الذي تعمه غرابة تصرفات اصحابه ...

الصغيرة تعيد له توازنه وتمنحه قوة ليحتمل ..

كان ما زال يلاعب الصغيرة حين وصل باب المطبخ ليرفع وجهه والضحكة ما زالت ترسم محياه الوسيم ...

سقط قلبه بين رجليه حالما رآى غالية !

في لحظة واحدة ارتفعت حرارته وتلاشت ضحكته بينما عيناه تحدقان فيها وهي تقف مستندة بتراخ انثوي مدروس على حافة الخزانة بجلباب عسلي مطرز بنعومة ...

شعرها اللامع محلول بحرية على كتفيها ووجهها متألق بنظارته الطبيعية وتبرجها المتقن !

انها متبرجة في هذا الوقت من الصباح !!

هل ستخرج ؟؟ ستخرج ...هكذا ؟!!!

لكن تلك العينين المكحلتين بلون الاغراء تنظران اليه بنوع من الاستخفاف ... وكأنها تدرك ما يفكر به وتستمتع بتخميناته ..

تمالك رافد نفسه وحرارته تشتعل ليقول بهدوء ظاهري " صباح الخير غالية .."

فتمنحه ابتسامة لايحبها منها رغم انها ابتسامة تمس رجولته وتثيره ..!



دون ان ترد عليه تحركت من وقفتها والقماش العسلي يهفهف حولها مصدرا صوتا خافتا جدا يضغط على اعصابه لتتجه ناحية مائدة الطعام الصغيرة في وسط المطبخ فتلتقط ملعقة صغيرة هناك ثم تغمسها ببرطمان العسل المفتوح وترفع الملعقة ببطء ليسيل العسل رقراقا ذائبا كسيلان الدم في عروقه ثم ترفع الملعقة لشفتيها تتذوق العسل بتأن شديد وهي ترد عليه اخيرا بصوت رائق مستفز

" صباح الخير .. رافد ..."

كانت لولو تلامس لحيته الخفيف كعادتها تحب خشونة ملمسها بينما هو عاجز عن ابعاد عينيه عن شفتي غالية ليقول بصوت أجش

" هل ستخرجين اليوم ؟"

رفعت حاجبا واحدا وهي تبعد الملعقة عن شفتيها اللامعتين بالعسل لترد عليه ببعض السخرية

" العدة ما زال عليها عشرة ايام ...ام انك لاتحسبها مثلي ... يوما ... بيوم .."

ابتلع ريقه بصعوبة ليقترب منها بخطوات تفيض غضبا من نفسه لانه يريدها .. يريدها بجنون رغم كل الجنون واللامنطقية التي تحيط ارتباطه بها ...

وقف امامها وهي ترفع وجهها اليه فائضا بملامح السخرية فهمس لها

" توقفي عن التلاعب غالية .."



هزت كتفيها بلا مبالاة قائلة

" ولماذا اتوقف ؟! الامر يعجبني .."

ثم اضافت بقسوة وعيناها المشتعلان بلون واحد تتحديانه

" الا يعجبك التغيير ؟ اليس افضل من تلك الباهتة المثيرة للشفقة التي كنتَ تلتقط اشلاءها هنا وهناك بعد ان يمزقها اخوك !"

أمالت الصغيرة رأسها على كتف عمها تلامس لحيته بيد بينما تمص ابهام اليد الاخرى وعيناها على وجه امها ....

تمتم رافد من بين اسنانه " هل يريحك ان تمزقيني انا يا غالية ؟ "

واجهته بنفس الاشتعال والقسوة

" لا اجد متبرعين غيرك! "

ثم اضافت ممعنة في القساوة

" على الاقل حاليا لايوجد غيرك .. من يعرف حتى تنتهي العدة من سيظهر في حياتي .. "

اتسعت عينا رافد بجنون الغيرة ليهمس بشراسة

" انت تلعبين بالنار ..."

فهدرت غالية لتجعل لولو تنكمش بجسدها الصغير ملتصقة بعمها



" العب بالنار ؟! ولم لا ؟ وانتم بماذا تلعبون ؟ تلعبون بحياتي انا ... امي التي توقعت للحظة .. للحظة واحدة فقط .. انها سترفض زواجي بك لتصدمني بسرعة موافقتها بل انها تنتظر بفارغ الصبر انتهاء عدتي لاتزوجك ! هل تتخيل ؟! ربما تخشى ان تصحو يوما فتدرك اي كارثة شؤم ستربط نفسك بها ...! انها حتى لاتفكر ماذا سيقول الناس عني .. فقط تفكر اني عبء يجب التصرف به والتخلص منه ... "

كانت تشوح بيدها بانفعال فامسك احدى تلك اليدين يعتصرها هامسا بحدة " لاتقولي عن نفسك عبء ... هذا غير صحيح.."

لكنها تنفض يده عن يدها وهي تهدر بنبرة مجروحة

" كلهم يريدون التخلص من عبئي .. ابي يكاد يمجدك لانك رضيت بي .. امي تعيش مخاوفها ان تغير رأيك .. ناهد ما بين راض ومتعجب كيف وافقت على الزواج بي .. كلهم تنفسوا الصعداء عندما علموا اني سأتزوجك .. هذا افضل من ان يستقبلوني كمطلقة منبوذة .. "

مكسورة ... نظرتها تفيض انكسارا وهي تهمس بصوت مبحوح " نحن شعوب لانرحب المطلقات.. نريد وأدها سريعا تحت الرمال قبل ان يعلو صراخ استغاثتها ..."



بقلم كاردينيا73

اطبقت لولو عينيها غافية وما زال ابهامها في فمها بينما يقترب رافد من غالية يهمس لها بعاطفة جياشة

" وماذا عني انا غالية .. لقد ذكرتهم دون ان تذكريني انا ...؟ "

نفضت نظرة الانكسار لتطالعه نظرة الغضب الساطع !

شحب لونه وهو يتمتم بسؤال أجوف

" انت غاضبة مني ..؟! "

شحبت هي الاخرى بينما تهمس باختناق مفاجئ

" لااريد .. لااريد الكلام عن هذا .."

احنى وجهه ناحيتها عيناه تلمعان وصوته أجش وهو يتساءل

" لماذا ؟ اخبريني لماذا ؟! آخر شيء قد افعله ان افعل اي شيء يؤذيك .."

واجهت لمعان عينيه بنظرة كئيبة شبه محطمة " أتظن اني ما زلت تلك الحمقاء التي ظنّتْكَ طوال حياتها اخا لها ؟!"

ابتلع ريقه بصعوبة وبذل جهدا خرافيا حتى لايتراجع للخلف بينما تضيف غالية وعيناها تبهتان ونبرتها غريبة موجعة

" انا اشعر بك ..! بل بات احساسي مرهفا لكل نفس تتنفسه .. انتَ تشتهي فيَّ الانثى .. انا مميزة عندك .."



تمتم بتحطم مماثل لتحطمها " غالية ! "

شهقة خانتها وهي تواجهه بالسؤال الغاضب

" منذ متى رافد ؟ اخبرني ... صارحني ... منذ متى وانت تشعر هكذا نحوي ؟"

اطبق شفتيه ويده على ظهر الصغيرة بينما عيناه لاتفارقان عينيها ....

همست بارتعاش مصدوم وكأنها تواجه الامر اخيرا ...

" كنت اخي وسندي رافد .. حتى انت .. خذلتني مثله .. خنت ثقتي وايماني مثله هو .. كلكم خذلتموني .. ولم يبق لي الا خالتي اقبال .. "

أحنت رأسها للاسفل فظللت وجهها خصل شعرها الناعم اللامع لتهمس ما بين الظلال

" ارحل.. اذهب لعملك .. المكتوب هو المكتوب .."

وكان لها ما ارادت ...

استدار بجسده ليضع لولو بحذر على اريكة المطبخ الصغيرة ثم تحرك ناحية الباب..

و دون ان يتطلع نحوها غادر البيت وداخله ما بين ممزق ومحترق و.... عاصف ..





أزهار قلبك وردية

تجلس قربه على كرسي قريب من كرسيه

تفترش اوراق محاضراتها على سطح مكتبه

بينما تستوعب آخر ملاحظات همّشها بخط يده

على تلك المحاضرات في شروحات مختصرة

مهمة ومفيدة ...

ملامحه الوسيمة كانت تفيض رقة زائفة

كقناع محنك لرجل صبور على صيده ...

بينما يتطلع لجمال وجهها بنهم داخلي وتوق

رجولي حاد لم يراوده منذ زمن ...ربما لانه لم

ير جمالا كهذا منذ سنوات ...

سأل برقة تعكس زيف مشاعره

" هل فهمتها جيدا ؟"

ترفع جودا وجهها اليه بفرح غامر واعجاب

لايضاهى

" نعم بشكل ممتاز .. انت مبهر جدا يا استاذ

طارق .."

فيغمز بلطف وهو يبتسم ابتسامة يعرف

تأثيرها في الاناث

" سعيد اني استطعت شرحها لك .. انت فتاة

ذكية وسريعة الاستيعاب لا تتعبني ابدا ..."

تتورد في خجل مراهقات لايليق بسنها بينما

عيناها المميزتان تلمعان بانبهار ...

فكر طارق في سره ...

ما زالت تحتاج لوقت حتى تقع ...





كل واحدة ولها اسلوب في التعامل ...

المغرورة تُهمل ثم تَهاجم على حين غرة ...

العاطفية تتخم بالمشاعر ثم تهجر ...

الجائعة غير الناضجة ك جودا .. تلقم الحنان والاهتمام لقمة لقمة ... ببطء .. حتى تعتاده وتدمنه ...

وفي كل الاحوال يأتينه طائعات متوسلات كي يأخذهن ...

بتكتيك مدروس ابتعد بجذعه للخلف مرتاحا في كرسيه الجلدي ليسأل بلطف خاص

" اخبريني جودا كيف حال اخيك ياسر ؟"

سرعان ما عبست وتلاشت سعادتها الطفولية السابقة لتقف على قدميها وهي تلملم محاضراتها ببعض النزق قائلة بغيظ

" انه بخير .. سيتزوج قريبا .."

أمال راسه جانبا راضيا في داخله بردة فعلها ليقول مبديا عذوبة حريرية

" تبدين منزعجة من زواجه ! الا تعجبك العروس ؟ "

زمجرت جودا وهي تحتضن المحاضرات لصدرها بحركة حادة عنيفة

" لااحبها .. فتاة مغرورة بجمالها .."

لم يتوان عن استغلال الفرصة ليعبر بنبرة مبحوحة " لكن مؤكد انت اجمل منها ..."



تشوشت نظراتها وهي تتطلع اليه بتساؤل نطقه لسانها " انا ؟... "

اكتفى بهز رأسه وعيناه في عينيها تدرسان استجابتها للمحة التغزل التي ابداها ...

تراجعت جودا للخلف مشوشة النظرات غير واثقة بشكل ملحوظ لتقول بتلعثم حائر

" عن اذنك .. يجب ان اذهب .. محاضرتي الاولى ستبدأ خلال خمس دقائق .."

عندها وبخطوة يدرك اهميتها أسبل اهدابه قائلا بنبرة موشحة بالشجن

" شكرا لك جودا على هذا الصباح الحلو .. انا دوما آتي مبكرا ولااجد شيئا افعله حتى يحين موعد اعطاء محاضراتي .."

سألت جودا ببعض التردد

" لماذا ؟ اقصد لماذا تبكر في المجيء ؟ .."

تنهد بشكل متعمد ودون ان يرفع نظراته اليها قال

" لااطيق جو البيت والمشاحنات المستمرة فيه .. لقد اصبح الامر لايطاق عبر السنين "

فتسأله بفضول

" هل لديك اولاد كثيرون ؟"

عندها فقط رفع عينيه اليها يرسم الأسى فيهما ببراعة ليقول " اولاد كثيرون ؟! للاسف لا ... لااطفال لي على الاطلاق ... زوجتي لاتستطيع الانجاب ... "

لمحة التأثر لم يخطئها في عينيها فيضيف
بحزن رقيق يثير المشاعر

" سأموت وحيدا كما عشت طفلا وحيدا بعد
وفاة والديّ ..."

لمعت دموع في عينيها بينما تهمس بتاثر
واضح هذه المرة

" انا آسفة من اجلك استاذي.. انت رجل طيب
... وتستحق حياة سعيدة ..."

ابتسامة باهتة بينما يتمّم آخر خطواته معها
لهذا اليوم قائلا " اذهبي لمحاضرتك
عزيزتي.. يكفيني ان جعلتِ يومي مفرحا على
غير ما تعودت من ايامي ..."

ابتسمت له بابتهاج واضح وثقة متزايدة
بالنفس وكأنها انجزت امرا خارقا ..!

عيناها تضحكان له بينما ترفع يدها لتلوح
ببشاشة وهي تغادر غرفته ...

همس طارق بملامح فاضت بالاشتهاء والرغبة
الجسدية

" ترى كيف ستلتمع تلك العينان النادرتان
في اوج العاطفة ؟ أتوق حد الموت لمعرفة
ذلك ايتها الفاتنة جودا ....."

بدا سعد فاقدا لبعض هدوئه ورزانته وهو يرد على ياسر عبر الهاتف

" لماذا التأجيل ياسر ؟ اذا كان بسبب عرسك المرتقب فانا لم اطالب بشيء حاليا ... فقط فاتحها بالامر كما وعدتني ..."

رد ياسر وهو يلتف بسيارته حول الشارع وصولا للمنطقة السكنية قائلا

" انها ثلاثة اشهر لاغير .. تنهي الفصل الاخير من سنتها الدراسية فيها ونتأمل ان تعطي نتائج مقبولة كالفصل الثاني ..."

لم يسمع ياسر ردا من سعد مما فاجأه أكثر لانه يستشعر نزقه ...!

انه لايكف عن شعور المفاجأة مع صديقه الرزين المتأني الطباع ...

جودا اخته ومهمة عنده .. لكنه لم يتصور انها ستجذب رجلا كسعد ...

دوما تخيل المرأة التي ستعجب صديقه من النوع الانثوي الرقيق ... لكن جودا المتوحشة ... لا .. لم يخطر في باله ابدا ...

ناهيك عن هذا الاصرار والتعجل ...

كان ياسر قد وصل لبيته فيبتسم لمرأى السيارة الوردية بينما يركن سيارته خلفها ..

اذن المحتالة موجودة هنا ...



رد سعد اخيرا وقد استعاد اسلوبه الهادئ العقلاني

" اود ان اعرف اولا وبشكل صريح .. هل لديك اي اعتراض علي كزوج لجودا ؟"

فيطفئ ياسر المحرك وهو يقول بصراحة مباشرة

" انت تعرف سعد .. لن أجد افضل منك أأتمنه على اختي .. اعتراضي ليس عليك .. زواج جودا بحد ذاته ليس بأهمية مستقبلها العلمي في هذه المرحلة من حياتها .. الشهادة ستكون سلاحها الاول والاهم .. يجب ان تأخذها اولا وتتعلم الكفاح لاجل تأمين مستقبلها.."

ليضيف ياسر بتركيز " المشاعر حاليا قد تصيبها بنوع من التبلد والتشوش .. وانا اريد تركيزها بالكامل على دراستها فقط .."

فيرد سعد عليه بنفس النبرة الهادئة الواثقة

" وانا لااختلف معك في كل ما قلته.. بل اتفهم مسعاك واؤيده .. لكن جودا حالة خاصة .. انها طفولية في مشاعرها وبطريقة غير ناضجة بل متخبطة و متأخرة بالكثير عن قريناتها .. فيما يخصني انا قادر ان اساعدها لتفهم مشاعرها وتستقر .. لكني اخشى عليها من جوعها للاهتمام والحب ان تكون صيدا سهلا لمن يجيد اللعب على هذه الاوتار بدناءة ... لذلك انا احتاج لاذن منك حتى اقترب منها ..







ان اشعر بالراحة لهذا الاقتراب دون ان يشوهه شعور بالذنب لااستحق ان اشعره .. اعتبرني خطيبها بيني وبينك على الاقل ما دمت لااعتراض لك عليّ ... على الاقل امنحني هذا الاذن لاقترب منها .. انا لن اشاغلها بالطريقة التي قد تشوشها .. ثق بي ... انا فقط اريدها ان تعتاد علي وتقترب مني في اطار رسمي مقبول لي ولك .. سأكون لها كما أنت لها .. شخص تشعر بالامان معه وتستند اليه وتطلب مساعدته ونصحه عند الضرورة .."

صمت ياسر مفكرا وعيناه على السيارة الوردية وكأنه سيجد الجواب فيها !

تخيل سهر كيف ستعبس منه اذا حضرت هذا النقاش بينه وبين سعد ...

ابتسم ... !

لاشعوريا وجد نفسه يبتسم في اثارة لِطيفِ وجهها العابس بغير رضا ....

ذاك الوجه ذو العظام الرقيقة كبقية عظام جسدها ...

تمتم ياسر وهو يترجل من سيارته

" انا موافق ... لك اذني ... لكن لااريدك ان تفاتحها بموضوع الزواج على الاطلاق .. "

قال سعد بنبرة فاضت بالرضا

" اتفقنا ..."





ببنطال جينز غامق انيق يلتصق بساقيها وبلوزة حمراء ناعمة تحركت برشاقة عبر الممر ..

غرفة جودا في اخره حيث يشتغل العمال ..

وفي النهاية الاخرى غرفة ياسر ..

بل .. غرفتهما معا كعروسين ...

ارتعشت لااردايا وهي تقف بباب الغرفة الفارغة من محتوياتها وقد فاحت رائحة الدهان الذي طليت به الجدران حديثا ...

لقد تم تفريغ الغرفة من اثاثها القديم ونقله لغرفة صغيرة مقابلة لغرفة العروسين حيث يستخدمها ياسر حاليا كغرفة (عزوبية) مؤقتة له لحين ليلة الزفاف ....

التفتت برأسها ناحية تلك الغرفة تنظر للباب المغلق في وجهها بعبوس حانق ...

كل باب يغلقه ياسر في وجهها يضيف اليها مزيدا من الاحباط والفضول ...

تملكها شعور بالقهر والغيظ فلم تستسلم له لتتقدم بشموخ من تلك الباب ودون اي شعور بالتردد او الخجل امسكت مقبض الباب وفتحته ...

نفحة من رائحة وجوده لفحتها فاحتبست انفاسها في صدرها تتشربها رئتيها بتلذذ ، وبقلب خافق اخذت تتلمس بعينيها كل جزء من حصن ... الجلف... الخشن ... الفظ .... الذي تحبه...



هل يمكن ان تلمس امرأة رجلا كما تلمسه هذه الانثى المحتالة ؟!

ويا ليتها تلمسه (هو) حقيقة !

انها فقط تلمس اشياءه فتثير فيه صخب الشعور باناملها على جسده ....

اوهام .. هلوسة .. لايعرف ما تصنعه فيه هذه الوردية ويقاومه حتى لايدحر كبرياءه ...

توليه ظهرها بينما تمر باناملها المستفزة تلك على سطح مكتبة دراسته تعبث ببضعة اوراق وكتب مرمية هناك .. ثم ترفع تلك الانامل تلامس بها كرسيه لتتلكأ على ظهر الكرسي الخشبي القديم فيشعر بنغزات على طول ظهره وكأنها لامسته للتو ...!

يتنفس الصعداء وبخفوت حذر بينما يراها تتحرك اخيرا لاهية عن وجوده اللاهث عند الباب فتصل لخزانة ملابسه ..

تفتحها دون اي حياء !

تلك المتلصصة لاتكف عن حشر انفها الصغير في ادق تفاصيله تشمشم ككلب بوليسي اثاره .. اغراضه .. كتبه واوراقه ..

والان ..

تشمشم قمصانه !!!

اتسعت عينا ياسر ليعجز حتى عن التفكير وهو يحدق فيها كيف التقطت حافة قميصه المعلق في الخزانة لتغمر انفها فيه تشمه بل تستنشقه بشغف !



لم يشعر الا وهو يخطو للداخل لهاثه يسبقه وبينما تجفل سهر مكتشفة دخوله كان هو يغلق باب الغرفة خلفه ويبذل كل ما يستطيع ليستعيد انتظام انفاسه ...

يراقب بتلذذ ساخر ارتباكها وتورد خديها لكن الارتباك لم يدم الا لحظتين لتتمالك سهر نفسها فترسم بإتقان نظرة التحدي في خضرة عينيها القطيتين الفضوليتين وتترك القميص ينساب بسلاسة من بين اناملها لتغلق باب الخزانة بينما تتمتم بشجاعة مزيفة

" اثاثك القديم يفتقر للمسة انثوية على نحو قاتل "

تقدم خطوتين هجوميتين وعيناه تلمعان كحجر داكن خطير بينما يتمتم بعاطفة هادرة خالطتها سخرية طفيفة

" اذن اقتليها واقتليني بلمستك لانمانع نحن الاثنان.."

اخافها ... حقا اخافها بطريقة تؤجج انوثتها وهو يقف قبالتها مباشرة يحدق في كل تفاصيلها بتلك النظرة الرهيبة ...

يدها ارتفعت لصدرها بحركة حائرة بينما يميل قدها جانبا تحاول مناورته حتى تغادر الغرفة قائلة بتلعثم خانها

" عـ..عمتي فائزة .... تنتظرني .."



حسم تمايلها بأن امسك مرفقها يجرها نحوه هامسا بتوبيخ ساخر

" لو كنت تريدين مساعدتها كأي كنّة صالحة لما تسللت لغرف البيت تصولين وتجولين هكذا ودون اذن ..."

قتلها غيظا !

شمخت وهي ترد عليه بتحدٍ

" انها غرفة زوجي ويحق لي الدخول اليها متى ما شئت .."

ابتسامة ... كل ما حصلت عليه ابتسامة تصفها بـ(الشريرة) بينما تلمع عيناه بالغموض وفي لحظة واحدة انحني وحملها بين ذراعيه وهي تشهق وتقول بهمس مرتبك

" ياسر .. ماذا تفعل ...؟ انزلني .."

لم تشعر الا وهو يرميها بخشونة على السرير وعندما حاولت النهوض رمى نفسه فوقها يمنعها فتتخبط لتتحرر منه بينما يضحك بخفة ليميل نحو اذنها هامسا

" السرير .. لم تتلمسيه بعد .. لم تشميه ..."

اخذت تحرك ذراعيها فامسكهما ببساطة وقيدهما الى الجانبين بينما تزفر سهر بقوة وهي تصرخ به

" ياسر دعني ..."

ضحك وهو يتطلع لوجهها باستخفاف متمتما

" اين شجاعتك الآن ..؟!! "



ردت عابسة وهي تشير برأسها ناحية باب الغرفة لتقول مدعية السيطرة والجدية

" ستعطي عمالك خيالات غير محترمة عنا... ابتعد ياسر ..."

رد ياسر ببساطة

" انا ادفع لهم ليحصروا خيالاتهم في العمل ..."

حاولت مقاومته يديه اللتين تمسكان بمعصميها الا انها لم تفلح ليقول ياسر باستمتاع ساخر

" هلا اخبرتني لماذا كنت تتشممين ملابسي كمهووسة هكذا ؟ هل انت مدمنة مثلا او شيء من هذا القبيل ؟ "

ردت وهي تكز على اسنانها

" انت غليظ ... متحجر العقل ... كريه ولاتطاق .."

رسم الملل على ملامحه وهو يقول

" بدلا من ردة فعلك الانثوية التي لامعنى لها اخبريني باللّه عليك وحاولي ان تقنعي عقلي المتحجر ما هو المميز في ان تشمي رائحة شخص .. اي شخص...؟! اشعر بالنفور المباشر من مجرد الفكرة ..."

كانت ملامحه تتحول للاشمئزاز عن تعمد ضاعف غيظها ليضحك فجأة ويميل لاذنها هامسا " ترى كيف كنت تشعرين وانت تشمين قميصي ..؟! "



صدرها يعلو ويهبط بينما تشعر بشفتيه عند اسفل اذنها .. ثم ارتشعت وهي تشعر باسنانه تنغرز قليلا هناك فتجمع كل ما لديها من تركيز لتهمس بصدق

" انه يخلق ألفة .. ترابط .... تميز ... معرفة لتفاصيل لايعرفها الا الشريك الحميمي الاقرب "

رفع وجهه فجأة يحدق في وجهها بدهشة حقيقية قائلا

" كل هذا من مجرد رائحة ؟ قد يكون نفس العطر يضعه مئات الرجال غيري ..."

ارتفع حاجبيها وهي ترد عليه

" نظرة ذكورية قصيرة ...! "

ظلا يحدقان ببعض للحظات بدت طويلة عندما اختارت سهر ان تقطع الصمت لتقول وعيناها في عينيه

" كل انسان ..رجلا كان او امرأة... له رائحة جسد خاصة به واي عطر يستخدمه يتفاعل مع تلك الرائحة ليكوّن مزيجا متفردا .. قد تستخدم انت ورافد مثلا نفس العطر لكن سيختلف منك اليه ..."

التمع غضب تلقائي في عينيه وهو يسألها بحدة خفية " وهل تشمين رافد ايضا ؟"

اسبلت اهدابها تغيظه بينما ترد

" انا اعطي مثالا لاكثر ..."



قال باستخفاف " لم اسمع بفكرة اكثر سخفا وطفولية من هذه ..! "

وقبل ان ترد عليه اضاف بهمس مبحوح

" لكن .. لم لااجربها ؟! "

كتمت شهقتها وهو يغرق انفه بخشونة في عنقها يتشممها بطريقة اكثر خشونة ليقول بعدها ساخرا

" اممممممم .... رائحتك لابأس بها ... لكني لااجد فيها اي تميز ! عطرك نفسه اشمه من نساء كثيرات ..."

همست وهي تغلق عينيها

" جلف غليظ ..."

شفتاه كانت على خدها الايسر الآن ليهمس محرجا اياها بذكرى تلهبه كل ليلة

" جلف غليظ ؟! يال التناقض ... قبل بضعة ايام لااكثر كنت تقبلين شفتيّ دون دعوة مني وتقولين لي وبكل وقاحة (انت زوجي ملكي و.. احبك) .."

أفلت معصميها لتتحرك يداه على خصرها تريد التسلل تحت بلوزتها عندما اوقفت زحف تلك اليدين الخشنتين قائلة

" لااخجل مما حصل ذلك اليوم ... بل افعلها و اقولها متى ما اردت وامتنع عنها متى ما اردت ... ارادتي وحدها من تقودني .."





التقت عيناه بعينيها فيسألها بتحد ساخر

" ألهذا تتجنبين لقياي ؟ تتحججين بالاستعداد لحفل عقد القران والزفاف فتمتنعين عن الحضور للمطعم او حتى الخروج معي ..

أتخافين لهذه الدرجة ان تفلت منك ارادتك الغالية ...؟"

ردت له تحديه بالقول

" لم اقترب منك لاني اخشى ان تفعل او تقول ما يعكر مزاجي ولا اريد ان يحصل شيء يضايقني قبل الحفل .. يكفي حفل خطوبتنا البارد ..."

ضحك بخفوت وهو يسبل اهدابه قائلا

" فتاة مجتمع من الطراز الاول ... انت لست شجاعة كفاية .. تخافين الظهور في الحفل بأقل من هالة السعادة العارمة المفترض عرضها امام الاخرين..."

تنهدت وهي ترفع كفيها لتحيط بهما وجهه ثم همست " انظر في عيني ياسر ..."

رفع اهدابه لتواجهها نظرات غامضة وابتسامة صغيرة على شفتيه فقالت سهر بعذوبة انثوية وثقة لاحدود لها

" انا اعلم انك تحبني يا ياسر .. لم أكن سأقولها لك ذلك اليوم في مكتبك لو لم أكن واثقة انك تبادلني مشاعري .."



لم تتغير نظراته رغم ارتعاش ابتسامته

لتضيف وهي تضغط بكفيها على خديه

" اذا كنت تستصعب قولها لهذه الدرجة

سأنتظر .. لكن ساعدني ... دعني ادخل

اليك .. افتح لي ولو بابا واحدا من ابوابك

المدججة بالاقفال الغليظة ... انا اريد

رؤيتك من الداخل .."

ثم حركت كفها الايمن لتصل به لمكان

قلبه الذي يفضحه بخفقانه المجنون لتهمس

" اريد ان اقبع هنا ..."

ابتسامته تحولت للسخرية وهو يرد عليها

بصوت أجش

" عدتِ للتحسر ...! انا لايقبع هنا الا قلبي

ورئتي يحيطهم عظام قفصي الصدري ..

وكثير من الاوردة والشرايين والدماء

بالطبع... هذا ما اذكره من درس العلوم "

تنهدت باحباط وهو يطالعها بهدوء غريب ..

لم تيأس ولن تيأس ...

عليها ان تركز فقط وهي تطرق تلك الابواب

المغلقة ....

قالت ويدها تلامس لحيته المشذبة الخفيفة

" اخبرني عن جودا ..."





شعرت بعضلة خده تتشنج وهو يرد عليها

ببرود

" اخبرتك بكل ما تحتاجين لمعرفته ..."

ابتلعت ريقها لتتحول بتركيزها لباب اخر

تطرقه

" ماذا عن .... والديك ؟ "



الفصل السادس عشر

" ماذا عن.... والديك ؟ "

هذه المرة تحجر كل جزء منه ..

جسده بالكامل .. عيناه ... شفتاه اللتان انطبقتا برفض تلقائي شديد التصلب ...

لم تتلكأ وهي تناوره بالقول وهي تبتسم بشكل مشع

" حسن ... اترك والديك ... اخبرني عن عمتك فائزة .. امرأة بجمالها وانوثتها وشخصيتها المحببة الراقية كيف يمكن انها لم تتزوج حتى الآن ..."

شعرت انه يعود اليها ... تشنجه يخفت ونظراته تترقرق بشكل عجيب ..

عمته نقطة مضيئة في حياته ..

لقد استشعرت هذا سابقا وتأكد لها الآن ...

قال بنبرة متراخية بعض الشيء

" كانت على وشك الزواج ... لكن لم يحصل للاسف..."

تنفست الصعداء لتعود لملامسة خده وهي تسأل باهتمام وبشاشة " حقا ؟ لماذا ؟ احكي لي .. احب قصص الزواج جدا ..."

ابتسم وكأنه يبتسم لطفلة مزعجة مضطر ان يدعي الاستمتاع وهو يحكي لها حكاية ما قبل النوم ..





لكنه ... حكى ..

وهي اصغت السمع اليه بكل روحها...

انها سعيدة ...

سعيدة بالباب الاول الذي يشرعه امامها...

بعد بضعة ساعات ...

مخطوفة الانفاس وبعينين تأبيان تصديق

روعة ماتراه تضع سهر يدها على صدرها بتأثر

بالغ ولاتمل التنقل بنظراتها بين قطع اثاث

الغرفة الجديدة ..

غرفة العروسين ...

كم كانت قلقة من سوء اختياره المتوقع

خاصة مع سرية الاختيار الذي لم يفصح عنه

الا انه بلون ... وردي ..

تخيلته سيصيبها بجلطة قلبية ويختار لونا

ورديا فاقعا يجعلها تنهار في البكاء المحبط ..

لكن ما حصل ... ما تراه الآن كان اعجوبتها

الصغيرة من حبيبها الجلف ...

كل قطعة اثاث حملت لونين في تناغم

ساحر...

زهري و.... رمادي !

كان دمج اللونين الباهتين ابداع فني ...

حدقت في السرير للمرة الخامسة وانفاسها

تتبعثر ..







مميز هو بأعمدته المزخرفة الاربعة في كل زاوية منه، نصف السرير بلون رمادي ليتسلل الزهري لنصفه الآخر وبحد مائل فاصل بين اللونين من الوريدات الزهرية الناعمة ...

وكأن تلك الوريدات الزهرية أتت حاملة لونها الضاحك لتنشره في عموم الرمادي المحايد الكئيب فتعطيه ألقا خاصا دون ان تلغي وجوده ...

اللونان كان الدمج بينهما مبهرا ...

" لقد ابتدأت قدماي تنملان من الوقوف هكذا العمال غادروا منذ نصف ساعة وانت ما زلت متسمرة مكانك ! ألم تكتفي من التحديق كأنك لم تري أثاث غرفة نوم من قبل !!"

لم تهتم حقيقة .. لم تهتم لجلافته فتستدير اليه بعينيها الخضراوين اللامعتين فترمي نفسها على صدره القاسي تلف ذراعيها حول رقبته وتتمرغ بشفتيها اسفل عنقه تهمس له بانوثة فياضة " ايها الحبيب الازرق ذو المزاج الرمادي والكبرياء الاسود .."

اصابعه تنغزر بخشونتها في خصرها ليهمس بتسلية ساخرة " انتهينا من لعبة التحديق فانتقلنا للعبة الألوان ! لم آتي لممارسة الالعاب التي تحبينها كما يبدو .. أتيت فقط حتى اتأكد ان الاثاث سليم ولم يصبه خدش اثناء النقل ولأشرف ايضا على تركيبه ، فكما توقعت ستكونين مصابة بصعقة حواء عندما تحصل على شيء جديد .."







تضحك بخفوت بينما ترفع شفتيها لاذنه

تهمس باغاظة انثوية ومكر لئيم

" قل ما شئت لن تقلل من فرحتي قيد أنملة ..

انا اتفهم سبب احباطك لانك لم تحصل

حتى على قبلة مني وقد كنا محشورين في

بعض وعلى سرير واحد ضيق لاكثر من نصف

ساعة ولانفعل شيئا الا ... الكلام ..."

زمجر وهو يرفع يده ليمسك ذقنها بخشونة

بين سبابته وابهامه ليطالع وجهها ذو الملامح

المشاكسة قائلا " ايتها المحتالة .. كنتُ

اعرف انكِ تعمدتِ ألهائي بالكلام ولم اشعر

الا بعمتي تجفلني وهي تقرع باب الغرفة بقوة

تنبهني لوصول شاحنة نقل الاثاث ..."

اغمضت عينيها وهي تعاود ضحكها الخافت

المرتعش بينما تستسلم لعنف قبلته التي

حملت اشتياقا ضاريا يلهب انوثتها حتى..

آخرها...

يوم الخميس

حفل عقد القران ...

يلف طرف ربطة عنقه الزرقاء حول الطرف

الاخر بينما عيناه تطالعان عينيها عبر مرآة

غرفة الصالة ...

تمتمت غالية وهي تحدق في عينيه بشراسة

غريبة " تبدو وسيما ..."



رد رافد بهدوء " شكرا ..."

اقتربت خطوة حتى لم يعد يظهر منها في المرآة الا عينيها من فوق كتفه لتهمس بنارية قاسية

" إحذر ان تسمح لاحداهن باختطافك الليلة تذكر انك سبق وتم حجزك ولا مجال للمشاركة حتى ..."

ابعد نظراته عن عينيها ليشد ربطة عنقه متطلعا ليهئته بهدوء قائلا

" تستطيعين القدوم معي لو شئتِ ..."

ردت من بين اسنانها بتوتر واضح

" ما زال هناك بضعة ايام اخر للعدة ..."

ثم استدارت بعنف وخصل شعرها تتطاير حولها كسياط الغضب لتضيف بمرارة غريبة

" لاتقلق سنحضر زفاف ياسر سويا ..."

استدار هو الاخر يتطلع اليها وهي تبتعد عنه بخطواتها مولية اياه ظهرها بينما عيناه تفصلان قدها تفصيلا في انجذاب وشوق بات يفوق طاقته على الكتمان ...

لم يعد يهتم حتى ان يحاول الكتمان ...

لهث وهو يقترب منها في خطوتين واسعتين ليمسك كتفيها من الجانبين فيشعر بانكماشها الغريزي الذي يذله اذلالا ...



فيبتلع ريقه ويهمس قرب اذنها

" غالية ... انسي كل اتفاق .. انسي كل شيء... فكري فقط بما يريحك .. انسي امي وامك .. انسي راغب .. انسيني انا ايضا ... قولي ما يريحك ان افعله وسأفعله ... مهما كان سيثير الزوابع ... سأفعله .. لو طلبت مكانا تعيشين فيه بمفردك سأجهزه لك .. وسأوفر لك وظيفة ومربية للولو ...و ...."

قاطعته بحدة وجسدها يختض

" اريد استعادة ما سلب مني ..."

ادارها لتواجهه بينما تهمس بمزيد من الهياج

" كرامتي انوثتي .. كبريائي ..."

كانت تكتم نشيجها ليطفو هياجها الغاضب على السطح ..

تمتم رافد في سره وهو يحدق بارتعاش رمشيها تمنع نفسها الاستسلام للبكاء

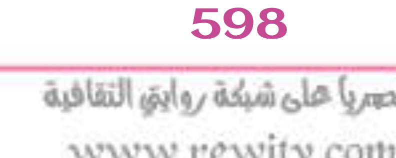
" آآآآه غاليتي ... عودي طفلة واقسم اني لن اتركك تضيعين مرة اخرى .."

جاء صوتها هامسا يائسا بشكل يحطمه

" أطفئ نار قلبي اولا ان استطعت ... فربما بعدها سأداوي البقية بنفسي ..."

ثم نظرت في عينيه فبدت تائهة لاهثة خوفا وارتباكا !






ها هي غاليته الصغيرة كما كانت وهي صغيرة تتعلق برقبته تبحث فيه عن دعم لم تجده حتى في والديها ...

كفّاه خاناه وهما تتسللان لظهرها من الخلف وفي اللحظة التالية كان يضمها بقوة لصدره يميل بشفتيه حتى كتفها الايمن يلثمه بهيام هامسا

" انا لك دوما وكيفما تريدين .."

لم يشعر الا وهي تدفعه بخشونة ليفلتها طواعية بينما تستدير لتبتعد عنه هذه المرة دون ان يبدي رافد اي محاولة للحاق بها مرة اخرى ...

يداه ترتعشان وهو يدسهما في جيبي بنطاله ثم يطرق براسه مغمضا عينيه يحاول بعجز اخفاء هياج روحه وقلبه و...جسده ...

في الحفل ...

تطلع ياسر للفستان بنظرات عابسة وملامح مشدودة ليقول من بين اسنانه

" ما هذا الفستان ؟!! "

تحيد بنظراتها بعيدا عنه مبتسمة بدلال تغيظه بادعاء البراءة وهي تعض شفتها السفلى المطلية بلون لامع زهري فضي ثم تقول بغنج وهي تشير لفستانها المتوهج

" اعجبك جدا اليس كذلك ؟ "



سحق اسنانه وهو يمسك مرفقها العاري

ككل ذراعيها ليهمس " لا... انه بشع ..! "

حركت حاجبيها وهي تقترب منه بجرأة

ووجهها مقابلا لوجهه لتهمس قرب شفتيه

وعيناها تتحديان عينيه

" اذن لماذا لاتستطيع ازاحة عينيك بعيدا ؟"

ضغط اكثر على مرفقها فأوشكت ان تطلق

آهة توجع بينما يهدر فيها بخفوت

" انه بشع في خلاعته .. جسدك مكشوف

بالكامل ..."

ردت وهي تتحداه بلا مبالاتها

" لاتبالغ .. لايظهر من جسدي الا ذراعاي وجزء

بسيط من ظهري ..."

اوشك ان يصفعها !

وبانت رغبته هذه جلية في عينيه ...

فابتسمت ابتسامة حلوة وهي ترمش باغراء

مفتعل ....

مال ناحية خدها يلثمه بشفتيه قبل ان يميل

اكثر ويهمس قرب اذنها بتهديد شرس

" اذهبي حالا الى الحمام واطلقي شعرك

ليغطي بعض عريك .."

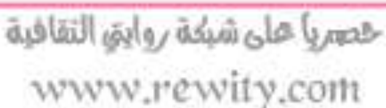
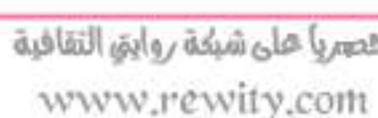
فعلت المثل وهي تميل بشفتيها لخده تلثمه

فتهمس " لن افعل ! ولست عارية .. انا عروس

فقط في حال نسيتَ هذا .. كما ان هذا

الفستان لا تليق به الا تسريحة مرتفعة

كتسريحتي.."



ابتعد بوجهه بينما الزغاريد تعلو بابتهاج
لتقارب العروسين هكذا فيرفع صوته حتى
تسمعه جيدا قائلا بلهجة قاطعة

" افعلي الآن سهر والا سأمد يدي لابعثر
تسريحتك الغالية وصدقيني لن يبدو شعرك
بعدها بافضل من عش اللقلق ..! "

ضحكة رنانة اطلقتها قبل ان تلمع عيناها
وهي تقول له بعذوبة ماكرة

" قل انك تغار علي وانا سأطيعك .."

زمّ شفتيه بحنق واضح لكنها تتمادى وتضيف
" قل انك لاتحتمل ان يراني رجل اخر
هكذا..."

زمجر ياسر " الان سهر .. امنحك عشر ثوان
لاغير وبعدها سيتحول حفل عقد القران
لكارثة اكبر من حفل الخطوبة .. بل الى
فضيحة ستزغرد لها النسوة بشكل مختلف
ولن تعتقها الالسن (الراقية) لسنوات..."

امالت رأسها برقة تتلاعب بنظراتها ما بين
استعطاف وتدلل لتهمس له

" على الاقل قل لي اني جميلة ... انا فعلت
كل هذا لاجلك وحدك .."

عيناه افلتتا من سيطرته فهامتا بحرارة مشتعلة
من وجهها لعنقها لفتحة فستانها ثم لامست
جمال قدها المتوهج بفستان وردي لامع
وحمالاته الفضية التي زادته توهجا وتألقا ...





اتسعت ابتسامتها برضا انثى ممتلئة بالثقة لهيام زوجها بها ...

فقالت وهي تلامس ظاهر يده

" لقد حصلت على الرد الذي اريده ..."

ثم غمزت وهي تضيف بشقاوة " ماذا كنت ستفعل مع عروس اخرى لاتفهم لغتك ؟ لاتفهم ان شتائمك هي تعبير متفجر همجي عن حبك اللاهب .."

رغما عنه ابتسم بينما تقف سهر برشاقة على قدميها لتميل نحو تلامس ربطة عنقه الانيقة المخططة بأناملها تهمس له بحرارة " نسيت ان اخبرك .. انت تبدو وسيما لدرجة مؤلمة لقلبي يا داكن العينين ..."

لترفع سبابتها لمكان قلبها تمررها بنعومة هناك ...

ارادت التحرك راضية عن موجة الاشتياق التي ضربته بوضوح لكنه تشبث بمعصمها بعنفه المعتاد ليهمس اخيرا

" اسبوعان اخران فقط يا مدللة ابيك وسأردها لك واحدة ... واحدة .. وحسابنا طويل ... طويل جدا يا وردية ... "

ضحكت بدلال ثم رفعت طارف فستانها وسط الزغاريد لتتحرك متبخترة امامه ...



بنظرات ماكرة انسحبت شهرزاد من ذراع زوجها التي تطوق خصرها بينما كان يكلم والد العروس ومستشاره الاقتصادي طاهر الاحمدي...

لديها ما تفعله الان ...

هيثم الجراح رجل يصعب الاحتفاظ باهتمامه على الدوام وحتى تمنع انشغال نظراته بأي شيء عداها عليها دوما إشغاله بمراقبتها هي وحدها ...

ان تثير مخاوفه من فقدانها كان السلاح الانجع ... سلاح تستخدمه بحذر ...

انها لعبة اصبحت تجيدها مع هيثم بل وتستمتع بها...

الليلة يستحق بعض الشعور بالتحرق والقلق جزاء له على تلك النظرة المعجبة التي افلتت منه ناحية حمراء الشعر ابنة اخ طاهر الاحمدي وابنة عم العروس ...

الشعور بالامان مع الشريك يصبح احيانا نوعا من الترف لايجيد الجميع التعامل معه بايجابية ..

وهيثم من هذه النوعية ...

رجل لايجيد التصرف بنزاهة عندما يعيش شعورا مريحا كهذا ...



اقتربت من هدفها ...

شاب من عمرها شديد الجاذبية ..

طويل ... اسمر ... عضلاته البارزة تكاد تشق سترته الانيقة التي تحتضن كتفيه ..

ابتسمت شهرزاد في وجهه بينما عيناه القويتا التأثير تتعرفان عليها كما تعرفت هي عليه

" مرحبا سعد ... سعد اليس كذلك ؟ ابن خالة جدايل ... "

رد سعد بابتسامة

" نعم ... وانت شهرزاد .. صديقة جدايل وقريبة لزوجها أيهم ..."

ردت شهرزاد بلطف مصححة

" لست من اقاربه بل زوجي هيثم هو من لديه صلة قرابة نوعا ما .."

ابتسم بأدب ولم يعلق بينما تضيف شهرزاد ببشاشة " هل علمت انهما سيعودان بداية الشهر المقبل ..."

رد سعد " اخبرتني امي ..."

فأشارت شهرزاد للعروسين وهي تسأله

" هل انت قريب العروس ام العريس ؟"

رد سعد " انا صديق لياسر منذ ايام الجامعة .."

لمحت عينا شهرزاد مراقبة هيثم لهما من بعيد فلم تعره انتباها بينما تقول برقة لسعد



" اذن انت اقرب مني لهما ... فانا مجرد مدعوة بعيدة الصلة ، السيد طاهر الاحمدي يعمل مستشارا اقتصاديا وماليا في مؤسسة زوجي "

ثم سألته باهتمام

" اين تعمل انت يا سعد ؟ جدايل قالت لي مرة انك ستفتتح مكتبا ما.."

قال سعد وهو يتطلع لوجهها

" لدي مكتب صرافة ..."

تحركت شهرزاد فكان حظها افضل من تخطيطها عندما تعثرت بحافة فستانها الطويل الذي علق في كعب حذائها لتتمايل توشك ان تقع عندما سارعت يد سعد لاسناد مرفقها

وبصلابته اسند جسدها ليثبته خلال ثانية ويسألها بصوت رجولي

" هل انت بخير ؟"

" شهرزاد ..."

صوت هيثم علا ببعض الحدة من خلف ظهرها بينما يتركها سعد لتستند بظهرها لصدر زوجها الذي التفت ذراعه حولها التفافا وهو يسألها بقلق " هل انت بخير حبيبتي ؟! "

ردت وهي ترفع وجهها الفاتن لوجه هيثم الحانق رغم قلقه لتهمس

" نعم ... لاتقلق .. تعثرت فقط بكعب حذائي.."



عينا هيثم تركزتا على وجهها مفتونا بدلالها الغامض بينما الغيرة تأكله من الداخل لتقول شهرزاد وهي تبتعد عن صدره قليلا

" سعد اقدم لك زوجي هيثم الجراح ..."

ثم التفتت قليلا نحو زوجها لتتم التعارف قائلة

" هذا سعد ابن خالة جدايل .."

ذراع هيثم ما زالت تلف زوجته تمنعها الابتعاد اكثر بينما يمد يده الاخرى ليصافح سعد ببرود قائلا " تشرفنا ..."

صافحه سعد بابتسامة هادئة قائلا

" اهلا سيد هيثم ..."

ثم حول سعد نظراتها لشهرزاد وهو يقول بلطف رجولي جذاب " سعدت برؤيتك شهرزاد.. عن اذنكما لاسلم على صديقي ..."

أمال هيثم فمه قرب اذنها يسألها بغيظ يحاول اخفاءه بشق الانفس

" بماذا كنت تتحدثين مع سعد هذا .."

ضحكت شهرزاد بخفة وهي تسأله بمراوغة

" يبدو انه لم يعجبك .."

حدق فيها لبضع ثوان وقد بدى مترددا في قول ما يريد لكنه حزم امره ليقول بضيق واضح

" شهرزاد ... لااحب ان تتباسطي مع الرجال .. يكفي اني اتحمل وجود شاهين كجزء لايتجزأ من حياتك فرضتيه عليّ "



عينا شهرزاد ابدتا جمودا قاسيا لتواجه زوجها بالقول " دعنا نخرج شاهين من حوار منتهٍ .. اما سعد فهو رجل مميز و يجيد التعامل في الامور .. جدايل حدثتني كثيرا عنه .. محظوظة من سيكون من نصيبها "

بدى هيثم على وشك الانفجار من شدة الغيرة ودون ان يشعر مال لفمها يطبع قبلة سريعة عليه فتهمس شهرزاد بعجب " هيثم ...؟ "

فيقول بحرارة وتملك " وانا المحظوظ بك ... المحظوظ الوحيد والأبدي شهرزاد .."

قالت وهي تتمالك مشاعرها التي تضعفها نحوه

" لم اتصورك ستغير هكذا ..؟ "

تشددت ذراعه اكثر حولها ليقول بتشنج

" عندما امسك ذراعك اوشكت ان افقد كل ثباتي .."

فيضيف بهمس

" لااحب هذا الشعور شهرزادي .."

قالت وعيناها تموجان بمشاعر قوية تفيض بنوع من القساوة الباردة

" كلنا نمر بمشاعر لانحبها بل نمقتها ثم تلازمنا حتى تصبح جزءا من شخصنا فنضطر ان نتعلم كيف نتعايش معها .. انها تضحية ... تضحية لاجل ديمومة مشاعر اخرى لانستغني عنها ..."





بدى هيثم قلقا مشتتا يحاول التركيز في تفسير معنى ما تقول وما تقصد ليسألها بشكل مباشر

" هل اخطأت في شيء منذ عودتنا لبعض ؟! ألم أكن نعم الزوج الذي كفّر عن خطئه وذنبه نحوك ؟ "

فكرت شهرزاد عندها انها ربما بالغت في تقدير نظرته لحمراء الشعر تلك واعطاء الامر انتباها اكثر مما يستحق ..

ربما هي من اصبحت تبالغ في اي نظرة تلتقطها منه ناحية اي امرأة ... فتسترجع في لحظات تلك النظرات الخفية التي كان يتبادلها مع ابنة عمها نورا تحت نظرها وسمعها الغافلين..

وبعد كل ما حصل ورغم مرور اكثر من عام ما زال الشعور يؤلم .. يؤرق في ليال طويلة لاتعرف فيها النوم ...

هذا ما يحصل عندما نفقد الثقة.. الحب والعشق لايكفيان لرأب الصدع الذي حصل من الخيانة ...

تمتم هيثم بهيام قرب اذنها

" انا احبك شهرزاد .. اعشقك يا الهي كم اعشقك ... "

ردت بصدق وهيام مماثل

" وانا احبك .."



ليسحبها من مرفقها لاهثا بالعاطفة قائلا بخشونة

" تعالي نخرج قليلا من هنا ... هناك ما احتاج فعله ... فقط لاستعيد ثباتي الذي ضاع ..."

قلقه يرضيها .. تلهفه اليها يرد لها اعتبارا لم يرتوي بالرضا حتى الان ....

نظرت في عينيه اللتين طالما تذوب فيهما لترى ذوبانه هو فيها فيتخالط كل شيء وتتقهقر تلك المخاوف المنغصّة في جحر بابه ما زال .... مواربا ....!

ارتشف رافد من كأس عصيره وهو يقف في زاوية شبه مخفية من القاعة الصاخبة بالفرح ما بين حقيقي ومتصنع ....

الليلة هو عاجز حتى عن تصنع الفرح دون ان تستنفد طاقته ...

احتاج للانعزال بعيدا حتى يلتقط انفاسه فيعود لارتداء قناع الاستمتاع ...

عيناه لمحتا اقتراب تلك المرأة من سعد ..

امرأة خمرية فاتنة على نحو مميز كبصمة يصعب تكرارها ..



رآها كيف تحادث سعد بنوع من الاهتمام تبتسم له وسعد يرد لها بلطف رجولته الذي لايستغني عنه مما استجلب الابتسامة عنوة لشفتيّ رافد ...

همس في سره " اين جودا عنك يا مفتول العضلات لتفترسك انت وتلك الخمرية الفاتنة معا..."

حركة صاحبة الشحنات اقتربت منه دون ان تقصده كوجهة لها ...

بفستانها الجذاب الازرق وشعرها الطويل الاسود يهفهف حول جسدها في نعومة غريبة على خصله الثائرة دوما ...

تضع يدها على صدرها ووجهها متغضن وكأنها تتألم !

لم تره بينما تغادر القاعة على عجل دون ان يلمحها احد ...

تنهد رافد وهو يتحرك من ركن اعتزاله هامسا لنفسه " اهلا بعودتك للصخب يا رافد "

لحق بها خارج القاعة يكاد يسرع بخطواته وهي تهرول هاربة الى خارج مبنى الفندق ...

رآها تقف اخيرا لتستند بيد مرتعشة على حافة سور حديقة الفندق شبه المظلمة ..

جسدها ينتفض وكأنها تلتقط انفاسها بصعوبة ...



وقف على بعد متر واحد يسألها بحنان مشفق

" عزيزتي هل انت بخير ؟"

تشنج جسدها اكثر لتهتف فيه بوحشيتها التي تميزها ودون ان تلتفت اليه

" هل تراني بخير ..؟! انا اختنق .. صدري يؤلمني ولا استطيع التنفس .."

تبسّم رافد وهو يقول لها برقة مرحة

" جودا .. ياسر سيتزوج فقط .. انه لن ينتحر او ما شابه ... وسيبقى اخاك الى الابد "

اخذت تهز رأسها وتقول بنبرات متقطعة تفيض بالأسى " انا لااحتمل .. لااحتمل هذا الخوف "

عبس رافد وهو يسألها بتركيز

" اي خوف جودا ؟ هل هناك شيء ؟"

ردت وهي تشهق بالبكاء

" ارحل .. اتركني وحدي .. انا اتألم ولا احد يفهم .. انا ايضا لاافهم هذا الألم الذي يخيفني لدرجة الرعب .."

تمتم رافد بهدوء

" لابأس .. سأتركك لوحدك .. وحالما تكونين مستعدة سأرافقك للداخل مرة اخرى...."

ابتعد رافد ليجد له مكانا يجلس فيه ويراقب جودا عن بعد ...



بضعة موائد وكراسي تحت ظليلة كالعريشة اتخذ احدى الموائد مقرا له ليجلس ويخرج علبة سجائره وهو يتمتم ساخرا من نفسه

" هذه الليلة تبدو من الليالي الطويلة جدا ..."

اشعل سيجارته عندما شعر بحركة خلفه ...

لم يلتفت مباشرة وقد ميّز صاحبة العطر الناري كخصل شعرها الحمراء ...

همست برقة مغويّة تناسب جو الاضاءة الخافتة " هل ازعجك اذا انضممت بالجلوس معك .. الجو اصبح خانقا قليلا داخل القاعة"

رفع رافد رأسه وهو يمجّ من سيجارته التي اشعلها للتو فتطلع لكتلة الجمال المشع الليلة على نحو خاص ...

بفستان اسود كهذا الذي ترتديه بدت هاجر لاتقاوم ...

هزّ رأسه بخفة وهو يشير بيده لتجلس دون ان يقول كلمة ...

جلست هاجر على الكرسي بجانبه تلف ذراعيها حولها وهو ترتعش بنبرات صوتها قائلة

" الجو بارد ... "

مسبل الاهداب ثبت السجارة بين شفتيه ليحرك ذراعيه ويخلع سترته يقدمها لها فتأخذها هاجر بابتسامة اشد اغراء من فستانها اللامع وتضعها حول كتفيها وهي تشكره ...



عاد رافد ليمج من سيجارته وعيناه لاتفارقان جودا الهائجة التي اخذت تقطع اوراق الاشجار وبعض الاغصان بعشوائية عنيفة واخيرا اخذت تقتلع بعض الزرعات الصغيرة من منابتها وترميها ارضا !

كتم ضحكته لطفوليتها الغاضبة بينما يحسدها على قدرتها العجيبة في اختيار ما تفرغ به غضبها ويأسها واحباطها ..

ترى ماذا لو جرب طريقتها ؟؟

سيقتلع النخيل من جذوره لو حانت له الفرصة!

تأوه أحاط بقلبه وهو يتذكر عيني غالية الليلة ...

تذكر جسدها ملتصق بصدره ورائحتها العطرة وهو يلثم كتفها ..

ارتعش بقوة رغم ارادته فسمع هاجر تقول باهتمام " اذا بردت خذ سترتك .. انا اسفة "

فيرد وهو يتطلع لوجهها مباشرة

" لاتقلقي ... انا اصلا اتضايق من ارتداء البدل الرسمية .. انها مجرد رعشة افكار مخيفة !"

ردت هاجر وعيناها تشيران لجودا هامسة

" انها جودا اليس كذلك ؟ تبدو حانقة ..."

ردد رافد بلامبالاة ظاهرية

" ستهدأ الآن .."



فاضافت هاجر بنبرة حذرة متأنية تحمل سؤالا غير مطروح

" اخت ياسر جميلة جدا .."

تطلع رافد لعينيها العسليتين الذكيتين مقيّما باعجاب لاينكره اسلوبها الـ(حوائيّ) بامتياز للحصول على المعرفة التي تثير فضولها ...

وهو حاليا (المعرفة) التي تثير فضول هاجر الصهباء ...

تريد ان تصل اليه وهو لاسباب مشوشة يتركها تتلاعب حوله ...

لكن حتى التلاعب الانثوي هذا يجب ان يعرف ان له حدودا لايتخطاها ..

قال بنبرة هادئة وهو ينفخ الدخان في الهواء

" بل فاتنة جدا ... لكنها صغيرة وبريئة ولاتدرك هذا بشكل واضح لذلك تحتاج للحماية دوما "

ثم تطلع لعينيها الفضوليتين قائلا بنظرات شبه حادة " جودا عندي كياسر بالضبط .. خط احمر لا اسمح لمخلوق بتجاوزه "

عيناه التقطتا حركة في الظلام باتجاه جودا وعلى الفور ادرك صاحب هذه الهيئة العضلية المميزة ...

وقف على قدميه وهو يبتسم بشكل خاص لهاجر يلهي انتباهها عن التقاط جودا وسعد فيقول لها بنبرة مؤثرة



" هلا تمشينا قليلا ..مللت الجلوس "

ابتسامتها المنتصرة شعّت وهي تقف على قدميها وكما اراد حصل ...

ابتعد بها عن العاشقين ...

جودا الوحشية الغاضبة ..

والرجل العضلي قاهر قلوب النساء ...!

" جودا ... ماذا تفعلين هنا ؟ كنت ابحث عنك في كل مكان ...."

التفتت اليه وصدرها يعلو ويهبط بانفعال ثم اشرست ملامحها لتفاجئه وهي تنحني للارض وتجمع بيدها الزرع المقطع الاجزاء الذي

اقتلعته للتو من تربته واخذت ترميه عليه بعنف وهي تصرخ فيه " ابتعد عني .. عد للحفل ايها المتأنق السخيف ! "

تفاجأ سعد وهو يتجنب ما ترميه به وينفض عن ملابسه ما طاله منها ..

ليعبس وهو يتقدم نحوها فيمسك مرفقيها ينهرها بالقول الحازم

" توقفي .. الآن جودا .. توقفي .. لايليق بك فعل الاطفال هذا "

اخذت تضربه بقبضتيها على صدره وشعرها يتناثر بجنون بينما تهتف به





" انت لاتكف عن فعل هذا .. تلاحق النساء في كل مكان .. انا اكرهك .. اكرهك لانك تسمح لهن بالاقتراب هكذا .. وتستمتع بمغازلتهن المقرفة .."

افلت مرفقيها ليمسك وجهها بين كفيه يثبته عنوة ويحدق في عينيها مباشرة ليجدهما باكيتين رغم شراسة الغضب المتقافز منهما ...

همس بنبرة حازمة " ستتوقفين حالا عن افعالك هذه وتكلميني بكلمات واضحة ولائقة كأي انثى راقية ...."

عندها عاندته لتلقي على مسامعه شتائم مرعبة من أقذأ وابذأ المعاني !

صعقته !

حقا اصابته بالصاعقة وتلك الشفتان تنطقان بما لايفهم عقلها الصغير معناه ..

ارادت ان ترميه بالمزيد من الشتائم عندما حرك اصابعه ليغطي فمها بحزم قائلا بنبرة رجولية

" الكلام البذيء لن يؤذيني منك .. فلا تتعبي نفسك بتكراره .. ما يؤذيني حقا ظنونك السيئة المستمرة عني ... "

لتتراخى نبرته وهو يهمس

" وما يؤذيني اكثر انك تتألمين ... انا لااريد الا اسعادك صغيرتي ..."



تعقد حاجبيها بقوة وعيناها تنفثان اللهب البلوري الغاضب بينما تتحرك شفتاها خلف اصابعه فتصدر اصواتا لكلمات مكتومة فلا يتبين ما تقول ..

ابعد يده عن فمها ببطء وهو يبتسم قائلا

" لن تقولي كلمة بذيئة اخرى اليس كذلك ؟ ستسألين بلطف وانا سأجيب .. "

حالما فك أسر فمها انطلقت في سؤالها الهادر

" ماذا كنت تفعل مع تلك السمراء ذو الفستان الكريمي ؟ "

رد ببعض التعجب " تقصدين شهرزاد ؟ لاشيء ...انها صديقة جدايا ..."

فصرخت به وهي تغمض عينيها بقوة

" وحمراء الشعر تلك ابنة عم الباربي البشعة تضحك معها وكأنكما .. وكأنكما صديقين مقربين .. انها قبيحة كابنة عمها "

ابتسم بحنان وهو يهمهم برقة " صغيرتي ... افتحي عينيك .. لاتغضبي هكذا ..."

فتحت عينيها لتعاود الصراخ بنبرة موجوعة

" لاتقل صغيرتي ... انا عمري اثنان وعشرون عاما ... انا امرأة ... سأقتلع عيني اي شخص يقول عني خلاف هذا .."

اقترب منها جدا ينظر في عينيها ويبتسم لها قائلا



" اذن لماذا تفقدين سريعا ثقتك بنفسك ؟

المرأة الواثقة تعرف قيمتها .. تعرف من يهتم لاجلها حقا مهما تكاثرت النساء من حوله .."

حدقت في عينيه تتوسله ببراءة سؤال صريح لاتدرك خطورته على مشاعر اي رجل

" انت تهتم لاجلي وحدي اليس كذلك سعد؟ انا اجمل منهن جميعا اليس كذلك ..؟ "

قلبه يخفق بقوة وهو يحدق في تلك الشفتين المغريتين اللتين تضعفانه شوقا وولعا بهما ..

تمتم اسمها " جودا ..."

كفه تلامس خدها فترتعش وهي تهمس له

" عندما تلامسني هكذا اشعر اني بخير .. ان الحياة بخير .. اني ... سعيدة .. فيذهب الألم في صدري وكأنه لم يكن له وجود "

ابتلع ريقه ليتماسك قليلا ويهمس بنبرة مبحوحة وهو يتطلع لفستانها

" من اختار هذا اللون لك ؟"

ردت وشفتاها تعذبانه بابتسامة تمس القلب

" عمتي فائزة ... قالت سيكون جميلا علي .."

يحدق فيها وتنابه موجات من الفرح والقلق في آن واحد ...

انها طفلته المشوشة التي في لحظة تصرخ وتعربد وفي اللحظة التالية تبتسم وتقول كلمات عفوية تشطر قلبه من شدة براءتها..





تحرك ابهامه على خدها يلامس رموش عينيها برقة وهو يقول هامسا " انه بلون عينيك .. "

تخضبت وجنتاها وهي تتطلع لعينيه لاهثة بينما يضيف بصوت مبحوح

" احب شعرك مسرحا ناعما هكذا ..."

همست اسمه وكأنها تطلب شيئا هي نفسها لاتعرفه " سعد ...."

ادرك سعد انه يجب ان يتوقف قبل ان يفلت الامر اكثر ، فأبعد يده يضعها بعفوية في جيبه وهو يسألها ببشاشة تغطي على اشتعال مشاعره " كيف هي دراستك صغيرتي ؟"

ردت وهي ترمش بارتباك " لابأس ...بها ..."

عبس ممازحا وهو يسأل " كيف لابأس ..؟ "

قالت وشعرها يتطاير من نسمات الهواء

" اواجه الصعوبات لكن الاستاذ طارق يساعدني .."

ارتعدت اوصاله دون سبب محدد ..

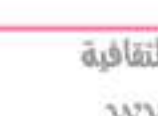
مجرد حدس بالخطر ... بالخطر الشديد ...

سأل بنبرة عادية " كيف يساعدك ؟"

اندمجت جودا في الموضوع فترد بابتسامة مبتهجة " اذهب اليه صباح كل يوم في مكتبه ليشرح لي المواد التي اعاني من تلك الصعوبات فيها ..."

اخرج يده من جيبه عفويا وهو يسألها بقلق مخفي " تذهبين اليه ؟! اين تقصدين ؟"







فترد ببساطة

" في غرفته الخاصة في القسم..."

قلبه يهدر بمشاعر شتى في صدره وهو يسأل بنبرة حادة " بمفردك ؟"

تراجعت ابتسامتها من ردة فعله وهي ترد

" نعم ..."

لم يشعر الا وهو يهتف بها فاقدا سيطرته

" كيف تفعلين هذا ؟ "

حدقت فيه بتشوش تسأله بوجل " ماذا ؟"

امسك مرفقها ينظر في عينيها بقوة قائلا بنبرة حازمة قاطعة

" جودا ... لااريدك ان تكرري هذا .. لن تذهبي اليه مرة اخرى في غرفته الخاصة.."

أخذت تهز رأسها برفض عفوي وهي ترد عليه

" لماذا ؟! انه رجل طيب ويحتاج اليّ ايضا .."

عقد سعد حاجبيه بقوة يسألها باستهجان وقلق

" يحتاج اليك ؟!"

فتهز راسها تأكيدا هذه المرة وهي تقول باقتناع كامل صدمه

" نعم ... انه يعاني مع زوجته العاقر التي لاتتوقف عن اثارة المشاكل له... مسكين يشعر بالوحدة الشديدة .."

انعصر قلبه من شدة شعوره بالخطر وارتفع الدم لرأسه من شدة الغضب فيقاوم بكل طاقته ليتوازن ويقول

" جودا ... هذا الرجل ليس نزيها.."

فتهتف به بنبرة عاتبة خائبة الظن

" توقف سعد .. لاتقل عنه هذا الكلام .."

فيرتفع مستوى غضبه ليصرخ فيها

" قلت لك انه رجل سيء وليس كما تظنين "

اخذت تقاوم امساكه بمرفقها وهي تهدر فيه

" لا .. لاتقل هذا .. لاتجعلني اغضب منك .. "

ثم نظرت لعينيه وهي تدافع بشكل مستميت

" انه ليس سيئا .. ليس هكذا ابدا .. لاتقل هذا الكلام ارجوك .. "

لتلتمع عيناها بدموع رقيقة هامسة

" لاول مرة اشعر اني اعيش حياة طبيعية والتقي باناس طيبين يهتمون لامري بصدق .. ارجوك .. لاتفعل هذا سعد ... لاتجعل الامور تبدو .. قذرة ... مرة اخرى ..."

تهدر الانفاس في صدره وهو يتطلع لتلك العينين الدامعتين بينما تضيف جودا بتوسل مقهور هامسة

" ألم تقل اني لاجذب القذرين فقط ؟ ألم تخبرني بهذا ؟ "

ما زال يحدق فيها يزن كل كلمة تفوهت بها لتضيف اخيرا لتقول جودا اخيرا تقنعه بالمزيد

" انه ليس كقتيبة .. وليس ككامل .. صدقني ... لم يحاول حتى ان يلمس يدي .. لم ينظر الي بتلك الطريقة القذرة ابدا .."

عندها .. وهو يحدق ببراءة عينيها المتوسلتين لم يفكر سعد مرتين وهو يمسك مرفقيها الاثنين ليقربها منه قائلا بنبرة رجولية مقتحمة لأسوار اي انثى

" جودا ... انا احبك .. مفتون بك .. وقد طلبتك للزواج من اخيكِ ياسر "

مستندان بمرفقيهما على سور حديدي مزخرف يحدقان بصمت في سكون الليل بينما اصوات الموسيقى تصل مسامعهما بذبذبات رقيقة تزيد الجو سحرا وغموضا من حولهما ...

قالت هاجر ببعض التردد " رافد ... هل استطيع سؤالك عن شيء شخصي ؟"

ادار وجهه جانبا اليها فيحدق بملامح هادئة لجمال وجهها عن قرب ..

قرب شديد مؤثر ...

تشجعت وهي تضيف بلطف خاص

" اعذرني لما ساقول .. وربما تجدني جريئة بعض الشيء .. انت تضحك على الدوام وتجعل الاخرين ينفجرون بالضحك من حولك ..



تبدو رائق المزاج اغلب الوقت .. لكن .. انا لااشعرك سعيدا حقا ! تبدو كمن يشعر بحاجة ما مفقودة من حوله وربما حاجة لايصل اليها ... ويتوق ان يطالها .. "

للحظة اجفلت من التماعة عينيه فبرز لونهما الازرق بوضوح ليس معتاد ..

اوشكت ان تعتذر عندما انفرجت اساريره ليبتسم ابتسامة شديدة الحلاوة قائلا

" ما رأيك اني اشعر بحاجة ما في هذه اللحظة.. حاجة في غاية الاهمية لأطالها .. وربما انت الوحيدة من ستساعدني .."

تمتمت هاجر وهي تتطلع لعينيه بافتتان أفلت منها لجامه

" ماذا ؟!"

رفع حاجبيه ليقول بابتسامة شقية

" اريد ان ارقص ! "

خانتها تعابير الدهشة اولا لتظهر جليا على محياها الجذاب ثم اكتسحتها تعابير الفرح وهي تفسر رغبته بالرقص على نحو حميمي يخصهما وحدهما في جو الليل الساكن .. وقبل ان تتمادى بافكارها أضاف رافد وهو يعض شفته السفلى مشيرا برأسه للخلف قائلا بلهجة صبيانية محببة





" هل تسمعين ؟ قاعة الزفاف مملة بالموسيقى الراقية التي تناسب ذوق غالبية الحضور من الطبقة المخملية المتأنقة .. لكني اريد صدمهم عندما ترتج الجدران بالاغاني الشعبية الهابطة وانا ارقص على انغامها حتى طلوع الفجر فهلا شاركتني جنوني وفرح رؤية تلك الوجوه الارستقراطية يعلوها الغيظ والنفور ؟ "

ببراعة اخفت خيبة املها فتتشبث بايجابية مطلبه وبلمعة شديدة الجاذبية في العينين العسليتين قالت هاجر بحماس فاتن وشعرها الاحمر يتطاير عاليا حتى لامس وجهه

" هيا بنا ...."



الفصل السابع عشر

" جودا ... انا احبك .. مفتون بك .. وقد طلبتك للزواج من اخيكِ ياسر "

اتسعت عيناها بنظرة لم يستطع تفسيرها لوهلة !

ثم لم يخطئ رؤية الألم فيهما مما أربكه ...

همس اسمها " جودا ..."

فالتمعت دموع في تلك العينين البلوريتين لتهمس بنبرة مخنوقة

" انه هو ... هو من .. طلب منك .. فعل هذا ؟"

كان تقرير واقع اكثر منه سؤال ..

اختلطت على سعد الامور وقد شوشته ردة فعلها وكلماتها فيسأل بحيرة

" هو ؟! من هو ؟!!"

سالت دموعها كسيول عارمة على خديها بينما تهتف بألم مبرح

" ياسر ... ياسر من طلب منك ان تتزوجني .. اليس كذلك ؟!"

لم يستوعب حقا انها قالت ما قالته للتو !

عقد حاجبيه يحاول السيطرة على منحى افكارها الغريب وهو يقول بثبات

" كيف تقولين هذا ؟! بل كيف خطر في بالك وما الذي دفعك لقوله حقا ؟!"







اخذت تشهق بالبكاء وتبكي بحرقة قلب أدمت قلبه فيتراخى عبوسه ويهمس بحنان وهو يلثم جبينها

" هوني عليك صغيرتي .. فقط اخبريني لماذا تقولين هذا ؟ "

اخذت تشهق وتقول بتقطع

" اجل .. هو .. لم يعد يطيقني .. انا .. از..عجه .. وهو يريد باربيته البشعة .. وانا اكرهها وازعجه على الدوام لاني اشتمها .. انه لم .. يعد يتحملني .. يريدني ان اغادر .."

رغما عنه تبسم ليحرك يده من مرفقها ليمسك ذقنها ويرفع وجهها الباكي اليه

يتطلع لغزارة دموعها بعاطفة تكتسحه فيقول بصوت أجش

" يا صغيرة العقل والروح ... كم تحتاجين للكثير لتفهمي .."

فتعود للبكاء لكنها تهتف بحنقها الطفولي

" انا لست صغيرة .. انا افهم كل شيء .."

اتسعت ابتسامته ليقول لها

" لو كنت تفهمين حقا لادركت ان ما تقولينه غير منطقي .. كيف يريدك تغادرين وقد جهز لك حماما جديدا خاصا بك ؟"

توقفت قليلا عن البكاء بينما تعبس مبدية بعض التشكك ...



ليضيف سعد متنهدا

" انه سيغضب مني في الواقع ولن يسامحني
لاني خالفت اتفاقنا وفاتحتك بموضوع الزواج
قبل اتمامك العام الدراسي ..."

خف عبوسها وهي ترفع يدها تمسح دموعها
بخشونة تهمس بخنقة بكاء

" هل .. ما تقوله صحيح ؟ ام انك تخدعني ؟"

لا يعلم كيف تحول اعتراف ناري منه بالحب
وطلب الزواج لمحاولة مضحكة ان يقنعها بأن
اخاها لايريد التخلص منها !

هزّ رأسه نفيا ليعاتبها بالقول

" انا لاأخدعك صغيرتي وقد اتفقنا ان تثقي
بي ولا تصفيني بصفات لااحبها ..."

ما زالت شهقاتها عالقة بصدرها من أثر البكاء
فيطالعها سعد بانجذاب غريب ..

كل ما فيها يثير رجولته لابعد حد ..

يشعرها قطعة منه يتمنى لو يأخذها في صدره
ولايفلتها ابدا ...

تمتم هامسا بنبرة احباط رقيق

" غالبا ياسر سيعاقبني لاني صارحتك .. وربما
حتى لن يرضى بي زوجا لك بعد الآن .."

عندها عقدت حاجبيها الداكنين بقوة لتهدر
بوحشيتها الثائرة

" فليهنأ هو بعروسه المتصنعة ... انا لن اتزوج
رجلا غيرك وليفعل ما يشاء .."



انها فتاة لاتصدق !

يكاد ينفجر بالضحك من الموقف كله ومن طبيعة الحوار وفحواه

ليسألها بتسلية

" هل ستتزوجيني عندا ونكاية بإخيك ؟!"

ردت بإصرار وعزم

" نعم ..."

عندها لم يتمالك سعد نفسه ليقهقه عاليا بضحكات من اعماق قلبه بينما تتكتف جودا في حالة تحفز !

يحرك ذراعيه الى الاعلى والاسفل ويدور كفيه حول بعضهما في نفس الوقت بينما يهز كتفيه و يدبك بقدميه على الارض ..

كله كان يرقص بحركات على ايقاع الاغاني الشعبية التي طلبها بنفسه من موزع الاغاني الخاص بالحفل ..

تقابله هاجر باشعاعات ضحكاتها الرنانة التي جذبت كل رجال الحفل ونسائه ترقص امام رافد بتلقائية جمعت بين ميوعة الرقص الشعبي والانوثة النابضة بالرقي ...

اثارا الصخب بتفردهما المتكامل في الرقص فاشعلا الحماسة لينضم اليهما الشباب من الذكور والاناث ...



كان ياسر يراقبه بدهشة بينما سهر ترفع حاجبيها بدهشة من نوع مختلف !

فياسر لايفهم حقا كيف يستطيع رافد ان يرقص هكذا ومع امرأة وهو في داخله مذبوح من عشق شبه مستحيل نحو امرأة اخرى ...؟!

بينما سهر تغمرها الدهشة من تألق عيني ابنة عمها وهي تحدق في عيني رافد بجرأة !

لم تتصورها معجبة به لهذه الدرجة ..

لا .. انها مفتونة به على نحو يثير القلق ..

وما يثير القلق اكثر هو نظرات رافد اليها ..

هو الآخر معجب بهاجر كأنثى ...

لكن هذا لايعني شيئا !

فكل رجل في الحفل سيعجب بطاقة الانوثة المتفجرة في ابنة عمها خاصة وهي ترقص بهذه الطريقة ..

ماذا يحدث ؟!

حقا ماذا يحدث بين هذين الاثنين ؟!!

عينا سهر تلفتتا تبحث عن والدها فرأته يحدق هو الآخر بدهشة عابسة في ابنة اخيه التي ترقص بحرية مبالغ فيها ومع شاب يراه غريبا عنها اما امها فبدت بوجه محتقن يفيض خزيا !

تساءلت سهر وهي تعاود التحديق في هاجر بدهشة متواصلة

" ترى هل كانت سترقص بجرأة هكذا لو كان عمي موجودا في الحفل ؟!"



وبينما العريسان يعيشان لحظة دهشة طويلة مختلفة الاسباب والمنحى التفت رافد اليهما ليتقدم منهما وعيناه تلمعان بالمكر والشقاوة تلحقه هاجر الضاحكة وقبل ان يعترض ياسر كان رافد يسحبه بقوة من فوق كرسيه بينما هاجر تسحب سهر وفي قمة الصخب والرقص ضاعت اية مشاعر أخرى ....

وبعد قليل انضم اليهما سعد ايضا وقد ترك لسبب ما رزانته المعهودة فيرقص هو الآخر مستمتعا بالجو وبينما ياسر يحدج سهر بنظرة محذرة حتى لاتبالغ في حركاتها وجد نفسه محمولا على كتفي رافد المجنون الذي اشتعل صخبه الممتع ليشعل القاعة بمن فيها ..

بعد بضع ساعات

في ظلمة خفية عن الاعين اوقف ياسر سيارته جانبا بينما سهر تضحك برعونة انثوية مستمتعة بملامح وجهه الحانقة بعد ان اغاظته طوال الطريق وهي تشرح له (خلاعة مفترضة) في فستان الزفاف الذي وقع عليه اختيارها وستذهب في الغد لشرائه بعد رحلة بحث وتقصي مكثفين استغرقت اياما ...

شهقت متألمة وهو يمسك زنديها العاريين من تحت الفرو الرمادي الذي تضعه فوق كتفيها فيغرز اصابعه بقساوة في لحمها اللين بينما يهمس بخشونة وهو يقربها منه







" ما رأيك اني سألغي حفل العرس هذا وسآخذك في التو واللحظة الى حيث تنتمين لتتعلمي الادب يا قليلة الحياء ..."

ترفع كفها الايمن لجانب وجهه تنظر اليه بجرأة مشاعرها المحررة من اي قيد فتهمس له بانوثة عاشقة

" ليتك تفعلها .. ليتني املك القوة لادفعك ان تفعلها .. لكن والداي لايستحقان ان احرمهما من حفل زفاف ابنتهما الوحيدة "

زمجر شاتما وهو يجذبها لصدره يغرق وجهه في رقبتها ويهمس بغضب عاطفي مكبوت

" اللعنة يا سهر .. اللعنة .. منذ ايام ورائحتك هذه ملتصقة كالغراء المستعصي في سريري!"

تضحك بارتعاش فتهمس له وهي تشعر بشفتيه تلتهمان بشرة عنقها

" اما انا فأشتاق حبك اكثر من اشتياقي لرائحتك... "

وكأنها سكبت الزيت على النار وفي جنون منفلت كان يسحق شفتيها ويعتصر جسدها بينما اصابعه انتقلت بعنف لظهرها في جزئه العاري فتتأوه سهر ما بين ألم جسدي وتأثر انثوي به ...

احست بحركة خشونة عند حافة الفستان الملتصقة بظهرها وفي نفس اللحظة سمعت صوت تمزق خافت فشهقت لتمسك كتفيه تبعدهما عنها وهي تهمس بصدمة



" هل مزقت فستاني من الخلف ؟!"

رفع اليها وجهه ذو الملامح التي تطفح بالنارية لاهثا بالقول الخشن

" بما يكفي حتى لاترتديه مرة اخرى "

اتسعت عيناها بصدمة اشد وتلقائيا ارجعت يديها لما خلف ظهرها تتلمس حافة الفستان لتتأكد انه حقا احدث تمزقا فيه !

شهقت وهي تعيد يديها اليه تضرب بهما على كتفيه بقوة بينما اخذت دموعها تسيل كطفلة مدللة بينما تصرخ فيه

" ايها الجلف المتوحش القاسي .. لن اسامحك لما فعلته بفستاني الجديد ابدا .. ابدا .. ابـ......"

اغلق فمها بشفتيه مغرقا اياها بمزيد من نارية قبلاته فيهمس بشوق عارم بين قبلة واخرى

" لو كان بيدي.. كنت مزقته بالكامل.. الآن .. آآآآآآآآآآه يا سهر ... آآآآآآآآآآآآه "

اخذ يقبل دموعها وهي تشهق بنعومة تستسلم لفيض مشاعره وآثار غيرته المجنونة ولم تشعر بنفسها الا وهي ترفع ذراعيها لتطوقا رقبته ثم تهمس قرب اذنه

" كم احبك ايها الخشن .. كيف تستطيع فعل هذا بي لاحبك اكثر بدلا من ان اكرهك ؟!"

لم يكن رده الا باعتصار أشد حتى ظنت لوهلة ان اضلاعها ستتكسر ...



ليصدح رنين هاتفها فيوقف جنون الليل ..

شتم ياسر بينما يتمتم بغضب كالجحيم

" هذه امك ... اقسم انها لن تفارقنا حتى في ليلة الزفاف !"

حدجته بنظرة غاضبة مؤنبة بينما يفلتها على مضض لتلتقط حقيبتها الفضية وتخرج هاتفها وتستعيد بعض انفاسها بشكل طبيعي قبل ان تفتح الهاتف لترد بابتسامة على امها

" اجل امي .. سنصل حالا لاتقلقي .."

ثم تتطلع للعينين الداكنتين اللتين تلتهمانها التهاما فتضيف برقة مغيظة

" ياسر اضاع الطريق قليلا لكنه الآن في الطريق الصحيح ! خمس دقائق وسأكون عندكم ..."

كان ياسر رائق المزاج وهو يدخل لشوارع الحي الذي يقطنه ...

وبينما يقترب من بيته لمح عبر انارة الشارع الخافتة سيارة يعرفها !

ركن ياسر سيارته جانبا وترجل منها وكله مشدود بينما يرى صديقه يترجل من سيارته هو الآخر ليقابله بمنتصف المسافة القصيرة بينهما وملامحه لاتنبئ عن شيء واضح



تمتم ياسر بقلق واضح ناطقا اسم صديقه

" سعد ! "

ثم حادت عيناه تلقائيا ناحية بيته .. لشباك غرفة جودا تحديدا وهو يقول

" ماذا جرى ؟! لماذا تقف هنا هكذا؟ هل جودا بخير ؟ "

قال سعد يطمئنه

" انها بألف خير ... لاتقلق ..."

استرخى ياسر قليلا بينما يضيف سعد بنبرة اتسمت بالجدية

" لكنها بخير حاليا فقط .."

عبس ياسر مجددا فيسأله " ماذا تقصد ؟!"

رد سعد بتأن

" ياسر ... هناك امر مهم يجب ان اخبرك به ولايتحمل انتظارا للغد .. وارجوك ان تسمعني جيدا وبتركيز لان الامر جدي ولاوقت ان تعاتبني او حتى تغضب مني لما فعلته الليلة .. انا حتى لااجد اعتذارا اقدمه لكسر كلمتي معك لكني اضطررت فالوضع اظنه خطيرا فعلا "

تشنجت عضلة في خد ياسر وهو يقول بنبرة جافة " افصح سعد ..."

نظر سعد في عيني صديقه وقال

" انا اخبرت جودا الليلة اني طلبتها للزواج منك "



اتسعت عينا ياسر بغضب واضح ليقول من بين اسنانه

" ماذا ؟!"

تنهد سعد ثم قال

" اضطررت لفعل لهذا .. يجب ان تعرف ان جودا في خطر .. ويجب ان اظهر في الصورة الآن تحديدا وان نحاوطها نحن الاثنان بدعمنا لتواجه هذا الخطر بنضج .."

عبس ياسر بحدة وهو يسأل

" ماذا يحدث بالضبط ؟ ما كل هذه الالغاز ؟ "

رد سعد وهو يقاوم مشاعر الغضب في اعماقه

" هناك استاذ جامعي يدرسها مادة ما .. الحقير يلف حولها شباكه الحريرية وهي غير مدركة على الاطلاق ..."

تجهمت ملامح ياسر وتقبضت يداه بينما يردف سعد قائلا بغضب متفاقم

" انها لاتدرك خطره الى درجة انها تدافع عنه بشراسة ارعبتني انا شخصيا ... انها ترفض اي كلمة تدينه ولديها ثقة عمياء به واتهمتني اني اظلمه واتجنى عليه ..."

تمتم ياسر وهو يكز على اسنانه

" سيرى مني ما ينسيه اسمه "



تماسك سعد .. لقد قضى وقتا طويلا منذ انتهاء الحفل وهو يفكر بكل شيء .. وكان مستعدا لردة فعل ياسر هذه ولايلومه لانها كان ردة فعله الاولية هو ايضا ...

قال سعد بنبرات هادئة ثابتة

" ليس هذا الحل يا ياسر ، وهل كنت تتصورني لن اقدم على فعل المثل معه لو كان سيكفيها شره ؟ المشكلة في جودا .. لن نضرب ونهدد في كل مرة نواجه اي رجل يحاول ان يستغلها .. يجب عليها هي ان تفهم الدنيا بشكل افضل .. كما اننا هذه المرة نواجه وضعا مختلفا ودقيقا .. انه ليس تحرشا مباشرا يا ياسر .. الرجل ... مختلف في هيئته واسلوبه وتأثيره فيها ..."

صمت سعد للحظة بينما ياسر يستمع اليه بانتباه شديد رغم غموض نظراته ليضيف سعد ببعض التوتر

" الرجل يناهز الاربعين وسيم ناعم مع الفتيات ومحنك كما رأيته بنفسي من تعامله المباشر مع جودا .. والاكثر ما قالته جودا لي بنفسها عندما تذهب اليه في غرفته الخاصة بالقسم ليشرح لها بعض المحاضرات .. انه لم يحاول لمسها حتى .. لم يقل لها كلمة غزل فجة .. انه خبير في الاصطياد يا ياسر وانت تعرف هذه النوعية كيف تكون .."

تجهم وجه ياسر بالغضب وملامحه باتت تنذر بخطورة الافعال التي ينتويها فيقول سعد محذرا

" اياك ان تفكر بأي عمل عنيف تجاهه ..
تماسك ارجوك يا ياسر وفكر بعقلك ... لو
ذهبت اليه الآن فماذا ستقول له ؟! لاشيء
صريح لتهاجمه به ... انه جريء متمرس ووقح
لايظهر انفعالا... سينكر الامر ولا دليل واحد
تواجهه به .. في الواجهة هو مجرد استاذ
لطيف يعطف على تلميذته ويساعدها في
دراستها .. من جانب اخر كيف سنمنعه عنها
وهي تراه يوميا في الجامعة رغما عن انوفنا ...
الاخطر كما قلت لك ان هذا الرجل الداهية
تمكن من الحصول على مشاعر جودا بطريقة
ما والاهم حصل على ثقتها وتعاطفها
الكاملين ، مؤكد اجاد استغلال نقاط
الضعف فيها ليؤثر بها بهذه الطريقة "

تطلع اليه ياسر هذه المرة بملامح مغلقة
ليضيف سعد مؤكدا وجهة نظره

" لو آذيناه جسديا لن يتوانى عن سجننا ثم
ببساطة سيتنازل عن حقه مؤكدا لجودا انه
يفعل هذا لاجلها هي !.. وبهذا سنخسر جودا
وستجد فيه مثالها الاعلى ومستوطنها وتفضله
علينا .. انها لاتثق بنا كفاية يا ياسر .. علينا
ان نعترف بهذا ... هي لاتملك قاعدة ثقة
ثابتة بأي انسان .. والان لديها هوس
باكتشاف العالم النظيف الذي تتوق لتصبح
جزءا منه بعيدا عن الماضي الذي يؤذيها "

سأل ياسر باختصار " والحل ؟"



رد سعد " انا لن اطلب منك ان أتمم زواجي بها الآن .. لكن دعني ارتبط بها رسميا ونعقد القران .. جودا تحتاج لدعمنا ياسر .. انا وانت... يجب ان تنضج وتدرك العالم من حولها بوجهيه القذر والنظيف .. ان تفهم البواطن كما تفهم الظواهر "

سأل ياسر

" ماذا كانت ردة فعلها عندما اخبرتها .."

رد سعد بطيف ابتسامة

" غضبت وثارت وحتى بكت لانها تخيلت انك من طلبت مني الزواج بها حتى تتخلص من ازعاجها .."

تذكر ياسر وجهها العابس المتجاهل عندما اوصلها مع عمته للبيت قبل ان يوصل سهر لبيتها ليتمتم بشرود

" لهذا بدت عابسة آخر الحفل وفي طريق العودة ! حتى لم تنظر الي وظننتها غاضبة وخائفة من فقداني فقط "

سرحت نظرات سعد يتذكر وجهها الباكي فينعصر قلبه لاجلها فيقول

" هي كذلك فعلا .. وهذا ما يخيفني اكثر عليها .. انها تشعر بأنها تفقدك بزواجك من سهر ودخول هذا الاستاذ في هذه المرحلة الحرجة ليسد فراغا قد تتركه انت





الاسبوعان القادمان لديها عطلة نهاية الفصل الثاني وانت ستتزوج وحسب ما علمت ستسافر لتركيا مدة اسبوع كشهر عسل .. وهذا يعني انها ستكون بمفردها مع مشاعرها المتضاربة"

تنحنح سعد وهو يضيف

" ما رأيك ان تحضر والدتي الخميس القادم لاجل خطبة رسمية وبعد عرسك وعودتك من شهر العسل نقيم حفلا بسيطا للخطبة وعقد القران "

رد ياسر بنبرة قاطعة

" لا .. لن استطيع السفر والاطمئنان عليها هكذا .. سنعقد قرانكما في نفس يوم زفافي ونجعل الحفل حفلين ... هل يناسبك هذا ؟ "

قال سعد بقلب خافق

" يناسبني جدا .."

مرت لحظات صمت قبل ان يسأل ياسر بنبرة جادة ونظرة عميقة متفكرة

" ما اسمه وماذا تعرف عنه بعد ؟"

رد سعد

" اسمه طارق جلال ... منذ رأيته معها صدفة واثار ارتيابي وعندما سألت عنه زادني ارتيابا بغموض ماضيه .. انه يتنقل عبر الجامعات في البلد ولايستقر بمكان لاسباب مجهولة .. ذكي ناجح في عمله لكنه لايستقر بجامعة لاكثر من سنتين ويدعي انه لايحب المكوث لفترة طويلة في اي جامعة .."





ثم تطلع سعد في عيني ياسر ليضيف بما يقلقه اكثر

" الافدح انه متزوج وليس لديه اطفال ويدعي امام جودا ان زوجته عاقر وانه غير سعيد في زواجه "

زمجر ياسر بعنف

" الحقير .. لن يفلت مني .. سأوسعه ضربا حتى اشوه وجهه .. "

قال سعد وهو يمسك كتف ياسر

" اهدأ ياسر ... لايخنك ذكاؤك الآن وتفقد سيطرتك ... هذا الرجل ليس كقتيبة
ويحتاج للحكمة في التصرف معه تذكر دوما
انه يستطيع قلب جودا علينا نحن الاثنين ...
انت لم ترها كيف تدافع عنه امامي ...
لذلك ارجوك لا تتهور .. "

لم يعقب ياسر بشيء بينما عيناه الداكنتان تغرقان في التفكير فيعاوده شعور شرس خانق بالغضب ...

غضب ليس موجها لذلك الحقير او اي حقير يطمع بجمال جودا ...

انما هو غضب قديم لايهدأ ...

ان جودا تعاني مم تعاني الآن ...

لانها ضحية انانية والديه هو ...!



شعره مشعث ربطة عنقه محلولة وسترته الانيقة ملقاة على كتفه باهمال ....

لقد بالغ الليلة بجنونه وهو يرقص لساعات ..

كان يحتاج لفعل أي شيء قبل ان يفقد رشده..

ابتسم ساخرا من نفسه وهو يضع المفتاح في باب البيت بينما يفكر بحمراء الشعر التي جعلها تشاركه جنونه فلم تخذله ...

لماذا لم تكن ببساطة هي ... غالية ؟!

لماذا لاتحمل هاجر ... وجه غالية ...؟؟

لون شعر غالية .. ورائحتها

صوت غالية وصدى ضحكتها ...

لماذا لاتملك هاجر نحول جسد غالية ..!

لتتشنج يده على مقبض الباب وهو يفكر بذلك النحول لـ(غاليته) الذي امتلأ على نحو يعذبه كرجل في الآونة الاخيرة ....

تأوه وهو يفتح الباب ويدخل بخطوات تترنح من آهات قلبه ....

في ظلمة المطبخ الفارغ البارد الجدران همس لنفسه بحرقة

" آآآه..لماذا لاتنتقل لهاجر ... روح غالية ؟!! "

أخذ نفسا عميقا قبل يلتفت ليغلق الباب خلفه ويقفلها بالمفتاح ثم يتحرك بخطوات هادئة ونظرات شاردة ...



تجمدت خطواته وتوهجت نظراته عندما رآى

طيف معشوقته جالسة على الدرجة الثالثة

من السلم ... متلحفة بغطاء احمر وتسند رأسها

على الحائط وهي تغط في نوم عميق !

انتفض بعذاب احتياجه لها ...

بعذاب وجودها في حياته ...

بعذاب انها ستكون له زوجة ولازال لايعرف

ايهما يرعبه اكثر ... ان تصبح زوجته حقا ام

ان تفر هاربة منه الى الابد .....!

بانفاس مكتومة وكمتسول يستجدي وصالها

خلسة جلس بحذر شديد قربها ...

يميل بانفه لشعرها يشم خصلاته بهيام ..

ثم تحدق عيناه بشفتيها المتدليتين

باسترخاء النوم فيجف فمه ويكاد يركع

على ركبتيه توسلا لملامستهما ..

فقط لمسة واحدة بشفتيه وليمت بعدها وهو

يعرف معنى لمس تلك الشفتين اللتين

لاتضاهيهما شفتا امرأة ...

رآها تبتسم !

تبتسم في نومها هذا وينشرح محياها لترتفع

وجنتاها قليلا فتبدو في عينيه أجمل نساء

الارض ...

يتمتم في سره وكأنه يهذي دون ارادته



" أيفعل بي هواك كل هذا يا غالية؟!

أيسبيني عشقك العمر كله فلا تحرريني ؟

حرريني غالية .. اعتقيني من عذابي "

يده ترتعش وهي تمتد نحوها .. فقط يريد

لمس خدها دون ان تظهر رفضا واشمئزازا منه ..

مر بسبابته على طول خدها .. كلمس الريش

حتى لايوقظها بينما يختض انفعالا وتتسارع

انفاسه توقا ...

اوشكت سبابته ان تصل لشفتيها عندما أبدت

غالية تململا ينبئ باستيقاظها ...

في رمشة عين كانت يده متقبضة فوق

ركبته يصارع احتياجه كرجل لانثى واحدة

لايعلم ما سرها لتملكه هكذا ...

حركت رأسها وهو يستعيد ثباته بشق الانفس

ليبادر بالهمس المبحوح

" غالية .. استيقظي ..."

فتحت عينيها بقوة وطعنته مباشرة بنظرة

التوجس التي رمتها نحوه بينما تلملم الغطاء

حولها بقوة...

شعر بالدماء تنسحب منه وتقتله غصة ألم ..

لكن ... مؤخرا لم يعد الألم هو اللاعب

الوحيد بغصته .. وان كان الغالب ..

لقد تشارك ألمه ولأول مرة منذ سنوات عذابه

مع شعور الغضب ... غضب بطعم جديد طازج

متمرد ... غضب يتفاعل في اعماقه متوارِ

بعنف حتى عن نفسه ...



اسبل اهدابه يخفي انفعالاته ليلتقط سترته من على كتفه ويتلاعب بها بين كفيه قائلا بنبرة محايدة

" ما الذي تفعلينه بالنوم على السلم هكذا ؟"

ردت وهي تتشبث بالغطاء اللعين اكثر

" لقد تأخرت ..."

نبرتها لم تعبر عن القلق بل عبرت عن ... اتهام !

التفت اليها بوجهه يتطلع لعينيها فيجد فيهما انعكاسا لنبرتها المتهمة ...

ابتسم رغم مرارة الشعور ... لم يجد الا تلك الابتسامة كردة فعل لما يحدث الآن !

واجهته بقسوة " هل كنت مع امرأة ؟!"

عاد لينظر في عينيها ثم ينزل بنظراته لشفتيها المرتعشتين من الانفعال !

ليس غيرة عليه ولا حتى تملكا له انه فقط انفعال لانوثتها وكبريائها ...

وقف على قدميه ليمسك الدرابزين بيده يعتصره عصرا بينما يهمس

" اذهبي غالية لتنامي جنب ابنتك..."

تحركت قدماه درجة واحدة عندما شعر بها تهب على قدميها تقف خلفه وتهتف به تسأله بحنق " هل كنت مع امرأة يا رافد ؟ شعرك مشعث وقميصك مجعد .. ربطة عنقك محلولة و ... "





قاطعها بشراسة وهو يلتفت نحوها قائلا

" وماذا بعد يا غالية ؟! هل هناك احمر شفاه التقطته ايضا على ياقة قميصي ! "

يتواجهان في تلك الانارة المخففة على درجات السلم ...

ينضحان بآلآم من الماضي والحاضر تدمر اي فرصة للمستقبل ...

تمتمت بشحوب واضح وانفاسها تتسارع من شدة الانفعال

" راغب كان يتكلم عن مغامراتك النسائية بتحسر دائم .. انت كنت مثله الاعلى وكان يريد ان يعيش حياتك الماجنة ! "

ضرب بقبضته على حافة الدرابزين ليميل بوجهه ناحية وجهها ويقول من بين اسنانه وعيناه تقدحان بالشرر

" ليس لي حياة ماجنة غالية ولاتحمليني الان مسؤولية افعال راغب معك حتى تجدي عذرا يرضيك لتعذيبي .. لم يكن طفلا وهو من اختار خيانتك .."

هل ظن قبل لحظات انها كانت شاحبة ؟!

اذن ماذا يسمي ما اعترى بشرتها للتو ؟!

بدت كبشرة الاموات ...

طعنات تمزقه كأمهات ثكلى تصرخ فيه ...





لم يشعر الا وهو يمسكها من الجانبين بعنف فيضمها لصدره ضاربا عرض الحائط بأي شيء هامسا بعذاب يفوق الوصف

" اسف .. انا اسف ... طفلتي ..."

اخذت تتلوى بين يديه تكتم شهقاتها وهي تهمس ببحة ألم مبرح

" اتركني.. رافد ..اتركني "

لم يستطع افلاتها اخذ يقبل شعرها وكتفها وهو يهمس بحرارة موجعة

" لااحتمل هذا .. ألمك من دون كل البشر ... يقهرني .."

تتلوى وتدفعه في صدره بينما يضيف بهيام

" النساء يبقين مجرد نساء من حولي .. اما انت .. انت كل شيء ... انت الغالية ... غاليتي انا "

هدرت لاهثة مرتجفة

" قريبا جدا ربما ستدرك ان (غاليتك) لاتساوي ربع ثمنها الذي تدفعه لاجلها... عندها لن تتصرف بأفضل من اخيك الاصغر..."

تجمد رافد تماما ولم يشعر حتى بانسحابها منه لتهرول على الدرجات تلاحقها شهقاتها ويشهد عليها ارتجافها انها ضائعة تائهة ولم تعد تعرف من هي واين تكون ...



يتقلب سعد في سريره تعذبه الافكار بعضها يعذبه من شدة بهجته وبعضها يعذبه من شدة القلق ...

ابتسم رغما عنه وهو يتذكرها عندما اخذ يقهقه ضاحكا في حديقة الفندق لتغضب منه وتهدر به قائلة بطفوليتها الغريبة

" ما دمت تضحك مني هكذا اذن فلن اتزوجك .. انا غيرت رأيي .. "

ثم تركته وعادت للحفل وخطواتها كأنفاسها تنفث ألسنة اللهب ...

فيعود سعد في إثرها ليجد ان رافد اشعل الحفل بالرقص الشعبي ...

وبطاقة مرح لم يشعرها منذ سنوات شبابه اليافع وجد سعد نفسه ينساق لجنون رافد ويشاركهم الرقص ...

خرج سعد من افكاره على صوت باب يفتح ..

عقد حاجبيه قليلا وهو يتسمع لتلك الخطوات المكتومة عن عمد التي تسللت لتخطو من امام باب غرفته ...

ابتسم ابتسامة فياضة وهو يهمس

" لم تنم منيرة ! رغم تحذيري لها ان لاتفعلها الليلة وتنتظر للصباح الا انها لم تقاوم ، وأراهن انها الآن في المطبخ تخرج دفترها الاثير من درجه لتكتب فيه اسماء المدعوين..."

ضحك بخفوت وهو يتذكرها كيف
استقبلت الخبر بالزغاريد التي لم تنقطع حتى
حضر بعض الجيران ليترك لها مهمة نشر
الخبر وهي بكامل ملامح الفخر والابتهاج ..

وكأنه حرر ارضا مستعمرة من سنوات وعاد
مكللا بالانتصارات واخبار الفتوحات !

رمى غطاءه جانبا ليهب من سريره توشح شفتيه
ابتسامة مشاكسة تناسب مزاجه المتحفز
المنتعش هذه الليلة ...

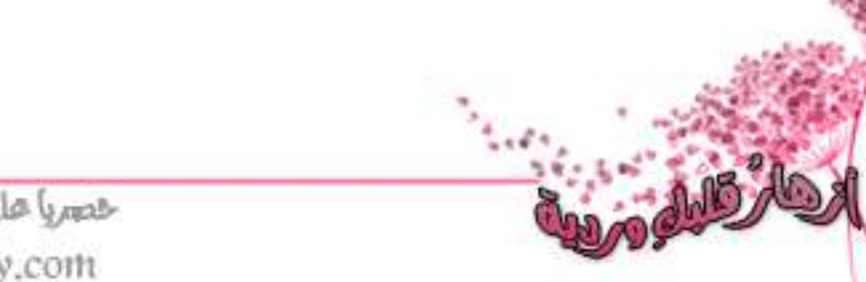
لكن تلك المشاكسة تلاشت وذاب قلبه
لرؤية امه كما توقعها ..

تجلس على احد كراسي المطبخ تتخذ من
احدى الانارات المنضدية الصغيرة اضاءة
خافتة لها بينما ترتدي نظارتها الطبية
وتمسك بدفترها وقلمها وتدون الاسماء التي
تلفظها بخفوت دون ان تشعر ...

تتنهد بين الفينة والاخرى ويعلو وجهها البشر
والفرح ثم فجأة اخذت دموعها تنسكب وهي
تهمس بصوت يصل لمسامع سعد

" يا حبيب امك .. متى سأحمل بين ذراعي
اولادك السمر؟"

ثم اخذت تجهش بالبكاء وهي تحمد الله فلم
يشعر سعد الا بدمعة تسيل على خده الايسر ..



مسحها على استحياء من رجولته ثم عاد

بخطواته لغرفته دون ان تشعر به امه ...

استلقى على سريره وهو يهمس لنفسه

" هل سيأتي يوم وتسامح نفسك يا سعد ؟"

بعد اسبوع ...

عصرا...

تكلم سعد عبر الهاتف يسألها بنبرة رائقة

" ما الذي يغضبك هكذا ؟!"

ردت بثورة من المشاعر النارية

" لااطيقها ! لماذا تتدخل بشؤوني ؟! أتظن

نفسها العروس الوحيدة هنا ؟! لا .. فلتفهم اني

انا ايضا عروس وسأفعل بنفسي ما اشاء

وسأرتدي بنطالي الجينز القديم نكاية بها!

وكأنها وحدها من تفهم بالملابس لتقترح

علي ما هو مناسب وما هو غير مناسب ... هل

تصدق انها احضرت علبة تبرجها السخيفة

وفي نيتها ان تلون وجهي بالمساحيق ؟! "

كتم سعد ضحكته بينما يرد عليها برقة

" صغيرتي انها تريد افراحك فقط .. عليك

ان تعامليها بشكل جيد ما دامت تعاملك

بلطف "



زفرت وهي تهمس بنبرة غاضبة تفيض قنوطا وضيقا " انا .. لااحبها سعد .."

يكاد يتخيل نظرتها طافحة بالبؤس الطفولي!

كم يتمنى لو كان قربها الآن .. ينظر في عينيها فيمسح تلك النظرة منهما

همس برقة " لماذا جودا ؟ لماذا لاتحبينها ؟ "

تمتمت باختناق " ياسر .. يحبها جدا ..."

فيسألها بحنان

" وإن يكن ! هل يعني هذا انه لايحبك انت !؟ ام يقتطع من حبك ليعطيها ؟!"

فترد باصرار " بل هو يحبها اكثر مني ..."

ليعبر بصبر

" انت تقارنين بشكل خاطئ .."

تمتمت جودا بعد لحظة صمت

" لم افهم .."

ماذا يستطيع ان يقول ؟!

انها تفتقر الى معرفة ضرورية لابجدية العلاقات والمشاعر بين البشر فتختلط عليها مشاعرها بشكل مريع مثير للشفقة !

قال سعد يحاول ان يعلمها بعضا من تلك الابجديات

" انت اخته وهي زوجته .. كل واحدة وحبها مختلف وحدودهما لاتتقاطع .."



ما زالت صامتة فرجح انها تحاول ان تفسر

مقصده بتأنٍ بينما لم يتمالك نفسه ليضيف

بصوت مبحوح

" ان احب امي لايعني اني ... لااحبك .."

ثم ترقق صوته اكثر ليقول المزيد

" ان تحبي ياسر لايعني انك لاتستطيعين ان

تحبيني انا ايضا.."

انفاسها المتسارعة هو كل ما يصله عبر الخط

المفتوح فيقول يناغشها اكثر

" سأعملك كيف تحبين .. ان بامكانك ان

تحبيني كما تشائين دون ان تقلقي على

مكانتك الخاصة المحفوظة لك وحدك

في قلبي ..."

فتسارع هامسة بارتباك شديد

" انا .... يجب .. ان اذهب ..."

تنهد وهو يناديها

" جودا ..."

همست بنبرة بدت تائهة

" نعم ..."

بصوت أجش قال

" ارتدي فستانا جميلا لاجلي انا ودعي سهر

تساعدك لاجل ان تفرحي ياسر بانسجامك

معها .. اتفقنا ؟ "



تتأفف وهي تقول

" سأحاول ..."

فيؤكد برقة

" بل قولي (سأفعل)... صغيرتي ..يجب ان تتعلمي بعض التنازل لاجل من تحبينهم وتحاولي اسعادهم وفي المقابل هم ايضا سيتنازلون لفعل الكثير من اجلك "

للحظات بدت طويلة ظن انها لن ترد عليه لكنها ابهجت قلبه باستجابتها وهي تهمس

" سأفعل ..."

ابتسمت سهر برضا وهي تعض طارف شفتها السفلى ...

ها قد انهت تنسيق الحمام ..

وضعت فيه المفارش الجديدة التي اشترتها وبألوان تناسب اثاث الغرفة ما بين الرمادي والزهري ... لكنها راعت (حبيبها الازرق) فجعلت الرمادي يطغى حتى لايزعجه كثرة اللون الزهري في المكان ...

لقد جعلت الزهري كعنصر صغير فعال ويفرض وجوده وتأثيره ..

تسلل اللون في قاعدة صابون وقدح فرشاة الاسنان .. في عروق باهتة لستارة حوض الاستحمام الشفافة ..

اما في سلة المهملات الصغيرة الرمادية فجاء الزهري كزهرات فاتحة تناثرت فوق سطحه الرمادي ..

غادرت الحمام تلمع عيناها وهي تفكر باعتراف ضمني انها تحب مكرها الانثوي معه وتستمتع بخبثها البريء وهي تهادنه ..

وهل لديها خيار آخر الا ان تحتال عليه وتتسلل خلسة عبر عظام صدره لتتقبع هناك في قلبه تتنفسها رئتاه و تغازلها شراينه واوردته فتسمح لها طواعية بالتسرب كالادمان لدمه..

تقسم انها ستفعل هذا ورغما عنه..

رن هاتفها ليقطع عليها تأملاتها وابتساماتها الشاردة وحالما اخرجت الهاتف من جيب فستانها الجينز تلاشت كل ملامح الاستمتاع لتشعر بالضيق نفسه الذي شعرته في وقت متأخر من ليلة الامس..

فتحت سهر الخط تحاول جعل صوتها بشوشا قدر الامكان وهي تقول " صباح الخير هاجر "

فترد هاجر ببشاشة حقيقية

" صباح الخير يا عروس .. ماذا تفعلين ؟ خالتي حياة اخبرتني –وبامتعاض شديد- انك تهلكين نفسك في الخروج منذ الصباح لمتابعة شؤون بيتك الجديد وحفل الزفاف وكل ما يختص بالعرس "



ابتلعت سهر ريقها ثم اخذت تضحك بشكل متصنع لترد بنبرات تخذلها في الادعاء

" نعم .. هذا صحيح .. لو تركت الامر على ياسر سيصبح العرس كارثيا وسيكون امتعاض امي أشد ..."

استغربتها هاجر بعض الشيء فسألتها بفضول

" ماذا هناك سهر ؟ نبرتك غريبة .."

لترد سهر ببعض التلكؤ

" لاشيء ... فقط انا في بيت ياسر واساعد عمتي فائزة في الاعداد لمناسبة الليلة .. لقد اخبرتك سابقا .. سعد ووالدته سيأتيان الليلة لخطبة جودا ..."

ضحكت هاجر ضحكتها الرنانة المميزة قبل ان تقول " نعم تذكرت .. اصارحك القول لست شريرة لكنني سعيدة لهذا الزواج... "

ثم اضافت بنبرة تآمرية مازحة

" انا وانت محظوظتان "

تمتمت سهر ببعض القلق الخفي

" كيف ؟! "

ردت هاجر ضاحكة

" انت حتى تتخلصي من ازعاجها وغيرتها على اخيها منك وانا .... اممممممممم .. اعترف صراحة اني كنت قلقة منها بسبب... رافد .. "







ابتلعت سهر ريقها وهي تسأل باستغراب وضيق متزايد

" رافد ؟! ماذا تقصدين ؟"

ردت هاجر متنهدة براحة

" حسن خشيت انها تؤثر فيه بجمالها الرهيب ..

بدى هو مهتم بحمايتها وهذا اقلقني بعض الشيء .."

عندها لم تستطع سهر كتمان الامر أكثر ..

يجب ان تخبرها ..

قالت سهر بجدية

" هاجر .. انا حذرتك .."

قاطعتها هاجر وبنبرة ضجر قالت

" لاتبدأي سهر .. لست بطفلة .. رافد يعجبني حقا وهو ميال لي .. لم يعاملني بقلة احترام رغم نظرة الاعجاب الشديد في عينيه "

تشنجت سهر من تمسك هاجر بالموضوع ...

ابنة عمها ليست غبية لكن على ما يبدو هي مصممة على دحر العوائق وللاسف هي لاتعرف ابعاد كل تلك العوائق ..

وهي سهر ... ستحمل عبأ اخبارها بها !

ما هذه الورطة ؟!

كيف ستجعلها تفهم دون ان تجرح احساسها او تمس انوثتها ...؟





قالت سهر تمهد بعض الشيء

" انه رجل يحب النساء عموما وانت امرأة جميلة جدا يا هاجر .. فمؤكد سينظر اليك باعجاب حاله كحال كل الرجال في حفل عقد القران ... لكنك ابدا ... لن تحصلي على المزيد منه .."

بدت هاجر تكتم حنقها بشق الانفس لتتساءل ببرود

" لماذا لم احصل ؟! ما نبرة الثقة هذه في صوتك.. ؟"

صمتت سهر قليلا وكأنها تفكر في امر ما و هاجر بذكائها ومعرفتها بابنة عمها التقطت تلك الذبذبات وادركت ان هناك امرا ما تريد سهر الافصاح عنه ولاتعرف كيف..

سألت هاجر بشكل صريح مباشر

" هل تخفين امرا عني يا سهر ؟"

عندها تنهدت سهر لتقول

" حسن .. انا لم اعرف الا بالامس .."

تسارعت خفقات قلب هاجر وهي تسألها بنبرة مبحوحة قلقة " ما الذي عرفته ؟"

زمت سهر شفتيها قبل ان تقولها دفعة واحدة

" رافد سيتزوج يا هاجر .. الاسبوع القادم .. في يوم زفافي تحديدا سيعقد قرانه ..."



نبضۃ قويۃ رجت قلب هاجر كقنبلۃ انفجرت! ثم تخافتت النبضات وكأنها تغرق في عمق سحيق بارد ...

سمعت نداء سهر عبر الهاتف فبدى لها وكأنها تناديها من مكان بعيد ..

" هاجر ... هاجر ! هل تسمعينني ؟"

ما هذا الوجع ؟! هل وقعت في هواه لهذا الحد ؟

تمتمت هاجر وهي تشعر ببرودة غريبۃ تسبب الألم في عضلات جسدها

" من ... من التي ... سيتزوجها ؟"

ردت سهر بضيق من كل هذا الموضوع

" انها قصۃ طويلۃ ومعقدة.. انا نفسي تفاجأت عندما اخبرني ياسر .." لتتمتم وكأنها تحدث نفسها " باسلوبه الغامض المختصر كعادته ! "

لم تتحمل هاجر انانيۃ ابنۃ عمها في هذه اللحظۃ وهي لاتفكر الا بعريسها الفظ لتهدر فيها دون وعيها والعرق يتصبب منها

" اخبريني سهر .. ولا تمتمتي هكذا بانصاف الجمل الآن !"

ارتبكت سهر من ردة فعل هاجر لتقول بحذر

" حسنٌ .. كل ما عرفته انه سيتزوج طليقۃ اخيه بناء على طلب والدته .. "

لتصمت لحظۃ قبل ان تستفيض بالكلام



" راغب اخاه الاصغر نذل كما اخبرني ياسر وقد تخلى عن زوجته وابنته ليهاجر لامريكا ضاربا بعرض الحائط كل شيء ، فما كان من والدة رافد الا ان تطلب منه الزواج من المرأة المسكينة ليسندها ويربي طفلتها "

تمتمت هاجر بعينين جاحظتين وهي تستوعب ببطء " طليقة اخيه ؟!! "

اضافت سهر لتوضح عن عمد ابعاد الموضوع لتفهم هاجر استحالة اي فرصة لها مع رافد

" انها ليست طليقة اخيه فحسب يا هاجر وانما ابنة خالته ايضا ... لذلك ترين الامر معقد وعائلي جدا .."

طال صمت هاجر المصدوم بينما قالت سهر بتعاطف رقيق

" انا اسفة هاجر .. كان يجب ان اخبرك بكل هذا حتى لاتصدمي بمعرفة الموضوع الاسبوع القادم .. منذ ان عرفت ليلة الامس وانا حائرة كيف سأخبرك بالامر دون ان .. ازعجك ..."

جاء صوت هاجر ودودا في برود مزعج وانسحاب انيق متكلف

" لاعليك .. لابأس ... حسن .. اعتذر يجب ان انهي المكالمة معك فأبي يتصل على الخط الارضي في مكالمة دولية .."



ردت سهر باحباط

" حسن عزيزتي ابلغي عمي تحياتي واقنعيه ان يحاول القدوم قبل عرسي ليحضره .."

تمتمت هاجر

" سأحاول .. الى اللقاء .."

ثم اغلقت الخط مباشرة تاركة سهر تتنهد باحساس غير مريح ..

" سهر ؟"

اجفلت سهر بقوة من صوت جودا الذي أتى خشنا من عند باب الغرفة ؟

اطلقت نفسا لتبدد بعض توترها وتبتسم في وجه جودا طلبا لبعض الرقة منها وهي تقول لها

" نعم جودا .."

الفتاة كانت تقف بتململ عند الباب عابسة الوجه ولاتنظر في وجه سهر اصلا ؟

بوهيمية الهيئة ..مشعثة الشعر .. حافية القدمين .. ببنطال بيتي رمادي بشع وبلوزة مهترئة ؟

لتقول جودا اخيرا بنبرة اقل خشونة تشابه نبرة ياسر عندما يقرر بعض التنازل " انا .. اخترت فستانا مما اشترتهم لي عمتي ... تعالي وساعديني في التبرج .."





انشرح صدر سهر قليلا لما يمكن اعتباره مبادرة سلام منها لتبتسم في وجه جودا وهي تتقدم نحوها ..

لكن جودا وكأنها شعرت بالندم لتعود كطفلة مشاكسة وتقول بفظاظة

" لااريد تبرجا فاضحا كما فعلت بنفسك ليلة حفل عقد القران .."

ثم اخذت تتطلع لسهر بتحد واستعلاء مضحكين مغيظين في نفس الوقت !

فما كان من سهر الا ان عبست هي الاخرى لتحدجها بقوة وتقول

" تقدمي امامي يا فتاة ودعيني اعتني بك .. فلدي الكثير لافعله ولم يبق الا ساعتان على قدوم العريس وامه .."

وكأن كلمة العريس اسعدتها فتشمخ جودا بتعال متصنع وهي تستدير بخفة لتتحرك امامها بخطوات متهملة عن تعمد ...!

تمتمت سهر في سرها وهي تكز على اسنانها غيظا

" فتاة طويلة اللسان وفظة كإخيها .. أعني يا رب على ما ابتليتني !"



الفصل الثامن عشر

بعد ساعة ...

خرجت سهر من غرفة جودا راضية مبتسمة وبينما تغلق باب الغرفة لتترك لها الحرية بارتداء فستانها همهمت برضا

" اخيرا اقتنعت ان الفستان الاحمر يليق بالمناسبة اكثر من البني الصحراوي .."

وقبل ان تستدير اجفلتها يد خشنة تمسك بساعدها وصوت متسلِ يهمس قرب اذنها

" تعالي وساعديني انا ايضا في اختيار ثيابي.."

التفتت اليه وهي تعبس وتهمس قرب وجهه

" انت واختك تحتاجان لدروس في رقة التعامل "

ضحك من قلبه ينما يسحبها خلفه بخطوات واسعة دون مراعاة لعلو كعب حذائها حتى كادت ان تتعثر وتقع اكثر من مرة ...

تأففت وهي تسأله

" هل يمكنني السؤال لماذا تسحبني خلفك هكذا كنعجة عمياء ؟!"

التفت اليها بوجهه وبعينين نصف مغمضتين قال " قلت لك اريد ان تساعديني في انتقاء ثيابي .. الا استحق معاملة (رقيقة) كمعاملتك لجودا ؟"



اخذت تحاول ايقافه وهي تنتزع معصمها منه وتقول

" لن افعل .. لن ادخل غرفتك .."

التفت اليها بكله هذه المرة يلف ذراعيه حولها يشدها اليه بخشونة مفرطة فيهمس قرب فمها " لماذا ؟ "

رفعت حاجبا واحدا وكأنها تقول له

(انت تعرف)

تشهق بألم خافت واصابعه تمر بخشونتها الحارة على ظهرها فيهمس بخبث

" هناك بعض الثياب لم تشميها في المرة السابقة التي تسللت فيها كاللصوص الى غرفتي .."

مررت يديها على صدره وكتفيه فتنتعش باحساس فياض وهي تشعر بتأثر عضلاته من لمساتها لتميل بفمها وتقبل رقبته ثم تشمها عن تعمد جريء وترد على همسه الخبيث بنفس الهمس

" ما حاجتي للثياب وقد سرقت من يلبسها لأشمه على الدوام ومتى ما شئت .. "

زمجر باصوات خشنة تفيض عواطف مستعرة لينحني ويحملها رغم اعتراضاتها لكنها كانت أسرع منه وهي تنادي العمة فائزة بعلو صوتها مدعية حاجتها لمساعدة طارئة !

انزلها ياسر ارضا وهو يكز على اسنانه بينما يسمع صوت العمة يرد (قادمة عزيزتي)

وقبل ان يفلتها همس قرب اذنها

" تلاعبي كما شئت .. اسبوع واحد وسأكسر عظامك بين يدي هاتين ..."

تضحك بدلال انثوي ثم تستدير مولية اياه ظهرها وهي تتلاعب بشعرها الطويل بتفاخر ..

فلاحقتها كلماته بالقول الساخر

" لاتتغندري وتستعرضي الدلال بخصل شعرك الطويلة دون فائدة .. انا احب شعرك قصيرا يا مدللة ابيك "

استدارت اليه تنظر اليه بعجب بينما تسمع خطوات العمة فائزة تقترب على الدرج ليهمس لها بعينين لامعتين ونبرة مبحوحة

" تماما .. كما كان في الجامعة .."

ثم تركها ومضى وهو يفك ازرار قميصه بينما تصل اليها العمة فائزة لتقول بلطفها الخاص

" ها قد أتيت عزيزتي .. ماذا تحتاجين ؟"

اخذت سهر تهز رأسها كالبلهاء بينما يدها تلامس شعرها بشرود ...



مساء ..

تتحرقص منيرة في جلستها بانتظار ان تهل العروس ..

تكاد حنجرتها تتيبس من تعب الانتظار لتصدح بزغوردة محشورة !

تبتسم في وجه العمة فائزة البشوش حينا ثم وجه ياسر الهادئ حينا آخر ..

لتمد يدها لولدها الذي يجلس جوراها على اريكة ثلاثية المقاعد فتربت على كفه وكأنها تطمئنه لكنها في الواقع كانت من يحتاج التطمين !

فتحت باب غرفة الضيوف ليقفز قلب منيرة ترقبا واستعدادا لتخيب امالها برؤية سهر وبينما تبحث خلفها عن (الفتاة المنشودة) اذا بسهر تبتسم في وجهها وتقول بلطف انيق

" العروس ستأتي حالا خالتي ... انها خجول بعض الشيء "

ضحكت منيرة لتخفف من حدة انفعالها ثم قالت " يا خجل البنات .. "

لتعلق فائزة بتعليق مشابه كمجاملة مرتبكة قلقة بينما تفسح المجال لسهر حتى تجلس بينها وبين ياسر على اريكة ثلاثية مشابهة



ثم همست فائزة بشيء ما في اذن سهر واكتفت سهر بهز رأسها وهي تبتسم وتضع ساقا على ساق باناقة فريدة من نوعها ...

تعترف منيرة ان سهر تملك ذوقا رفيعا ...

انوثتها واضحة من قمة شعرها المصفف بعناية دون مبالغة مرورا بفستانها الداكن ذو الحزام الفضي ...

انها فتاة مميزة بانوثتها المحببة التي تجيد الاعتناء بها لكن منيرة تعترف انها سعيدة لان سعد لم يخترها زوجة له ..!

لاتحب تلك النظرة المتأنقة في عينيها ..

تحب زوجة ابنها ان تكون عفوية اكثر وبسيطة حتى تتلاءم معها ...

وتبدو جودا من اوصاف سعد لها انها تحمل روح البساطة هذه التي تنشدها ..

متى ستدخل الفتاة ؟! متى ؟!

قاطعت العمة فائزة افكارها وهي تقول بلطف ودماثة خلق

" هنيئا لك بسعد يا ام سعد .. انه شاب رائع "

فتنتفخ اوداج منيرة فخرا وهي ترد عليها بفرح عارم " حفظك الله يافائزة وابنتكم ايضا زينة البنات .."

لتستدرك بالقول البشوش

" ساناديك فائزة ولن اضع تكليفا بيننا "



فترد فائزة بابتسامة عريضة

" مؤكد يا ام سعد .. سنصبح اهل وستربطنا

ان شاء الله صلة الدم "

رفعت منيرة كفيها للاعلى وهي تقول بتنهيدة

لهفة " آمين رب العالمين .. يسمع منك الله ..

احلم باولاده منذ شب وفاقني طولا ..."

كان الصمت مخيما على ياسر وسعد وتبادلا

بعض النظرات القلقة الخفية ..

جودا تأخرت وخشية ياسر كخشية سعد ان

تبدي في اخر لحظة تراجعا لاسباب لايعلمها

الا الله ...

ترتعش دون ان تفهم السبب وما يحصل لها !

تنظر لنفسها عبر المرآة الطويلة الانيقة في

غرفة الجلوس فيزداد ارتعاشها ...

فستانها الاحمر بدى فاقعا رغم تأكيد سهر

انه ليس كذلك ...

شعرها مسرح بعناية وكم تود نكشه حتى

تتعرف على ذاتها فيه ..

تبرجها ساعة تراه خفيفا وساعة تراه فاضحا!

وفي كلتي الحالتين كانت تبحث عن عذر

حتى ترفض الدخول الى حيث ينتظرها

الجميع ...

ارتعشت يد جودا وهي ترفعها وتمررها

باضطراب في نعومة شعرها ...

تتساءل ماذا يحدث بالضبط ؟

لماذا يبدو الامر مخيفا مريعا هكذا ؟!

انه سعد ... سعد يريدها زوجة ..

وهي .. هي ... هي ماذا ؟!

انها لاتعرف معنى ان تكون زوجة !

لاتعرف معنى ان تكون ... أم !

ارتعشت وهي تلف جسدها بذراعيها فتغمض عينيها بقوة ...

انها لاتتذكر امها ... لسبب ما ذاكرتها شطبتها تماما ولم تعد الا كخيال باهت باكٍ !

اجل .. هذا فقط ما تتذكره من تلك الام ..

جالسة على كرسي تستند بمرفقيها على مائدة خشبية قديمة متهالكة وتغمر وجهها بكفيها وتجهش بالبكاء ...

وهي جودا الطفلة التي لم تتعد التاسعة تنظر اليها من عند باب المطبخ القبيح القذر ..!

فتحت عينيها وباتساع كامل تحدق في صورتها المنعكسة ...

لا .. لا .. لاتريد ان تتذكر ذاك المكان ..

لقد غادرته مع العجوز بعد وفاة امها ...

غادرته كطفلة مشردة تاهت منها معالم الاشياء ...

وها هي نفس الطفلة تطالعها في المرآة وهي تشعر بنفس التوهان ...

(صغيرتي .. انا احبك .. وسأعملك معنى ان تحبين ..)

لاتعرف من اين قفزت كلمات سعد لاذنيها ..

يتردد صداها مبددا التيه من افكارها ...

انه يكلمها كل يوم ليخبرها بهذا فيمنحها ثبات حقيقة واحدة تستند اليها دون ان تفهمها ..

ان سعد يحبها .. يريدها جزءا من حياته ..

اخذت جودا نفسا عميقا ثم تطلعت لنفسها في المرآة وهي تعزم ان تكون المرة الاخيرة قبل ان تغادر غرفة الجلوس نحو غرفة الضيوف ..

لكن هذه المرة عبست وهي تتمتم بحنق لصورتها المنعكسة

" تلك الباربي البشعة جعلتني ابدو مثلها ! "

جسدها يختض بينما تخطو عبر باب غرفة الضيوف .. هذا كان اول ما التقطه سعد وهي تطل بفستانها الاحمر وشعرها الداكن ينساب على ظهرها كشلال مغو للغرق فيه..

وقف الجميع على قدميه فاجفلت جودا وتراجعت نصف خطوة للخلف بينما أمه تزغرد وتصلي على رسول الله وتحوقل في تتابع سريع وانفاسها تكاد تتقطع ...



لكن سعد عيناه على صغيرته قلبه ينبض

ينبض ينبض وهي تتطلع اليه بتلك النظرات

الفاتنة تتوسله الاقتراب .. بل تتوسله ان

يخبئها في صدره ويحميها من اي شيء ...

لكنه لم يستطع ان يلبي ..

يا الهي متى يستطيع ؟!

امسكتها العمة فائزة لتشجعها على التحرك

بعد ان جمدت خطواتها عند الباب ...

ابتسم لها سعد فاحمر وجهها وانفرجت شفتاها

اللامعتين بالاحمر وكأنها تلهث بانفاسها ..

ارتعشت عضلة في خده بينما يجبر نفسه على

احناء وجهه احتراما لوجود ياسر ...

وبينما تدفعها العمة فائزة للتقدم خطوتين

تقدمت نحوها امه لتأخذها في احضانها وهي

ما زالت تزغرد ...

ولم تتركها حتى سحبتها معها واجلستها على

الاريكة بجانبها لتتوسط جودا بين سعد

وامه..

جلس الجميع بينما منيرة تقبل خدي جودا

بلهفة وفرح لاينضبان وتقول ببشر

" ما شاء اللّه لاقوة الا باللّه .. سعد قال عنك

جمالك لايضاهى وقد صدق الفتى قوله .."

انخرست جودا وهي تتطلع للجميع بوجل

وارتباك ...



مالت سهر بفمها ناحية ياسر المتشنج لتهمس في اذنه ويدها تمسك بيده

" استرخي ياسر .. ستمضي الامور بخير صدقني .."

نظرة نارية تعج بنوع من الاستغراب رمقها بها ياسر ! وكأنه يستغرب احساسها بتشنجه وتوتره من وضع جودا فتخفف عنه دون ان تسأله ...

والاكثر غرابة ان همستها الخافتة تستفزه بتأثيرها عليه ..

فتجبره على الاسترخاء رغما عن أنفه ...!

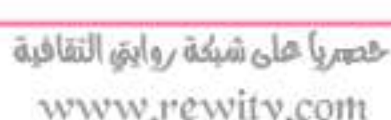
تطلع في عينيها الخضراوين ليهمس لها بنبرة مبحوحة " ماذا تملكين علي يا وردية ؟"

فتضحك بخفة ليبتسم لضحكها رغما عنه حتى خيم فوقهما ظل حانق وحالما رفع ياسر رأسه وجد جودا قد تركت الجلوس قرب حماتها المستقبلية لتقف فوق رأسه هو وسهر قائلة بوحشيتها الاصيلة

" اريد ان اجلس بجانبك .."

وقبل ان تتداركـ سهر الامر وتفسح لها مجالا كانت جودا تلتفت سريعا لتلقي بجسدها جلوسا خشنا متهورا بين سهر وياسر تحديدا فتصيب عن تعمد سافر جانب جسد سهر التي تأوهت بتوجع خافت ...







تطلع ياسر ناحية سعد فاخفى الاثنان ضحكتهما بشق الانفس بينما منيرة تتطلع ببعض العجب والتفكير لجودا وقد حشرت نفسها حشرا بين اخيها وعروسه ...

مالت منيرة ناحية ابنها وهمست بخفوت

" تزوج جودا سريعا بنيّ وانقذ صديقك ! المرة القادمة ستكسر حوض سهر قبل ان تحمل طفلا لياسر "

تمتم سعد باحراج

" امي ! "

فالتفتت منيرة اليه هامسة ببراءة مفتعلة

" ماذا ؟! الفتاة يا حبة قلبي تغار من عروس اخيها وتحتاج لعريس هي الاخرى حتى تتساوى الكفتان ! "

ثم تنظر اليه بعبوس موبخ وتقول

" لايمكنك ان تتركها لمشاعر الغيرة المؤذية .. هذا غير صحي .."

فيحدق بها سعد ولايعرف هل يستخدم اسلوبه الحازم معها حتى تمسك بتلابيب تعجلها المتلهف لاتمام الزواج ام ببساطة ينفجر ضاحكا كمهبول امام الجميع !



ومر اسبوع آخر ...

صبيحة يوم الزفاف ..

دخل رافد لغرفة امه بانهاك نفسي ..

ولايعلم لماذا جاء لامه هي تحديدا وهو يشعر بكل هذه المشاعر الرهيبة المعقدة المتداخلة !

ماذا يقول ؟

ماذا يفترض ان يقول بعد ما حصل منذ اقل من ساعة ..

انه حتى لايستطيع نطقها ...

لايستطيع همسها لنفسه خوفا من تصديقها ..

لم يلق تحية بينما يجلس على جانب سرير امه يحدق في الجدار بنظرات تائهة ...

تطلعت اليه امه وقلبها يتقطع لاجله !

كم كانت غبية !

يا الهي كم كانت غبية ولم تدرك اخطر الحقائق في حياة عائلتها الا مؤخرا ..

مؤخرا و.... متأخرا جدا ...

تمتمت اقبال للخادمة الجديدة التي تلاعب لجين

" نورية .. خذي الصغيرة لتلعب قليلا في الحديقة .. الجو جميل والشمس مشرقة ستفيدها .. "







هزت الفتاة رأسها بينما تحمل لجين تضاحكها وتثرثر معها ، رغم ان نورية في السابعة عشرة الا انها تلعب مع لجين كطفلة تقاربها عمرا !

تمتمت اقبال بأسى وهي ترخي رأسها للخلف

" اصبحت غالية تائهة عن ابنتها ! "

فيرد رافد بنظرات باهتة تقتل امه كمدا وحسرة

" انها تائهة حتى عن نفسها امي .."

سألته اقبال تخفي حشرجتها

" هل تم العقد ؟"

توهجت عيناه قبل ان يهمس باختناق

" نعم امي ... تم ..."

ارتعشت شفتاها لتمد يدها الضعيفة تمسك بيده وتقول

" مبارك يا ولدي ... كنت اتمنى اقامة عرس لك يا بكري ... ليس في يدنا حيلة .. هذا قدرنا انا وانت ان نعاني من اقرب المقربين ..."

احنى رافد رأسه فكسرها احساسها به ..

هو رجلها الصغير الذي حملته ما ينوء عنه الجبال ....

لكن هذا قدره كما كان قدرها ..

تمتمت وهي تربت على يده

" واين خالتك وزوجها ؟"





رد بنبرة باردة هازئة وهو ما زال محنيا وجهه للاسفل

" حالما تم عقد القران في المحكمة رحلا بكلمة (مبارك) مبتورة المعنى ليتركاني مع غالية نحدق في اثرهما بصدمة ! "

اخذت اقبال نفسا ثم زفرته بقوة لتقول بعدها " دوما كان ضعيف الشخصية تقوده انعام في طريق ترسمه لهما ابنتهما المفضلة ناهد ! "

ثم حدقت برأس بكرها المحني لتقول باختناق امومي صعب

" اسفة بني ... حملتك ما لاتطيق .."

تمتم رافد " انا اتحمل اختياري امي ولم تجبريني على شيء "

عندها قالت بارتعاش " لسنوات ظننت انك تراها ... طفلتك فقط ! "

تجمد جسده بالكامل ولولا صدره الذي اخذ يعلو ويهبط بجنون لظنت ان ولدها تحول لتمثال من الرخام البارد !

لكنها شدت عزيمتها ... يجب ان تواجه الامر لاجله هو ولاجل غالية ايضا ...

ما رأته تلك الليلة قبل اسبوعين عندما عاد من حفل عقد قران صديقه ياسر قلب كل الموازين في رأسها!

لقد جعلها تفيق فجأة من سبات كريه لتدرك حقائق تاهت عنها ...



لم يتنبه ايٌّ من رافد او غالية وهما على السلم يتصارعان بالآلآم قبل الكلمات انها كانت موجودة بالقرب منهما .. في ظلمة غرفة الجلوس كانت تنتظر هي الاخرى عودة ولدها...

يا الهي .. هالها ما رأته في عينيه وهو يمد اصبعه ليلامس وجه غالية النائم ...

" ماذا تقصدين امي ؟"

خرجت من ذكريات تلك الليلة لتحدق في وجه ابنها الذي رفعه اليها اخيرا .. شاحبا .. شديد الشحوب وكأنه ابتلي بمرض مستعص !

لكن لا .. لم تكن تلك الليلة قبل اسبوعين هو ما جعلها تكتشف الامر لاول مرة ..

بل حصل قبلها ...

كل تلك الاشارات المنبعثة من بكرها منذ طلاق غالية وهجرة راغب ...

اشارات لم تحسن التقاطها ولاتفسيرها لانها كانت غارقة في غيبوبتها بعد مأساة ضربتها بمقتل لثاني مرة في حياتها ..

بل ان هذه المرة الضربة كانت اقوى ..

اقوى بكثير ..

او ربما هي من اصبحت اضعف وسنين من ادعاء التماسك بعد الضربة الاولى هدتها من الداخل ...



ثم عادت لسنوات ماضية ...

لسنوات بعيدة جدا ...

قبل عشر سنوات تحديدا ...

تذكرت رافد شاب يافع جامعي ابن الحادية والعشرين وقد أتته ضاحكة تخبره ان اخاه الصغير (العفريت) الذي لم يتجاوز السادسة عشرة قد خطب غالية لنفسه وبكل جرأة !

كم كانت غبية وقد أعمت الفرحة والفخر السخيف بابنها المدلل راغب بصيرتها فلم تر نظرة العذاب في عيني بكرها ..

وكل ما فعله رافد ان اخذ يضحك بطريقة غريبة ثم ادعى انه ذاهب في رحلة لبضعة ايام مع اصدقائه ....

تطلعت اقبال لوجهه الغالي تتأوه في داخلها من الألم لاجله ...

سنوات وهو يكتم ويعاني ...

يا الهي ... منذ ايام وكل الذكريات الماضية عبر السنوات تحت سقف هذا البيت اخذت تدفق على عقلها لتتفسر على نحو جديد يجعلها تختنق من شدة الألم ...

لقد بنت هذا البيت بكدها وتعبها وصبرها فكيف اغفلت عن اهم اركانه ؟

كيف لم تلحظ ولم تمعن النظر ؟

كيف حملته باكرا جدا مسؤولية الاب والاخ ونسيته كرجل يشعر ويعشق ويتعذب !



هل هي انانية لهذه الدرجة ؟ ام ان احتياجها للدعم أعمى بصيرتها ؟

تمتمت اقبال بحنان متدفق وهي تتطلع اليه تخنقها حشرجات البكاء

" لم تعد تجيد الاخفاء بني .. وربما انا الحمقاء التي اخترت ان لا ارى عذابك لسنوات كما أراه الآن ... "

كان صغيرها ..

ولدها ....

فلذة كبدها ....

يلهث !

ولهف قلبها عليه من هذا اللهاث ليهمس بملامح حملت كل معاني الخزي والعذاب

" اتوسل اليك لاتقولي المزيد "

سالت دموعها على وجهها المرهق فتهمس له بتوسل

" سامحني بني .. سامحنا جميعا.. كنا انانيين ونحن نحملك ما لايتحمله جبل شامخ! وانت شامخ يا رافد .. وستظل شامخا وقلبي وربي راضين عنك يا فلذة كبدي "

عاد ليحني وجهه لكن هذه المرة بتشنج واضح بينما تكورت قبضته ودون شعوره اخذ يضرب بتلك القبضة على السرير ...



سألته ودموعها لاتتوقف عن الجريان

" اين هي ؟"

لتتسارع ضربات قبضته بينما تهمس له

" صعدت لغرفتها كما اظن...اليس كذلك؟"

عندها رفع وجها غاضبا اوجعها وهو يهدر بنبرة تفيض بذاك الغضب

" انها محطمة ! "

انهكها شعور الألم فاغمضت عينيها وهي تقول بنبرة ضعيفة متحشرجة

" اصبر عليها بني ...كما صبرت على غباء امك لسنوات ... لم يعد في عمري الكثير لكني سأتشبث بهذه الحياة لاجلك انت اولا ولأجل غالية والصغيرة لجين ثانيا .. عسى ان ارتاح قبل ان يقضي اللّه امره ..."

اقترب منها ليحتضن جسدها الواهن بين ذراعيه يضمها لصدره قائلا بجزع

" لاتقولي هذا اتوسل .. روحي فداء لك اماه "

تترك جسدها مضموما اليه فتشعر بتلك الراحة التي يمنحها لها على الدوام .. راحة وجوده واسناده لها لكنها تهمس له

" انا ضعفت يا رافد .. استنزفني الألم عن آخري .. طعنة اخيك هدّتني .. لم أعد استطيع فعل المزيد .. اشعر اني كشجرة عارية خاوية .. فروعها ذابلة و جذورها واهنة





لم أعد املك الا الدعاء .. سأدعو لك بني..
وسأدعو لها .. تلك المسكينة التي لم تؤذي
يوما مخلوقا .. كانت ضحكة هذا البيت .. يا
حسرتي عليها .."

ضمها اليه اكثر بينما تتحشرج بالبكاء
وتستفيض بآلآمها

" سامحني بني .. اعرف اني فرضت عليك امرا
ليس في اوانه الصحيح .. لكن .. غالية
تحتاج لاسنادنا ولولو تحتاج لأب حقيقي ولم
يكن امامنا خيار آخر .."

صمت ولم يرد ...

يحتضنها وفي داخله تلسعه الكلمات التي
يكتمها

(كان لدينا الخيار امي .. لكنك في لحظة
مشاعر متأججة لم يلهمك عقلك الا بحصره
بخيار واحد ... وانا .. انا البائس لم استطع قول
لا .. قلبي يصيبه عته الجنون ارتعابا من
فراقها فينخرس لساني اشفاقا على قلبي)

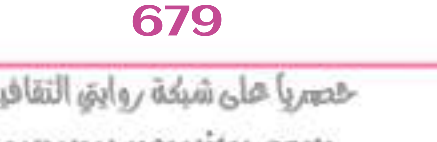
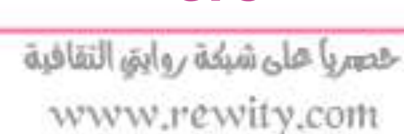
عندما تأكد رافد من نومها جعلها تستلقي
بحذر شديد ثم غطاها وغادر الغرفة ...

خرج اولا للحديقة يطمئن على لولو ويوصي
نورية ان لاتفارقها ...

ثم عاد ودخل ...

وبقلب مثقل توجه ناحية السلم يتسلق درجاته
وكأنه يتسلق درجات تؤدي في نهايتها
لمشنقته !



وجدها في غرفته او .. غرفتها !

كالعادة تشعره هذه المفارقات العجيبة برغبة شديدة في الضحك المرير ..

الباب مفتوح فيستطيع رؤيتها تجلس على حافة السرير وتوليه ظهرها المحني ...

وقف طويلا عند الباب لايعلم حتى ما يستطيع قوله لها ...

كان كالمخدر منذ استيقاظه صباحا ليغير ملابسه بحركات آلية لاروح فيها وحالما فتح باب غرفته وجدها امامه ..

شاحبة متسعة العينين في ذهول وعيناها جامدتان تماما لاروح فيهما ، ترتدي ذلك الفستان الرمادي الذي يكرهه ...

كل ما قالته " انا جاهزة ووالداي ينتظران في المحكمة !"

غادرا سويا بصمت قاتل يقتات عليهما معا ولم ينطقا بحرف حتى وجدا نفسيهما امام القاضي يحدق فيهما بارتياب !

وتم العقد وغادر الوالدان وهما يتجنبان النظر ناحية العروسين وكأنهما عروسان منكوبان موبوآن بالشؤم المعدي !

اراد بشدة ان يتذكر ما قاله القاضي اثناء المراسيم المختصرة فلم يفلح !

كان مغيبا او هو من اراد تغييب عقله حتى لاتحطمه مشاعره المتضاربة المحتدمة كالنيران الجائعة لتلتهم كل شيء ...



دون ان يشعر همس اسمها

" غالية ..."

فيراها تختض امام ناظريه لتهمس بتمزق

" دعني وحدي رافد .. بالله عليك دعني بمفردي ..."

لكنه لم يفعل ...

كان مجنونا ولم يفعل ...

يحدق في ظهرها وعقله يتشتت في كل اتجاه يؤدي اليها ...

جلس قربها فانكمشت ولغرابة الامر لم يشعر بالألم او حتى بالضيق ..!

هناك امر ما يجيش في صدره ويأبى مواجهته.. يشعر انه سيفقد نفسه اذا واجهه ..

اذا نطقها ....

وبدلا من المواجهة والنطق بما حصل هذا اليوم وجد نفسه يقول بهدوء عجيب

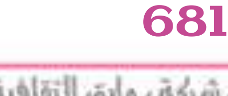
" انظري الي ..."

انكمشت اكثر على نفسها وبشفافية فهم سبب انكماشها ... انها تشعر بالخزي !

وليدرك كم هو يعرفها ويحفظها عن ظهر قلب فتعبر بلسانها قائلة

" اكره نفسي لدرجة اني اكره رؤية حتى انعكاس صورة وجهي في عينيك "



وجهها غارق في شعرها المتدلي للامام ..

شعرها الذي استطال .. استطال جدا ويخشى انه لم يعد قادرا على منع تخيلاته الشغوفة حوله ...

بانفاس متقطعة يهمس في سره كمجنون

" ماذا جرى لك ؟! انتَ تهذي .. ام انك اصبحت لاتبالي بشيء بعد ان انكشف سرك لاقرب المقربين اليك .. انكشف لمن تهتم لهم حقا في حياتك ..."

جاء صوتها مشبعا بالحيرة وكأنها لاتعرف مكمن علّتها اين

" لماذا انا ضعيفة لهذه الدرجة ؟! لماذا اشعر هكذا ؟! "

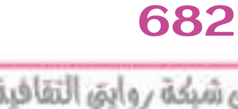
ثم فجأة رفعت وجهها بشكل جانبي نحوه فرآى انفها المحمر واثار البكاء واضحة عليها لتهدر بانفعال حارق

" هل رأيتهما ؟! لقد تركانا في المحكمة وكأنهما أديا ما عليهما في صفقة كريهة منفرة فرمياني في وجهك ككيس ملابس بالية تتصرف فيه بمعرفتك ... رحلا مختزيين من الوضع الذي وافقا عليه ! الآن اصبحت مصدرا لخزيهما يا رافد ؟! هل هذا ما أنا عليه ؟ "

يحدق في وجهها .. شعرها ... جسدها الذي يستند بجلسته على حافة سريره ..

سريره هو ..!







أزهار قلبك وردية

عندها انسابت الكلمات من فمه

" انت زوجتي الآن ..."

لايصدق انه نطقها !

لايصدق ان هذا ما يجيش في صدره فيمنحه
فرحا هستيريا سيشق صدره ليعلن عن نفسه
صارخا في وجه الجميع ..

تغضنت ملامحها برعب الادراك فتهمس وهي
تهز راسها يمينا وشمالا

" لاتقلها ..."

بانفاس متسارعة والجيشان يطفو من اعماقه
ليصل حتى سطح صدره من الداخل فيهدر فيها
وهو يمسك جسدها بقوة بين كفيه

" قوليها انت .. ارفعي رأسك وقوليها للجميع ..
لاتدعيهم ينظرون اليك باستخفاف بعد الآن
واقسم باللّه من يمسك بكلمة او نظرة
سأقتله .. "

ما زالت تهز رأسها برفض فيفقد سيطرته
ويقترب من وجهها هادرا بعنف

" انت زوجتي ... قوليها غالية .. انت الآن
زوجتي انا ... "

كانت تشهق بالرفض بينما يكتسحها ليميل
بها بخشونة فوق السرير ويقبل وجهها وعنقها
بجنون وكلما اراد ان يطال شفتيها تبعدهما
عنه بعنف وانفاسها تحمل كلماتها الهامسة
الحادة



" لا .. لا ... ابتعد ... لا ..."

اخذت تضربه بهستيرية رفض عشوائية فيجن بها اكثر ويهدر ثملا قرب نبضها الخافق اسفل عنقها

" انا سأموت .. سأموت غاليتي ..."

يداه ترتعشان وهما تمران على حنايا جسدها فيهتز من الداخل والخارج ويطلق أنينا متوجعا..

همدت حركاتها بينما هو مغيب عنها تماما يفتح ازرار فستانها الرمادي الكئيب ويجن رغبة كي يمزقه عليها فترفع غالية ذراعيها الاثنتين تخفي وجهها فيهما وثم يبدأ جسدها

بالاختضاض في بكاء حار من اعمق اعماقها جعلته في لحظة ... يستفيق !

اتسعت عيناه وهو يحدق بجسدها شبه المكشوف من الاعلى بينما تخفي وجهها بخزي عنه تحتمي بذراعيها من تهجمه المقرف عليها !

انتفض مبتعدا عنها ليقف على قدميه وما زالت عيناه مذهولتين بالنظر اليها ...

هل اوشك على فعل هذا بغالية ؟!

هل وصل لهذا الحال من الجنون ليقتل ما تبقى من روحها فقط لأرضاء توقه الحارق اليها ؟

ممزقا كما لم يكن يوما ... يحدق فيها ...



امّا هي ..

فتبكي وكأنها تبكي عمرها كله ....

بخطوات متعثرة تراجع رافد ليغادر الغرفة

محطما أكثر مما كان قبل ان يدخلها ...

بعد ساعتين ..

يحدق امامه بشرود لامبالٍ وحالة من التبلد

الداخلي يفرضها على نفسه بإحكام ...

يجيد الاختباء من نفسه ..

يجيد التسلل خارج جلده !

ولولا اجادته هذه لكان فقد عقله ...

يدخن بهدوء ظاهري لايفضحه الا ارتعاش

ليده بين الفينة والاخرى ...

رن هاتفه الملقى امامه على المائدة فيلتقطه

بينما يشع اسم (ياسر) نابضا على الشاشة ..

سحب نفسا عميقا يسمم به رئتيه بانتقام

ضمني بينما يتمتم لنفسه بابتسامة شقية

لاتعكس مرارة روحه

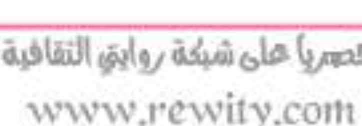
" لامفر ... يجب أن أرد.. العريس سيظل يتصل

دون توقف.. خاصة اذا كان العريس متوترا! "

وحالما فتح الخط هدر صوت ياسر بعنف

" لماذا لاترد على اتصالاتي ايها الاحمق ؟! "





ردد رافد ضاحكا

" مرحبا بالعريس الحانق في يوم عرسه ! أعان الله سهر عليك يا رجل ! "

زمجر ياسر بالسؤال " اين انت ؟"

رد بلامبالاة وهو ينفض رماد سيجارته

" في المطعم ..."

فسأل ياسر بهدوء

" هل تم العقد ...؟"

اغمض رافد عينيه وقشعريرة باردة تمر في جسده بينما يهمس بتحشرج

" نعم ... تم ... "

فقال ياسر بنزق

" قل انك بخير .. عقلي مشتت بسببك .."

لم يستطع رافد نطقها !

ليس امام ياسر ...

وليس بعد ما فعل مع غالية ..

وليس بعد ان اكتشفت امه سره ...

همس رافد بنبرة مخنوقة رغم ادعائه الفكاهة " ماذا عن فارسنا النبيل سعد ؟ هل عقد قرانه هو الآخر ؟ "

زفر ياسر بقوة يائسا من استجابة من رافد ليقول بهدوء ردا على سؤاله

" سنذهب للمحكمة بعد قليل .."

ثم صمت لحظة ليسأل بعدها

" ألن تأتي ؟"

ضحك رافد ملء شدقيه مما اصاب ياسر بالتوتر اكثر ليرد رافد من بين ضحكاته المؤلمة

" مرتان في نفس اليوم احضر عقد قران في المحكمة ؟! هذا كثير جدا على اعصابي يا صديقي ..."

تمتم ياسر حانقا متوترا

" اللعنة رافد انت تقلقني عليك .. لاتبدو بخير على الاطلاق .."

مجّ رافد من سيجارته وهو يردد بكآبة

" مؤكد لست بخير ! عندما يتوقف عقلي عن التفكير واتصرف كغبي اناني احمق مؤكد سأتحول لرجل مثير للشفقة "

رد ياسر بقوة

" انت لست مثيرا للشفقة .. تماسك رافد ولاتجعلني اشتمك الآن .. لست غبيا لتستسلم هكذا وتترك الامور تخرج عن السيطرة .. لااعرف ما تشعر به لكني اعرف كيف تفكر .. احساسك البغيض بالذنب تخلص منه .. انها زوجتك الآن فشغل عقلك واكسبها لتكون امرأتك كما تشتهي من سنوات "

للحظات تاه منه تركيزه ليحلق بعيدا اليها ..



الى استلقائها المذل على سريره بجسدها المتشنج رفضا لقبلاته التي تنتهكها وثوبها الرمادي القبيح يزيد عذابه وكأنه راية صراخها في وجه كل من يريد اذلالها فلا يعاملها كانسانة كما تستحق ...

اهتز لتلك الذكرى ليهرب منها وهو يتمتم لياسر

" اذهب ياسر .. ستجدني في قاعة عرسك ارقص كالعادة .."

قال ياسر بخشونة

" لست مضطرا لفعل هذا ... لست مضطرا للرقص كبهلوان او مهرج ؟ "

فيرد رافد بجمود

" انا احتاج هذا ياسر ... لاتعلم كم احتاج لبعض التخدير ... "

اخذ ياسر يشتك بينما يبتسم رافد بمرارة ليغلق الخط ويضع الهاتف جانبا ...

يده ترتعش وهي تدعس ما تبقى من سيجارته في المطفئة الفضية امامه ..

رفع كفيه ليغمر وجهه فيهما وهو يهمس معنفا نفسه

" لقد اخطأت رافد .. اخطأت خطأ جسيما .. افلت منك ما دأبت سنوات على كبته وكتمانه .. غالية لاتستحق كل هذا ..





لاتستحق ان تشعر بكل هذا الفقد لكل من تحبهم .. لاتستحق شعور الخسارات المتتالية دون ان تتعلم على الاقل كيف تواجهها ..."

ابعد كفيه عن وجهه وعيناه فقدتا بريقهما لكن ... فجأة نبضت فيهما الحياة وهو يتمتم

" كيف تواجهها ...."

تطلع سعد اليها وهي تلوح له بارتعاش قبل ان تغادر بصحبة اخيها ...

بدت تائهة ... خائفة .. مضطربة ...

نادته امه التي تجلس في السيارة جواره

" تحرك بني .. علينا التجهيز لبعض الامور لاجل حفل الليلة .."

تمتم سعد بـ(نعم) بينما باله مشغول مع جودا..

لقد عقد قرانهما لكنها ظلت متشبثة بذراع ياسر وكأنها تطلب منه انقاذها !

انطلق بسيارته والافكار تتلاحق في رأسه بينما فكرة محددة تتكرر وسط تلاطم تلك الافكار ..

هل جودا خائفة منه ؟

هل تعجل كثيرا بفرض الارتباط عليها وهي غير مستعدة نفسيا له ؟




عندما اخذت امه والعمة فائزة تزغردان في المحكمة شحبت جودا اكثر وبدت مرتعبة وهي تتلقى منهما القبلات والتبريكات ...

لم تنظر اليه !

عيناها فقط معلقتان بياسر !

حتى عندما اقترب منها يهمس لها (مبارك صغيرتي) احنت رأسها ولم ترد بكلمة !

شعر بيد امه تربت على ساقه وهي تقول له بحنو

" انها صغيرة بنيّ .. وتبدو بريئة جدا .. لاتقلق من توترها في المحكمة "

هزّ سعد رأسه ولم يعقب بشيء ....

مساء ...

تعطر رافد ليرتدي ساعة يده الذهبية وهو غارق بافكاره ...

تحرك ليغادر الغرفة ...

عيناه لم تطرفا حتى للباب المغلق المقابل لبابه ليتحرك بخطوات متسارعة بعض الشيء فينزل درجات السلم على عجل ...

لكن ما تهرب منه وجده في انتظاره !

تجمدت خطواته على اخر درجتين وشذى عطرها يطغى على عطره هو ...







كان رأسه محنيا للاسفل لتلتقط عيناه اول ما التقطت منها .. حذاء لامع بكعب عال ...

ارتفعت نظراته للساقين النحيلتين المكشوفتين حتى الركبتين ثم يتوهج الفستان الذهبي على جسد صاحبته وهو يحدد معالم انوثتها ...

خفقات قلبه أصمت اذنيه وهو يرفع نظراته أكثر لرقبتها وشعرها الناعم المستريح بدلال على كتفيها ثم فمها اللامع باحمر الشفاه واخيرا ... عيناها ...

عيناها ذو الالوان الثلاث وهما تحدقان فيه بنظرة مبهمة !

الدماء... دماؤه هو .. تغلي في عروقه ....

لم تكن تبعد الا مترين عن الدرج وحرارة لامرئية تنبعث منها فتحرقه !

تمتمت بصوت ثابت

" انا جاهزة لمرافقتك ..."

عاد يتطلع لوجهها وهو يظهر تماسكا مخلل الاركان ..

نعم .. انها اكثر من جاهزة لتحضر عرسا ...

وجهها متقن الزينة .. حاجباها محددان كسيفين فوق عينين زادهما الكحل الاسود فتنة خاصة مع لمعة ذهبية على الجفنين ...

ما الذي تنتويه طفلته ؟!!

قتله غيرة عليها ام ... قتله شوقا اليها !



لم ينزل اخر درجتين يتمسك بقوة
بالدرابزين ليقول بنبرة هادئة في ظاهرها
" ان كنت ستحضرين العرس معي فينقصنا
شيء ... "

ليتبسم من نظرة عينيها المضطربة فيضيف
بصوت مبحوح " الواقع انهما شيئان ..."

ثم تحرك ليستدير صاعدا درجات السلم وهو
يتمتم " انتظريني هنا ..."

غاب لدقائق ثم عاد وفي يده علبة صغيرة
ليجدها تقف مكانها لم تتحرك إنجا واحدا..

تحرك حتى وقف امامها مباشرة يصارع انفاسه
اللاهثة بينما يفتح العلبة بتركيز مبالغ فيه
حتى يشغل ذهنه عن التركيز فيها هي ...

دون ان ينطق بكلمة التقط حلقة فضية
بنقوش مشطبة ووضعها في بنصره الايسر ثم
مد يده بالعلبة اليها لتسقط نظراتها الوجلة
على التماعة الحلقة الذهبية ذو الفصوص
المنمنمة الملونة بعدة ألوان .. ما بين ذهبي
وفضي .. وردي وازرق واخضر..

اختنقت انفاسها وهي تتطلع للحلقة بجمود
فحثها رافد وهو يدعي الصلابة

" ارتديها غالية .. انت تريدين مواجهة العالم
الليلة بصورة اتقنتِ رسمها .. فدعيني
اساعدك لاستكمال رسم الصورة .. بشكل
صحيح ..."






رفعت عينين مضطربتين اليه وكأنها تفاجأت بقراءته لما تحاول فعله حقا !

فيغرق في عينيها ويهمس

" ارتدي حلقة زواجي بك غالية .. ودعيهم كلهم يرونك جسورة لاتأبه بهم ..."

بيد غير ثابته التقطت غالية حلقتها لتضعها في بنصرها الايسر كما فعل هو ..

وبينما هي تحني رأسها بعجز عن التعبير عما يعتمل في داخلها من مخاوف مريعة كان رافد مصدوما بقنبلة البهجة التي فرقعت في احشائه ... قنبلة بفصوص منمنمة ملونة تزين خنصرها الايسر !

كان سعد في طريقه ليأخذ جودا من بيتها كما اتفق مع ياسر الذي بدى نزقا قليل الصبر من كل الترتيبات ما بين جلسات التصوير ونقل العروس هنا وهناك ، بينما امه اصرت على الذهاب مبكرا لتساعد العمة فائزة في ترتيب شؤون القاعة والحفل ...

رن هاتفه فالتقطه على عجل وهو يقرأ اسم جودا فيفتح الخط مبتسما عفويا والشوق لرؤيتها يعصف به فيقول برقة رجولية

" قاربت الوصول صغيرتي ...."

أتاه صوتها متقطعا من شدة الاضطراب

" انا .. لا..اريد ..."





فتتلاشى ابتسامته ويقرع قلبه في صدره وهو

يسألها

" ما الذي لاتريدينه ؟"

فترد والاضطراب يتفاعل تفاعلا مع صوتها

وانفاسها

" لااريد الزواج منك .. لااريد الزواج ابدا !"



الفصل التاسع عشر

ترجل سعد من سيارته يواري مشاعر القلق التي تسيطر عليه بينما يكمل مكالمته مع العمة فائزة قائلا

" لاتقلقي عمتي .. سأتصرف .. فقط اخبري امي بأي حجة لتأخرنا .. "

تمتمت فائزة ونبرة صوتها تفضح اضطرابها

" اجل اجل بنيّ .. سأفعل .. فليسترنا رب العالمين من افعال هذه الطفلة ! "

انهى المكالمة وتكاد .. فقط تكاد .. ابتسامة تزحف لفمه رغم عن كل ما يقلقه...

العمة فائزة هي الاخرى تراها طفلة و يجزم انها كياسر بالضبط .. لايعرفان سر تعلقه بجودا ...

تنهد سعد وهو يطفئ هاتفه ويضعه في جيبه قبل ان يقترب من باب المرآب هامسا لنفسه

" انت ايضا يا ابن منيرة لاتعرف عن يقين السبب الحقيقي ! وكأن اللّه رماك رميا في طريق حبها ...! "

مد يده ليضغط على مفتاح الجرس الخارجي وعيناه تمسحان واجهة البيت يمينا وشمالا بحثا عن اي حركة تدل على مكان وجودها..







انها بمفردها وهذا ما يقلقه اكثر من أي شيء فلا يعرف ما قد تقدم عليه دون ان يكون بجوارها احد ما يمتص انفعالاتها اللحظية...

" أأ... انا هنا ...سعد .. ادخل.. باب ..المرآب مفتوح ..."

مع اول كلمة لندائها الخافت منكسر النبرات حدد مكانها ..

انها هناك ... في جانب مخفي من الحديقة خلف سور زرع الياس المشذب ولايظهر منها الا اعلى رأسها واشعاع عينيها مضطربتيّ النظرات...

قلقه تزايد وهو يمد ذراعه من فوق الباب الحديدي ليفتح عتلته بينما يفكر بشكل سريع ان المغيب يفرد جناحيه بتسارع ومع كل لحظة تأخير تمر سيزداد توتر امه وقلقها... يا الهي .. امه المسكينة التي لم تنم ليلة الامس من شدة انفعالها ...

تمالك سعد نفسه وهو يدخل ليغلق الباب خلفه بينما يتحرك عبر الحديقة متوجها ناحيتها حيث تختبئ مما لايعلمه الا اللّه !

خلع سترته الكحلية الانيقة وربطة عنقه ليضعهما باحتراس على احد كراسي الحديقة في طريقه ...

تنهد وقلبه يجزع عندما عبر سور الياس اليها ليراها هناك ... جالسة على الارض الترابية بوضع مزرٍ ! ..



شعرها مبلل ! ووجهها شاحب ملطخ بعض الشيء، شفتاها اللامعتان باحمر شفاه متوهج أخذتا ترتجفان الآن وكأنها على وشك البكاء وكحلها يسيح تحت عينيها بشكل مريع ..

ظهرها مستند للحائط الرمادي الذي يفصل البيت عن بيت الجيران .. حافية القدمين وقد ضمت ركبتيها لصدرها وهي تتطلع اليه بوجل بل .. بارتعاب ....!

ابتلع ريقه وهو يتطلع بحسرة لفستانها الحريري بلون ازهار البنفسج وقد تقاطرت حبات الماء عليه من خصل شعرها المتناثرة وتمزق قماشه الرقيق في احد الجوانب عدا الاتربة التي غطته في اماكن متعددة ..

عبس سعد وهو يلتقط وجود تلك البقعة السوداء في نهاية الفستان قرب قدميها ..!

أخذ نفسا عميقا وهو يعود لتلك العينين البلوريتين اللتين ما زالتا تتطلعان اليه بنفس الوجل .... اقترب منها بخطوات هادئة ودون تكلف انحنى ليجلس جوارها غير آبه لما سيحصل لبنطاله الانيق ..

الوضع يحتاج منه لتركيز كامل وحل سريع لتلافي كارثة محققة !

همست بارتعاش " انا لااريد الذهاب .."

رفع عينيه اليها يبتسم بشق الانفس وهو يقول " لاتريدين الذهاب ام لاتريدين الزواج مني ؟"

فترد باختناق باكٍ " لا اريد الزواج ابدا .."



ثم اخذت تشهق بالبكاء الذي تكتمه

بشجاعة وهي تهتف بضراوة

" انا سيئة .. شريرة وسأوذيك رغما عني !"

عبس قليلا وهو يسألها بصبر

" لماذا تقولين هذا ؟"

ضمت ساقاها بقوة متشنجة وهو تقول بارتعاش

انفعالي " انت لاتعرف ما فعلت قبل قليل .. انا

شريرة واؤذي من احبهم .. لااملك ان اسيطر

على نفسي وامنع افعالي الرعناء المتهورة ! "

سألها بحذر " ماذا فعلت جودا ؟"

تطلعت اليه والمعاناة تتجسد على وجهها لترد

باختناق دون ان ترد حقا على سؤاله

" ستكرهني .. ستحتقرني .. كما يكرهني

الجميع .. انا ... انا ايضا أكره نفسي احيانا ..

اريد ان .. اصبح جيدة .. لكن .. لكن مشاعر

بائسة غاضبة تغلبني في كل مرة .."

خنقتها غصة بكاء وهي تغرق بالنظر لعمق

عينيه تتوسلان لأمر حتى هي لاتعرف ماهيته

لتعبر بالقول المشوش

" انا لااصلح ان أكون اي شيء يا سعد .. انا

خربة من الداخل .. لااعرف حقا كيف أعبر..

لكن اشعر ان داخلي مكسر .. ممزق ..

لااعرف كيف اصفه ... وهذا سر بشاعتي ..

انا بشعة .. بشعة ..."



تنهد سعد وهو يحدق بوجهها الذي لايفقد فتنته مهما تبأست حالته ..

انه جمال رباني نادر ..

سبحانك ربي فيما خلقت ...

رفع ذراعه في دعوة وهو يهمس لها

" تعالي لحضني صغيرتي ..."

عبست وهي تنظر اليه بارتياب مضحك !

غمز لها قائلا " انا الرجل الوحيد الذي حصلتِ اليوم تحديدا على كافة الصلاحيات والحقوق للجوء لصدره .. "

ثم اضاف متنهدا ببعض الغيرة الرقيقة

" عدا ياسر طبعا ..."

بدت مخنوقة المشاعر وتوشك على الانفجار ليشجعها بالقول دون ان يحاول لمسها

" تعالي حبيبتي .. ستشعرين بتحسن اذا شاركتني مخاوفك وبثثتها في صدري .. قوليها كلها ولاتكبتي شيئا ابدا .."

بخشونة مفرطة رمت نفسها على صدره لتحتضنها ذراعاه تضمناها بقوة وهي تنفجر اخيرا بالبكاء ...

اخذت تبكي دون توقف وتتمتم بكلمات متفرقة غير مفهومة في مضمونها الكلي

" انا خائفة .. لااستطيع الا ان اتذكر .. لكني انسى مرة اخرى .. لااريد ان اكون .. مثلها .. لكني مثلها .. مثلها .."







اخذ سعد يهدهدها وهي يلثم اعلى رأسها المبلل " ششششش .. اهدأي .. اهدأي تماما واسترخي .."

اخذ يدلك ذراعها العاري فيصدم من برودة بشرتها !

يا الهي كيف بللت شعرها هكذا ؟

كيف لاتشعر بالبرد والهواء يحمل برودة المغيب ...

عندما شعر بها تهدأ حرك يده ليصل لذقنها المبلل بالدموع فيرفع وجهها اليه ..

تطلع اليها بنظرة تفيض تعلقا !

تشهق رغما عنها لكن عينيها البلوريتين تنظران اليه ..

كفه استراح على خدها البارد فتتبلل راحة يده بدموعها ليقول وهو يتملى النظر اليها

" هلا اخبرتني من هي التي لاتريدين ان تكوني مثلها ؟"

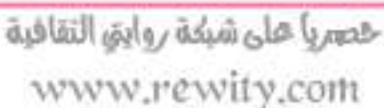
صدمته بالقول المخنوق " امي .."

انها المرة الاولى التي تمر على ذكر امها وهذا اراحه واقلقه بنفس الوقت

تمتم سعد بسؤال متأن

" هل تذكرينها جيدا ؟ "

أخذت تهز رأسها بارتعاش وعيناها بدتا غائرتين على نحو عجيب بينما تهمس بخوف غريب " لا .. انها فقط خيالات .. لكني اعرف .. هي كانت تعيسة .. تعيسة جدا .."




يا الهي .. انها تخاف ان تتذكر امها !

تلك الصغيرة ماذا رأت حقا في طفولتها ؟!

اخذت جودا تتخبط بالكلمات المنفعلة

وانفاسها تتخبط معها

" كانت ... كانت تكره ... ان تتزوج ..

والعجوز .... العجوز تجبرها "

اخذ سعد يحاول استيعاب ما تقول بينما تهذر

جودا بالمزيد " انا لااتذكر رجلا في حياة

امي .. كل ما اذكره .... انها تغيب ... تغيب ..

ثم تعود باكية ... منهارة "

اخذ جسد جودا يرتجف بقوة وعيناها تغوران

اكثر وهي تهمس بنبرة مبهمة

" عندما اناديها ... امي كانت تنهرني! تبكي

وتصرخ بي .. (انا لااصلح اما ولااصلح حتى ان

اكون زوجة) "

غريزيا ضمها سعد بقوة أكبر لصدره بينما

يعقد حاجبيه ويطبق فكيه بتشنج ..

اخذت جودا تهتز اكثر واكثر وهي تفقد

سيطرتها بنوع من الهسترة وتهتف

" يا الهي .. لم اكن اذكرها قبل اسبوع !

والـ.. اليوم تحديدا اصبحت الذكريات تتدفق

على رأسي فتشوشني اكثر ... انا اشبهها سعد

.. اذكر وجهها .. انه نفس وجهي ... انا مثلها..

أؤذي من احبهم .. اتصرف بشكل خاطئ على

الدوام ... انا مثلها .. مثلها ... انا ..هي ...! "

كان تدخل في هستيرية فعلا ولم يكن امامه الا ان يجعلها تفيق ...

امسك ذراعيها واخذ يهزها بصلابة وهو يقول بنبرة صارمة " توقفي عن الكلام .. انظري الي جودا .."

ما زالت عيناها غائرتين لكنها استجابت وحدقت به لاهثة من شدة ما يعتريها من مشاعر ثائرة متشابكة ..

بنظرات قوية حدق فيها سعد وسألها بثبات وحزم " ما اسمك ؟"

رمشت وهي تتمتم بغير فهم " ماذا ؟"

هزها مرة اخرى وسألها ببعض الحدة

" ردي علي .. ما اسمك ؟"

حدقت فيه للحظات خرساء ثم تمتمت ... بارتباك " انا ... جودا .."

سالت دمعة وحيدة على خدها وهي ما زالت تحدق فيه تعجز عن ابعاد ناظريها عنه ...

ترققت ملامحه وشبح ابتسامة وجدت طريقها لفمه فمال بوجهه ولامس خدها بشفتيه فيقول ملاطفا ببحة رجولية

" كم احب هذا الاسم وصاحبته .."

ارتعشت مصدومة ليسألها وعيناه في عينيها

" وما اسم والدتك ؟"

عبست وكأنها تتمرد على سؤاله فيعاود سؤالها مرة اخرى وبرقة اشد" ما اسمها صغيرتي ؟"



انشرح عبوسها وخفتت نبرتها وهي ترد عليه همسا " جما.. جمانة ..."

يده ارتفعت لتلامس شعرها الرطب ويقول بسلاسة لاتعبر عن تموج المشاعر المحتدمة في داخله

" كرري دوما هذا .. انت جودا وهي جمانة .. لايمكن ان تصبحا واحدا ابدا .. ولايوجد انسان استنساخ من الآخر ... كل واحد منا نسخة متفردة عن نفسه "

تمتمت اسمه ليرفع يده الاخرى ويحتوي وجهها بين كفيه يحدق فيه هامسا " هل تعلمين لماذا اخترتك زوجة رغم انك صغيرة لتفهمي معنى الزواج حقا ؟ "

لتفاجئه بسؤال مختلف والحيرة تطفح بطفولية من ملامحها

" لماذا تريد الزواج اصلا ؟! "

ابتسم ببشاشة وهو يرد عليها وكأنه يعلم طفلا المشي لاول مرة

" سأرد على السؤالين معا .. اولا.. لاني اريد امرأة في حياتي احبها وتحبني ولااريد هذا الا في الحلال وثانيا.. لاجل امي التي تحلم ليل نهار برؤية اطفالي وثالثا.. وهو الاهم.. انا اخترتك انت دونا عن كل الفتيات لانك عاطفية جدا متدفقة بحرارة مشاعرك التي لاتعرف كذبا ولازيفا كما لاتعرف قيودا ..



فتنتي بك .. وبتهورك وروحك الشجاعة

التي تأبى الانكسار كما أسرتني بنقاء

قلبك وطفولية روحك وولائك المطلق لمن

تحبين .."

تخضبت وجنتاها بالاحمر القاني وترمش

عيناها باضطراب شديد بينما يشعر بوضوح

بنبضها الخافق المجنون فتشجع ان يسألها على

نحو عاطفي فتان

" الا تحبيني قليلا لتمنحيني هذا الولاء

ولاتخذليني الليلة على الاقل ؟ "

فتنته وهي تهز رأسها ايجابا وعلى نحو مرتبك

ابتسم ابتسامته المشعة ليضيف بعذوبة

" الليلة سنذهب سويا للحفل لاجل من يحبوننا

ولانريد خذلهم ابدا .. ياسر .. امي .. العمة

فائزة .. وكل من حضروا خصيصا حفلنا

ليشاركونا فرحتنا .. لاتفكري كثيرا

بموضوع الزواج الآن .. ما زال الوقت باكرا

فاسترخي صغيرتي ودعينا نبتهج .."

لكنها همست بعدم ثقة

" انا خائفة سعد .. خائفة و .. مجنونة ...

وسأسبب لك المشاكل "

رد بثقة يبثها فيها " عندما تخافين فكري اني

موجود دوما لاجلك واي مشكلة سنحلها معا

.."



ترقرقت عيناها بالدموع وهي تهمس بحرقة طفولية " ياسر سيتركني .."

فيبتسم ويقول" لن يفعل ابدا .. انه يعشقك ولايحتمل دمعة من عينيك "

نادته بغصة وهي تقترب بوجهها منه عفويا

" سعد .."

انحنى بوجهه ليطبع قبلة على خدها هامسا ببحة رجولية

" يا قلب سعد .."

ارتعشت بين ذراعيه لتغمض عينيها وتهمس

" لقد بللت شعري .."

ضحك من قلبه وضمها اليه يستريح رأسها على صدره وهو يسأل بصوت أجش فيه بعض الارتياح

" لماذا ؟"

ردت وكلماتها تغرق في قميصه

" شعرت اني .. تائهة فاردت ان افعل شيئا لأجد نفسي .."

ثم اضافت فجأة وبحيوية شرسة

" لم أحب فستاني هذا..كان من اختيار باربي"

اخفى حسرته على الفستان وكم ودّ لو رأته امه قبل ان تفسده صغيرته ...





تمتم مراوغا احساسه

" تستطيعين ارتداء الفستان الازرق .. احببته جدا عليك .. وامي ايضا ستحبه ولم تره عليك سابقا ..."

غمرت وجهها اكثر بقميصه واخذت تلصق جسدها ببراءة في صدره لتتركه يعاني من حمى تسري في كل جسده بينما تهمس له

" امممممممم ... انت دافئ ..."

ضحك بخفوت وهو يقبل اعلى راسها ويقول ببحة خافتة

" حسن ... هذه افضل جملة سمعتها منك على الاطلاق.."

وبينما تعذبه بتنعمها بـ(دفئه) سألها مستدركا

" هلا اخبرتني الآن ما هو العمل السيء الذي فعلته اليوم ؟"

شهقت وهي تبتعد بقوة عنه لتقول بانفعال مفاجئ واسترسال صادم

" يا الهي لقد نسيت ... ! سكبت حبرا اسواد على فرشة العروسين .. سهر ستبكي كثيرا لاني اتلفت فرشتها الوردية المطرزة .."

بنبرة مصدومة معنفة هتف اسمها

" جودا ..! "



فتعبس وهي تبرر لنفسها

" لم استطع ردع نفسي .. كنت غاضبة
ومشوشة ولاافهم ما يجري لي .."

تنهد سعد بقنوط وهو ينظر للبقعة السوداء
في اسفل فستانها عارفا مصدرها هذه المرة
بينما يزداد عبوس جودا وهي تعرض حلا
طفوليا ببساطة مغيظة

" هل تظن اننا يجب ان نخفي الفرشة عن
الاعين وندعي ان احدهم سرقها ؟! ام الافضل
ان نحرقها ليختفي اثرها ؟ "

نظر اليها وقال بصرامة عابسة

" بل سنحاول اصلاحها جودا .. تحملي مسؤولية
ما فعلت ... "

برطمت بشفتيها المكتنزتين وهي تعبس
بشدة بينما يضيف سعد وهو يلامس خدها

" ضعيها في كيس كبير واذهبي لتغسلي
وجهك وتبدلي ملابسك وترتبي شعرك ..
ثم احضري الكيس معك ستأخذه معنا في
طريقنا للحفل لاحد محال الغسيل الجاف "

هزّت رأسها ايجابا وهبت على قدميها بحيوية
لترفع فستانها وتقفز قفزا فوق سور الياس !

ولم يملك سعد الا ان يضحك ويضرب كفا
بكف بينما يحني رأسه ليتطلع باحباط
لقميصه الذي تلطخ هو الاخر ...





في قاعة الحفل ...

همس رافد قرب اذنها

" هل انت بخير ...؟ "

اقشعرت غالية برده فعل عفوية بينما تهز راسها دون ان تتطلع لعينيه ، تفكر بجزع ان صوته يريحها لكنها ابدا لن تعترف بهذا امامه ...

كما لن تعترف كم هي ممتنة ليده التي لم تفارق يدها منذ دخولهما الفندق الفخم متجهين للقاعة الكبرى حيث يقام العرس ..

اصابعه تلتف حول يدها بثبات بينما ابهامه يتحرك شاردا على ظاهر كفها ...

عاد بها لما قبل عشرون سنة ...

اليوم المدرسي الاول ... تتشبث بتشنج رهيب بحمالة حقيبتها المعلقة على ظهرها ارتعابا ورهبة من المبنى الكبير للمدرسة الابتدائية والذي بدى ضخما جدا مقارنة بمبنى مدرستها الاولى لرياض الاطفال ...

ولم تشعر الا بيد مألوفة تمسك يدها الاخرى وصوته المرح الذي تحب نبراته يهمس قرب اذنها

" احب جوربك الاحمر .. تبدين جميلة جدا وستغار منك كل الفتيات بالصف "

تلقائيا تبتسم بفرح غامر لوجهه الضاحك وينزاح ثقل الارتعاب بشكل عجائبي ...



كان تأثيره كالسحر عليها ..

دوما كان سندها وقوتها ...

ليقودها في ذلك اليوم المشمس عبر ممرات المدرسة الجديدة ليصل بها الى صفها ويده لاتفارق يدها وابهامه يتحرك شاردا على ظاهر يدها كما الآن .....!

خرجت من ذكرى الطفولة البعيدة لتتنبه له وهو يقول لها شيئا ما لكنها لم تسمعه ..

فسألته بعفوية " ماذا قلت ؟"

للحظات طويلة يحدق في عينيها بنظرة غريبة ارعشتها ثم همس بصوت مبحوح

" قلت ... انك تبدين جميلة جدا الليلة ..."

لسبب ما شعرت بغصة وهي تتطلع لوجهه الذي اعتادته لسنوات طويلة قربها ...

وجه رافد رافقها دوما وبشكل مختلف عن مرافقة وجه راغب حتى ...

هناك فرق ... فرق كبير ..

بين ان تحب... وبين ان تنتمي ....

عبست وهي تنحي افكارها قسرا عن عقلها ..

بعد ما حصل بينهما هذا الصباح قضت الساعات تفكر ....

لماذا يجب ان تغرق مرة اخرى بالرثاء على نفسها ؟

لماذا لاتغض البصر عما يؤلمها ؟



بل لماذا تغذي بالألم ضعفها بدلا من ان تغذي قوتها ...؟!!

حتى طعن رافد بافعالها هو قمة الضعف منها..

لاتجرؤ على مواجهة من يستحقون منها مواجهة عنيفة صارمة وبدلا من هذا تكتفي بمواجهة مخزية مع رافد المتبرع !

لذلك قررت المغامرة اليوم ومواجهة العالم ..

ورافد سيكون معها ...

فلماذا لاتستفيد من دعمه ؟

لماذا لاتتناسى اسبابه وتركز فقط في اسبابها واحتياجها لهذا الدعم ...

لن تعيش في الظل مرة اخرى ..

لقد كرهت الظلال التي تحولت بمرور السنين لاشباح تطاردها وتمتص روحها حتى باتت لاتتعرف على ذاتها الحقيقية ..

حدقت في عينيه الزرقاوين وقد بدى لونهما داكنا جدا فردت بهمس هادئ

" شكرا لك ..."

بعد عشر دقائق وهما وسط المدعوين تحيط بهما مجموعة من اصدقاء وزملاء رافد بالجامعة ، فكرت غالية مخنوقة الانفاس وهي تتشبث دون ارادتها بكف رافد

(هل حقا ستصمد اكثر ؟!)

النظرات الموجهة لها تحدق فيها بتمعن فج وكلها نظرات تحمل الف علامة ..



بعض الشباب نقلوا نظراتهم بدهشة بينها وبين رافد ليتساءل احدهم " متى تزوجت ؟! لم يخبرني احد انك خطبت اصلا "

تتوتر غالية بينما يرد رافد بسلاسة وابتسامته ذائبة على وجهه

" اليوم فقط عقدت قراني .. قررت ان انغص على ياسر وسعد في يومهما واشاركهما به رغما عن انفيهما .."

فيضحك البعض بينما بضعة فتيات ينظرن اليها بتقييم وبعضهن لم يخفين حسدهن !

لتقول احداهن ببعض الفظاظة

" لم نتوقع ان تتزوج هكذا ! لا حفل ولا عرس وبشكل فجائي دون اعلان حتى .."

ابتسامة رافد لم تتغير ولا حتى نبرة صوته وهو يرد بالقول

" امي من أصرت على التعجل واختصار الخطوات التقليدية لتفرح بي سريعا وصحتها العليلة منعتنا من اقامة عرس حتى واكتفينا باجتماع عائلي بسيط "

اطرقت غالية برأسها وخصلات شعرها تغطي جانب وجهها ومن يراها يتخيل انها ربما تبتسم في خفر العروس لكن الواقع هي كانت تتخفى بتعابير وجهها المتألمة وارتعاش شفتيها ... فلن تنسى طوال حياتها ما فعله والديها صباح اليوم في المحكمة ...



" رافد .. هل صحيح ان اخاك سافر لامريكا ولن يعود ؟ "

سؤال طُرح بعفوية من احد اصدقاء رافد لكن تأثيره كان مرعبا على غالية .. اشبه بانهيارات ثلجية قاتلة غمرتها وجرفتها ..

يد رافد توترت حول يدها بينما تشعر غالية ان الصقيع سكن دماءها فغزى شرايينها ...

ثم فجأة تراخت يده ولصدمتها ترك يدها وقبل ان تتمكن منها الصدمة حطت يده تلك على خصرها وجذبها لتلتصق به وهو يقول بنبرة محايدة

" نعم هذا صحيح ..."

ثم بسلاسة انتقل رافد لموضوع اخر قاطعا الطريق وبشكل واضح للجميع امام اي سؤال يخص هجرة راغب ...

هلل البعض بينما علت الزغاريد معلنة وصول العروسين ...

استدار الجمع نحو بوابة القاعة مع تعالي موسيقى عربية هادرة و فرقة من الرجال بالزي العربي البدوي يتقدمون العروسين حاملين السيوف ويرقصون على انغام الموسيقى الهادرة...

عينا رافد لم تطرفا حتى وهو يتطلع لوجه غالية ...





عيناها تشعان وشفتاها منفرجتان قليلا تلهث تأثرا مع زفة العروسين المبهرة ...

بدت غارقة فيما تراه ومتأثرة بشكل يوجع قلبه عليها ...

ثم رأى كيف تركزت عيناها على العروس لتتمتم دون شعورها

" العروس جميلة جدا ..."

لم يستطع منع نفسه وهو يحرك جسد غالية امامه ويقف خلف ظهرها مباشرة يلف ذراعيه حول خصرها ويميل قليلا براسه يلثم شعرها وهو يهمس

" وانت في نظري اجمل نساء الكون "

توتر جسدها قليلا وهي تحني رأسها للاسفل وتحاول ابعاد ذراعيه عنها بنوع من الحدة ..

فار الدم في عروق رافد فيتشبث بخصرها اكثر هامسا بنبرات تشتعل غضبا

" اهدأي .. تذكري انك عروس ايضا والكل ينظر الينا ينتظرون ردود افعال يتوقعونها خاصة مع المفاجأة الصادمة لزواج لم يعلن عنه سابقا ... "

تراخت يدها باستسلام واخذت تتطلع حولها لترى بعض الفتيات ينظرن اليهما بتدقيق فضولي وتركيز خانق !



جسدها متشنج وتشعر بوخز ابر في كل

مكان منه لكنها ولم تعقب بشيء بينما

تدعو الله ان يمنحها القوة لتقاوم اي ضعف ..

من زاوية اخرى مخفية كانت هاجر ترتعش

بمشاعر محتدمة من نوع آخر ...

غيرة عنيفة لم تتخيلها هي نفسها ...

او ربما لم تحضر نفسها بشكل كافٍ وهي

تفترض ان زواج رافد من طليقة اخيه مبني

على اساس مضعضع...

الغيرة تشوشها وهي تراه يقف معها ويهمس

لاذنها بما لاتستطيع هاجر حتى التكهن به...

اخذت تهز رأسها فيتراقص شعرها الذي ترفعه

كذيل حصان انيق بتسريحة مذهلة وبضع

حبيبات لامعة خضراء تناثرت على جزء من

تلك التسريحة فبدت هاجر ومع ثوبها

الاخضر الداكن مبهرة تشهق انفاس الرجال

لرؤيتها ...

لكنها لاتهتم الليلة ...

لاتهتم ابدا ...

كل ما تريده وتهتم به هو رافد ...

لاتعلم ما الذي يصيبها لكنها لا تستطيع

الكف عن التفكير به ...





لاتستطيع محو نظراته اليها من ذاكرتها ...
ابتسامته المنعشة ومزاجه الرائق الرجولي
الملفت ...

منذ اول يوم رأته وتلك النظرة في عينيه
جذبتها ..

ثم لقاء بلقاء اخذت تلتقط منه ذبذبات
مشاعر اخرى ... فخلف مزاجه الرائق دوما
يتناقض هذا مع الاحساس الذي يشع منه
وتلتقطه هي بشكل يثير دهشتها ...

فجأة اتسعت عينا هاجر العسليتين وهي تتطلع
لرافد الآن لتجده معالم وجهه غاضبة يخفيها
بين طيات شعر عروسه فتداهمها فكرة اكثر
جنونا وتشويشا

" ترى هل يعشق رافد احداهن واضطر ان
يتخلى عنها لاجل طليقة اخيه ؟ هل هذا سبب
ما تستشعره منه دوما من حاجة ضارية يتوق
الى نيلها ؟"

عقدت هاجر حاجبيها ودون تردد قررت ما
يجب ان تفعله ...

ابتسمت فائزة في وجه منيرة وهي تطمئنها
بالقول " اهداي يا ام سعد .. ألم يتصل
ويطمئننا قائلا انهما في الطريق .."

تطلعت منيرة للعروسين ياسر وسهر بحسرة ثم
عادت لتناظر باب القاعة وهي ترد بتنهيدة
قلق



" لقد تأخرا كثيرا يا فائزة والمدعوين لم يتوقفوا عن السؤال عنهما حتى انعصر وجهي من كثرة المجاملة .."

قالت فائزة وهي تلف ذراعها حول كتف منيرة بمحبة " هوني عليك .. سيقر سعد عينيك عن قريب برؤيته داخلا مع عروسه .."

تطلعت منيرة لوجه فائزة بتركيز لتعبس وهي تميل نحوها وتهمس بتركيز

" هل انت متأكدة ان المشكلة كانت في الفستان فقط ؟"

اخفت فائزة اضطرابها بشق الانفس بينما ترد

" هذا ما قاله سعد عندما اتصل اخر مرة و.. أكد انه تم حل الموضوع "

تحدق منيرة بتركيز مستمر على ملامح فائزة وكأنها تحاول جاهدة استشكاف ما يمكن ان تخفيه لتسألها صراحة

" فائزة ... أصدقيني القول .. هل جودا بخير ؟"

رمشت فائزة وهي ترد بصدق

" اقسم لك انها بخير .. هما الاثنان بالف خير .. "

تنهدت منيرة ونظراتها تشرد قائلة " الفتاة بدت مرتعبة في المحكمة هذا الصباح "

فقالت فائزة بثقة " انها فقط تحتاج لرجل قوي كسعد يمنحها من قوته ..."

لتتشجع فائزة وتضيف بنبرة تتوسم الامل

" اوصيك خيرا بها يا ام سعد .. انها فتاة محرومة من عاطفة الام و انا .. عجزت للاسف عن منحها اياها "

شهقت منيرة وهي تمسك يد فائزة تربت عليها وتقول " لاتقولي هذا يا فائزة .. دوما سعد يخبرني كم انت حنونة بالفطرة .. الا يكفي انك تكفلت باولاد اخيك بعد وفاته هو وزوجته ... "

تحسرت فائزة بالقول الهامس الذي يدور دوما في خلدها " لكني لااملك احساس الام .. لم يسبق لي ان شعرت به لامنحه لأيا منهما .. لا ياسر ولا جودا ..."

تبسمت منيرة وعيناها تحيدان ناحية باب القاعة مرة اخرى بينما تقول لفائزة

" يا حبيبتي يا فائزة .. الامومة غريزة عندنا نحن النساء لانحتاج لانجاب اولاد حتى نستشعر وجودها .."

اسبلت فائزة اهدابها وهي تردد

" ربما لااعلم .."

فجأة قالت منيرة بغيظ " لااصدق ان سعد لم يتزوج بعد وينفصل بحياته ليخفي الاسرار عني ؟"

رفعت فائزة نظراتها وهي تتساءل باستغراب

" اي اسرار ؟!"




اشارات منيرة بحركة من رأسها ناحية وقوف رافد وغالية بينما تقول بحنق النساء

" لم يخبرني ابدا عن زواج رافد .. لقد تفاجأت بتقديمه الفتاة لنا كعروس ! انا حتى لم اعرف انه خطب !"

شعرت فائزة بالحرج ولم تعرف أيجدر بها اخبار منيرة عن ملابسات هذا الزواج ام لا ؟!

لكنها فضلت عدم الافصاح لتقول بمراوغة

" فهمت من ياسر انهما .. انهما عجلا الزواج بناء على رغبة ام رافد ولم يقيما حفلا بسبب حالتها الصحية المتدهورة.."

تنهدت منيرة اشفاقا هذه المرة وهي تعبر بالقول

" مسكينة تلك المرأة .. ألم يهاجر ابنها الاصغر تاركا زوجته وابنته الصغيرة ..."

تزايد ارتباك فائزة لتقول " نـ...نعم ..."

عندها تفاجأت بعبوس منيرة ونظراتها المفكرة المركزة ناحية رافد وغالية لتقول منيرة اخيرا " عروس رافد رأيتها سابقا .. انا لاانسى وجها ابدا ..."

ارتفع حاجبا فائزة قليلا بينما تضيق منيرة عينيها وتردد لنفسها " اين يا منيرة .. اين ؟"

حركة عند باب القاعة جذبت فائزة اولا ليتهلل وجهه فرحا وهي تهتف

" وصل العروسان يا ام سعد .. وصلا .. وصلا ..."



وفي رمشة عين صدحت اعلى الزغاريد من جنجرة منيرة وهي تهرول هرولة ناحية ولدها وعروسه المتشبثة بذراعه كطفلة مصدومة!

حدق ياسر في اخته وهو يفكر كيف ارتمت على صدره وتعلقت برقبته تقبله وتعتذر منه بكلمات غير مفهومة !

لكن لايهم .. سيرى لاحقا اسباب تأخرها واعتذارها .. فمن نظرة عينيها يبدو انها ارتكبت تصرفا أرعنا جديدا كان سببا لكل هذا التأخير في الحضور ...

المهم الان انها امامه .. بخير ومستقرة اخيرا في كرسيها جنب عريسها ..

وما زالت الخالة منيرة تزغرد حول ابنها وعروسه وتقبل وجهيهما معا بعد الثورة الاحتفالية التي اقامتها منذ دخولهما لقاعة الحفل...

شعر ياسر بالراحة لرؤية اخته وهي تنظر لسعد وأمه بافتتان طفولي بعد ان دخلت القاعة بوجه شاحب مصدوم ...

شعور آخر غريب خالجه ..!

انه يشعر .. يشعر بالغيرة !

من السخف ان يغار لتعلق جودا بزوجها المستقبلي ..

لكنه يبدو قد اصبح معتادا على تعلقها الابوي به وحده ولايريد ان يفقده منها ...





عبس وهو يفكر بغرابة ما يشعره !

" ارجو ان تكتفي الخالة منيرة وتتذكر ان الليلة هو زفافي انا وليس زفاف ابنها سعد !"

تنبه لصوت سهر الحانق والتي اضافت من بين اسنانها وهي تتطلع لوجهه بغيظ

" هل ارتحت الآن .. حضرت اختك مع سعد سليمة معافاة ... عابسة في وجهي كالعادة ... تتعلق برقبتك كطفلة تملكية كالعادة ... وتناكفني كالعادة بارتدائها لفستان سبق لها ارتداؤه في حفل عقد القران مفضلة اياه على فستان رائع بلون البنفسج اخترته خصيصا لها ووافقت عليه بوقتها "

تراقصت نظراته على عروسه ..

هل يمكن ان تبدو اجمل من أعتى احلامه ؟!

بهذا الثوب الابيض وشعرها المرفوع بكليته وتناثرت الورود المنمنمة وحبات اللؤلؤ عليه..

سهر عروسه ... عروسه اخيرا ....

وجهها الحانق يزيده اثارة وهي تهدر بخشونة غريبة عنها

" لااعلم من يثير جنوني اكثر انت ام هي ! "

لم يملك الا ان يبتسم بجذل فتتنهد بانفاسها العطرة وهي تقترب من وجهه وتقول بانوثتها الثائرة

" اجل يا رجل ... ابتسم قليلا وافرد عبوسك قبل ان انفجر ! "



عيناه توهجتا اكثر واكثر وهي يتطلع بصمت ابلغ من اي كلمات غزل ...

لايريد لمسها الآن لانه لن يحتمل ..

سيدمي شفتيها في قبلة لاتعرف نهاية واmام كل المدعوين ...

تمتمت ورديته بعذوبة تذيبه

" اخيرا تنظر الي كانثى تخصك ... لقد يئست واحبطت منك هذا اليوم .."

همس وهو يتطلع لكتفيها

" هذا الفستان مخادع كصاحبته .."

عقدت حاجبيها الانيقين وهو تقول بتوجس

" لاتقل انه خليع ايضا ! انه يغطي جسدي بالكامل "

تطلع لفستانها عند الكتفين والذراعين تحديدا ليقول بتراخ

" وماذا تسمين القماش المخرم الذي يظهر بشرتك اكثر مما يخفيها .. "

زفرت بقوة قبل ان تلفظ اسمه " ياسر ..."

رد بنبرة ساخرة " نعم .."

حدقت في عمق عينيه لتقول بتأكيد

" اليوم عرسنا .."

عقد حاجبيه قليلا وهو يبتسم وكأنه متفاجئ !



لتضيف سهر وعيناها الخضراوان تشعان بالتحفز

" وانا اريد ان افرح .. ان اضحك وابتهج وارقص و اريد ان .. لماذا تحدق فيّ هكذا ...؟! "

قطعت استرسالها لما (تريده) وهي تسأله هذا السؤال عندما رأته يحدق لتسريحتها باستغراب...

فرد على سؤالها بالقول " كيف اخفيت شعرك الطويل بهذه التسريحة ؟! "

باطراف اناملها اخذت تلامس ظاهر يده وهي ترفع حاجبا واحدا بتحدٍ وتسأله

" هل تعجبك ؟"

ضحكة خافتة صدرت عنه عندما امسك يدها التي تلامسه بخشونة فنهرته سهر بالقول

" توقف ياسر ! ... انت تؤذي يدي .."

رفع يدها ناحية فمه فتقطعت انفاس سهر لنظرة عينيه الداكنتين وانتظرت ملمس شفتيه على ظاهر يدها لكنها ....

" آآآآآآه .. ايها المتوحش .."

ضحك ياسر بينما يخلي سبيل يدها التي عض جانب راحتها للتو !

وبينما تنظر اليه بغضب همس لنفسه

" اهدأ ياسر ... الليل ما زال في اوله ..."



تنهدت براحة وعبء الكلام مع المدعوين ينزاح فهي لم تكن تعرف الغالبية منهم عدا العمة فائزة التي تلتقي بها احيانا في المطعم واما الخالة ام سعد فلا تذكرها الا من حفل تخرج رافد حيث حضرت هي الاخرى واخذت تزغرد بشكل مستمر لتخرج ولدها سعد ...

والمرأتان كانتا في غاية اللطف معها ..

الخالة ام سعد بدت قلقة بعض الشيء لتأخر سعد كما اوضحت ...

وهذا لحسن حظ غالية ..

المرأة لم تركز معها كثيرا بينما العمة فائزة كانت تتجنب النظر المباشر اليها !

لاتعلم غالية هل تخفي العمة نظرات اشفاق ام نظرات حرج من الوضع برمته ان لم يكن اتهام !

" سأحضر لك عصيرا وبعض الطعام لااظنك أكلتِ شيئا منذ الصباح "

ابتلعت غالية ريقها وهي تراه يبتعد عنها فتشعر فجأة باليتم !

اغمضت عينيها وهي تشجع نفسها بالقول

" توقفي غالية .. توقفي .. انت ناضجة و قوية ولست مجرد طفلة مهجورة تثير الشفقة ..."





بضع دقائق انفصل عنها ويكاد لايطيق ان يتنفس بعيدا عن انفاسها ...

لكنه قسا على نفسه واجبرها على التماسك، فرض على ذاته طوقا من التغاضي القسري عن وجودها ..

كله ... بمن فيه قلبه .. تغاضى عن وجودها..

عن ارتباكها الذي تكتمه ..

عن ضياعها الذي تقاومه بشجاعة ...

فقط عقله بين فترة واخرى يتأكد من لمحة وجودها على مدى ناظريه ...

اخذ يضيف مزيدا من الطعام لطبقها بينما يتمتم وكأنه يؤنب نفسه

" تجلد رافد ... تجلد ... يجب ان تتركها تعتمد على قوتها قليلا وتستعيد ثقتها بنفسها آآآه ... ثقتها وضحكاتها الحلوة وغنائها الشجي ..."

" مرحبا رافد ..."

ارتفع رأسه تلقائيا ليرى هاجر بجمالها الساحر امامه ...

تمتم وهو يبتعد عن مائدة الطعام " مرحبا .. "

لاتعرف هل يفترض ان ترضيها نظرة الاعجاب العابرة منه ام تقتلها كمدا !

يا الهي .. رجل مميز مثله يستحق بافضل من امرأة مطلقة ربما لايحمل نحوها اكثر من مشاعر اخوة !



قالت هاجر وهي تقف امامه

" مبارك لك زواجك..."

نظر في وجهها وهو يرد بهدوء

" شكرا لك .."

ابتسامة لوحت شفتيها اللامعتين بلون برتقالي مثير لتقول بنبرة تفيض اغراء طبيعيا

" ألن ترقص رقصا شعبيا الليلة ؟ "

عيناه لم تفارقا وجهها لتضيف هاجر باستدارك متعمد " مع عروسك بالطبع فمؤكد هي الجديرة بالرقص معك الآن "

احتدت نظراته بشكل غريب لكن هاجر لم تتراجع عن مقارعته بنظراتها المتحدية

قال رافد بنبرة خافتة " عن اذنك هاجر .."

لكنها لم تستجب تماما لاقصائه لها فقالت بجرأة " سؤال واحد ... ولن اعتذر عن وقاحته هذه المرة ..."

ضاقت عيناه قليلا بينما تدلي بسؤالها وهي تحدق في عينيه

" هل هناك امرأة تشغل بالك ..؟ "

ابتسم في وجهها ... ثم مال ناحيتها .. عيناه في عينيها ليهمس بسخرية لذيذة مرحة

" رد واحد ... امرأة ... ولاسواها ...."

للحظات يحدق فيها يتركها تستوعب ما يعنيه ويقصده غافلا عمن كانت تراقبهما وفسرت اقترابه من حمراء الشعر بشكل مختلف ..

في حمام السيدات في الفندق ..

تشعر بالانهزام .. بأن روحها تتفتت وهي تمضغ طعم الخيانة الذي لايُبتلع ولا يُلفظ...

رافد لايمكن ان يخون ثقتها به هو الآخر ..

لايمكن ان يحطمها كامرأة حتى لو لم تعتبره زوجا ..

لايمكن ان يقتل فيها انوثتها او ما تبقى من تلك الانوثة التي باتت مشوهة ...

دموعها غسلت وجهها ولاتعرف هي تبكي نفسها ام تبكي مرارتها ...

سمعت غالية صوت ضحكات فتيات يقترين من الباب لتسارع بالدخول الى اقرب حمام وغلق الباب خلفها وهي تلهث بالبكاء المكتوم ...

اغمضت عينيها وهي تدعو بصمت ان لا تطل الفتيات ببقائهن هنا ...

ضحكات وحوارات جاءتها غير مفهومة وهي غارقة بحالتها المنهارة ثم فجأة تنبه عقلها واسم رافد تداوله الالسن !

(" لم استوعب حتى الان ان رافد زير النساء قد تزوج ! "

" انا اصبت بالصدمة ! تنتهي عدتها لتتزوج اخاه ! "



" من اخبرك ؟"

" احدى قريبات سهر نقلا عن ياسر شخصيا .."

" هل تظنين ان هذا سبب الطلاق ؟ ربما زوجها اكتشف علاقتها باخيه .. يا الهي تخيلن ! "

" لا اظن .. ما فهمته ان والدة رافد فرضت عليه هذا الزواج بعد ان طلقها اخوه وسافر لامريكا .. خاصة انها ابنة خالتهما ايضا ..."

" هل رأيت كيف امتقع وجهه عندما سأله غيث عن اخيه ؟ "

" نعم ... صحيح ... "

" يا لها من تضحية ! "

" بل قولي يا لها من صدمة .. الا يكفي صدمتنا بها هي شخصيا كزوجة لرافد "

" انها جميلة .. لاتظلميها .."

" اجل .. جميلة .. جميلة فقط بينما كلنا ظننا ان رافد لن يدخل القفص الزوجي الا مع امرأة آية في الحسن تغنيه عن باقي النساء "

" يا الهي اشعر بالتقزز ! كيف ستسلمه جسدها وقد سبق وسلمته لاخيه ؟!!"

" مع رافد الراهبة نفسها تسلم جسدها ..")

فتتعالى الضحكات بين الفتيات ليخرجن سوية من الحمام وتبهت اصواتهن شيئا فشيئا بينما غالية تحدق بعينين متسعتين ودموعها متجمدة على اطراف اهدابها ...



بعد دقائق غادرت هي الاخرى في حالة هائمة فوق كل الآم ...

غارقة في حالها الذي وصلت اليه وتشعره يغرقها بطوفانه ...

ما الذي فعلته بنفسها ؟!

كيف ارتضت كل هذا الامتهان من راغب

ثم ارتضت امتهان والديها لها واخيرا رضت بامتهان نفسها لنفسها وهي ترضى بمن كان اخا فيصبح بمجرد ورقة ... زوجا !

خرجت من بوابة الفندق ولاتعرف اين تتجه بخطواتها ..

تقودها عبر ممرات صغيرة معبدة بطابوق رمادي ولاتضيئه الا اعمدة انارات باهتة ...

التفت حول مبنى الفندق الرئيسي لتجد نفسها قد وصلت لاحواض السباحة ..

كان المكان خاليا واشد ظلمة فاتخذت من احدى الكراسي البيضاء التي يتمدد عليها السابحون للتشمس فتمددت هي الاخرى مستكينة لظلام الليل ...

لم تعرف كم مر عليها وهي بهذه الحالة من التراخي ولم تشعر بمن كان يراقبها عن مسافة كما لم تشعر باقتراب الخطوات منها حتى اجفلت على صوت رجولي ينادي اسمها بهدوء

" غالية ..."



انتفضت غاليۃ وهي تنتصب بظهرها وتنزل ساقيها عن الكرسي الطويل لتثبت اقدامها على الارض وهي تتطلع لذلك الرجل بينما تتكشف لها هيئۃ وجهه ...

تمتمت بدهشۃ وهي تقف على قدميها تلقائيا

" منذر ؟!"

وبارتباك اللحظۃ واللقاء الاغرب سألت وهي تتلاعب بحقيبتها الصغيرة الذهبيۃ

" ما الذي اتى بك الى هنا ؟"

يد واحدة في جيب بنطاله الرمادي بينما يحرك يده الاخرى متطلعا لساعته بحركۃ لامباليۃ وهو يقول دون ان ينظر اليها

" حضرت للتو .. مجاملۃ فقط لوالد العروس .. اعمل معه في نفس المؤسسۃ ... مؤسسۃ الجراح "

يد غاليۃ المرتبكۃ ارتفعت لشعرها عفويا بينما تنحى بنظراتها جانبا لتتحرك بتململ وهي تقول

" عن اذنك يجب ان اعود للحفل .."

حالما مرت بقربه همس باستخفاف ظاهري

" سمعت بطلاقك .."

رفعت عينين تقدحان شررا لتتطلع لعينيه الساخرتين فتقول من بين اسنانها

" ماذا تريد منذر ؟ ان تتشفى ؟! "



اشتد وهج مخيف في عينيه ليقول بصراحة فجة قاسية

" حقيقة ... نعم .. يسعدني ان ما اخبرتك عنه سابقا حول ابن خالتك التافه الذي فضلته عليّ ليس برجل لترتبطي به وها هو بعد اقل من ثلاث سنوات يهجرك مع طفلتك ويطلقك .."

كان الامر لايطاق ... لايطاق ...

لكنها لن تقع ارضا مضرجة بتجريحات الجميع دون مقاومة لتقول له بنبرات تتقطع انفعالا

" انا من طلبت الطلاق .."

ضحك ضحكة جافة وهو يقول بسخرية

" لاتخدعي نفسك غالية .. الكل بات يعرف انه كان يخونك ثم هجرك تاركا اياك انت وابنتك بعهدة اخيه الاكبر "

تقبضت يداها وهي تصر بالقول المختنق

" قلت لك .. انا من طلبت الطلاق .."

بلا مبالاة ادخل يده في جيب سترته الداخلية ليخرج علبة سجائره الانيقة فيلتقط واحدة ويضعها في فمه وبينما يخرج قداحته قال مدعيا اللامبالاة

" هل حقا سيتزوجك رافد الآن ؟!"

شعرت بالاختناق حقا .. ولا حتى ذرة هواء تدخل رئتيها ..



ترنحت وهي تبتعد بخطواتها دون ان ترد حتى،
شعرت بقساوة يده تمسك مرفقها تثبتها
مكانها بينما يهدر

" هل ستتزوجينه ؟ "

نظرت اليه وقد بدأت تشعر بحبيبات العرق
تتجمع على جبينها لتهمس بنبرة ميتة

" اترك ذراعي منذر ..."

تتجمد ملامحه للحظة ثم تتراخى بشكل
ساخر وهي يرفع يده بعيدا ويقول بنبرة مبهمة
" عفوا ... انفعلت قليلا .."

حاولت التحرك مرة اخرى لكنه هذه المرة
وقف في طريقها ودون ان تتطلع اليه همست
بشراسة " ابتعد عن طريقي.."

انفاسه تهدر وهو يقول بانفلات منفعل

" سابتعد لكن ليس قبل ان تردي على
سؤالي.. هل حقا ستتزوجين رافد ؟"

رفعت وجهها وشراستها تنضح من ملامحها كما
من نبرات صوتها لتقول له بابتسامة حاقدة

" يبدو ان المعلومات لاتصلك سريعا عبر
اختي العزيزة ناهد او زوجها .. اخاك الغالي
حازم .."

تمتم منذر بنبرة متوجسة " ماذا تعنين ؟"

ردت بكل ما يعتمل في روحها من قهر

" اليوم تزوجنا انا ورافد ... هل تسمعني ؟ انا
زوجة رافد الان ... فلتمت بقهرك الرجولي
المتعفن "



ثم تركته وخطت بخطوات نارية واسعة

بينما منذر يعتصر السيجارة التي لم يشعلها

ليفتتها تفتيتا بين اصابعه !

في طريقها لتعود لبوابة الفندق رأت رافد يدور

في المكان بملامح شديدة القلق فاستلذت

باقلاقه هكذا ...

يستحق .. يستحق واكثر ..

لن تنسى ابدا نظراته لحمراء الشعر ولا

اقترابه منها ...

كل الرجال سواء .. لاهثون خلف غرائزهم

القذرة ... تقتلهم كبرياؤهم قبل قلوبهم ...

اقتربت منه بخطوات متمهلة وحالما رآها

تسارعت خطواته نحوها وملامحه تضج الآن

بثورات الغضب ...

هدر فيها وهو يمسك ساعديها يقربها منه

" اين ذهبتِ ؟! لقد جننت وانا ابحث عنك

واسأل هنا وهناك .. حتى اخبرني احد

موظفي الفندق انه رآى سيدة بفستان ذهبي

خرجت قبل فترة ..."

تطلعت اليه بملامح جامدة ولم تنطق بحرف ..

هزها بانفعال وهو يكاد يصرخ فيها فهتف

" لماذا هاتفك يرن دون ان تردي...؟!"



عندها نضحت عيناها سخرية وهي تقول

" حقيبتي صغيرة جدا فلم احضر هاتفي معي"

ثم اضافت بسخرية اكثر قساوة

" ولم أظن اني ساحتاج لهاتف وانا معك .."

يحدق فيها يحاول قراءتها دون نجاح يذكر ..

ماذا حصل لها لتعود غاضبة هكذا منه مرة اخرى؟!

للحظة فكر هل ربما رأته مع هاجر ؟

جاء صوتها خافتا مرهقا على حين غرة

" ارجوك .. اريد العودة للبيت يا رافد .. كفى مواجهات لهذه الليلة .."

هز رأسه موافقا وبينما يتحرك معها التقطت عيناه خيال رجل ...

رجل يتحرك في الظلمة من نفس الجهة التي أتت منها غالية ...

عقد رافد حاجبيه واحدى الانارات تتسلط على وجه الرجل الذي بادله النظر بنظرة غريبة ..

وبعنف متفجر ضج عقله بمعرفة هويته ..

لايمكن .. لايمكن ان يكون هو من كان مع غالية ...

بمفردهما ... في تلك الظلمة !

بصمت قاد غالية لموقف السيارات وجسده يحترق بحجيم قلبه ...





يكاد يفقد اعصابه بينما يتحرك ذهابا وايابا في الصالة الصغيرة لجناح العرائس ..

عيناه على باب الغرفة المغلق وكم يود قتل كل من يقبع خلف ذاك الباب بمن فيهم عروسه المدللة !

خلع ياسر سترته ورماها بعنف على اريكة انيقة بيضاء ثم خلع ربطة عنقه بنزق ورماها ارضا واخذ يفتح ازرار قميصه العليا وهو يشتم سهر وام سهر وابنة عم سهر !

عيناه تحرقان بنظراتهما ذاك الباب بينما افكاره الحانقة تحتدم .. الا يكفي ان ينتظرها لربع ساعة عند المصعد بينما تتعلق برقبة والدها تأبى تركه وكأنها ذاهبة في هجرة لجزيرة الواق واق وليس مجرد اسبوع عسل لبلد ليس ببعيد ...!

ثم تصدمه وهي تخبره ان امها وابنة عمها ينتظرانها في الجناح..!!

لمعة عينيها القطيتين اخبرتاه انها تتسلى على حسابه ..

تمتم من بين اسنانه

" حسن يا سهر .. سأريك كيف تمارسي العاب النساء المحتالة علي .."

اخيرا انفتح الباب لتطل ابنة عمها اولا ثم تتبعها (حماته) ....



حماته المغرورة التي لم تكف طوال هذه الليلة عن التلميح تارة والتذمر تارة اخرى من مستوى اعداد العرس والتصريح بضيقها من اشراكه للزفاف مع الاحتفال بعقد قران اخته جودا ..

انها حتى لم تتورع عن ابداء ارتياحها لتعذر حضور رئيس مؤسسة الجراح لسفره مع زوجته لخارج البلاد ...

وكأن العرس لم يكن لائقا بالمقام الرفيع..!

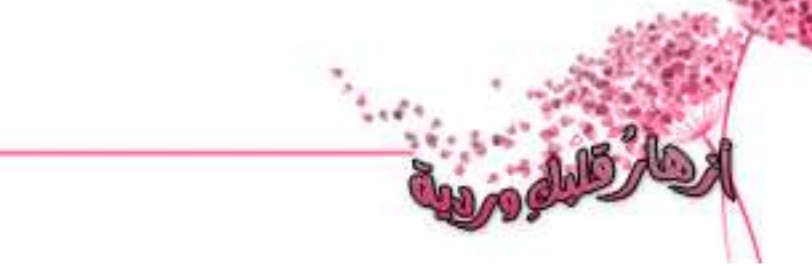
اقتربت حماته منه وبنظرات باردة توصيه بابنتها خيرا بينما تسأله بامتعاض عن الفندق الذي سينزلان فيه في تركيا ..

رد عليها ياسر بصبر نافذ لتبرم شفتيها بغير رضا عن مستوى الفندق كما يبدو ...

لحسن الحظ ان هاجر سارعت لسحب زوجة عمها لتغادرا قبل ان يفقد ياسر اعصابه تماما وتنقلب ليلة الزفاف لكارثة ...

اغلق ياسر باب الجناح خلفهما بعنف مقصود اخرج فيه بعض غيظه ..

ثم توجه ناحية باب الغرفة وهو يتمتم بسخرية مقلدا صوت سهر في المصعد عندما اخبرته عن وجود امها في الجناح



" ليست مأدبة ثرثرة نسائية .. امي وابنة عمي سيساعدنني لخلع فستان الزفاف فمعك لااضمن افعالك "

زفر بقوة وهو يفتح الباب بخشونة وحالما وقعت عيناه عليها تجمدت حواسه في صدمة !

ليس خلاعة قميص النوم الحريري الشفاف بالوان الذهبي والاخضر ولا حتى جسدها النحيل الذي يحلم بامتلاكه ليل نهار ...

لا ... أمر واحد جعله يخطو نحوها مصعوقا ليتمتم بخشونة وانفاس متقطعة

" شعرك ...قصير ! "

هزت رأسها وشعرها يتأرجح حول رقبتها تبتسم له ابتسامة لعوب لكن نظراتها فضحت خوفها الفطري من ليلة الزفاف ...

فك ازرار قميصه وعيناه متعلقتان بشعرها الذي يكاد لايلامس حتى كتفيها العاريين...

يا الهي .. تماما كما كان يحلم بها في الجامعة ...

خلع قميصه ورماه ارضا لتبرز عضلات صدره بينما يتمتم بصوت خشن مصرحا بافكاره

" تماما كما كنتِ ترهقيني ايام الجامعة .. وكأن السنين لم تمر يوما .."



وقف امامها وجسده يرتجف انفعالا فتتحرك يداه بينما تهمس سهر بتحذير مرتبك

" اياك ان ... تمزق قميص النوم .."

ابتسم بحرارة وعيناه تتوحشان بالتوق المستعر هامسا " سأمزقك انت شخصيا ..."

لف ذراعيه حول خصرها بعنف فتشهق بقوة وهو يرفع جسدها للاعلى فيجعل وجهها بمستوى وجهه يحدق فيه لثوانٍ بلهاث مجنون كأنه يستوعب ما يحدث له وفي لحظة تالية يتأوه بصوت شديد الخشونة ليغمر وجهه في عنقها مجنونا منهارا بذاك الشعور الذي سكنه لسنوات بل راوده منذ رآها لأول مرة ...

بشعرها القصير الحيوي الذي يدعوه دعوة سافرة حتى يلتهم بشرة رقبتها بالقبل ..

فلم يتأخر لتلبية تلك الدعوة ..

تتشبث بكتفيه العاريين وجسدها الغض يتحطم تحطما على اضلاعه فتهمس ما بين توجع وذوبان فيه

" آآآآآآآآآآآه ياسر ... لحظة .. آآآآآه .."

بلهاث متقطع يرفع وجهه اليها يحدق فيها بنظرة شعت بجنون الوله وعشق الهوى

قلبها يشق صدرها وتكاد تنهار اكثر منه لكنه تتوسله بالهمس الناعم

" قل لي انك .. تحبني .."





يشتد وهج عينيه ضراوة فتواصل توسلاتها التي تذيب قلبه

" لقد قصصت شعري لاجلك .. قلها ارجوك.."

هدر فيها " يا الهي سهر .. انت طماعة.."

فتتساءل وهي تلامس وجهه " طماعة ؟!"

صرخ فيها بعنف عاطفي " طماعة مجنونة وغبية لانك تطلبين كلمة ! مجرد كلمة .. بينما لاتشعرين بالآف الكلمات التي تسري عبر كل جسدي .."

اعتصرها بعنف فتهمس باسمه وتتوجع

" ياسر .. آآآآآآآآه ..."

أمال جبينه لجبينها فيهمس بانفاس تتسارع على نحو جنوني

" انا .... سأوذيك ... لكني لااستطيع منع نفسي .. انها سنوات طوال عجاف جدا لم تفارقي مخيلتي فتعذبيني عذابا لايطاق .. انا احتاجك في حياتي .. لا تعرفين كم احتاجك ..."

لم يعد قادرا على السيطرة على قوة جسده فيعتصرها اكثر واكثر وهو يتحرك بها ناحية السرير بينما تهتف به وهي تضرب كتفيه

" آآآآآآآه .. عظامي يا متوحش .."



اوقعها معه على السرير وهو يقبل شفتيها بعنف فتتأوه بين ألم واثارة ليهمس في اذنها

" توجعي... تأوهي .. واشعري .. عسى ان يرتوي طمعك وينطفئ غضبي ؟"

لم تعد تفكر بشيء ولم تعد تبالي بالألم الجسدي الذي يسببه لها .. بحدسها ادركت انه حقا غير قادر على تمالك نفسه .. وهذا جعلها مجنونة بجنونه نحوها حتى اثمل انوثتها بالرضا ...

انطلق لسانها تصرح بحبه الذي اكتسحها اكتساحا

" احبك .. احبك .. كم احبك ... آآآآآآه .. ياسر ... انت ....تؤ...لمــ...ني .."

" تعاليا واقضيا الليلة عندنا .. لماذا تبقيان وحدكما هكذا ؟! واللّه لو قررتما قضاء الاسبوع باكمله في بيتنا حتى عودة العروسين فلن اشعر بالسعادة اكثر ..."

كررت منيرة عرضها العاطفي لفائزة ربما للمرة العاشرة منذ مغادرتهم الفندق سوية بعد انتهاء الحفل وهذه المرة اخذت تلكز ابنها سعد بكوعها حتى يؤيد ما قالت ويلح هو الآخر ..

لكن سعد اكتفى بالنظر مفتونا لصغيرته الناعسة المتثائبة وهي توشك ان تنام على كتف عمتها ويا ليته كان كتفه هو ..



ما زال امامه طريق ليس بالهين ليجعلها تعتاد عليه كزوج وتدحر خوفها من فكرة الزواج ..

ردت فائزة وهي تحيط جودا بذراعها وتتجه بها لباب المرآب ..

" شكرا يا ام سعد .. اعلم انك ستكونين سعيدة بنا ونحن سنكون اسعد واللّه لكن ياسر لايحب ان نبيت خارج البيت .."

تنهدت منيرة بيأس لكنها بادرت للقول

" حسن على شرط .. ان تقضيا نهار الجمعة غدا معنا .. ما رأيكما "

فردت فائزة مبتسمة وهي تقبل خديّ ام سعد قبل ان تدخل عبر باب المرآب قائلة

" سنكون معكما غدا ان شاء اللّه .. تصبحان على خير .."

كان جودا شبه نائمة الآن فلم يستطع سعد كبح نفسه ليتقدم ببضع خطوات واسعة وهو يقول

" دعيني احملها لغرفتها عمتي .."

ولم ينتظر الرد ولم يبال باحراج العمة فائزة بينما ينحني ليحمل جودا فترخي صغيرته راسها على صدره تغرق في نومها بينما منيرة تكاد تزغرد وسط سكون الشارع المظلم ...

وضعها بتمهل على سريرها قرب الشباك فينعكس عليها ضوء القمر فتتوهج كلها كجنية مسحورة ...

تنحنحت العمة فائزة من عند باب الغرفة فعلم سعد ان هذا اقصى ما سيحصل عليه الليلة ....

بعد بضع ساعات ...

اخذ ياسر يقرع على باب الحمام وجبينه مستند عليه وهو يقول بصوت أجش

" افتحي الباب .."

جاءه صوتها بانوثة متعفرته " اذهب عني .. "

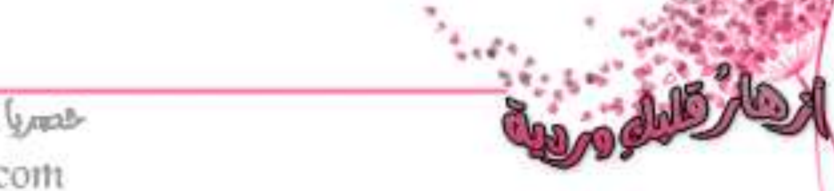
يبتسم بحرارة تنضح منه ليهمس اسمها ببعض الشعور بالذنب

" سهر .."

اخذت تهدده وتوبخه وهي ترثي نفسها في ذات الوقت على نحو متدلل مضحك

" اقسم اني سأخبر بابا عنك .. لقد اوصاك بي خيرا وانظر ماذا فعلت بي .. مفاصل عظامي تحركت من مكانها بسبب وحشيتك .."

كفه يتحرك بشغف على الباب تكاد اصابعه تحفر سبلا فيه بينما يغمض عينيه ويتذكرها بين ذراعيه ..



همس مشتعلا " احمدي الله اني ملكت القوة

حتى امنع نفسي من تحطيم عظامك "

هتفت به وهو يسمع صوت طرطشة الماء

" ايها المتوحش ! يا الهي لقد عضضتني هنا

وهنا ! الاثار مريعة .."

فيرد يغيظها وراحة كفه ما زالت تتحرك

على الباب

" لم يكن عليك اظهار كل ذاك الشغف

وانت تهمسين اسمي .."

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول

" اخرجي سهر .. كفاك .. منذ نصف ساعة

وانت في الحمام .. "

طرطشة الماء زادت عنفا وهي تهدر فيه

" اتركني اعالج اثار وحشيتك على جسدي

يا متوحش .. يا فظ .. يا جلف .. يا عديم

الرقة ... "

تأوه في عمقه ..

لقد كان مجنونا وحشيا..... يعترف ..

كله كان يصرخ بغضب التوق اليها بطريقة

حسية بحته ، وهي كانت تستجيب بشكل

عجيب اثار جنونه أكثر !

عندما تشتد خشونته تهتف به هامسة

(متوحش) وتضربه بقبضتيها على كتفيه

لكن دون ان تشعره بالرفض بل العكس !



انها انثى وردية محتالة تظهر رضاها بتناغمها مع خشونته بينما تعترض بلسان حواء المتلون باللوع ...

كانت ترضيها خشونته ..

تجعلها بقمة انوثتها ..

لكنها لاتملك الا ان تتوجع جسديا ...

جريئة قوية متفجرة بعاطفتها كقطة برية..

لكن في لحظة ما غلبها انكماش فطري

عذري .. لايزال يذكر تلك النظرة الذائبة الخضراء وهي تتوسلانه بصمت الترفق ..

تبثانه خوفها من مجهول قادم وشيك جدا بحدوثه وتخشاه كأي فتاة عذراء ...

لن ينسى تلك النظرة كما لن ينسى كيف شعر هو بامتلاكها ..

سهر اخيرا ... حبيبته سهر .. حلم شبابه اليافع اصبحت له .. له وحده ...قلبا وروحا وجسدا

هتف بعنف عاطفته التي توقدت على نحو مجنون " افتحي الباب .."

صرخت به " لا .."

قال برقة ظاهرية يحايلها

" دعيني .. اساعدك .. "

فترد عليه بحنق ساخر

" لاحداث عاهة جسدية جديدة ؟ لا .. شكرا لهذه المساعدة .."



فيرد ضاحكا

" بل لأعيد مفاصلك الغالية لمكانها "

طرطشة الماء هذه المرة اخبرته انها خرجت من حوض الاستحمام وخطواتها تقترب من الباب بينما يأتيه صوتها قريبا جدا وهي تقول له بغضب

" ايها الغليظ الفظ المتوحش .. انت لم تقل حتى انك تحبني .."

ثم اخذت تضرب على الباب من جهتها وهي تردد

" لم تقلها ابدا .. لم تقلها .. قصصت شعري كما تحب وايضا لم تقلها .."

اصابعه تتحرك على الباب ترتعش وهي تخط كلمة لاينطقها لسانه (احبك)

لايعرف لم يستصعبها لهذه الدرجة ..

لماذا لايقلها لها ؟! لماذا ؟!!

لقد قالتها له مرارا وبفخر يملأ رجولته غرورا..

يا الهي .. انه لايعرف كيف يقولها !

يشعرها لن تخرج منطوقة منه ابدا ...

لكنه لم يحرمها ان تشعر بها فلماذا لاتكتفي ... ؟! وبدلا من النطق باربع حروف همس بخشونة ساخرة

" طماعة .. مدللة ... ابنة حواء بامتياز ... اخرجي الي .."





بنبرة مغيظة ردت " لا ..."

اخذ يشتم فترد عليه ساخرة

" اشتم كما تشاء .."

التمعت عيناه بالخبث ليقول لها بنبرة عادية

" سنتأخر على موعد الطائرة .."

سألته بقلق " كم الساعة الآن ؟"

رد والابتسامة الخبيثة تتسع

" الثالثة .."

بدت متشككة وهي تقول

" الم تقل اننا يجب ان نكون في المطار في الساعة السادسة ؟"

" بل قلت ان الطائرة تقلع في الساعة السادسة وهذا يعني اننا يجب ان نصل المطار خلال ساعة من الآن "

اصوات حركات من خلف الباب وهي تتمتم

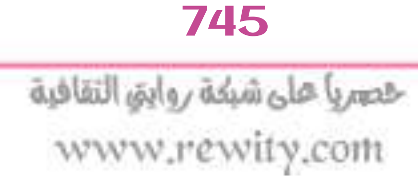
" يا الهي ..تأخرنا جدا .."

فتحت الباب وهي ترتدي مبذل الحمام القصير وشعرها يقطر بالماء ، تطلعت اليه وحالما رأت نظرته الخبيثة علمت !

ارادت ان تعود للحمام لكنه سبقها وهو يلف ذراعيه حوله يحتجزها لصدره وهي تصرخ فيه

" ايها الكاذب ... خدعتني .."



اخذ يحاول فتح حزام المبذل وهو يهمس قرب عنقها الرطب

" دعيني ارى بنفسي اثاري على جسدك .."

ذابت مقاومتها لحرارة عاطفته فتهمس باسمه

" ياااااسر .."

هدر فيها متوعدا

" فقط اهمسي اسمي هكذا مرة اخرى وستنقلين لتركيا على حاملة بسيارة اسعاف !"

يضرب الحائط بقبضته .. ثم يعاود الكرة وغضبه لايهدأ ...

منذ ان عاد بها من حفل الزفاف والافكار الجنونية تلاحقه ...

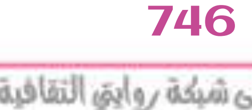
لقد التزم الصمت معها في طريق العودة فلم يستطع ان يضمن ردة فعله لو علم حقا انها كانت بصحبة منذر ...

لم يعد يستطيع الكبت والتحمل ...

خرج من الغرفة عاري الصدر حافي القدمين وشعره الرطب يعلن عن حمام بارد لم يطفئ ناره ...

وقف امام بابها يأخذ عدة انفاس فتحرقه الانفاس اكثر بدلا من ان تهدئه ...





فقد صبره وهو يرفع قبضته ويقرع بها على الباب ..

لحسن الحظ الصغيرة لولو تنام مع امه والخادمة ...

بضعة اصوات مكتومة سبقت فتحها الباب لتطل غالية بمنامة قطنية بيضاء للركبتين وبشعر مشعث من النوم بينما تفرك عينها وتقول باستغراب

" رافد ! ماذا هناك ؟"

جاش صدره بغضب مضاعف !

لقد كانت تنام قريرة العين وهو حرم النوم على نفسه .. بسببها .. بسببها هي ...

استعادت غالية وعيها وهي تتطلع اليه لتسأل بقلق

" هل خالتي بخير ؟"

لم يحتمل ليدفع جسدها داخل الغرفة فتتأوه بينما يدخل ويغلق الباب خلفه ...

نظرت اليه بوجل وهي تتراجع للخلف وتسأل

" ماذا تفعل ؟ "

تقدم خطوتين وهو يسألها بنبرة نارية

" هل كان منذر يكلمك الليلة عندما اختفيت من الحفل ؟"

اتسعت عيناها ثم ارتبكت نظراتها فذبحته ذبحا وهو يتأكد من شكوكه ..






امسكها من مرفقيها وهو يهدر فيها

" ماذا يريد منك ؟ كيف وصل اليك ولماذا كنت تكلمينه اصلا ؟"

اشتعلت عيناها وهي تحدق فيه وتتذكر حمراء الشعر معه ...

قالت بعناد

" لن اخبرك .."

هزها بعنف غير مسبوق منه نحوها ليهدر فيها

" غالية .. صبري نفد .. ان لم تخبريني الآن سأذهب في التو واللحظة اليه واثيرها فضيحة مدوية وسط العائلة "

شعرت بقلبها ينتفض برضا ايذائه ... !

لا .. ليس ايذائه وانما برضا ان يغار عليها ...

انها مهمة .. حقا مهمة لأي انسان وبأي صفة ...

انها تستحق رد اعتبارها ...

قالت ممعنة اكثر باثارة غيرته

" كان يبدي تحسرا لاني سارعت بالزواج منك بعد طلاقي من اخيك "

عندها زمجر باصوات مخيفة ويداه ترتفعان لرأسها بخشونة .. اصابعه تتخلل خصلات شعرها بينما شفتاه تنطقان بالحمم





" اقتليني غاليۃ ولاتفعلي بي هذا ! اقتليني

الف مرة ولاتعذبيني بكِ .. اقتليني قبل ان

يستفحل غضبي المجنون وافقد نفسي فيك.."

شد شعرها من الخلف ليرفع وجهها اليه بينما

تصرخ هي بـ

" لااااااا ...."



الفصل العشرون

عندها زمجر باصوات مخيفة ويداه ترتفعان لرأسها بخشونة .. اصابعه تتخلل خصلات شعرها بينما شفتاه تنطقان بالحمم

" اقتليني غالية ولاتفعلي بي هذا ! اقتليني الف مرة ولاتعذبيني بكِ .. اقتليني قبل ان يستفحل غضبي المجنون وافقد نفسي فيك.."

شد شعرها من الخلف ليرفع وجهها اليه بينما تصرخ هي بـ

" لاااااا ...."

تعيدها مرارا وتكرارا وملامح وجهها تتشنج بينما تناضل برأسها وذراعيها تنشد التحرر من اعتقاله ..

مقاومتها اشعلت فيه مزيدا من النيران فأخذ يهز رأسها وهو يمسكه من الخلف ليهدر بعنف " تصرخيها في وجهي ..؟! لاااا ..؟! افعليها .. افعليها غالية لكن اصرخيها في وجوه الاخرين ايضا .. لاتصرخيها في وجهي انا وحدي .."

ازدادت مقاومتها عنفا مع عنفه الضاري المنفلت بينما يواصل هديره وعيناه تتسعان في وجهه بشكل عجيب " سألتني مرة .. منذ متى وانا اشعر هكذا نحوك ..؟ "





تواصل قول الـ ... لاااا ..لا...

اما هو فيواصل انفجاره بل انفجاراته

بالاعترافات التي أكلت عمره لسنوات ..

" اسأليني متى لم اشعر هكذا نحوك ؟!

والجواب هو ... صفر ! .. "

فجأة تجمدت وشعرها يغطي وجهها من عنف

مقاومتها السابقة ...

ليكمل رافد وقد بدى في عالم آخر ..

عالم الجحيم الذي طالما قهر رجولته

" صفر من السنين ... وصفر من الايام ...ومن

الساعات .. وحتى من اللحظات ... صفر صفر

صفر ..."

كرر اخر كلمة بعنف اكبر وجسده كله

ينتفض لتحرك غالية رأسها وتنفض شعرها

عن وجهها وتتطلع اليه بعينين متسعتين

بصدمة رهيبة ..

صدره يعلو يهبط وهو يحدق في وجهها ويقول

بنبرة فاضت غضبا يائسا

" لم تمر علي لحظة واحدة دون ان ينفجر

خافقي لاجلك .."

تحولت صدمة النظرات في عينيها الى ...

النفور ... النفور العفوي التلقائي الذي لم

تستطع منعه وهي تواجه اخيرا حقيقة مشاعر

رافد نحوها وبكلمات صريحة مباشرة ...





مزقته ردة فعلها ليتضاعف غضبه بشكل عجيب فيعاود هديره وهو يهز رأسها بقبضة يده التي تمسك شعرها من الخلف صارخا من اعماق روحه وقلبه ووجدانه

" تشمئزين مني .. اشمئزي كما تشائين .. لكني لست اخاك .. لست اخاك .. لم أكن يوما اخا لك .. ليس ذنبي ان اسبغتم عليّ صفة لم اخترها ولم ارتضِها .. ليس ذنبي اني اشعر هكذا نحوك ولم استطع قتل قلبي في صدري .. "

تعابير ألم تسللت لمحياها بينما يقترب بوجهه يسند جبينه على جبينها وما زال الغضب يشتعل حتى من انفاسه ليهمس بعنف ذاك الغضب

" هل تعلمين اين قضيتُ أنا ليلتي ليلة زفافك على راغب .. ؟ "

اغمض عينيه حتى لايرى تعابيرها وردة فعلها هامسا بألم

" قضيتها في المستشفى .. ارتفع ضغطي بشكل خطير .. وصلت الطوارئ لانهار امام البوابة ويلتقطني المسعفون .."

شعر بارتعاش جسدها فلم يفتح عينيه واصابعه تتحرك خلف رأسها وهو يقول بهمس مخنوق

" لم يعلم احد .. ولم اخبر بشر ... امي ظنتني ذهبت لألهو تلك الليلة .."



فجأة فتح عينيه ليحدق في وجهها الذي امتصت اخر قطرة دم فيه وهي تحدق بذهول مصعوقة بكل هذه الاعترافات ...

اصابعه تسافر بين طيات شعرها فيرتعش كله استجابة لاحساسه بها ليهمس بنبرة قاطعة متملكة مجنونة

" تمردي واصرخي وانهشي الجميع .. انهشيني انا ايضا .. لكنك الآن .. زوجتي .. ضعي هذا في راسك .. انت زوجتي انا ... فالتزمي بكل الاعتبارات المترتبه على هذه الصفة .. مع الجميع غالية هل فهمتِ ؟ مع الجميع ستلتزمين انك زوجتي .. "

فجأة افلتها ليبتعد خطوة للوراء وعيناه ثابتتان عليها ليضيف من بين اسنانه

" ومنذر الحقير ذاك لي تصرف معه ... دوما يحوم حول ما لايملكه ..."

تحرك كفّاها لتستند بهما على الحائط خلفها تحني رأسها فيغرق كل وجهها بخصل شعرها لتتمتم بنبرات مرتعشة

" لم يكن .. يعرف .."

تشنج بالكامل وهو يسأل

" ماذا تقصدين ..؟"

ردت بنفس النبرات

" لم يكن يعرف اننا .. اننا ..."





فصرخ بها وهو يقول

" قوليها غالية .. إننا تزوجنا .. سنكمل بعد ساعات قليلة يوم كامل على عقد قراننا .."

رفعت وجهها بقوة لتواجهه بالقول بشجاعة رغم استمرار ارتعاشها

" اننا تزوجنا ...."

اتسعت عيناها ثم اغرورقتا بالدمع وهي تكرر

" تزوجنا ... تزوجنا ... انا وانت تزوجنا ..."

بتعثر تراجع اكثر للخلف ليخفض وجهه وهو يهمس بصوت متحشرج

" اذهبي لاكمال ... نومك ... "

ثم دون اضافة المزيد تحرك ليفتح باب الغرفة ويغادرها متشبثا بتلابيب مقاومته الواهنة لتنقذه و.....تنقذها ...

صباح اليوم التالي

الجمعة ...

حدس انبأه انه سيراها حالما يفتح باب غرفته...

نفس الحدس انبأه انها مثله بالضبط لم تنم لحظة واحدة منذ تركها قرابة الفجر متعثرا باذيال مقاومته المنهارة ...





انها لم تتوقف عن التفكير في وضعهما المعقد كما لم يتوقف هو عن التفكير حتى استسلم لهجران النوم ففارق السرير مع انتشار اشعة الصباح ...

اخذ نفسا عميقا وهو يمسك بمقبض الباب ليجفله صوت لولو وهي تنادي (دادا) مع همهمات غالية غير المفهومة ثم فجأة خطوات شقية للصغيرة المشاغبة منذ الصباح الباكر فاستعد رافد بابتسامة هادئة بينما يفتح الباب لينحني مستقبلا جسد صغير حبيب لقلبه يرتمي بين ذراعيه بضحكات رنانة كضحكات امها ...

متى تعود تلك الضحكات ؟!!

تتوثب لولو بين ذراعيه في مرح منتعش ومنعش ...

يقبل خديها وعينيها ويتلاعب بخصل شعرها الاشقر القصير مقصيا بصره عن خيال غالية الذي يقف على بعد متر واحد ...

لايعرف لما عاوده الغضب في لحظة !

هل لانه يلمح حركة قدميها داخل الخف البيتي تشيان بتململها في وقفتها وكأنها لاتطيق البقاء قريبا منه !

كزّ على اسنانه وهو يحرك وجهه ليلتفت محدقا مباشرة في وجهها فتفلت من قلبه خفقة وجع لرؤية وجهها المرهق ..







يبتلع ريقه ليقول بهدوء وثبات ظاهريين

" صباح الخير ..."

فترد بتحية صباح خافته وعيناها تحيدان في اي اتجاه بعيدا عنه ...

زمّ شفتيه قبل ان يقول ببرود وهو يمعن النظر لقميص نومها القطني السخيف

" اذهبي وغيري ملابسك ... سنخرج جميعا لنفطر في المطعم .."

للحظة شعر بالتسلية لرؤية أثر الصدمة لسماعها عرضه الغريب غير المتوقع ..

لتتمتم بتعثر

" انا .. انا متعبة .. لم أنم ليلـ..."

قاطعها هامسا بخشونة

" على الاقل انت نمتِ لبضع ساعات قبل ان اوقظك بينما انا لم أذق طعم النوم على الاطلاق .."

تسلل الاحمرار لوجهها بينما تحيد بعينيها بعيدا عنه ..

استفزته مرة اخرى ليستفزها بالقول الصارم

" اذهبي وغيري ملابسك .. دعي لولو بصحبتي .."

شمخت بذقنها وتمردت عيناها فشعر بطاقة حياة تدب في اوصاله ... همس في سره فخورا

(اجل غاليتي .. حطمي تلك القشرة الباهتة ليظهر اشعاعك)





تحرك ربع خطوة قبل ان يرفع حاجبا واحدا محدقا فيها ببرود مهدد

" اياك ان ترتدي الثوب الرمادي القبيح .."

هذه المرة شعّت عيناها واوشكت ان تنطق شفتاها المرتعشتان بالحنق ليبتسم رافد ابتسامة جانبية قائلا بنبرة دافئة

" لاتستسلمي لطاقة العناد التي تشع من عينيك طفلتي فترتديه نكاية بي .. فلن اتردد ان اعيدك لغرفتك حملا على كتفي واغير لك الفستان بنفسي كما كنت افعل معك وانت صغيرة متمردة تجيد التدلل علي.."

تلاشى كله مع معاني النظرات التي طفحت من عينيها ..

بدت مصدومة على نحو مختلف ..

وكأنه دفعها لتسقط عنوة في بحيرة ذاكرة مهملة لم تزرها او حتى تمر من قربها منذ سنوات ....!

تركها تسبح وربما ستغوص في ذاكرة الماضي الجميل ومضى بقلب خافق يتلاهى بملاعبة الصغيرة من جديد ..

لولو .. لجين ... شبيهة امها في ملامح الوجه .. والروح ...





اخذت اقبال فنجان الشاي من نورية بينما تصرفها لتعود للمطبخ وهي تسمع صوت رافد على الدرج يشارك لولو قهقهات طفولية ..

رقّ قلبها وهي تهمس لنفسها بشجن

" لن يفقد هذا الجانب الصبياني منه .."

كتمت تنهيدة حسرة شعرت انها لاتستحق اخراجها لتبث بعض الراحة لصدرها الذي ضاق بالهموم ..

اجل هي لاتستحق ..

عاشت حياتها تعتقد انها مظلومة فقاومت هذا الشعور لترتدي قناعا جعلها تبدو في عيون الجميع قوية .. محاربة .. عزيزة الكرامة .. فياضة الروح... أم .. وامرأة مثالية مكافحة !

اجل لم يكن الا قناع ... بينما هي في عمقها شعور الظلم كان يتمادى في فرش دُكنته الحالكة فيعمي البصيرة ...

فتتحول بمرور السنين من مظلومة لـ... ظالمة...!

" صباح الخير اماه .."

تبسمت في وجه بكرها وهو يميل نحوها ليقبل اعلى رأسها ، وضعت فنجانها جانبا وسارعت لتمد كفيها نحوه قبل ان يبتعد عنها رافد فتمسكان بوجهه وتقربه منها لتقبل خديه وهي تقول ببشاشة ظاهرية مرتشعة

" هل كل الامهات يرين اولادهن الاكثر وسامة على الاطلاق ؟!"



يضحك بخفة مستسلما لكفيها بينما يسبل اهدابه والصغيرة لولو تصدر ضجيج اعتراضها على انحناء جذعه وتضرب بقبضتيها على كتفه ...

تمتمت اقبال وهي تعبس في وجه الصغيرة

" اجلس قربي .. هذه الصغيرة اصبحت مدللة وتريد الاستئثار بك .."

ضحك رافد هذه المرة من قلبه بينما يجلس جوار امه على الاريكة يدغدغ لجين في بطنها والصغيرة ترفس بساقيها وهي تضحك بانطلاق ...

دمعت عينا اقبال بل لم تستطع منعها من الهطول على خدها لتمسحها سريعا قبل ان يتنبه لها ابنها ...

يكفي ما تحمله طوال حياته ..

يكفيها استغلالا لعاطفة ابوة نمت مبكرا جدا بين جوانح روحه .. فظلل عليهم جميعا بتلك الروح التي حباه اللّه بها ..

التفت اليها رافد وهو ما زال يدغدغ الصغيرة قائلا بمرح شقيّ " سعيد انك تشربين شايك الصباحي خارج غرفتك يا جميلة .. ما رأيك ان تشاركينا الافطار في المطعم فلايليق بفاتنة مثلك الاحتجاب طويلا فتحرمين الرجال متعة النظر اليك .."



ضربته على كتفه وهي تعنفه ضاحكة

" قليل الحياء .. لن تتغير ابدا ايه الولد الوقح"

يضحك وهو يميل لوجهها يقبل وجنتها ويقول

" حسن .. تعالي معنا للمطعم ونلغي فقرة (امتعاء الرجال بجمالك) "

عبست قليلا وهي تسأل ببعض الجدية

" ماذا تقصد بـ(معنا) ؟! "

للحظة تجمدت ابتسامته دون ان يمحوها ليتمتم بصوت أجش

" سنتاول الافطار سويا في المطعم .. انا ولولو و .. غالية ..."

صوت خطوات على الدرج جعلت الاثنان يديران وجهيهما ناحيته ..

أطلت غالية شامخة بنظرات عنيدة تخفي ارتباكها بشجاعة بينما تشير لفستانها الاخضر وتقول بنوع من البرود لرافد

" هل هذا جيد ؟"

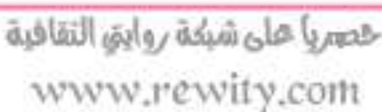
انسابت نظراته على طول فستانها البسيط الذي يصل بحافته السفلى حتى كاحليها ..

لونه مبهج جذاب .. يليق بها .. لو تعرف كم يليق بها ويجعل لون عينيها يضرب للخضرة ...

ابتلع ريقه يحاول السيطرة على انفعالاته ليرد بهدوء بارد متعمد

" اجل جيد ...يليق بك .."





برودہ معها اعطى نتيجة ارضته ..

عادت عيناها الحبيبتان للاشتعال بالتمرد الصاخب .. كم يحب تمردهما !

وقف على قدميه حاملا لولو بينما تقترب غالية معتذرة من خالتها لتلقي تحية الصباح وتقبل وجنتيها فتهمس لها خالتها وهي تربت على خدها

" استمتعي عزيزتي .. افرحي وانطلقي "

ارتعشت شفتا غالية واوشكت ان ترمي بنفسها في حضن خالتها لكنها تمالكت نفسها ووأدت ارتباكها ..

" ألن تغيري رأيك وتأتين معنا امي ؟"

استعدلت غالية في وقفتها بينما يلقي رافد بسؤاله لترد الام وهي تتطلع للاثنين ..بل للثلاثة معا

" بل اذهبوا انتم بدوني .. انا سأجلس في الحديقة مع نورية .. سأعلمها كيف تعتني بالزرع بينما اتناول افطاري في الهواء الطلق .."

مد رافد يده يلامس خد امه وهو يقول بشعور بالذنب " ما رأيك ان اجلب الفطور من المطعم ونتناوله جميعا في الحديقة ؟"

فرفضت اقبال بنبرة امومية قاطعة

" لاتزعجني يا ولد .. اذهب وخذ الشقية لولو معك حتى تتفرغ لي نورية بدلا من ان تقضي نهارها تلعب مع لجين كالاطفال! "



ابتسم رافد ودون ان يتطلع لغالية قال

" هيا بنا غالية ..."

ثم تحرك امامها وهي تحدق في إثره وبروده يجعلها اكثر تصميما لتجاريه في التماسك..

لاحقتهما عينا اقبال وقلبها ينبض بجزع ..

لم تتوقف عن التفكير بوجل وانقباض..

ماذا سيحصل للاثنين معا اذا فشل هذا الارتباط الذي فرضته عليهما و في توقيت خاطئ... خاطئ جدا !

في المطعم

يدخن سيجارته وينفث الدخان بعيدا عن اتجاه غالية التي تجلس شاردة قبالته ..

بينما عيناه لاتغفلان عن الصغيرة لولو التي اتعبت عبد الكريم الحارس في الركض خلفها هنا وهناك او مطاردتها زحفا على الاربع تحت الموائد ..!

الرجل سينفد صبره قريبا وحتى لقمة العيش لن توقفه ليصرخ حنقا ...

ابتسامة متسلية رانت على شفتي رافد وهو يرى الشقية تضحك بينما رأس عبد الكريم يرتطم بحافة مائدة اثناء ملاحقته لها..

ليعود للشقيقة الكبرى .. فيراها ما زالت شاردة .. عابسة .. وكأنها تخوض في افكار متشابكة لاتعرف كيف تحل عقدها ..

سألها وهو يمج من سيجارته

" بماذا تفكرين ؟"

اجفلت !

وتطلعت اليه للحظة وكأنها استيقظت للتو من حلم عميق فتتفاجأ بوجوده قربها !

ثم اطرقت برأسها لتتمتم اخيرا وتعابير الاجفال اللحظي تتلاشى عن ملامحها

" لا شيء .."

أرتعشت السيجارة في يده من شدة .. حنقه !

هذه الفتاة اصبحت تثير غضبه بشكل لايطاق ...

قال بنبرة حازمة

" ارفعي وجهك الي وانت تكلميني .."

لم تتردد وهي ترفع تلك العينين اليه فتزم شفتيها قبل ان تكرر اجابتها السابقة بتركيز مستفز على الكلمتين

" لا.... شيء ..."

لانت ملامحه ليعبر بابتسامة لاهية وعيناه تطرفان لحظة ناحية لولو لتعود لامها قائلا بصوت أجش " بل ... كل شيء غالية ..."

تنهدت غالية تنفث بعض توترها عبر انفاسها لتسأل بضيق " ماذا تريد رافد ؟"



تطلع في عينها فيشعر باحساس غريب بطاقته وبشكل لايوصف ...

انه .... حر !

حر ان ينظر لعينيها ..

حر ان ينظر لشفتيها الرقيقتين فلا يخفي اشتياقا ولوعة ..

حر ان اراد ان يلامس شعرها وبشرة خدها ...

انه حر .. يفعل ما يشاء مع ... زوجته ....

انه حر .. من شعور الذنب ...

حر .. من شعور الدناءة والخسة ...

دفق من الانتعاش والتحفز سيطر عليه ..

عيناه سقطتا على الخاتم الملون في بنصرها الايسر ليقول بنبرة رائقة " دعي ما اريد جانبا.. اخبريني انت بما تريدين .."

عيناه ارتفعتا لعينيها فرأى بوضوح مفاجأتها من سؤاله لتردد بتلقائية ما يختلج في داخلها

" لااعرف ... انا تائهة حقا .."

ربط على قلبه الضعيف نحوها ولسان حال ذلك القلب يردد " لاعاش من يتركك تائهة وانا انبض ها هنا لاجلك ..."

وبدلا من ان يبثها لواعج قلبه قال بنبرة عملية

" ما رأيك ان نبدأ من الصفر .."





سحب نفسا اخر من سيجارته وعيناه لاتفارقان عينيها ليعبر بالقول وكانه يسأل " عمل ؟"

ارتفع حاجباها و تورد خداها ففضحا رغبتها وانها فعلا تفكر بالعمل لكن هناك ما يمنعها ، خمن هو السبب لتعبر غالية عنه بينما تنقل نظراتها للحظة ناحية ابنتها الشقية هامسة " لولو ..."

اسبل اهدابه وهو يمد يده لمطفئة السجائر فيدعك فيها ما تبقى من سيجارته وهو يقول

" بضع ساعات باليوم.. على الاقل حتى تكبر الشقية وتخفف من شقاوتها .."

ثم رفع نظراته اليها يحدق فيها بنظرة رجولية خالصة هامسا بصوت مبحوح

" رغم ان امها ... لم تترك شقاوتها حتى غدت صبية يافعة .."

ازاحت عينيها بعيدا وكلها ينكمش من نظراته ولاسباب متناقضة تخنقها ..

يا الهي .. الا يكفي انها قضت ساعات الفجر تعيد في ذهنها كل كلمة قالها لها .. فتثور في داخلها العواصف وتتضارب تلك العواصف فيما بينها دون ان تصل لمركز تسكن فيه ...

اخذت نفسا عميقا قبل ان تهمس بالتساؤل

" اين .؟ اقصد هل .. لديك مكان محدد؟ "

تمتم " ربما ... هناك محام اعرفه يأتي احيانا مع عائلته لتناول العشاء في المطعم .. مكتبه ايضا قريب من هنا .."



اتسعت عينا غالية وهي تقول بذهول

" محام ؟!! لكن .. انا لااعرف شيئا عن هذه الامور ..."

قال ساخرا بمرح " لاترتعبي هكذا .. لن يطالبك بالترافع نيابة عنه في المحاكم .."

ما زالت تشعر بالاضطراب بينما يضيف رافد بجدية هذه المرة

" اخبرني مرة انه يحتاج الى من يساعده وقت العصر في تنظيم اوراق عملائه .. تنسيق مواعيده .. ستكونين مجرد بديلة لسكرتيرته التي لم تعد تستطيع التواجد الا نهارا بسبب ظروفها العائلية .."

ارتاح قليلا وهو يرى انفعالها يهدأ لتسارع بالقول قبل ان تخونها شجاعتها

" انا ... موافقة .."

ابتسم ابتسامة واسعة وهو يقول برقة

" بعد الصفر يأتي واحد .. فركزي انت في هذا الـ(واحد) لانه الخطوة الاهم لك في هذه الفترة .."

تمتمت بخجل وهي ترفع يدها بارتباك لتتلاعب بخصل شعرها المحلول على كتفيها

" تجعلني اشعر وكأني عدت طالبة مدرسة وانت تعلمني دروسا في الرياضيات ؟ "







غامت عيناه وهو يرد ببرود

" لم أكن يوما جيدا بالرياضيات .. كان راغب دوما من يعلمك هذه المادة .. لا انا !"

شتم نفسه لذلك الألم الذي أطل من عينيها فاشعل النار فيه هو ...

لكنه أبى التراجع ... ليس بعد الان ..

يكفي تخفيا من الماضي وتنكرا للحقائق ..

يكفي رفضا للحاضر وتشتتا في رؤية محددة للمستقبل ...

عليها .. بل عليهما معا المواجهة..

راغب .... حقيقة واقعة في حياتهما معا..

كانت وستكون...الى الابد.. موجودة ..

" ماذا يحصل منذر هلا شرحت لي ! ما معنى مجيئك لي منذ الصباح لتحاسبني لماذا لم اخبرك عن زواج غالية ورافد ؟! ما دخلك انت اذا تزوجا ام لا ؟!!"

تشنجت قبضة منذر وهو يتطلع لاخيه الاكبر بتوتر ...

ألجم لسانه ولم يعرف كيف يرد ...!

في داخله يشعر ان النار التي اضطرمت منذ سنوات وظنها انطفأت يشعر الآن بل منذ الليلة السابقة انها عادت لتتأجج ...

لن ينسى ابدا رفض غالية المهين له قبل خمس سنوات .. لايزال يذكرها فتية جميلة مشعة ضاحكة في حفل عيد ميلاد لؤي ...



الابن البكر لاخيه حازم واختها ناهد ...

كانت غالية قد جذبت انظاره بل وجذبت قلبه قبل هذا الحفل العائلي ..

لقد جذبته منذ رآها لاول مرة وهي صبية في الثامنة عشرة واختها ناهد تزف لاخيه حازم ..

فتاة مرحة لكن بلمحة شجن رقيق في عينيها، بدت تركيبة خلابة في عيني رجولته ..

شعرها تخفي ببراعة احتياجا عاطفيا غامضا دون ان تفقد روحها ابتهاجها ...

جذبه ذلك الخليط كما جذبته انوثتها الخارجية النحيلة وخفة حركاتها بينما لاتكف عن الضحك والشقاوة مع صديقاتها وقريباتها ...

بدت رائعة كفتاة توشك ان تهجر مراهقتها بفخر لتستقبل اطلالة ريعان الشباب ..

" منذر ! انا اكلمك اين سرحت ؟!"

اسبل منذر اهدابه وهو يرد بنبرة خشنة رغما عنه " انت لم تخبرني .. كان يجب ان تفعل لماذا لم تخبرني يا حازم ؟"

ارتفع حاجبا حازم وهو يحدق في وجه اخيه الذي يصغره بثلاثة اعوام ليقول بدهشة هذه المرة " انا لاافهم حقا ! هل يعقل انك كنت تفكر .. ان .. ان .."



تلكأت الكلمات على لسان حازم ليرفع منذر وجهه لاخيه وبملامح تفيض قسوة غريبة قال

" افكر بماذا ؟! هل تظن انني كنت افكر بالزواج منها مثلا بعد طلاقها من راغب ؟"

عينا حازم أكدتا المعنى ليرتفع صوت منذر وهو يقول بصلف ووقاحة

" انا لا آخذ فضالة رجل آخر ..! نفسي تعافها.."

الصدمة تجلت على وجه حازم .. ليس للفكرة نفسها وانما قساوة وبشاعة الكلمات التي استخدمها منذر ليعبر عن تلك الفكرة ..

حازم نفسه يؤيد هذا .. فلماذا رجل لم يسبق له الزواج ويملك مقومات مميزة كأخيه يرتبط بامرأة مطلقة ولديها طفلة ...

لكن ليس الى درجة امتهانها بالقول انها (فضالة رجل آخر) !!

قال حازم وهو يتنحنح

" بغض النظر عن الفاظك الفجة التي اثارت نفوري شخصيا هلا اخبرتني بسبب هذه الزيارة الغاضبة صبيحة يوم الجمعة لتحتجزني هنا في غرفة الضيوف تاركا ناهد ترغي وتزبد في الغرفة لانك ايقظتها من نومها العزيز جدا..."





بدى منذر غاضبا اكثر ! وكأنه عاجز عن الرد ..

بدأ الصداع يغزو رأس حازم ليتنهد وهو يضع كفه على كتف اخيه قائلا

" لم اتصور ان كرامتك ما زالت مجروحة من رفض غالية الزواج منك قبل سنوات .. خاصة وقد علمت انها موعودة لابن خالتها منذ مراهقتها فالرفض لايتعلق بك او بشخصك "

فجأة انفجر منذر بالقول

" كان يجب ان تتعلم الدرس بشكل اقسى ..! انها تستحق لغبائها الشديد وتعلقاتها الواهمة بمن لايستحق .... لكن رافد –كالعادة- موجود يحوم حولها دوما ليحميها قبل ان تحاول حتى حماية نفسها ..."

عبس حازم وهو يردد

" رافد يحوم حولها دوما ليحميها ؟ ماذا تقصد؟"

رفع منذر كفه ليمرر اصابعه بتوتر في خصل شعره بينما يتمتم " لا اعني شيئا .. "

وقبل ان يستفسر حازم اكثر تراجع منذر للخلف وهو يقول بنبرة غريبة

" الى اللقاء اخي .. اعتذر عن ازعاجك .."

وببساطة تحرك ليغادر بينما حازم يحدق في إثره بفم مفتوح !



عصرا ...

تطلعت منيرة عبر شباك المطبخ بينما يداها مشغولتان بعجين البيتزا الذي تعده للعشاء الذي اصرت عليه بعد وجبة غداء دسمة ..

تنظر لجودا ببنطالها الجينز وبلوزتها المضحكة ذي الرسومات التي لاتليق الا بالمراهقات وليس عروساً شابة !

وها هي تجلس على العشب الاخضر وسط الحديقة مع فتاتيّ السيد مهيب المراهقتين وتضحك معهما بأريحية وتكلمهما بانفعال وكأنها مراهقة مثلهما !!

لهف قلبها على ولدها الذي يصعد وينزل السلم الخارجي المؤدي لبيت السيد مهيب في الطابق العلوي لينقل معه بعض قطع الاثاث الجديد لغرفة الفتاتين ...

عيناه لاتفارقان جودا في صعوده وفي نزوله ..

وابتسامته مشعة تفيض استمتاعا وحنانا ..

وجودا ... لاهية عنه !

غارقة باحاديثها مع مراهقتين !!

تملك منيرة الغيظ لتعبس وهي تلتفت برأسها نحو فائزة التي تجلس على كرسي قريب تعد السلطة فتسألها تكتم غيظها بشق الانفس

" فائزة .. هلا اخبرتني المزيد عن جودا .."



ارتفع راس فائزة وبدت على ملامحها المفاجأة والحيرة ..

فتابعت منيرة بملامح مصممة وكفاها الملطخان بالعجين يتحركان بانفعال لتضيف

" قد اكون اغض الطرف عن بعض الامور التي لاتلائمني او تعاكس مخططاتي .. لكن عند الضرورة يجب ان افتح عينيّ جيدا لاعرف كيف اتصرف بحكمة .."

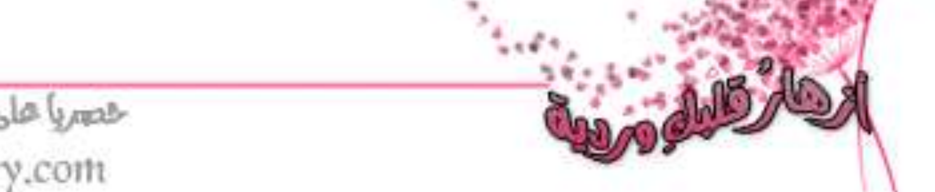
يدا فائزة استكانتا داخل وعاء السلطة بينما تتمتم بارتباك " ماذا تقصدين يا ام سعد ؟ ما بها جودا حتى .. تسألي عن .. المزيد ؟ "

بهمة عادت ام سعد لتنهي عجينها ثم غلفت وعاء العجين بقطعة نايلون قبل ان تضعه في الشباك معرضا لما تبقى من دفء شمس العصر ثم اخذت تغسل يديها وتقول بتفكير

" اقصد ان جودا تحيرني ! احيانا تشع نظراتها ذكاء ونوعا من الشجن وادراك لامور لاافهم كيف افسرها حقا .. واحيانا تبدو كطفلة غير مدركة انها مقبلة على زواج وتأسيس بيت وعائلة "

اغلقت منيرة صنبور الماء لتلتقط منشفة المطبخ تجفف يديها وهي تعاود النظر لوجه فائزة الذي امتقع لونه !

اشفقت عليها فاضافت بابتسامة تخفي قلقها الداخلي



" لاتجزعي فائزة .. انا احببت الفتاة ..
لبساطتها وعفويتها .. ويكفي ان ابني وحيدي
احبها لاعشقها انا ايضا... فقط اخبريني .. "

سألت فائزة بتوتر " عن ماذا ؟"

تنهدت منيرة لتقترب وتجلس على كرسي
مجاور فتنحني للامام وبشكل جانبي لتقابل
وجه فائزة وتقول بصوت واضح

" انت تعرفين .. اقصد عن والدتها وظروف
زواجها من اخيكِ .."

رمشت فائزة واخذت تتلاعب بالسكين الصغير
في يدها لتبتلع ريقها وتقول بصدق

" انا اسفة ام سعد .. ياسر لايحب ان اتكلم
في هذا الموضوع .. "

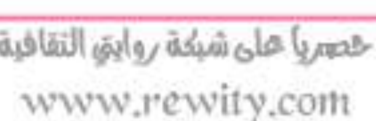
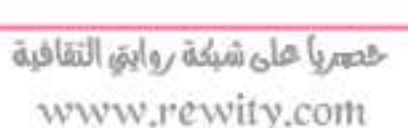
ضربت منيرة بيدها على فخذها لتقول لفائزة
تراوغها بطريقتها لتدفعها للكلام

" يجب ان تكوني اكثر حزماً في التعامل مع
الابناء يا فائزة .. انت من تقررين الصالح
ولامعنى لاستمرار ياسر في الضيق من موضوع
حصل قبل سنوات طويلة .. خاصة انا والده لم
يرتكب اثما لاسمح اللّه "

بدت ملامح فائزة حزينة بشكل خاص وهي
تقول بهدوء يثير الشجن

" ليس اثما لكن مؤكد .. كانت غلطة ..!
غلطة بحق الجميع واولهم جودا المسكينة
التي لم يحسب حسابها احد ..."



بانفعال شجعتها منيرة لتكمل " اخبريني فائزة .. الفتاة ستكون في بيتي وسأرعاها كابنتي .. اقسم لك "

تركت فائزة السكين من يدها تماما ووضعت الوعاء الزجاجي الشفاف جانبا قبل ان تبدأ في الكلام " كان اخي مسافرا في انتداب عمل لبلد عربي وفي موقع عمل متاخم للحدود مع احدى البلدان غير العربية .."

اطلقت تنهيدة عميقة بينما كل حواس منيرة مشدودة معها لتضيف فائزة

" موقع العمل كان معزولا اقرب لثكنات الجيش .. ولم تكن هناك مدن قريبة الا بلدة صغيرة بسيطة يؤمها العاملون في المشروع للترفيه قليلا عن انفسهم نهاية الاسبوع ...."

صمتت فائزة للحظة قبل ان تكمل

" اخي رحمه الله يبدو انه رآى المرأة هناك .. لاعرف التفاصيل ربما اعجب بها و بجمالها وربما ابتعاده عن زوجته لاشهر طويلة جعله يضعف ببساطة .."

سألت منيرة بعبوس " فتزوجها ؟! "

التفتت فائزة بوجهها ناحية منيرة لترد عليها

" اجل ...للاسف ... رغم كل الحب الذي كان يجمعه مع ام ياسر .. الا انه .. ضعف .. لكن من الواضح انه ندم سريعا ليطلقها بعد فترة وجيزة .."



مطّت منيرة شفتيها باستنكار داخلي لكن فائزة توقفت عن الكلام فعادت منيرة لتركز وتحثها بالقول

" وبعد .. ماذا حصل ؟ "

أطرقت فائزة لتقول بحرج

" لاعرف التفاصيل اكثر ..لكن هو عاد للوطن بعد انتهاء المشروع بعامين ولم يتحدث بشيء .. اخفى الامر عنا جميعا .. وبعد مرور سنوات حدث ما لم يكن في حسبانه حتى هو نفسه .."

يدا فائزة تشابكتا بتوتر وضيق ملحوظين بينما تهمس " توفيت والدة جودا فجأة دون ان نعرف الاسباب .. وكانت طفلتها في التاسعة .. فاضطر اخي ان يصارح ام ياسر بفعلته ، لقد احتاجها لتسنده .. زوجته وشريكة حياته .. لكن الامور لم تسر بشكل جيد .."

تمتمت منيرة بعفويتها المندفعة

" هكذا هم الرجال .. يفعلون الفعلة السوداء التي تشعل النيران ثم يركضون كالاطفال نحو زوجاتهم طلبا لاطفائها ! "

هزّت فائزة رأسها وهي تقول " ام ياسر جن جنونها وفقدت سيطرتها لترفض بشكل قطعي ان تأتي جودا وتعيش معهم وهكذا بقيت جودا مع جدتها لامها .. و اخي لم يستطع قول لا لزوجته المقهورة ووافقها على كل ما طلبته ،



فاكتفى ان يتكفل ماديا بابنته كما كان يفعل قبل وفاة امها .. لكن في النهاية لم يطل الله بعمره ولا بعمر ام ياسر فتوفيا بعد بضعة اشهر متأثرين بفايروس قاتل خلال سفرهما "

جزع قلب منيرة على الصغيرة فهتفت

" وجودا ؟!! "

ارتبكت فائزة وتغضنت ملامحها الرقيقة بالألم وهي تقول بخزي

" كما قلت لك ... ظلت مع .. جدتها .. ولم تأتي للعيش معي حتى وفاة الجدة بعد سبع سنوات "

شهقت منيرة وهي تضرب على صدرها

" يا حسرتي على الفتاة المسكينة وهي تفقد عائلتها الواحد تلو الآخر ! ...والدها يتركها منذ ولادتها وامها تموت ثم جدتها ! لهف قلبي على هذه الطفلة اليتيمة .."

دمعت عينا فائزة بينما تضيف منيرة بصراحة مباشرة

" لكن اخاك اخطأ يا فائزة .. كان يجب ان يقنع ام ياسر باحضار ابنته .. لا ان يستسلم ويتركها مع جدة مؤكد كبيرة بالعمر ولم تستطع مراعاتها كما يجب "




عضت فائزة شفتها السفلى وهي تهمس بضيق

" وانا ايضا تركتها هناك يا ام سعد .. عندما توفي اخي لم املك القوة الكافية الا لالتزام ياسر وتغاضيت عن وجود المسكينة جودا .."

عقدت منيرة حاجبيها لتقول متضامنة معها

" لاتقولي هذا يا فائزة .. انها ليست ابنتك لتتحملي ذنبها .. الا يكفي انك تكفلت برعاية ياسر وانت امرأة وحيدة ؟! انا ربيت ابنة اختي المرحومة واعلم جيدا كم هو صعب التزام كهذا .. لكن مؤكد تربية فتاة بسيطة وهادئة بدون مشاكل كجدايل ليس كتربية البنين خاصة فتى كياسر صعب المراس ... واسمحي لي ان اقول ان اخاك وحده من يتحمل هذه المسؤولية في المقام الاول .. لقد اخطأ في حق زوجتيه ثم تخلى عن ابنته .."

بدت فائزة قلقة على حين غرة وخالجها شعور بالندم فقالت لمنيرة

" ارجوك يا ام سعد لاتتحدثي بهذا الموضوع امام احد .. ياسر يزعجه جدا التطرق اليه ويكفي شعوره بالذنب نحو اخته .."

تعجبت ام سعد وهي تتساءل

" وما ذنبه هو ؟! كم كان عمره عندما توفي والداه ؟ "



ردت فائزة باحساس مضاعف بالندم لانها باحت بكل هذا

" كان في الثامنة عشرة ..لكن احساسه بالذنب بسبب ما فعلته امه ووافقها عليه ابوه .. انه يشعر بمسؤوليته مضاعفة نحو جودا .. لاينظر لها كأخ فقط .."

اخذت منيرة تطمئنها بالقول

" لاتقلقي فائزة .. ليست حشرية مني ان اطلب المعرفة .. لكن الفتاة ستصبح في عهدتي كما كانت صغيرتي جدايل .. لكني كنت اعرف كل شيء عن جدايل بينما جودا ظلت تحيرني حقا .. الآن استطيع ان افهم بأنها لم تلقَ توجيها صحيحا في طفولتها ومؤكد اتعبتك جدا عندما جاءت اليك مراهقة .."

ردت فائزة بحذر

" كانت مراهقة متعبة فعلا .. خاصة مع كل هذه التغييرات المتعاقبة في حياتها ..لكنها فتاة طيبة القلب وعاطفية .."

ضحكت منيرة لتلطف الاجواء فتغمز لفائزة وتقول " اهم شيء انها عاطفية .. ويبدو ان هذا ما جعل ولدي يقع في هواها .."

تورد وجه فائزة حياء وهي تضحك لتنفجر ام سعد من خجل المرأة وقد تعدت الخمسين ..!

خيال قريب من باب المطبخ الداخلي ..

خيال ضخم لم يكن الا لسعد ...





لم تتنبه له المرأتان وهو يقف قرب باب المطبخ يستمع لما تبوح به العمة فائزة بقلق !

كان قد اراد الاغتسال بعد مساعدته للسيد مهيب بنقل الاثاث ... ففضل الدخول من باب البيت المؤدي للصالة حتى لايزعج جلسة والدته مع العمة في المطبخ لكن حالما مر قرب باب المطبخ سمع امه وهي تقول (" انت تعرفين .. اقصد عن والدتها وظروف زواجها من اخيكِ ..")

وحالما سمع هذه الكلمات تسمّرت قدماه بمكانهما وساوره القلق لما ستقوله العمة لامه.. انه حتى لايعرف مدى ما تعلمه العمة فائزة عن حياة جودا مع جدتها ...

ورغم انه يعرف هذه التفاصيل الا ان سماع تفاصيل اخرى من العمة فائزة جعل قلبه ينبض لوعة وغضبا لاجل جودا ..

ما ذنب صغيرته بكل النبذ من الاخرين ؟!

ما ذنبها بكل هذا التخبط الذي عاشته في نمط حياة وبيئة اوشكت ان تغتال كل براءتها كما اغتالت احساسها بالامان ..

اغتالت احساسها بحب من حولها لها ...

لقد بات موقنا الآن انه لم يحلم بجودا اعتباطا ...

هذه الفتاة ... ارسلت نداء استغاثتها من هذه الدنيا التي ظلمتها ..

ورب العالمين اختاره هو ليلبي نداءها ...



تحرك سعد اخيرا وداخله يشعر بنوع من الهم !

لايعلم لماذا .. لكنه مهموم ...

مساء ...

" تعالي فائزة .. لقد قال السيارة تحتاج لتصليح بسيط وانا اؤكد لك ستأخذ ساعتين على الاقل .. فتعالي لنشرب قهوة واقرأ لك الفنجان .."

كانت منيرة تسحب فائزة المترددة من ذراعها بينما تريد اخلاء الاجواء لينفرد سعد مع جودا بعيدا عن عيني فائزة التي اثبتت انها (حماة صارمة) !

فلم تترك جودا تغيب عن نظرها ابدا ..

تمتمت فائزة وهي تستسلم لجر منيرة لها

" لكن استحرم قراءة الفنجان .."

كزت منيرة على اسنانها وهي تقول بابتسامة مصطنعة

" لابأس .. لن اقرأ لك الفنجان فقط سنتبحر برسومه الفنية ! "

ثم التفتت ناحية سعد الذي يخفي ضحكته فتغمز له وتشير ناحية جودا التي كانت تتلاعب بشعرها المرفوع كذيل حصان ..



اقترب سعد من جودا التي قالت ببراءة

" هل تحتاج لمساعدة ام ادخل لاشاركهما القهوة ؟"

تقتله ببراءتها التي تخصه بها ...

تقتله .. غيظا !

رغم تأثرها به ورغم انها تغار عليه بشراسة الا انها لاتشعر به كرجل ..

لذلك تكون على طبيعتها دون زيف دون تصنع كانت تبتدعه مع الغرباء فتعطي فكرة خاطئة مشوهة لمن لايملك بصيرة قلب ...

مد كفه يلامس خدها فتبتسم عفويا وتسبل رموشها الطويلة تتمرغ بلمسته وهي تتنهد براحة..

قال لها بنبرة رجولية

" لااحتاج مساعدتك لكن احب وجودك قربي .. فابقي معي وثرثري حول اي شيء تريدينه .."

فتحت عينيها فيجفل قلبه طواعية لجمالهما..

هل سيأتي يوم ويعتاد على هذا الجمال ؟!

سألته ببساطة

" عن ماذا اثرثر ؟"





فيرد غامزا " عن كل تلك الاحاديث التي

تشاركتها مع فتاتيّ السيد مهيب فلم تتوقفن

عن الضحك .."

عندها هزت قلبه هزا بضحكات صافية

جعلته يقترب اكثر ليمسك خصرها من

الجانبين ويقربها منه فيقبل خدها الضاحك

ويهمس بصوت مبحوح

" اول الثرثرة تبدأ بضحكة ..."

تطلع رافد طويلا لباب غرفتها المغلق ..

الهدوء المظلم يشي بنوم قاطنة هذه الغرفة..

اغمض عينيه واعاد لمخيلته ساعات النهار

التي قضاها معها ..

بعد كل التوتر استجابت لمحاولاته

فاسترجعت بعضا من (غالية) التي كانت

فتناقشه بموضوع العمل ...

وهو الغبي المجنون استرسل في كلام سخيف

عن سوق العمل والوظائف المتاحة وكلمات

رنانة اكثر سخفا عن اقتصاد البلد ..

كل هذا فعله بلهفة الحمقى !

مضى زمن .. زمن طويل مرهق لم يتكلم

هكذا مع غالية ..

مضى زمن ... زمن اكثر طولا وارهاقا لم يسمع

غالية تعبر عن رأيها في أي شيء يحصل

حولها..

كيف تركها لراغب يحطم روحها هكذا!؟



وبينما يعيش لهفته الحمقاء باستعادة (بعض من كلها) كان يعيش عذابه ولهفة رجل يائس بائس .. سيخر جاثيا على ركبتيه فقط كي ترضى عنه معشوقته!

اخذ يضرب بقبضته على حافة الباب دون ان يصدر صوتا ... فقط لايجد ما يفعله ليخفف من حدة هذا الوجع ويطفئ هذه اللهفة ..

غالية ما زالت ترفضه كرجل ..

تنفر من هذه الفكرة ..

لكنها تبقى في عمقها طفلته ..

طفلته التي كبرت على يديه و تبحث دوما عن يده لتمسك بها بتشبث الغريق طلبا للطمأنينة قبل النجاة ..

وبعد انقضاء النهار اعادها للبيت لايصبره الا رؤية وجهها بملامح مرتاحة نسبيا وهو وعدها في اقرب فرصة سيكلم ذاك المحامي لاجل الوظيفة ..

لم تعلم انها حالما ترجلت من السيارة لم يصبر حتى اتصل بالمحامي لكنه لم يحصل على رد فتذكر انه الجمعة وعادة يقضيها الرجل مع عائلته فلا يرد حتى على الاتصالات الهاتفية لكن رافد لم يكل ولم يتوقف عن الاتصال حتى رد عليه قبل ساعة فقط وبعد حوار متبادل اقنعه بتوظيف غالية ..

لم يكن يطيق صبرا لمنحها هذه الفرحة اليوم .. الليلة قبل ان تنام ...

بقلم كاردينيا73



لكن تبا !

ها هي غرقت بالنوم وهو يقف كالمتسول على بابها يتمنى فقط رؤية فرحة واهنة في عينيها..

تمتم بنزق والارهاق يستبد به

" اللعنة .. ساعتان من النوم عصرا على اريكة مكتبي لم تمنحني الراحة الكافية لاصمد واقفا على قدمي اكثر من هذا .."

اخذ نفسا واطلقه .. وقد اتخذ قراره ..

لم يعان كل هذه المعاناة دون ان يحصل على شيء في المقابل ...

حرك قبضته وطرق على الباب بشكل معتدل ...

تململ وهو يعيد الكرة .. واوشك ان يعيدها ثالثة حانقة عندما انفتح الباب واطلت غاليته طفلته بشعر مشعث يغرق جانبي وجهها ونفس قميص النوم القطني الذي يثير ضيقه ..

اين ذهب جلبابها العسلي ؟!!

تمتمت باسمه والنوم يسيطر على نبرات صوتها فتبدو ناعسة مغرية كالجحيم !

ابتلع ريقه بصعوبة وشيطانه يغريه بالافكار المحمومة ...

ماذا سيحصل ان اخذها عنوة بين ذراعيه يعتصرها حتى يدمجها دمجا بجسده ..

يغوص بوجهه بين طيات شعرها المشعث حتى يصل بشفتيه لبشرتها النضرة وربما اكثر ..





ربما ينال تلك الشفتين المتراخيتين بفعل النوم ..

خرج اسمها من فمه بنبرة محمومة

" غالية ..."

امسك جانبي اطار الباب وكأنه يستعين به حتى لايفقد سيطرته ...

اللعنة ... تبا تبا ... الوقوف معها وحيدا في ظلام الليل وسكونه يجعل الافكار الخطرة تشتعل وتشعل احشاءه ...

تثاءبت رغما عنها وهي تسأله ببعض التركيز

" هل كلمت المحامي ؟"

زفر بقوة والاحباط يمزقه !

اسبل اهدابه وهو يقول بنبرة متوترة

" اجل غالية .. كلمته .. ومنذ الغد ستذهبين اليه قرابة الرابعة عصرا وتبقين حتى السادسة والنصف ... بعدها بإمكانك العودة للبيت فلن يحتاجك اكثر .."

لسوء حظه ان غالية اختارت الاقتراب لتظهر انفعالها وارتباكها.. عطرها الخفيف الهادئ بدى لحواسه المستنفرة وكأنه دعوة صريحة للعشق ... آآآآآآه من عشقك طفلتي ..

همست باختناق فرح وانفاسها تلفح وجهه

" حقا رافد .. سأبدأ من الغد ؟ "

ثم تهدج صوتها تأثرا " انا سعيدة .. سعيدة .. جدا ... شكرا لك .. رافد .."







رفع نظراته التي تذيب الصخر بما ترسله من اشارات الحمى التي استبدت به ليهمس بحشرجة خطرة

" عودي للنوم .. اغلقي بابك وعودي للنوم على سريرك جنب طفلتك ... "

للحظة لم تستوعب ..

لم تستوعب نبراته ولا نظراته ...

لكنها عفويا تراجعت للخلف وهي تنظر لعينيه بذهول .. انفاسها تتعثر ويدها التي تغلق الباب في وجهه ترتعش ..

ترتعش في اضطراب مخيف ..

اخرج سعد نفسه من تحت السيارة وهو ما زال يضحك من حكاويها لكنها بدت عابسة وهي تتخصر وتقول بحنق

" انت تسخر مني ؟"

اقترب منها وهو ينفض يده من اثار الاتربة بينما يداهنها بالقول

" ولماذا اسخر ..؟ انا مستمتع ؟"

اخذ عبوسها يتراخى وهي تركز بنظرها على اعلى وجهه وقبل ان يسأل قالت وهي تقترب منه لتقف قبالته مباشرة

" هناك لطخة كبيرة لسخام اسود على جبينك ..هل امسحها ؟"



ارتعشت ابتسامة الاستمتاع على فمه فيرد ببساطة متسلية " افعلي .."

رفعت سبابتها تمسح عن جبينه بينما عيناها تبرقان بالتركيز ..

تعض باطن شفتها وملامح وجهها تفيض دهشة كدهشة الاطفال !

اما هو فيحدق مسحورا بها .. تائه تماما عما تفعله ومستسلما لاثار فعلها عليه ...

هل تكتم ابتسامة ام يتخيل ؟

وماذا يهم ؟

يده تحركت لتلامس خصرها بينما يهمس باسمها " جودا .."

لكنها لاهية عنه .. وما تحاول اخفاءه من ابتسامتها افلت منها ..

لتشق الضحكة تلك الشفتين المعذبتين باغرائهما الطبيعي ..

بذهن شبه مغيب سأل سعد بصوت مبحوح

" لماذا تضحكين ..؟ "

فتتحول ملامحها الفاتنة لعفرتته الجنيات الوقحات فتضحك وهي تشير بسبابتها لوجهه

" يجب ان ترى وجهك بالمرآة .. اصبحت كهنود الحمر الذاهبين للقتال "

ارتفع حاجبا سعد وعفويا رفع يده يتلمس خديه ثم ينظر لاثار السواد على اصابعه ..



ما زالت تضحك تلك الطفلة العفريتة

فيبتسم لها وعيناه تقدحان بالتوعد هامسا

" انت من اخترت اللعب بخشونة "

وقبل ان تهرب منه امسكها بقوة كفيه عند خصرها وقربها منه واخذ يمسح خديه بتعاقب على خديها من الجانبين وهي تضحك وتحاول الابتعاد عنه دون فائدة فقط شعرها كذيل الحصان يتراقص مع حركاتها المقاومة لما يفعله ..

توسلته " توقف سعد .. توقف .. لن اكررها ...هههههههههه ... ارجوك .. وجهك خشن ويدغدغني ..."

ابتعد عنها قليلا ليحدق في وجهها مباشرة يبتسم لها هامسا

" ايتها العفريتة الشقية .. وجهك اصبح كوجهي الآن .. حتى لاتعيدي الكرة "

جلجلت ضحكتها عاليا حتى ارتد رأسها للخلف..

عنقها مغر اكثر من شفتيها ...

لم يقاوم وهو يميل بوجهه فيلثم ذلك العنق الابيض المرمري ...

خفتت تلك الضحكات واخذ نبضها يرتفع وهي تسأله بتوهان مضطرب

" ماذا تفعل ...؟! "



فيراوغها بالقول الاجش " عنقك الابيض يستحق ان الطخه هو الآخر .."

لكنها بدأت ترتعش وهي تقول

" ارجوك .. سعد .. توقف .. "

وقبل ان يبتعد صوت نحنحة خشنة جاءت من عند الباب الحديدي الخارجي ...

تلقائيا ابتعد سعد عنها ووقف امامها يحميها من عيني القادم الذي لم يتبينه لوهلة فقال بصوت ثابت " من ..."

فيأتيه صوت أيهم سليماني ضاحكا

" انا زوج ابنة خالتك فقط .."



الفصل الحادي والعشرون

ابتسم سعد وتحرك عفويا مبتعدا عن جودا ومرحبا بأيهم وبينما يقترب من الباب أطل وجه جدايل المبتسم وهي تقول لأيهم عفويا

" نسينا الهدايا في السيارة.."

ثم التفتت ناحية سعد لتقول ببشاشة

" مرحبا يا عريس .."

فتح سعد باب المرآب مرحبا بحبور بضيفيه وبينما يدخلهما عبر الباب الحديدي كانت جودا انفاسها تتقطع وهي تراقب وجه جدايل الحلو الضاحك وسعد يشاركها الضحك على بضع جمل تلقيها تلك السمراء المحجبة...

رفعت جودا يدها لصدرها وفجأة اخذت تركض لتدخل البيت دون ان تسلم على احد !

في غرفة نوم منيرة ..

تقف جودا وسط الغرفة عابسة متكتفة الذراعين بتمرد متصلب ترفض حتى غسل وجهها من اثار السخام الاسود بينما العمة فائزة تنظر اليها بعجز ونوع من الهلع !

لاتعرف كيف ستتصرف ..

هناك ضيوف ويجب ان يروا (العروس) ...

ابتأست فائزة وهي تنظر لملابس جودا

المهلهلة ما بين بلوزتها المضحكة المتسخة

وبنطالها الجينز القديم ناهيك عن وجهها

الذي خلا الا من اثار خطوط رمادية ...

نظرت فائزة للفستانين اللذين وضعتهما ام

سعد على السرير قبل ربع ساعة لتختار جودا

واحدا منهما وقالت انهما ضمن جهاز عروس

الذي تشتريه منذ مدة ...

الفستانان جميلان وزاهيان تناسبان هيئة

عروس سعيدة على وشك اتمام زفافهما ..

لكن ما العمل اذا كانت العروس طفلة

متمردة غاضبة حانقة لاسباب تجهلها فائزة

ولاتملك ادنى فكرة لما يجول في خاطر

تلك الفتاة الصعبة ..

تنهدت فائزة وهي تحدق في ابنة اخيها ..

دوما كانت مستعصية الفهم عليها !

دوما لم تُجِد توجيهها وكسبها ...

لم تتقبل منها الا بعض الدعم والمحبة ..

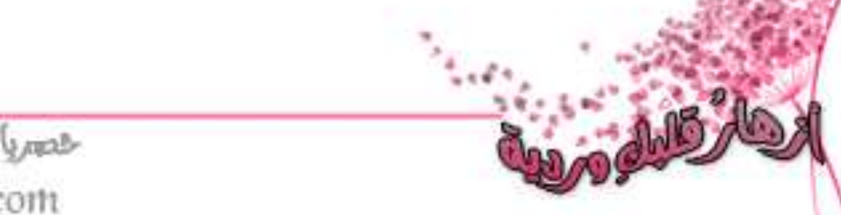
عدا هذا لم تستطع فائزة الولوج لدواخل

الفتاة وكأن هناك حاجزا غير مرئي يفصلها

عنها ...

اقتربت فائزة لتحاول اقناعها بصوت رقيق

" حبيبتي جودا .. يجب ان تفعلي هذا ..



لايمكن ان تظلي حبيسة الغرفة بينما هناك ضيوف أتوا خصيصا لرؤيتك ..
ستحرجين سعد كثيرا اذا لم تخرجي الآن..."

عندها هدرت جودا بوقاحة وانفلات لسان

" يستحق .. انه يستحق ان يكون مثارا للسخرية ... سأحرجه وسأبقى هنا واجعله مضحكة امام تلك الفتاة التي يحب الضحك معها .. بل ... بل ... سأخرج حالا وبهيئتي هذه .."

شهقت فائزة وهي ترى جودا تتحرك فعليا ناحية الباب لتعترض طريقها وهي تتوسلها بهمس

" لا جودا .. ارجوك يا ابنتي .. لاتفعلي هذا"

فُتِح الباب على حين غرة لتطل منيرة بوجه جاد حازم عابس...

واضح انها كانت على علم بما يحصل ...

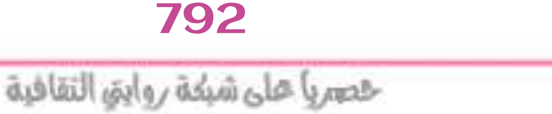
عيناها تحدقان في وجه جودا التي انكمشت على نفسها وحادت بنظراتها للاسفل لتقول منيرة لفائزة

" اتركيني مع عروس ابني لوحدنا لو سمحت فائزة ..."

ارتبكت فائزة وهي تتمتم

" لكن يا ام سعد ... اقصد .. انها .."

عفويا يدا جودا تحركتا لتتشبثا بذراع فائزة بينما ترفع نظراتها العابسة لتقابل عبوس منيرة وكأنها تتحداها ...



بحزم اشد قالت منيرة

" رجاء فائزة .. دعيني اتصرف ..."

قالت جودا بتحد وهي تشمخ بذقنها

" انا سأخرج مع عمتي فائزة .."

عندها ارتفع صوت منيرة وبدت بهيئة مختلفة تماما بملامح وجهها الصارمة وهي تقول

" بل ستبقين هنا يا فتاة وتكلميني بشجاعة ونضوج دون ان تغادري كأي جبانة خائفة..."

تأوهت فائزة من اعتصار انامل جودا لذراعها فحدقت في وجه ابنة اخيها بقلب يخفق ارتعابا من ردة فعل مجنونة على وشك الافلات منها ..

لكن وجه جودا بدى شاحبا بينما عيناها تحدقان بوجه (حماتها المستقبلية) ..

عينا منيرة لاتفارقان عيني جودا بينما اعادت الطلب على فائزة بأدب لكن باصرار ايضا

" رجاء فائزة .. دعيني اعالج الامر بطريقتي.. انا وجودا سنتفاهم .. مؤكد هي شجاعة وستقول لي كل ما يزعجها .. فأنا الآن بمثابة والدتها وليس للابنة غير امها تصارحها بكل ما يضايقها .."

اصابع جودا تراخت بشكل عجيب عن ذراع عمتها مما جعل فائزة تنظر اليها بعجب !





وبهدوء سحبت فائزة ذراعها من تشبث جودا المتراخي ثم غادرت الغرفة مغلقة الباب خلفها ...

جف فم جودا وهي تحدق في وجه تلك المرأة..

لم تتكلم يوما مع امرأة مثلها ...

انها مختلفة عن العمة فائزة ...

تذكرها بوالدة زميلة لها في الثانوية ..

كانت .. كانت ... تغيظها دوما بما تفعله مع ابنتها ؟

تنتظرها عند بوابة المدرسة بوجه ضاحك بشوش .. تقبلها على الوجنتين ..

دوما يجب ان تقبلها على الوجنتين وكأنهما لم تلتقيا منذ اشهر .. ؟

كم كانت تغتاظ من تلك القبل ..؟!

لم يقبلها احد بتلك الطريقة الخاصة ..

بذلك الحنان .. بذلك الاشتياق ..

دوما قلبها كان يتوجع مع كل قبلة ..

انها .. انها تحب قبلا كهذه ان تكون لها .. ؟

اقتربت الخالة منيرة وقد تغيرت ملامحها من الصرامة الى ... الغيظ ... لتفاجئ جودا وهي ترفع سبابتها لفمها تعضها بين اسنانها وهي تقول بغيظ متفاقم





" آآآآآآآخ منك آآآخ .. فتاة بجمالك تختبأ بين اربعة جدران كأي فأرة ملطخة بالطين .. والانكى تريد اذلال نفسها بالخروج امام عروس اخرى عائدة توا من شهر العسل طويل استمر لعدة اشهر ..."

تمتمت جودا بارتباك

" عائدة توا من شهر العسل ؟!"

هزت منيرة رأسها وبدت كطفلة هي الاخرى وملامحها تعبر عن غيظ يتزايد لتقول من بين اسنانها " سأموت قهرا وكمدا ان لم ترتدي فستانا تقهري به الجميع بجمالك .."

أخذت جودا تهز رأسها برفض وهي تهمس بألم

" انا .. لست جميلة مثلها .."

ثم تضيف وعيناها تلمعان بدموع

" سعد معجب بها ... لقد تركني ليضحك معها ..."

تراخت ملامح منيرة وهي تحدق في وجه جودا ثم رمشت قبل ان تقترب منها لتمسك وجهها بين كفيها وتقول بتوبيخ امومي يفيض حنانا

"يا صغيرة العقل اذا كنت تغارين هكذا على الاسمر العضلي فمن حقك لانه شاب يستحق لكن لاتكوني غبية وتتصرفي كالاطفال .. اذهبي وقارعي النساء بكل اسلحتك حتى لايقتربن منه .. يا فتاة الا تعرفين حركات البنات ؟!!

انظري لجدايل وهي في الشهر الخامس من

الحمل وكيف تبدو موفورة الثقة بالنفس ..

انظري كيف ينظر اليها ذلك الابله زوجها ..

ووالله وهي ابنة اختي التي ربيتها شعرت

بالغيرة لاجلك .."

عضت جودا شفتها السفلى توقف ارتعاشها

بينما تربت منيرة على خديها وهي تبتسم

بمشاكسة وتقول

" واللّه لاقهرن الجميع بك ... سيموتون غيظا

وغيرة من جمالك وتعلقك بسعد وتعلقه

الفاضح بك..."

ثم تركتها منيرة وتحركت ناحية السرير

لتحدق مليا في الفستانين واختارت واحدا

منهما بلون بنفسجي وهي تتمتم لنفسها بصوت

مسموع " هذا سيفي بالغرض .."

اجفلها صوت جودا يأتي من خلف ظهرها

مباشرة " خالتي .."

التفتت اليها وهي توبخها بالقول

" اجفلتني يا فتاة ! كيف تتحركين دون ان

تصدري صوتا هكذا ؟!!"

بدت جودا مرتبكة وهي تقول

" هل تظنين حقا .. اني جميلة ؟"

هذه المرة شهقت منيرة هاتفة

" يا صغيرة العقل .. في عمري هذا لم ارَ فتاة

اجمل منك .. سبحان من خلقك وابدعك .."



احمرت وجنتا جودا بينما بدت اكثر ارتباكا

وشفتاها ترتشعان بابتسامة خجلى ...

رقّ قلب منيرة للفتاة ولاتعلم لم دخلت قلبها

هذه اللحظة كما لم تفعل من قبل ..

مالت نحوها فقبلت وجنتها بحنان وقالت بنبرة

تآمرية وهي تحرك حاجبيها

" اسمعي كلام خالتك منيرة .. وتعلمي

الحركات مني قبل ان تنقفأ مرارتي بسبب

ذلك المغرور صاحب الشعر الطويل الهفهاف ؟"

هزت جودا رأسها بـ(نعم) قبل ان تعود منيرة

لصرامة نبرتها الاولى وهي تقول

" اذهبي واغسلي وجهك ورقبتك في الحمام

ثم عودي للغرفة لترتدي الفستان

وساساعدك بوضع بعض التبرج "

ثم ضيقت منيرة عينيها بتحدٍ وهي تتمتم

" وسندخل انا وانت معا ... واقسم سازغرد في

هذا الوقت من الليل لاوقظ الحي بأكمله "

بعد ساعة ..

لم يستطع ان يزيح عينيه عنها .. منذ دخلت

بصحبة زغاريد امه المجلجلة وقد جلجل قلبه

وسط صدره لمرآها ...





لم يشعر الا وهو واقف على قدميه حتى لم يعد يسمع شيئا مما كان ايهم وجدايل يتحدثان عنه ..

تعالت زغرودة اخرى مختلفة عن زغرودة امه فالتفت متعجبا ليعرف مصدر انطلاقها من حنجرة جدايل بينما أيهم يحدق فيها هو الآخر مصدوما ضاحكا !

وها قد مرت ساعة كاملة والضيوف على وشك المغادرة وفتاة ادغاله تجافيه وتفضل الجلوس قرب امه لتتفاخر بها على طريقتها ..

ورغم انه يعرف ان هدف امه الرئيسي اغاظة ايهم سليماني الا انه سعيد لاجل صغيرته ..

لاجل سعادتها وانبهارها الطفولي البريء بانبهار الاخرين بجمالها ...

كم يتمنى ان يأتي اليوم الذي تدرك فيه كم هي مبهرة من الداخل ايضا ...

ببراءتها وبحفاظها على فطرتها السليمة بعاطفيتها المتوهجة ...

رمقته بنظرة صغيرة حانقة قبل ان تدير وجهها جانبا بعيدا عنه ..

تبسم وهو يسبل اهدابه ..

الصغيرة تغار كالعادة ..

غاضبة وشرسة ونارية ..



تنبه سعد لأيهم وهو يقف مع جدايل معتذرين للمغادرة وبينما تحرك الجميع ليرافق الضيفان للباب الخرجي تحايل سعد ليصل لجودا ورغم تمنعها امسك كفها بكفه ومال بوجهه خفية عن انظار الجميع

" انا اشعر بالغيرة .."

عبست وهي تحدق فيه بصمت مستفهم فأضاف بابتسامة مشرقة

" لم ترتدي الفستان لاجلي .. بل لاجل خطط امي التي تلائمك اليس كذلك ؟"

احمرت جودا كطفلة مذنبة ليضحك سعد فالتفت الجمع يتساؤلون بمرح عن سبب ضحكاته ..

عند باب المرآب لم تتوقف منيرة عن توصية ايهم بالاعتناء بجدايل وملامحها جافة غير راضية فاستند ايهم على حافة الباب الحديدي بساعده وحدق فيها مبتسما بمشاكسة وهو يرفع حاجبا واحدا ويرد عليها بسلاسة ساحرة مغيظة

" أؤكد لك خالتي منيرة .. اعتنيت بها .. كل ليلة ... منذ زواجنا ... و.. سأواصل اعتنائي .. "

احمرت منيرة غيظا منه وشعره الطويل الذي يحاذي ياقة سترته يتطاير مع نسمات الهواء ولا تعرف لم اغاظها اكثر !



ربما لانه وسيم اكثر من اللزوم وتراه لايستحق وسامة كهذه كما لايستحق جدايل..

تنحنحت جدايل وهي تسحب أيهم من ذراعه لمنع صدام وشيك بينه وبين الخالة منيرة وهي تقول بابتسامة خاصة محذرة لزوجها

" هيا بنا أيهم .. انا متعبة واحتاج للراحة بعد رحلة الطائرة المزعجة ..."

تطلع اليها ايهم وعيناه تلتمعان بمكر وقبل ان تخمن ما سيفعل التفت في لحظة وانحنى ليحملها بين ذراعيه بخفة وهو يلقي وداعا جماعيا ويتحرك ناحية السيارة المركونة على جانب الطريق ...

لاحقه صوت منيرة الفائض بالحنق

" انزل الفتاة يا ايهم .. انها حامل .. ستوقعها وتؤذيها ... انزلها ..."

لكنه يهز جسد جدايل بين ذراعيه ويغيظ الخالة بالقول

" لاتخشي عليها بين ذراعي خالتي منيرة كما انها تحب ان احملها على الدوام كما احب تدليلها ..."

اخذت جدايل تنهره بهمس

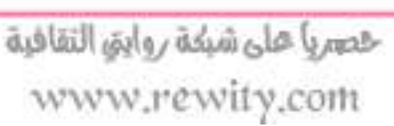
" انزلني ايهم .. يا عديم الحياء "

عض شفته السفلى وهو يحدق في وجهها الذي فاض خجلا وحنقا ليهمس لها بمشاكسة









أزهار قلبك وردية

" كم احب ان اخدش حياءك امام عائلتك تحديدا .. تصبحين اكثر لذة "

كزت على اسنانها وهي تعبر عن غضبها بخفوت " قلت لك مرارا توقف عن فعل هذه الامور المجنونة .. انها لاتليق .."

فيحرك حاجبيه ويحرجها بالقول

" ألم يكن تقبيلك بجنون وسط العاصمة الفرنسية امرا لايليق ؟ علي ان اخبر اهلك كم كنت امرأة متحررة العاطفة هناك .."

تخضب وجهها بالحمرة حتى اذنيها بينما يهمس لاذنها بالمزيد " وماذا عن تلك الليلة تحت ضوء القمر في الـ...."

ضربته بقبضتها على صدره وهي تقول بغضب

" توقف ... انت لاتحتمل بهذا المزاج المشاكس "

ضحك عاليا وهو يفتح باب السيارة ليضعها برفق على الكرسي ويحدق في عينيها ويهمس متنهدا بجذل " سمرائي ذات الجدائل "

اغلقت منيرة باب المرآب بقوة مما جعل جدايل وايهم يجفلان لتتوسله جدايل بالقول

" فقط دعنا نغادر وكفى من افعالك الصبيانية التي تغيظ بها خالتي "

غمزها أيهم ضاحكا وهو يقول





" نعم .. يكفينا الليلة من حرب الاغاظة هذه وتذكري كما اغاظتني اغظتها .. واحدة بواحدة .. وانا لاانس ثأري .. ابدا .."

ابتعد ايهم اخيرا ليغلق بابها ويلتف حول سيارته ليجلس بمقعده وهو يلوح لسعد قبل ان ينطلق ..

تمتمت منيرة " ذلك المستعرض ! لااطيقه .."

نظر اليها سعد بطارف عينه ليميل هامسا قرب اذنها " لا احد يفهمك مثلي يا منيرة .. توقفي عن افعالك المشاكسة هذه مع ايهم سليماني.. ما دمتِ تغيظينه سيغيظك هو في المقابل .."

اطلقت منيرة صوتا دلالة لامبالاتها وهي تقول

" لاتتدخل انت بيني وبينه .. انه يحتاج لمن يكسر غروره من وقت لآخر .."

ثم اشارت لجودا التي مالت برأسها على كتف عمتها وقالت

" احمل فتاتك انت الآخر لبيتها ستنام واقفة! "

تطلع سعد لصغيرته ودون ابطاء تحرك نحوها يسندها من ذراعها حتى باب السيارة ليجلسها على المقعد الخلفي بينما تجلس العمة فائزة بقربها من الجانب الآخر وتبدو هي الاخرى على وشك الغرق في النوم بعد ارهاق يوم طويل ...





يوم الاحد ..

بدء الدراسة في الجامعة ...

ركن سعد السيارة جانبا بينما جودا تفتح الباب لتغادر وهي تلقي التحية ببعض البرود ...

يعلم انها لم تتقبل طلبه لكنه مضطر للضغط عليها حتى ترضخ وتطيعه ...

امسك بذراعها يوصيها مرة اخرى

" كما اتفقنا جودا .. لاتذهبي لغرفة اي استاذ .. لا الاستاذ طارق ولا غيره .. لااحب هذا صغيرتي وليس لائقا .. "

هزّت رأسها بنعم وعدم الاقتناع واضح على محياها ..

تبسم لها وهو يقول

" سأقلك عند انتهائك من المحاضرات .. سنتناول الغداء معا في مطعم افتتح قريبا يبيع شطائر اللحم التي تحبينها .."

ابتسمت له اخيرا لتلوح بيدها .. ثم ترددت قليلا بينما يحدق في عينيها باستفهام فتفاجئه بأن مالت نحوه وطبعت قبلة على خده وسارعت لتغادر تاركة اياه يبتسم كالابله وهو يلامس اثر قبلتها الطفولية على وجهه ...





تحرك بسيارته وهي يضحك ويقول

" متى ستكبر الفتاة ؟ لا اعرف ..! لكني على الاقل مستمتع معها وبها في كل حالات جنونها وتقلباتها .."

عند ممر داخلي للقسم تعمد طارق ان يبطئ خطواته حتى جاورته خطواتها ...

التفت اليها بابتسامة ليوقفها بالقاء التحية ..

رصدت عيناه ذلك التردد في نظراتها بل حتى في نبرة صوتها وهي ترد تحيته ...

ثم صدمه التماع الخاتم في بنصرها الايمن وبتمكن استطاع اخفاء صدمته وهو يسألها

بخفة " خاتم جميل .. لاتقولي انك خطبتِ لاحدهم دون تخبريني لاشاركك فرحتك "

احمرت وجنتاها مما جعله يستشيط غضبا !

لتقول وهي تطرق بنظراتها

" نعم استاذي .. لقد عقد قراني .."

تصلبت ملامحه وهو يسألها بهدوء

" عقد قرانك ايضا ؟ ومن هو المحظوظ ؟"

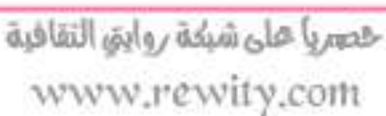
ردت ببشاشة وهي تتلاعب بحافة محاضراتها

" لقد رأيته .. انه سعد صديق اخي ياسر "

توهج داخله بعنف اسود .. اذن ذاك الشاب سبقه بالخطوات وقد ظن انه سيسيطر على الفتاة قبل ان يتحرك سعد نحوها ..









حسن ..فليفرح الغبي بعقد القران ..

هو من اختار مصير جودا ..!

تقبضت يدا طارق وهو يقول في سره

(" لم تفعلها سابقا يا طارق .. لم تفعلها دون زواج .. لكن لابأس .. هذه المرة استثناء كما هو جمال الفتاة استثنائي .. بل ربما يليق بها ان يأخذها دون ان تكون زوجته .. سيجعل الامر اكثر متعة واثارة ")

" هل يمكنك ان تخبرني ما معنى ان تعيد النظام القديم في المختبر ودون اخذ مشورتنا كمسؤولي مختبرات ؟!! لقد غيرناه منذ سنوات ونحن نسير عليه بنجاح بعد ان ابدى فاعليته مع الطلبة فلماذا تريد اعادتنا لعهد قديم اثبت فشله ؟!! "

تنبه طارق لمشكلته الصغيرة الثانية المتمثلة بزوجته السابقة السرية (سوسن)!

تهكم داخله وهو يحدق بالمرأة الناضجة الجميلة التي تقف قبالته بتحد والغضب والكره يبرقان في عينيها ...

الزوجة الوحيدة التي مرت عليه ولم ينلها !

تمتم طارق بابتسامة صغيرة مستفزة

" تعالي لمكتبي .. سنتفاهم هناك .. افضل"

عقدت سوسن حاجبيها لتقول له بتحد اكبر





" لا مانع لدي .. ان كنت تريد النقاش لكن ليحضره رئيس القسم ايضا ويكون شاهدا عليه ..."

ثم فجأة تطلعت سوسن لجودا التي كانت تراقب ما يحصل بفضول مضحك لتهتف بها سوسن " ماذا تفعلين هنا جودا .. "

ردت جودا بإجفال " كنت ارد على تحية الاستاذ طارق واخبره عن خطبتي .."

تراخت ملامح سوسن قليلا لتبتسم لها وتقول

" مبارك عزيزتي .. "

ثم التفتت ناحية طارق تبتسم بسخرية واضحة موجهة اليه وتقول

" من الجيد ان تجدي شابا محترما يقدرك ويحميك في زمن كثر فيه اشباه الرجال !"

للحظة لم تستوعب جودا بينما يحدق طارق في سوسن باستهانة باردة فاضافت سوسن وهي توجه كلامها الجدي لجودا

" اذهبي لمحاضراتك ستبدأ خلال دقائق .. وحافظي على النجاح البسيط الذي حققته في الفصل الثاني اتمنى ان تنجحي هذه السنة "

شكرتها جودا وهي تتحرك مبتعدة بينما عادت سوسن لطارق تواجهه بالقول الساخر

" لازلت قذرا كما انت .. الا تشبع روحك من التهام قذاراتك ..؟"



حرك عينيه بتدقيق فج من اعلى رأسها حتى كعب حذائها ليقول بنبرة وقحة

" هل تسمين الجمال قذارة ؟! "

اظهرت اشمئزازا حقيقيا بينما ترد عليه

" بل تشويه الجمال والعفة هو القذارة وانت خير من يعلم هذا .."

تهكم قائلا بخفوت

" عفة ؟! أترين فتاة كجودا عفيفة ؟! حتى اشهر مضت كانت مثار حديث القسم بل الجامعة بأكملها بطريقة ملابسها وتبرجها وتدخينها السجائر وربما غير السجائر بتلك الطريقة المغرية المستفزة "

نظرت اليه بتهكم مماثل وقالت ترد حجته عليه

" هل تحاول اخباري انك غيرت ميولك الحقيرة المريضة حول التقاط الفتيات البريئات تحديدا ؟"

همسه بدى كفحيح افعى وهو يقول

" وهل كنت بريئة سوسن عندما التقطتك ؟ ربما بريئة الجسد لكن نظراتك الي وانت على مقاعد الدراسة لم تكن بريئة على الاطلاق "

شحب وجهها وابيضت شفتاها من شدة الغضب وهي تتذكر تلك الفتاة التي كانتها واوشك هذا الحقير تدميرها بالكامل



تمتمت بكره شديد

" قذر .. وستظل قذرا .. ولن انزل لهذا المستوى من الحديث مع حثالة مثلك "

ارادت ان تستدير فسارع بالقول الخبيث

" ربما انت تغارين لانك .. لم تعودي مغرية كالفتيات الصغيرات النضرات وقد ناهزتِ الثلاثين وبتِ ... امممم مستعملة ! "

توهج غضب من نوع آخر في عينيها لتقول له ببرود

" لولا اننا في مكان عام لأريتك مقامك "

ضحك بخفة وهو يعلق بجذل

" دوما تخافين الناس .. تخافين الاقاويل .. "

ارادت التحرك مرة اخرى عندما عاجلها بالقول المهين

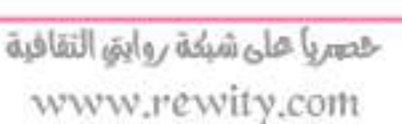
" ما رأيك انا مستعد ان اتنازل عن فقرة (البراءة) في نسائي وادعوك لليلة خاصة في نفس الشقة التي تعرفينها ومؤكد لم تنسي عنوانها .. ولاتخافي .. لن اخبرك زوجك !"

عندها حدقت به سوسن بطريقة بدت مختلفة لم تكن مشمئزة او كارهة او حتى غاضبة .. بدت نظرتها غريبة ومربكة له ولايعلم لماذا شعر بالحنق ليسألها

" لماذا تنظرين الي هكذا ؟! "

فترد عليه بهدوء وهي ما زالت تمعن النظر



" ربما لاني لاول مرة اراك بشكل مختلف ..

اشعر بشعور غريب حقا ... انه الرثاء ! اجل

اشعر بالرثاء لاجلك واتساءل من قتل

براءتك كانسان وجعلك هكذا تنهش براءة

غيرك وتدمرها ! "

انسحبت اخر قطرة دم من وجهه وفجأة تشوهت

ملامحه فظهر .... بشعا !

بشعا جدا وكأنه لم يملك يوما وسامة

اسقطت قلوب الفتيات عند قدميه ..

تمتم من بين اسنانه

" لسانك اصبح طويلا يا سوسن "

فردت بلامبالاة

" وانت وجهك اصبح مكشوفا .. "

ابتلع ريقه واخذ نفسا يستعيد سيطرته ليقول

بحقد أسود

" هذا ما تظنينه .. وتلك الفتاة التي تدافعين

عن براءتها وعفتها سترين كيف سترميهما

عند قدمي ... تتوسل ان احبها كما فعلت

غيرها .."

انقبض قلب سوسن وفي لحظة تذكرت حالها

قبل سنوات عديدة عندما ذهبت اليه في شقته

يائسة محطمة العزيمة تتوسله الصفح بعد

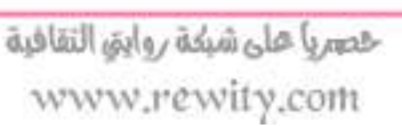
هجرانه لها !

تتوسله الرضا بعد ان جافاها عامدا متعمدا

لانها رفضت ان تستسلم لعلاقة جسدية معه !

هدرت سوسن بنبرة مهددة " ابتعد عن جودا .."





لكن صوته بدى اكثر شراسة وقسوة وسوادا وهو يرد عليها

" ابتعدي انت عن طريقي .. والا اقسم بالله سافضحك وسط القسم وسأكشف قصتنا الصغيرة المخزية قبل سنوات ..... ولن يهمني شيء .. انت وحدك من من ستمزق سمعتها وسمعة عائلتها الالسن الثرثارة .. وما انا الا مجرد رجل استسلم لاغراء فتاة طائشة "

هذه المرة هو من استدار ليبتعد عنها تاركا سوسن ترتعش داخليا وتشعر ان انقباض قلبها يزداد ..

تركيا ..

وسط شارع بسيط خال من المارة شديد الهدوء والسكينة تحده البيوت الجميلة القديمة الطراز من الجانبين وبألوانها البهية وحدائقها الطبيعية المحببة وقفت سهر تفرد ذراعيها للهواء البارد والشمس المشرقة بينما تهتف وهي تغمض عينيها

" اعشق جزيرة الاميرات .. اريد ان اعيش فيها الى الابد "

همس ياسر قرب اذنها ساخرا

" مؤكد انها حمى عارضة .."





التفتت اليه بملامح عابسة وهي تتخصر ..

وكم هو حلو خصرها تبرز نحولته بملابسها الرياضية ذات الوان قوس قزح ...

كتم تنهيدة عشق وهو يلاحق بشغف خصل شعرها القصير المتطايرة بينما طوق الازهار الصناعية على قمة رأسها جعلها اكثر استفزازا له ..

بدت كطفلة مستمتعة عندما اشترت الطوق حالها كحال السياح في البلد وخاصة على هذه الجزيرة حيث تباع الاطواق كدلالة على الاميرات ....

تمتمت سهر وهو تحرك سبابتها الانيقة الشهية في وجهه " ايها المزعج .. لاتكف عن افساد متعتي ... ثم لماذا تقول هذا ؟ انا احببتها بشكل يفوق الوصف .. انها جزيرة رائعة خيالية سحرية جدا بطبيعتها حيث لاسيارات ولا اي مصدر للتلوث "

ابتسم ساخرا وهو يقول ببساطة

" لن تطيقي فيها ليلتين يا مدللة ابيك وستحنين مباشرة للمدينة الصاخبة وسيارتك الوردية وفساتينك الانيقة واحذيتك ذات الكعب العالي يا قصيرة القامة .."

هتفت به " انا قصيرة القامة ؟!! انا طولي ... اوووووه ..."



تشبثت مرتعبة بكتفيه والتصقت به التصاقا بينما يقترب منها احد تلك الكلاب المنتشرة في كل مكان من تركيا ...

اغمضت عينيها متشنجة واناملها تعتصر كتفي ياسر وهي تهمس له

" ارجوك ابعده .. ارجوك افعل شيئا وابعده"

التفت ذراعاه حول خصرها وهو يقول لها

" قلت لك اكثر من مرة لاتخافي من هذه الكلاب كلها أليفة ولاتعض كما انها ملقحة ونظيفة من الامراض ما دامت تحمل تلك القطعة المربعة في اذنها "

ابتعد الكلب بعد ان يأس من محاولة جذب تعاطفهما فذهب ليبحث عن تعاطف من سياح اخر ...

تنفست سهر الصعداء وجسدها يتراخى فتتساءل بتذمر " لماذا يتواجدون بكثرة هكذا ؟! انهم اكثر حتى من القطط ..! وكلما رأوني يتجهون نحوي دونا عن بقية البشر !! "

ثم تأففت بتدلل وهي تتطلع لعينيه الداكنتين المتسليتين لتقول

" لماذا تترصدني كل الكلاب هنا ؟!"

رد وهو يحدق في عينيها

" ربما لانك تملكين عيني قطة "



ابتسمت بدلال انثوي سعيدة باطرائه .. وكم هو قليل الاطراء باللسان لتحاول حثه على قول المزيد فتسأل بنبرة ساحرة

" هل ترى عينيّ مميزتين حقا ؟"

عيناه تحركتا من عينيها لاعلى رأسها فقال

" لماذا لم تختاري طوق الازهار الخضراء كانت ستليق بهاتين العينين "

تنهدت ... حسن هذا افضل من لاشيء ..

ان يعبر بطرق غير مباشرة ...

ثم اخذت تتساءل هل تعترف الآن له لماذا اختارت هذه اللون تحديدا ؟

هل تعترف بكل ما يعتمل في قلبها ام ربما سيسخر منها ..؟

انها تحتمل سخريته لكن ليس في هذا .. لن تحتمل ان لايفهم معنى هذه الازهار ...

اخذت تلامس رقبته وتهمس بحرارة

" انه... طوق الازهار الوردية .."

حدقت في عينيه فبدى لها يوشك على قول ملاحظة ساخرة كعادته فتشجعت لتبتعد قليلا وتمسك كفه ترفعه لمكان قلبها الخافق وتقول له بنبرة متقطعة بالتأثر والعاطفة " انها رمز لازهار قلبي التي تتلون لاجلك وحدك بالوردي "



فتح فمه فسارعت لتغلقه بيدها اليمنى بينما اليسرى تضغط كفه على قلبها هامسة برقة

" لاتقل كلمة ساخرة واحدة .. ارجوك .."

تلاشت نظرات السخرية وبدت عيناه الداكنتان مختلفتين وهما تتطلعان اليها بترقب صامت لتضيف سهر بصوت مبحوح

" تحسس نبض قلبي فقط يا ياسر ستشعر بازهاري هذه تناديك وتتلون بحبك .. آآه لو تعرف كيف اشعر وانت معي .. لم افكر يوما بانوثتي هكذا .. انت وحدك من جعلني اشعر بتميزها .. لم اعد اشعر اني مجرد انثى تحب انوثتها وتقدرها .. بل غدوت انثى تحب الانوثة التي تشعرها انت بها .. وازهار قلبي وردية .. لاجلك انت ايها الفظ الجلف الذي اعشقه .."

تأوهت وهو يسحب يده بخشونة من فوق قلبها لتنضم مع يده الاخرى حول خصرها ويجذبها بعنف وهو يهدر " ايتها المغوية بازهارك ..."

وفي لحظات غائمة بعنف العاطفة لم تشعر الا وهي ملتصقة بحائط بيت من تلك البيوت التي عشقتها وصوت البحر القريب والاحراش من حولها يجعل العاطفة معه تفور في أوجها...

همست وهي تلهث

" ياسر .. توقف .. ستتمادى ونحن في الشارع .."

رفع وجهه اليها .. ملامحه وحشية برغبات لاتحتمل الانتظار ...



صدره يعلو ويهبط وبدى للحظات وكأنه يفكر !

لم تفهم وهي مشوشة به ... ولاتعلم كيف سيهدأ حتى يعودان للفندق البسيط وسط اسطنبول القديمة .. فما زالت امامهما رحلة العودة بالسفينة عبر البحر ...

" تعالي ..."

بخشونته المعتادة امسك يدها يسحبها خلفه بينما تتمسك بيدها الاخرى بالطوق خوفا من ان يقع ارضا ويضيع منها ...

بعد نصف ساعة لم تصدق وهي تحدق بتلك الجدران البيضاء للغرفة الصغيرة نسبيا...

لقد فعلها المجنون وحجز غرفة في هذا النزل البسيط رغم اسعاره المرتفعة ..

تمتمت سهر وهي تحدق بياسر يغلق باب الغرفة ويبادلها النظر بينما يخلع عنه سترته

" لااصدق انك تهورت هكذا !"

ودون ان ينطق بكلمة كان يبثها عشرات الكلمات ...

اخذها بين ذراعيها ليبثها عاطفته التي اوشكت على الانفجار علنا وفي مكان مكشوف قد يراهما فيه اي انسان ..

ابتعد قليلا لاهثا يحدق في طوقها ويهدر بخشونة " اخلعي الطوق ... لااريد ان تتمزق ازهارك الصغيرات وتسقط على الارض .."



هتفت وهي تسحبه اليها بعاطفة لاتقل عن عاطفته " ابدااااااا... كل ازهاري ها هنا في قلبي وهو يخفق بجنون لاجلك .. وما دمت معي .. تحبني هكذا ... فلن تذبل ازهاري ولن تتمزق ولن تسقط ارضا ابدا ..."

(" انت عديم الرجولة .. مثلك عندما تغلبه شهوة جسده اراه فقد رجولته .. خانتك شهوة جسدك قبل ان تخونني انا .. انت لاتملك قوة كافية لتلتزم بالوفاء ...فماذا بقي لك من معاني الرجولة الحقة ؟! قل لي ... ماذا بقي لك ؟! انت ضعيف .. ضعيف ضعيف ..بلا كرامة بلا كبرياء ... تتوسلني البقاء !! لكني لم أعد اريد رجلا مثلك زوجا لي .."

" ارجوك .. اتوسل اليك ... سامحيني .. سأموت ان تركتني .. لااحتمل العيش بدونك .. انا اتعذب وانت امامي غاضبة وناقمة هكذا فما سيحدث لي ان اختفيت من حياتي ..")

استيقظ ياسر فزعا من منامه لاهثا يبحث عن انفاس يعبي بها صدره المخنوق !

مسح على وجهه الغارق في العرق بينما يستعيد حلمه ..

لا .. لم يكن حلما .. كان مجرد حوار مظلم لم يتبين معالم وجوه قائليه ..

انهما وجهان فقط .. ربما لم تظهرهما دكنة الحلم لكنه يعرف من صاحبي الوجهين ..

يعرفهما عن يقين .. عن ألفة ..

عن ماض عاشه فاصبح يعيش داخله ...

انهما امه واباه ... ويستطيع ياسر دون ادنى
مجهود استعادة مشهدهما كما حدث قبل
سنوات طويلة .. يستطيع ان يغمض عينيه الآن
ويرى بعيني المراهق ابن الثامنة عشرة والده ..
من كان مثاله الاعلى في الرجولة والنجاح ..
يراه جاثيا على ركبتيه بملامح اذلال يتمسح
بقبلاته على ركبتي امه التي تجلس على
حافة السرير المزدوج ..

ثورة غضب رهيب اندلعت في جسده وبخشونة
ابعد الغطاء عنه مغادرا السرير دون حتى ان
ترف عيناه ناحية سهر التي تنعم باسمة
بنومها وما زالت ازهارها الوردية متشبثة بخصل
شعرها المشعث ..

نهاية الاسبوع

مساء في المطعم..

سارحا وهو يدخن سيجارته ...

سارحا تسكنه هواجس لاحصر لها ...

منذ ايام وغالية تعمل مع المحامي ..

فقط بضعة ايام اعادت الاشراق لوجهها من
جديد وكأنها ابنة الخامسة عشرة ...

بضعة ايام مع الغرباء فعل بها ما لم يستطع
فعله هو !

هل يغار ؟ ام انه ... خائف ؟

ربما الاثنان معا ..



ربما هو لايطيق تلك المسافة التي تحددت طبيعيا بينهما ...

تبدو بعيدة جدا لاهية عنه وعما يعانيه ..

يوصلها عصرا للمكتب ويعود لاخذها بعد المغرب ليعيدها للبيت ولا كلام لها الا عن الناس الغرباء الذين تلتقي بهم وتتفاعل معهم...

وهو يكتفي بابداء فرحه لاجل سعادتها ..

لكنه يتوجع .. يتوجع وهو يمنحها هذا التباعد الذي تحتاجه ..

انه يريد الاقتراب ...

متى سيأتي الوقت ليقترب ...

انها لاهية .. لاهية عنه وحتى عن امه ولولو ..

كأنها تريد التحرر من الجميع ..

تريد الطيران والتحليق بعيدا ...

كأنها .. ترفضهم !

يا الهي .. كم هو موجع شعور الرفض هذا..

اطفأ السيجارة بعنف عندما سمع صوتا ساحرا مميزا يقول

" أتنتقم من عقب سيجارة مسكينة ؟"

رفع رافد رأسه لاطلالة بهية من حمراء الشعر الفاتنة ..

تمتم بهدوء " مساء الخير هاجر .."





ابتسمت وهي تسحب كرسيا لتجلس جواره

وتضع ساقا فوق ساق بانوثة تفيض جاذبية

لتقول بمرح وهي تدلك ساقيها

" مررت لاتناول العشاء هنا بعد يوم متعب جدا

في العمل .."

تباعدت نظراته عن ساقيها لينظر في عينيها

ويقول بابتسامة هادئة

" لو كنت مكانك لما كان افضل من البيت

لاخذ حماما ساخنا واتناول عشائي في السرير

لاغفو ونا ما زلت امضغ اخر لقمة ! "

ضحكت ضحكتها المميزة فبدت له اجمل

من اي وقت مضى ثم قالت بلمعة عينيها

الجريئتين

" الوصف يبدو مغريا .. لكن حقيقة انا

مرهقة نفسيا اكثر منه جسدي "

سأل بخفة

" لماذا ؟ هل يضايقك مديرك مرة اخرى ؟

اليس هو من حدثتني مرة عنه ؟ "

ردت وهي تهز كتفيها

" انه هو نفسه لكنه ليس مديري تماما ..

فرقد مسؤول عن التنسيق والتنظيم للقسم

الذي اعمل فيه .. لكنه بات مزعجا ويفرض

اراءه علي باحجاف "

ثم ابتسمت بطريقة شقية ذكرته بابنة

عمها سهر قبل ان تقول " هذا جزاء كل فتاة

تقول لا لطلب زواج مما يترأس عملها "



ارتفع حاجبا رافد وهو يتساءل بصوت أجش

" هل طلبك للزواج ؟"

توهجت عيناها فبدتا كالعسل الذائب لتهز

رأسها ببشاشة محببة وهي تقول

" أجل ... لكنه لايفهم معنى اني لاارى توافقا

بيننا ..."

اسبل رافد اهدابه وتنهد في سره ...

هذه الفتاة لاتفهم !

وربما هي تفهم لكنها لاتيأس ..

يعترف انه يتأثر من اصرارها ..

كما يعترف انه لايردها بشكل جدي لتفقد

الامل نهائيا ...

هل هو اناني لهذه الدرجة ليأخذ من اهتمامها

به بعضا مما يحتاجه ليسد رمق جوعه

كرجل..؟

اجل انه يحتاج ...

يحتاج ان يشعر انه مرغوب ..

يحتاج ان يشعر انه انسان من لحم ودم ..

كم سنة مضت عليه وهو غارق في محنته..

والآن محنته باتت اصعب واكثر ارهاقا ولا

مخدر لها على الاطلاق ...

حقا بات الامر لايطاق مع كل الوحدة التي

يعيشها هذه الايام تحديدا ...

يشعر انه اصبح مملا باهتا ويفقد روحه ..







تنهد هذه المرة بصوت مسموع دون ان يشعر فقالت هاجر بعذوبة

" شاركني ما يضايقك كما اشاركك ما يضايقني .. ألسنا اصدقاء ؟ "

رفع نظراته اليها يتملى بتلك الدعوة في عينيها فيرف قلبه لتلك الدعوة ..

نفض رأسه بقوة ليقول بحشرجة

" هل ما زال والدك مسافرا ؟"

للحظات صمتت ثم قالت بصوت حيادي

" الاصح ان تسأل (هل ما زال والدك في الوطن؟) لان ذاك البلد غدا وطنه الآن .. وهو سعيد مع زوجته ولايحب ان يفارقها .."

سألها " الا تشعرين بالراحة معها ؟"

ردت وهي تمط شفتيها الجميلتين " المرأة عادية جدا معي .. لكني فقط لااشعر ان البيت بيتي .. اشعر اني مجرد ضيفة يجب ان تعلم متى تغادر ولاتثقل على اهل البيت .."

التقط رافد سيجارة اخرى ليشعلها وهو يردد بشرود

" غريبة وسط الاهل .. استطيع تفهم شعورك ورغبتك بالبقاء وحيدة هنا .. على الاقل تشعرين انك في بيتك .."

عندها قالت بصوت غريب مؤثر مفعم بعاطفة صادقة



" انا لم اعد اطيق وحدتي رافد .. احتاج لمن

يشاركني حياتي .. احتاج لمن يملأها بهجة ..

يملأها بالضحكات والمشاعر الدافئة التي

افتقدها ..."

تصاعد الدخان بين وجهيهما وهما يتطلعان

لبعض ودون ان يشعر عيناه تعلقتا بتلك

الشفتيتن الحمراوين .. المرتعشتين ..!



الفصل الثاني والعشرون

" انا لم اعد اطيق وحدتي رافد .. احتاج لمن يشاركني حياتي .. احتاج لمن يملأها بهجة .. يملأها بالضحكات والمشاعر الدافئة التي افتقدها.."

تصاعد الدخان بين وجهيهما وهما يتطلعان لبعض ودون ان يشعر عيناه تعلقتا بتلك الشفتيتن الحمراوين .. المرتعشتين ..!

للحظات طالت ما زالت عيناه معلقتين بهما..

اخيرا همس بصوت رجولي أجش

" اسألي خبير ..."

نفس ناعم خرج من بين تلك الشفتين كتنهيدة انثى تفيض اغراء لرجل جائع !

رفع عينيه لعينيها العسليتين الذائبتين بمشاعر مفضوحة فأوجعه قلبه لأجلها ولأجله و.. لأجل غالية !

تمتم بابتسامة تثير الشجن

" لاتبحثي عن بيت في بلد فائض بسكانه .. فتسشعرين بالغربة اكثر عندما لاتجدين في ذاك البلد حتى موطئ قدم ! "

ثم فاضت عيناه بلمعة متوهجة كشعلة من روحه وهو يقول بصوت يفيض جاذبية

" لكل منا وطن واحد يا غالية ننتمي اليه "





اتسعت عينا هاجر صدمة .. وكأنها ارتطمت بحائط فجأة بينما كانت تسير بين السحاب !

تمتمت ببصوت متحشرج " غالية ؟!"

الصدمة انتقلت للحظة لعيني رافد قبل ان يتمالك نفسه ويسبل اهدابه فيقول بهمس

" عذرا ... اقصد .. هاجر .."

ابتلعت ريقها وهي تقول بجزع " لكن رافد ..."

قاطع جملتها وهو يقف على قدميه يلتقط هاتفه ومحفظته وهو يقول بنبرة مرح

" تناولي العشاء على حسابي الليلة .."

رفعت عينيها اليه تسأله بتشوش

" ألن تشاركني ؟"

فيحدق في تلك العينين ويرد بهدوء بارد جعلها تشعر بالاستيحاش

" لديّ شريكتي التي تتنظرني لاخذها من عملها واتناول العشاء معها .."

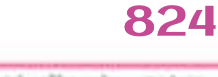
لو كان صفعها لما نجح اكثر في ايقاظها من الحالة الحميمية التي غرقت فيها معه ..

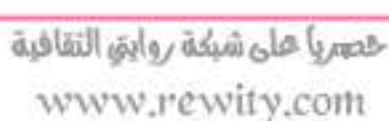
التقط مفتاح سيارته اخيرا وهو يردد بنبرة غريبة " وداعا ..."

تحرك بخطوات متراخية بينما تعبس هاجر وهي ترد باصرار

" الى اللقاء .... الى اللقاء رافد "







(" صفر من السنين ... وصفر من الايام ...ومن الساعات .. وحتى من اللحظات ... صفر صفر صفر ...")

(بعد الصفر يأتي واحد..)

غارقة في افكارها ...

لاتفتأ تعيد كلماته قبل اسبوع في رأسها ...

لاتفتأ تنازع بين شعوري الألم والغضب ..

تتساءل في سرها بقلب موجوع

هل تبحث عن (واحدك) الآن يا رافد ؟!

هل سأخسرك انت ايضا ؟

اغضمت عينيها شاردة عن نظرات رفيقتها لها ..

حدقت بها الدكتورة فريدة بتمعن تدرس بحكم مهنتها كاخصائية نفسية اختلاجاتها الصامتة ....الصارخة..!

منذ ايام وهذه الفتاة تثير تساؤلاتها وفضولها خاصة وهي تراها تتقرب منها بخطوات خجول مترددة ...

واليوم فاجأتها وهي تدعوها بابتسامة مبتورة لتشاركها طعام العشاء في المطعم الذي يملكه .. زوجها !

وتحت كلمة (زوجها) ثلاث خطوط من التوتر والتردد والارتباك !



لم تمانع الذهاب معها ربما بدافع ذاك الفضول وربما لانها لاتفضل العودة للبيت وحيدة وزوجها الحبيب مسافر لثلاثة ايام ليحضر مؤتمرا طبيا في بلد اجنبي ..

بابتسامة داخلية شقية تخيلت شاكر وكيف سيغضب منها لانها اندفعت للذهاب مع شابة غريبة لمكان غير معلوم ...

شاكر الحبيب .. لازال يخاف عليها ويحاسبها كأنها ما زالت الشابة الغرة التي عرفها ..

مضى عشرون عاما على زواجهما وهو يراها دوما الفتاة المتهورة التي ترجف قلبه عليها ..

وبما انها شقية اليوم وتعيش مغامرتها الصغيرة مع هذه الفتاة التائهة قررت ان تتهور اكثر وتدخن سيجارتها اليتيمة التي تخفيها منذ اسابيع عن شاكر ...

لقد تكفل بانهاء ادمانها لشرب السجائر لكن سيجارة واحدة لن تضر ... فقط واحدة تساير بها مزاجها الليلة .. وربما تسترضي سجائرها المسكينة المهجورة وتعقد معها جلسة وداع اخير لاجل الايام الخوالي والعشرة الطويلة والصحبة التي خففت عنها الكثير من التوتر في العمل !

وهل هناك ما يسبب التوتر اكثر من الاستماع لاعقد تفاصيل النفس البشرية ؟!



اشعلت فريدة سيجارتها بهدوء وهي تتطلع عبر الشباك الجانبي حيث الطاولة الصغيرة التي تتشاركها مع غالية ...

مقهى صغير كان من اختيارها ..

مقهى كان وجهتهما الثانية ...

فالوجهة الاولى كانت بالطبع مطعم زوج غالية وقد وصلتاه فعلا وترجلتا من السيارة لتدخلا المطعم .. لكن .. وعند البوابة تحديدا حدث ما جعل غالية تتسمر في مكانها بجمود غريب ...

تطاولت فريدة بقامتها يغلبها فضولها لتنظر من فوق رأس غالية حيث اتجاه نظرات الفتاة المتجمدة لترى ان تلك النظرات خصتا رجلا يقارب الشقرة وامرأة جميلة صهباء .. يتحدثان بتقارب واضح وبديا منشغلين ببعض على نحو ما ...

بخبرتها في لغة الجسد تستطيع ان تقول ان هناك شحنات واضحة بين الاثنين لكن تلك الشحنات بدت لها مشوشة ايضا وان كانت الصهباء اكثر وضوحا في رغبة التقارب ...

ارادت فريدة ان ترضي فضولها اكثر لكن غالية تمتمت بتشنج يفيض بالغضب المكبوت

" عفوا دكتورة فريدة ... دعينا نغادر لمقهى اخر ..."



وقبل ان تنتظر ردا من فريدة كانت قد غالية استدارت لتتعثر خطواتها وهي تغادر بينما رجل قارب الخمسين يناديها

" سيدة غالية .. سيدة غالية .. السيد رافد في الداخل ..."

لكن غالية لم تأبه لندائه بينما فريدة تلحق بها وتشعر بمزيد من التحفز والاهتمام لمعرفة ما يحدث مع هذه الشابة ...

اطلقت فريدة الدخان باسترخاء عبر شفتيها بينما تقول لتلك الصامتة الصارخة

" هل تشعرين ببعض التحسن ؟"

اجفلت الفتاة وكأنها نسيت وجود الدكتورة معها بينما فريدة تمعن فيها النظر تحاول ايجاد مدخل مناسب لتكلمها ...

وفجأة ارتفع رنين هاتف غالية مع ارتجاج قوي للجهاز ولغالية نفسها !

عقدت فريدة حاجبيها وهي ترى غالية تحدق بجمود بشاشة هاتفها ..

بدت وكأنها ترسل بنظراتها الكثير من اللوم والقهر لصاحب الاسم الذي يتوهج على تلك الشاشة الصغيرة ...

ثم تصلبت ملامحها لترفض المكالمة بضغطة زر وتفتح صفحة لكتابة رسالة نصية وحالما انهتها ارسلتها ثم اطفأت الجهاز بالكامل



واخيرا اغمضت عينيها وهي تتراجع بجذعها للخلف مستندة على ظهر كرسيها ..

اخذت فريدة نفسا آخر من سيجارتها وهي تمعن النظر في الشابة تحاول تقدير عمرها ..

تبدو في العشرينات .. ربما اوائل العشرينات او اوسطها .. جميلة ليس على نحو مميز .. لكنها جميلة .. مرتبكة ..قليلة الثقة .. لكن واضح انها تعافر وقد اعجبها ان ترى تغيرها وان كان طفيفا خلال الايام الماضية ...

رأتها للمرة الاولى بصحبة الاستاذ المحامي الذي يقع مكتبه في نفس الطابق حيث عيادتها الخاصة للاستشارات النفسية وقد عرفهما المحامي على بعض على انها مساعدته الجديدة ولوقت مستقطع من اليوم ..

لم تفت فريدة تلك النظرة في عيني الفتاة عندما علمت انها طبيبة نفسية ..

لكن فريدة ادعت عدم الانتباه وتكلمت معها ببشاشة ..

التقتها اكثر من مرة بعدها وفي كل مرة ترى في عينيها نفس النظرة الملحة التي قابلتها فريدة بالتجاهل وسايرتها باسلوب التعارف اللطيف ...

من يحتاج لعلاج نفسي يجب ان يقرره بنفسه لايتركه للاخرين يقررونه نيابة عنه ..

على الاقل يجب ان يخطو الخطوة الاولى ..



وقد حدث .. وكانت خطوة غالية الاولى اليوم عندما دعتها للعشاء ...

بحسرة نظرت فريدة لسيجارتها المنتهية فودعتها وهي تدعكها في المطفئة الزجاجية امامها بينما تعيد تركيزها للفتاة وهي تقول بلطف مهني

" هل هدأت قليلا ؟ أيمكننا الحديث الآن ؟ "

رمشت غالية لتفتح عينيها وتطل نظرات الاحراج منهما لتتمتم وهي تستعدل بجلستها

" انا .. آسفة .. آسفة حقا ..."

تبسمت فريدة في وجه الفتاة لتقول ببشاشة

" لاتأسفي عزيزتي ..."

لكن غالية ابدت مزيدا من الحرج وهي تنظر لوجه المرأة الاكبر سنا وتقول

" دكتورة فريدة ... انا آسفة لاني جعلتك تتنقلين معي بسيارتك هنا وهناك .."

غمزتها فريدة وهي ترد عليها

" سأقبل اعتذراك بشرط .."

لاح التساؤل الطفيف على ملامح غالية قبل ان تتحول ملامح فريدة للجدية التامة وهي تضيف " ان تخبريني لماذا دعوتني بالاساس لمطعم زوجك هذا المساء ؟"

توردت وجنتا غالية وهي ترد بتلكؤ

" انا .. انا ... أحببت ان نكون صديقتين .."





تبسمت فريدة وهي تسأل بهدوء

" كم عمرك غالية ؟"

ردت غالية بارتباك

" انا... في الخامسة ... والعشرين .."

فرفعت فريدة حاجبيها قليلا وكأنها ستقول فكاهة لتعبر بالقول الثابت النبرات

" وانا في الثانية والاربعون .. "

الدهشة تسللت لملامح غالية وهي تقول

" تبدين اصغر سنا ..."

اتسعت ابتسامة رضا على وجه فريدة وهي تقول

" هذا بفضل رمي الهموم خلف ظهري والأكل الصحي ورياضة المشي الصباحي و... الامتناع عن التدخين .. احم ... مؤخرا فقط ..."

عفويا عينا غالية تحركتا نحو السيجارة المطفأة لتبرر فريدة بطفولية محببة

" كانت سيجارة وداعية اقسم لك ..."

رغما عنها ابتسمت غالية بينما تسترخي فريدة لاستجابتها وتقول بنبرة واثقة

" هلا اخبرتني الآن .."

تمتمت غالية

" بماذا ؟ "



اقتربت فريدة بجذعها للامام تستند بكوعيها على المائدة التي تفصل بينها وبين غالية لتحدق في عيني الشابة بعمق قبل ان تقول بمواجهة مفاجئة مباغتة

" اخبريني لماذا اردتِ ادخالي لدائرتك الشخصية غالية .. محيط زوجك تحديدا .."

بدى على ملامح غالية انها ستسارع للانكار عندما عاجلتها فريدة بحزم قائلة

" ولا تقولي الامر طبيعي ان ادعوك هناك على اعتبار انه مطعم زوجك .. أما انا فاسبابي كثيرة لأسألك هذا السؤال .. أوضحها انك كنت شديدة التوتر حين وصلنا المطعم وكأنك بانتظار ردة فعلي الاولى على ما سأراه... وكأنك كنت تنتظرين مني تحليلا مفصلا للمكان بكل شخوصه ... انت اردتني معك غالية .. لأرى واسمع ... وربما اصدم ..."

غامت عينا غالية ليتلبس محياها الألم وهي تقول " لأصدم انا بما رأيته ؟"

ما زالت فريدة تمعن فيها النظر تقرؤها ..

تقرأ ما لاينطقه لسانها ...

فتسألها " هل زوجك من كان مع الصهباء ؟"

اجفلت غالية لكنها ردت من بين اسنانها

" نعم ..."

ألقت فريدة سؤالا اخر

" هل تعرفينها ؟"



انعصرت ملامح غالية وهي ترد بغصة

" رأيتها سابقا ... في حفل عرس ...تكلمه .."

تراجعت فريدة بظهرها للخلف تستقر في كرسيها بثبات قبل ان تسأل بوضوح

" غالية .. هل تحتاجين مساعدتي كاخصائية نفسية؟ "

ارتبكت نظرات غالية لتحيد بها بعيدا عن فريدة وتقول بتوهان وحيرة

" لا .. لااعلم .. صدقا لااعلم .. ربما حقا احتاج .. فأنا ليس لدي من ينصحني واشعر بالتيه .."

ثم عادت نظراتها لتستقر فجأة على فريدة وتسألها

" هل ترينني بحاجة حقا لاستشارة نفسية ؟"

مدت فريدة يدها لمطفئة السجائر تتلاعب بها بشرود لكن ذهنها متيقظ بالكامل ومحدد في اهتمامه بهذه الشابة ..

ابتسامة لطيفة رسمت شفتي فريدة لتقول

" حسن .. دعينا نتكلم كصديقتين اولا .. سأحكي لك عن نفسي واحكي لي انت بعدها عن نفسك .."

صمتت غالية وكأنها بانتظار مبادرتها لتقول فريدة وهي تعود لبشاشتها





" مهنتي .. اخصائية نفسية كما تعلمين ..
تزوجت الدكتور شاكر الدهان منذ عشرين
عاما .. انه طبيب عظام وكسور "

ابتسمت غالية عفويا فأكملت فريدة

" لدي ولدان حبيبان ، البكر في التاسعة
عشرة عشرة والاخر الشقي في الثامنة عشرة ..
الاثنان يدرسان في انكلترا الطب البشري "

بدأت غالية تسترخي مع نبرات صوت فريدة
الملفته لتكمل فريدة سرد ملخص حياتها
بالقول

" امممممممم .. ماذا بعد ؟ زوجي يكبرني
بست سنوات وقد تزوجنا زواجا تقليديا .. على
الاقل هذا ما يبدو في الظاهر لكن الواقع اني

كنت اعشقه سرا وتلاعبت قليلا حتى دفعته
لخطبتي .."

هذه المرة بدت ابتسامة غالية مميزة في
عيني فريدة .. رأتها ابتسامة شقية !

ابتسامة مختلفة بل مناقضة لما رأته من الفتاة
حتى اللحظة من التوتر والتيه والضعف
والغضب ...

اكملت فريدة بفخر انثوي

" كان من اقارب والدي .. طبيب طموح ..
اعجبت به ولفت انتباهه بشقاوتي فرضخ للامر
وطلبني للزواج .. ثم تزوجته خلال اشهر
ليبتلي بي وبمشاكساتي وتهوري .."

تمتمت غالية بنفس الابتسامة

" في طفولتي كنت شقية ومتهورة ايضا ..."

ضحكت فريدة بخفة وهي تقول

" رائع ان نبتدأ صداقتنا بالتشارك في اسوأ الصفات التي يراها فيّ زوجي .. عجز عن تغييري على مدى السنوات .."

نظرات عيني غالية تغيرت وابتسامتها تراجعت لكن فريدة لم تتراجع لتسأل بنبرة قاطعة لاتقبل الرفض

" الآن دورك ... كيف تعرفتِ بزوجك .."

عادت غالية لحالة التوتر .. بل داهمت ملامحها كل المشاعر المتناقضة ...

رددت بتصلب متعثر " انه ... ابن خالتي .. ويكبرني بـ.. ست سنوات "

هتفت فريدة باستمتاع ظاهري في محاولة لجعل غالية تسترخي

" مثلي انا ! رابط رائع آخر نشترك به "

تشابكت يدا غالية فوق الطاولة بتوتر شديد فتبادر فريدة لالقاء سؤال بدى في ظاهره ودودا وطبيعيا

" هل لديكما اولاد ؟"

ردت غالية وهي تحني رأسها قليلا

" لدي ابنة .. عمرها عامان .."





عادت فريدة لتسأل وهي تلتزم بنفس النبرة

" رائع ... متى تزوجتما ؟"

بلغ توتر غالية اشده وابيضت مفاصل يديها المتشابكتين لتهمس اخيرا بنبرة مريعة

" قبل ... قبل اسبوع ..."

رمشت فريدة قبل ان تعبر بعفوية

" آآآآآآ..... اذن هو زوجك الثاني ؟"

كلمة واحدة ردت بها غالية

" نعم .."

هذه الفتاة فيها شيء غريب يجذبها ..

تبدو في قمة الخذلان ... في قمة الضعف ... في قمة الغضب ... في قمة السلبية ..

كل هذا يبدو في عيني فريدة مجرد قشرة !

قشرة صلدة يخفي حقيقة الفتاة ... عمقها .. روحها ... يخفيه حتى عن الفتاة نفسها فتبدو تائهة في معرفة من تكون حقا !

اخيرا سألت فريدة

" وماذا عن زوجك الاول ؟ طلاق او..؟"

تقطع صوت غالية وهي تهمس " ط...طلا..ق.."

أشفقت عليها من كل هذا الانكسار الذي يقتات على انوثتها ..

كم هو موجع الطلاق في مجتمعاتنا العربية البليدة المتحجرة ..






انه الضربة القاصمة التي تحطم النساء وتغير حياتهن الى الابد ...

سألتها برقة " هل احببته ؟"

فترد غالية شاهقة ببكاء مكتوم

" منذ ... طفولتي .. "

باهتمام سألت فريدة مخمنة

" هو قريبك ام ربما ابن الجيران ؟"

عندها التقطت توترا آخر وهي تسمع رد غالية

" انه .. ابن خالتي "

عبست فريدة وهي تتساءل

" وزوجك الحالي ابن خالتك ايضا ؟"

فاجأتها غالية وهي ترفع وجهها بحركة حادة وعيناها تبرقان بشكل مذهل لتقول بنبرة منفعلة هادرة

" انه ... اخوه .. اخوه الاكبر .. تزوجته بعد ايام من انقضاء عدتي ! "

للحظات ظلت المرأتان تحدقان ببعض ...

غالية بنفس الانفعال الرهيب وفريدة بعينين متسعتين من انفعال آخر مهني بحت !

تمتمت فريدة وهي ما زالت تعيش نفس الانفعال

" كم تمنيت لو اخفيت سيجارة اخرى عن شاكر ! "







لتفاجئها غالية باطلاق ضحكات متوترة

والدموع تسيل على خديها ...

اشارت فريدة لنادل قريب وحالما وقف جوارها

قالت له على عجل

" قهوة داكنة لو سمحت .. "

ثم التفتت لغالية التي كانت تمسح اثار

الدموع التي سالت دون بكاء فتسألها

" هل تريدين شيئا ؟"

لتهز غالية رأسها بـ(لا) بينما يبتعد النادل

وفريدة تسأل وحواسها كلها في حالة تأهب

" حسن ... احكي لي من البداية .. انا اجيد

الاستماع .. مهنتي هي الاستماع يا صديقة .."

في الطائرة تجلس سهر عاقدة الحاجبين

متعكرة المزاج تحدق في زوجها المغلق !

تحدق في استرخائه وهو يغمض عينيه ويرخي

رأسه للخلف ..

فقط لو تعرف ماذا جرى له منذ تلك الليلة

التي قضياها في جزيرة الاميرات ...

في اليوم التالي بدى هادئا باردا متباعدا ليظل

هكذا حتى نهاية اسبوع العسل ..

حاولت جهدها اختراق دروعه الصلدة لكنها

لم تحقق نجاحا يذكر ..

يلامسها .. يقترب منها ... حتى يتشممها لكن

بصمت ..

تفتقد صخبه العاطفي .. تفتقده جدا ..





هذا لايعني انه لم يتقرب منها على نحوحميمي ..

بل كان ينتظر الظلام خصيصا ليتكلم لغة الحب الوحيدة التي يتقن التحدث بها لكن بطريقة مقيدة مختلفة عما سبق ...وكأنه بات يمنع نفسه عنها ... او يحجب ذاته عن الانغماس في أتون العاطفة !

بقهر انثوي داخلي وعزيمة لاتلين مدت يدها لتمسك كفه المستكين على مسند الكرسي الفضي .. تتشبث بذلك الكف المتصلب كصاحبه ثم ترخي رأسها هي الاخرى مغمضة عينيها تفكر بالقادم من حياتها معه ...

لم تشعر الا بصوته الهامس بنبرات خشنة تحبها قرب اذنها

" استيقظي .. انه يوزعون الطعام على الركاب .. سيصلون لنا قريبا .."

فتحت عينيها ببطء فتحدق بوجهه القريب ذو التعابير المحكمة الاغلاق فترد عليه بنبرة نعاس

" امممممممم لا اريد .. احتاج لمزيد من النوم .."

تعود لاغماض عينيها عن تعمد مشاكس فتزداد نبراته خشونة قائلا من بين اسنانه

" ستجوعين ويصيبك الغثيان .. كفي عن التدلل ..."



ابتسمت وهي ما زالت تغمض عينيها لتقول بميوعة

" انت اطعمني وانا نائمة هكذا .. اعدك ان افتح فمي للمسة اصابعك .."

تحركت اصابعها تتلمسان طريقها حتى وجدت يده فتلامس ظاهر تلك اليد تغيظه بتأثيرها عليه وهي تهمس ضاحكة

" بما انك تجيد الافعال اكثر من الاقوال .. "

ثم تتنهد وهي تضيف

" واقعا انت لاتملك اي اقوال تذكر لك تحت بند (الاجادة) من قبلك .."

ما زالت تلامس ظاهر كفه لكنها توترت من صمته الذي طال ففتحت عينيها اخيرا لتفاجأ به يحدق فيها بنظرة غريبة ..

سألته بحيرة وهي تحدق في عينيه الداكنتين

" لماذا تنظر لي هكذا ؟ ما الذي يدور في عقلك الداكن المظلم كدكنة عينيك اللتين احبهما .."

اسبل اهدابة وابتسامة صغيرة تراقصت على شفتيه وهو يعلق ساخرا

" يا له من تعبير انثوي .. (تحبين عينيّ) .. تشعرني وكأني دميتك المفضلة ! "



ضحكت ضحكة رقيقة وهي ترد عليه بمشاكسة

" صدقني لن يعجبك ان اقارنك بدمياتي الحبيبات التي ما زلت احتفظ بهن لاجل ابنتنا.."

شعت عيناه بلهيب متأجج وهو يرفع يده ليمسك ذقنها بخشونة يعتصره وهو يهمس بصوت مبحوح

" كم تجيدين التلاعب لكن اياك والظن اني غافل لحظة عن محاولاتك المستمرة لاختراقي باساليبك الانثوية الماكرة "

ابتسمت له بتحد وهي ترد عليه

" لماذا لاتسترخي يا داكن العينين ؟ الحياة لاتستحق منك كل هذا التشنج والتحفز والتأهب لرفع المدافع الذكورية بتهديد شرس في وجهي .."

تراخت اصابعه قليلا عن ذقنها الناعم فيلامس ذلك الذقن برقة ثم يبتسم لعينيها ويستدير ليكلم مضيفة الطائرة بلغة تركية طليقة تحسده عليه وتثير غيظها في نفس الوقت ...

لاتحب ان يكون على ألفة مع انثى لاتجيد هي لغتها ..

اول عمل ستفعله عندما تصل الوطن ..

تعلم اللغة التركية ..





كانت غاليۃ قد تراجعت عن الامتناع عن
شرب شيء ومذاق القهوة الحلوة جعلتها تشعر
باسترخاء غريب وهي ترتشفها بتمهل ...

بعد سلسلۃ انفجارات معقدة صبت ما في قلبها
صبا امام فريدة وجدت نفسها منهكۃ وبذهن
مخدر مشوش ولم تتنبه ان فريدة طلبت لها
قهوة حلوة الا عندما وضعها النادل امامها ...

وباستسلام اخذت ترتشف منها وتستعيد
احساسا غريبا بالصفاء ...

تعب جسدي مريح بشكل عجائبي وكأنه
يسري كالمخدر في اوصالها ...

تمتمت غاليۃ في سرها وهي تأخذ رشفۃ
جديدة " مذاق القهوة رائع "

رفعت عينيها عن القهوة لتواجه نظرات
الدكتورة فريدة الهادئۃ المسترخيۃ فتتورد
قليلا قبل ان تقول لها على استحياء

" شكرا دكتورة فريدة لاستماعك الي ،
اشعر بالحرج منك ان اخذت من ساعات
راحتك من عملك .."

ردت فريدة بملامح لطيفۃ مستمتعۃ

" لا داعي للاعتذار عزيزتي .. انا احب
الاستماع للاخرين .. واحب ان تكون لي
صداقات جديدة ..."

وبنبرة جديّۃ دون ان تفقد ملامحها تعابيرها
اضافت فريدة " اذا كنت تحبين زيارتي في
عيادتي لنتكلم اكثر فلا مانع لدي .."



تمتمت غاليۃ وهي تضع فنجانها على الصحن الصغير " اجل ... شكرا لك ..."

أشارت فريدة برأسها ناحيۃ هاتف غاليۃ الملقى على المائدة لتقول

" اتصلي به .. مؤكد هو قلق عليك الان .."

ثم وقفت بهمۃ ونشاط على قدميها لتلملم حاجياتها وهي تضيف بسلاسۃ "

انا سأرحل الآن حتى يأتي ويقلك بنفسه ..."

اعادت كرسيها لمكانه عندما سألتها غاليۃ بتردد " هل اسأله ؟"

رفعت فريدة حاجبا واحدا وهي تقول بفطنۃ

" عن حمراء الشعر الفاتنۃ تلك ؟ انت من ستحددين .. فكري غاليۃ واتخذي قرارك الانسب الذي يصب بمصلحتك .."

غادرت فريدة بينما تلتقط غاليۃ هاتفها تحدق بشاشته المطفأة قبل ان تأخذ نفسا عميقا لتفتحه ....

شهقت من عدد المكالمات والرسائل الواردة وقبل ان تفتح الرسائل رن هاتفها مجفلا اياها بقوة ...

سيطرت على ارتعاشها بينما تفتح الخط بشجاعۃ لتواجه ثورة عارمۃ من الجهۃ الاخرى ..



" اقسم بالله ساخنقك بيدي هاتين غالية ..
سأحبسك في غرفتك ولاتغادريها ابدا ..
سأمنع عنك الاكل والشرب حتى تتوسلين
الصفح مني .. "

خنقتها غصة لدفء ماض قديم ..

عندما كانت ترتكب الشقاوات فيغضب منها
ويعاقبها بالتهديدات المفرطة التي لاينفذ
منها شيئا !

تمتمت اسمه بهمس " رافد ..."

فيعاود هديره المتفجر

" اذن انت بألف خير وتردين وتنطقين ...
تجيدين فقط كتابة الرسائل المستفزة
الغامضة ... (انا مع صديقة ولااريد العودة
للبيت الآن .. سأغلق هاتفي ..) هل جننت
لتفعلي بي هذا ؟!!! الا تفكرين بشيء غير
نفسك ؟ الا تشعرين بما تسببينه من أذى
لغيرك ؟"

تنهدت بعمق فسمعت صوتا وكأنه ضرب شيئا
ما قبل ان يقول بهمس غاضب

" توقفي عن اضعافي هكذا .. "

ردت بحشرجة مرهقة

" انا في مقهى (...) تعال وخذني ارجوك .. انا
مرهقة جدا .."

اخذ يشتم ويشتم قبل ان يغلق الهاتف ...



تمتمت جودا عبر الهاتف ونفسها يضيق في صدرها

" انت غاضب ... جدا ! "

جاء صوته باردا فيزيد اختناقها

" لماذا اتصلتِ مرة اخرى جودا ؟ ألم تصرخي في وجهي انك لم تخطئي بشيء ؟ "

عاودتها موجة غضب رعناء فتدفق الكلمات من فمها دون رادع او عقل يحكمها العند والتشبث بما لاتستطيع افلات اعتناقه

" نعم ... انا لم افعل شيئا خاطئا ... اعطيته رقم هاتفي ليرسل لي روابط كتب ومراجع مهمة ... قلت لك انا احتاج للمساعدة ... وانت منعتني الذهاب اليه ليشرح لي ما يستعصي علي وهو كان متفاجئا من امتناعي عن الذهاب اليه لكنه لم يبخل علي .. فقط اخذ رقم هاتفي ليرسل تلك الروابط .. لم يحاول حتى ان يكلمني بشكل شخصي .."

كان قلبها ينبض بقوة وموجات الرعونة الهوجاء تنحسر لتتركها فريسة لموجات الندم التي لاترحم ...

جاء صوته حادا خافتا ارعبها على نحو غريب وهو يقول " اغلقي الهاتف جودا لانك سترين مني وجها لم تريه قبلا..."

توجع قلبها فنادت بألم مبهم في اسبابه لكنه استجلب الدموع لعينيها " سعد..."



بدى وكأنه يوشك على الصراخ بينما يقول لها

" قلت لك اتركيني الآن .. لااريد الكلام معك حتى لااقول شيئا اندم عليه لاحقا.."

أصرت باكية

" لكني لم اخطئ..! "

فهدر بها " بل اخطأتِ.."

علا نحيبها فيطلق نفسا هادرا قبل ان يواجهها بنبرة فاضت بخيبة امل قهرتها

" لو كنتِ تملكين ادنى احترام وتقدير لي يا جودا لكنتِ اهتممتِ بما يضايقني كما اهتم انا بكل صغيرة وكبيرة تخصك..."

تتعذب من كلماته ولاتستطيع ان تجاريه لتعبر عما تشعر به ... انها حتى لاتعرف ان تصف لنفسها ما تشعره نحو سعد ...

كل ما تعرفه انه يسكن احلامها الطفولية ليلا .. احلاما لم تراودها حتى في طفولتها ...

احلام بقوس قزح وسعد يمسك بيدها يبتسم نفس الابتسامة التي يستقبلها بها صباحا عندما يقلها للجامعة ...

ابتسامة منه تشق صدرها وتجعل خفقات قلبها تصل عنان السماء ...

تحلم به يضمها اليه .. على صدره وبين ذراعيه فتشعر ان ذلك الصدر العضلي اوسع من حقل لايصل حدوده البصر ...



تحلم به وهو يداعبها بخديه ليمسح اثار السخام على خديها ...

كلها احلام به وحوله .. لاتكف عن تلك الاحلام المتشابكة وكأنها كانت جائعة .. جائعة لاحلام لاتنتهي وجدتها مجسدة به ...

جاء صوته متوترا هذه المرة

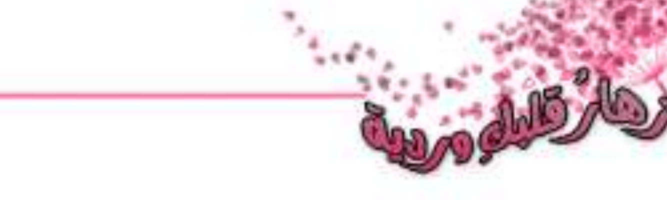
" انا لم احب ذاك الرجل .. لم احب نظراته اليك .. على الاقل احترميني جودا وتصرفي كفتاة بالغة بدلا من طفوليتك الرعناء.. ام انك تحبين البقاء بدور طفلة عنيدة لاتريد ان تكبر ابدا .. لاتريد التوقف عن ايذاء من يحبونها ..."

سالت دموعها وهي تتوسل اسمه " سعد..."

لم يستجب لمحاولتها ليهدر فيها

" هل تذكرين عندما اتيتني تحت المطر تطلبين مني ردعك لاجل اخيك حتى لاتتسببي له بالكوارث ؟ انا الآن اردعك لاجل نفسك .. افيقي جودا .. حاولي ان تُنضجي من رؤيتك للخير والشر .. العالم لايظهر جماله دوما بالالوان البراقة فاحيانا تجدين جمالا نادرا في طفل متسخ فقير يجوب الشوارع طيلة النهار كبائع متنقل كما ان هذا العالم يملك بشاعة لايتبرع باظهار قبحها لك رأي العين حتى تقتنعي ..."

لاتعلم لماذا لاتستطيع رؤية الاستاذ طارق بهذا القبح الذي يعنيه !



لاتعلم لم تراه حانيا لطيفا لايبغي الا ان يساعدها ....

تمتمت دون وعيها

" انه رجل طيب .. لماذا لاتصدق هذا ..؟ حقا هو رجل طيب ولم يفعل شيئا ..."

لاول مرة تسمع سعد يشتم فاتسعت عيناها ارتباكا ثم فجأة قال لها بنبرة تفيض غضبا مهولا

" تبا .. تبا ... اذهبي جودا ولاتعاودي الاتصال الليلة ..."

نادته (سعد) لكنه كان قد اغلق الخط ...

عاود الشتم وهو يتحرك جيئة وذهابا في غرفته ..

لقد فقد رباطة جأشه ..

لم يستطع التحمل ...

دخلت امه عليه كعادتها دون مقدمات قالت

" يا ولدي لاتتوتر هكذا... ربما هذا الاستاذ جيد وانت تبالغ في مخاوفك عليها "

لافائدة من لومها على تكرار طبيعة التصنت هذه التي تشكل جزءا من شخصية الام فيها..

لكنه كان في اشد حالات التوتر بعد ان عرف بضعة معلومات مقلقة عن طارق ...

معلومات لاتشكل براهين قاطعة لكن تبقى مربكة ومخيفة ...



تمتم سعد بضيق

" ارجوك امي اتركيني الآن..."

لكن امه لاتعرف للاستسلام عنوانا وافكارها ما زالت تدور حول اتمام الزواج بأي طريقة وكيفية ...

قالت وملامحها تأخذ طابع الجدية

" هل اكلمها بنفسي ؟ "

رد سعد متأففا " ارجوك امي .. اتركي هذا الموضوع اتصرف به بمعرفتي..."

عوجت شفتيها يمينا وشمالا قبل ان تقول بشك " هل انت متأكد ؟ ربما تحتاج مني ان أجرّ اذنها فقط لتتصرف كما تريدها انت .."

بنبرة محذرة تعبر عن فقده اخر ذرة من صبره

" امي .. تصبحين على خير ..."

تحركت منيرة وهي تشوح بكلتيّ يديها بتذمر وهي تتمتم

" حسن حسن ... تصبح على خير..."

لكن عند باب الغرفة استدارت اليه لاتيأس ابدا فتحنن قلبه بالقول الناعم المتمسكن

" لابد ان الفتاة تبكي بمرارة الآن .. تلك اليتيمة المسكينة في ظلمة غرفتها الموحشة .. وحيدة يا حبيبة قلب امها .. اخوها مسافر مع عروسه وعمتها مؤكد غارقة في نومها تشخر لاتشعر بها ولاتسمع حتى أنين بكائها ..."



هذه المرة اكتفى سعد بحدجها بنظرة قوية من عينيه فاكتفت امه بأن تحرك كفيها تطلب السماح وتغادر غرفته مغلقة الباب خلفها تاركة اياه يعاني من فكرة بكاء جودا بمفردها في ظلمة غرفتها الموحشة دون ان يشعر بها احد !

عشر دقائق ووجدته يقف قربها ينفث مع انفاسه شحنات متفجرة تصب فوق رأسها ...

لسبب ما لم تستطع قول شيء وهي ترفع رأسها تحدق في ملامح وجهه الغاضبة .. القلقة ..

رمى مفاتيحه وهاتفه على المائدة باهمال قبل ان يتخذ مجلسه على الكرسي المقابل حيث كانت فريدة تجلس ...

عيناه المحمرتان ثبتتا على المطفئة وعقب السيجارة المدعوك في وسطها ...

تمتم من بين اسنانه

" مع من كنت تجلسين ؟"

لم ترد وهي تحدق في ملامح وجهه بتمعن دهشة وكأنها ترى فيه ما لم تره منذ سنوات !

تراه رافد .. ذاك الولد .. ذاك المراهق والشاب الذي تواجد بطريقة ما في كل تفصيلة من حياتها ..



" عبد الكريم قال انك حضرت مع امرأة غريبة .."

صوته كان يشع بالتوتر و.. شعور غامض آخر..
ثم فجأة شعت ذاكرتها بما رأته قبل ساعات ...

حمراء الشعر الفاتنة تنظر اليه بطريقة تملكية طامعة .. وهو .. هو كان يستجيب ..

لكنها ولعجبها لم تغضب هذه المرة ..

لم تشعر بالطعن بالظهر مجددا ..

هناك أمر ما حدث لها الليلة بعد ان صارحت فريدة بحقيقة الوضع ..

وضعها هي ..

انحنى رافد بجذعه للامام مثبتا مرفقيه على الطاولة كما فعلت فريدة قبله لكن شتان ما بين توتره وشعور الغيرة الذي يتقافز من عينيه وبين تلك النظرات القوية التي انبعثت من عيني فريدة البنيتين ...

قال وهو يحاول السيطرة على انفعاله

" هل كنتِ برفقة تلك المرأة ؟ ام .. التقيتِ بشخص آخر ؟ "

لسانها لايطاوعها لتنطق والدوامات تتقاذفها فتتلقفها دوامة لتسلمها لدوامة اخرى ..

وهي مستسلمة .. لا عن خنوع او ضعف انما عن نوع من الخدر وربما السكينة والتبصر ..



وكأنها تعيش داخل احجية .. احجية حياتها التي بدأت تترتب قطعها لتتوضح لها صورا جديدا لم تتصور يوما انها ستراها ..

" ماذا جرى لكِ ؟! ما هذا الهدوء الغريب الذي تنظرين به نحوي ؟ وكأنك مخدرة ! "

حدقت في عيني رافد الذي فقد تماسكه وهو يمد يده ليمسك يدها بعنف هاتفا من بين اسنانه

" هل كنت مع شخص ما سبب لك هذه الحالة؟ ومن صاحب هذه السيجارة ؟ "

سألته والدفء يتسلل من راحة يده لظاهر يدها

" من تتوقع ؟"

ردد بعنف غيرته

" منذر مثلا ..."

اخذت تسحب يدها من تحت يده وهي تسبل اهدابها وتقول باستهانة

" هل هذا هو اسلوبك ؟ تجالس امرأة طامعة بك فتردها لي باتهامي بمجالسة رجل طلبني قبل سنوات للزواج ورفضته ؟"

اعتصر يدها مانعا اياها من التسلل ليهمس بصوت رجولي مبحوح

" انا أغار .... اشتعل بالغيرة ... فأفقد صوابي "

لم تعرف كيف تشعر .. حقا لم تعرف ...

متى ستعتاد مشاعر رافد نحوها ؟



متى ستستوعب الحقيقة الجديدة التي باغتت حياتها كما لم تفعل اي حقيقة اخرى ...

حتى خيانة راغب وهجره في داخلها لم تتفاجئ حقا بها ...

شعرت بصوته اكثر قربا .. اكثر حميمية وهو يهمس بتأنيب رقيق

" المرة القادمة واجهيني بدلا من الركض هاربة.. اصرخي في وجهي امام الناس وافقأي عيني اذا نظرت لغيرك ... املكي القوة لتدافعي عن حقوقك "

رفعت وجهها اليه والدوامة تسلمها لدوامة اخرى

" انت لست حقي..."

فاضت ملامحه بمشاعر عنيفة في قوتها فيرد مجاهرا بها

" انا كلي حقك انت وحدك .. ضعي هذا دوما نصب عينيك ..."

تسارعت انفاسها ودوامة جديدة .. الاشد عنفا تلقفتها على حين غرة ...

تتمايل داخلها فتشعر ان الارض كلها تميد بها ولم يعد لها قرار تستند اليه ...

وكأنه ادرك ما تعانيه ليهمس وهو يهز رأسه

" اجل .. اعقليها غالية .. قبل ان قبل ان يضيع عقلي مني .."



اختض جسدها وهي ترتطم بحاجز وهمي فتقول بتحشرج

" ان كنت تخون كاخيك فانا اتنازل عن اي حق تمنحني اياه ..."

ما زالت يده تأسر يدها فتعتصرها اكثر وهو يأمرها بقوة

" اسأليني من هي ... قوليها وانت غاضبة "

نظرت اليه وكل الغضب المختزن في داخلها ينفجر في وجه سكونها فتكاد تصرخ ولايخرج صوتها الا همسا ضاريا

" من حمراء الشعر..... اخبرني ؟"

رد وهو يحدق في عينيها " امرأة كغيرها من النساء ... لها اسم وصفة وهيئة انثى ... "

سألته بعذاب وهي تبحث عن وجه رافد الذي عرفته منذ طفولتها

" هل تخون يا رافد ؟ "

ارتعشت ابتسامة ألم على شفتيه ليبوح باعترافات تهد اركان ذاكرة طفولتها

" نعم .. اخون .. انا اخون كل النساء ..بكِ ..!

اخونهن كما أخون رجولتي و أجلدها بالحرمان فلن تكتمل وتشبع الا بانوثتك انت .. أخون روحي العطشى وقد علمتها ان لا ارتواء الا من سلسبيل روحك انتِ .."

وأنهار اخر ركن من الذاكرة... حياتها .. عمرها الماضي كله اصبح بلا اساس تعرفه ...

هل هذا رافد ؟!





هل هو من يبثها لواعج قلبه بكلمات عشق لم تمر على سمعها ولم تقرأها عيناها يوما ...

حرر يدها اخيرا ليسبل اهدابه ويقف على قدميه وهو يقول بصوت أجش

" هيا نعود .. امي قلقة وانت تبدين شديدة الارهاق "

نادته " رافد..."

حرك عينيه لوجهها فبدت جميلة بشكل لايصدق ... كما ذاك اليوم الذي غنت فيه لاول مرة امام جمهور طالبات المدرسة ...

تائها في حلاوة النظر لمن يعشق تمتمت غالية

" انها صديقة جديدة تعرفت اليها .."

ارتفع حاجباه قليلا بينما تكمل غالية

" انها طبيبة تملك عيادة استشارية في نفس الطابق حيث مكتب المحامي.."

ثم ناحية ناحية السيجارة لتضيف بتعب

" وهذه سيجارتها..."

لم تشعر الا وهو يمسك يدها ويسحبها ليجبرها على الوقوف قائلا بمرح رقيق

" وانا لن اقول لك من هي حمراء الشعر .. يكفيك ان تعرفي كيف اشعر نحوك ويكفيني ان تحاولي الاقتراب..."

رفضت بشكل قاطع وهي تهمس

" انا لم أقترب..."



قاطعها بعذاب وعذوبة

" لاتزيدي .. ودعيني اتشبث بتلك القشة

طفلتي .. حتى لو كانت محض سراب

يكفيني اني اراها .. قشة..."

أطرقت بينما تتركه يلملم اغراضها ويعلق

حقيبتها على كتفها ثم يناولها هاتفها وهو

يقول بصوت مؤنب يفيض تعبا

" لاتفعلي هذا مرة اخرى...لاتغلقي هاتفك

وتنفصلي تماما عني فلا اعرف اين انت او ماذا

تفعلين .."

تمتمت باعتذار يستحقه

" انا اسفة لاقلاقك .."

ابتسم رغم ألمه .. لكنه ألم حلو ...

على الاقل هي قريبة منه ..

ولايزال يستطعم حلاوة حرية عشقها ...

طريق العودة قاد سيارته بتمهل ..

لم يكن مستعدا لمفارقتها ..

عادت لهدوئها الغريب الذي استقبلته بها ..

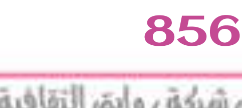
عادت لتغرق بعيدا عنه في افكار لايدرك

كنهها ...

وصلا للبيت وادخل السيارة في المرآب تحت

جنح الظلام ..





اطفأ المحرك وقبل ان تفتح بابها سألها بتنهيدة

" ماذا يحصل لك طفلتي ..؟ لماذا تبدين مختلفة هكذا .. هادئة على نحو غريب ..! هل هناك شيء محدد يشغل بالك ؟"

في الظلام الدامس رفعت عينيها اليه تحدق فيه بغرابتها الجديدة ...

وبدلا من ان تفسر اختارت الابتعاد ...

تمتمت " تصبح على خير .."

ثم ترجلت من السيارة تاركة اياه يراقب خطواتها بقلب مشتعل يتوسل الوصال..

فجر اليوم التالي (الجمعة)

تتشبث برقبته وتأبى تركه بينما يلف ذراعيه حول خصرها وعيناه تستنطقان عمته بصمت والعمة تهز رأسها نفيا بمعرفة ما يحصل !

عاد ياسر لاخته التي تتعلق برقبته منذ وصوله مع سهر للبيت يميل بوجهه ليصل لاذنها فيسألها بصوت جدي

" ماذا هناك جودا ؟! "

فتتمتم بخشونة وهي تتشبث به اكثر

" اشتقت لك .. ام ان باربيتك تمانع ؟!"

تنهدت سهر وهي ترفع عيناها للسقف بقنوط ثم تتحرك ناحية الدرج قائلة بتكشيرة

" سأترككما تنعمان ببعض بعد هذا الفراق الطويل .."

حدجها ياسر محذرا من التمادي فحركت كتفيها وهي تغمزه بدلال قبل ان تتسلق درجات السلم وهي تدندن اغنية تركية !

اغتاظ ياسر منها بينما يؤجل محاسبتها على اعمالها الطفولية لحين فهمه ما يحصل مع جودا ..

قال لها وهو يبعدها قسرا عنه

" تعالي جودا .. انا مرهق من الرحلة ولم أعد اطيق الوقوف اكثر .."

امسكها من كفها وسحبها معه ليجلسان على اريكة في غرفة المعيشة ..

اخذ ياسر يفرك عينيه بالابهام والوسطى يصارع حاجته الشديدة للنوم ليسأل جودا بصبر

" هل هناك من ازعجك في الجامعة ؟"

فتهز رأسها نافية ولكن بتردد ملحوظ ..

يحدق في عينيها فيلتقط اثار بكاء ليسألها متفكها بسخرية مستفزة

" لاتقولي انك على خصام مع خطيبك الاسمر العضلي ! لن اصدق انك غدوت كباقي الفتيات اللواتي يتشاجرن في فترة الخطوبة "



رمت نفسها بعنف عليه لتجهش بالبكاء
وقبضتها تضرب على صدره وهي تقول بتمزع

" انه غاضب مني .. غاضب جدا وانا لم أفعل ما
يسوء .. "

ابتسم رغما عنه وكفه تلكأت على استحياء
من طبيعته الخشنة قبل ان تستسلم لتحط
برفق فوق رأسها فيقول ساخرا ضاحكا

" سعد غاضب جدا ؟! هذه اعجوبة بحد ذاتها..
ماذا فعلت لتجعليه يفقد حلمه وصبره
المغيظين ؟"

تحرك رأسها تحت كفه وكأنها تتمرغ فيها
بينما تعيد ضرب صدره بقبضتها وهي تشهق

وتقول " لم افعل .. اقسم لم افعل .. انه فقط
لايحب استاذي ..."

تشنجت يد ياسر واحتدت نظراته بينما يحدق
برأس اخته الملتصق بصدره ...

غضب مستعر جاش في صدره لكنه أخفاه
بشق الانفس ليقول بنبرة خشنة بعض الشيء

" سعد رجل رزين .. متأن للغاية في احكامه
وردود افعاله وعندما لايحب شخصا.. اي
شخص.. فضعي في اعتبارك انه لا يفعل هذا
الا بعد تدقيق وتفكير وتدبر.."

رفعت رأسها بحدة لتهتف بطفولية فجة

" لا .... انه فقط غيور ..."



هذه المرة فقد صبره ليصرخ بها

" جودا ! لاتتصرفي كطفلة ... خطيبك بل هو زوجك وعليك اطاعته .."

ابتعدت عنه بخشونة توازي خشونته لتهب على قدميها وتتخصر امامه بتمرد وتعاود صراخها بالقول

" انا لست طفلة .. توقفوا عن مناداتي بطفلة.. انا لااحبكم .. لااحب كيف تجرحوني على الدوام وتعاملوني كغبية لاتفقه شيئا في الحياة ..."

ثم تركته وهرولت مبتعدة باكية لتتسلق درجات السلم وشتائمها تصل مسامعه ومسامع عمته ....

بدت فائزة مضطربة كالعادة بينما ياسر يلتزم صمتا متوترا متشنجا ...

جلست عمته جواره لتبثه مخاوفها

" لقد بت اخشى ان يفيض به الرجل ويتخلى عنها وعن مشاكلها التي لاتنتهي ... انها غير ناضجة على الاطلاق ..."

تمتم ياسر

" لقد حذرته عندما تقدم لخطبتها وهو من أصر على التمسك بالزواج بها .."

سألت فائزة ببعض القلق

" من هذا الاستاذ الذي تدافع عنه ؟"





أزهار قلبك وردية

كست ملامح ياسر تعابير شديدة القسوة وهو يرد " حقير آخر ... يظن بغباء ان جودا لقمة سائغة .."

همهمت فائزة جزعة " ارحمنا يا الله .. ألن تنتهي هذه المحنة ؟"

زمّ ياسر شفتيه ليغرق في افكاره ونظراته تشتد في حدتها .. لامست العمة يده وهي تقول له برقة أم لم تنجبه

" اسفة بني .. لقد وصلت للتو من شهر عسلك.. حتى لم ازغرد لدى دخولك مع عروسك .. "

ثم مالت نحوه تحتضن بكفها الناعم وجه وتقبل خده وهي تقول بفرحة من عمق قلبها الفخور به

" كم انا سعيدة لاجلك بنيّ .. رزقك الله بالبنين والبنات لتملأ هذا البيت فرحا وابتهاجا .."

استرخت ملامحه وهو يرفع نظراته لعمته ..

ابتسم لها .. مستجيبا للمعة دموع فرح عميق في عينيها ...

انها تضيء روحه بوجودها .. ولايعلم لولاها كيف كانت حياته ستكون ...

أسبل ياسر اهدابه يخالجه شعور غريب ..!



كل شيء في هذا البيت يبدو مختلفا اليوم..

عيناه تحركتا ناحية السلم وافكارها تشحن بالمزيد حتى شعر بجفاف فمه لهفة ...

يتساءل في سره ... هل هذا تأثير الوردية ؟ هل بدأت تملأ البيت بوجودها المبهج ؟ ام انها باتت تملؤه هو شخصيا بهذه البهجة الخفية فتنعكس في نظرته لما حوله... ؟!

" ياسر .. هناك ما اريد اخبارك به .."

صوت العمة بدى متوترا بعض الشيء فزفر متوقعا لما لن يعجبه ثم سألها بنبرة تعكس توقعاته

" ماذا بعد ؟"

تطلع لوجه عمته ليرى خديها متوردين حرجا رفع حاجبيه بتساؤل صامت نزق فتسارع العمة للقول " انها ... فرشة العروس .."

تذكر تلك الفرشة الوردية المغيظة التي اصرت سهر على افتراشها ليعبس وهو يتساءل

" ما بها ؟"

انحنت فائزة للامام قليلا وقالت بخفوت

" اتمنى ان لاتتنبه سهر .. لكننا اضطررنا لاخذها للتنظيف الجاف .. حقيقة سعد من فعل ..."

لسبب ما بدأ الامر يروقه بدلا من ان يزعجه ليسأل باختصار " لماذا ؟"





تنحنحت فائزة وخداها يحمران بشدة هذه المرة وكأنها من فعلت الفعلة لترد وهي ترخي نظراتها للارض

" انها ...جودا ... لقد سكبت حبرا اسودا عليها ليلة حفل الزفاف "

انفجر ياسر ضاحكا من اعماق قلبه حتى دمعت عيناه !

حدقت به العمة فائزة مذهولة وهي تقول

" تضحك ياسر ؟! "

واصل ياسر ضحكاته باستمتاع حقيقي وهو يقول

" علمت ان تلك الغيورة لن تدع الامر يمر دون ابتكار تخريباتها الخاصة "

وقف على قدميه وهو يقول لعمته مطمئنا

" لاتقلقي عمتي ..."

ثم تحرك بخطوات متراخية ناحية السلم ..

لافائدة من تأخير تأثير الامر عليه أكثر ..

عليه ان يتجلد ويحتمل رؤيتها هناك .. تشاركه غرفته .. كما شاركته حياته ...

مع كل درجة سلم يعتليها بقدمه يتذكر يوما من ايام الجامعة ..

كل يوم رآها فيه وخفق قلبه توقا لها ..

وصل لباب غرفتهما وهو ما زال غارقا بتأملات الماضي ..







كل ليلة قضاها ملتاعا برغبة امتلاكها ..

ها هي .. اصبحت هنا .. بين جدران الغرفة التي شهدت على عشقه الاوحد ..

سهر الاحمدي ذات الشعر القصير المتراقص والعينين القطيّتين الخضراء والكبرياء الانثوي الشامخ والمستفز لكل ذرة رجولة فيه..

ابتلع ريقه وهو يراها جالسة على السرير ذي الاعمدة الاربع .. تميل بجذعها وتتشمم فرشتها بارتياب !

سخر منها برقة

" حبك لتشمم الاشياء اصبح مرضيا بشكل مقلق ! هل أحجز لك عند طبيب مختص ؟ "

ما زالت محنية وهي تدير وجهها اليه تناظره بعبوس وهي تقول

" الرائحة مختلفة ! لقد عطرتها بنفسي بعطر خاص احبه يدوم طويلا .. لكن الفرشة الآن برائحة اشبه برائحة التنظيف الجاف "

ابتسامة جانبية مستهينة على نحو متعمد مغيظ ليدخل الغرفة وهو يقول بصوت أجش

" لا بأس .. سأحلها لك ونغير العطر !"

استقامت سهر بجذعها وهي تتطلع اليه كيف استدار مغلقا الباب بالمفتاح ثم التفت اليها فيسرق انفاسها بنظراته الداكنة التي تثير انوثتها .. تمتمت وهي تراه يفك ازرار قميصه

" يجب ان نأخذ حماما اولا ..."





وكأنه لايستمع لما تقول بينما يتقدم نحوها وقميصه محلول الازرار هامسا بخشونة

" انت في المكان الذي تأخرت الوصول اليه لعشر سنوات .."

شعّ قلبها بالفرح وامتلأت بسعادة لاتوصف وهو يجرها بين ذراعيه الصلبتين ثم يميل بها على السرير ليعود الى سيرته الاولى في التعبير ..

حرا متحررا خشنا وهو يبثها غرامه بطريقة لاتليق الا برجل مثل ...

عاد حبيبها مرة اخرى ...

بعد الايام القليلة الاخيرة في تركيا عندما بخل عليها ان يمنحها كله ..

ها قد عاد ... وكم هي مشتاقة ...

عصرا ...

لايعلم لم قرر ترك المطعم تحديدا وعاد للبيت !

لكنه سعيد انه فعلها ...

يكفيه ان يراقب غالية عبر شباك المطبخ وهي تلاعب صغيرتها في الحديقة ، تركض خلفها او العكس !

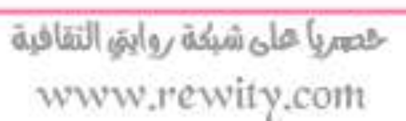
طفلتاه ... هما الاثنتان طفلتاه ...

انه أمر لايوصف في تاثيره عليه ...

عيناه تتركزان على غالية ...

طفلته المدللة تضحك من قلبها ..





ان يراها سعيدة مفعمة بالحياة هكذا وقد

عادت للاهتمام بالصغيرة لولو مرة اخرى

يريحه ويطمئنه ان اهمالها لابنتها خلال

الفترة السابقة كان عارضا وولّى ..

لا عمل تذهب اليه يوم الجمعة وهذا يعفيه

من القلق حولها ..

ليس بيده ان يقلق .. ليس بيده ان تراوده كل

انواع الافكار السوداء ..

بدءا ان يضايقها احدهم بكلمة وانتهاء ان

ترى رجلا ما فيتبادلان الاعجاب !

اغمض عينيه وهو يشتم ..

لازال لايعتبر نفسه زوجها فعلا ..

ربما لانها هي من لاتعطيه هذا الاحساس ..

يواصل تذكير نفسه وتذكيرها هي ايضا

وكأنه يتشبث بحقيقة الرباط الشرعي الذي

ربطهما دون ان يربطهما حقا رباط روحي ..

تمتم لنفسه " الصبر .. الصبر يا رافد .. الصبر

الصبر ...الصبر ..."

يد حانية حطت على كتفه فأجفلته ..

التفت ليرى وجه أمه الحاني بينما التمعت

حبات مسبحة بيضاء في يدها ... مسبحة لم

يرها تستخدمها سابقا !

قالت امه بابتسامة مرهقة وهي ترفع المسبحة

امام وجه ابنها

" احدى الجارات عادت من العمرة واهدتني

اياها .."



ابتسم لأمه ثم مال بوجهه يقبل عنقها مداعبا ليقول لها بمشاكسة رقيقة

" هل تطلبين العمرة يا جميلة ؟ ما زلت صغيرة لينادونك (حاجة) .."

ضحكت بوهن فأوهنت قلبه ..

ما زالت ضعيفة الجسد وكم يقلقه هذا الضعف ..

رفعت يدها لخده وقالت بنظرات لامعة

" سنذهب يوما ما جميعا .. انا وانت وغالية ولولو .. ما رأيك بني ؟ هل نذهب ؟"

تطلع في عينيها ولسبب ما انعصر قلبه فلف ذراعه حول جسدها الواهن يضمها اليه بقوة هامسا

" نعم يا جميلة .. سنذهب جميعا في يوم ما.."

فعقبّت تشدد عليه

" قل ان شاء اللّه يا رافد "

تمتم

" ان شاء اللّه .. ان شاء اللّه أماه .."

وما زال قلبه معصورا ..

الفصل الثالث والعشرون

تتطلع جودا لنفسها في المرآة وواضح انها لاتعرف كيف تعبر عن فرحتها بفستانها الجديد الذي اشترته لها سهر من تركيا ..

كم تشبه اخاها !

تنفست سهر الصعداء .. اذن اجادت اخيرا اختيار فستان يعجب صعبة المراس هذه ويلائم مزاجها ..

ابتسمت سهر وهي تتطلع بفخر لاختيارها ..

لقد ابرز جمال جودا وبياض بشرتها المغري ..

بوقاحة سرية قالت سهر في نفسها

" انها هديتي للاسمر ايضا .. فليستمتع برؤية هذا الجمال وليريني كيف سيصمد امام خصامها "

فستان بلون ازرق داكن بلا اكمام وبياقة بيضاء مستعرضة كياقة البحارة ..

ينساب على جذعها حتى يصل الورك ليستعرض في تموجات حلوة حتى اسفل ركبتيها وتنعش دكنته الحالكة خط عريض ابيض على طول حافته السفلى ..

نظرت سهر بعبوس لشعر جودا المشعث وبدت حائرة كيف ستدفع جودا للاقتناع بالذهاب لمزينة الشعر ...؟!





لتفاجئها المجنونة التي يصعب توقع ردود افعالها وهي تلتفت نحوها وتقول بحماسة

" اريد تسريح شعري ..."

تبسمت سهر براحة ثم غمزتها قائلة

" اذن هيا بنا .. ليس لدينا الا ساعتين للاستعداد حتى المساء .."

سألت جودا بعبوس

" نستعد لأي شيء ؟"

فترد سهر وهي تغادر غرفة جودا

" لزيارة والديّ .. لقد دعوانا جميعا للعشاء .."

لاحقتها جودا بفستانها الجديد وقدميها الحافيتين وهي تعترض بالقول

" لااريد الذهاب معكم .. لااحب جلوسي خرساء هناك .. انا سأذهب لبيت سعد "

بابتسامة شقية استدارت سهر اليها فتقول لها بنبرة مرحة

" أعرف ... وسيكون لك ما تريدين .."

فترتسم ابتسامة عريضة على وجه جودا بينما عقلها الطفولي النضج لايسعفها كثيرا لايجاد الطرق الصحيحة حول

(كيف ستصالح سعد ؟)



مساء ...

امام بيت سعد ..

خطفت عبر باب المرآب حالما فتحه بينما يمنعه حرج فطري من الالتفات لتتبع قامتها وشعرها المتطاير كالحرير واخوها يقف قبالته ...

ابتسم سعد يخفي لهفة قلبه خانته بينما يتقدم من ياسر يعانقه حامدا اللّه على عودته من السفر ومباركا لزواجه مرة اخرى ...

ثم دعاه ليدخل لكن ياسر اعتذر لانهم مدعوون لبيت عائلة سهر على العشاء ...

زمار بوق ارتفع ليتنبه سعد لسهر التي تلوح له من السيارة وتخرج رأسها من الشباك لتهتف ببشاشة معتذرة عن عدم قدرتها على النزول بسبب كعبها العالي ..

فيبتسم سعد لها وللعمة فائزة التي تجلس في المقعد الخلفي بينما يلمح ياسر يعقد حاجبيه وهو يتطلع لعروسه البشوشة بحنق ...

سأل ياسر بنبرة خشنة

" اخبرني باختصار ما حكاية الاستاذ الآن ؟"

تجهمت ملامح سعد مما اقلق ياسر ليضيف

" ماذا هناك يا سعد ؟ هل فعل شيئا آخر ؟"



رد سعد باتزان لايخلو من التوتر

" المشكلة ليست فقط فيما يفعله مع جودا بل بما فعله مع غيرها .."

عقد ياسر حاجبيه متسائلا

" ماذا تقصد ؟"

فيرد سعد بملامح متصلبة

" قلت لك سابقا ان هذا الرجل يتنقل بانتظام بين جامعات البلد .. حتى خارج العاصمة .. تنقل في عدة مدن ...لقد اثار ارتيابي منذ البداية بهذه التنقلات الغريبة .. خاصة ان استاذ يشهد له بعلميته وذكائه فلماذا يتنقل هنا وهناك بدلا من الثبات بجامعة واحدة حيث يمكنه ان يترقى وظيفيا ؟ "

سأل ياسر بنزق " اذن ؟!"

رد سعد وهو يحدق في عيني ياسر

" تحريت عنه اكثر .. هناك امور معينة حصلت لكن بشكل متكتم وغير واضح .. لااعرف ان كانت مجرد اشاعات ام انها الحقيقة "

يد سعد استقرت بتشنج على حافة الباب بينما يسترسل اكثر بنقل المعلومات " يقال انه ارتبط باحدى طالباته في جامعة (..) في مدينة (..) وبعقد زواج سري .. وهناك شك انه فعل المثل في جامعة (...) في العاصمة ... صحيح هي مجرد اقاويل لكنها تبقى مقلقة لانها تنطبق على نمطه وتصرفاته ..."





طرفت عينا ياسر بينما يستغرق بالتفكير

ليقول وكأنه يفكر بصوت عال

" ان صح الكلام فواضح انه يؤمن نفسه بتلك العقود ولكن هذا في حد ذاته جيد بالنسبة لنا فهذا يجعل جودا خارج نطاق اهتماماته بما انها متزوجة منك فعليا "

تمتم سعد بتشنج وغضب متجدد

" لقد اخذ رقم هاتفها البارحة .."

هتف ياسر " ماذا ؟!"

زفر سعد بقوة وداخله يغلي ليقول باحباط

" اعطته الرقم بسذاجة بعد ان طلبه بنفسه ليبعث لها روابط مراجع وكتب "

ضرب ياسر بقبضته على حافة الباب وهو يسأل

" وهل فعل ؟ "

رد سعد وهو يعبس قليلا وكأنه يعيد التفكير

" نعم .. ارسل لها ما تحتاجه ولم يتواصل معها ابدا على نحو شخصي .. انه يتصرف بحذر شديد ولايقترب ابدا بشكل يثير ارتيابها ودون حتى ان يترك لنا ما نحاسبه عليه ... ان يقيدنا دون ان نقدر على فعل شيء .."

تمتم ياسر من بين اسنانه

" يا الهي متى سينتهي هذين الشهرين وتنهي سنتها الدراسية على خير ؟"



ثم فجأة ركز بنظراته على وجه سعد مما

حدا بسعد ان يسأل بدهشة

" لماذا تنظر الي هكذا ؟"

تساءل ياسر بصراحة

" الا زلت تراها اهلا للزواج ؟"

تبسم سعد واسبل اهدابه فبرزت وسامته

الخاصة بعد ان تراخى تشنجه ...

وكأن تعابيره البسيطة هذه كافية كرد ..

ازدادت حيرة ياسر فيعبر عنها بالقول

" كم تثير دهشتي يا صديقي ..؟"

عندها ضحك سعد بخفة ليقول لياسر

" اذهب ياسر .. سهر بدأت بالتململ في

السيارة.. سنتكلم اكثر بالموضوع فيما

بعد..."

التفت ياسر ليرى الوردية تنفخ وملامح وجهها

متضجرة ...

لوح ياسر لسعد وهو يتحرك ويقول

" حسن .. الى اللقاء ..."

ربط على قلبه وهو يعاود الدخول للبيت ليمر

قرب المطبخ فيسمع صوت ضحكاتها البريئة

بينما امه تزغرد وتصفق فرحا وابتهاجا بها

لكنه يواصل خطواته حتى يصل غرفته

فيدخلها ويغلق الباب خلفه !





بعد ربع ساعة وهو شبه مستلق على سريره يمسك بكتاب بين يديه يتصفحه بينما باله شارد مع الهمهمات النسائية المتآمرة خلف بابه مباشرة ما بين امه وجودا..

يكاد يبتسم من تآمرهما كطفلتين لجوجتين وامه الطرف الاقوى المسيطر والمخطط بينما يتخيل جودا تعبس باعتراض ...

تمتم في سره " اعن يا اللّه عليهما .. لا اعلم من تفوق الاخرى طفولية ؟"

(" اطيعيني يا فتاة .. ادخلي الآن وافعلي ما اخبرتك به .."

" لكن خالتي انا اخجل .. سأبدو مضحكة ")

يقلب الصفحة والابتسامة تشرق على شفتيه بينما يصله مزيدا من هذا الحوار النسوي

(" ستبدين سخيفة اكثر وانت تجالسيني بهذا الفستان الرائع في المطبخ وتتركين زوجك معتصما في غرفته"

" انه ليس زوجي بل خطيبي "

" أعن يا اللّه ..")

ليكتم سعد ضحكته وهو يهمس لنفسه

" فليعنا اللّه معا أماه .."

(" اذهبي .. اذهبي لقد اتعبتني .. انظري الي .. اجل .. احمر الشفاه يليق بشفتيك .. سيسامحك صدقيني .. لقد عاد مبكرا من عمله لانه منزعج من خصامه لك "




" لكن خالتي ... لااريد ... اشعر بالخجل "

" اذن ابقي هنا في حجري يا حبيبة خالتك

وافقأي مرارتي ومرارة ولدي و رائحة الطبخ تملأ

فستانك واتركي زوجك تغريه احدى

المتميعات المتحذلقات ذوات العطور الفواحة..

انهن جريئات ولسن مثلك خائفات مترددات ")

ازعجه ان تربكها امه بهذه الطريقة وتضغط

عليها بما لاتطيقه جودا وما ان أغلق كتابه

ليذهب وينهي هذه الهمهمات التي ارتفعت

نبراتها حتى انفتح الباب بقوة لتطل فتاته

مدفوعة بقوة أمه التي تُلين الحديد وحالما

ثبتت قدماها وسط الغرفة قالت امه على عجل

" انا ذاهبة لاعد العشاء وقالب كيك ..

جودا.. تريد ان تكلمك على انفراد "

ثم سارعت امه لتغلق الباب تاركة جودا

عابسة .... ترتعد ..

كان قد انزل ساقيه عن السرير لكن لم

تطاوعاه اكثر ليقف ..

ابتلع ريقه وهو يحدق بكل تفصيلة حُسن

فيها .. حُسن لايضاهى .. وجمال لايحتاج الا

للقليل .. القليل القليل ليبدو في ابهاه ...

وهذا الفستان انه .. كثير ..كثير جدا ..

قلبه يدق سريعا جدا في صدره بينما يراها

تطرق بنظراتها ارضا تحتضن جسدها الفاتن

خصل شعرها الطويل المسرح بينما كفها

الايمن يمسك بمرفق ذراعها الايسر ..

صغيرته المشعة بالروح الصافية ..



فقط لو تطيعه ولا تتمرد عليه ...

طال صمتهما فبدأت جودا تظهر بوادر بكاء مكتوم قادم لامحالة ...

تنهد وهو يقف على قدميه مناديا لها

" جودا ..."

لحظة خاطفة سبقت قولها (اسفة) لتقفز نحوه تضم جسدها بقوة لجسده ...

تنشق عطرها بشغف رجل وهو يلف ذراعيه حول ذلك الجسد المكتمل الانوثة ..

وكم يود انه يكتمل نضوج عقلها ايضا ...

رفعت وجهها اليه تسحره بتلك العينين وتهمس بشفتين مرتعشتين

" احبك ..."

وكأنها ضربته بمطرقة على أم رأسه !

لم يستوعب ما همسته فتمتم بعينين متسعتين

" ماذا ؟!"

تضربه بـ(مطرقتها) ضربة اقوى وهي تطبع قبلة متهورة على جانب فمه وتهمسها مرة اخرى

" احبك ..."

حرارة تخرج من اذنيه قلبه يتقافز في صدره بجنون ... ذراعاه اشتدتا حولها بينما يحدق ببراءة تلك النظرات المطلة من عينيها البلوريتين ...



كان يجاهد نفسه ..

حقا يجاهدها بكل ما اوتي من القوة ..

لم يتوقع انها ستبادر بطفولية على خطوة قد لاتدركها حقا ...

ابتلع ريقه ليهمس لها بصوت مبحوح

" وانا احبك صغيرتي ..لكنك .."

رمشة عين وكان مصعوقا من شفتيها اللتين كتمتا جملته وهما تلتصقان عنوة بشفتيه ..

لم تكن تقبله حقا بينما هي تظن انها تفعل !

ابتعد قليلا ليرى عينيها مغمضتين بقوة فيطلب منها بعذوبة " انظري الي حبيبتي .."

تهز رأسها رفضا بينما تتخضب وجنتاها بحمرة قانية ...

تمتم بانفاس حارة

" هل تريدين مصالحتي بقبلة ؟"

عندها هزت رأسها ايجابا ..

ابتسم بحلاوة وكفاه يتحركان على ظهرها ببطء هامسا وهو يحاول السيطرة على نفسه

" القبلة تحتاج ان تشعري بها صغيرتي .. ان تشعري بما تعنيه حقا من ألفة خاصة جدا بين اثنين وتتذوقي حلاوة الفرح وانت تشاركين فيها بكل جزء منك.."



فتحت عينيها ببطء تتطلع اليه بانشداه

ليكمل بصوت سحرها وهو يميل لخدها

ويهمس

" تشعرين اولا بانفاس زوجك العاشق وهي

تداعب خدك وانامله تتلمسك بشوق

يعكس شوق قلبه لروحك .. "

تحركت انامله على طول عمودها الفقري

فارسلت قشعريرة في كل جسدها ..

" قبلة هنا وقبلة هناك "

ومع كل كلمة يطبع القبل الخفيفة على

وجهها .. و برفق.. رفق شديد حذر يخشى اي

تسرع قد يدفعها الى الانكماش ...

انها تتفتح بصعوبة بين يديه وكم هو يعاني

الآن ضبط النفس ومشاعره كرجل تكاد

تمزقه ...

قبلاته اصبحت اكثر حرارة وهي تذوب

وترتعش باستجابة فطرية ...

ومع كل رعشة تهمس اسمه ...

ارتفعت ذراعاها لتتعلقا بكتفيه فتفاجئه

وهي تهمس بتعثر

" انا .. اسفة اغضبتك .. انا .. احبك ..

احبك جدا ..قلبي .. سعد .. قلبي يقرع بقوة

في ... صدري .. كيف اشعر بكل .. هذا ؟! "

هذه المرة اطلق لشوقه (بعض العنان) ليعلمها

كيف تشعر وهي تقبل الشفتين ...



يوم الاحد ..

ابتسامة صغيرة وهو يفكر برقيقة الجسد رغد التي ذابت ذوبانا عاطفيا بين ذراعيه ليلة الامس فكانت ليلة لذيذة بحق ...

تشوهت ابتسامته وهو يتذكر اتصال الفتاة بأمها مدعية ارهاقها من مساعدتها لصديقتها بالاستعداد لحفل زفافها ...

الام لم تكن تعرف ان ابنتها كانت تعيش ليلة زفافها هي لا زفاف صديقتها !

وان (الصديقة) التي تساعدها وتبيت عندها لم تكن الا زوجها السري ..

استاذها السابق في الجامعة ..

تمطى طارق ينفض عنه تعب جسدي جراء السهر حتى ساعات الفجر الاولى في خضم عواطف مشتعلة تشاركها مع رغد باستمتاع مذهل جعلته يشك ببراءة الفتاة لولا اثبات العذرية الذي حصل عليه في النهاية ....

حرك رأسه من الجانبين ليحرك عضلات رقبته ثم تقدم ناحية الشباك المطل على ممر خلفي مشمس يتطلع للغاديات والرائحات بنضارة شبابهن التي تروي العيون الجائعة ..

لكن تفكيره عاد ليتركز على صاحبة الجمال الفريد والبراءة الفتاكة ... جودا...

لحسن الحظ ان رغد طالبته من الجامعة السابقة التي كان يعمل فيها والا كانت تضاربت المصالح قليلا مع جودا ...





زفر من بين شفتيه وهو يرى جودا تهل على
ناظريه .. شعرها المسرح تربطه للخلف
وكعادتها تلبس بنطال جينز قديم وقميصا
بسيطا مهلهلا ..

ملابس قد تكون بشعة على اي فتاة اخرى
لكن بجمال نادر كهذا لايمكن اخفاؤه حتى
لو تمرغت بالطين ...

حقد .. حقد مزق قلبه غيرة وهو يفكر
بذلك الاسمر الذي خطفها ...

مؤكد هو يستمتع بجمال الفتاة ..

لكن ابدا ! لن يهنأ بها وحده ...

بل ربما ستكون له قبله ..

خرج طارق من غرفته ليلتف حول المبنى
ويخرج ليقابل جودا بشكل عفوي ..

بدت منشرحة بشكل غير عادي ..

ملامحها هائمة كأي فتاة مغرمة بلهاء !

تصاعد غله الذي اخفاه بحذر حالما اقترب
منها راسما ابتسامة واهنة مدروسة على شفتيه
فيقول لها ببشاشة ظاهرية

" صباح الخير ..."

تجفل قليلا كأنها كانت غارقة في احلام
اليقظة قبل ان تبتسم بارتباك وترد عليه
بابتهاج داخلي لاتملك ان تخفيه

" صباح الخير استاذ طارق ..."



فيقول بلطف

" تبدين متألقة بالسعادة هذا الصباح عزيزتي.. هل افادتك الكتب التي بعثت لك روابطها؟"

توردت قليلا كمن ارتكب ذنبا فتحيد بنظراتها وهي ترد بصوت خجل

" قرأت بعضها.. قليلا فقط .."

عبس طارق وهو يسأل

" لماذا ؟ انها مهمة وضرورية جدا .."

عضت شفتها السفلى وهي تبرر بالقول الساذج

" انشغلت يومي الخميس والجمعة .."

لو لم تكن تتجنب النظر اليه لرأت نظرات الحقد التي تسربت من عينيه ليسأل بصوت خافت " زيارات عائلية ؟"

فردت وهو تواصل عضعضة شفتها

" نعم .. عاد اخي وعروسه من السفر ثم ذهبت.. لبيت سعد .. خطيبي .. فانشغلت "

زمّ طارق شفتيه واستعد للدور الذي اختار ان يلعبه فتنهد على نحو مدروس ليقول بنبرة تلونت بالاحباط وخيبة الامل

" هذا ما كنت اخشاه .."

رفعت عينيها اليه وهي تتساءل " ماذا ؟"





اطلق تنهيدة جديدة ورسم الجدية الحازمة على ملامح وجهه الوسيم ليقول بعبوس

" جودا انت تتحسنين كثيرا بالدراسة ومستقبلك العلمي اهم شيء .. لاتدعي المشاعر والعاطفة تلهيك .. رأيت الكثير من طالباتي المتفوقات تتكسر احلامهن على عتبة الزواج ويتركن مقاعد الدراسة للاسف لاهين بالبيت والحمل والولادة وتربية الاطفال؟ انها خسارة .. خسارة فادحة لاتدفع ثمنها الا النساء .."

بدت مصدومة وهي تستوعب كلامه بينما ينتقل لنبرة النزق والنفور وهو يضيف

" زوجتي تحملني دوما مسؤولية عدم اتمامها الدراسة رغم انها من ارادت ترك الجامعة بعد الزواج بل وأصرت عليه بحجة انها لاتحتاج لشهادة ..."

ثم تطلع لعينيها بنظرة خاصة ليقول بنبرة تثير التعاطف

" حياتنا اصبحت جحيما ليأتي موضوع العقم فيتسبب باضافة المزيد من الحطب لذلك الجحيم الذي لاينتهي ؟"

تمتمت جودا بنبرة رقيقة فاضت بالتأثر

" انا اسفة لاجلك .."





اسبل اهدابه بينما يتمتم بنبرة تفيض وحشة

" لاتهتمي بي عزيزتي .. انا تعودت على

تعاستي .. لكن انت في مقتبل العمر

وتحتاجين ان تكوني قوية بشهادتك "

سارعت جودا للقول بانبهار الفرح لاهتمامه

" انت تتكلم مثل اخي ياسر "

ابتسامة جانبية قبل ان يرفع عينيه لها ليقول

ببداهة

" أرأيت ؟! انا ابحث عن مصلحتك مثله "

فترد جودا بثقة وفخر

" لاتقلق سعد سيساعدني ... انها يساعدني في

كل شيء .."

عندها أفلت منه بعض الغضب وهو يقول بنبرة

غير محببة

" اذن كان يفترض به ان يساعدك في هذين

اليومين بدلا من اشغالك بزيارات عائلية

ليست مهمة كمستقبلك .. الا يفكر

باهمية ان تدرسي الكتب والمراجع التي

ارسلتها ؟ "

عبست بشدة وتراجعت خطوة للخلف وهي

تحدق فيه وتقول بنبرة حمائية عالية

" سعد يحبني جدا ويريدني ان انجح واتفوق

مثل ياسر بالضبط .."



علم انه ارتكب غلطة فارشده عقله لاقرب فكرة ليمحو تأثيرها فادعى بعض الترنح وهو يرفع يده لجبينه لتسارع الفتاة للاقتراب وعفويا تمسك ساعده حتى تسنده وهي تقول بلهفة صادقة

" ما بك استاذي ؟! هل انت بخير ...؟هل انادي احدا ؟ "

فيستقر ترنحه ليرفع اليها عينيه وهو يقول بابتسامة رقيقة

" لاتقلقي عزيزتي .. نسيت اخذ دوائي هذا الصباح .."

فتسأل بقلق " اي دواء ؟"

عيناه رغما عنه انحدرتا لشفتيها الشهيتين فاغلقهما قسرا حتى لاتفضحان رغبته بينما يتمتم

" التعاسة تجلب العلل لابدان الاصحاء .. اتمنى لك كل السعادة والنجاح جودا .."

ثم بذكاء انسحب هو منها ليتركها ويتحرك مبتعدا وخطواته تشي كم هو يعاني !



عند الظهيرة ..

تحرك سعد ليعبر بوابة الجامعة ..

قلبه يرف لرؤيتها ..

هذا الصباح تعذر عليه ايصالها لعمل اضطراري مبكر استوجب خروجه من الفجر فتولت سهر فعل هذا نيابة عنه ..

يعترف انه لايزال يشعر بالخدر اللذيذ لتلك القبل المجنونة قبل يومين ...

قبل استجابت لها جودا بحرارة اشعلته ..

بذل جهدا خرافيا حتى يبتعد عنها ويكتفي بضم جسدها المرتجف اليه ..

يهدهدها كطفلة حتى توقفت عن الارتجاف وتنهدت باسترخاء ...

ثم اخذت تهذر بكلام متفرق لامعنى له وربما هو من كان لايستوعب كلامها وكله مشتعل بعاطفة رجل يريد المزيد من معشوقته ..

" سعد ... سعد ..."

قلبه يقفز مع تقافزها وهي تهرول نحوه ..

يبتسم لاشعاع الفرح منها وهي تقترب منه تغمره بنظراتها البلورية العاشقة ...

صغيرته .. فتاة الادغال هذه باتت تعشقه عن يقين انثى .. باتت تتعرف بوضوح على مشاعرها التي تفتحت على يديه ...





همس اسمها وهو يتلقف بصبر جسدها المتهور الذي رمته على صدره ..

اوقف تماديها وهو يمسك اعلى ذراعيها ويهمس قرب اذنها

" تعقلي صغيرتي .. "

شعت ضحكتها وهي تتشبث بذراعه وتقوده ليغادرا ...

وبينما هو يشاركها الضحك على الـ لاشيء لمح غمامة ظل اسود من بعيد ..

حدق فيه سعد وذلك الظل الذي لم يكن الا لطارق يبادله التحديق وبتحد ساخر سافر !

نهاية الاسبوع ...

ابتسمت هاجر لعيني رافد المتعبتين فيرد لها ابتسامتها بشرود بينما يترك خطواته تقودانه ليكمل طريقه الى مكتبه حيث يعتكف هناك وكأنه بسجن انفرادي ..

سجن يعيشه في قلبه اكثر منه بجسده ...

امسكت سهر ذراع هاجر وهي تؤنبها بهمس

" هل جننت هاجر ؟!"

التفتت هاجر لابنة عمها التي تشاركها الافطار فتسأل ببرود وهي تتلاعب باستفزاز بشوكتها " ماذا ؟!"



سهر التقطت وجود ياسر قريبا منهما يكلم ببعض الحنق احد العاملين في المطعم لكن عيناه لم تغفلا عنهما بل لم تغفلا عن هاجر تحديدا ...

تمتمت سهر في سرها بضيق

" هذا ما ينقص ! ان يضعها ياسر في عقله .."

عادت لابنة عمها المستفزة لتواجهها بالقول

" انت تعلمين ما اقصده .. ماذا جرى لك ؟! انت تحومين حول رجل متزوج .. هل تسمعين ؟ رافد رجل متزوج ..."

تفتح هاجر فمها لتضع لقمة فيه بينما ترد بثقة

" نظرة لوجهه المرهق وعينيه الذابلتين تكفيني لاعرف انه في قمة التعاسة وفي النهاية زواج كهذا مجبور عليه ويستجلب كل تلك التعاسة لااتوقع له الاستمرار ... "

بدأت سهر تغضب حقا بينما ترد عليها ببرود

" اخبرتك ان ظروف رافد خاصة .. فلماذا لاتفهمين ؟! "

رفعت هاجر حاجبيها بحركة مغرية وهي تقول ببساطة " انا اعجبه .. "

سألت سهر بحدة " وانت ؟"

لترد عليها هاجر بسؤال " انا ماذا ؟"



انحنت سهر قليلا للامام بينما تلمح ياسر بكل تركيزه موجها نحوهما لتقول بصوت خافت

" ماذا تشعرين نحوه لتتشبثي به هكذا دون غيره ..؟ اكاد أجن لافهمك .. ليس خارق الوسامة ولا غنيا مثلا كما تفضلين ، انه لا يملك اكثر من أي شاب عادي يبني مستقبله بخطوات جيدة .. غير هذا انه كان رجلا كثير العلاقات ولم يتخذ علاقة واحدة بشكل جدي .. ماذا ترين به بالضبط ؟ ولا تقولي لي (اعجبه) لان طابور المعجبين بك طويل ..."

تركت هاجر شوكتها جانبا لتحدق بجدية في عيني سهر .. بدت نظرات هاجر غريبة تسكنها وحدة قاتلة واحتياج رهيب ...

توجع قلب سهر لاجلها ... انها تعرف هاجر منذ الصغر .. هي صديقتها قبل ان تكون ابنة عمها الوحيدة .. وتعرف كم عانت من اسلوب والدها البارد معها .. خاصة بعد وفاة امها اصبح تعامله جافا يميل للخشونة والقاء الاوامر ...

وما عودة هاجر للوطن الا نوعا من التمرد على تعامل ابيها لتفرض عليه استقلاليتها واكتفائها بنفسها ... ماديا ومعنويا ..

قالت هاجر اخيرا

" لااعرف ما يشدني اليه هو تحديدا .. فيه شيء يجذبني ولااستطيع مقاومته .. "





اردات سهر ان ترد عليها فسارعت هاجر لرفع يدها وهي تهز رأسها وتقول

" ولاتقولي اني اشعر هكذا لانه رفضني وكرامتي وكبريائي وكل هذا الكلام .. اعترف ربما في البداية هذا ما اثار اهتمامي حوله .. ان يبدي اعجابا غريبا نحوي ! وكأنه لايراني الا عبر شاشة عرض مرئية لاتمت للواقع بصلة ! لااعرف كيف افسر لكنه جذبني واغاظني بنفس الوقت .. بعدها .. "

توقفت للحظات وعيناها العسليتان تلمعان بشدة لتضيف بنبرة عذبة

" بعدها .. وكلما تعرفت عليه اكثر كان يشدني اليه اكثر واكثر وبطريقة لم اشعرها يوما .. ربما شخصيته .. ربما ضحكاته .. اسلوبه في الكلام .. في الاهتمام بمن حوله على نحو خفي لايظهره .. انه فقط يهتم ويفعل كل شيء لاجل من يهتم بهم .. دون اعلان صاخب .. انه حتى يدخن بشكل مختلف .. يصمت بشكل مختلف .. وعندما يتكلم يبدو مختلفا عن اي رجل قابلته في حياتي ..."

تفاقم القلق داخل سهر لتقول بتوتر

" هاجر توقفي عن هذا الانجرار السخيف خلف الاوهام .. رافد لايبدو حتى بوضع طبيعي ليتعامل مع مشاعرك الغريبة هذه نحوه .."



استعادت هاجر برودتها لتهز كتفيها بحركة مستفزة وتعود لالتقاط شوكتها وهي تقول

" انا لن افعل شيئا .. وهل فعلت ؟! فقط .. سأكون موجودة عندما يعترف بحاجته لامرأة حقيقية مثلي حتى تشاركه حياته وتفهم كيف تعمل خلاياه .."

ران الصمت البارد على سهر ثم نظرت باتجاه ياسر لتجده منشغلا بالتكلم مع الحارس عبد الكريم فقالت اخيرا

" لاترتكبي غلطتي مع اسامة الهاشمي "

توقفت يد هاجر عن التقاط الطعام من صحنها لترفع عينيها لسهر التي واصلت الكلام

" لاتتعلقي برجل واهمة نفسك انك قادرة على امتلاك قلبه رغم امتلائه باخرى .. لاتدعي ثقتك بنفسك تخدعك يا هاجر .. القلوب لاتحكمها قوانين .. "

واجهتها هاجر بصلابة

" هل تقولين انه يحب زوجته ؟"

ردت سهر بطريقة اشبه بالتساؤل تبغي ان تواجهها

" ألم تقولي انه اخبرك بهذا ؟ "

للحظة شحب وجه هاجر لكنها استعادت سيطرتها لتقول بلا مبالاة

" نعم ... اخبرني ان هناك امرأة في حياته لكنه لم يحدد .. "





هتفت بها سهر وقد ضاقت ذرعا بتعنتها

" يا الهي الا ترين ما تقحمين نفسك فيه ؟! ان كانت غالية من يعشقها او كانت امرأة اخرى يعشقها فما معنى وجودك انت في الصورة ؟!"

ارتعشت الشوكة في يد هاجر لكنها تعنتت اكثر وهي ترد

" لسبب ما هو يفتقد الحب ممن يعشق وهذا يعني ان حبه لتلك المرأة المجهولة ليس كافيا وسينتهي قريبا .."

اتسعت عينا سهر وهي تهمس بلا تصديق

" انت فقدت صوابك ...! "

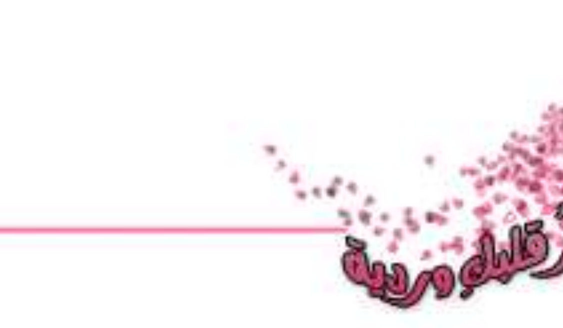
أفلتت اعصاب هاجر لتقول بقسوة وخشونة

" لاتتدخلي سهر .. لست ضعيفة ولا غبية "

حركت سهر جسدها لتدفع الكرسي وتقف على قدميها وهي تقول بغيظ مكبوت

" منذ هذه اللحظة لن اتدخل بأي شيء يخص هذا الموضوع .. ولن ابدي حتى ملاحظة عابرة وتحملي انت النتيجة وحدك ... انا سأنسى اني حتى اعرف بكل هذه الدوامة التي تلقين نفسك فيها .."

تطلعت اليها هاجر بينما تزم شفتيها لتضيف سهر بتوبيخ ضمني



" وسأنسى ايضا غبائي عندما اخبرتك بامور خاصة بحسن نية لاحميك من مشاعرك وانور بصيرتك فسارعت لافشائها وتسريبها لبعض البنات من زميلاتي القديمات في الجامعة دون ان تفكري بما ستبيينه من مشاكل لي ولرافد ولزوجته التي لاذنب لها في شيء مما جرى عليها .."

هذه المرة كان شحوب هاجر أشد وانخرس لسانها وهي تحرك وجهها جانبا بعيدا عن مرمى نظرات سهر الحانقة ...

لتتحرك سهر تاركة ابنة عمها لوحدها تصارع جملة من الاحاسيس المتشابكة ..

قاطع ياسر طريقها وهو يسأل بصوت خافت خشن " ما بها هاجر ؟"

تمتمت سهر وهي تحاول تجاوزه

" لاشيء ..."

امسك ساعدها فبدى شديد العبوس قاسي الملامح وهو يقول من بين اسنانه بخشونة

" اخبريها ان لا أمل لها مع رافد .. فلتحترم نفسها وتصُن كرامتها وتبتعد عنه ..يكفيه ما هو فيه ... لاينقصه فتاة مغرورة ترمي نفسها في طريقه .."

همست سهر بلوم " ياسر .. لاتقل هذا عنها "

بنظرة صلبة مستهينة تحرك ياسر تاركا سهر تغلي في اعماقها بسبب هاجر ...





خرجت غاليۃ من مكتب المحامي وهي تحمل الاوراق وتجلس على كرسيها ..

تدون ملاحظاته وبعض طلباته ..

تنفست الصعداء بعد ان أنهت كل شيء وكانت سعيدة ان لا عملاء جدد لهذا اليوم ..

" مساء الخير .."

توترت تلقائيا وهي ترفع رأسها لصوت تعرفه قادم من ناحيۃ الباب الرئيسي لمكتب المحاماة ..

حدقت بقامۃ الرجل المستندة بتراخ على اطار الباب بينما يبادلها التحديق بنظرات غريبۃ وابتسامۃ صغيرة لامعنى لها ..

تمتمت غاليۃ وهي تقف على قدميها عابسۃ

" منذر ؟!"

فيرد بتفكه ساخر وهو ما زال على وقفته

" نعم .. منذر ..."

استعادت رباطۃ جأشها لتتكلم ببرود ونبرة عمليۃ

" هل انت عميل هنا ؟"

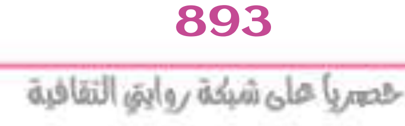
رفع حاجبا واحدا وهو يتحرك نحوها ويقول

" عميل جديد .."

فتسأله بنفس النبرة وهي تسحب ورقۃ بيضاء

" حسن .. اهلا بك .. تريد موعدا ؟"





رد بسخرية متعمدة

" نعم .. ارجوك ... لو سمحت .."

رفعت نظرات اشد برودا اليه وهي تسأل بشكل آلي

" نوع القضية ؟"

ابتسم في وجهها بل حتى تطاولت نظراتها لتمر بسلاسة على شعرها اللامع المحلول على كتفيها وفستانها البنفسجي المعرق بالابيض وقد بدت فيه جميلة بشكل خاص ...

كلها بدت جميلة محببة ناطقة بالحياة كما كانت يوما قبل خمس سنوات ...

بل انه بات يرى في عينيها صلابة لم يرها قبلا ...

سأل بتفكه

" هل انت مرتاحة في العمل هنا ؟"

ردت بنبرة رسمية

" نعم الحمد للّه .. ما نوع القضية لو سمحت ؟"

أمال رأسه جانبا وهو يسأل

" لماذا لااتوسط لك لتعملي بمؤسسة الجراح؟ سيكون لك مستقبلا افضل "

وضعت غالية الورقة البيضاء على سطح مكتبها الصغير المتواضع لتسأل بهدوء اجادت اظهاره

" ماذا تريد منذر ؟"



غموض اكتنف ملامحه وهو يقول بنبرة عادية

" ناهد نوهت ان الخالة اقبال من أجبرت رافد على الزواج منك حال انتهاء عدتك "

اشتعلت نظراتها بالغضب بينما يضيف لامباليا بردة فعلها الاولى

" اتساءل ... ألم تندمي على تسرعك بالزواج من رافد كما فعلتها قبلا مع اخيه الاصغر الارعن ؟ ام ربما هي مجرد مرحلة انتقالية لك حتى تقفي على قدميك ليحررك رافد بعدها ؟ اتفاق ضمني على ما اعتقد بينك وبين حامي الحمى رافد .."

ضربت بكفها على سطح المكتب لتقول من بين اسنانها

" إما ان تخبرني بنوع القضية لاسجل لك موعدا و إما ان تغادر في الحال .."

ابتسامة جانبية وهو يقول باستفزاز رقيق

" استطيع ان اشكوك للمحامي واتسبب بطردك من العمل وهذا في الواقع سيكون لصالحي حتى اقنعك للانضمام لمؤسسة الجراح بدلا من هذا العمل المكتبي السخيف الذي لايليق بمؤهلك .."

بدت غالية في قمة الغضب والحيرة وهي تسأله بل تكاد تصرخ بسؤالها

" ماذا تريد مني ؟"





أظهرت ملامحه شراسة غريبة ورغبة دفينة للحصول على شيء ما غير محدد .. ربما غالية وحدها من لاتستطيع تحديده ليقول منذر بنبرة وقحة

" اريد منك ؟ ... اعتراف بالندم ... على الاقل عن زواجك من راغب "

اخذ قلب غالية يتسارع بانفعال لتسأله بنفس الحيرة

" ما الذي ستجنيه انت ؟!! ان ندمت او لم اندم... ماذا سيضيف لك ؟ "

رفع ذقنه ليقول ببرود ساخر

" ربما يرضي كبريائي "

اتسعت عينا غالية وهي ترد باستهجان

" كبرياؤك ؟!! .. خمس سنوات وكبرياؤك اللعين لم ينس ؟! "

ارتعشت ابتسامة على فمه وهي يتطلع لعينيها ثم اكتفى بالقول

" سأعود فيما بعد لآخذ موعدا ... الى اللقاء .. عزيزتي ..! "

تقبضت يداها تحاول السيطرة على ارتجافهما فتغمض عينيها وتستند بتلك القبضتين على حافة مكتبها وتهمس لنفسها

" انت قوية .. انت قوية غالية .. لاتدعي رجلا مغرورا مثله يؤثر فيك .. تبا له .. تبا تبا لناهد ولسانها الطويل ..."






فتحت عينيها لتلتقط هاتفها ومباشرة تتصل

برقم محدد وحالما اتاها الصوت الحيوي

مرحبا قالت بانفعال

" دكتورة فريدة احتاج للتكلم معك ..

ارجوك .."

صمتت لحظة تسيطر على انفعالها قبل ان

تقول بنبرة متوازنة

" انا اسفة .. اعلم اني اخذت اكثر من جلسة

هذا الاسبوع لكني بحاجة لرؤيتك اليوم ..

ولو لخمس دقائق .."

ردت فريدة بلطف هادئ

" حسن عزيزتي .. بعد ساعة يغادر اخر

مراجع.. يمكنك القدوم عندها .."

شكرتها غالية قبل ان تغلق الخط لتتصل

برافد مباشرة وبنبرة هادئة دأبت على

استخدامها معه خلال الايام الماضية اخبرته

ان يتأخر في القدوم لساعتين اخريين ...

لا احد يعلم ان غالية تراجع عند طبيبة

نفسية حتى رافد ..

رافد الذي نأى بنفسه عنها يمنحها مساحة

لتعيد ترتيب ذاتها وكم هي ممتنة له ..

دوما يفكر فيها اولا ....!

يخجلها ان تكتشف بعد هذه السنوات انها لم

تفكر يوما برافد كيف يشعر وماذا يريد ..؟!

دوما معه تفكر بماذا تشعر هي وماذا تريد !



الدكتورة فريدة كانت اول ما نبهها لهذا .. بل جعلتها تفتح عينيها ان لااحد على الاطلاق فكر ان يسأل رافد ماذا يريد ؟!

كلهم عاملوه بانانية بحتة وهو تلقى انانيتهم بصدر رحب ....

جلست غالية على كرسيها تستذكر اخر جلسة بينها وبين الدكتورة فريدة ..

كانت قبل يومين فقط ...

كيف تتطلع اليها الدكتورة فريدة وهي تستمع بصبر لهذرها المتواصل عن طفولتها ومراهقتها .. عن راغب والحب المفترض الذي جمع بينهما .. عن رافد وكيف كان دوما سندها ولاتتصور حياتها بدون وجوده .. عن والديها واختها الكبرى المفضلة لديهما..

عن خالتها اقبال التي احتضنتها وقدمت لها الكثير لكنها لم تستطع شغل دور (الام)...

وبعد ان هدأ لسانها عن هذا الهذر قالت فريدة بهدوئها المريح

" هل تعلمين رغم كل هذه التشابك المشوش الذي حاك تفاصيل حياتك الا انك محظوظة ..."

فتتساءل غالية باستغراب

" محظوظة ؟! "

لترد فريدة بتسامح مع ضيق نظرتها



" نعم مؤكد ... هل تعلمين ما هي مشكلتك غالية ؟ انك حالك كحال اغلب البشر لاتجيدين النظر الا لنصف الكأس الفارغ وهذا يحبطك .. فيوهمك احباطك ان الكأس بكليته فارغ ! "

لتيف فريدة بنظرة عميقة

" على عكس رافد .. لاينظر الا للنصف الممتلئ فيستكفي .. وربما هذه مشكلته .. انه لم يشكُ يوما من نقص فتنهالون جميعا عليه تغرفون من القليل الذي يملكه دون ان تسألونه ان كان يحتاج لشيء ؟ ان كان مستكفي حقا ام انه مجبر عن (القناعة)!"

خرجت غالية من ذكرياتها بعينين مدهوشتين كما كانت في نهاية تلك الجلسة قبل يومين ..

جلسة اكتفت فريدة في اغلبها ان تستمع لها وتبدي بضع ملاحظات هادئة لااكثر ..

جلسة شابهت الجلسة الاولى ببداية الاسبوع حيث قضتها غالية ايضا بالهذر والكلام في اي شيء وفي كل شيء ...

تنهدت وهي تسترخي في كرسيها والانفعالات تتخبط في داخلها ..

منذر بحضوره وكلماته جعلها داخلها يتأجج من جديد بعد فترة هدوء نسبي عاشته ...



تطلع رافد بملامح هادئة للهاتف في يده ...

شعور الخواء يأكله من الداخل ..

لم يعد يعرف كيف ينام وكيف يستيقظ ..

كيف ينظر اليها وكيف يراقبها .. بل حتى يعد انفاسها عندما تجلس جواره في السيارة ..

وكل هذا يجعله يشعر انه يموت ببطء !

ياسر عاد لينصحه بالصبر عليها واعطائها المزيد من الوقت ...

لكن ... من يعطيه هو فرصة ؟

من يمنحه الامل ؟

من يشفق على عطشه ولو بقطرة !

رنّ هاتفه مرة اخرى فتطلع للمتصل فعلم انها امه لامحالة تسأل متى عودة غالية ..

مؤكد الشقية لولو اتعبتها حتى مع وجود نورية ...

فتح الخط فهاله صوت العويل القادم من الجهة الاخرى !

بعد ساعة ونصف ...

استمعت فريدة باهتمام شديد وتركيز اشد مع الشخصية الجديدة المسماة منذر بينما تنقل غالية لها ابعاد هذه الشخصية..

بقلم نارديناز



تراقب ملامح غالية المنفعلة وهي تتكلم بغيظ سافر عنه ...

ثم تعود لتركز بملامحها عندما أتت سيرة رافد في معرض الكلام ...

صمتت غالية اخيرا وهي تنهت ...

لتقدم لها فريدة قدح ماء وهي تبتسم في وجهها ..

هدأت غالية قليلا بعد ان نفست عن انفعالها لتبتدأ فريدة كلامها بالقول

" هذه جلستنا الثالثة او الرابعة ان احتسبنا جلسة المقهى ... لذلك اليوم سأتكلم انا .. وربما سأكون صديقة ناصحة اكثر من طبيبة معالجة .."

حدقت غالية فيها بانتباه شديد بينما تستعدل فريدة في جلستها لتقول فجأة وبنبرة تفيض غيظا

" هل تعلمين كم انت محظوظة بوجود رافد في حياتك ملتصقا بكل تفاصيلها ؟ حتى انه يثير غيرة رجل واثق كمنذر .. يا فتاة يا محظوظة كم احسدك وأموت غيرة منك .."

عفويا ابتسمت غالية .. دوما فريدة لها طبع مرح حتى وسط جديتها ...

استعادت فريدة جديتها لتضيف

" انه موجود دائما حولك .. ومنذ طفولتك .. جعلك تشعرين تلقائيا بانتمائك اليه عبر سنوات حياتك حتى غدوت شابة وأم .."



علقت غالية معترفة " نعم انا انتمي اليه لكن .. كأخ .. حتى كأب .. كسند .."

عبست فريدة لتقول

" ايتها المغفلة هل تعلمين كم امرأة ستحسدك على زوج يلعب كل هذه الادوار في حياتك ؟"

نبض قلب غالية بقوة وهي تهمس

" لكني لااشعر به كزوج .. يا الهي .. انا .. اشعر بالنفور من فكرة تقربه جسديا مني "

بنبرة صريحة واجهتها فريدة بالسؤال

" اذن لماذا رضيتِ ان تتزوجيه ؟"

فتحت غالية فمها لترد لكنها لم تجد اجابة شافية !

فردت فريدة نيابة عنها

" تنتقمين من راغب فيه كما عرض هو ؟ تعذبينه بتسلطك على مشاعره ؟ ام ربما انت تنتقمين من والديك اللذين خذلاك كالعادة ورمياك على كاهله ؟ ومنه هو شخصيا لانه خذلك كما خذلاك عندما كشف لك انه ينظر اليك كرجل عاشق حتى الثمالة وليس كأخ محب متفان على نحو مغيظ .....!! "



ارتعشت غالية وعيناها تتسعان كمفجوعة

بينما تواصل فريدة كلامها لتحطمها بالقول

" ومن يدري قد تكونين سعيتِ لتنتقمي من راغب فقط فمؤكد شخصية مثله سيجن عندما يعلم بزواجك من اخيه الاكبر الذي يقلده ويعتبره قدوته ومثار غيرته في نفس الوقت "

هال غالية ان تتكشف دواخلها بهذه البساطة والبشاعة ...

هالها ان تواجه اختلاجاتها في تلك الفترة العصيبة قبل ان تتم عدة طلاقها ...

منذ تحطمها على يدي راغب ..

بل منذ سمحت لراغب ان يحطمها ...

قالت فريدة وهي تستعيد هدوئها

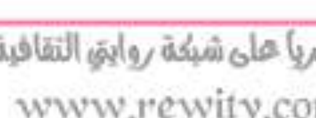
" لقد كنت انانية غالية ولم تشعري به ...

والانانية بحد ذاتها مرض تجعلنا نخسر دون ان نشعر فبحور الانانية تجر صاحبها دوما للقاع !"

اخذت عينا غالية تلتمعان بالدموع ولاتعرف لم راودتها صورة رافد وهو يحملها طفلة ويضاحكها كما يفعل مع لولو الآن ..

قالت فريدة بنبرة غلب عليها التعاطف

" اخرجي قليلا من نطاق ألمك المسيطر عليك واشعري به لانك شريكك في هذا الألم يحمله معك ويعانيه اضعافك ... لاتهربي غالية من حقيقة عشقه لك بل تقبليها كأمر واقع وتعاملي معها ..





لااقصد ان تتقبليها الآن بوضعكما الحالي ..
الاهم ان تتقبليها في الماضي اولا ... انه كان
يحبك دوما بشكل مختلف عما اعتقدت ..
يحبك ويعشقك كأمرأة وما زال يفعل
وسيظل الى ما شاء اللّه .. حاولي ان تنظري
لألمه بتجرد .. اخرجي من جلد غالية وانظري
اليه كانسان يتألم ... تخيلي كيف عاش
لسنوات وانت واخاه في مداره ...! لاتمنحانه
حتى فرصة ليلتقط انفاسه ... "

بدت غالية في حالة ذهول بل بدت وكأنها
تنظر لكل حياتها بشكل مختلف بينما
تواصل فريدة مواجهتها

" تقولين انك تشعرين بالنفور من ملامسته
لك ؟ فتخيلي كل مرة لامسك فيها اخوه
وامام ناظريه ..! تخيلي معرفته بحملك لاول
طفل من صلب اخيه .. هل لديك ادنى فكرة
عن عذابه ..؟ انه لايقارن بشعور النفور الذي
تشكين منه .."

صامته لاهثة الانفاس وهي تستعيد بضع صور
متفرقة من الماضي ..

راغب يقبل عنقها امام اخيه وهو يمتدح
تسريحة شعرها ..



راغب يتعمد ملامسة بعض الاماكن من جسدها بينما رافد يقف عن بعد بضع امتار .. صامتا نائيا هادئا ..

هادئا تماما في قشرته الخارجية ..

راغب يهلل ويرقص معها وسط الحديقة ويصرخ كالمجنون والخالة اقبال تزغرد سعداء فرحين بنتيجة فحص الحمل الذي جاء ايجابيا.. حملها الاول بصغيرتها لولو ...

بينما رافد.. يا الهي .. رافد كان يستند بكفه على حافة السيارة يبدو لها الآن انه كان على وشك الانهيار لكن تلك الابتسامة الجذلى منه خدعت الجميع !

جاء صوت الدكتورة فريدة وكأنه قادم من بعيد

" انا لااقول لك هذا لتسارعي برمي نفسك امامه رهن اشارته .. الشعور بالذنب ليس الخطوة الصحيحة لبناء حياة زوجية .. كما انه ليس خطأك انت الاخرى انه احبك في صمت .. انت ايضا عانيت بما فيه الكفاية واخر ما ساقوله ان تضحي بنفسك لاجل رجل لاتحبينه .. انت تحتاجين ان تقفي على قدميك وتنفضي عنك آخر ذرات غبار الضعف الذي تراكم في داخلك عبر السنوات .. لكن لاتنسي وسط كل هذا ان رافد رجل .. وقد تحمل وصبر كثيرا ..




تقبلي انه معرض ان يضعف امام امرأة مهتمة

كحمراء الشعر تلك وفي لحظة ربما ينهار

ويفضل ان يبدأ من جديد ويحاول مع امرأة بناء

حياته هو الآخر ... امرأة تقدره وتمنحه

السعادة "

جحظت عينا غالية وهي تحدق بعيني فريدة

الثابتتين عليها لتؤكد فريدة

" أكرر .. انا لاحاول الضغط عليك .. انا

اوضح لك فقط الامور كيف يمكن ان

تجري .. رأيت كثيرا من الزوجات المنهارات

بسبب خيانة ازواجهن .."

تمتمت غالية بتشتت

" ماذا يجب ان أفعل .. ساعديني ارجوك "

مدت فريدة يدها لتربت على يد غالية وتقول

" اريدك ان تعودي بشريط حياتك للخلف ..

عودي لطفولتك التي رافقك رافد بها ..

واستعيدي المشاهد معه بروح اخرى ونظرة

مختلفة ... امعني النظر في التفاصيل مرة

ثانية لكن بعينيه هو .. لا بعينيك انت ...

عيشيها تنشقيها دعيها تتغلغل لانفاسك

كعطر جديد يداعب حواسك كأنثى ..

اشعريها بقلبه العاشق لا بقلبك الذي احبه

كأخ لسنوات طوال ... "

ثم تضيف بنبرة مؤثرة



" انه زوجك غالية .. واجهي هذه الحقيقة ولا تغضي البصر عنها كما غضضت البصر قبلها عن خيانة راغب لك .. لاتغرقي في السلبية ولاتضيعي حياتك وانت تتخفين مما يخيفك مواجهته .."

ابتسمت فريدة فبدت شابة صغيرة في عيني غالية بينما تردد

" قرأت مرة هذه العبارات

الحب نصيب والفراق قرار

الحزن نصيب والفرح قرار

وجود شخص بحياتك نصيب

والاحتفظ به او تركه .. قرار

كلنا لانملك النصيب

لكننا نملك القرار

وانا اردده لك الآن ... واقول ... بعد ان تواجهي الماضي بنظرة جديدة حقيقية .. قرري غالية .. قرري لتريحي نفسك وتريحي الرجل من هذا العذاب .."







منتصف الليل ...

دخل غرفة امه بخطوات هادئة حتى لايوقظ النيام ...

لمحة سريعة للفرش على الارض بجانب سرير امه فرآه خاليا ممن افترشته ..

اطلق تنهيدة خافته وهو يفكر متسائلا ..

اين تراها غالية ؟! هل عجزت عن النوم مثله ؟

أقترب اكثر من سرير امه حيث ضمها مع حفيدتها الشقية..

كتم آهة قلبه وهو يحدق بتلك الجبيرة الصغيرة التي احاطت بذراع لولو الايسر ..

حبيبته .. وابنة حبيبته .. لهف قلبه عليها كيف آذت نفسها هكذا لتؤذي قلوب كل من يعشقونها في هذا البيت ...

حتى نورية كانت تولول جزعا عليها بل تلطم على الخدين وتكاد تنهار من شدة البكاء ...

كانت نورية من اتصلت به هاتفيا لتخبره بعويلها الهستيري ان لولو وقعت على الدرج وتبكي بكاء غير طبيعي عجزت هي وأمه عن ايقافه ..

انحنى رافد ليطبع قبلة على خد لولو فاختلج صدر الصغيرة بأثر البكاء حتى وهي نائمة ...

انحنى هذه المرة ليطبع قبلة على جبين امه .. ووجهها متغضن في سباتها ..







كانت صامدة كعادتها اثناء هلع الجميع ..

وتنهر نورية على هستيريتها الباكية لكن حالما خرجت لولو من غرفة الطوارئ بعد تركيب الجبيرة لذراعها انهارت امه بالبكاء وأصرت ان تنام حفيدتها في حضنها الليلة ...

غادر رافد بهدوء كما دخل .. لم يصدر ادنى صوت ... ما زال عليه ايجاد غالية ليطمئن عليها هي الاخرى ...

تذكر عندما ذهب اليها اخيرا ليأخذها من مقر عملها كان قد اعاد لولو وامه للبيت واوصل نورية في طريقه لبيت عائلتها ...

لم يستطع اخبار غالية فورا بما حصل للولو خاصة وقد بدت غارقة بافكارها وتتطلع اليه بنظرات لم يفهمها !

ولم يكن بوضع نفسي ولا ذهني ليسألها عما يشغلها ولماذا تحدق فيه بغرابة هكذا ..

كل تفكيره كان منحصرا كيف سيخبرها عن لولو دون ان يثير هلعها ...

نوه لها ان الصغيرة وقعت واذت نفسها قليلا لكنها فطنت انه يخفي عنها اصابة لولو الحقيقية واوشكت ان تنهار قلقا حتى وصلا البيت وحالما رأت ذراع ابنتها في جبيرة تراخت ساقاها مما جعله يسارع لاسنادها قبل ان تقع ارضا...



مسح رافد على وجهه ...

انه مرهق بكل ما تحمله الكلمة من معنى ..

مرهق جسديا وعقليا وعاطفيا ...

يحتاج لطاقة تبث فيه بعض الحياة والا سينهار...

ولايعلم كيف خطرت في باله هاجر !

نفض رأسه من تلك الخزعبلات السخيفة وتحرك ناحية المطبخ حيث يتوقع ان يجد غالية ...

ابتسم بشجن لصحة توقعاته ...

ها هي بجلباب خفيف تقف قرب براد الماء تولي باب المطبخ ظهرها فيقف هو يحدق بجسدها المتشنج ..

انها هنا في قلب ظلمة المطبخ تداري مشاعرها .. وكم يعرف هو كيف تشعر الان ؟ ويعرف كيف تفكر ؟ وكيف تلوم نفسها..

تفاجأ انها شعرت به وهي تهمس اسمه باضطراب يوجعه " رافد ..."

لم يتأخر لحظة وهو يقترب منها ليمد ذراعيه يمسك كتفيها ويلف جسدها لتواجهه فتسارع غالية لاخفاء وجهها بين كفيها مما جعله يئن في داخله ليهمس لها بنبرة رجولية تفيض رقة وحنانا وعشقا لا قرار له



" هوني عليك حبيبتي .. انها بخير ..انه حتى ليس بكسر حقيقي .. يسمونه كسر العظم الاخضر ... اسبوعان وستكون بخير "

انهارت في البكاء تشهق وتتمتم بكلمات متفرقة وهي تغمر وجهها الباكي بين كفيها

" بئسا لي من أم انانية فاشلة ... انا لااستحق طفلة رائعة مثلها .."

لم يحتمل وهو يرفع كفيه ليبعد كفيها عن وجهها فيمسك هو ذلك الوجه الحبيب بين راحتيه و يمسح دموعها بابهاميه هامسا بلوعة

" لاتبكي هكذا طفلتي .. انها بخير .. بالف خير .. مجرد كسر بسيط .. يحدث لكل الاطفال .."

غارقة في بؤسها منهارة في احتياجها لمن يخفف عنها تتمتم بهمس متألم

" لقد اهملتها رافد .. اهملتها لم اهتم الا بنفسي .. يا الهي كم اشعر اني بشعة من الداخل .. بشعة كأمراة وابشع كأم .. "

كيف يواسيها ليواسي نفسه ؟ ..

لايعرف كيف تحرك براسه لتحط شفتاه على بشرة وجهها ...

غارقة هي في دموعها ولم تشعر حتى بشفتيه تلامسان جبينها ثم خديها لينحدر لخط فكيها ...





ازهار قلبك وردية

تخققنها العبرات وهو ما زال ينشر قبلاته

الدافئة على وجهها ويهمس بعبارات متفرقة

" بل انت اروع أم .. واجمل امرأة .. وأطيب قلب واكثر النساء رقة وعذوبة ..."

يكاد قلبها المتعطش يتفجر بالحاجة للارتواء من كلمات ككلماته ...

فقد رافد رشده وثمل من رائحتها وهواء انفاسها الذي يتنفسه ورطوبة الدموع على خديها التي تروي جفاف روحه قبل شفتيه ...

يشعر باللهيب يتصاعد ويتصاعد حتى شع من كل خلية منه ..

لم يعد يفكر ... لم يعد يملك حتى الرغبة بالتفكير ...

جن وعشقه لها جنون مطبق ...

شفتاها تراختا امامه فلم يع ابعاد مايفعله وهو يلملم عذاب عمره كله.. فيهما .. اخيرا .. في تلك الشفتين ...

اصابها الارق وهي تتقلب في السرير بجانب ياسر المستكين في نوم هادئ ...

اغاظتها استكانته بعد ان كان شديد التوتر وهما يغادران المطعم مساء ..

وما اثار غيظها اكثر انها لم تستطع معرفة سبب توتره رغم كل محايلتها له التي قابلها ببرود صامت ..





كل ما خمنته ان للامر علاقة بجودا فقد حضر سعد للمطعم وقت المغرب وانفرد بياسر في مكتبه وعندما تطفلت عليهما سمعت اسم جودا يتردد بينهما وقد بدى الاثنان متجهمين متوترين غارقين بتفكير غامض استعصى على سهر فك رموزه..

تخيلت ان الليلة سيهجرها ياسر بعاطفته لكنه فاجأها بأنه كان اكثر عاطفية وتطلبا .. وكأنه يطلب دعمها باسلوبه ...!

وهي منحته ما اراد وها هو نائم هادئ بينما هي تعاني الأرق وافكار كثيرة متشابكة تخوض معاركها في رأسها ...

اولا موضوع جودا الغامض وتوتر ياسر وتمسكه باسلوبه المزعج بالاخفاء عنها وعزلها عن مشاكله ...

ثانيا ..... تنهدت سهر وهي تحاول لملمة افكارها المبعثرة ...

ثانيا هذه تخص ابنة عمها ...هاجر

لم تستطع الكف عن التفكير بحالتها ..

فكرت ان تستشير والدها بالموضوع لكنها متخوفة من ردة فعله .. فهاجر ستظل ابنة اخيه وهو اصلا غير راض عن سكنها بمفردها في شقة منفصلة ...

لكنه لم يتدخل بناء على طلب شقيقه شخصيا ...





انسحبت بهدوء من سريرها فترتدي مبذلها الحريري فوق قميص نومها القصير وبينما تغادر الغرفة بخفة لم تشعر بعينين داكنتين تراقبانها ...

لم تغلق باب الغرفة خلفها بل تركته مواربا ..

ستعد لنفسها كوبا من الشكولاته الساخنة فربما سيريحها ويجعلها تنام ..

عيناها تسمرتا على الغرفة المقابلة لغرفتها ..

تلك الغرفة البديلة التي شغلها ياسر بشكل مؤقت قبل زفافهما ..

لاتعرف ما حرك فضولها مرة اخرى ..

ربما لان باب الغرفة كان مفتوحا حتى منتصفه !

وبدلا من ان تذهب يمينا ناحية الدرج اختارت التقدم للامام لتدخل ماضي ياسر الذي ما زال مخبئا بجزئه الاهم من روحه ...





الفصل الرابع والعشرون

تخققنها العبرات وهو ما زال ينشر قبلاته الدافئة على وجهها ويهمس بعبارات متفرقة

" بل انت اروع أم .. واجمل امرأة .. وأطيب قلب واكثر النساء رقة وعذوبة.."

يكاد قلبها المتعطش يتفجر بالحاجة للارتواء من كلمات ككلماته..

فقد رافد رشده وثمل من رائحتها وهواء انفاسها الذي يتنفسه ورطوبة الدموع على خديها التي تروي جفاف روحه قبل شفتيه ...

يشعر باللهيب يتصاعد ويتصاعد حتى شع من كل خلية منه ...

لم يعد يفكر ...

لم يعد يملك حتى الرغبة بالتفكير ...

جن وعشقه لها جنون مطبق ...

شفتاها تراختا امامه فلم يع ابعاد مايفعله وهو يلملم عذاب عمره كله.. فيهما .. اخيرا .. في تلك الشفتين ...

إنهار من قبلة ! لايعرف ما حصل وهو عاجز عن الابتعاد للحظة حركت وجهها وافلتت شفتيها منه فأصدر انينا موجعا متوجعا معترضا بهمسة (لاااا) قبل ان يأسرهما مرة اخرى في قبلة.... مختلفة ...



هل جن ليتخيل ان شفتاها تستجيبان له ؟!

جن وجن وجن ...

كله مجنون ... كله فاقد لمنطق مفهوم ..

نبرات صوته تقطعت وهي يهمس بين شفتيها

" غالية .. روحي .. نبضي .. انفاسي تجسدت امامي في كيان منفصل فكانت... انت ...."

كانت تختض بين ذراعيه فتزيده اشتعالا ورغبة ، قبلاته اصبحت اكثر عنفا اكثر تطلبا حتى سمع تمتماتها المتوسلة المخنوقة

" رافد ... اتركني .. يكفي هذا .. ارجوك .. احتاج ان ... ان ..."

دفعته بحركات خرقاء ليفلتها متوجعا بالتوق المفجع لحواس رجولته ...

يترنح حتى استند لحافة الخزانة يراقب بتشوش خطواتها المترنحة نحو باب المطبخ ..

اراد تركها تهرب .. حقا اراد .. لاجلها هي ...

لكنه لم يعرف كيف عاندته قدماه او كيف امتلكتا الارادة والقوة لتهزما ارادته وتلحقا بها في خطوات واسعة ...

وعند باب المطبخ سحبها من مرفقها لتصطدم شاهقة بصدره .. يلف خصرها بذراع و يمد ذراعه الاخر ليغلق باب المطبخ ..

همست بوجل مرتجف " ماذا تنوي ان تفعل ؟!"

يده المرتجفة تركت الباب لتمسك وجهها ثم تزحف بين خصل شعرها فيثبت جبينه على جبينها لاهثا بالهمس المبحوح

" اتوسل اليك فقط بضع دقائق اخرى .. أنهل من روحك .. من انوثتك .. من هوى قلبك ... فقط دعيني لبضع دقائق معك .. اقسم باللّه بضع دقائق لااكثر ... لن اتمادى ابدا... "

هذه المرة اختض جسده بعنف اكبر وهو يلف جسدها لفا يلصقها به فيتأوه

" آآآآآآآه غالية .. غالية .. ليتني اموت ها هنا بين ذراعيك ... لااريد تركك ابدا لكني سأفعل .. سأمزق قلبي تمزيقا لاجبره على افلاتك فقط لاجلك يا معشوقة القلب ..."

مال بشفتيه يلامس عنقها بشغف لايعادله شغف ...

اما هي ... فكانت لاتعي بشكل محدد ما حدث ويحدث ...

لكنها فقط تشعر انها .. تعيش !

تعيش كما لم تعش حدثا في حياتها من قبل...

غمائم وردية احاطت وريقات انوثتها الذابلة فنثرت حبات ندى تنعشها بنبض الحياة من جديد ...

غمائم من صنع رحيق انفاسه وقبلاته الحارة المتلهفة على بشرتها وشفتيها..



من لمسات يديه المرتعشة التي تستشعرها
بوضوح عجيب كيف تفيض تلذذا بكرا
وانبهارا مصعوقا بما يكتشفه من ملمسها
وكأنه يعرف انثى لاول مرة في حياته ...

بل وكأنه ما رأى انثى قبلها ..

ما ابصرتها رجولته ولا لمست روحها ...

كل ما يحدث جعلها تطلق تنهديات الرضا
استجابة لعنفوان رجولته التي غمرتها ..

ولاتعرف من أين أتتها كلمات فريدة ...

لاتعرف كيف اقتحمت تلك الكلمات خلوة
مشاعرها الخاصة لتحثها على النظر للماضي
بعين اخرى.. هناك ما يعتمل في صدرها
ويضج به عقلها لكنها لاتدرك كنهه ...

لم يتوقف رافد عن همساته فتجعل ضجيج
عقلها ومكنون صدرها يتصاعد في احتدام
متعسر النهاية الحاسمة الثابتة الاركان ..

" احبك ... احبك غالية .. مجنون متيم ..
آآآآآآه حبيبتي .. طفلتي ... انا .. التي انتظرتها
تكبر لاجلي .. ما عشقت ولن اعشق سواها "

اشتدت اوزار المعارك اكثر واكثر مع ارتفاع
زغاريد الانثى فيها ..

كلها يزغرد ...

كل كينونتها كأنسانة تزغرد..

عندما افلتها اخيرا يأمرها بخشونة ان تذهب
في الحال كانت في حالة طوف فوق الواقع...
فوق ادراك الماديات من حولها !



بقلم كاردينيا73

تتحرك دون ان تركز الى اين تذهب ..

ارتطمت ساقها بحافة اريكة لكنها لم تشعر بالألم واصلت حبوها الذهني حتى وجدت صغيرتها ما زالت نائمة في حضن جدتها ..

حدقت فيها للحظات طوال دون ان تبدي اي حركة ...

لم تكن توصلت الى مرحلة التفكر والتدبر..

انها فقط في حالة طوف ...!

جلست سهر على حافة السرير المنفرد الذي كان يخص ياسر سابقا ..

مبذلها الحريري سقط الى جانبيها وانحسر عنها قميص نومها القصير ...

تحمل يداها رسائل قديمة العهد يعود تاريخها لما قبل خمسة وعشرون عاما !

افترشتها سهر على حضنها لتلتقط واحدة وتقرؤها على ضوء القمر ...ببطء..

حتى انفاسها تباطأت فضولا وترقبا ...

لقد فتحت احد الادراج الخاصة المستعصية لياسر ..

انها مدركة وواعية لجرأتها بعبور حواجز شائكة ... لكنها لن تتراجع ...



انها تعشقه كما يعشقها ..

انه رجلها .. وهي امرأة فضولية متملكة ..

تحب ان تغوص في أدق تفاصيله وتتعشق بها..

عقدت حاجبيها قليلا وهي تحدق باستغراب

في أسطر الرسالة الاولى التي فتحتها ...

لم تفهم !

ففتحت رسائل اخرى ووجدتها بنفس النمط

كأنها مجموعة احاجي !

انعقد حاجباها بعبوس وهي تحدق باسطر

الرسالة التي تتابعت بلونين مختلفين

وبالتعاقب ...

ازرق ثم احمر .. ازرق ثم احمر ...

تقرأ بيتا شعريا غزليا معروفا مكتوبا بالازرق

فترى في السطر الذي يليه وبالاحمر بيتا

شعريا اخر كرد عليه ...

تقرأ كلمات (زرقاء) تفيض شوقا او عتبا او

شكوى رقيقة من الغربة والوحشة ...

فترد عليها كلمات (حمراء) تفيض بشوق

اكبر وتفهم لعتب وتصبير على غربة

ووحشة..

مزحة شقية فاضحة بالازرق ..

عبارة (قليل الحياء) بالاحمر ...

ثم فجأة اشتعل ضوء الادراك في عقل سهر ...

لقد حلت اللغز البسيط!



عيناها تتسعان ثم اخذتا بالالتماع بينما انفاسها تتحشرج بتأثر ...

تمتمت بانبهار وهي تحدق بالكلمات...

" انهما يتغازلان كمراهقين ؟"

هو يرسل لها رسالة يكتبها بالقلم الازرق ..

وهي ترد عليه بالاحمر ...

ابتسمت سهر عفويا وهي تهمس ..

" الازرق هو والد ياسر والاحمر والدته ؟

هو يرسل لها رسالة وهي ترد عليه بنفس الرسالة ....انهما عاشقان ...."

ثم فجأة توجع قلبها وهي تفكر بجزع وحنق انثوي ...

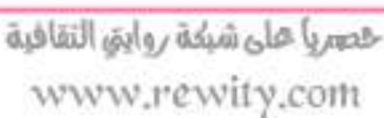
يا الهي كيف تزوج عليها وهو يعشقها بهذه الطريقة ؟! بل كيف احتملت هي الوجع وهي تبادله العشق عشقا ...

ظل أسود خيم في ظلام الغرفة وحجب ضوء القمر عنها ..

شهقت سهر باجفال مروع وهي تحدق اولا بقدميه الحافيتين ...

رفعت وجهها في نفس اللحظة التي امسكت ذراعيها قبضتان قاسيتان لترفعاها فتقف على قدميها الخائرتين من هول الاجفال ...



تساقطت الرسائل على الارض بينما تهمس لملامح الغضب الجنوني على وجهه

" ياسر ... انا ...."

صرخ بها مقاطعا تأتأتها

" ايتها الفضولية التي لاتعرف حدودها .. من سمح لك بالعبث باشياء لاتخصك ؟! "

عبست سهر ورغم ارتعاشها من غضبه واجهته بشجاعة

" لاحدود بيني وبين زوجي "

اخذ يهزها بعنف وهي يهدر فيها

" لاتتذاكي معي بالكلمات .. هل سمعتني ؟! أمقت الفضول خاصة عندما يتخطى الخطوط الحمراء..."

حدقت فيه بشراسة تعادل شراسته فتهدر فيه هي الاخرى قائلة

" هل تمقت فضولي ام تخاف ان اواجهك بما ترفض مواجهته ..؟ "

بدت عيناه مخيفتين بنظراتهما بينما جاء همسه اكثر ارعابا " ما الذي تقولينه ؟!"

كانت ترتجف في داخلها لكنها لن تترك هذه الفرصة لتفهم ما يحصل له بل ما حصل قبل سنوات وجعله هكذا ..







قالت بانفاس متلاحقة " لماذا ترفض ان اعرف
كم كان والداك متحابين وعاشقين
لبعض؟! هل تخشى ان انعته مثلا بالخائن ام
ربما تخشى ان اتمادى وتنتابني الوساوس حول
مدى وفائك لي تحسبا من جينات خيانة
تسللت اليك ؟ "

اصابعه انغرزت في لحمها فتتوجع دون ان يلق
لها بالا او ربما لم يكن يشعر حتى بما يفعله
فقط تتحجر ملامحه وتتيبس شفتاه تكادان
لاتتحركان وهما تنطقان بهمس غريب

" اخرسي سهر .. اخرسي .. انت لاتعرفين شيئا..
لاتفهمين.. تظنين نفسك ذكية وتحللين
الامور على هواك ... "

حركت كفيها على صدره لتتشبث ببلوزته
البيتية الخفيفية وتهمس بالحاح

" اذن لماذا تحتفظ بتلك الرسائل هنا ؟ كي
تتذكر ما فعله والدك بلحظة ضعف على
الدوام ؟"

بدى ياسر بحال غريب لايوصف ...

عضلات صدره متحجرة من شدة التوتر
كملامح وجهه .. كنظراته .. كهمساته ...

" لقد عشقها بغباء ... احبها بجنون .. "

نظراته المبهمة تركزت على عيني سهر مما
جعلها تشعر بالبرودة تهاجم روحها بينما
يهمس من بين شفتيه



" لقد حطمته امامي .. لقد آذته وآذتني فيه .. وآذت جودا ... تلك الطفلة البريئة التي لاذنب لها الا بابتلائها بشخصين انانيين .. امي وابي ..."

هالها ما عبر عنه ... هالها ان يشعر هكذا نحو امه .. هل يكرهها ؟ ام ان هناك امر اخر حصل جعل والده يخون امه؟ هل فعلت تلك المرأة العاشقة فعلا ما دفعت زوجها ليلجأ لامرأة اخرى ؟

لكن مهلا .. رسائل العشق بينهما مؤرخة بتوقيت مقارب جدا لزواجه من والدة جودا !

اخذ ياسر يهزها ببطء هذه المرة فتختض الافكار المتلاحقة في عقلها بينما يهدر بخشونة وقسوة

" انها تشبهك .. تشبهك في غرورها ودلالاها وانوثتها وحتى مشاعر الانانية فيها .. انها انت قلبا وقالبا ..."

تمتمت سهر مصدومة " انا لست... امك ..! "

للحظة بدى هو الآخر مصعوقا ثم عادت ملامحه لتتلبسها قساوة ضارية وهو يقول بشراسة

" وانا ابدا لن أكون ابي !"

ثم دفعها فجأة وكأنه يرفضها فيقول ببرود جليدي

" اعيدي الرسائل لمكانها ... حالا .."

ثم غادر الغرفة تاركا اياها تحدق في ظهره يجتاحها شعور رهيب باليأس والخوف !

لاتعلم ما جرى لها ..

النوم استعصى عليها وتكات الساعة الموضوعة على منضدة سرير خالتها اقبال بدى وكأنه تعذيب لذهنها الذي يحثها على الفرار...

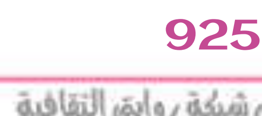
وكيف لاتبحث غريزيا عن طريق النجاة والفرار وقد تلاشت حالة الطوف تماما لتنزل لارض واقع مشوش مائد ...

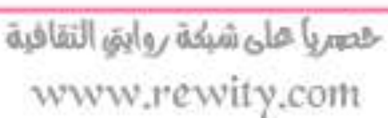
تتقلب في الفراش وعيناها ترتفعان بين لحظة واخرى تراقبان بشرود تململ صغيرتها في نومها بينما تضمها ذراعي جدتها ...

يدها لاشعوريا ارتفعت لشفتيها ..

داهمتها ذكرى حرارة شفتيه بل اشتعالهما ! اتسعت عيناها بنظرة عدم تصديق وشحبت بشرتها فلم تشعر الا وهي تهب على قدميها وفي نفس اللحظة هبت لولو جالسة وهي ترمش بعينيها وتحدق في قامة امها ..







رفعت الصغيرة ذراعها الايمن السليم تنادي بابتسامة بشوشة

" ماما ..."

بانفاس متسارعة اقتربت غالية لتأخذ طفلتها من بين ذراعي جدتها ثم تلتقط هاتفها من على الارض بجانب فرشتها وتسارع لتغادر غرفة خالتها اقبال والنهار يتشقق بضيائه ...

تسمرت قدماها واجفل قلبها وهي تراه نائما على اريكة غرفة المعيشة وبطريقة فوضوية ..

نائم على بطنه نصف جانب وجهه مغمور بوسادة الاريكة الصغيرة ذراعه الايمن متدل للارض كساقه الايمن ....

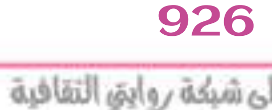
وكان ... يشخر !

" دادا ..."

هتفت لجين بترحاب اكبر وهي ترى عمها النائم فتسارع غالية لاغلاق فمها وتجبر ساقيها على التحرك لتغادر غرفة المعيشة ومنها للباب الخارجي ...

صغيرتها تنشر ضوضاءها وهي ترفع ذراعها للطيور تناديها بكلماتها المبهمة ...





اما غالية فتتحرك بقلق وسط الحديقة وهي تضغط بارتعاش على اسم محدد من اسماء الاتصال لديها في الهاتف الخلوي وطال الرنين حتى اتاها صوت فريدة الناعس

" غالية ! ماذا هناك ..."

تجمعت الدموع في عيني غالية عفويا ..

لاتعرف كيف تفسر لنفسها هذا الاحساس بالدفء والراحة لسماع صوت فريدة ..

ربما لانها تشعرها انها بخير .. انها تملك من تفضفض معه دون احكام مسبقة وبنفس الوقت يكون لطيفا معها وهي يرشدها لاخطائها ...

لم تعرف ما هذرته من كلام متواصل ... كلام متقطع خافت تشرح فيه ما حصل البارحة .. ابتداء من اصابة ابنتها وانتهاء بما حصل في المطبخ مع رافد ...

كانت تنهت وغصة بكاء تخنقها تنتظر ان تعنفها فريدة وان كانت لم تعرف بالضبط اي جزء مما قالته يستحق التعنيف !

لمفاجأتها اكتفت فريدة بالتثاؤب لتقول بخفة ظل محببة

" اين انت عزيزتي ؟ اسمع زقزقة العصافير مع زقزقة صغيرتك .."

ردت غالية بتشتت " في ...... الحديقة ..."

فتتساءل فريدة بشقاوة

" و تنتعلين خفا بيتيا كما أظن ... "

نظرت غالية ببلاهة للاسفل تحدق بخفها الازرق فتهمس " أجل .. بالطبع .."

عندها جاء صوت فريدة بنبرة آمرة حازمة

" اخلعيه .."

تمتمت غالية بقلة استيعاب " ماذا ؟!"

رددت فريدة بنفس النبرة " اخلعيه وسيري حافية على الحشيش الاخضر "

تلقائيا استجابت غالية لتخلع خفيها بينما صغيرتها لولو تهرج بصوتها الطفولي وتضرب بقبضتها على كتف امها ...

ارتعشت غالية لملمس الحشيش المزغزغ لباطن قدميها .. برودته المحببة تغلغلت اليها

فشعرت باحساس قديم العهد افتقدته واوشك ان يتلاشى تماما من ذاكرتها ...

سألتها فريدة وكأنها تجلس قربها لا تكلمها عبر خط هاتف

" كيف تشعرين الان والحشيش الاخضر يزغزغ باطن قدميك ..؟"

ردت غالية وهي ترخي اهدابها

" انه مستفز ببرودته على نحو منعش .. شعور حلو اشتقت له .. اشتقت ان اشعر بنفسي فيه .. دوما الاعب صغيرتي في الحديقة لكن......"

خنقتها الغصة فلم تنهي كلماتها لتتمها لها فريدة بالقول

" لكن انت لاتلعبين ..."



صمتت غاليۃ لتسألها فريدة بحنان هذه المرة

" متى فعلتها آخر مرة ؟"

انحنت غاليۃ بطفلتها لتجلس كلها على

الحشيش وتجلس لولو جنبها فتتلاعب الصغيرة

بتقطيع العشب بين اصابعها ثم ترميه فوق

جبيرتها الصغيرة البيضاء وهي تطلق اصوات

الفرح الشقيۃ ..

تحدق في ابتهاج صغيرتها وهي ترد بنبرة شجن

" لااذكر تماما لكن مؤكد كنتُ صغيرة .."

فتعلق فريدة بامتعاض " كنتِ صغيرة ؟! انت

ما زلت صغيرة ... وان شئت ستظلين بارادتك

لاخر عمرك صغيرة .. هذا خطؤنا الجسيم !

نضع حدودا عمريۃ سخيفۃ للاستمتاع "

تمتمت غاليۃ وهي تقطع العشب على طريقۃ

لولو " انا .. توقفت عن الجري حافيۃ منذ

دخولي الجامعۃ .."

فتسألها فريدة باهتمام " لماذا ؟"

تجمدت يدها ثم تقبضت تعتصر العشب الذي

اقتطعته لترد بنبرة باردة

" راغب كان يكره هذه التصرفات .. "

تمتمت فريدة بتسائل متفكر

" امممممممممم وماذا كره ايضا ؟"

ردت غاليۃ وملامح وجهها تقسو



" امور اخرى مشابهة .. كان يكره اي شيء اتشاركه بعيدا عنه او عن اهتماماته كاللهو المرح مع بعض الصديقات في الثانوية ويعتبرها صغر عقل مني وقلة نضوج..."

للحظة غرقت غالية في الماضي تستذكر الكثير الذي اخذت تتخلى عنه تباعا لاجل راغب !

كان يسحب منها ابتهاجها قطرة قطرة ...

اي شيء لايثير حماسته هو شخصيا كان يبعدها عنه ... حتى غدت بتخرجها من الجامعة تابعا ذليلا لاهتماماته هو !

يا الهي .. كيف لم تفطن حتى الآن للتغييرات التي احدثها بل اجبرها عليها خلال تلك السنوات ؟!!

لتصعقها فريدة بالقول الهادئ المباغت في انتقالته " اخبرتني سابقا ان حياتك الحميمية مع راغب كانت صاخبة في الاشهر الاولى من الزواج ثم بهتت وبردت نهاية العام الاول .."

اغلقت غالية عينيها بشعور خزي مقيت يجلد انوثتها بالسياط لتهمس بنبرة مجروحة

" نعم ... وارجوك ... لاتجبريني مرة اخرى على وصف حالنا في ... العام الثاني ... من الزواج ،



لاتدفعيني لاعيد ما كان يقوله لي من

كلمات مهينة فظيعة واتهامات بالبرود تنحر

انوثتي نحرا "

لكن فريدة فاجأتها بالقول " بل سأسألك عن

عن الاشهر الصاخبة الاولى "

رمشت غالية ووجهها يحمر بالسؤال

" ماذا تعنين ؟ كنا عريسين ..."

فسألتها فريدة بشكل مباشر صادم

" هل كان راغب يرضيك جسديا ؟ هل كنت

تعيشين الصخب العاطفي معه ؟ "

ابتلعت غالية ريقها وحالة اختناق تداهمها

لتهمس بحشرجة

" نـ... نعم ... لهفته كانت تسعدني "

كانت نبرة صوت فريدة تحدد المعنى قبل

افصاح الكلمات عنها

" انا لم أقل لهفته .. انا قلت هل كان

يرضيك جسديا كأنثى ام كان يرضي نفسه

اكثر ؟ "

بضع حبات عرق تجمعت على صدغيها وانعقد

لسانها بانعقاد قلبها على مكنوناته التي

لاتنطق ....

سألت فريدة بحنو مؤثر " لماذا صمت غالية ؟

هل يستعصي عليك الرد لهذه الدرجة ؟"



عينا غالية تثبتتا على الارض المعشوشبة

ودمعة يتيمة قهرتها وانسكبت على خدها

الايسر ليأتيها صوت فريدة ملونا بالمرح

" ما رأيك بمساعدة صديق ! سأعطيك ثلاث

اجابات واختاري واحدة كرد على سؤالي ...

(غالبا ... احيانا .. قليلا ...)... وكوني صادقة

مع نفسك قبل ان تكوني صادقة معي ..

وتذكري سؤالي حصرا فقط بالاشهر الصاخبة

عاطفيا ... "

اغمضت غالية عينيها لترد بصعوبة

" احيانا ... او ... قليلا .. لست واثقة ايهما ...

هو الأصح .."

جاءت تنهيدة فريدة عفوية وهي تقول بهدوء

" كما توقعت ... اناني متطلب ..وجاهل !"

رغم الألم الغريب الذي داهمها تساءلت غالية

" جاهل ؟!"

ردت فريدة بحزم

" اجل جاهل ... جاهل و لايدرك ان

المشاركة في الرضا في العلاقة الحميمية

تشعل العواطف اكثر بين الزوجين وتقربهما

من بعض على المستوى الروحي .."

شعرت غالية انها مصدومة ..

ارادت ان تقول شيئا فلم تعرف ما هو لتواجهها

فريدة بالمزيد





" وانت ايضا جاهلة .. للاسف هذا حال الفتيات يغرقن بالاحلام الوهمية عن علاقات المعاشرة الزوجية ويتصورنها قطعة جامحة من العواطف التي تعتمد على مجهود الرجل فقط.. لكن الحق انها تعتمد على الاثنين معا.. كما هو يعطي هي يجب ان تعطي .. تأخذ كما هو يأخذ ... ان قصّر بالعطاء تطالبه كما يطالب هو ان قصرت .. لكننا كنساء شرقيات نحتاج للثقافة والتوعية .. نحتاج القراءة والبحث عن الاساليب غير المباشرة للتواصل عاطفيا مع ازواجنا حتى لاتبرد العلاقة وتنهار كنهاية محتمة ... المجتمع محافظ بطريقة رجعية الى حد الجهل بابسط الحقوق لكلا الطرفين ... رغم ان الدين منفتح ويناقش ادق التفاصيل في الحياة الزوجية بما فيها العلاقة الجسدية .. "

لاتعرف غالية كيف استطاعت فريدة ايصالها لهذه النقطة ؟!!

كيف باتت تنظر بتجرد بارد لحياتها الزوجية مع راغب ...

" كيف شعرتِ ورافد (المتيم) يقبلك ؟"

صوت فريدة الممازح لم يخفف من وطأة الهجوم المباغت الجديد ...

هذه هي فريدة .. لاتوصلها لبر آمن حتى تخوض بها غمار بحر جديد أشد هياجا وخطورة ...



اخذ قلب غالية يطرق بعنف في صدرها فتعود
تلك الغمامة الوردية لتحاوطها من كل
جانب... فتتمتم برهبة لهذا الشعور

" شعرت .. اني انثى مرغوبة ..مميزة .."

فتسألها فريدة بحيادية

" إذن هل استغليته لترفعي من شأن انوثتك ؟ "

هتفت غالية بصدق وهي تهز رأسها عفويا

" لا .. لا .. ليس هذا بالضبط .. او... ليس هو
وحده .. انا شعرت اني اريد منحه شيئا في
المقابل .. لاعرف ما هو .. لكن كلماتك لم
تفارق عقلي تحثني بل تدفعني للاستسلام
لتلك القبلات منه هو تحديدا.. "

صمتت فريدة قليلا قبل ان تسأل بتأن

" هل تقصدين انك شعرت بالذنب نحوه ؟
انك اشفقت عليه فرضيت بتلك القبلات "

هذه المرة بدت غالية مشتتة لكنها نفيت
قائلة " لا .. ليس شعور ذنب او اشفاق .. انا
لاعرف كيف اوصل لك ما يعنيه لي رافد "

اخذت غالية نفسا عميقا وارتعشت وهي
تتذكر تلك القبلات التي اغرق بها شفتيها
ووجهها وعنقها ... يتشمم شعرها ويلامس اسفل
اذنها ... يضم جسدها بجوع .. جوع مختلف
يعبر حدود الاشتهاء الجسدي .. لقد شعرته
جائع اليها .. جائع ان يصل لروحها فيضم
تلك الروح بين ذراعيه لا الجسد فقط ..






يا الهي .. رافد .. يا الهي .... انه رافد .... كل الاركان فلتتزلزل وتصبح ركاما الا هو ...

اخذت دموعها تسيل باضطراد وهي تهمس بتقطع

" رافد.. اعطاني الكثير طوال حياتي ... وداخلي يريد منحه شيئا في المقابل .. انا لااستطيع ان اتصور مقدار الألم الذي سببته له دون عمد .. كنت دوما أراه حولي فتصغر اية آلآم تعتريني رغما عن انفها .. لااعرف كيف اصف لك ما شعرته وانا استسلم لقبلاته .. حقا لااعرف .."

لتسأل فريدة سؤالا جديدا

" حسن .. وهل تستطيعين وصف شعورك الآن؟"

شعرت غالية بالارهاق والرغبة بالاسترخاء والاستسلام لاراحة جسد منهك بشجون الروح التي تسكنه ..

مالت بجذعها لتستلقي على الحشيش بينما ذراعها يلتف حول جذع صغيرتها التي تلاعب احدى الحشرات باعشابها المقطعة لترد غالية على سؤال فريدة الاخير

" اشعر بالغرابة ! الغرابة والتجرد عن الماضي وكأنه لم يعد ماضيا وانا اراه يعاد من جديد بحلة مختلفة لم أرها سابقا ..."





ردت فريدة باسترخاء

" امممممممم احكي لي غالية عن رافدك..

احب جدا حكاويه معك في الماضي .. او

لأقل في الماضي الذي يعاد بحلة جديدة .."

اغمضت غالية عينيها لتُلبس مزيدا من

تفاصيل الماضي حللا جديدة ...

رائحتها تملأ هواء حلمه .. بشرتها ملتصقة

بتأثيرها على ملمس اصابعه .. يعيش حلما

لامعالم له ولا يعرف حقيقة الا احتلالها

المرحب به .. كل حواسه تهلل لذاك

الاحتلال ...

يهمس اسمها مرارا وتكرارا وجسده يشع

بالفرح .. شفتاه تبحثان وسط ضباب الحلم عن

ملجأ شفتيها ..

" آآآآآآآه ..."

لايعرف كيف انتهى بحثه عن (ملجأ شفتيها)

بارتطام جسده على ارضية غرفة المعيشة ..

توجع رافد من أثر الارتطام وهو ينقلب على

ظهره مستلقيا ...

حدق للحظات بالسقف قبل ان ينفجر

ضاحكا..

يضحك ويضحك وقلبه يخفق ويخفق ويخفق

حتى كاد ينفجر منه ...



همس باسمها هذه المرة خارج ضباب احلامه

" غالية ..."

يستطعم الاسم فتهيج مشاعره لطعم تذوقه

من صاحبة الاسم .. وآه من تلك التي تملك

الاسم الاغلى ...

لازالت خفقات قلبه تقرع في صدره فيغلق

عينيه وتداعب خيالاته ذكرى قبلات

انفجرت في تطلبها ليلة الامس ...

ابتلع ريقه بصعوبة ليجبر عينيه على

الاستيقاظ فيتحرك ناهضا من استلقائه وهوى

روحه تغويه لالقاء نظرة ..

فقط نظرة ..

حالة التلذذ التي يعيشها تبعثرت حالما وقف

عند باب غرفة امه ليجدها خالية الا من امه

الغافية التي توسطت بجسدها سريرها ...!

هلع مريع تلبسه ... انفاسه غادرت ولم تعد ..

اين غالية ؟!؟ اين لولو ؟!؟

هل اخذت طفلتها وهربت منه ؟!

بجنون يتحرك مهرولا حتى وصل السلم

ليتسلقه كل درجتين معا فتضربه موجة هلع

اكبر عندما يجد غرفتها فارغة !

" يا الهي !" ..

عاد ليهرول نازلا على درجات السلم ولم يشعر

بنفسه الا وهو يفتح باب البيت ليخرج

كالمجنون باحثا عنها ...







لم تطل حمى الجنون الا بضع لحظات حالما

سمع الصغيرة تنادي " دادا ..."

رآها هناك .. بل رآهما معا ...

طفلتاه ...

الكبيرة بجلبابها الخفيف الازرق مستلقية

على الحشيش وتغط في نوم عميق !

والصغيرة جالسة مطوقة بذراع الكبيرة

باحكام تلوح له وترمي نحوه فتات الاعشاب

باحتفال مبتهج ..

تحرك نحوهما ضاحكا بخفة وارتعاش ..

قدماه حافيتان فتلامسا بلاط المرآب البارد

فيتبعها ملمس الحشيش المزغزغ ..

بانهاك نفسي جلس قرب النائمة يتطلع

لاستلقائها بشغف عاشق مشتاق ...

تلك الملامح المستكينة والرموش

المتطابقة على بعض .. انفاسها هادئة وفمها

متراخ ...

تعلقت عيناه بذاك الفم وتلهفت روحه ليعيد

الكرة ويقبلها عسى ان تجد روحه روحها ..

حول نظراته للولو فرآها مشغولة بالتقاط

الحشرات ودعكها على الجبيرة الصغيرة ..

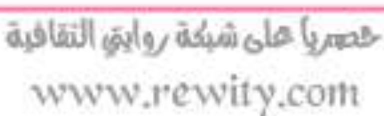
ثم تقطع مزيدا من الاعشاب وتدعكها فوق

الجبيرة ايضا ...

همس بتسامح

" ايتها الشقية ! انت تعذبين المسكينات..."







وكأنها تفهمه فتضحك ببشاشة وتعود لعملها المستحوذ على تركيزها ..

استلقى رافد على جانبه يحدق في غالية النائمة ...

لم يفعل اكثر من هذا التحديق ..

انه جائع .. جائع بشكل مختلف ..

انه جوع لذيذ يسبغ على الشوق طعما آخر ..

لم يستطع الا الميلان بوجهه نحوها وبارتعاش يلامس شفتيها ...

تأوه بعذاب حلو وهو يبتعد قليلا ويهمس

" ملمس شفتيك بالنهار اجمل من الليل غاليتي.."

لايعرف كم ظل يحدق فيها دون ان يشبع النظر .. حتى بدأت ترمش بعينيها فعلم انه ستستيقظ ..

فقد خفقة مع اطلالة عينيها ثم فقد خفقة اخرى وهي تظهر صدمتها لرؤيته فتحاول النهوض بارتباك ليسارع هو الى امساك كتفيها ومنعها وهو يهمس

" لا ... ابقي كما انت ...تبدين مرتاحة هكذا ..."

بدت اكثر ارتباكا وهي تسبل اهدابها وتقول باضطراب

" لقد نمت .. وارتحت .. لكن لولو !!..."







يقاطعها بالقول الرقيق

" لولو ما زالت ترسم لوحتها السيريالية الخاصة على جبيرتها البيضاء المبتلاة بفنانة شقية مثلها "

رفعت نظراتها وبشكل جانبي تطلعت لصغيرتها وهي تدعك بالجبيرة اي شيء تطالها يدها ...

تبسمت رغما عنها لتحاول النهوض مرة اخرى فلم يمنعها مستسلما بحزن عذب انها لن تستجيب ....

استعدلت بجلستها ومالت نحو رأس طفلتها تقبل اعلاه وتدغدغها وتضاحكها بينما يستعدل رافد جالسا هو الآخر ينظر اليها بجذل

مستسلما بكل خلاياه لمتعة ان يكون ها هنا... قربها ...

وكمهووس استعاد مرة جديدة ذكرى ليلة الامس .. ذكرى ربما ستغدو مجرد وهم لكنه لن يتنازل عن وهمه ابدا ...

عيناه تتبعتا بنظرة رجولية خطوط ظهرها التي برزت تحت الجلباب الخفيف وهي تنحني قليلا نحو لولو ...

في تلك اللحظة التفتت اليه ضاحكة فتصطدم بنظرته الجريئة ...

تلاشت ضحكاتها امام النظرة التي باتت تواجهها الآن دون استتار ...

العين في العين .. والذكرى في النظرات ...



همس بصوت أجش وهو يحدق في عينيها

" الالوان الثلاث باتت تبرز كل يوم اكثر واكثر ..."

تمتمت متوردة وبغير فهم " اي ألوان ؟!"

فرد بتسلية دافئة

" الوان عينيك غالية .. لااظن احدا غيري يعرف سرهما .. انهما ثلاث ... زيتوني وذهبي ورمادي ...."

كانت لاهثة وحرارة تخون خلاياها فتشع منها لتكوّن هالة من التأثر ..

هالة يدركها هو وحده ... !

تستطيع ان تقرأ ادراكه هذا بوضوح كوضوح الشمس في عينيه الزرقاوين اللامعتين بنظرات جريئة تطالب بالمزيد وفي ابتسامته المتراخية التي تحكي الحكاوي ..

حكاوي لم تعرفها ولم تخطر على بالها ..

التقطت هاتفها تداري اضطرابها ثم حملت طفلتها وهي تقول بهمس

" ساذهب لاخذ حمام مع لولو ..."

ثم تركته وتحركت وعيناه معلقتان بعبوس طفيف بذلك الهاتف الذي حملته معها ...

هل كانت تكلم احدهم منذ الصباح الباكر؟ ومن يكون ؟



بعد ساعتين ...

ركب سعد لسيارته وامه تلح عليه بما تحوم حوله من ايام " بني .. اسمع الكلام مني .. تمم زواجك بها وهاتها لبيتي و أنا سأتكفل بأن اربي طفوليتها المستفزة "

تطلع لها سعد متفكرا بهدوء ثم قال

" ربما كلامك صحيح يا ام سعد .. دعيني الآن اذهب لياسر فهو ينتظرني .."

اخذت تلوح له بانفعال عاطفي بينما يخرج بسيارته من المرآب ..

افكار منيرة كلها تدور حول الفتاة جودا .. الفتاة عجينة خام ولن يصعب عليها تشكيلها و توجيهها كما فعلت مع جدايل من قبل ... فقط لو يمنحونها هذه الفرصة وسيرون ...

في بيت ياسر ..

غرفة الضيوف

يقف سعد بهدوء خارجي لم يطل دواخله بينما ينقل نظراته من جودا الغاضبة المتمردة التي تجلس على طارف الاريكة بتحفز.. الى ياسر الاشد غضبا وتوترا وهو يشرف عليها واقفا قبالتها ..





عقد سعد حاجبيه قليلا وهو يفكر ان ياسر ليس بمزاج جيد هذا الصباح وهذا ليس بمصلحة جودا الآن ...

ارتفع صوت ياسر بخشونة وحدة

" افهمي جودا .. نقول لك هذا الخسيس يجيد خداع الفتيات الساذجات الغبيات من امثالك!"

رغم انها تمسح عينيها الدامعتين بحنق طفلة الا انها بدت مجروحة اكثر منها متمردة

" هذا الكلام كذب وافتراء ... الناس ينشرون الشائعات الحقيرة دوما .. وانتما لادليل لكما سوى هذه الشائعات المغرضة ... ثم لماذا تصدقان الاخرين ولاتصدقاني ؟! لماذا تصران على تصوير كل شيء حولي قذرا ... ومريعا .. الايكفي ما رأيته في حياتي من كل هذا ؟! "

قالت كلماتها الاخيرة وهي توجه نظراتها بعتب ضمني لسعد تحديدا ...

ثم وقفت على قدميها لتخرج هاتفها من جيبها وتفتحه بارتعاش الانفعال وهي تقول

" انظرا ... هذه رسالته لي ليلة الامس .. وكانت اول رسالة شخصية منه منذ اخذ رقم هاتفي .. انظرا .. انظرا ... هل هذا كلام رجل سيء ويحاول التحرش ؟"

تجهمت ملامح ياسر بينما سعد فار الدم في عروقه وهو يتطلع للشاشة في يدها فتظهر رسالة طارق ...



(طالبتي المجدة العزيزة .. سأتغيب لفترة لاسباب عائلية وصحية قاهرة .. اذا احتجت اي مساعدة مني في الدراسة ارسلي لي وانا سأمدك بمزيد من الكتب والمراجع .. اراك بخير واتمنى لك الموفقية ..)

كانت تنظر اليهما بتحد ان يصرا اكثر على صحة رأيهما ...

تقبضت يدا سعد بينما هدر ياسر

" الحقير .. الـ ...... لقد افلت مني باخذ اجازته القميئة ... فقط لو اعرف اين عنوانه الذي يختبئ به ..."

تمتم سعد بتشنج

" زوجته لاتعرف الى اين ذهب .. "

تطلعت جودا اليهما معا بذهول وهي تردد بصدمة

" هل ذهبتما له ؟ هل تبحثان عنه ؟"

فقد ياسر كل سيطرة وهو يصرخ

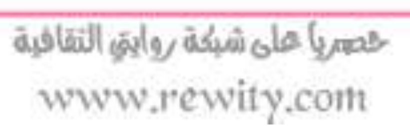
" وماذا كنت تنتظرين منا ها ؟! ان نتركه يتلاعب بك اكثر من هذا ؟"

امسك سعد بذراع ياسر يهدئه بالقول

" ليس هكذا ياسر .. دعنا نفهمها الامور"

لكن ياسر بدا حقا في وضع متشنج فادرك سعد ان هناك امور اخرى غير جودا توتره ..





تراجعت جودا خطوات للخلف وهي تكتم غصات البكاء وتنظر اليهما بخيبة امل مريرة لتهمس بألم طفولي

" انتما لم تثقا بي ابدا .. دوما ستنظران الي كقاصرة العقل .. كرعناء لن تحسن التصرف ابدا .."

همس سعد اسمها وهو يترك ياسر ليتقدم خطوها نحوها لكن جودا تسارعت خطواتها للخلف وهي تنتفض بالقول الانفعالي المتسرع

" انا اكرهكما .. اكره تسلطكما علي .. احاول جهدي ارضاءكما ولكنكما كالعادة لاتقدران ولاتفهمان شيئا بل تستصغران عقلي وتؤلماني .. جدا .. جدا .."

ثم فتحت الباب وخرجت راكضة وشهقات بكائها ترج اركان البيت ..

اطرق ياسر برأسه وجسده كله في حالة تشنج بينما سعد يحاول ان يمسك مقاليد التحكم بالامور التي افلتت وهو يقول

" لقد حذرتك ياسر .. حذرتك ان مواجهتها بدون دليل مقنع سيجعلها تتعنت اكثر برأيها..."

تمتم ياسر من بين اسنانه

" الطفلة الغبية ! "



تنهد سعد وهو يقول

" انها تبحث عن النور يا ياسر فقد سكنها الظلام طويلا حتى باتت لاتطيق رؤيته .. بل ترفض الاعتراف بوجوده .. انها تتخبط وتنتقل من حال الى حال ... لكنها شجاعة لتبحث بفطرتها عن سبيل النجاة ..."

رفع ياسر وجهه اخيرا ليهدر بانفعال

" ماذا سنفعل الآن يا سعد وهذا الحقير اختفى! قد يتصل بها مجددا دون علمنا ونحن عاجزين عن متابعته... قد يتواصل معها بالف طريقة وطريقة فهل سنبقيها طوال ساعات الليل والنهار تحت انظارنا ؟ "

غامت عينا سعد بغيوم القلق والانقباض ليقول

" لااعلم ياسر .. حقا لااعلم .. لم نحسب حساب اختفائه هذا .. كنت اريد ان نواجهه انا وانت نحذره الاتصال بها .. لكنه سبقنا واخذ اجازته البارحة .."

تنهد سعد قبل ان يضيف باحباط

" سأحاول البحث عنه من جديد.. سأسأل اصدقاءه او معارفه هذه المرة فزوجته تلك تبدو انسانة بسيطة وانطوائية ولا كلمة لها كجواب الا (لااعرف) .."

جاء صوت سهر مغتاظا من عند باب غرفة الضيوف تحوطه همهمات العمة فائزة



" هل يمكننا ان نعلم الآن ماذا يحصل في هذا البيت ؟ ام اننا لسنا من سكانه ؟"

بدت فائزة وكأنها تهمهم بتحذيرات لسهر ان لاتتدخل بينما ارتفعت عينا ياسر الحادتين لتواجها عينيّ سهر المتحديتين ...

تنحنح سعد وهو يطلب ببعض الحياء

" ياسر .. هلا سمحت لي الذهاب لغرفة جودا ؟ اريد ان اتكلم معها على انفراد .."

تمتم ياسر بـ(نعم) وعيناه لاتحيدان عن عيني زوجته ...

غادر سعد غرفة الضيوف بينما طلب ياسر من عمته تركه بمفرده مع سهر

بثقة عالية وابرازا انها لاتخشاه اغلقت سهر باب غرفة الضيوف بعد مغادرة العمة المتلكئة ..

حالما اغلقت الباب وقبل ان تستدير كانت تتعرض لهجوم (ياسري) شديد الخشونة وهو يمسك جسدها ويديرها نحوه هاتفا من بين اسنانه

" اياك ثم اياك ان تتكلمي معي بهذه الطريقة خاصة بوجود الغرباء .."

فتشمخ بذقنها امام انفاسه الهادرة فوق بشرتها لتقول بتحفز

" سعد ليس غريبا .. انه اقرب اصدقائك وهو زوج اختك .."



اطلق ياسر صوتها مزمجرا ليهزها هزة واحدة حتى ارتطم جسدها بالباب المغلق خلفها فتأوهت بينما يقول لها بحدة

" انت لاترسمين لي حدود علاقاتي مع الاخرين.. فلا تتدخلي سهر .. فضولك هذا سيودي بك الى طرق وعرة "

حدقت في عينيه لتبتسم له فجأة وتقول بتحايل " طرقك كلها وعرة يا داكن العينين .. فكيف أصل اليك ؟"

اطلق مرة اخرى صوتا مزمجرا بينما يقول من بين اسنانه

" ليس هذا وقت الدلع .. الامر جدي ولا يحتمل تفكيرك المستمر للاستحواذ علي "

رفعت يدها تلامس خده فينفض وجهه عن عمد لابعاد ملامستها لكنها لاتيأس رغم ان الدموع تلألأت في عينيها لتقول له بابتسامة واسعة

" انظر الي جيدا يا خشن الطباع .. انا احبك ولا اسعى للاستحواذ على شخصك لكني مؤكد اسعى للاستحواذ على كل قلبك .."

عيناه تعلقتا بعينيها الدامعتين ثم هبطتا لفمها المبتسم بشجاعة لتضيف سهر

" انت تهمني وكل ما يهمك يهمني .. فلا تعزلني عنك وثق بي .."





تمتم ياسر بتوتر وعيناه معلقتان بتلك الدمعات على اطراف رموشها

" ما بالكن اليوم ؟! جودا تطلب الثقة وانت تطلبين الثقة !! هل اصبحت السيء هنا ؟! لاينقص الا ان تأتي عمتي ايضا وتتهمني بنفس التهمة المضحكة "

ردت سهر بصبر

" ربما هذا ما نحتاجه منك فعلا حتى لو رأيته انت مضحكا .. انا وجودا نحبك ونعرف انك تحبنا في المقابل .. لكننا نحتاج منك للمزيد .. نحتاج ثقتك مع دعمك .. "

ثم تلكأت قليلا قبل ان تقول بتركيز

" انا عن نفسي اريد ثقتك بي كشريكة .. اريدك ان تراني كما انا .. سهر .. بشخصها .. دون ان تربطها باي شخص آخر وتفرض علي احكاما مسبقة وتجعلها مقياسا لاسلوب التعامل بيننا "

زم شفتيه قبل ان يقول

" هل سنعود لما حصل ليلة الامس ؟"

فترد ببعض الانفعال

" نعم .. يجب ان نعود .. انا لن استطيع ان اقضي حياتي معك بتجنب مواضيع مجهولة الاهمية بالنسبة لي .. لااستطيع ان أكون دوما حذرة في كل كلمة وتصرف وان اعتمد دوما على حدسي لمعرفتها وتخمينها ..



انه امر مرهق يا ياسر .. مرهق جدا .. صارحني بما يضايقك بما يؤثر عليك سلبا لاعرف كيف اتعامل معه بما يرضيك .. لكن لاتعزلني هكذا عنك .."

اخذ يحدق فيها بتفكير لكن ملامحه بدت متصلبة معاندة ...

قال اخيرا وبنبرة اقرب للبرود

" ليس هذا وقت الكلام سهر .. لدي مشكلة مع جودا ويجب ان احلها .."

رفعت كلتي يديها لتحاوط خديه بعاطفة وتقول له بهمس انثوي مؤثر

" دع سعد يسترضيها قليلا ويمتص نقمتها .. اطعني في هذا واعتمد على حدس الانثى الذي املك .."

رد وهو يستعيد مزاجه الساخر

" حدس الانثى لديك ربما مرهق بسببي ولايعمل بفاعلية هذه الايام "

مطت شفتيها بتدلل قبل ان تقول باصرار اثار مكامن اعجابه

" لن تدفعني لاغضب منك .. وحدس الانثى عندي يتجدد ببضعة قُبل تغنيني عن كلمات الحب التي تبخل بها علي .."



اسبل اهدابه وهو يبتسم بتسلية فشعرت بطاقة لتقترب منه فقط كيف تتعلق برقبته وتحتضنه بقوة ..

شعرت بارتعاشه وهي تتشممه عند رقبته كما شعرت بهدير قلبه يتصاعد رغما عن انفه ..

ابتسامة تخفيها عنه وهي تهمس تناغشه

" لااحبك وانت غاضب .. احبك خشنا فقط"

سمعت تمتماته الساخرة بمرح تلامس اذنها

" لاأظن انك تحبين خشونتي يا وردية .. لانك بعدها لاتكفين على التشكي من اثاري ! "

ضحكت بخفة وهي تغمر وجهها اكثر في رقبته ...

وجدها منكمشة على نفسها في السرير تحتضن ساقيها لصدرها بينما تولي باب الغرفة ظهرها .....

قال سعد برقة وهو يقف عند الباب

" صغيرتي .. هل يمكنني الدخول "

هدرت به وهي تلتفت نحوه

" اذهب سعد .. انا غاضبة منك وغاضبة من ياسر .."

ابتسم بتسامح وهو يدخل ويغلق الباب خلفه ليتقدم منها وهو يقول

" اتمنى حقا ان تثبتي انك محقة .."

اعتدلت في جلستها فوق السرير بينما يجلس سعد على حافته لتهدر به وبعينين فاضت بدموع القهر

" سأثبت لكما .. سترى .. سأثبت انه رجل طيب ويعاملني كابنته "

بذل كل جهده حتى لايظهر اي مشاعر غضب تحتدم في داخله ليقول بهدوء

" فقط عديني انك لن تسعي الى اثباته وانك ستتركينه يأتي اليك طواعية .. سواء ما يثبت وجهة نظرك او يدحضها "

زمت شفتيها وهي تعبس بقوة ليعاود سعد طلبه بالوعد " عديني جودا ..."

رفضت وهي تهز رأسها يمينا وشمالا ...

ابتلع سعد ريقه بصعوبة وقلبه ينقبض في صدره ليناورها بالقول

" اذن عديني بأمر آخر .."

ما زالت متجهمة عابسة متحفزة ليضيف سعد بنظرات قوية موجهة لعينيها مباشرة تأكيدا على اهمية ما سيطلبه

" عديني انك ستكونين قوية عندما تعرفين الحقيقة .. انك لن تنهاري ولن تضعفي بل ستكونين جودا القوية الشجاعة التي تقاتل حتى باسنانها واظافرها .."

تراخت ملامحها بعض الشيء وبدت للحظة غير واثقة !



اوجعه ان يراها هكذا ... متخبطة عنيدة ولاتعرف وجهتها التي تطمئن هي شخصيا اليها...

ربط على قلبه وهو يقول المزيد ويؤكده بكل لمحة ونظرة يوجهها لها

" عديني انك ستذكرين ان القذراة ليس بالضرورة تنجذب لقذراة تماثلها .. على العكس .. البراءة تكون اكثر جذبا في سعي حثيث مرضي لافسادها "

بدت جودا متأثرة ورافضة في نفس الوقت لمنطق كلامه فتتساءل بلهفة مخنوقة

" لماذا ؟! لماذا ؟"

رد وهو يمد يده يتلاعب بخصل شعرها

" ربما غيرة صغيرتي .. غيرة او احساس بالنقص يدفع من تملؤه القذارة ليعممها على غيره حتى يشعر ان الرؤوس تتساوى "

رمت نفسها على صدره تحتضنه بقوة خشنة وهي تهمس بعناد

" لكنه ليس هكذا .. ثق بي يا سعد .."

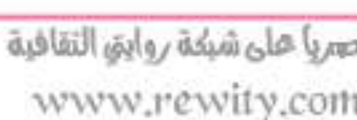
حاوطها بذراعيه يكتم مخاوفه التي تتصاعد ليقول لها بعاطف جياشة

" عديني فقط انك ستذكرين كل ما قلته لك .."

تمتمت وهي تتشبث به اكثر

" اعدك .. لاجلك سأفعل كل شيء حتى تفخر بي وتمنحني ثقتك .."







حرك يديه ليمسك خديها بين راحتيه

ويرفع وجهها اليه فيواجه نظراتها البلورية

ويقول هامسا

" وانا افعل اي شيء لتكوني سعيدة وقوية

متفتحة للحياة ولاتهابين اسوأ ما فيها .."

توثبت بجسدها فجأة وفي لحظة كانت تقبله

بحرارة منفعلة وهي تردد (احبك)

تشوش عقله بهجومها العاطفي فنسي نفسه

واين هو ليضمها بين ذراعيه بعنف واخذ

يبادلها القبل المجنونة الحارة وهي تستجيب

بفطرتها .. بكل فطرتها وجموح العاطفة

المشتعل فيها ...

تماما كما توقعها .. ذو عاطفة نارية ...

كان يلهث وهو يبعدها قسرا عنه ويهمس

ضاحكا بخفوت

" سريعة التعلم جدا صغيرتي .."

ردت ببراءة تمزق ارادته

" احب تقبيلك هكذا ..."

اغمض عينيه وهو يبعد وجهه عن مرمى

قبلاتها ليقول لها بحشرجة قوية

" لا جودا .. لاتفعليها مرة اخرى .. هذا لايصح

الآن .."

فتتعلق برقبته وتقول بعاطفة فياضة

" انت زوجي .. خالتي منيرة قالت يصح كل

شيء مع الزوج .."



يوشك ان ينفجر ضاحكا الآن ووصايا امه تلاحقه في كل مكان لكنه تماسك حتى لايجرح جودا فتظن ان يسخر منها ..

عاود النظر اليها يلجم مشاعره وهو يحدق بهذا الجمال النادر ليقول بصوت مبحوح

" خالتك منيرة تقصد بعد الزفاف .. عندما تصبحين في بيتي حيث سيكون بيتك ايضا.. لكن الان نحن في بيت عائلتك .. في غرفتك واخاك موجود بالاسفل ... هذه كلها اعتبارات يجب ان تتعلمي احترامها حبيبتي "

ابتسمت له ابتسامة واسعة تشع فرحا فيرد لها بابتسامة جذابة سحرتها وهي تحدق فيه بهيام ....

بعد يومين

صباحا

اهتز قلبه وهو يراها مقبلة من عند باب المطبخ .. ها قد اقتنص وجودها اخيرا ..

ما ان لمحته حتى تباطأت خطواتها وحادت بنظراتها بعيدا بينما هو يتراخى بنزوله على الدرج ..



ابتسم وهو تتمتم له (صباح الخير) لتحاول ان تتجاهل وجوده وتمر من جانبه تتسلق الدرجات..

شهقة ناعمة منها ابهجت روحه بينما يمسك ساعدها فيقول بصوت مبحوح

" صباح الخير غاليتي .."

رفعت عينيها اليه بينما عيناه هو تنسابان على عنقها فتراقبان بشغف تلك الحركة الصغيرة التي تشكف عن ابتلاعها لريقها ...

" اترك ذراعي لو سمحت .."

مالت ابتسامته وعيناه ترتفعان لوجهها الحانق المتورد ليقول بتكاسل

" انت زوجتي ويحق لي ان امسك ذراعك .. و... أي جزء من جسدك "

تخضبت وجنتاها بالحمرة بينما اتسعت عيناها لتهمس باضطراب

" رافد .. ماذ جرى لك ؟"

فيرد بزفرة التياع وعيناه تذوبان بالحرارة المشعة منها

" ما جرى يا ابنة خالتي.... اني.. قبلت شفتيك.."

شهقة مصدومة منها لم يقف عندها .. ليس وهو يشعر بالثمالة هكذا من يومين ليواصل هذره المحموم

" ما جرى اني اريدك حبيبة .. معشوقة .. "



ليميل برأسه فيفاجئها وهو يسند جبينه على كتفها هامسا بصوت متقطع مبحوح

" انا احبك .. احبك .. احبك .. لن اتنازل عن شبر منك .."

كانت ترتعش وهي تحاول ابعاد جسدها وتهمس " رافد .. ارجوك .."

لم يسمح لها بالابتعاد وقبضته الممسكة بذراعها تسحبها اليه فيغمر وجهه بجانب عنقها ويهمس متأوها

" آآآآه .. انا سأصبر حتى تعتادي علي .. لكني لن اتوقف عن الاقتراب .. سأنهل منك قطرة قطرة حتى تنهمري علي بالعطاء ..."

وبحركة شقية خاطفة طبع قبلة على خدها وهي غارقة بالارتباك بينما يضحك بخفة وينزل الدرجة الاخيرة من السلم قائلا بصوت أجش

" لم ينفعك الاختباء مني نهار البارحة .. لم يمحُ من مخيلتي ما حصل قبل ليلتين طفلتي.."

كزت على اسنانها وهي تتطلع اليه بوجهها المتخضب لتقول لها بعنفوان مضطرب

" لاتتسل على حسابي رافد .. لاتحاول ارباكي وانت تعرف اني ... اني ..."

تبعثرت منها الكلمات فرفعت يدها تلامس شعرها تحاول التركيز فاكتفى رافد بالتطلع اليها باستمتاع ثم قال ببشاشة عذبة



" سآتي عصرا لاقلك الى مقر عملك "

اغاظها لابعد حد ..

لاتعرف ما اصابه...

لاتعرف ما اصابها ..

لم يكن يوما يحب اغاظتها ولم تكن يوما

ممن يسهل اغاظتهم !

عقدت حاجبيها وهي تثور ثورتها الصغيرة

عليه " انا ساذهب بمفردي .. لااحتاج اليك .."

لم يرد عليها فقط يتطلع نحوها بعاطفة

جامحة لا يكلف نفسه عناء اخفائها ..

سالها بهمس " لماذا ؟"

فترد وهي تتخبط بتلك المشاعر التي

تتكالب عليها

" انا ذاهبة لزيارة والديّ .. ووالدي سيتكفل

بنقلي .."

ملامحه تغيرت ..

باتت اكثر هدوءا وتركيزا ..

قال بنبرة غريبة

" المرة القادمة عندما تنوين الذهاب لأي

مكان اعلميني اولا .. "

بدت مصدومة من معاني نظراته المؤنبة اكثر

من كلماته ...



ليستدير وهو يقول

" أراك وقت المغرب .. سآخذك لنتعشى سويا

في المطعم .. او ربما نذهب لمكان آخر .."

ثم تركها ومضى بينما سيل من كلمات فريدة

يهطل على عقلها

(ثقي بي ... سيتقدم اكثر وسيطالب بك

كما لم يطالب يوما بشيء اراده ...)

كلمات فريدة هي ما جعلها تختبئ حرفيا

البارحة .. استغلت ان لاعمل لها في مكتب

المحامي لتبقى في المنزل وتعتزل في غرفتها

تتحاشى اللقاء به وكلها مترقب لما يمكن ان

يحصل ...

ماذا سيحصل ؟!!

في بيت ياسر ..

يده تمسك بتوتر احدى الرسائل ويكاد

لايقاوم رغبة وحشية لتجعيدها على راحة

تلك اليد المتشنجة ...

كم سنة مضت لم يفتح بها هذه الرسائل ؟!

بل لم يفتح ذاك الدرج الاخير الذي حواها ..

كم سنة ذهنه متربص بذاك الدرج يعانده

ويغيظه انه لن يفتحه ابدا ...

اذن ؟ ما الذي يفعله الآن ؟!

لماذا استسلم بغباء لتوابع فضول سهر ؟!



كزّ على اسنانه وهو ينطق اسمها وكأنه يجعده تجعيدا بدلا من هذه الرسالة القديمة التي يحملها ..

وكم هي رسالة حملها ثقيل عليه بما حوت من عواطف ملتهبة اسرف صاحباها بالبوح بها لبعضهما البعض وعلى طريقتهما الخاصة ...

" ياسر ..! ظننتك تنتظرني في الاسفل "

بحركات هادئة مدروسة وقمة ضبط النفس اعاد ياسر الرسالة مع باقي الرسائل التي اخرجها الى الدرج ثم دفعه بخفة ليغلقه وبنفس السيطرة والهدوء التفت ليواجه من فتحت خراطيم الالوان كلها في وجهه تلطخ بها كل جدار من جدران روحه...

ليست ألوانا مبهجة فقط كما كان يرجو بل اختارت سهر الالوان الداكنة ايضا لتوجهها مباشرة لأكثر دواخله تحفزا ونارية وانغلاقا...

حدق فيها بتأن قبل ان يقول بنبرة ساخرة

" وانا ظننتك ستتأخرين بعد موجة الهستيرية التي انتابتك حول ملابسك التي باتت ضيقة فجأة ! "

عينا سهر للحظة كانتا ثابتتين على ذاك الدرج قبل ان ترتفعا لتركزا على زوجها الجلف العنيد كالثور فتقول له بابتسامة تفيض حلاوة مغيظة له تحديدا



" انتهى موسم الهستيرية سريعا وها انا ذا جاهزة لتلقي سخريتك المعهودة حول ملابسي..."

عيناه انسابتا على قدها المحشور بفستان ربيعي ملون ..

حسن ... يعترف ان جسدها امتلأ قليلا ..

ليرفع عينيه لعينيها وقبل ان يعبر بمزحة ساخرة سألته بشكل مباشر

" هل صالحت جودا قبل ذهابها للجامعة ؟"

هز كتفيه وهو يسبل اهدابه ويقول

" ناديتها وهي على الدرج فتجاهلتني ولم ترد علي ..."

تنهدت سهر قبل ان تقول بغيظ " عنيدة متصلبة كأخاها ... رأساكما قُدّا من حجر !"

تحرك ليصل عند باب الغرفة حيث تقف سهر فيتطلع اليها ويقول بجلافته المعتادة

" لاتحشري انفك انت وستمضي الامور بخير.."

لتعانده بالقول وهي تقف في طريقه بتحد

" رأسي اشد صلادة من رأسيكما معا ! "

ابتسامة صغيرة مستهينة جانبية قبل ان يمسك يدها بخشونة وهو يقول

" توقفي عن هذا الهذر المتواصل أوجعت راسي منذ الصباح!"

فتتأفقت سهر بينما يسحبها خلفه سحبا ...



في المطعم ...

دخل رافد وهو يلقي التحية على الحارس عبد الكريم ...

يشعر بالضيق في داخله ...!

لايعلم لم لم يعجبه ذهاب غالية لبيت عائلتها..

لايعلم لم في داخله اراد منعها !

تأفف بصوت مسموع ليفاجأه صوت انثوي مميز

" تبتدأ نهارك بالتأفف ؟! مؤكد لن يكون اسوأ من افتتاحية نهاري !"

التفت رافد ليراها بجمالها البهي الخطير ترفع شعرها الاحمر كذيل حصان طويل انيق ..

قميصها العسلي الحريري انعكس بابتهاجه على لون عينيها .. اما بنطالها الاسود الضيق فأبرز جاذبية قدها المياس ...

حدق في عينيها ليقول بابتسامة عملية لطيفة

" هل تحتاجين لوجبة افطار ؟ سيكون من دواعي سرورنا تقديمها لك .."

توهجت عيناها العسليتين لترد

" بل احتاج اخذ رأيك بموضوع مهم ومصيري بالنسبة لي ..."





في الجامعة...

تلكأت جودا في خطواتها بين أروقة القسم المؤدية للجزء المخصص لغرف اساتذة القسم...

لاتعرف ما تنشده حقا او هذا الهاجس الذي بات مسيطرا عليها !!

كم تتمنى عودة الاستاذ طارق ..

كم تتمنى ان تراه الآن في التو واللحظة لتحدق في عينيه وتمعن النظر علّها تكتشف شيئا مما يراه سعد وياسر فيه ...

لاتعرف لم تعلقت به وترفض اي كلمة تدينه..

في داخلها لاتعرف مصدر هذا الاصرار ...

لاتتكل على احساس خاص تشعره نحوه ..

بل انها فقط تستشعر حاجة ملحة ان تثبت انه كما تريده ان يكون ...!

هزّت رأسها وتشوشها يتزايد وبدلا من ان تتوغل اكثر في قسم الاساتذة تراجعت خطوة لترتطم فجأة بالاستاذة سوسن ...

وبينما جودا تعتذر منها بشرود سألتها سوسن بنظرة متفحصة

" هل تحتاجين لشيء جودا ؟"

فتتردد جودا قبل ان تفصح بالقول

" جئت اسال عن الاستاذ طارق .. "



تجهمت ملامح سوسن تلقائيا فتقول بهدوء بارد

" انه في اجازة .."

ردت جودا بلهفة غافلة عن مشاعر سوسن النافرة " اعلم .. هو مريض .."

تبدلت تعابير سوسن مباشرة من التجهم والنفور الى التأهب والغضب لتسأل بنبرة حادة أفلتت منها

" كيف علمت انه مريض ؟"

رمشت جودا في استغراب من رد فعل سوسن لتتمتم بارتباك

" هو اخبرني ..."

احساس كريه جعل صدر سوسن يضيق ويضيق...

نظرت جودا لساعة يدها وهي تعتذر من سوسن وتقول

" عن اذنك استاذة سوسن .. محاضرتي ابتدأت"

لم ترد عليها سوسن بشيء بل تركتها تذهب ونظراتها تشيعها بوجوم ...

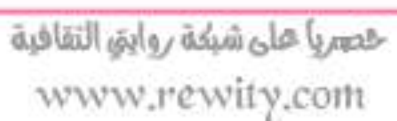
قبل ان تدخل قاعة المحاضرات رن هاتفها ..

ابتسمت بفرح وهي تظنه سعد ..

لكن ابتسامتها تغيرت وهي ترى اسم الاستاذ طارق هو من يشع على شاشة الهاتف ..

لاتعرف هل تشعر بالارتباك ام تشعر بالفرح ؟





فتحت الخط وهي بحالة من الاثارة والترقب وكأنها ستجد حل معضلتها في هذه المكالمة ...

لكن كل اثارتها وترقبها تلاشيا بينما تسمع صوتا ضعيفا منهكا يناديها باختناق شديد

" جودا ...جودا .."

بدأ قلبها ينبض جزعا وخوفا وهي تبتعد عن باقي الطلبة الذي يدخلون القاعة وتقول باضطراب

" استاذ طارق ... ؟ هل انت بخير ؟"

فيأتيها صوته اكثر اختناقا وكأنه ينازع انفاسه ليعبر بكلماته عما عكسته نبراته

" انا اموت ... جودا .. امووووت ... الحقيني بالدواااء ...اتوسل ... اليك .. لقد نفد دون ان انتبه وسط .....المصائب ...التي لاحقتني .. آآآآآه ... انا اتوجع ... سكاكين تقطع بصدري .. لا....احد معي يسـ....اعدني .. سأموت ...هنا بين اربعة ...جدران .....دون ان يشعر بي.... احد .."



الفصل الخامس والعشرون

بدى شاردا عنها .. شاردا بشكل عجيب مبهم
تماما لعقلها الذي يراقب بتلهف خلجاته ..

منذ متى فتنت به لهذه الدرجة ؟!

ماذا فيه يتمم النقص العارم في روحها والذي
تخفيه بغرور أجوف عن الجميع ...

وضع النادل فنجاني القهوة امام كل واحد
منهما وقد بدى رافد متململا في جلسته رغم
محاولاته الحثيثة لاظهار اللطف والدماثة ..

آلمها .. اوجع قلبها .. اعتصر ذلك الاحتياج
فيها لتصرخ داخليا من أثر الوجع !

رأته كيف يرفع فنجانه نحو فمه فلم تستطع
ردع نفسها لتسأله بصوت متحشرج

" هل تحب زوجتك ؟"

تجمدت يده قبل ان تصل حافة الفنجان
لشفتيه ثم رفع اليها عينين بنظرات لم ترها
فيهما من قبل ...

قساوة و حدّة وحتى ... غضب بارد ...

تمتمت عفويا وهي تبتلع ريقها

" أأ ..انا .. اسفة ..."

ارتشعت في داخلها قبل ان يتردد صدى
ارتعاشها على خارجها لتطرق برأسها وتقول
بتحطم روحي عرّته تماما امام ناظريه




" انا اشعر بوحدة شديدة .."

لم تتجرأ على رفع رأسها ومواجهته ..

لاتخشى مواجهته قدر خشيتها من مواجهة نفسها ..

مواجهة قدرها و خطوتها القادمة التي باتت وشيكة وعند مفترق طرق ...

قالت باختناق " فرقد ... ما زال يلح علي لارضى بالزواج... منه .."

جاء صوته هادئا مرتاحا .. مرتاحا الى درجة مغيظة فيسأل ببساطة " لماذا ترفضين ؟"

رفعت وجهها اخيرا وبنارية اشتعلت في عينيها قبل نبرات صوتها وهي تسأل

" اذن هل تشجعني بالقبول ؟"

بنفس الهدوء وملامحه مغلقة التعابير رد

" انا لاانصحك .. فقط اقول .. اذا لم يكن لك سبب وجيه للرفض فلماذا ترفضين حقا..؟"

انفاسها تتسارع ونيران تتأجج في داخلها اكثر واكثر بينما تتمتم لاهثة

" هل هذا ...رأيك الاخير.. يا رافد ؟"

كانت تعلم .. مدركة انها ترمي نفسها في بحر لم تتعلم السباحة فيه .. لكن رجلا كرافد يستحق .. يا الهي .. انه يستحق كما هي تستحقه !



لكنها استوعبت الغرق حالما رأت الرد في عينيه الهادئتين ..

رد من الف حكاية لاتفقهها هي ..

رد اطفأ روحها دون ان يطفئ نيرانها ..

دفعت كرسيها بعنف للخلف لتقف على قدميها وهي تهمس باضطراب

" عذرا .. اسمح لي ... سأغادر ..لقد اخذت من وقتك الكثير .. "

حركاتها خرقاء وهي تعلق حقيبتها على كتفها لتستدير دون ان تلقي كلمة وداع حتى وما ان خطت مبتعدة خطوتين حتى سمعته يناديها

" هاجر .."

بذلت المستحيل لتتمالك نفسها وهي تستدير نحوه لتراه قد وقف هو الآخر على قدميه دون ان يتحرك فقط ينظر اليها بما يشبه .. الاشفاق !

لم تحتمل لتغمض عينيها تحبس دموعا اوشكت ان تنفلت بينما يحطمها بصوته الرجولي الاجش وهو يقول بفخر يخترق القلوب

" انا اعشق زوجتي ولم ولن اعشق امرأة سواها "

حتى اطباق جفنيها لم يمنع دمعتين ان تسيلا على كل خد ...

همست في داخلها كما كانت تفعل منذ سنوات





" ايتها الغبية لاتبكي .. انت لم تخلقي للبكاء .. ابتسمي وغلفي قلبك بالقساوة "

ببرودة جليدية سرت في اوصالها جعلتها تهدأ وتستكين ..

رفعت يدها تسمح دمعتيها بشموخ قبل ان تفتح عينيها فتشعان بلمعتهما وهما تواجهان عينيه..

حركة اقدام خلفها وهمهمات ثم جاءها صوت ابنة عمها وهي تناديها بنبرة عجب وحرج " هاجر ..! "

رسمت ابتسامة متقنة على شفتيها .. كما تتقن وضع احمر الشفاه فوقهما لتلتفت لسهر فتراها بصحبة زوجها ياسر ..

تغاضت هاجر عن نظرات النفور التلقائي التي اغرقها بها زوج ابنة عمها لتواصل دورها المتقن وهي ترد على سهر ببشاشة متجاهلة ياسر

" مرحبا .. سهر .."

ياسر ايضا لم يكلف نفسه عناء مجاملتها وحتى لم يبدِ اي اهتمام بينما توجه باهتمامه الكامل لصديقه وهو يخطو نحوه ويقول بنبرة خشنة " رافد .. تعال معي... اريد محادثتك في مكتبي "

امسكت سهر بذراع هاجر وهي تهمس لها بقلق

" ما بك ..تبدين مضطربة ! هل حصل شيء؟"



لم تطرف عينا هاجر ناحية الرجلين اللذين تحركا مبتعدين بينما تواصل الدور الذي اعتنقته لتقول بتلك البشاشة المصطنعة

" مضطربة ؟ اممم .. ربما لاني سأتزوج !"

تمتمت سهر بذهول

" ماذا ؟!! من ..؟"

فترد هاجر دون ان تختلج عضلة واحدة في وجهها

" فرقد .. "

اتسعت عينا سهر وهي تقول بارتباك

" فرقد ؟!! لكنك قلتِ انك لاتريدينه ..."

كان هذا اقصى ما تستطيع تحمله لتتحرك وهي تلاعب ذيل حصانها الطويل قائلة كمن يبدو على عجل

" سنتكلم فيما بعد .. يجب ان أذهب الان واخبره بموافقتي .. حضري نفسك يا ابنة عمي .. ستساعديني لنعد لحفل خطبة كبير يفوق حفلة عقد قرانك .."

تحركت سهر خطوتين نحوها تناديها بجزع

" هاجر ..."

لكن هاجر سارعت بخطواتها وهي تلوح بحركات عشوائية ...



في مكتب ياسر ...

صوت ياسر علا بالغيظ والوقاحة وهو يواجه رافد بالقول

" ماذا تفعل مع هذه العلقة الحمراء ؟!"

رغما عنه انفجر رافد بالضحك ..

بدى له منظر ياسر وعروق صدغيه نافرة وهو يصرخ ويقول (العلقة الحمراء) هكذا فوق طاقته على التصرف بنضج والامتناع عن الضحك ..

ورغما عنه ايضا تذكر تفاصيل كل قبلة ارتشفها ارتشافا من معشوقته غالية فيداهمه احساس طفولي اكثر يجعل ضحكاته تتعالى وتتعالى فتثير حنق ياسر اكثر ليهدر به بعنف

" لاتضحك وتغيظني اكثر .. اخبرني ماذا يحدث بينك وبين هاجر ؟ "

استعاد رافد بعض جديته لتهدأ ضحكاته ويقول " لاتكن خشنا هكذا .. هاجر ستتزوج من زميلها في العمل .."

زفر ياسر بقوة وهو يقول بنفس الوقاحة " خير ما تفعله لتعتقنا من اهتماماتها اللجوجة.."

عبس رافد قليلا وما زالت الابتسامة الذائبة على وجهه ليقول ردا على كلام ياسر رغم انه بدى في عالم آخر

" لاتظلمها ياسر .. "



عبوس ياسر كان أشد وهو يرمقه باستغراب وقد هدأ انفعاله الاولي ليسأله بحنق جديد

" ما هذه الابتسامة على وجهك ؟! ماذا جرى لك ؟!"

فتساءل رافد بنبرة متراخية تثير الغيظ

" ماذا ؟!"

ما زال عبوس ياسر كما هو ليقول بفظاظة

" لاينقصك الا الترنح لأجزم انك مخمور!"

اتسعت ابتسامة رافد وذابت نظراته بحرارة عاطفية وهو يغرق بتفاصيل ظلمة المطبخ في بيته .. هو وغاليته .. هو وغاليته ...

فيردد بهيام " انا مخمور فعلا ..."

سكنت تعابير ياسر وعيناه تحدقان في وجه رافد بتفكير حذق ولماح ليقول

" منذ يومين وانت هكذا ! لم أشأ التدخل .. لكن الآن بحالك هذه بدأت اتساءل ان كنت على وشك ان تفقد عقلك مثلا ! فأخبرني قبل ان ابحث لك عن سرير في مصح .."

ارتد رأس رافد للخلف وهو يقهقه عاليا ثم ضرب بقبضته على كتف ياسر قائلا

" لاتتدخل انت .. احتفظ ببعض اللباقة يا رجل وفكر بنوعية اسئلتك "

انفتح باب مكتب ياسر فجأة ليطل احد النادلين اليافعين هلعا مذعورا وهو يهذر

" سيد ياسر .. السيدة سهر تنزف من ساقها .."



كيس الدواء في حجرها بينما تجلس بتوتر رهيب في سيارة الاجرة ..

انه دواء القلب كما أكد لها الصيدلاني ..

اذن الاستاذ طارق لم يكذب ..

هو مريض .. هو وحيد .. هو بحاجة للدواء حالا .. هو بمفرده ولا احد سينقذه ..

هي ستنقذه ...

تواصل تكرار هذه الافكار في رأسها ويأبى توترها ان يفارقها .. توتر من مجهول تقدم عليه مدفوعة دفعا لتثبت للجميع انها على صواب ....!

لم تشعر الا بتوقف سيارة الاجرة امام عمارة قديمة نوعا ما والسائق الاربعيني يقول لها

" لقد وصلنا للعنوان آنستي .. انها عمارة قديمة ومعروفة في هذا الشارع لم يصعب علي ايجاد العنوان .."

اخذت تهز رأسها وقلبها يطرق في صدرها ..

ليس قلبها فحسب بل كلها يطرق في وجل !

نقدت سائق الاجرة ماله ويدها ترتعش فيسألها الرجل ببعض الدهشة وهو يلاحظ امتقاع وجهها " هل انت بخير يا انسة ؟"

فتنظر في عيني الرجل .. تحدق فيهما بعمق ..

فتجد نفسها غارقة في طيبة عفوية تطل من نظراته .. اجل .. هناك طيبون .. طيبون كثيرون يرافقون دربها ..




ابتسمت له بارتباك قبل ان تهز رأسها وتترجل من السيارة ...

المصعد قديم وهو ينقلها للطابق حيث الشقة التي يسكنها الاستاذ طارق ..

وعندما وصلت الطابق المعني وتوقف المصعد يدها تلكأت وهي تدفع حاجز المصعد ذو القضبان السوداء ...

خطت خارج المصعد لتتجمد خطواتها ...

الكيس في يدها والهاتف الخلوي في حقيبتها!

ما الذي جعلها تفكر الان بهاتفها الخلوي ؟!

هل لانها فكرت بسعد ؟!

هل لأنها تلوم نفسها انها لم تتصل به وتخبره ؟

اجل ! .. لماذا لم تخبره ؟ لماذا لم تقل له تعال معي وانظر الى الرجل الذي تتهمه ظلما وبهتانا كيف هو مريض ووحيد ؟!!

تشبثت يدها بالحقيبة واخذت تهز رأسها بتوهان ... ثم فجأة اصابتها نوبة ذعر لتتحرك يدها بعشوائية تفتح حقيبتها وتخرج الهاتف القابع في عمقها ، وحالما فعلت انفتحت احدى الابواب ليأتيها صوت مستنجد

" جودا ... الحمد للّه .. ارجوك اسرعي سأقع ارضا وافقد الوعي .."

وفي غمضة عين تلاشت على المخاوف وتبدد التوتر وهي ترى استاذها الوسيم الانيق بطبيعته بوضع مزر وحال مؤلم يقف عند الباب التي فتحها يستند بشق الانفس على اطاره ويده ممتدة نحوها في استنجاد لطلب ما في يدها ..

في ثوان عاد الهاتف لحقيبتها وهرولت نحو جزعة تريد انقاذه !

حالما وصلت اليه انهار نحوها لتتلقفه هي بذراعيها وهي تشهق بارتعاب

" استاذ طارق .. ارجوك .. هل انت بخير .."

اخفى ابتسامته وهو يميل لرقبتها مدعيا التهالك ليتمم المسرحية التي اعدها باتقان وهو يقول بتقطع

" فقط ادخليني ارجوك .. واعطني.. الدواء.."

الصغيرة اللذيذة دخلت لفخه .. ولن تخرج منه الا وهي له ...

اغلقت بنفسها الباب وهي تسنده بارهاق فقد تعمد ان يلقي بكل ثقله عليها بينما يوجهها لغرفة نومه وهو يصدر تأوهات الألم المزيف..

كم هي حمقاء رقيقة القلب !

لقد كان ينتظرها عند الباب ينظر عبر العين السحرية ..



رآها وهي تخرج من المصعد وكيف بدت متوترة .. ثم اوشك ان يفقدها وهو يراها تخرج الهاتف من حقيبتها فخمن انها ستتصل باحدهم وقد يكون اخاها او سعد ذاك او اي شخص ليشاركها الدخول لفخه !

وهو مؤكد لايريد صحبة معها ..

هو يريدها هي فحسب .. وسيحصل عليها سواء برضاها اذا استطاع اغواءها او .. رغما عنها ..

مددته على السرير وهي تنظر اليه بقلب مفطور ... ملابسه مجعدة .. شعره مشعث وذقنه غير حليق ..

المسكين يعاني .. يعاني ..

اصدر صوتا متألما جديدا قبل ان يهمس بصعوبة

" جودا .. ارجوك .. احضري بعض الماء لاشرب الدواء .."

فرددت جودا ببعض الاستغراب

" لكن الصيدلاني قال انها حبة تحت اللسان "

لمحة ارتباك مرت على ملامحه قبل ان يقول بتشتت " أأ ... أجل .. أجل .. لكن ريقي جاف .. احتاج لكوب ماء عزيزتي .. لكن اعطني الحبة اولا قبل ان تذهبي للمطبخ .."





سارعت جودا بهمة بريئة لتخرج له حبة
وضعتها على راحة يده الممدودة ثم خرجت
مهرولة قبل ان تراه يضع الحبة في فمه ..

عندما عادت بالماء كان قد تخلص من الحبة
واستعد للدور الاكبر ...

جلست قربه وهي تساعده على شرب الماء من
القدح الزجاجي وحالما انهى الشرب اوشكت
ان تقوم وهي تضع القدح جانبا على منضدة
جوارها لكنه سارع للتشبث بها مما جعلها
تجفل وتتجمد ليسارع للقول المتباكي

" انا محطم ! بائس .. فقدت كل شيء في
حياتي .. لماذا يحصل لي هذا ؟! يا الهي لماذا
انا من دون البشر .."

اخذ يجهش بالبكاء وهو يغرق وجهه في
رقبتها الناعمة .. وكم كان فخورا لتلك
الدمعات التي نجح في اسقاطها ..

بدت جودا مرتبكة وهي تطبطب عليه من
جهة وتنكمش من جهة اخرى ..

يداه امتدتا للخلف الى حيث يلامس ظهرها
بحركات تبدو عفوية وغير مقصودة بينما
يغرق اكثر واكثر في رقبتها وهو يهمس
بصوت عذب اغوى عشرات الفتيات قبلها

" فقط لو مررت في حياتي من قبل صغيرتي ..
انت فقط وحدك من كنت ستمنحيني
السعادة الكاملة .. آآه جودا كم عانيت



وتعذبت .. كل ما اردته ان اجد قلبا يفهمني .. قلبا .. يحبني .. يحبني جودا .."

بدأ يفقد سيطرته على التماسك واشتعلت رغبة جسده التي اعمت بصيرته عن محاولاتها للتملص المصدوم !

ازدادت حركاته عنفا يواكب رغباته بينما بدت جودا تناضل لتستوعب حقيقة ما يحصل..

عيناها متوسعتان وكفاها يبعدان كتفيه عنها بحركات خرقاء ..

كانت تشحب وتشحب وتشحب وانفاسها تضيع منها ..

تبددت غيوم وغيوم وحدسها يلتقط اشارات تعرفها تميزها .. بل تحفظها عن ظهر قلب .. اشارات جسدها يتقن فهمها من واقع تجارب تملؤها برغبة التقيؤ !

(افيقي جودا .. حاولي ان تُنضجي من رؤيتك للخير والشر .. العالم لايظهر جماله دوما بالالوان البراقة فاحيانا تجدين جمالا نادرا في طفل متسخ فقير يجوب الشوارع طيلة النهار كبائع متنقل كما ان هذا العالم يملك بشاعة لايتبرع باظهار قبحها لك رأي العين حتى تقتنعي ...")

هذا العالم يملك بشاعة لايتبرع باظهار قبحها.. قبحها ... قبحها ...



تكاثفت كلمات سعد في رأسها وجسدها ينتهك بالقبح الذي يكشف عن نفسه..

قيود الصدمة وهول ما تكتشفه جعلاها توشك على الانهيار ...

وكانت القشة عندما شعرت بيده تحاول ان تفك اول زر من قميصها !

عندها فقط جسدها من تصرف لا وعيها المصدوم ... ارتفعت ساقها وركلة عنيفة توجهت لجسده الذي يوشك على ان يجثم فوق جسدها ..

لاتسمع صوت تأوهه ولا سبابه وشتائمه بينما تقفز من السرير لتهب بذعر مجنون فاق كل صدماتها السابقات في حياتها ...

لم يتأخر طارق لحظة ليقف هو الاخر ويلاحق خطواتها الهاربة المترنحة بخطوات واسعة مصممة لاتعرف الاستسلام ..

قبل ان تصل باب الشقة كان يمسك ذراعها ليدير جسدها نحوه وهو يقول لاهثا

" اسف صغيرتي .. آسف ... آآآآآه .."

كانت قد عاجلته بضربة من قبضتها وقد بدت نظراتها هستيرية ليتفادى هو ضربة اخرى ثم يتأوه من ضربة ثالثة...



لتجن جودا في ضربات مجنونة عشوائية

ففاض كيله وادرك ان موعد استخدام القوة

قد حان ..

كبلها بذراعيها وهو يهدر فيها بصوت

متحشرج كريه

" اهدأي جودا .. لاداعي لكل هذا .."

لكن جنون جسدها تضاعف ولم تكن تدري

كم كانت تثيره اكثر واكثر فيزداد

انتعاش جسده في استجابة قصوى ..

يحدق في رأسها الهائج في حركاته كهيجان

جسدها الرافض المتشنج .. لاتطلق كلمة

واحدة وهذا ما اثار استغرابه .. تبدو كطفلة

تتمتم بكلمات غير مفهومة ...

لكن .. من يحتاج الآن لتفسير همهماتها ..

الا يكفي انها تشعله اشتعالا ؟!

مال برأسه نحوها قليلا ضاحكا بشراسة

مستمتعا بالقول

" حتى جنونك هذا يثيرني ويجعلني اكثر

رغبة لاحصل عليك .."

تأوه اكبر ندّ عن شفتيه عندما شعر بركلتها

العشوائية ما بين ساقيه !

افلتها مرغما لتفر منه لكنه سارع ليقف في

سد الباب يمنعها المغادرة بينما يحاول التغلب

على ألمه ..



رآها تركض كالمجنونة ناحية المطبخ
وحالما استعاد نفسه لحق بها والابتسامة
الضارية تتسع على شفتيه وهو يفك ازار
قميصه المجعد .. الذي جعده بنفسه لحبكة
الدور الذي اتقنه ..

قبل ان يصل باب المطبخ كانت هي تقف
هناك وبيدها .. سكين كبير .. سكين حاد
يستخدمه بنفسه لقطع اللحم عندما يحب ان
يمارس هواية الطهو ...

يعترف انه للحظة شعر بالخوف ...

ورغم ذلك كان خوفا لذيذا بلذة هذه الفتاة
المميزة ذات الجمال الوحشي النادر ...

يراها كيف تقف ترفع السكين بقبضتها
اليمنى في وضع استعداد للطعن !

ببطء خلع عن كتفيه قميصه الذي حل ازراره
ورماه ارضا وهو يبتسم نحوها باثارة ...

اخذ يحدق فيها بتسلية وعيناه تفيضان
بجموح رغباته التي تطلبها .. تطلب جسدها..

اخيرا خرج صوتها مخنوقا

" اقترب .. وسأغرز هذا السكين في صدرك"

بتحد مستمتع تقدم خطوة .. خطوتين ليقول
لها بنبرة عذبة جعلتها ترتعد نفورا

" هل تعرفين صغيرتي كيف تغرزين سكينا
في جسد بشري ؟ ربما تظنينه كقالب حلوى !
وكم انت واهمة قليلة الخبرة ولاتعرفين .. "



التقط بوادر ارتعاب وشكوك في عينيها

فواصل كلامه المخادع بالقول

" السكين الذي بيدك ليس حادا تماما .. انا استخدمه للسلطة فقط .. وبشق الانفس يقطع جزرة ! فلا تعولي كثيرا على غرزه في صدره فكل ما سيحدث انه سيسبب لي كدمة وببساطة سآخذ منك السكين وارميها بعيدا ثم ....."

توقف قليلا متأملا بفجاجة صدرها الذي يعلو ويهبط باضطراد ليضيف بصوت مبحوح

" ثم ... انالك .."

ادرك انه تمكن منها وارتعابها فاق قوتها الذهنية ..

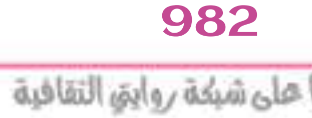
خاف ان تبدأ بالصراخ فعاجلها بالقول

" وانصحك ان تحافظي على حبالك الصوتية.. لان جدران هذه الشقة قديمة العهد وصلبة جدا وعاااااازلة تماما فلن يسمعك احد .. وحتى ان سمعوا سيظنون اننا... صاخبين قليلا في تبادل العاطفة "

يدها التي تحمل السكين اخذت بالارتعاش لكنه حقا معجب بصلابتها ومواجهتها له رغم الارتعاب المسيطر عليها ..

لقد كان يقرؤها .. انها ذكية .. ذكية جدا.. وهي تشحن ذكاءها الان لتجد منفذا لتهرب منه ..





لم يعد يسليه ان يطيل اللعبة وبحذر داخلي

اقترب مبديا لامبالاة بالسكين الحاد القاتل

الذي ترفعه في وجهه ..

ليجفل بعنف كإجفال جودا عندما ابتدأ فجأة

رن الجرس برنين متواصل بالتوازي مع ضربات

متتالية مجنونة على باب الشقة ..

في مكتب ياسر ...

جاثيا على ركبتيه يهذر بعنف لاهث وهو

يربط الجرح في ساقها

" ايتها الغبية الفضولية التي تحشر نفسها في

كل شيء .."

تكتم رغبتها بالبكاء بشق الانفس بينما

تهمس وهي ممدة على الاريكة

" كنت اساعد النادل الجديد .. لم يكن

يعرف كيف .. يحمل الصحون .."

التفت اليها برأسه ليهدر فيها بخشونة وفظاظة

" ومن انت لتتحذلقي وتقحمي نفسك في هذه

الامور ؟!! من طلب منك تعليم اي نادل بائس؟

فلتعلمي نفسك اولا وانظري كيف اوقعتِ

الصحن ارضا ليتكسر ويجرح ساقك جرحا

غائرا كهذا !"

تغرغرت عيناها بالدموع وهي تنظر اليه

بصمت فاختلجت عضلة في خده الايسر

ليحيد بوجهه بعيدا وينهي رباط ساقها ..



كانا متوترين جدا .. دون ان يفصحا ..

التفت لها اخيرا ويده بدت غير ثابتة وهي تستريح على بطنها بشكل يبدو ظاهريا انه عفوي فيقول من بين اسنانه وهو يحدق في وجهها

" بشرتك شاحبة جدا .. لقد فقدت دما وربما.. تحتاجين الذهاب للمستشفى .."

اخذ صدرها يعلو ويهبط وتتكاثف الدموع اكثر واكثر في عينيها لتنفجر اخيرا شلالات تلك الدموع مع انفجار سهر

" اريد ابي .. اريد ان يأتي حالا .."

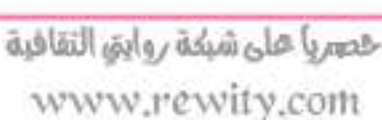
شحب ياسر هذه المرة وهو يتطلع متوترا عاجزا مكبلا عن فعل شيء .. لايعرف ما يكبله .. لكنه شعر بالعجز الغريب الذي جعله يغضب ويغضب .. خاصة مع هذا الالم الموجع الذي يعتصر قلبه .. كلما هطلت دمعة منها قلبه يتوجع .. لكن ان تفيض بكل هذه الدموع السخية التي يراها للمرة الاولى فهذا جعل قلبه يتمرغ بالوجع ..

تقلصت يده فوق بطنها وهو يقول بتعنت غبي

" لاتكوني مدللة .. انا ... سآخذك بنفسي "

عندها اخذت تدفع يده وهي تصرخ فيه باكية " لا اريدك .. انا اريد ابي .. انت .. انت .. جلف .. قاس .. بلا قلب .. لااحتملك.."







باندفاع اهوج عنيف تقدم اليها يلف ذراعيه بخشونة حول ظهرها فيعتصرها على صدره وهو يقول لاهثا

" بل ستتحمليني .. وسترضين بي .. ولن .. تقولي مرة اخرى .. لااريدك .. هل فهمت .. اياك ان تقوليها مرة اخرى .. "

تقاومه وهي تبكي وتشهق وتواصل صب حنقها واحباطها عليه

" بل سأقولها .. واردها .. انا ادللك .. واغرقك بحبي .. وانت .. انت حتى .. لاتقول لي كلمة لطيفة .. اي حب باهت هذا الذي تحمله لي ؟!"

لم يحتمل وقلبه يتفتت من الألم ليمد يده لمؤخرة رأسها فيميل نحو شفتيها بعنف وهي تحاول التملص ..

قاومت وقاومت وهي لايكل ولا يمل حتى فرض عليها قبلته المجنونة العنيفة ..

افلتت منه تنهيدة عذبة عندما استجابت اخيرا .. وكأن حملا بغيضا تلاشى في لحظة ليتساقط كزهور الربيع فوق رأسه..

اوشك ان يفقد سيطرته وهو يواصل تقبيلها بجنون .. انفاسه تجيش في صدره والكلمات على لسانه .. ..

لسانه فك عقاله وبدأ يهذر بحرارة



" باهت ؟! باهت يا سهر ؟ كم تجيدين التعذيب وضربي في مقتل .. "

يقبل خديها وعينيها وجبينها وهو يواصل هذره المحموم المنفلت

" انا كدت افقد الوعي لرؤية كمية الدم النازف منك .. لاعرف .. كيف اقولها لك وتفهمين.. حاولي ان تفهمي .. ان تشعري .. انا .. انا لااحتمل ان .. افقد....."

هو من قطع الكلمة في شفتيها يخبئ الاحرف فيهما ... لقد كان قول كلمات كهذه فوق طاقته ... يا الهي .. كم يحبها ...

دخل سعد للمطعم وهو يلقي التحية للحارس بينما ينهي مكالمته مع صديقه عبر الهاتف قائلا

" شكر لك يا صديقي .. اجل ارسله لي في رسالة نصية لو سمحت .."

اغلق سعد الهاتف لتصله رسالة نصية خلال ثوان وبينما يفتحها للتأكد سمع صوتا متسليا يقول له

" رسالة غرامية ...؟ "

تبسم سعد وان كان مشغول البال بالعنوان الذي ارسل له للتو عن طريق صديق ليرد على رافد بالقول

" مرحبا رافد .. اين ياسر ؟"





حرك رافد حاجبيه وهو يبتسم ابتسامة عريضة مشاكسة وهو يقول

" مضطرب حد الانهيار وهو يعالج جرح البرنسيسة الوردية "

عبس سعد وهو يتساءل " جرح ؟"

فيرد رافد غامزا " لاتقلق .. سهر كانت تساعد احد النادلين فاسقطت صحنا من يدها فانكسر وجرحتها احدى الشظايا "

هز سعد رأسه بينما يقول بنبرة متعجلة

" احتاج ان اتكلم مع ياسر في الحال .. اين هو الان ؟"

فيقول رافد بابتسامة عريضة تفيض عاطفة ودفئا ومرحا

" ايها العضلي كن رومانسيا قليلا ودع الوردية تلون العبوس ببعض الوان الحب "

تطلع سعد اليه ببعض الاستغراب لحالته فسأله

" ماذا جرى لك ؟ تبدو ... مختلفا ! "

اطلق رافد ضحكاته الرنانة وهو يقول

" ما بالك انت وصاحبك تعيدان على مسامعي نفس الجملة ؟!"

عندها عاد سعد لشروده ليقول وكأنه يحدث نفسه

" ساضطر للذهاب بمفردي اذا تأخر "





فسحبه رافد من ذراعه ناحية باب المطعم وهو يقول

" تعال لنصلح الاطار الاحتياطي المثقوب لسيارتي .. لن يأخذ اكثر من نصف ساعة لنعود يكون فاصل الغرام انتهى بين العريسين..."

بدى التردد على سعد وهو ينظر لساعة يده فحفزه رافد اكثر

" هيا بنا .. نصف ساعة تأخير لن تخرب نظام الكون "

تطلعت سوسن لجودا وهي تحاول جاهدة السيطرة على اضطرابها لتساعد جودا هي الاخرى بالسيطرة على اضطرابها بل انهيارها .. ومن يلوم هذه الفتاة المسكينة ؟!

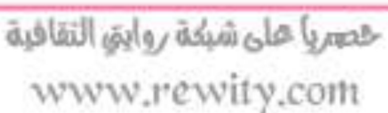
ما زالت جودا تمسك بالسكين الكبير في يدها ومفاصلها تكاد تشق الجلد واصابعها تلتف بتصلب حول مقبض السكين الاسود ..

استعدلت سوسن في جلستها على الكرسي في سيارتها الصغيرة القديمة الطراز ..تاركة جودا متصلبة تماما في الكرسي المجاور لها ..

يا الهي .. ذلك الحيوان وصلت به الجرأة لمحاولة اغتصاب فتاة !

من يدري لعله فعلها سابقا ...



لاتصدق حتى اللحظة كيف جرُأت ولحقت بجودا حتى شقة الحقير طارق ..

لقد رأتها تتكلم في الهاتف ثم تهرول مغادرة القسم باضطراب ..

لم تعرف كم مر عليها من الدقائق بعدها قبل ان تقرر اللحاق بها .. حدسها كان يواصل حثها على الذهاب .. يواصل اخبارها ان الفتاة ذهبت لذلك الحقير .. في تلك الشقة الحقيرة البائسة ذاتها التي كانت شاهدا على اذلال عشرات الفتيات .. شقة هي مقبرة الاحلام لكل فتاة ساذجة غبية او رعناء مغرورة ..

وهي .. سوسن كانت احدى تلك الفتيات وان خرجت بأقل الخسائر ...

لقد قادت سيارتها بهستيرية لاهثة بين الشوارع المزدحمة .. تاهت في التغيرات التي حصلت في هذا الجزء من العاصمة الذي ظلت لسنوات طويلة تتجنب المرور فيه ..

لكن اليوم .. مرت .. واقتحمته ..

اقتحمته مع ذكرياتها القبيحة والمخزية ..

حتى وصلت لنفس العمارة ولم تشعر الا وهي كالمجنونة تركض على الدرج تلاحقها صور قديمة موجعة وهي تستسلم لذراعي طارق .. كيف يخلع عنها قميصها الناعم ويلامس بشرتها وهي تئن بالشوق ..



اوشكت ان تتقيأ على الدرج وهي تستذكر مشاعر الفتاة التي كانتها يوما .. وكيف ان اللّه بعث لها تلك الفتاة الاخرى التي انقذتها من براثن طارق ...

تنهدت سوسن وهي تنظر لجودا فتفكر ..

وهي اليوم انقذت جودا ...

حقا الدنيا سلف ودين ..

يا الهي .. على الاقل هي كانت زوجته شرعا وبرضاها .. لكن هذه الفتاة .. انها مخطوبة لرجل اخر وتوشك على الزواج ..

طارق الحقير النذل الخسيس ...

اغمضت سوسن عينيها وهي تتذكر اللحظة عندما وصلت باب الشقة .. كيف كانت منهكة بالذكريات السوداء وكل مشاهد الذل فلم تشعر الا وهي تضغط على زر الجرس وتضرب بقبضتها على الباب ..

كانت مجنونة لاتفكر الا ان جودا بالداخل وان الحقير طارق يخلع عنها ملابسها ليغمرها بقبحه ويلوثها بقذارته ..

ظلت ترن وترن وترن .. فتجمع بعض المارة يسألونها ماذا يحدث فاخذت تصرخ

" افتح الباب .. افتح الباب .. الشرطة معي ..."





لاتعرف كيف نطقت بكلمة الشرطة ..
لكنها كانت كمن يطلب النجاة ولا خيارات متاحة لديه ..

فجأة انفتح الباب وظهر طارق وهو يزرر قميصه والارتباك باد على وجهه بينما يحدق في وجوه الناس الذين تجمهروا حول باب شقته وفي لحظة اندفع جسد طارق للجانب ثم خرجت جودا متسعة العينين شديدة الشحوب والسكين في يدها فبدت كالمجنونة مما جعل البعض يتراجع شاهقا للخلف وهي تحدق فيهم وكأنها لاتراهم ...

سارعت سوسن لطمأنتها وهي تقول لها بغصة

" اهدأي حبيبتي .. انت بخير الآن .. تعالي معي .. سآخذك بعيدا من هنا .."

وبشكل عجائبي استجابت الفتاة بصمت رغم الملامح المصدومة المفجوعة التي لازمتها ..

فتحت سوسن عينيها لتعاود النظر لجودا فتراها كما هي .. مصدومة مفجوعة ..

منذ اخذتها من تلك الشقة المشؤومة وغادرت بها بعيدا عن كل تلك البناية الكريهة وما زالت الفتاة متصلبة والسكين تأبى يدها ان تفلتها ..

وها هي تقف معها على قارعة الطريق ولا تعرف ما الذي يفترض ان تفعله ...



تشجعت سوسن لتسألها بصوت رقيق

" هل انت بخير جودا ؟ردي علي حبيبتي ؟"

تختض السكين في يدها لكنها لاترد بشيء فتحثها سوسن بالقول الثابت

" اعطني السكين على الاقل ..ستؤذين نفسك .."

لاتعرف لم انتفضت جودا عندما سمعت اخر كلمتين تحديدا وفجأة همست بصوت مجروح خافت " سـ...سعد..."

تنفست سوسن الصعداء اخيرا لاستجابة جودا فسألتها بصبر

" تريدين مني الاتصال بسعد ؟

فتهز رأسها بـ(نعم) فتسألها سوسن سؤالا آخر

" هل هو اخوك ؟"

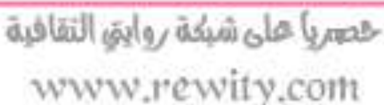
فكانت هزة رأس جودا نفيا هذه المرة فابتسمت لها سوسن لتقول

" اذن هو خطيبك .. حسن .. هل تحفظين رقم هاتفه "

وبجمود آلي اخذت جودا تردد الرقم الذي تحفظه في قلبها ...

كان سعد ورافد في طريق العودة للمطعم بعد تصليح اطار السيارة وبينما كان سعد يضحك من قلبه على مزحة القاها رافد ذو المزاج الغريب الرائق جدا لهذا اليوم رن الهاتف ..







قال سعد وهو يلتقط هاتفه

" اتمنى ان يكون ياسر .."

لكن اصابه الاحباط وهو يرى رقما غريبا ..

حالما فتح الخط و رد جاءه صوت امرأة وهي تقول بلطف شابه توتر ملحوظ

" هل سعد من يكلمني ؟"

فيرد سعد باستغراب طفيف

" نعم .. من معي ؟"

فترد المرأة وقد بدت تقاوم توترها

" انا الاستاذة سوسن .. استاذة جودا .."

انقبض قلب سعد بينما يحيد بالسيارة ليركنها على جانب الطريق بينما رافد يهمس له بقلق

" ماذا هناك يا سعد ؟"

لكن سعد بكل تركيزه مع الاستاذة سوسن وهو يسألها برباطة جأش

" هل جودا بخير ؟"

فتسارع سوسن لطمأنته

" اجل لاتقلق .. انها بالف خير .."

ثم تتلكأ قليلا قبل ان تضيف

" انها فقط .. منزعجة .. اقصد انها متضايقة جدا وتحتاج .. اليك "



ضجّ صدره بالمخاوف وصوت الاستاذة لاينبئ بالخير .. قال مباشرة وهي يحرك سيارته

" انا قادم للجامعة الآن .."

وهنا قالت له سوسن بارتباك

" انها ليست في الجامعة .. انا وهي في سيارتي على قارعة الطريق الرئيسي المؤدي للمجمع التسويقي الكبير "

تمتم سعد بتشنج ودون ان يطلب مكالمة جودا " انا قادم حالا .. ما نوع سيارتك ؟ "

حالما اخبرته ما اراد اغلق الخط ..

سأله رافد بقلق ماذا يحصل فرد عليه سعد باقتضاب انه لايعرف .. كل ما يعرفه ان جودا ليست بخير ..

ركن سعد سيارته امام سيارة سوسن ثم ترجل مسرعا بينما يلحق به رافد بخطوات متباطئة وهو لايعرف هل يفترض ان يلحق بسعد ام يبقى مكانه ...

عينا سعد وصلتا جودا قبل قدميه ..

القلق سيطر عليه وهو يراها تجلس في مقعدها زائغة النظرات !

وصل اليها دون ان يلتفت للمرأة الاكبر سنا التي تجلس بجانبها في السيارة وقد خمنها الاستاذة سوسن التي اتصلت به ..

فتح الباب لتجفل جودا بقوة وتجفله وهي ترفع بوجهه سكينا كبيرا !





اخذ قلبه يقصف بعنف في صدره وهو يحدق في عينيها البلوريتين وقد بدتا باهتتين جدا وبنظرات مشتتة لاتستقر على شيء ..

شعر بالاستاذة سوسن تترجل من السيارة تاركة اياه بمفرده مع جودا ليبتلع ريقه بصعوبة وهو يجلس القرفصاء امامها ويبتسم لها هامسا

" حبيبتي .. لماذا تحملين هذا السكين البشع.. ستؤذين نفسك .."

نظراتها الزائغة داهمها الذهول وهي تحدق في وجهه ! وكأنها لم تستوعب وجوده الا الان !

هاله ان يراها تختض وعيناها تبرقان بالخوف فتميل نحوه وتهمس بحشرجة مقلقة

" كان .. يريد ايذائي .. لكن .. لكني حملت السكين .. كنت اريد طعنه يا سعد .. لكن .. لكن .."

ارتفع ضخ الدم في عروقه في عروقه فيمسك ذراعيها دون ان يبالي بالسكين في يدها ويسألها بنبرة تفيض انفعالا

" من كان يريد ايذائك ؟ عمّ تتكلمين جودا ؟ "

تواصل هذرها والدموع تتجمع في عينيها

" قال .. قال ان السكين لن تنغرز في صدره .. وانا .. خفت .. خفت حتى اوشك قلبي على التوقف من شدة الارتعاب .. لم استطع غرز السكين .. لم استطع قتله كما يستحق .."



اخذت دموعها تهطل وسعد يفقد رباطة جأشه بينما عقله لايرحمه من جنون الافكار التي تتزاحم فيه ..

هزها قليلا وهو يسألها

" من هو جودا ؟ ...اخبريني وانا سأخذ لك حقك بالكامل .. هل هو ذلك الحقير طارق؟ ام من بالضبط ؟ "

اخذت تختنض بانهيار البكاء فسقطت السكين من يدها لتعبر حافة الباب المفتوح للسيارة وتسقط على الاسفلت ..

اخذت تبكي وتنشج وهي تكاد تصرخ بالألم

" لم أعد احتمل كل هذه القذارة .. لم أعد اريد هذه الدنيا .. لماذا كلهم هكذا ؟ لماذا؟"

جن جنون سعد من حالها وانفعاله بلغ اقصاه ليتركها ويقف على قدميه ويلتفت نحو الاستاذة سوسن التي تقف بصمت جوار رافد ..

والاثنان بديا متوترين ولايعرفان كيف يمكن ان يساعدا ..

تحرك سعد وداخله يغلي كما لم يشعر قط في حياته ليقف بمواجهة سوسن ويسألها بخشونة

" استاذة سوسن اخبريني حالا ماذا حصل لجودا ؟ اين وجدتها ؟ "



نظرت سوسن ناحية سعد اولا ثم ناحية جودا التي ما زالت تبكي بهستيريا لتحزم امرها وتقول وهي تنظر ناحية رافد

" هل يمكننا ان نتحدث على انفراد ؟"

مباشرة انسحب رافد عائدا لسيارة سعد لكن عيناه لاتغفلان عن جودا خوفا من تقفز راكضة في اي لحظة ..

خلال دقيقتين شرحت سوسن بحذر وباقتضاب عن شكوكها المسبقة بالاستاذ طارق وكيف لحقت بجودا وكيف وجدتها هناك ترفع السكين فاخرجتها من شقته ..

كان سعد يستمع بصمت لكن الصخب في داخله علا في اقصاه ..

كل ما تربى عليه عن العرض والشرف تمثل امامه وهو يتخيل جودا تتعرض لهذا الانتهاك..

كل ما غرسه فيه والده ثار في وجدانه ..
والده ابن البلدة المحافظة الذي لم ينس اصله ابدا فزرع جذور سعد في تلك البلدة الطيبة..
بلدة امه وابيه ... بلدة تفضل اعتناق اصل الريف على حضرية المدن ..

يا الهي .. جودا .. زوجته ... شرفه ..

عرضه هو ..

وذاك القذر اراد انتهاكه ...

غضب .. غضب استعر ويأكل كل ذرة عقل وتحكم افتخر دوما بامتلاكها ...



هذه المرة مختلفة ...

هذه المرة ثأر جودا مختلف ...

ولن يكون ابن ابيه ان لم يأخذ بثأرها ..

وثأره هو ايضا ...

بتعابير قساوة اشتدت بضراوتها على ملامح سعد القوية برسمها الطبيعي فبدا مخيفا جدا في عيني سوسن .. ليتركها ويتحرك عائدا بخطواته ناحية سيارة سوسن ودون ان يتكلم مع جودا انحنى ملتقطا السكين وعندها قال لجودا بنبرة عميقة

" لاذيقنه ما اردتِ فعله به ولم تجدي القوة لتفعليها ..."

ثم تركها وتحرك بنظرات جامدة ليترجل رافد من السيارة وعيناه على السكين الذي يحمله سعد في يده فيقترب منه رافد قلقا وهو يسأل بحزم

" ماذا تفعل سعد ؟ الى اين تذهب مع هذا السكين ؟"

فيصعد سعد لسيارته وهو يقول لرافد بنبرة جليدية ونظرات ميته بالقسوة الشرسة

" اعد جودا لياسر ..."

وقبل ان يدرك رافد ما يحصل كان سعد يشغل سيارته وينطلق بها بسرعة مجنونة تاركا خلفه رافد وهو يناديه صارخا وسوسن تحدق بارتعاب !







تدارك رافد الامور وصرخ في سوسن وهو يتقدمها لسيارتها

" اركبي لسيارتك لو سمحت وانا سأقود .. لكن افهميني بالضبط ما يحصل .. اخبريني كل شيء لان كارثة على وشك الحصول ويجب ان امنعها "

جودا في عالم هستيري منفصل وسوسن لم تعد تعرف ما تقوله لرافد لتدله في النهاية على عنوان شقة طارق حيث المرجح انها وجهة سعد ...

كان طارق في قمة التوتر والخوف وهو يلملم اغراضه ..

لايصدق ان تلك الحقيرة سوسن اثارة كل تلك الجلبة من حوله ..

لقد تسببت باستدعاء الشرطة حقيقة بعد ان اتصلت بهم امرأة عجوز فضولية كانت من ضمن من تجمهروا للتفرج على ما يحصل ..

وقد احتاج لوقت حتى اقنع الشرطة انه سوء فهم والفتاة التي كانت تحمل السكين مختلة عقليا وجاءت اختها لاصطحابها ..

لم يعرف كم ألفّ من الكذبات ليقنع الشرطة لكنه لن يبقى هنا أكثر ..



انه لايعرف ما سيحصل بعد ومن سيأتيه في اي لحظة !

حالما اغلق حقيبته التي وضع فيها كل اغراضه وملابسه الموجودة في الشقة رفعها عن السرير لتلتقط عيناه حقيبة جودا المرمية على الارض ..

لم يستطع منع نفسه من الانحناء لالتقاط الحقيبة يتشممها بلهاث مرضي وكأنه يتشمم جودا فيهمس بنبرة متحشرجة كريهة

" كم كانت رائحتك مميزة يا جودا .. خسارة اني لم أنلك كما يمزقني جسدي اشتهاء لك "

بلمحة تسلية حمل الحقيبة الصغيرة معه وهو يفكر انها ستبقى للذكرى ..

حالما غادر غرفته تصاعدت ضربات عنيفة على باب شقته ..

تمتم بوجل " ماذا الآن ؟!"

ضربات مستمرة شديدة العنف لتسقط حقيبة جودا من يده اولا قبل ان تتبعها حقيبته الكبيرة ..

وبمواجهة للمحتوم انفتح الباب بعنف لتعبر كتلة بشرية تفيض بجنون غضب مهول ..

قبل ان يتمتم باسمه كان سعد ينقض عليه لكماً وركلاً ..



اوقعه ارضا فعاود سعد رفعه ليرطمه في الجدار عدة مرات ويعاود ضربه كالمجنون ...

لم يشعر طارق بنفسه الا وهو يتوسل وهو يوشك على فقدان الوعي ..

لم يرد عليه سعد بشيء ولم يشتمه حتى .. كان مجرد آلة خرساء من الجحيم لتعذيبه ..

خر طارق على الارض وعيناه تتشتان على باب الشقة المفتوح يتساءل هل سينجده احد ؟

تخايل له رؤية بضعة رجال اشداء .. طوال عريضي الاكتاف بملابس مهيبة غريبة ..

شعر انه بدا بالهذيان والهلوسة فلم يوقظه الا صوت سعد قرب اذنه يهدر فيه بوحشية باردة

" هل تعلم في عرف ابائي واجدادي كيف نتعامل مع من يحاولون انتهاك اعراضنا ؟"

لم يستوعب طارق ما يحصل ولم يتنبه لحركة يد سعد وهو يستل السكين الذي يضعه محشورا في بنطاله من الخلف ...

نصل السكين حز رقبة طارق المنهك القوى وصوت سعد اصبح اكثر وحشية وبرودة

" الذبح ... سأفصل رأسك عن جسدك..."

علم طارق ان هذه نهايته ... اغمض عينيه باستسلام وهو يفكر بتلك الخيالات الضخمة المتجمعة عند باب شقته ولاتفعل شيئا لانقاذه !

صوت غريب تداخل مع خيالاته بينما يشعر بنصل السكين يحز عنقه اكثر

" سعد .. اهدأ .. لاتفعل هذا .. اهدأ قليلا .. اتوسل اليك .. لاجل امك .. لاجل جودا .."

لم يعد رافد يعرف ما يفعل وهو يشهد على ما يحدث عاجزا عن فعل شيء الا الكلام ..

في حياته لم ير سعد بهذا الحال ...

لقد فقد الرجل اتزانه ولا يعرف كيف سيعيد هذا الاتزان له ...

على الاقل وصل في الوقت المناسب قبل ان تحدث الكارثة ..

تتطلع رافد لأولئك الرجال الغريبين الذين يقفون عند باب الشقة ..

لقد مر من خلالهم دون ان يمنعوه ..

انهم فقط يحدقون فيما يجري دون ان يتدخلوا!

عاد بتركيزه لسعد وهو يفكر ان عليه الاعتماد على نفسه لمنع صديقه من تدمير حياته ...

بحذر شديد وضع يده على كتف سعد يتوسله بالقول الهادئ

" سعد انظر الي ... ابعد السكين عن رقبته... جودا بخير وتنتظرك في الاسفل .. ارجوك سعد .. فكر بها ... انها بحاجة اليك .. بحاجة لوجودك ودعمك اكثر من انتقامك لها "



كانت انفاس سعد تهدر ويبدو في حالة خارج نطاق العقل البشري ..

حتى اتى صوتها " سعد ...."

اهتز جسد سعد بالكامل وهو يلتفت ناحية الصوت ليرى فتاته تقف هناك تتوسط رجالا ضخمين تناديه وعيناها تتوسلانه قبل لسانها

" سعد .. ارجوك ..تعال .."

فيصرخ بها والعرق يتصبب منه

" عودي جودا .. انزلي حالا .."

ما زالت يدها ممدودة اليه قبل ان تتهاوى مغشيا عليها فتتلقفها ذراعي سوسن من الخلف وتوشك ان تقع معها ارضا ....

في لحظة سقط السكين منه ارضا ليركض ناحية جودا بينما ركل رافد السكين بعيدا ثم ركل جسد طارق ليميل نحوه ويقول في اذنه

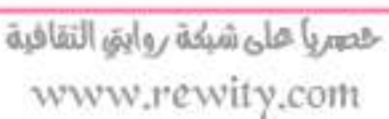
" الحساب لم ينتهِ بعد ..."

ثم تركه ملتقطا من الارض حقيبة جودا التي يعرفها فهي لاتحمل غيرها ومضى لاحقا بسعد الذي حمل جودا مغادرا ومعهما الاستاذة سوسن ..

عمّ الهدوء المكان وقد توقف بعض الاشخاص للتفرج فصرفهم احد الرجال الغريبين الذين يقفون عند الباب معتذرا بالقول انها مشاجرة بين اصدقاء ...







دخل الرجال الخمسة واغلق احدهم الباب ثم أشار الشيخ المهيب بينهم لاثنين من الشباب فتقدما ناحية طارق وساعداه بصمت على النهوض ..

أخذ طارق يتأوه من الوجع والرجلين يأخذناه للحمام ويغسلان وجهه حتى استعاد بعض وعيه قبل ان يعيداه للصالة حيث ما زال الثلاثة الاخرون في الانتظار ..

استعاد طارق ادراكه لما يحصل واخذ يحدق فيهم باستغراب ليقول منهكا والآلآم تضج في جسده

" شكرا للمساعدة .. لكن من انتم ؟"

مباشرة تركه الرجلان اللذان كانا يسندانه للتو ليلتحقا بالمجموعة ويواجهونه خمستهم يتوسطهم الشيخ ..

اوجس طارق خيفة من هدوئهم الغريب وتعابيرهم الاغرب ..

اذن هو لم يكن يحلم !

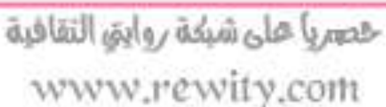
انهم خمسة رجال بملابس ريفية من اجود الانواع واغلاها وحتى يرتدون غطاء الرأس كما يفعل عليّة القوم من رجال اهل الريف...

الشيخ المسن يبدو انهم يطيعونه باحترام واجلال والاربعة الاخرون اثنان منهم يبدوان تجاوزا الاربعين بينما الاثنان الاخران يبدوان في نهاية العشرين ..









رجال سمر .. وجوههم باردة التعابير .. عيونهم داكنة مبهمة المعاني ..

انهم طويلوا القامة عريضوا الاكتاف حقا ولم يكن يتخيلهم هكذا كما ظن وهو يتلقى ضربات ذلك المجنون سعد ...

طال الصمت وهم يحدقون به ليبتلع طارق ريقه وقد تلاشى فجأة احساسه بالآلآم المبرحة التي يئن بها جسده ..

سأل اخيرا وبصوت متقطع

" ماذا... تريدون ؟"

تكلم الشيخ وبصوت جهوري يرسل الرعدة في اوصاله

" ما علاقتك برغد ..؟"

غاص قلبه في صدره وهو يتذكر اخر زوجاته.. الزوجة التي لم ينفصل عنها بعد ..

ابتلع طارق ريقه بصعوبة وهو يسأل

" من تكون لرغد ؟"

رد الشيخ بنفس الاسلوب

" انا عمها .. ووليها بعد وفاة والدها "

كان طارق يبذل المستحيل حتى لاينهار ..

انه من اصل ريفي ايضا .. بل والده الذي تبرأ منه ما زال في احدى القرى يرعى الزرع والماشية ..

اهل الريف لايتفاهمون في الاعراض ..

انهم يقتلون لمجرد الشبهة !





تمتم طارق والهلع يتغلب عليه

" ارجوك .. لاتقلق ...نحن متزوجان ..انا لدي بعض الظرو...."

قاطعة الشيخ بالسؤال

" اين قسيمة الزواج ؟"

فرد طارق وعيناه تراقبان الرجال الخمسة معا

" انه ...عقد بورقة بيني وبينها .."

لم يظهر اي تعبير على الوجوه امامه فيسأل الشيخ " اين هو ؟"

تحرك طارق لغرفته وهو يشعر بخيال احد الرجال خلفه فاخرج الورقة من احد الادراج

ثم عاد اليهم ليعود خيال الرجل وينظم لمجموعته ..

تقدم طارق للشيخ وهو يمد الورقة اليه فيأخذها الشيخ ويسلمها لاحد الشابين

" اقرأها يا عبد الهادي ..."

قرأها الشاب ثم اومأ للشيخ برأسه ليلتفت الشيخ عائدا لمواجهة طارق فيقول بهدوء

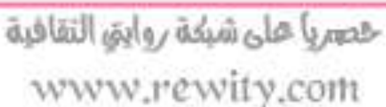
" ارمِ عليها يمين الطلاق ..."

لم يتردد طارق لحظة وهو يقول

" انها ...طالق ..."

ابتسامة صغيرة على فم الشيخ لكنها فاضت بكل تعابير الاشمئزاز والقرف ...





التفت الشيخ للشاب الذي ناداه (عبد الهادي) وقال له

" مزق الورقة بنيّ .."

وبينما عبد الهادي يمزق الورقة كان الشيخ يقول وهو يحدق في طارق

" كانت غلطة يوم وافقت اخي على النزوح للعاصمة وغلطة اكبر يوم وافقت على بقاء ارملته وابنته لوحدهما تواجهان الكلاب الضالة المسعورة .."

شعر طارق بالرعب يستولي عليه وحدسه ينبؤه ان الامر لن ينتهي على خير ...

اشار الشيخ لعبد الهادي قائلا بفخر

" هذا ولدي ومن سيكون زوجها بعد انتهاء العدة .. هو اولى ان يستر عرضه وعرض عمه فيريحه في تربته .."

التزم طارق الصمت وهو ينتظر كمن ينتظر حكما بالاعدام فارعده قول الشيخ الخافت وهو يحدق في عينيه مباشرة

" الآن .. بقي لنا حساب .."

تراجع طارق عفويا خطوة للخلف وهو يتمتم برعب " حساب ؟! "

تحرك الرجال من حول الشيخ والذي قال

" من يأخذ بناتنا في الظلام ومن خلف ظهورنا فهو ليس برجل .."





ثم شعت النظرات الداكنة في عيني ذاك الشيخ ليضيف وهو يتطلع لطارق من تحت لفوق

" ومن لايملك الرجولة بمعدنه لايستحقها بجسده "

الدماء جفت في عروق طارق وهو يتراجع ويتراجع حتى ارتطم ظهره بالجدار بينما يتمتم

" ما... ماذا... تعني ...؟"

لم يرد عليه الشيخ هذه المرة فقط نطق باسم ابنه

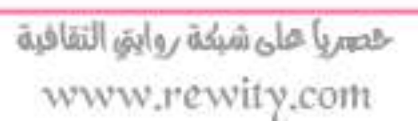
" عبد الهادي ..."

وكأنها كلمة السر لفوج عسكري منظم ..

لم يعرف طارق كيف تحرك رجال ضخام بهذه الخفة فامسكه بعنف اثنان منهم يحبطان مقاومته الواهنة بينما كمّم فمه ثالث اما عبد الهادي فتحرك مبتعدا ليلتقط من احدى الزوايا ذلك السكين البائس ..

وبخطوات هادئة ثابتة تقدم عبد الهادي منه فتتسع عينا طارق برعب يفوق اي رعب اخر وهو يشعر باحدهم يزيح عنه بنطاله !





الفصل السادس والعشرون

في المطعم ..

خرجت سهر من مكتب ياسر اخيرا ..

لقد ارتاحت بما فيه الكفاية بل وملت من الراحة الاجبارية التي فرضها عليها ياسر ..

كانت تعرج قليلا في مشيتها فتمشي ببطء ثم توقفت للحظة عندما لمحت في اخر الممر رافد وياسر يقفان بمواجهة بعض وشحنات التوتر تشع منهما !

اصابها القلق خاصة برؤية رافد على غير طبيعته المتراخية دوما وقد بدى في قمة التشنج ...

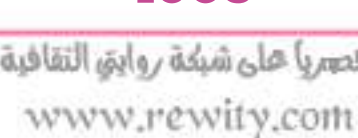
عاودت المشي نحوهما وقبل ان تسمع ما يقال رأت ياسر يجن بالغضب ويرتفع صوته قليلا وهو يمسك بتلابيب رافد !!

ارتعبت سهر وهي تتقدم نحوهما اكثر لتسمع رافد وهو يقول بحنق وتوتر

" افعل ما تشاء .. لن اعطيك العنوان .. يكفي ما حصل مع سعد .."

تسمرت قدما سهر مكانهما بينما تسمع ياسر يرد بعنف شديد وهو يهز رافد المتعنت





" قلت لك اعطني العنوان والا اقسم بالله سأذهب لتلك الاستاذة واطلب العنوان منها بنفسي .. "

عقد رافد حاجبيه وهو يقول لياسر

" اترك المسكينة وشأنها .. يكفي ما عانته معنا اليوم .. "

هدر به ياسر وقد بدى جادا

" لن يهمني حتى لو اثرت لها فضيحة .."

تأفف رافد متنازلا ليقول لياسر وهو يسحبه من ذراعه

" ايها العنيد المتحجر الرأس .. هيا بنا سآخذك بنفسي .."

تطلعت اليهما سهر وهما يتحركان مبتعدين بينما هي عاجزة عن تفسير ما سمعته لتفهم ما حصل ... لكن مؤكد ما حصل خطير جدا..

تسمر ياسر ورافد امام البناية حيث يقطن طارق حالما ترجلا من السيارة ..

ولم يكونا وحدهما المتسمرين .. بل كان هناك جمهرة من الناس والكل متسمر بمكانه يحدق بفضول وذهول كيف ينقل رجال الاسعاف رجلا على النقالة ويدخلونه السيارة البيضاء ...

الهمس بين الناس كان عاليا كفاية ليفهم رافد وياسر ان المصاب هو الاستاذ طارق لاغيره....

وبينما الناس يتكهنون يبقى الذهول متمكنا منهم لكل ما حصل لذلك الاستاذ الجامعي ...

تمتم رافد مشحونا وهو يحدق بياسر بصرامة

" ابق هنا ارجوك .. دعني اتقصّ بطريقتي عما حصل ودون ان اثير الشبهات لانريد توريط سعد وجودا .. مؤكد الشرطة ستدخل.. "

غاب رافد لدقائق بينما ياسر يحدق بسيارة الاسعاف الغاربة وقبضتاه تتشنجان ..

عاد رافد متجهم الوجه وهو يهمس لياسر

" دعنا نغادر المكان حالا .. ذاك الحقير تعرض لحادث بشع يليق به لكن أخشى ان يورط سعد بالموضوع .."

ظل ياسر متخشبا بمكانه وروحه تنعصر عصرا ..

متى سينتهي كل هذا ؟!

متى ستنتهي تلك اللعنة التي تلاحقه ؟

متى سينقذ اخته حقا ؟!

جره رافد جرا ليتحرك وهو يقول له بتشدد

" قلت لك هيا ياسر .. قد يتعرف على وجهي احدهم ويبلغ الشرطة .."



" صباح الخير ابي .."

همهمة لطيفة هي كل ما حصلت عليه غالية من والدها بينما تجلس في مقعدها الامامي جواره بعد ان وضعت لولو في مقعد الاطفال خاصتها في الخلف ...

قاد والدها سيارته بهدوء مألوف منه ومحبب في الواقع خاصة في هذه الفترة التي تستشعر فيها غالية حاجتها للتأني .. للتفحص في كل صغيرة وكبيرة مرت وتمر في حياتها ..

قال والدها فجأة

" تبدين بخير ..."

تعليق مقتضب ... حسن لابأس ..

افضل من لاشيء ..

فترد عليه غالية بابتسامة

" الحمد لله ..."

ليرد والدها بنفس الاقتضاب

" رافد رجل شهم .. "

لمفاجأتها لم تشعر بالضيق المتوقع وهي تفهم اشارة والدها لصفة الشهامة التي اسبغها على رافد ...

انه يقصد ان رافد شهم لانه رضي ان يتزوجها..

ضحكة داخلية ترددت بصدى باهت داخلها ..

انها لم تعد تهتم حقا كيف ينظر والداها وحتى اختها ناهد لارتباطها برافد ...



انها لم تعد تهتم كيف ينظر الاخرون لها ولهذا الارتباط الجدلي ...

استهلاك المشاعر والتفكير في اتمام النواقص التي يراها الاخرون فينا لن يؤدي الا الى الاحباط ومؤكد سيقودنا مباشرة الى طريق التعاسة ...

وهي قررت انها لن تكون تعيسة بعد اليوم ..

وصلا اخيرا لبيت عائلتها وبينما تفتح غالية حزام الكرسي لصغيرتها لاحظت وجود سيارة غريبة متوقفة مقابل البيت فسألت والدها بعفوية

" لمن هذه السيارة ؟ للجيران ؟"

فرد والدها " لا .. انها لمنذر .."

تجمدت غالية وهي تدير رأسها لوالدها وتقول

" منذر ؟! ماذا يفعل منذر هنا ؟"

فاقترب والدها منها بخطوات متعجلة ليقول بصوت خافت

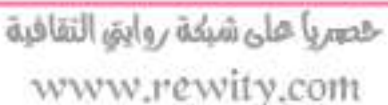
" اخفضي صوتك غالية انه في الداخل وقد يسمعنا .. لقد دعته اختك لتناول الغداء معنا .. ليس هو فقط وانما جيراننا.. بيت عائلة ام غيداء .."

حملت غالية ابنتها على كتفها وهي تهمس بعبوس

" ولم كل هذا ؟! ظننت انه مجرد غداء عائلي خاص بنا وحدنا "







فيرد الاب بنظرة توحي بالسرية

" ما فهمته ان منذر يريد الزواج وامك اقترحت على ناهد ان تدعوه ليلتقي بغيداء بشكل عفوي على الغداء عندنا "

ابتسامة باهتة وهي تهز رأسها بلامبالاة ثم التفتت لصغيرتها فتتغير ابتسامتها وتشع ... قالت لها بدعابة وهي تدغدغ بطنها

" متى سيأتي الخطاب على بابك يتوسلون الرضا منك يا حلوة ؟ "

فتضحك لولو بابتهاج كعادتها لتشرح صدر امها ...

اللامبالاة التي اعتمدتها غالية لم تنفع كثيرا مع تصرفات ناهد المغيظة ..

فتارة تؤنب لولو على شقاوتها رغم ان شقاوة توأمها اضعاف وتارة تؤنب (أم لولو) لانها تهمل تنظيف ابنتها وتتركها تلعب بالقاذورات حتى اصبحت جبيرتها البيضاء بلون رمادي مخضر قبيح ..

فترد لها غالية بمرح بارد انها لاتحب تقييد صغيرتها ولتتركها تلعب بما تشاء ما دامت سعيدة ولاتؤذي نفسها ..

فتكتفي ناهد بأن تبرم شفتيها امتعاضا لتلحقها امهما بنفس الحركة بشفتيها !



كل هذا وهي تتجاهل تماما وجود منذر الذي لم يغفل عنها لحظة واحدة !

وكلما تلاقت نظراتهما عفويا يكتفي بمنحها نظرة خاصة مبهمة يتبعها بابتسامة كانت تستفزها يوم ما ..

الآن لم تعد تستفزها ..

فقط تثير فضولها ..

ابتدأت وجبة الغداء حالما حضر اهل العروس المرتقبة (غيداء) والذين ابدوا اسفا مبالغا فيه للتأخر !

حركة مكشوفة استجلبت لفم غالية ابتسامة شقية لتتذكر كيف كانت هي ورافد يتبادلان النكت الطريفة حول تصنعات العوائل خلال مفاتحات الخطبة لبناتهن ..

ابتسامتها علقت على شفتيها ولم تدرك ان عينيها توهجتا وهي شاردة بحلاوة الماضي دون ان تتنبه لعيني منذر اللتين تركزتا عليها باعجاب صريح ...

احدثت لولو بعض الفوضى وهي تجلسها في حجرها وتطعمها وبينما الاخرون تقبلوا فوضى الصغيرة واخذوها كمزحة على تصرفات الاطفال هتفت ناهد بحنق مبالغ فيه

" لماذا لم تحضري نورية معك ؟! الا يدفع لها رافد لاجل الاعتناء بلولو ؟ ام انه احضرها حتى لايتعب خالتي اقبال فقط "



ساد بعض الصمت الحرج قابلته غالية بهدوء ظاهري مبتسم بارد بينما في داخلها كانت ترتعش من شدة الغضب ..

قالت غالية وهي تحدق في عيني اختها الكبرى (الغيورتين)

" احضرنا نورية لرعاية خالتك اقبال المريضة بالقلب وانما اعتناؤها بلولو لساعتين عندما اذهب لعملي مجرد عمل اضافي لها .. بالمناسبة أنظري عبر الشباك للحديقة .. ارى التوأم يتقاذفان بكرات القاذورات من الطين واوراق الشجر "

شهقت ناهد واحمر وجهها وهي تقف على قدميها بارتباك وحنق لتتحرك مهرولة مغادرة مائدة الطعام نحو الحديقة وكالعادة امهما ...تتبعها !

أحنت غالية رأسها تخفي ابتسامة متشفية بينما اخذ والدها يكلم والد العروس غيداء واما العروس الصغيرة التي لم تتجاوز العشرين فتكاد تغرق في حجر امها من شدة الخجل المفتعل ...

منذر يستمع لكلمات اخيه حازم حول امور عامة لكن ما زالت عيناه تستمتعان النظر لغالية ...







بتلك الروح المتغيرة التي تفيض باشعاعاتها الجذابة ..

ينظر لصغيرتها في حجرها فيتقاتل في داخله كبرياؤه وغيرته ...

فالكبرياء يقول له .. دعها .. دعها تمضي من افكارك ..

والغيرة .. تصرخ فيه تؤجج نيرانه ...

لولو كان يفترض ان تكون ابنته هو ..

رفعت غالية عينيها لتتلاقيا بعينيه فتطن اذناه وينسى كل من حوله وهو يحدق بتلك العينين المتوهجتين بألوان عجز عن معرفة سرها ومكمنها ...

اخفض نظراته وشراسة غيرة اخرى تنهش بمخالبها فيه ..

لايكف عن التساؤل الغبي

هل ستظل على ذمة رافد ؟

هل يحبها رافد ؟ ام يسندها كعادته ؟

يا الهي .. وماذا ان كان يسندها ؟

وماذا ان افترقت عن رافد حتى ؟

ماذا يريد هو من غالية ؟

لماذا يتشبث بطيف انها له !

تقبضت يد منذر اسفل المائدة وها هو عاد لدوامة لايفهمها ...



منذ سنوات ولايعرف سببا منطقيا يبرر له كل هذا التأثر برفض غاليۃ له عندما ارادها زوجۃ..

لايعرف هل هو الكبرياء ما يوجعه بطريقۃ طفوليۃ عنيدة ام ان القلب الذي يتوجع بداء لادواء له ...!؟

يضمها لصدره .. يضمها بين جنبات روحه ارتعاشها الذي لم يتوقف رغم مرور اكثر من ساعۃ على وصولهما للبيت..

اراد اخذها لبيته هو .. يأخذها ولن يعيدها لاحد .. انها زوجته ولايريد مفارقتها ابدا ..

لكن لم يستطع فعلها ..

لم يستطع اخذها لبيته كما يرغب بشدة ..

لن يحتمل تساؤلات امه ..

اختض جسدها فمال بفمه لاذنها

" شششششششش اهدأي حبيبتي .. اهدأي.."

تهمس باضطراب موجع وهي في حالۃ ما بين صحو ومنام .. حالۃ اقرب للهذيان

" لاتتركني .. السكين ما زالت في يدي .. لكن لاتتركني .. انا لم استطع .. غرزها في صدره .. آآآه سعد .. سعد .. القبح .. العالم لايكشف قبحه .. سعد .. انا .. لن اخرج من البيت ... سعد .. انهم .. قذرون .. انا لااريد الخروج ..."

يشدد من احتضانها ويهمس لها بحرارة قلبه المتيم بها ووجع روحه انه لم يستطع منع الاذى عنها

" نحن معا .. سأعلمك كيف تخرجين بثقة صغيرتي .. سأعلمك كيف تغرزين السكين في قلب القذراة .. سأعلمك ان تري الجمال في روحك قبل ان تريها فيما حولك .. احبك جودا .. احبك ... واحب روحك وبراءتك وصبرك على كل المآسي التي لم تلوثك "

اخذت تبكي وهي نائمة على صدره .. بصوت خافت .. خافت جدا بينما يداها تتشبثان به تشبث الغريق...

انسحبت فائزة من وقفتها عند باب غرفة جودا.. لم يشعر بوجودها سعد وهو غارق في طمأنة تلك الطفلة المسكينة ...

نزلت السلم ووجهها تغسله الدموع ..

تكاد لاتتصور ما عانته اليوم تلك الفتاة المظلومة..

كل ما قاله لها سعد انها تعرضت لصدمة قوية وستكون بخير قبل ان يحملها لغرفتها ويختلي بها هناك ..

عند نهاية السلم وقفت فائزة تنقل نظراتها بين جدران البيت الصامت ..

تحدق باركانه وكأنها تبحث عما يواسيها !



انها تقف هنا وكأنها تقف على عمر بأكمله

قضته تصلح ما افسده الاخرون في حياتهم ويا

ليتها اصلحت !

لم يستطع رافد البقاء اكثر في المطعم بعد

هذا اليوم الطويل المنهك للقوى ..

ياسر انغلق على نفسه تماما وبدت خطوط

وجهه شديدة القساوة ..

لكنها صلابة ظاهرية .. انه يعرفه ..

يعرف كل الغضب والعجز اللذين يضعفانه..

لقد رفض حتى الذهاب لرؤية جودا متعللا ان

سعد وعمته فائزة معها ...!

زفر رافد بقوة وهو يمسح على وجهه ويتمتم

" اعانك الله يا ياسر .. اشعر بك وعاجز انا

الآخر عن مساعدتك "

قاد رافد سيارته بلا هدف عبر شوارع

المدينة.. ومضت ما يقارب الساعة وهو بهذا

الترحال العشوائي ..

حدق في ساعة سيارته فابتسم فجأة ليلتف

بحركة مفاجأة ويتخذ طريقا معاكسا بينما

يقول بمرح صبياني

" ربما اكتفت غاليتي من هذر عائلتها

المبجلة وتحتاج مني لانقاذ سريع .."





" والدي ارجوك لااستطيع التأخر أكثر .. ما زال علي اعادة لولو للبيت "

فيرد الوالد على همس ابنته في اذنه بهمس مشابه " لااستطيع ترك الضيوف الآن .."

حنقت غالية وهي تبتعد عنه مغادرة غرفة الضيوف لتخرج من البيت كله حاملة لولو على كتفها ...

باحباط اخذت تتطلع للاطفال وهم يلعبون في الحديقة فاطلقت لولو لتلعب معهم وهي تقف قريبة تراقبهم بحنان ..

اخذ التوأم يناديان

" خالتي .. خالتي .. تعالي والعبي معنا .."

فابتسمت غالية بشقاوة وخلعت حذائها الانيق ثم دخلت الحديقة حيث ملعبهم لتشاركهم اللعب بحيوية وفستانها يهفهف من حولها ...

كانت تضحك ووجنتاها متوردتان بينما تغادر الحديقة مهزومة من قبل التوأم الشقي ..

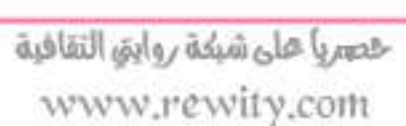
وبينما تغسل قدميها تحت ماء حنفية الحديقة سمعت صوتا متسليا يقول

" الحمد لله لم تتنبه لك ناهد !"

تضاءلت ابتسامة غالية بينما تغلق الحنفية لترفع نظراتها لمنذر وهي تسأله بهدوء ظاهري يفيض بالتحدي

" وانت كيف تنبهت !؟"





فيرد بابتسامة جانبية ساخرة

" هل تظنين اني لحقت بك مثلا ؟ مضطر ان اصحح لك واقول .. كل ما في الامر ذهبت للمطبخ حتى اشرب بعض الماء فرأيتك من الشباك "

ثم يميل بشكل مفاجئ وهو يحرك حاجبيه صعودا ونزولا ليهمس بصوت أجش

" اعترف اني اصريت على الذهاب بنفسي هربا من المسرحية الطفولية التي تسمى (محاولة ربط رأسين بالحلال) "

رغما عنها ابتسمت غالية لترد عليه ببساطة

" وما يجبرك على المشاركة بهذه المسرحية ؟ كنت تستطيع رفض الموضوع من بدايته لو كنت لاتتقبله .."

تلتمع عيناه بشدة وهما تتسلطان على وجهها ..

استعدل في وقفته وهو ما زال يحدق فيها ليقول بنبرة غريبة

" حضرت لان كان لدي ... الفضول ..."

لم تفهم اشارته للفضول لكنها تجزم انها لاتخص (العروس) ..

شعرت بالتململ من نظراته وانتابها احساس ببعض الضيق لكنها صممت على دحره ..



فقالت ببرود وهي تنحني لتلتقط حذائها

" عذرا .. علي ان استعد واغتسل لاذهب لعملي.."

فابتسم ابتسامة عريضة وهو يقول

" رأيت والدك يتملص من توصيلك .. ما رأيك اوصلك انا لاضرب عصفورين بحجر واحد .. اتخلص من الجلسة المملة في الداخل واقابل المحامي الذي تعملين عنده .."

ركن رافد سيارته جانبا امام بيت خالته انعام.. ثم تحرك متلهفا ناحية باب المرآب ..

لكن وعند ذاك الباب لهفه ذبلت وهو يرى غالية بصحبة المغفل منذر ...

كانت حافية القدمين و تنحني لالتقاط حذائها بيدها وهي تعتذر بلباقة لتذهب وتغتسل ليفور دم رافد وهو يرى الابتسامة العريضة على وجه منذر وهو يعرض عليها ايصالها !!

لاشعوريا ضرب بكفه على باب الحديدي فاصدر صوتا عاليا اجفل الاثنين بسببه ..

عيناه للحظة تلكأتا على غالية التي توردت وهي تهمس باسمه في دهشة ثم حادت عيناه لتحطا بشراسة على ذلك المغرور ...



الغيرة تمكنت منه ولم يشعر الا وهو يسحب غالية من ساعدها نحوه واذناه تطنان فلم تسمعا صوت شهقتها الناعمة بينما يقول لمنذر من بين اسنانه

" هل من حدود اللياقة ان تعرض ايصال زوجتي ووالدها موجود والاهم .. انا موجود في حال تعذر على والدها ؟"

بنظرات هادئة تطلع اليه منذر وهو يقول ببساطة

" انت لم تكن موجودا الآن ووالدها مشغول بضيوفه .. فلا ارى حرجا من ايصالها بنفسي .."

توثب جسد رافد وكأنه يوشك على مهاجمته عندما لامست غالية ساعده بيدها الاخرى وهي تقول بهمس

" هيا بنا رافد .. لقد تأخرت عن عملي .."

التفت اليها يتطلع لعينيها ثم شفتيها ليقول بصوت مبحوح

" كان يجدر بي الحضور معك اليوم .."

فتحت فمها لترد عندما فاجأهما صوت منذر الذي بدى متوترا رغم لمحة السخرية

" لم يحصل لها شيء صدقني .. انها تجيد الدفاع عن نفسها .."



تحركت عينا رافد نحو منذر ليمنحه ابتسامة شرسة تفيض تهديدا قبل ان يهمس بتكشيرة

" احذر منذر .. انا لااريد اثارة فزع الاطفال الذين يلعبون "

قال منذر وكأنه يدفعه للتحدي

" ماذا ؟ ستضربني لاني قلت رأيي بغالية ام .. لانك رأيتني اكلمها ؟ "

فاقترب رافد بجسده منه وكأنه يستجيب لذلك التحدي وهو يقول له باستفزاز

" لايّ من السببين يا منذر لن تكون المرة الاولى التي اضربك فيها .."

شعّت عينا منذر بالغضب بينما رافد تتقبض يده ويوشك ان يبادر للكمه ..

على الاقل يفرغ فيه شحنات التوتر التي اصابته خلال هذا اليوم البائس ...

رفع قبضته عندما سارعت غالية لاحاطة تلك القبضة بكفها الناعم لتقول له بنبرة تجيد استخدامها منذ صغرها لتصل الى ما تريده منه

" رافد ارجوك ... خذ لولو للسيارة وسأحضر حقيبتي وألحق بك .."

تبا تبا .. وهي تنطق هكذا وترتعش ابتسامتها وتثبت نظراتها برجاء في عينيه فأنه ببساطة يلقي كل اسلحته ارضا حتى لو كان موته فيها ...

راقبهما منذر بكثافة ويكاد لايصدق !

رافد مغرم بـ....غالية !

الآن .. كل القطع تكاملت لتعطي الصورة
التي تاهت ملامحها من ادراك عقله ..

استعاد في ثوان ذكرى تلك الليلة قبل
خمس سنوات ...

غالية في العشرين وهو يعرض عليها الزواج
دون ان يعرف بتلك الخطبة السخيفة التي
تجمعها بابن خالتها راغب مذ كانا بعمر
المراهقة..

يعترف صدم من رفضها القاطع وقد كان يظن
انه رجل لايرفض !

يعترف ان غضبه تضاعف عندما اخبرته
بخطبتها لذلك الباهت راغب ..

تفضل التافه راغب عليه ؟!

فقد رباطة جأشه واندفع بغباء يخبرها انها
ستندم اذا تزوجت راغب ثم تركها ومضى بعد
جدال حاد بينهما ..

ولم تمر عشر دقائق حتى لقي رافد في
طريقه... متحفزا غاضبا بشكل مجنون ..

وقبل ان ينطق بحرف كان رافد يباغته
بلكمة اوقعته مذهولا للارض !

ثم قال بشراسة غير مبررة

" اياك والاقتراب من غالية .."



لايزال يذكر وجه رافد ...

مليئا بالغضب .. بالشراسة (كما الآن) ..

ملئيا ... بالـ .. غيرة والعذاب !

يا الهي .. لطالما تساءل لماذا رافد من تصدى له تلك الليلة وليس راغب ؟

لطالما تساءل عن سر هذه الحماية المفرطة من رافد تحديدا نحو غالية ..

الآن فهم وأدرك ...

الآن .. علم جواب تساؤلاته عن مدى ديمومة الزواج بين غالية ورافد ..

رافد .. لن يتنازل عنها مهما حصل ..

انسحب منذر ليلقي نظرة اخيرة عليهم فيرى الصغيرة لولو تركض نحو عمها وتصرخ

" دادا .."

فتستقبلها ذراعا رافد وكأنها روحه تعود اليه.. بينما غالية تراقب الاثنين معا بانبهار طفلة !

نامت لولو في كرسيها الخلفي في سيارة رافد ورأسها محني للجانب بوضع غير مريح .. تحركت غالية بجسدها لتمده للخلف وتعدل من وضعية رأس الصغيرة لكن لافائدة لانها تعاود احناءه بنفس الوضعية ...



تنهدت غالية وهي تعود بحذر لمقعده وفيما هي تفعل اقترب رافد بوجهه منها حتى لامس نحرها بأنفه ..

ارتبكت وهي تنظر لعينيه اللتين تلمعان بالشقاوة الدافئة ليهمس بصوت مبحوح

" رائحتك كرائحة الاطفال الذين يقضون النهار باللعب في الشارع .."

تضرجت وجنتاها بالحمرة وهي توبخه بالقول

" كف عن هذا .."

ثم قالت باحباط وهي تحدق بساعة يدها

" علي ان اخذ حماما سريعا وسأتأخر لامحالة "

بدى صوته شديد التحشرج وهو يقول بجرأة

" استطيع ان اساعدك ... فقط ... اطلبي .."

ادارت وجهها بعيدا عنه وهي تهمس بخجل فظيع

" رافد لاتمزح هكذا ..."

فتشعر بيده تقبض على كفها باصرار وهو يقول بانفاس متسارعة

" انا لاامزح ..لكنني مؤكد كاذب .."

التفتت اليه تسأله بجهل عن مقصده

" كاذب ؟!"

عضت شفتها السفلى وهي ترى احتدام العواطف في عينيه ليرفع كفها لفمه يلثم باطنها في وله فترتعش كلها رغم ذاك الانكماش الغريزي للمسة رجل لم تعتدها بعد ..

فيقول بحرارة

" كاذب لاني مؤكد لن اساعدك لتصلي سريعا لعملك بل سأحتجزك في ذاك الحمام الى الابد .."

الحرارة تشع من كل مكان من جسدها ..

من وجهها .. اذنيها .. رقبتها .. ومن كل خلية مقشعرة من جلدها ...

تحاول سحب يدها بوهن وهو لا يفلتها ..

عيناه على الطريق امامه ويواصل لثم باطن كفها بين فينة واخرى ..

ومع كل لثمة من شفتيه كانت تعقبها تنهيدة منه أشد تاثيرا ...

استسلمت غالية لتعاود ادارة وجهها جانبا ..

لايمكنها خداع نفسها انها لاتتأثر ..

كما لايمكنها خداعه ..

وهذا الاسوأ ..

لاتستطيع اخفاء تنامي تلك البذور التي زرعها فيها .. بذور يسقيها هو بصبر بينما تتعلم هي تقبل وجودها ..

بل تتعلم ان تحبها وتتفاعل معها ...



اغمضت عينيها بقوة وهي تستعيد كلمات فريدة (دعيه يحبك .. دعيه يريك معنى الحب .. دعي نفسك تنجرف لقصة حب حقيقية ..عيشيها غالية وانفتحي للحياة)

ابتلعت ريقها وهي تشعر بلثمته عند معصمها حيث نبضها الخافق ليسألها رافد فجأة وبنبرة فاضت بالغيرة

" ماذا قصد منذر بالقول ان يقابل المحامي ؟"

فردت عليه وهي ترمقه بطارف عينها

" عندما تخبرني ماذا قصدت بالقول انها لن تكون المرة الاولى التي تضربه بها .."

فاجأها وهو يقول ببساطة

" لكمته على وجهه ليلة طلبك للزواج قبل خمس سنوات ... سمعتك تخبرين راغب بالامر فلم احتمل وذهبت اليه لاخبره ان يبتعد عنك .."

حدقت فيه مباشرة هذه المرة وهي ترى على وجهه تعابير عذاب بينما يضيف بصوت أجش

" ضربت فيه راغب وكل رجل يريد اخذك مني ..."

اخذ قلبها يخفق بقوة وتنظر اليه بانشداه كامل وهي تتذكر ردة فعل راغب الساخرة عندما اخبرته ! لقد ظنها تحاول اثارة غيرته فابتدعت كذبة !





تنظر في عمق عيني رافد وتكاد لاتصدق

كيف عاشت اكذوبة كبرى طوال حياتها..

تبدلت ملامح رافد في لحظة ليسأل بمرح مصطنع

" الآن جاء دورك فاخبريني .. ماذا قصد عن موضوع المحامي .."

بتعثر وهي ما زالت متأثرة بما قاله سابقا

اخبرته عن مجيئ منذر السابق للمكتب حيث تعمل ...

صمت رافد للحظات قبل ان يقول شاتما

" تبا له من طامع .. كان يجب ان ألكمه مرة اخرى .."

حاولت غالية تهدأته بالقول المرتبك

" حقا ..لم يفعل ...شيئا يا رافد "

فنظر اليها نظرة جانبية ذات معنى قبل ان يقول

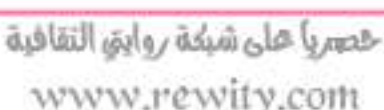
" لانه عاجز عن فعل شيء وليس لانه... لايرغب .."

مساء ...

على سرير ابيض مغمض العينين يتمدد بينما مخدر الالم يتمدد في انحاء جسده ...

فيسكنه ويجلو تركيز عقله مع المحقق الذي يصر على تتمة التحقيق ..





جاء صوت المحقق باردا عمليا وهو يسأل بثبات
" من فعل بك هذا ؟ "

فعل ؟! من فعل ؟!

اوشك ان يغرق بالضحك !

كيف يمكن تحديد ما حصل بكلمة من ثلاث حروف تعطي معنى شاملا (فعل) ...

قلبه اختض رغما عنه في صدره فقتل رغبة الضحك الساخر فيه ليستعيد لحظة انهياره على الارض بعد ان أتم عبد الهادي (فعلته) ثم الصوت الخشن للشيخ قرب اذنه مهددا بالقول الذي لاشك في جديته

(" لن تذكرنا ولن تذكر الرجل الذي اوشك ان يجزّ رقبتك انتقاما لشرفه .. فوالله ثم والله .. اذكر حرفا عنا وانا بيدي من سيجز عنقك ... ")

ارتعد طارق فسمع صوت المحقق يسأل ببعض الاهتمام

" هل انت بخير ؟"

وبدلا من ان يرد على سؤال المحقق الثاني اختار ان يرد على الاول ...

" انا فعلت هذا بنفسي .."

ليتساءل المحقق بتشكك صريح

" هل تقصد ان كل ما حصل في شقتك اليوم من حالات عنف متكرر وضرب متبادل .. لا علاقة له بوضعك الحالي ؟"



رد طارق بنبرة قاطعة " نعم لاعلاقة .. كانت مجرد مشاجرات عائلية خاصة .. انا من بيئة ريفية والرجال عندنا .. شديدي المراس .. خشني الطباع .. لكنه امر عائلي لاعلاقة للشرطة فيه .. انا لن اشتكي على احد ولااعتقد ان هناك شكوى ضدي .."

ساد الصمت للحظات قبل ان يسأل المحقق بهدوء " استكمالا للتحقيق في واقعة دخولك للمستشفى بعد ان اتصلت بنفسك بالاسعاف ... ما سبب ما ... فعلته ؟"

ما زال يغمض عينيه فيغرق في السواد الذي يألفه .. سواد يلف روحه من سنوات ..

سنوات طوال ....

قال بنبرة جليدية تضمر حقدا اعمى وغضبا لايعرف صراخا كمتنفس له ...

" انا ... عقيم بسبب ... عيب خلقي .. لدي مشاكل مع زوجتي لهذا السبب وقد تركت لها البيت منذ ايام ... كنت يائسا محبطا ..."

اخيرا سجلت رسميا اعترافاته !

اعترافاته بما كان يلقيه كتهمة على كاهل زوجته وابنة عمه البليدة ...

لايزال يذكر ذلك اليوم...

بل كل يوم يذكر ذلك اليوم ...

كان في العشرين يراجع طبيبا لاجل طفح جلدي ظهر ما بين الفخذين ..



فكانت سببا لان يعرف باكرا جدا انه لن يكون رجلا ابدا لينجب !

وكلما تذكر ذلك اليوم تجدد حقد اسود في اعماقه .. ولايسكن ألألم الا رؤيته لعذراء بتول غرة يكون أول رجل في حياتها ...

يختمها به .. ويتلذذ بالتفكير بحسرة من سيأتي بعده ويكتشف انه الثاني ...

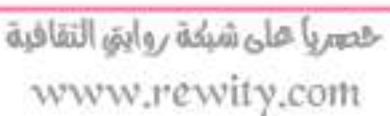
ان يقتل فرحتهم يجعله ينتشي وبنفس الوقت يجوع لمزيد من الانتشاء ...

سمع تمتمة المحقق لانهاء صيغة قانونية ليقفل المحضر ثم صدم طارق وهو يشعر بسيلان دمعة على خده حتى وصلت صيوان اذنه ..

عندها فقط لم يستطع الكتمان فانفجر بالضحك الهستيري الذي انتهى بنشيج باكٍ عنيف ...

في ظلمة المساء التي انتشرت وهدوء الحي السكني باضاءاته الهادئة المتناثرة يقفان معا قبالة باب البيت الخارجي على الرصيف، جسداهما متواجهان لكن الوجوه محنية للاسفل ...

يد ياسر متقبضة بتوتر شديد في جيبه بينما بدى سعد اكثر سيطرة على خلجاته ...





لقد هدأت بعض الشيء تلك الثورة المرعبة
التي اجتاحت كل مداخل عقله لتعيث
بانضباط النفس فسادا ...

سأل ياسر يحاول جاهدا ان يجد منفذا لما يريد
فعله الآن " هل... أكلت ؟"

رد سعد بنبرة هادئة " نعم .. اطعمتها القليل
مما احضرته العمة فائزة .. لكنها نامت وهي
تمضغ احدى اللقم .."

احساس لايوصف يسيطر على ياسر .. ليس
الغضب فقط وانما .. قلبه يحرقه كلما فكر
بها .. انه يحبها .. يحبها كما لم يتخيل انه
سيحب يوما اختا له .. انها معجونة بروحه
حتى بدأ يشعر انها ابنته هو لا ابنة ابيه ...

يا الهي .. كلما يفكر انه عاجز عن منحها
الامان والاستقرار يشب الحريق في قلبه ..

جاء صوت سعد أجشا وهو يقول

" اعلم ما تشعر به يا ياسر .. انه العجز والغضب
... اعلمه لاني اشعر به ايضا .. كما تشعره
العمة فائزة ... لكن .. اذهب اليها .. لاتجعلها
تظن انك غاضب منها هي .. عيناها لم تكفا
عن مراقبة باب الغرفة تنتظرك ان تأتي
لتراها .."

تصاعد الحريق واختنقت الكلمات بين شفتي
ياسر فأبت ان تخرج لتعلن عن نفسها ...وبدلا
منها اخذ يغمغم بـ(نعم) مبهمة شاردة ..





ما كل هذا العجز ؟!

تماسك قليلا وهو يدفع نفسه لتحمل مسؤولياته .. نعم ..جودا مسؤوليته هو وليس من العدل توريط سعد اكثر من هذا ..

لقد استنفده اخبار العمة فائزة بما حصل واستنفده ان يطمئنها انه سيجد الطريقة ليحمي جودا بشكل مختلف في المستقبل ...

والآن عليه ان يجد الطاقة ليكمل ما قرره ..

فتح فمه لينطق بما يجول في خاطره عندما سبقه سعد بالقول

" اريد اتمام زواجي من جودا الشهر المقبل "

عندها فقط رفع ياسر وجهه وقد رفع حاجبيه واتسعت عيناه قليلا من مفاجأة سعد ..

ما زال سعد مطرقا برأسه بينما يواصل كلامه بنبرة جادة تماما

" اريد ان اسعدها واعوضها لانها تستحق كل السعادة .. اتمنى ان توافق يا ياسر .. جودا بحاجة للاستقرار الحقيقي حتى تستطيع ان تكمل دراستها وتبني مستقبلها .. وانا اعاهدك لن اتوانى ابدا عن دعمها لتكون قوية و معتمدة على نفسها .."

لا زال ياسر يحدق فيه ولايعرف بم يجيب !

لكن فجأة انتابه احساس انه يريدها سعيدة حقا .. ما نفع الدراسة والتعلم والاعتماد على النفس ان كانت تعيسة هكذا ؟!

ربما سعد سيمنحها ما لم يستطع هو اخاها

منحه اياها ..

يؤلمه جدا هذا ..

لكن مصلحة جودا فوق اي اعتبار ...

قال ياسر اخيرا

" انا موافق .. الشهر المقبل ان شاء اللّه ..."

بعد ربع ساعة كان ياسر يقف على باب

غرفتها يحدق في جسدها المتكور على نفسه

خطواته تلكأت وهي تقترب منها ليشرف

عليها وهو يقف جوار السرير ..

شعرها الطويل الداكن مشعث حتى اغرق

وجهها وجسدها متشنج نوعا ما ...

يده ارتفعت في الهواء ثم ترددت وتلكأت

لكنها في النهاية اندفعت لتحقق مبتغاها

وغايتها بملامستها طلبا للشعور بالطمأنينة انها

بخير ...

حالما مسد رأسها تنهدت في نومها ..

فأغمض عينيه ثم سحب يده ببطء قبل ان

يلتفت ليجد عمته تقف عند الباب تحمل

فرشتها ووسادتها فاقترب ياسر هامسا لها

" انا سأنام جوارها الليلة .. "

عندها رآى عيني عمته تدمعان وهي تقول

باصرار شديد





" لا .. انا من سينام جوارها .. عندما أتتني مراهقة مشوشة خائفة مضطربة انا من كنت انام جوارها ... فلا تجعلني عديمة النفع لهذه الدرجة يا ياسر .."

اشفق عليها .. هي الاخرى تشعر بالعجز عن تقديم شيء ذو قيمة فعالة ..

اكتفى بهز رأسه وغادر تاركا الغرفة لعمته ..

لايعرف كيف انتهى به الحال في غرفته القديمة .. جالسا على حافة السرير ورسائل والديه منثورة في حجره ...

شعر بها تقف عند الباب حتى قبل ان تهمس باسمه ...

اغمض عينيه بينما يقول بخشونة

" اتركيني بمفردي الليلة يا سهر "

فترد عليه بصلابة

" لقد تركتك النهار بطوله الا يكفي ؟!"

تنهد بارهاق وهو يردد اسمها " سهر .."

لكنها لم تبالي لتقترب منه وتقف قريبا منه وهي تقول بنبرة عتب وحنق " الا يكفي اني لم اسأل ماذا حصل لجودا مع ذاك الاستاذ التعيس لاصدم بالمعرفة من غيرك ؟"

رفع وجهه اليها يسألها بعبوس

" من اخبرك ؟"





ردت وهي تتكتف

" وجدت العمة فائزة منهارة بالبكاء وحالما سألتها اخبرتني فهل تلومها ؟! "

تنهد محنيا رأسه وقد فقد كل رغبة لأي حوار ...

نزلت سهر بجسدها لتجلس القرفصاء امامه وترفع نظراتها لعينيه فتقول له بهمس عذب يفيض قوة رغم انثويته

" انا زوجتك وحبيبتك .. قل لي اين جرحك لاضمده كما ضمدت لي جرح ساقي صباح اليوم .."

ارتعشت عضلة في خده وهو يحدق في وجهها لتحرك سهر يدها وتلامس الرسائل التي يفترشها على حجره قائلة بتأن

" هل هذا جرحك ؟"

تصلبت ملامحه اكثر لكن الكلمات افلتت من بين شفتيه رغما عنه

" البداية فقط .."

غامت عينا سهر وهي تهمس له برقة

" كانا عاشقين .. رسائلهما تنفع ديوانا للخواطر عن الحب بين الزوجين "



كان يرتجف من شدة تضارب مشاعره الحبيسة ليهمس بخشونة من بين اسنانه

" يبدو انك قرأت الرسائل الاولى فقط .."

عقدت حاجبيها قليلا وهي تسأله باستغراب

" ماذا تقصد ؟ "

لم يرد فقط عيناه من تعبران عن عمق الجرح الذي يأبى كشفه لكنها لن تتراجع الليلة ..

انه يحتاج ان ينفجر .. ان يحكي ..

سألته بشجاعة " انت قرأتها كلها ؟!"

اغمض عينيه بقوة وقال بتوتر شديد

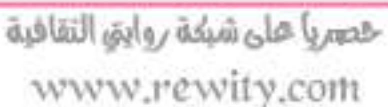
" نعم .. كلها ... كنت مراهقا واحتاج ان افهم سبب الخلل الرهيب الذي حصل في صورة مثالية لوالدي.. قضيت ليلة كاملة وانا اعيد قراءة الرسائل مرارا وتكرارا حتى حفظتها عن ظهر قلب ! "

فتح عينيه لتبرز منهما قساوة وتمرد وكأنه عاد ذاك المراهق ليضيف بتحشرج

" بعدها وضعت الرسائل في الدرج الاخير ولم اقرأها ابدا مرة اخرى .."

مدت سهر يدها لتلامس خده وهي تهمس باسمه فنفضها بعنف ليحدق فيها هادرا

" لقد خانها وتزوج بلحظة ضعف واحتياج .. لكن هي من لم تفهم احتياجه لها ..."





ازدادت قساوته وهو يكمل بنظرات تفيض عنفا " هي من دمر عائلتنا بسبب طمعها .. هي من تسببت بكل ذاك الخراب .. خراب امتد لطفلة بريئة كجودا لاذنب لها ... "

حاولت سهر ملامسة يده لتهدئه لكنه نفضها ايضا ثم حمل عشاوئيا حفنة من الرسائل ليهدر بانفاس لاهثة

" هنا يقول لها (لم اعد احتمل اريد العودة ؟) فترد عليه (اصبر حبيبي كله لمصلحتنا) "

فيرمي رسالة ليواصل هذره المنفعل

" وهنا يقول لها (تعالي انت ولو لبضعة ايام) فترد عليه (ياسر لديه امتحانات مهمة ولا استطيع تركه)"

ورسالة اخرى .. وصوته يرتفع اكثر ويزداد غلظة

" وهنا .. ابتدأت المشاكل ...هو يقول لها (لن أجدد البقاء لسنة اخرى.. انا تعبت) وهي ترد (لاتكن عديم المسؤولية .. راتبك مضاعف هل تريد اضاعة فرصة كهذه ؟!) "

واخرى تسقط ارضا ...

" وهنا ...يقول والدي (انت لاتشعرين بي .. انا اشعر بوحدة رهيبة ولن يعطوني اجازة لاشهر قادمة مقبلة) فترد عليه (اعدك الشهر المقبل سأجد حجزا مخفضا وآتيك في زيارة خاطفة)"







اتسعت عينا سهر في حالات ذهول متعاقبة ومتصاعدة .. ليس من فحوى الحوارات بين والديه وانما لان ياسر يحفظها !! يا الهي يحفظها تماما ...

اخذ كومة رسائل اخرى يلوح بها بعنف وهو يقول

" وهنا يا سهر فاض كيله وهو يقول لها (لقد قلت ستأتين لزيارتي وها قد مضى شهران وانت تماطلين) فترد (قلت لك لم استطع ترك ياسر كما ان الحجوزات المخفضة انتهت ويجب ان انتظر شهرا اخر)"

فجأة اخذ ياسر يضحك بقساوة وهو يقول ساخرا بمرارة

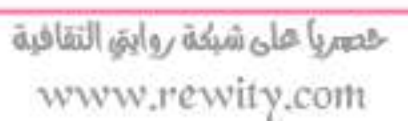
" مخفضة..؟ مخفضة ..! والنتيجة انه لم يستطع الصبر فخانها ... ثم .. ثم ..."

تعثرت الكلمات على فمه من شدة الانفعال والغضب لتقول سهر وهي تشد بكفيها على ساقيه " ثم ماذا ياسر ؟ "

رمى الرسائل دفعة واحدة لتتساقط على الارض وهو يرد عليها بجفاف " لاتحتاجين لذكاء مفرط حتى تفهمي ما حصل بعد ان اكتشفت امي الامر ... لم تكتفي بجعل ابي يدفع الثمن لكنها حملت جودا الجزء الاكبر من تبعات ذاك الثمن الباهظ "







جثت على ركبتيها فارتفع مستوى وجهها لوجهه قالت له وهي تنظر في عينيه

" انت تتألم لاجل جودا .."

ذابت القساوة وظلت المرارة ليقول بنبرة مكتومة بشعور الذنب

" لااحتمل رؤيتها هكذا ..لااحتمل معاناتها .. اشعر اني خذلتها .. لم اقدم لها شيئا .."

اخذ سهر تهز رأسها بانفعال صادق وهي تقول باستنكار لما يقوله ويشعره

" لايمكن انك لاترى حبها بل عشقها لك الذي يثير غيرتي انا شخصيا .."

نظر في عينيها ليرفع يده يمرر اصابعه بتوتر في خصلات شعره قائلا بخشونة

" انت لاتفهمين .. ما معنى الحب ان لم اقدم لها ما تحتاجه حقا ؟ ان لم احمِها من نفسها ولم اقوّم الاخطاء التي تراكمت "

عقدت حاجبيها الرفيعين لترفع كلتي يديها وتحاوط وجهه بين راحتيها وتقول بتوبيخ انثوي " لماذا تحمل نفسك ما يفوق طاقتك ؟ انها ليست غلطتك .. لاتكن ذكوريا هكذا وتظن نفسك البطل الخارق المسؤول على السلام في الارض "

للحظة ظل يحدق في عينيها واوشك حقا ان يبتسم لكنه اكتفى بالهمس " بل غلطة والديّ وانا ادفع الثمن مع جودا يا سهر .."

اخذت تهز رأسه بين كفيها وهي تقول له بتأنيب صريح " هناك فرق بين ان تدفع الثمن وبين ان تتدارك الخسائر .. دفع الثمن يأتي من موقف ضعف .. اما تدارك الخسائر فيأتي من القوة وروعة الشعور بالمسؤولية .. فهل ستخبرني الآن انك رجل ضعيف ؟ "

حدق فيها بصمت بينما تواصل حمائيتها نحوه لتقول " انت رجل رائع ياسر .. فكف عما تفعله بنفسك لاني لن اسمح لك ان تستمر هكذا.. "

ثم ادارت وجهها جانبا لتشير بحركة من رأسها للرسائل المتناثرة على الارض وتقول

" اترك هذه الرسائل .. دعها بما فيها لتاريخ اصحابها؟؟ بكل محاسنهم ومساوئهم .. وعش انت تاريخك الذي تصنعه بنفسك .. وما صنعته حتى الان يستحق كل الفخر .. يحق لك ان تكون فخورا شامخا بالكبرياء لكونك انت .. ياسر الذي اعشقه واحسد نفسي لاني انتميت اليه .."

ودون تردد اقتربت وطبعت قبلة على شفتيه لم يستجب لها فقط يحدق فيها وكأنه غير مصدق لما يحصل بينهما الآن ..

ابتسمت له ابتسامة حلوة مشرقة تفيض بالشقاوة لتقف على قدميها وتذهب ناحية الباب فاطبقته واغلقته بالمفتاح ثم عادت



اليه وابتسامتها تحمل معنى محددا لفراسته كرجل عاشق .. عاشق لها ..

سألها بهمس متحشرج " ماذا تفعلين ؟"

وقف امامه وخلعت عنها مبذلها الحريري ليظهر قميص نومها الرقيق بينما تمد يدها لتداعب فكه وتقول بصوت مبحوح

" اشتقت اليك ..."

اغمض عينيه ليتمتم وهو يقاوم ولا يعرف لم يقاوم

" سهر ... جرح .. ساقك .."

همست " انه بخير .. وانت موجود لتضمده مرة اخرى .."

هذه المرة همس اسمها بعاطفة هزمته وهو يلثم بارتعاش يدها التي تلامس فكه

" سهر...."

التصقت به تنحني نحوه وهي تهمس من قلبها تدلله بعشقها " سهر الوردية بين يديك يا داكن العينين.."

على سريره القديم بثها غرامه بشكل مختلف عن اي مرة سابقة ...

لم يكن خشنا .. لم يكن غاضبا ..

لم يكن عنيفا .. لم يكن مؤذيا ..

كان ذائبا متعشقا عاشقا متعطشا لعواطف اقوى واعمق من ان تقال ..



عند شروق الشمس

" دادا ..داداااا ... دادا.."

تنهدت غالية في نومها وصوت صغيرتها
الشقية بات يزعج نومها اللذيذ الدافئ ..

اجل .. دفء مميز يحيط بها ..

مسترخية وهي تنام على جانبها تحاول
الاستغراق بالنوم مرة اخرى عندما عاودت
الصغيرة شغبها المبكر

" دااااادااااااااااا..."

وكأنها تغيظها بمد الكلمة هكذا !

فتحت عينيها للنصف فقط تحدق في الشقية
التي تقف خلف قضبان سريرها الجديد ..

قدماها تدبكان بانفعال واثارة وقبضتاها
تضربان على حافة السرير باعتراض وهي
تغمض عينيها وتنادي باعلى صوتها

" داااااااادااااااا"

ما زالت غالية بنصف اغفاءة ولاتعرف لمن
كل هذا التلويح لليدين الصغيرتين
المشاغبتين كصاحبتهما !

زفرت اخيرا وهي تقول بعبوس

" كفى لولو .. صدعتِ رأسي انا و (دادا) مرتاح
في سريره غارق في النوم الآن ويشخر "



اجفلت وهي تشعر بحركة يد على خصرها

فشهقت وهي تنقلب على ظهرها لتجد رافد

جوارها يحدق فيها بعينين ناعستين وابتسامة

شقية فيقول لها بتوبيخ رقيق

" كاذبة .. انا لااشخر ابدا .."

بنبرة هلع همست

" ماذا تفعل هنا ؟!"

فيرد بهمس مبحوح

" لولو لاتعذبك انت فقط .. منذ الفجر وصوت

ضوضائها يخترق الابواب ليصل طبلة اذني ..

أتيت لآخذها حتى تنعمين انت بالنوم ... ويا

ليتني ما أتيت ! "

بدت متسعة العينين وهي تحدق فيه بقلب

خافق وعيناه تستقران على شفتيها تحديدا

ليكمل همسه الحار بالقول

" انت وصغيرتك عذاب غالية .. عذااااااب.."



الفصل السابع والعشرون

" انت وصغيرتك عذاب غالية .. عذاااااااب.."

مال نحوها وعيناه تحددان شفتيها كهدف فتحرك غالية رأسها جانبا وهي تقول بعبوس لاهث

" ألا تخجل ؟! ... لولو تنظر اليك ..."

عندها صرخت الصغيرة وكأنها تعلن عن نفسها ورغباتها التي لم تنفذ

" داااااااااااااااا.."

زفر رافد مبتئسا وهو يدير وجهه للمشاغبة الصغيرة خلف القضبان ليقول باحباط رقيق

" تنظر نحوي وهي غاضبة ! الشقية ستوقظ اهل الحي كلهم ليأتوا ويشهدوا معاناتي "

يداه تحركتا على خصرها فامسكتهما بحزم عابسة بشدة تدعي الحنق وهي تقول زاجرة اياه

" توقف .... غادر سريري حالا يا رافد .."

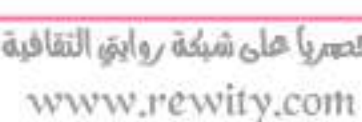
عيناه تلمعان بالشقاوة وهو يتطلع اليها ويقول بلؤم

" انه سريري انا ام انك نسيتِ ؟"

حاولت التحرك وهي تقول بنفس الحنق الذي تحتمي به لتواجه الموقف الذي يفلت منها

" اذن سأتركه لك .."







امسكها بقوة من خصرها يثبتها مكانها

هامسا بصوت مرح مبحوح

" لا .. انا كريم النفس واحب مشاركة

اغراضي .."

لم تشعر الا ويده على اعلى ساقها تلامس ما

كشفه سروال منامتها الحريرية القصير جدا

من بشرتها فشهقت وهي تهمس اسمه بإجفال

وصدمة " رافد ! "

تمتم بانفاس متسارعة وهو يميل لاذنها

" هل أجفل قلبك من لمستي ؟ ادخلي صدري

وألقي نظرة مشفقة على ما يحدث لقلبي من

هذه اللمسة .."

حاولت ان تبتعد عن ملامسته فلم تستطع

فتتسارع انفاسها هي الاخرى بينما لايرحمها

بطبع قبلات خفيفة على عنقها ويواصل

ملامسته المستفزة لانوثتها وهو يهمس

" من اين لك هذه المنامة ؟ "

ردت لاهثة وهي تحاول ابعاده من كتفيه

" اشتريتها .. بالامس .. ابتعد ..رافد ..كفى.."

لكن يده اصبحت اكثر جرأة فتأوهت

باضطراب شديد وهي تتوسله بهمس

" اوووووه ... توقف ...ارجوك .."

رفع وجهه فوق وجهها ليقول بعينين زرقاوين مشتعلتين

" ساقاك جميلتان .. اما .. ما فوق الركبتين فـ..."

سارعت لوضع يدها على فمه تكتم مزيدا من كلمات غزل لاتعرف حياء كانت توشك ان تخرج للعلن ...

عضت شفتها السفلى ووجهها يتخضب بحمرة قانية تحدق في عينيه بتضرع ويدها لاتفارق فمه ...

عيناه مسحورتان بالنظر اليها فيمسك تلك اليد الناعمة التي تمنع غزل شفتيه فيحركها ليداعب راحتها بخشونة لحيته النابتة

فتقشعر غالية وتذوب مقاومتها ضعفا وخجلا ليهمس رافد بصوت مبحوح وهو يلثم باطن يدها ويعاود تحريكها على لحيته

" اجل .. اشعري بملمسي .. انا رجلك غالية .. اشعري بي قليلا .. تلمسيني .. اقتربي .. تنفسيني كما اتنفسك انا .."

تأوه وهو يميل نحوها مشتعلا برغبة تقبيل شفتيها وبينما هي تختنق بالمشاعر التي أخذت تجيش في صدرها وقبل ان يصل رافد بغيته صرخت لولو بغضب طفولي متفاقم

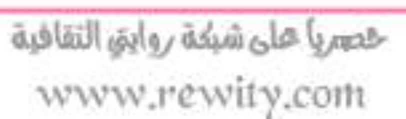
" دااااااداااااا .. دادا .. دادا ..دااادااا..."

تنهد والاحباط يفيض منه وهو يقول بغيظ

" الشقية الغاضبة المدللة اصبحت تلحنها ! "







تضحك غالية بتوتر العواطف المشحونة

وداخلها ينبض باحساس عجيب يأتيها على

دفعات صغيرة منمنة التأثير ..

كومضات نقط ضوئية سريعة متتالية اشبه

بالفراشات المضيئة تدغدغها وتربكها في

نفس الوقت ...

تنظر في عينيه اللتين تفيضان بعشق صاف

يجعل انفاسها تتعثر كتعثر نبض قلبها ..

هناك ما يحدث في داخلها وهي مشوشة

بذاك الارتباك المجنون لتمعن النظر وتفهم

ما يجري لها ..

الآن .. وهي شديدة القرب من رافد لهذه

الدرجة تشعر انها شبه عارية بروحها لا

بجسدها فحسب ..

تشعر انها تحتاج ان تتستر حتى تدرك تماما

ما تشعره معه و.... نحوه ...

يداه عادتا لسبر اجزاء من جسدها وهو يبتسم

لها بدفء وزرقة عينيه تبدو مغوية لتستجيب

انوثتها طواعية ..

اخافها هذا الاحساس .. بل ارعبها...

عقلها يستلم عشرات الاشارات من قلبها

كنداءات استغاثة عاجلة ...



لم تعرف بل لم تتصور ما هي الخطوة التالية من رافد وهما معا هكذا في سرير ضاق بهما فسارعت لاولى محاولة انقاذ خطرت في بالها حتى توقف ما يحدث فقالت بهمس متعجل مرتبك

" لولو ... تحب اسمك .. عليك ان تكون ... فخورا لانها .... اختصتك وحدك ... باسم لم تطلقه على... غيرك "

فجأة سكنت ملامح رافد على نحو غريب وتجمدت يداه على خصرها ! لقد بدى كالمصدوم وهو يتساءل بنبرة مبهمة

" لم تطلقه على غيري ؟!"

رمشت غالية وهي تستعيد هدوء انفاسها لترد على تساؤله بالقول الذي شابته الدهشة من ردة فعله " نعم ... انها لم تنادي احدا (دادا) من قبل ..."

عاد بذاكرته لاشهر مضت ..

كان يشرب الشاي وحده في المطبخ عندما انضم اليه راغب ..

لايعرف لم أخذ اخاه يحدثه بإسهاب عن الصغيرة لجين !

وفي وسط الكلام قال راغب انها تناديه (دادا) كناية عن (بابا) ...





يعترف رافد ان قلبه اوجعه قليلا بخيبة الامل!

لقد ظن ان الاسم خاص به هو وحده و كلام راغب جعله يحزن بعض الشيء وفكر بشجن ان الصغيرة لاتفرق كثيرا بينه وبين والدها نظرا للشبه بينهما ...

يا الهي .. اجل ..

انه لم يسمع لجين ولا مرة واحدة تنادي راغب بـ(دادا) ! ولكنه لم يركز بالموضوع اكثر وتركه راضيا بأي اسم يطلق عليه ..

لقد كذب عليه راغب !!

أ لهذه الدرجة كان يغار منه ؟!

أ يسرق منه حتى مجرد اسم صغير تطلقه الصغيرة لولو عليه ؟

" دادا .. دادا ..."

دون ان تفهم غالية السبب حقا رأته يبتعد عنها ليغادر السرير متوجها ناحية الصغيرة فيمد ذراعيه نحوها والصغيرة تقفز تكاد تطير نحوه ليلتقط رافد جسدها الصغير غامرا وجهه فيها وهو يهمس بنبرة تمس القلب

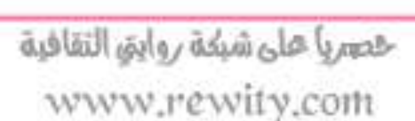
" صغيرتي .... طفلتي ..."

بعينين تملأهما الدهشة راقبت غالية كيف اخذ رافد صغيرتها ليغادر بها الغرفة وهو يغمغم بنبرة متحشرجة

" سألعب مع لولو في الخارج .. عودي للنوم غاليتي ..."







في بيت سعد ...

ما زالت بإزار الصلاة وهي تعاود فتح ستارة غرفة الضيوف لتطالع بتوتر ولدها في تلك الزاوية المخفية تحت السلم الخارجي التابع لشقة السيد مهيب ...

تنهدت منيرة ثم اخذت تعض شفتها غيظا وفضولا بينما تراه يضيف المزيد من الاقراص الدائرية للاثقال ثم يعاود الاستلقاء تحتها على الجهاز ويبدأ مجددا برفعها مرارا وتكرارا...

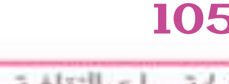
تمتمت منيرة وهي تشد بحافة ازارها شدا

" ما بك ؟! فقط لو تقول لي ماذا يقض مضجعك منذ ليلة الامس وجعلك تهجر سريرك منذ الفجر وحتى الآن لتجهد جسدك بهذه التمارين القاسية ؟! "

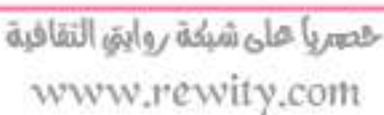
ثم اخذت تعض اصبعها هذه المرة وهي تقول بمزيد من الغيظ " اخخخخخخ يا ابن بطني .. متى ستريحني ؟"

رأته الآن وهو يترك الاثقال لتستقر مكانها على المسندين لكنه ظل مستلقيا على ظهره تحتها شاردا يحدق للاعلى بتعابير لاتفهمها...!

ماذا حدث له ؟! ماذا حصل بالامس ليعود مساء بحال عجيب ويرفض تناول العشاء او حتى الكلام معها مدعيا الارهاق وحاجته للنوم !!







حسن .. لم تعد منيرة بقادرة على التحمل اكثر .. ستخرج اليه وستجبره على اخبارها بما يحصل معه ..

وبهمة أم لاتعرف اليأس تحركت مغادرة غرفة الضيوف ومنها للممر المؤدي لباب البيت ..

العرق يتصبب منه وجسده يصرخ فيه ان يتوقف عن تعذيبه بالمزيد لكن حواسه لاتستجيب لآلآم الجسد المعترضة ..

انها فقط تستجيب لآلآم افكاره التي لا تتوقف عن الدوران حول جودا ..

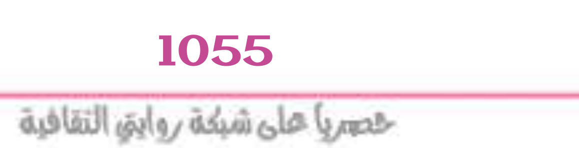
جودا وفقط جودا ..

منذ ليل البارحة وهو لايتوقف عن استعادة كل تفصيلة جمعته بها .. بل انه استعاد حتى تفاصيل ذاك الحلم البعيد ..

حلم كان البداية الاولى عندما تسللت اليه جودا بعينيها البلوريتين دون سابق دعوة او معرفة ..

ثم اللقاء الواقعي الاول عندما رآها مغمى عليها في مرآب السيارات العام بملابسها السوداء وهيئتها التي تصرخ بتشتتها الداخلي ..

ولقاء اخر واخر واخر ... وهي تتشبث به كطفلة ضالة وجدت فيه مرشدها في طريق لاتجيد قراءته ...



ومع كل لقاء تتساقط بلورية العينين مباشرة
في وسط قلبه كالقطرات الندية .. قطرة بعد
قطرة ... فتحتله دون ان تبذل مجهودا يذكر !

اغمض عينيه وانفاسه المنهكة من التدريب
تهدأ رويدا رويدا .. لكن قلبه لايهدأ ابدا ..

كل كلمة قالتها له مُنذ عرفها لاول مرة
محفورة في عمق رجولته ، كرسالة استنجاد
سرية خربشتها روحها البريئة غير الناضجة...

تقبضت يداه ومشاهد انتهاكها المتكرر
تنتهك صبره وحلمه ..

اولا قتيبة ثم ... ذاك الحقير ... طارق..

تشتعل فيه نيران غضب أهوج بلسعات تترك
في الروح مذاقا مرا علقما وحتى ما حصل
للحقير لاتطفئ تلك النيران ولاتقلل من مرارة
... الخيبة .. !

أجل .. الخيبة ...

الخيبة من تجعل الغضب عاجزا عن ايجاد
متنفسه ..

لايستطيع الا ان يحمّل جودا بعض المسؤولية
فيما حصل بالامس ..

فتح عينيه بقوة وهو يهمس لنفسه بتوتر
شديد " اهدأ سعد .. اهدأ .. ستجد الوقت
والطريقة لاصلاح العطب فيها .. العطب
بافكارها المتخبطة ومبادئها التي لا تعرف
ارضا ثابتة تقف عليها ... والاهم .. العطب
بطريقة رؤيتها للعالم من حولها ..."



شهقة قوية وخبطة على الصدر اجفلته ليحرك رأسه عفويا فيرتطم بالحامل الحديدي للاثقال !

تأوه متوجعا بينما يأتيه صوت امه مضحكا في هلعه " يا قلب امك ! أنت تكلم نفسك ؟!"

تنهد سعد وهو يدلك موضع الألم الخفيف في جبينه ثم تحرك ليستعدل بجلسته فيقعد مقابلا وجه امه الذي يبدي ارتعابا غير حقيقي تماما وهو يعرف انها وسيلتها لتضغط عليه وتعرف ما يسبب له الهم والغم ...

تمتم سعد بغموض مخفيا ابتسامته

" انها مجرد افكار امي انطلق بها لساني عن غير قصد .."

عقدت منيرة حاجبيها وهي تدعي الجدية الحانقة تسأله " اخبرني بني .. ما الذي يضايقك ويجعلك على غير طبيعتك ؟"

أرخى سعد اهدابه ثم وقف على قدميه لتعلو هامته رأس امه فينحني قليلا للجانب ويلتقط منشفة صغيرة على حافة جهاز رفع الاثقال وهو يقول بهدوء

" امي .. بدون ان تسأليني عن الاسباب اريد ان اقول لك امرا مهما .."

حدقت منيرة في ابنها الذي اخذ يجفف وجهه ورقبته لتقول بألحاح " لكني يجب ان اعرف الاسباب حتى احكم بشكل الصحيح واقدر العواقب معك وربما سوف.... "



قاطعها وهو يضع المنشفة على كتفه قائلا بنبرة قاطعة يثير فضولها اكثر " اذن لن اخبرك بما اوشكت ان افرحك به.."

فينتصر فضولها خاصة مع كلمة (الفرح) لتقول بلهفة

" لا لا .. لن اسأل .. فقط اخبرني بأي شيء "

تراخت ملامح سعد ليبتسم مفصحا

" لقد اتفقت مع ياسر ان يكون العرس الشهر المقبل .. "

اتسعت عينا منيرة وشهقت بانفعال وفي نفس اللحظة رفعت يدها لفمها لتتخذ وضع (الزغرودة) وقبل ان تنطلق الزغرودة من حنجرتها حذرها سعد وبجدية

" اياك ان تزغردي .. الناس نيام .."

لم تزغرد لكن الفرحة تزغرد في عينيها ..

أمال سعد رأسه ويرفع يده لمنشفته يتلاعب بها بشرود فبهتت فرحة منيرة قليلا وهي تسأله بقلق " لكن ... لماذا لاتبدو سعيدا ؟ هل حصل شيء ؟ هل تخاصمت مع جودا ؟ ام ربما ياسر ؟ او ربما حصلت مشكلة مع ... "

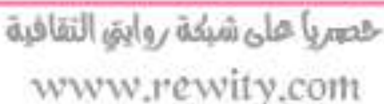
رفع عينين قويتيّ النظرات وهي يحذرها مذكرا اياها بوعدها

" امي ! لاتنسي وعدك.. لا اسئلة ... "

عبست منيرة وهي ترفع كفيها تشوح بهما وتقول بغير رضا

" حسن حسن .. لن اسأل .."





فتتحرك خطوة للخلف ثم تعاود ناحيته
لتميل برأسها نحوه وتهمس وكأنها تسرّه بأمر

" هل يمكنني ان اسأل جودا ؟"

شعّت عيناه رفضا وتحذيرا صامتا فعاد عبوس
منيرة وهي تهذر بتذمر

" لاتنظر الي هكذا كما كان يفعل والدك
عندما يغضب ! "

ثم تركته واستدارت وهي ما زالت تبدي
حنقها وتذمرها " انا اريد المصلحة ولا احد
يقدر مجهودي ونواياي .. ما هذا ؟ كل واحد
منكم يعتقد ان يعرف ويفهم .. انت وجدايل
اتعبتماني .. كل واحد منكما اخذ من عمري
حتى تزوج .. انت لاتجيد الا الصمت ورمقي

بنظرات مهددة مرعبة وجدايل كانت تذهب
مع ابن سليماني بحال و تعود الينا بحال.. ولا
نفهم منها شيئا !! "

فجأة توقفت خطوات منيرة وهي تضع اصابعها
على خدها وكأن فكرة طارئة وردت الى
عقلها للتو ... فتقول باستدراك متعجل

" جدايل .. اجل جدايل يجب ان اتصل بها
لتعينني على الاعداد للعرس .. كم الساعة
الان .. كانت السابعة الا ربعا عندما
خرجت.."

تعبس هذه المرة وهي تقول بلؤم

" حسن حتى وان كانا نائمين فليستيقظ اليوم
مبكرا ذو الشعر الهفهاف .."



يبتسم سعد وهو يحرك رأسه يمينا ويسارا ليهمس

" لافائدة منك يا منيرة .. ستظلين على حقدك الطفولي لأيهم سليماني حتى اخر العمر ..."

في بيت ياسر ..

ارتدى ملابس بيتية قطنية وما زال شعره رطبا من الحمام ...

وجهه مرتاح مستكين كدواخله ..

حالة لم يمر بها سابقا او ربما منذ سنوات طويلة حتى بات لايذكر ان مر بها يوما !

يمرر اصابعه في شعره الرطب ليعيد ترتيبه بينما يقترب بخطواته حافي القدمين من السرير المزدوج ...

عيناه الداكنتان برقتا باحساس غامر يفيض حيوية وهو يتطلع اليها نائمة على بطنها وجهها مغمور ما بين الوسادة وخصل شعرها القصيرة المتناثرة ..

أمال ياسر رأسه الى الجانب باستمتاع وهو يتطلع لكتفيها الناعمين العاريين الظاهرين من فوق حافة الغطاء ...





تنهد بجذل وهو يتساءل بذوبان عاطفي يعيشه

مع هذه الانثى الاستثنائية التي باتت ملكه ..

كيف استطاعت النفاذ لذلك الجزء المظلم

فيه ؟! كيف فعلتها هذه الفضولية التي

ادخلها هو لحياته فدأبت على تجربة فتح كل

الابواب المغلقة ضاربة بعرض الحائط بكل

تحذيراته وتهديداته ...

ابتسامة تسللت لشفتيه وهو يتذكر

مشاكستها قبيل الفجر عندما حملها بين

ذراعيه ليغادر بها غرفته القديمة متوجها

للغرفة المقابلة ..

لقد ظلت تضحك منه بخفوت وهي تلف

ذراعيها حول رقبته بدلال وتهمس في اذنه

بصوت مشاكس فتسخر منه انه يتصرف

كمراهق يخجل من عمته اذا اكتشفت انه

تشارك ليلة حميمية مع زوجته في غرفته

القديمة ..

وقد كانت محقة !

تلك الانثى الفطنة تقرأ جانبه العاطفي

بشفافية تبهره ...

انه مبهور .. حقا مبهور ...

مد يده يلامس باطراف اصابعه بشرة كتفها

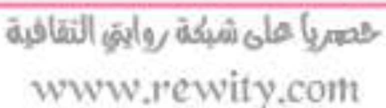
بخفة .. فيميل بفمه ويطبع قبلة اخف ...

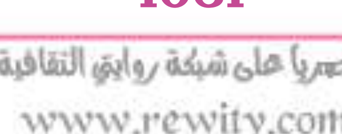
ورديته .. حبيبته سهر ... لايعرف ما فعلته معه

ليلة الامس لكنها منحته الكثير ..

بل أكثر من الكثير ..







ابتعد عنها ليتحرك نحو باب الغرفة ..

انه بحاجة أن يرى جودا ..

بل انه مشتاق لرؤيتها وكأنه لم يرها منذ أشهر!

حالما فتح الباب صدم للحظة وهو يرى جودا تقف امامه متكتفة الذراعين والعمة فائزة تسندها من كوعها ..

شعرها مشعث بطريقة مريعة بينما بدت عيناها وهي تحدق في وجه اخيها غائرتين مطفأتين وسط وجهها المرهق ..

ملامحها ذابلة وشفتاها ترتشعان وكأنها توشك على البكاء او الانهيار ..

خرج ياسر عبر الباب ثم اغلقه خلفه بينما تهمس العمة فائزة بخفوت

" صباح الخير بني .. اعذرني .. لم استطع اقناعها ان تنتظر اكثر حتى تأتي بنفسك لرؤيتها .."

تمتم ياسر وهو يقترب من اخته موجها الكلام لها وبصوت أجش

" كنت قادما اليك حالا .."

بحدس مؤكد كانت ذراعاه ترتفعان في نفس اللحظة التي مالت جودا بجسدها نحوه فتنهار على صدره بصمت ..

لف ذراعيه حولها بينما تقتله وهو يشعرها تتشمم رقبته بارتعاش ...



عيناه احرقتاه بدموع أبى ان يستسلم لها !

يا الهي ... كم يحبها ويحتاج لمنحها كما تحتاج هي لعطائه ...

ذراعاه اعتصرتا جسدها في حنان فياض أطلق له العنان ..

لم يكن لاجلها فقط ولكن لاجله هو ايضا ..

يحتاج ان يشعر انه قريب منها .. انه يبثها قوة تعينها ولو بالقليل ..

يحتاج ان تشعره انه لم يخذلها ..

انه لم يعجز عن حمايتها من الكلاب المسعورة الطامعة فيها بشراهة مقرفة ..

شهقات مكتومة تخرج منها وهي تهمس باختناق في صدره " انت غاضب .. غاضب مني .. لم تأتي ألي .. انتظرتك ولم تأتي .. سعد قال انك ستاتي لكنه كذب علي .. "

تقطع قلبه بل تفتت من شدة الألم ليهمس بخشونة وهو يميل لاذنها

" ايتها الطفلة الغبية .. احمدي اللّه أني عندما أتيت لاراك ليلا كنت نائمة والا كنت سأشبعك ضربا على مؤخرتك "

فجأة انهارت في بكاء شديد .. بكاء رهيب لايوصف .. كانت ثورة بكاء عارمة وهي تتشبث بجذع ياسر تشبثا وتشد بلوزته القطنية البيضاء ..



حاول ياسر ان يتحرك بها فأبت وهي تتشنج برفض غير مفهوم فما كان منه الا ان انحنى ليحملها بين ذراعيه ثم يتحرك بها مبتعدا ناحية غرفتها ..

عمته فائزة تبكي هي الاخرى وصوت باب يفتح ثم صوت سهر القلق الناعس المتسائل عما يجري ..

لكنه لم يأبه لشيء ...

جودا تحتاجه كما لم تحتجه يوما ..

وعلى سريرها كان ياسر يضمها اليه وهدير بكائها مستمر ...

اخذ يتمتم في اذنها بخشونة

" ابكي جودا .. ابكي قدر ما تشائين .. قطعي شعرك .. مزقي ملابسك .. او حتى افعلي كل هذا بي انا ان كان يريحك .. لكن اياك وشعور الهزيمة .. ليس بعد كل هذا ... انت لن تهزمي الان .. هل سمعتني جودا؟ استطيع ان اصرخ بها في كلتيّ اذنيك حتى تنشق طبلتهما وتصابي بالصمم .. "

لم ترد عليه بشيء .. كان مهزومة حقا ..

في داخلها تشعر بالانهزام و..... اليأس ..!

تربط سهر حزام مبذلها البيتي وعيناها لاتفارقان ياسر الذي يضم جودا اليه بخشونة تعرفها وتألفها منه بينما الفتاة تنشج وجسدها يختض بالبكاء ...







همست العمة فائزة بصوت شارد ممزق النبرات

" هذه المرة مختلفة .. هذه المرة لن ..."

قاطعتها سهر بهمس حازم وهي تعقد حاجبيها

" لاتتكلمي هكذا ارجوك عمتي .. خاصة امام ياسر .. مهما كان ما حدث في الماضي او الآن ستتجاوزه جودا .. سنكون معها جميعا لنتجاوزه .."

تطلعت فائزة بعينين دامعتين لسهر فتضيف سهر وهي تمسك ساعد العمة باصرار تعكسه كلماتها

" ياسر يحتاج ان ندعمه حتى يستطيع مواجهة اخطاء الماضي بايجابية دون ان يحمل نفسه ذنوب غيره .. ارجوك عمتي حاولي ان تتماسكي على الاقل امامه .."

اتسعت عينا العمة قليلا لتهمس بنظرات غير مصدقة

" هل اخبرك يا سهر ؟ هل باح لك بما يثقل كاهله من سنوات ؟! "

تركت سهر ذراع العمة فائزة لتحول نظراتها نحو ياسر فتراه كيف يشدد احتضان جسد اخته عندها ردت سهر بهدوء

" انه يحتاج لاكثر من البوح الآن .. يحتاح ان يشعر انه صحح تلك الاخطاء .. كبرياؤه العالي سيعذبه بالنقصان في رجولته ان لم يحقق هدفه ويرى جودا سعيدة وقوية .."



تمتمت العمة وهي تمسح عينيها

" نعم ... نعم ... يكفي ما حدث في الماضي ..

ياسر وجودا يستحقان الاستقرار وراحة البال

لانهما مقاتلان لايستسلمان للهزيمة .."

صمتت سهر ولم ترد بشيء بينما نظراتها

لاتفارق ياسر ...

بعد بضعة ايام.. صباحا

على سرير جودا كانت العمة فائزة تمشط لها

شعرها الطويل الاسود بعد ان ساعدتها لاخذ

حمام صباحي ...

لم تكن مساعدة حقا بقدر ما كانت تحفيز

لجودا لتفعل امرا ينشط خمولها الجسدي

المستمر منذ ايام ...

فجأة قالت جودا بنبرة غريبة شاردة كعينيها

" هل انت نادمة لانك تركتِ عملك

لاجلي؟"

عبست العمة فائزة قليلا وهي ترد بينما يدها

ما زالت مشغولة بتمشيط شعر جودا الرطب

" لكني لم اترك عملي ! انت تعرفين اني

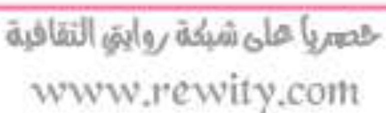
حرة في اختيار ساعات العمل خلال اليوم ..

الجمعية الخيرية لاتمانع .."









ردت جودا بنفس الشرود " لااقصد هذا العمل التطوعي .. بل قصدت عملك القديم في مركز البحث العلمي "

توقفت يد العمة فائزة وارتفع حاجباها عجبا بينما تسألها بدهشة

" ما الذي ذكرك بعملي ذاك بعد مرور هذه السنوات ؟!"

تمتمت جودا " انا اجلس في غرفتي منذ ايام استعيد ملامح كل الوجوه والاحداث في حياتي .. "

ثم التفتت بغتة لتنظر في عيني عمتها وتضيف بتعابير بريئة تثير الشجن

" سعد طلب مني هذا .. قال علي ان اعيد تقييم الامور .. تقييم كل شخص رأيته في حياتي .. علي ان اجد طريقتي الخاصة لتحديد الابيض والاسود ثم اركز في باقي الالوان وافرزها كل لون تحت مسمى وعنوان "

غامت عينا العمة فائزة لتمد يدها وتلامس شعر جودا وهي تسأل بحنان ورقة

" وتريدين ان تعرفي لوني يا جودا ؟"

ردت جودا ببساطة

" دوما وما زلت اراك بيضاء .. بيضاء جدا .."

ابتسمت العمة بطيب خاطر لتهمس بحشرجة

" هل تظنين اني ضحيت بعملي (المهم) لاجلك صغيرتي ؟"



عبست جودا وكأنها غير راضية ، لتوجه عدم رضاها لنفسها وهي تقول بتردد

" نعم .. اظن هذا .. واظن اني .. كنت جاحدة لاني لم اقدر لك صنيعك وتحملك لي "

ردت العمة فائزة بهدوء وهي ترخي يدها لتسقط في حجرها

" لكني لست مضحية لهذه الدرجة التي يصورها لك عقلك ..."

حدقت جودا بتركيز في عيني عمتها وكأنها تحاول حل معضلة تعقدت فجأة بعد ان كانت شديدة البساطة ..

فاضافت العمة وهي ترخي اهدابها العسلية

" انا كنت اكره عملي الجاف والصراعات الدائرة هناك والتنافس الذي يصل لحبك المؤامرات والدسائس، كنت اشعر انه يستنفذ طبيعتي المحبة للسلام والتصالح "

ثم رفعت نظراتها لابنة اخيها وهي تعترف بشجاعة " ربما وجدت فيك هدفا يرضيني لاعيش معك تجربة (ام وابنة) مع اني اعترف اني .. فشلت .. ظننت الامر سيكون أسهل واكثر سلاسة ومتعة .. "

تشوشت نظرات جودا وكأنها ما زالت لاتستوعب (تعقيد المعادلة) لتضيف العمة باشفاق " هل يصدمك هذا ؟ اني كنت افكر بنفسي ايضا ؟"







دمعت عينا العمة رغما عنها فتلاشت تعابير جودا السابقة ليحل الحزن .. فقط الحزن .. وهي تقول

" لم يعد يصدمني شيء عمتي .."

ثم ادارت رأسها كما كانت اولا فعاودت العمة تمشيط شعرها وهي تسألها برقة روحها

" ما بك اليوم صغيرتي ؟ تبدين حزينة على نحو ما مختلف .. البارحة كنت افضل .."

لم ترد جودا على سؤالها بل سألت سؤالا اخر وبنبرة قلقة " هل سيأتي سعد هذا الصباح ؟"

ردت فائزة بنبرة تأكيد " الا يأتي كل يوم يشاركك الافطار قبل ذهابه لعمله.. لقد وعدك انه سيفعل ذلك يوميا .. "

أحنت جودا رأسها بعيدا عن مرمى يدي العمة وقالت بنبرة فاضت بالحزن " سأتمدد قليلا في سريري حتى يأتي .. اشعر اني مرهقة ! "

ربتت العمة فائزة على كتفها وهي تقف على قدميها وتقول " حسن صغيرتي .. ارتاحي .. انا سأنزل لاكمل اعداد الافطار "

تحركت العمة بضع خطوات عندما سألت جودا بلهفة " هل خرج ياسر ؟"

وضعت العمة فائزة فرشاة الشعر على منضدة الزينة لترد على جودا " نعم .. هو وسهر ..."

انحنى ظهر جودا أكثر وهي تهمس بحشرجة

" اشتقت اليه .. اشتقت جدا .."



توجع قلب العمة لحال الفتاة وهي تبحث عمن تحبهم بهذا الألم العاصف وكأنها تخشى خسارتهم فتخسر ما تبقى من ثباتها !

ضغطت فائزة على شفتيها تخنق غصتها ثم ردت وهي تحاول تمالك نفسها

" كنتِ غارقة في النوم حبيبتي عندما أتى ورآكِ قبل خروجه .."

تمتمت جودا وهي تغمض عينيها و تميل برأسها لوسادتها

" هو رآني ... لكن انا... لم أره "

بعد نصف ساعة ...

طرق سعد على باب غرفتها قبل ان ينتظر لبضع لحظات ثم يفتح الباب ...

عيناه مباشرة ذهبتا ناحية السرير فلم يجدها لتميزا خيالها جالسة عند منضدة الزينة ..

قال بابتسامة وهو يدخل ويغلق الباب خلفه

" صباح الخير جودا .. "

لم ترد عليه ولم تلتفت نحوه حتى ..

كانت تمسك بقلم كحل اسود تتلاعب به بين اصابعها بشرود بينما يتوسط حجرها حقيبة مذهبة تشبه حقائب التبرج للنساء



سأل سعد وهو يقترب منها ليقف جنبها

" هل انت بخير حبيبتي .."

مال بوجهه ليطبع قبلة على اعلى رأسها بينما يسمعها تهمس بنبرة اعتصرت قلبه

" حلمت ... به ..."

يده التي تشنجت لوهلة انصاعت لاوامر عقله بالتراخي فتراخت فوق راسها تمسد شعرها وهو يسأل بهدوء ظاهري " من ؟!"

ردت بما توقعه " هو .. طارق .."

ما زالت يده تمارس تراخيها الظاهري بينما داخله يتأجج بما لاتفصح عنه عيناه ..

سألها بنفس الهدوء

" ماذا حلمتِ ؟"

ردت وهي تحدق في عينيه عبر المرآة البيضاوية

" وجهه كان كالحا وعيناه مكحلتان بكحل اسود ثقيل وبطريقة مخيفة ! "

اتسعت عيناها اكثر واكثر وهي تكمل بارتعاش مؤثر

" في...يد..ه ... سكين كبير وجسده يقطر دما !"

ارتعشت عضلة في جانب وجهه وهو يسأل المزيد " ماذا رأيت بعد ؟"







هذه المرة الخوف رسم ملامحها وفاض من زرقة عينيها المميزتين وهي تهمس بوجل

" كان يبتسم بل يكشر واسنانه .. بارزة خارج شفتيه .. "

اغمضت عينيها وكأنها تهرب من الحلم اليه !

فتصف المزيد من بشاعة الحلم

" ومن خلفه كان هناك عويل وبكاء و.. رجال مخيفين طوال عراض .."

اطلق سعد بضع انفاس ليسيطر على انفعالاته قبل ان يسألها بتركيز " هل ارعبك الحلم ام ربما انت من سعيت اليه ؟"

فتحت عينيها لتسأله بتشوش " ماذا تقصد ؟!"

رد وهو يبعد يده عنها ويضعها في جيب بنطاله " تحاولين رسم صورة لطارق بطريقة طفولية.. الشرير يجب ان يكون بهيئة وحش مخيف "

قالت جودا وهي تستدير بجسدها اليه وتواجهه

" لم لاتقول اني اصبحت أرى قبحه الذي كان مخفيا مستعصيا علي ان اراه سابقا. "

فجأة ابتسم .. ابتسامة ساحرة لم تخطأ مرة في اختطاف قلبها فتتسارع نبضاته وهي تحدق نحوه بلهفة تلقائية عفوية ثم قال بنبرته الرجولية المميزة " المعرفة لا تأتي دفعة واحدة صغيرتي .. لاتقسي على نفسك وتحشريها حشرا في زاوية ضيقة .."





ثم مال نحوها وطبع قبلة دافئة على شفتيها المنفرجتين هامسا بصوت أجش

" اشتقت لك وامي... اشتاقت لرؤيتك ايضا .."

اغمضت عينيها بل اطبقت جفنيها بقوة بينما يضيف سعد

" العرس بعد اقل من شهر .. وتريدك ان تذهبي معها لاختيار ثوب الزفاف "

همست جودا بألم " لِمَ تعاملني بشكل جيد هكذا وانت داخلك غاضب مني ؟! حتى ياسر يعاملني بهدوء وصبر لم أعتدهما منه ؟"

لاتشعر الا بلمسات يده على خدها بينما يقول لها " الا يعني هذا اننا ... نحبك جدا .."

أخذت تهز رأسها وكأنها ترفض امرا لاتعرف كنهه فتقول بتحشرج وتوجع

" انا لن اخرج من البيت ولن أكلم احدا .. "

همس اسمها بنبرة مؤنبة " جودا .."

فتحت عينيها ثم اخذت تردد بوجل

" ارجوك لااريد ... ارجوك ..."

يداه حاوطتاها من الجانبين ليجبرها على الوقوف امامه فينظر في عينيها بهيام لايخفيه هامسا بحشرجة رجولية

" انا جعت ... واريد تناول الافطار معك يا فتاتي ..."





بعد اسبوع ...

يده تلتف حول يدها وابهامه يتلاعب بخاتمها ذو الفصوص الملونة ..

اعتادت منه هذا كلما جلست جواره في السيارة ليقلها ذهابا او ايابا لعملها او اي مكان اخر ..

ادركت انه يجد حلاوة خاصة ترضيه وهو يفعل هذه الحركة ...

كانا عائدين للبيت بعد ان انهت عملها في مكتب المحامي ..

يصر على اعادتها بنفسه رافضا كل محاولاتها لان تستخدم المواصلات العامة ..

في البداية كان يغيظها هذا وهي تفسر الامر انه يخاف عليها ويقيد حريتها ..

لكنها فيما بعد ادركت انه يشتاق اليها ويتوسل بلا كلمات لقضاء اي وقت معها ..

يلامسها فيخطف انفاسها .. يطبع قبلة على خدها صباحا او تسرح قبلته لتلامس شفتيها ..

منذ ذلك الصباح الذي تسلل فيه لغرفتها باتت تغلق الباب بالمفتاح وهو لم يعلق بشيء!

يكتفي بتلك النظرات التي تنطق الحجر ..

ما زال يربكها ويشوشها كل هذا العشق منه ..

يتخمها ويرفعها لعنان السماء لاتنكر هذا ..

لكنها .. تشعر بخجل رهيب منه ..



لماذا تشعر من رافد بكل هذا الخجل المبالغ فيه .. ؟!!

لاتعرف !

ربما لانها تشعر انه من رباها حقا رغم ان الفارق بينهما لايتعدى الست سنوات لكن رافد دوما كان شيئا كبيرا .. كبيرا جدا ...

احمرت وهي تفكر بسرها الصغير الذي تريد مصارحته به ..

بل وستتجرأ على طلب المزيد..

قالت سريعا قبل ان تتراجع

" رافد ... هل تذكر عندما كنت تذهب مع اصدقائك لركوب الخيل ؟ "

ابتسم وهو يلتفت نحوها قائلا بمرحه المعتاد

" تقصدين ايام الجامعة ؟ هذا لم يكن ركوبا للخيل .. هذا كان فضيحة في تاريخي كرجل .."

ضحكت بخفة وهي تتشجع اكثر لتسأله بفضول " لماذا ؟!"

عيناه تحيدان دوما لشفتيها كلما تكلمت معه فتتلكآن هناك قبل ان يعيد انتباهه للطريق ثم يرد ببشاشة

" اظن الحصان الذي ابتلي بي قدم طلب تقاعد مبكر بسببي .."



لتغطي على خجلها من حركات الغزل الصامت المفضوح ذاك قالت بنفس البشاشة

" لابد ان سعد هو الغالب بينكم .. لانه رياضي وجسده عضلي .."

عبس رافد وهو لايخفي غيرته قائلا

" لعلمك فإن عضلاته لم تجعله مميزا مع الخيول ؛ "

ضحكت غالية بينما يضيف رافد مخفيا غيظه " لقد كان ياسر هو المميز .. انت لاتعرفينه .. تليق به جملة (الكبرياء تليق بالفرسان) .. اما سعد فكان مستمتعا بالتجربة .. انا الوحيد الذي كنت اعاني من الاضطهاد المتبادل بيني وبين حصاني ..."

هذه المرة جلجلت ضحكات غالية فاهتز قلبه في صدره ليتطلع اليها بعشق ذائب وهو يهمس بصوت مبحوح

" دوما اضحكي هكذا ... جدران قلبي اشتاقت لصدى ضحكاتك غاليتي ..."

تخضبت وجنتاها وضحكاتها تخفت خجلا فيشفق عليها ليهون من خجلها متسائلا

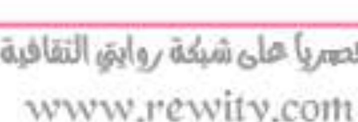
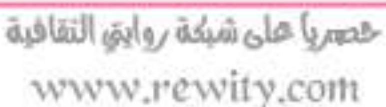
" لماذا سألتني عن الخيول الآن ؟ ما الذي ذكرك ؟"

اخذت تتمتم بارتباك " انا ... انا ..."

التفت اليها بملامح متسائلة لتتنهد غالية قبل تقول " اريد ان اعترف لك ... بسر ..."

ارتفع حاجباه يسألها " ماذا ؟!"



ردت بصوت خافت " انه سر .. قديم ..."

ينقل نظراته بينها وبين الطريق ينتظر منها مزيدا من الافصاح لتلبي ما يطلبه فتقول مفسرة ببعض التردد

" هل تذكر صديقتي ايناس ؟ ... حسن ربما لاتذكرها .. كانت معي في الثانوية العامة... ثم دخلت معي نفس الجامعة لكن في قسم مختلف .."

صمتت فقال يشجعها باختصار " و ..؟"

أكملت بتلكؤ

" انا كنت... اذهب معها .. دون ان يعرف احد منكم ... لاحد على الاطلاق .."

سألها بعبوس " اين تذهبين ؟"

ردت بسرعة لتنهي الامر

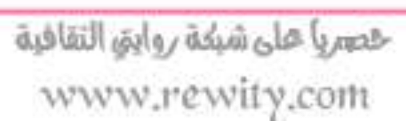
" لتعلم ركوب الخيل .."

ذهول صاعق على وجهه وهو ينظر اليها بلا تصديق ويهمس اسمها بنبرة تعبر عن مفاجأته

" غالية ! "

عفويا سحبت يدها من بين اصابع يده لتقول بتحفز " لاتنظر الي هكذا ! دوما احببت تعلم ركوبها و.. لم اتشجع لاطلب منكم ..كنت اشعر بالغيرة والغيظ لانك كنت تستمتع بذهابك مع اصدقائك .."

ابتسم لعينيها المتحفزتين ولم تعلم كم بدت جميلة لعينيه ليعاود امساك يدها عنوة وهو يسألها " اذن .. هل تعلمت ركوب الخيل ؟!"



ردت ببعض الاحباط

" نعم لكن للاسف توقفت بعد عامين عندما تزوجت ايناس وتركت الدراسة لتسافر مع زوجها .."

رفع يدها لفمه يلثم باطنها كما يفعل بكثرة مؤخرا ليهمس

" لا اصدق !.. انت فارسة ؟!"

ضحكت بخفة وهي تشعر ببعض الخجل من نعته اياها بـ(فارسة) لتنكر قائلة

" لست فارسة .. انا فقط اجيد ركوبها .. وان مرت سنوات منذ فعلتها لاخر مرة .."

عاود لثم يدها بحرارة اكثر وهو يهمس بصوت أجش

" تريدين مني ان آخذك لركوب الخيل ؟"

همست وهي تعاني تأثرها بلمسات شفتيه

" نعم .."

رفع نظراته اللامعة لعينيها ثم قال باستمتاع

" وسيكون لك ما اردتِ .. ستكون رحلة لاستعادة شرفي المهدور كفارس مخضرم"

كافأته بابتسامة من قلبها اذابت قلبه ..

فتنهد وهو يحدق فيها ويقول

" طفلتي الشقية .. ماذا فعلت بعد من خلف ظهري ؟ دوما كنت تجيدين خداعي .."

نهاية الاسبوع ... (الجمعة)

تطلعت لهم جميعا بنظرات فاضت بالرفض والعند بل حتى بالخوف الذي تحاول اخفاءه بشجاعة لتقول وهي تهز رأسها " لااريد .. لااريد الخروج .. اذهبوا انتم.. انا .. سأظل مع عمتي فائزة .."

ثم ترتكتهم جميعا وهرولت ناحية الدرج بينما تلاحقها العمة فائزة وهي تنادي اسمها ..

توترت الاجواء وياسر يتطلع نحو السلم بملامح متشنجة بينما بدى سعد ظاهريا اكثر ليونة رغم تجهمه ليقول باختصار

" سأذهب اليها .."

خطوة واحدة خطاها سعد ليرتفع صوت سهر وهي تقول بهدوء

" سعد .. اسمح لي .. دعني اكلمها انا .. اسلوبك انت وياسر لن ينفع الآن .."

عند باب غرفة جودا تكتفت سهر وهي تتطلع بغيظ لمحاولات العمة فائزة (المستهلكة) في اقناع جودا (الصامتة المتعنتة) لتذهب مع الاخرين في الرحلة لنادي الخيول ..

تحركت سهر لتدخل عبر الباب وهي تشحذ همتها لمقارعة عناد الفتاة واستفزاز طباعها حتى تحصل على اي نتيجة مقبولة ..

قالت سهر بنبرة باردة وهي تتحرك نحو جودا والعمة فائزة

" لقد مضى اكثر من اسبوعين على هذا السجن الاختياري المضحك الذي تفرضينه على نفسك .."

ارتفع رأس جودا لتحدق في عيني سهر بتحد وشراسة وهي ترد عليها بصلف

" انت لايحق لك ان تكلميني هكذا .. غادري غرفتي .."

تجاهلت سهر طلب المغادرة لترفع حاجبيها قائلة بتقريع قاس

" ومن يحق له ؟! سعد الذي يملك صبرا يهز الجبال فيصمت وداخله يغلي كبركان ام ياسر الذي لايكف عن التقلب في سريره ليلا قلقا عليك وشعورا بالذنب نحوك وهو عاجز عن جعلك سعيدة .. هل ستظلين على انانيتك هذه طويلا ؟! "

صرخت جودا وهي تقف على قدميها

" انت... لاتتدخلي ..."

لم تأبه سهر لصراخها كما لم تأبه لتحركات العمة فائزة القلقة لترد على جودا ببرود مستفز قاس

" بل سأفعل .. عرسك تقرر بعد ثلاثة اسابيع من الآن وانت تقضين وقتك هائمة بين جدران هذا البيت ترثين لحالك ..."

نبرة عتب خرجت من فم العمة مع لفظ اسمها

" سهر ..! "

لكن سهر رفعت يدها باعتراض حاسم وهي تقول بصلابة

" لحظة لو سمحت عمتي .."

ثم وجهت كل تركيزها لجودا المنتفضة في انفعالها قائلة لها بمواجهة تحد صريح

" انت لست طفلة .. ولست مراهقة .. انت شابة في الثانية والعشرين بل توشكين على بلوغ الثالث والعشرين .. الا يكفي هذا جودا لتتصرفي بما يليق بعمرك وترحمي من يحبونك ؟ الا يكفي من الاستكانة للضعف؟! عندما رأيتك لاول مرة وكيف تتصرفين نحوي تخيلتك قوية شرسة ويحسب لها الف حساب .. لكن خسارة .. يبدو اني توهمت الامر .. "

اشارت سهر لملابس على كرسي قريب وهي تقول بهدوء " هذه الملابس اشتريتها لك لتليق بالمكان الذي سنذهب اليه .."

ثم اضافت بنفس الهدوء والبرود المستفز

" وسنذهب يا جودا .. معك او بدونك .. انا احب ياسر وافعل هذا لاجل من احب .. فماذا ستفعلين انت ولاجل من ؟! "

تقدمت منها جودا وقبضتاها ترتشعان في انفعال متزايد لتهدر فيها

" لن تحبي اخي اكثر مني .."



رفعت سهر حاجبا واحدا بطريقة ساخرة وابتسمت ابتسامة مائلة تفيض تحديا لتقول لها بميوعة

" لنرى من ستثبت له حبها اكثر .."

وبنظرة متدللة متعالية مقصودة رمتها سهر لجودا ادارت وجهها ثم غادرت تاركة جودا ترتعش من شدة الغضب والاستفزاز بينما العمة فائزة تفتح فمها ذهولا ..

اجفلت العمة فائزة وصوت جودا ياتي حادا خافتا وهي تقول بتحد

" سأذهب .. فقط لاثبت لتلك المغرورة اني احب اخي اكثر منها .. اكثر منها بكثير .."

في بيت رافد ..

شخصت عيناه للاعلى وهو يلمحها تنزل درجات السلم حتى وصلت نهايته لتقف امامه بفخر انثوي جذاب ...

تجمدت حواسه في صدمة ذكورية بحته وهو يتطلع اليها ابتداء من الاسفل حيث حذائها الجلدي ذو الرقبة الطويلة وبنطالها الصحراوي الخاص بركوب الخيل صعودا لقميصها الابيض المشدود حول جذعها يبرز تفاصيل معالم انوثتها ولتزيد الطين بلة تركت شعرها محلولا بحريته على كتفيها محيطا بوجهها البيضاوي المتورد المفعم بالأمل والابتهاج ...



سألته بانفاس متسارعة تعكس حماستها

" ما رأيك ؟ اليست ملابس رائعة ؟ صديقتي فريدة ساعدتني في اقتنائها ..."

ابتلع رافد ريقه وهو يحدق في عينيها المشعتين اولا ثم ينزل مباشرة بنظراته لخصرها كيف تحددت رهافته ثم نزلت نظراته اكثر و .. اكثر ......

شعر بالحراراة تخرج من اذنيه وهو يسألها بصوت أجش

" هل.. ازداد.. وزنك اكثر في الاسابيع الماضية ؟ "

احمرت خجلا وشعرت بالانتقاص في مظهرها وهي تهذر بالقول المرتبك

" نعم .. قليلا .. هل تعني ان الملابس لاتليق بي ؟ هل ابدو ممتلئة اكثر مما يجب ؟!"

اقترب منها والحرارة تشع منه ليقول بهمس مبحوح " بل تبدين مغرية اكثر مما يجب "

اتسعت عينا غالية وهي تستوعب معنى كلماته ونظراته التي تحوم حول مفاتنها ..

بردة فعل تلقائية استدارت بحركة حادة توليه ظهرها تخفي نفسها وهي تقول بارتباك

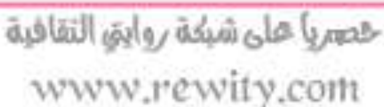
" حسن .. انا ... جاهزة .. فقط سأحضر حقيبة لولو .. و.... اووووه .."

تأوهت واغمضت عينيها عندما شعرت بكفيه على وركها من الجانبين لتهمس بارتعاش

" ابعد يديـ..ـكـ... رافد .."









تأوهت مرة اخرى عندما شعرت به يسحب طرفي قميصها ليخرجه من حافة البنطال وهو يهمس قرب اذنها

" ابقي القميص للخارج ... سيغطي ... ما يجب اخفاؤه "

استسلمت لما يفعل بينما تقاوم ارتعاشها ..

بالغ وهو يشد حافة القميص بقوة للاسفل ليغطي ما يستطيع بينما وجهه يغرق اكثر واكثر في خصل شعرها ثم فجأة توقف ليبتعد ويقول بهمس خشن

" هيا .... بنا ... تأخرنا .."

ثم تركها ومضى خارج البيت ...

يد على فمها واخرى على قلبها النابض بجنون فتغمض عينيها وتكاد لاتشعر بأي ثبات في أي شيء ...

نادت على نورية لتحضر لولو من غرفة جدتها ونبرات صوتها ما زالت غير مستقرة ..

في نادي الخيول ...

ينظر اليها بقلب مرتجف وهي تعتلي صهوة حصان ابيض .. يسألها للمرة العاشرة وهو غير مستقر فوق هذا الحصان المرقط النزق الطباع

" هل انت واثقة ؟"



عبست غالية وهي ترد عليه بغيظ

" نعم رافد .. كف عن تحطيم ثقتي بنفسي.."

اخذت تربت على رقبة حصانها بيد بينما يدها الاخرى تمسك باللجام فنهرها رافد وهو يتحرك بحصانه الاخرق

" اتركي رقبة الحصان وامسكي اللجام بكلتي يديك غالية .. لا تتركيه مهما حصل .."

رفعت عينيها مشعة بالالوان الثلاث لتقول له بابتسامة غامضة لم ترحه

" حاضر .."

عيناها حادتا جانبا تلمحان اقتراب ياسر من جهة الاسطبلات معتليا بثقة صهوة جواد اسود مهيب بينما تسمع رافد يقول بتحذير شديد اللهجة

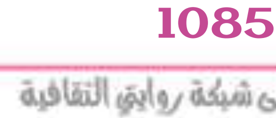
" لاتتهوري ولاتجعليه يسرع في جريه .."

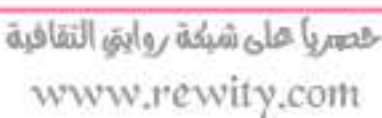
عادت بنظراتها لوجه رافد وهي تقول بحلاوة مغيظة " انه سباق يا رافد .."

اقترب رافد اكثر حتى تماس الحصانان ليقول من بين اسنانه وهو يلوح بسبابته

" اسمعي يا فتاة .. هذا ليس بسباق .. اننا في مضمار للخيل هذا صحيح لكننا سنسير فيه وكأننا في نزهة .."







ثم اشار بنفس السبابة ناحية سعد الذي اختار حصانا بلون الشيكولاته واجلس جودا امامه والحصان يتمشى بهما الهوينا ليضيف رافد

" انظري لسعد كيف يتنزه مع جودا .. هكذا اريدك .."

حالما اصبح ياسر على بعد خطوتيّ حصان منهما علا صوت غالية ضاحكا وهي تشد لجام حصانها " تنزه انت ؟ .."

ثم لكزته ليركض بها ورافد يناديها بصوت مرتعب مضطرب النبرات " غالية ؟ "

جاءته ضحكة ياسر وهو يقول باستفزاز

" هيا يا رجل ... زوجتك ستسبقنا .."

فيلكز ياسر حصانه هو الاخر ليفعل رافد المثل وهو يصرخ في ياسر معنفا

" توقف ياسر .. اللعنة .. لاتحفزها لتزيد سرعتها .."

على مقاعد بيضاء مطلة على مضمار السباق الذي يكاد يكون خاليا جلست سهر وفي حجرها لولو بينما تطعمها بعض قطع التفاح المقطع في حاوية بلاستيكية اعطتها اياها غالية ثم اخذت سهر تحدثها بانطلاق وكأنها صديقتها المقربة



" هل شممتِ الرائحة لولو ؟! مقرررفة .. اياك يا فتاة وان تحذي حذو ماما عندما تكبرين .. اهم شيء رائحة الاثنى ونظافتها وهيئتها .."

بدت لولو منهكمة بأكل التفاح ولا تلق بالا لحديث سهر لترفع سهر رأسها حالما سمعت وقع حوافر الخيول تقترب والتي توشك على اكمال دورة واحدة بفرسانها الثلاث ...

شعت ابتسامة فخر على شفتيها اللامعتين وهي تتطلع لفارسها على حصانه الاسود مختالا في المقدمة وقد تقدم غالية ورافد بمسافة كبيرة فتتنهد سهر وهي تقول للصغيرة

" انظري لداكن العينين .. جاذبيته لاتصدق بالقميص الاسود كسواد حصانه ..."

قبلة طبعتها على راحة يدها لترسلها له في الهواء قابلها ياسر بعبوس ونظرة حانقة محذرة من تكرار الحركة..

فضحكت سهر وهي تعود باهتمامها للصغيرة التي التقطت بنفسها قطعة تفاح جديدة تدحسها في فمها وعصيرها يسيل من فمها الصغير ..

قالت سهر بتدلل حزين وكأنها تشتكي للطفلة

" لافائدة لولو .. انه لن يتغير ..... هل رأيت كيف سخر مني في الاسطبل ضاحكا لاني لم احتمل ملامسة الخيول ؟! "



لتضيف بعجب وعبوس " انا لم احتمل الرائحة فكيف يريد مني ملامستها ؟! ليعود الخبيث ويذكرني بانبهاري الوقتي بجزيرة الاميرات ويسخر مجددا لاني ابديت رغبة مجنونة في العيش فيها الى الابد .."

تلاشى عبوس سهر وهي تتذكر ايام العسل في تركيا وتلك الليلة المجنونة في جزيرة الاميرات فتهمس للطفلة بتأوه حالم

" آآآه يا فتاة يجب ان تذهبي اليها مع عريسك..."

ثم تضيف بتشدد

" لكن كشهر عسل لا اكثر ..."

صرخت لولو فجأة وهي ترمي باقي قطعة التفاح من يدها

" دادا .."

التفتت سهر لترى غالية تجري بحصانها وخلفها رافد الذي يبدو غاضبا مغتاظا كما لم تره يوما !

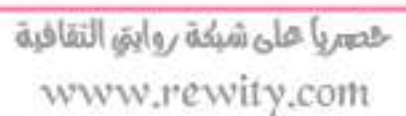
تمتمت سهر وهي ترفع حاجبا واحدا باستمتاع

" دادا يلاحق ماما يا صغيرة ! "

ثم ضحكت بخفة قبل ان تضيف بخبث

" ليتني احضرت كاميرتي الخاصة لاصور تعابير وجهه بدقة ثم انشرها على كل مواقع التواصل الاجتماعي .. لن يصدق احد انه رافد المرح المشاغب سارق قلوب الفتيات "



كان يصرخ فيها وهو يكاد لايستطيع

مجاراتها في سرعتها

" خففي سرعتك غالية .."

شعرها يتطاير وقميصها انتفخ من الهواء ولا

تبدي اي استجابة له فقط يسمع صوت

ضحكاتها المستمتعة التي تغيظه اكثر

فيعاود الصراخ بنبرة اشد غضبا

" انا جاد ... خففي السرعة ... حالا ..."

هذه المرة ضحكاتها علت اكثر من سابقاتها

فيزجرها بالقول المؤنب العاتب

" كفي عن الضحك ... قلبي سيتوقف جزعا

عليك .."

عندها التفتت بوجهها اليه ..

الشمس تنعكس على صفحته...

وعيناها تشعان ...تشعان ...تشعاااان ...

تلك الابتسامة العالقة على شفتيها جننّتاه...

اوشك ان يفقد عقله ويقفز نحوها بجسده

منتحرا فيها...!

شقاوة التمعت في تلكما العينين قبل ان

تصرخ به

" فارس فاشل ..."

ثم تلكز حصانها لتزيد سرعتها فيلكز

حصانه في يأس ان يكون خلفها ... فقط

خلفها ... دوما لايفارقها ...

التف بالفرس ليقصد جهة الحظائر بعيدا عن مضمار سباق الخيل ..

جودا شاردة ...

ظهرها ملتصق بصدره ورائحة شعرها النضرة تداعب انفه ..

همس في اذنها

" هل تشعرين بالراحة صغيرتي ؟"

تتنهد وهي تضغط بظهرها على صدره اكثر

" نعم .. ما دمت انت معي .."

يضحك بخفة لحركتها العفوية بالتقرب منه فيسألها وهو يشدد من تطويق خصرها بذراعه " هل احببت ركوب الحصان ..؟"

تلتفت بوجهها الفاتن اليه لتقول ببساطة

" احب ركوب الحمير اكثر .."

كانت يدها تتلاعب كطفلة بشعر رقبة الحصان وقد عادت لشرود نظراتها تتطلع امامه بلا اكتراث حقيقي لما تراه ...

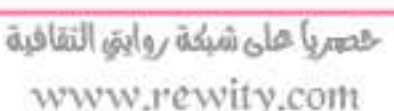
حاول سعد تحفيزها لتخرج من حالة الشرود فيقول مظهرا بعض التعجب

" الحمير ؟! هل ركبتها سابقا ؟"

ابتسامة عابرة مرت على شفتيها وهي ترد بالقول " نعم ركبتها اكثر من مرة ... في بلدتي .. اقصد بلدة امي ... كانت ارافق احيانا العم جابر بائع الاغراض المستعملة ..







كان يدور بعربته ويسمح لي احيانا بالصعود فوق ظهر حماره "

اصابعه تلامس خصرها وهو يسألها بصوت أشج مهتم " ماذا تذكرين بعد من بلدتك ؟"

عقدت حاجبيها قليلا وهي تركز في ذكرياتها قبل ان تقول بتفاصيل مميزة

" اذكر البقال المرابي دون ان اذكر اسمه .. لكني لن انسى ابدا عينيه المرعبتين بنظراتهما الزائغة غير المستقرة خاصة عندما يحين وقت الدفع لاحدهم تصبح نظراتها متراقصة هنا وهناك على نحو مضحك .. واذكر صاحب المقهى الوحيد في البلدة العم عبد الفتاح .. كان يقرأ القرآن بصوت مرتفع كل صباح وهو يفتح باب مقهاه استعدادا لاستقبال الزبائن.. صته كان شجيا .. ثم يجلس في مقعده عند مقدمة المقهى ليخرج نظارته الطبية ويبدأ بقراءة كومة من الجرائد التي يحرص على ابتياعها كل صباح وهو في طريقه لمقهاه .. "

توتر جسد جودا فتوقفت اصابع سعد عن ملامسة خصرها منتبها لتغير مزاجها فتقول جودا بنبرة بدت غريبة .. خليطا من التعجب والاستفسار والنفور والنقمة " واذكر .. امرأة مجنونة تجوب الازقة ليل نهار .. رائحتها نتنة ووجهها قذر ككل شيء فيها .. شعرها الاشيب منكوش وترتدي دوما ثوب زفاف ممزق قديم استحال لونه الابيض لرمادي ..



تحمل كلبا صغيرا وتتقاسم معه اي طعام تحصل عليه سرقة او صدقة !.. لم تكن تبالي بالاولاد الصغار اذا رموا عليها الازبال وقذفوها بالاحجار لكنها كانت تهتاج وتجن اذا آذوا كلبها الاجرب .."

ارتعش جسد جودا فضمها اليه اكثر بينما تضيف بحشرجة " سألتها مرة لماذا تحمي الكلب بكل هذا الولاء ؟ فردت ان كلبها هذا اوفى من كل البشر الذين مروا بها "

التفتت اليه فجأة لتقول بتأثر بالغ

" سمعت البعض يقول ان عريسها تركها ليلة الزفاف ففقدت عقلها .. وبعضهم يقول انه خلا بها بعد ان .. ان اخذ منها ما يريده .. وهناك من قال انها .. انجبت طفلا ورمته حال ولادته في مقبرة الازبال لتتركه يموت هناك وحيدا.."

اوقف سعد سير حصانه البطيء ثم رفع يده يلامس خدها وهو يتطلع لعمق عينيها الرائعتين .. يلتزم الصمت او ربما يلتزم قراءة اختلاجاتها المتشابكة هذه .. في ..صمت...

سألته بترقب وحزن

" هل تظن ان الكلاب اوفى من الانسان ؟"

ما زالت يده على خدها وهو يرد بهدوء

" احيانا تكون اوفى ..."

نادته بلهفة مخنوقة " سعد .."

فيرد بابتسامة مشرقة " امـمـم..."

توهجت عيناها وهي تسالها بنبرة مرتعشة

" ألن تظهر غضبك لما ... حصل ذلك..

اليوم؟"

يده توقفت للحظة واحدة قبل ان تتابع لمسها

وهو يسألها بملامح تبدو هادئة

" هل انت مستعدة لنتكلم في هذا ؟"

ردت بنفس اللهفة المخنوقة وهي تهز رأسها

تأكيدا " نعم .."

ترجل برشاقة من على ظهر الحصان ثم مد

ذراعيه اليها ليتلقف جسدها وينزلها ارضا ..

امسك اللجام بيد وكفها باليد الاخرى بينما

يسير بالاثنين معا ناحية الحظائر ..

سلم الحصان للسائس ثم سار بجودا في صمت

مطبق ...

تمتمت اسمه بقلة صبر " سعد .."

التفت اليها يمد سبابته لشفتيها وهو يقول لها

برقة " اششششششششش.. "

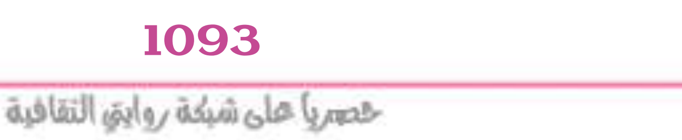
أكمل سيره حتى وجد مكانا منعزلا يعمه

هدوء تام .. غريب .. لكنه يمنح حالة من

صفاء التفكير ...

اوقفها ثم امسك فجأة بخصرها من الجانبين

ليرفعها قليلا ويجلسها على دكة حائط ..



وقف امامها يتطلع لملامحها الثائرة بالتساؤلات التي تقلقها لحد الارتعاب ..

بادرها بالسؤال وهو يتطلع لعينيها المضطربتين

" هل تعلمين ما يقال عن اي فتاة او امرأة تذهب لمسكن رجل يعيش بمفرده ؟"

سكنت ملامحها واحمر خداها .. فتحت فمها لتتكلم ثم عاودت اغلاقه بعجز يمس القلب..

هو بصمته الغامض لم يسعفها لترد ...

تمتمت اسمه وكأنه تطلب العون

" سعد .."

عندها تكلم قائلا بهدوئه الغامض

" لن تطلبي مني الردود عنك يا جودا .. انت اردت ان نتكلم وانا وافقت .. سألتك سؤالا ولم تردي عليه ! ان كنت لاتعرفين الاجابة اخبريني لاقولها لك بنفسي ..."

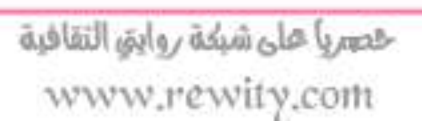
بدت أشد ارتباكا وهي تقول اخيرا بتنهد

" اعلم ان فعل كهذا يعني ان المرأة سيئة وغير .. محترمة .. لكن انا... لم افكر هكذا .. يوم ذهبت اليه .. كان يموت ... اقصد ادعى انه يموت .. لم استطع تجاهل الامر.. "

بدت ملامحه على غير طبيعتها المتراخية لكنه ايضا لم يبدِ اي غضب او حنق ..







قال اخيرا وهو يتفرس بملامحها

" كنت تستطيعين التصرف بشكل مختلف دون ان تتجاهليه .. كأن تأخذي فتاة اخرى معك .. زميلتك مثلا او صديقة.."

ردت بجزع وهي ترفع يدها بعفوية تضعها على صدره مكان قلبه فتؤثر به رغما عنه خاصة وهي تقول بألم حقيقي " ليس لدي صديقات في الجامعة .. صديقاتي السابقات تركنني حالما رأونني اتغير في ملبسي وتصرفاتي .. لم يعدن يهتممن بي .. وانا ايضا لم .. اعد احب تصرفاتهن وحفلاتهن .."

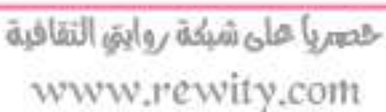
بدا لها مغلقا تماما ولاتستطيع سبر اغوار مشاعره فتضيف جودا وهي تحرك يدها على صدره بارتباك " والاخريات يتصرفن معي بحذر دون ان اعرف السبب .."

امسك يدها ببعض الخشونة ليثبتها فوق صدره ويمنعها مزيدا من تلك الحركة التي تفعلها بعفوية ليسألها بصوت مبحوح يفيض عتبا وقهرا

" ولماذا لم تتصلي بي جودا ؟ كنتِ تستطيعين فعلها لألحق بك هناك .. اليس هذا هو التصرف الأسلم الذي يحفظك ويحفظ كرامتك وسمعتك "

احتدت نظراته لدرجة اخافتها وهو يقول بخشونة قاسية " كنت ستحفظين كرامة اخيك وكرامتي انا الاخر .. زوجك .."







لم تعرف ماذا تقول لتدافع عن نفسها اغرورقت عيناها بالدموع وهي تهمس بندم

" انا .. اسفة .. لم افكر الا باسعافه .."

رد سعد ويده تعتصر يدها دون ان يشعر

" لماذا لم تتصلي بالاسعاف جودا ؟ كانت ستصل اليه قبلك وتؤدي عملا افضل منك .."

اخذت تهز رأسها وتشهق بالبكاء ودموعها تسيل على خديها قائلة بتوهان

" لا اعرف .. لااعرف .. حقا لااعرف لماذا لم افعل كل هذا .. !! ولن اكذب واقول انه ..لم يخطر ببالي .. "

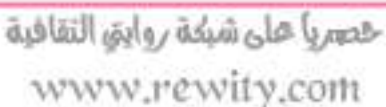
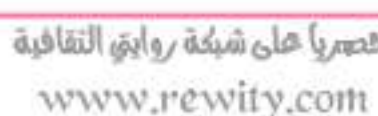
قال سعد وهو يعقد حاجبيه بشدة يواجهها بلهيب كلمات تحرق قلبه ..

" اعترفي انك لم تذهبي حقا لاسعافه وانما سعيتِ لما حذرتك منه سابقا ان لا تسعي اليه.. سعيتِ لاثبات ما تشبثتِ به من فكرة واهية تعلقين عليه امالا عريضة دون ان تأبهي بخطورة الطريق الذي تسلكيه لتصلي الى هدفك .."

رفعت يدها الاخرى لتجاور اختها الاسيرة تحت كفه الصلب تصارحه بكل شيء يدور في خلدها ويتكرر يوميا في رأسها

" اقسم باللّه يا سعد طوال الطريق في سيارة الاجرة كنت افكر بك .. وعندما وصلت هناك.. عندما غادرت المصعد .. وقفت مكاني واخرجت هاتفي لاتصل بك واقول لك تعال .."



سألها بانفعال واهتياج

" اذن لماذا لم تفعلي جودا ؟ لماذا ؟"

دموعها تتساقط حتى اغرقت وجهها وبللت قميصها الجديد فترد شاهقة بالبكاء

" فتح باب ... شقته ..فجأة ورأيته ....منهارا يكاد يقع ارضا... لو لم... اسارع اليها ...لاسناده ..انا لم .. اعرف كيف .. اتصرف.."

ابتعد عنها بشراسة غضب أهوج يسب ويشتم وهو يركل الارض بقدمه " الحقير القذر ... كان يجب ان انتقم منه بيدي انا ..."

يدها ارتفعت لفمها .. مرتبكة خائفة .. لاتعرف ماذا يجب ان تقول له ليغفر لها .. ليأخذها في احضانه كما فعل تلك الليلة ...

ما زال يوليها ظهره لكنه توقف عن الشتم وعن حركات جسده العنيفة ..

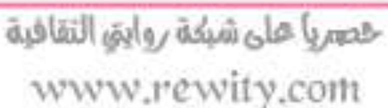
انفاسه المتسارعة فقط من تفضح توتره الشديد.. نزلت جودا عن الحائط لتقترب منه بحذر وخوف وهي تهمس " اسفة .. ارجوك سامحني سعد ..اغفر لي .."

لم يلتفت اليها وهي تقترب من ظهره من الخلف فتمد يدها تلامس ذاك الظهر المتشنج وهي تقول بحشرجة تحاول التعبير عن نفسها

" انا لست سيئة اقسم لك .. انا فقط .. فقط.. لااعرف ما بي .. لكني احاول .. احاول ان افعل الصحيح .. اريد ان أكون مثلكم .. ان اكون مثل سهر .. او حتى غالية زوجة رافد ..







انا اريد ان أكون طبيعية .. انا احبك ..

واريد أكون سعيدة معك .. "

تربت بارتعاش على ظهره وكأنها تناجيه ..

تتوسله الصفح ...

اطلق نفسا عميقا قبل ان يستدير اليها ليواجه

بؤس ملامحها الباكية وتعابير وجهها الخائفة

فتلين ملامحه ويقول لها وهو يمد يده ليمسح

دموعها الجارية

" كفاك بكاء صغيرتي .. "

اطبقت جفنيها لتهمس له بنبرة مرتعشة

" لم يلمسني ..."

حدسها انبأها انه سيبعد يده عنها فسارعت

لتتشبث بتلك اليد التي تمسح دموعها وتفتح

عينيها على وسعهما لتهمس له بإصرار وشجاعة

" لم أدعه يلمسني ابدا .. كنت سأقتل نفسي

قبلها ان عجزت عن قتله ... "

ظل سعد يحدق فيها .. ينظر لعمق عينيها

الجادتين ..

شيء ما امتلأ بالرضا والسكينة داخله ..

احساس غريب ان هذه الفتاة كحجر كريم

خام مجنون من يفرط بها ...

انها كنزه .. نصيبه الذي قدره اللّه له ..



قال لها اخيرا ووجهه يشرق بالابتسام

" لن نتكلم مجددا فيما حصل .. اتفقنا ؟"

للحظات تتطلع اليه بصمت وكأنها تتأكد من معنى ما يقصده لتنفرج شفتيها عن ابتسامة مترددة وهي تهمس " نعم ...لن نتكلم .."

في بيت ياسر ... عصرا ..

دخلا الغرفة تسبقه سهر فيغيظها بنبرة صوته الساخرة وهو يسألها بلامبالاة ظاهرية

" اخبريني .. كيف استطعتِ التأثير في جودا واقناعها خلال خمس دقائق ان تخرج معنا ؟"

ردت وهي تمط شفتيها وتهز كتفيها النحيلين

" أمر سهل .. ابتززتها بحبك ؟"

اغلق باب الغرفة وهو يعقد حاجبيه قليلا مبتسما بجذل قائلا بدهشة " ماذا ؟!"

تخصرت امامه وهي تفسر ببساطة " قلت لك مرارا انت لاتعرف كم الفتاة تعشقك "

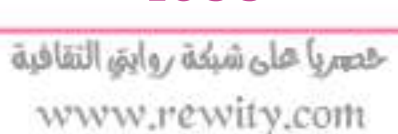
يقابلها في وقفتها المغرورة فيتساءل وكأنه يؤنبها " فتبتزينها ؟"

ترد عليه وهي ترفع حاجبيها وكأنها تفكر

" امممم ... حقيقة استفززتها ثم اثرت غيرتها لأنتهي بابتزازها .. ! الغاية تبرر الوسيلة يا داكن العينين "







نظراته تتملى فيها باعجاب رجولي من فوق
لتحت ومن تحت لفوق قبل ان يقول ساخرا
بطريقته الساحرة

" ما أمتعك وانت تتفاخرين بذنوبك "

ضحكة انثوية رنانة منها بينما تلتفت قليلا
بجسدها لتنظر لنفسها عبر مرآة منضدة
الزينة فتقول برضا وهي تمرر يديها على
بنطالها الانيق

" اغرمت بزي الفارسة.. انه يناسبني جدا .."

يضحك منها وهو يقف خلفها مستهزئا بالقول
" مجرد متأنقة مدللة .. ما فائدة هذه الملابس
ان لم تستخدميها ؟! "

التفتت اليه لتواجهه مرة اخرى وتسأل بدفاع
عن النفس

" ومن قال لك اني لم استخدمها ؟!"

ضحك وهو يمسك ساعديها بخشونة قائلا

" اجل بالركوب على احصنة الاطفال
الرخامية مع لولو .."

تحاول التملص من يديه الخشنتين وهي ترد له
بالقول " اذن كنت تراقبني وانا الاعب
الصغيرة .. اعترف ان عينيك لاتغفلان عني...
غيرة وتملكا و .. اشتياقا .."

يستمتع بمحاولات تملصها الفاشلة بل يزيد
ضغطه على ساعديها وهو يهمس لها ساخرا







" وانتِ كنتِ تراقبينني عن كثب ايضا فلاتنكري .. ولو بالغت تلك الفتاة السمراء بتوددها الي لكنت فقدت (طلتك الارستقراطية) "

رفعت رأسها بشموخ لتقول بلا ادنى تردد

" ولماذا انكر وتلك الصفيقة المتدربة اختارتك لتلتصق بك عارضة خدماتها "

يسحبها اليه وهو يميل بشفتيه لبشرتها هامسا باستمتاع مغيظ

" سهر الوردية تغار ؟!! "

أخذت تتباعد بوجهها عن مرمي شفتيه بينما تبدي نفورا واضحا وهي تقول بتدلل

" افففف رائحتك لاتطاق .. اذهب واغتسل.."

بقوة جسده طوقها رغما عنها ليدفعها بخطواته للخلف وهو يقول بجلافته

" انت وحاسة الشم المريعة التي تملكين .."

يده تفتح ازرار قميصها بينما تقاومه وهي تسأل بحنق

" ماذا تفعل ..؟"

يقبل عنقها وهو يهمس بصوت أجش

" اريدك ان تخبريني ايهما تنفرك اكثر.. رائحة قميصي ام ... رائحة جسدي "

هتفت به

" اياك ان تفعلها .. آآآه .."



لم تشعر الا وهو يوقعهما معا على السرير يحتجزها وهي تحاول التخلص منه فتعترض بالقول الهامس وهو يبعد عنها قميصها بعنف

" لا يا ياسر ... ملابسي الجديدة ... لا ... فرشتي الوردية .....يا يا....سر .."

مساء ...

فتح باب غرفته بينما يسمع صوت خطواتها صاعدة على الدرج ..

تمهل عن عمد ينتظرها ...

رآها بجلبابها العسلي الذي يحبه تحمل لولو النائمة على كتفها ..

قلبه يخفق باهازيج الفرح ..

كم سيصبر بعد ...لا يعرف ..

لكنه سيظل يسير بهذا الدرب حتى يصل آخره مع غاليته ..

عندما وصلت اليه ليقفان قرب بعض بين بابي الغرفتين فيهمس لها بابتسامة صافية عذبة

" نامت الشقية ؟"

ردت بملامح منشرحة وهي تربت على ظهر الصغيرة " بعد حمام دافئ وعشاء جيد لم يبق لها الا النوم العميق استعدادا لشقاوة فجر الغد..."



سألها بجذل وهو يقترب بجسده منها

" هل انت سعيدة برحلة اليوم فارستي ؟"

ضحكت بنعومة وفرح وهي ترد عليه

" نعم .. جدا ... ولولو ابتهجت جدا وهي تلعب مع الخيول الصغيرة .."

بعفوية سألته وهي تتطلع لقميصه

" هل ستذهب للمطعم الان ؟"

ابتلع ريقه وهو يحدق بشفتيها ويقول همسا خافتا

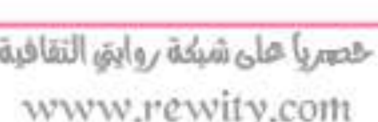
" أجل ... سألقي نظرة سريعة على سير الامور هناك وأعود من فوري .. انا مرهق واحتاج للنوم .."

حادت بنظراتها بعيدا عن نظراته لتهمس بخجل " حسن .. اذن تصبح على خير لاني سأنام ... انا ايضا ... منذ الآن .."

تحركت ناحية باب غرفتها عندما وقف في طريقها ومنعها بجسده وقبل ان تبدي اعتراضا امسك وجهها بين كفيه ليميل لشفتيها في قبلة عاطفية عطشة تطالب بالمزيد والمزيد..

قلبها يخفق بجنون وهي تلتصق بالحائط عاجزة عن فعل لردعه فقط تتشبث بجسد صغيرتها وكأنها تتشبث بأرض صلبة حتى لاتضيع ..





ابتعد قليلا وانفاسه تختلط بانفاسها ليقول بخشونة عاطفية

" الليلة ... لاتغلقي بابك بالمفتاح .."

اخذ يقبل وجهها بجنون وهي ترتعش وتقاوم بالقول الهامس

" هل تقول انك... لن تتسلل مرة اخرى.. قبيل الفجر كما فعلت .. ذاك الصباح ؟"

اوقف قبلاته ليرفع وجهها اليه ويقول بعينين مشتعلتين " بل سأفعل .. لذلك اطلب منك ان لاتغلقيه .."

اتسعت عيناها وسط وجهها وطنت اذناها وهي تقول بانكماش مرتعب " رافد.... انا ... لا.. استطيع .. ارجوك .."

هدأ اشتعال نظراته ليقول بنبرة غامضة وابتسامة لاهية " لاتقلقي .. لن افعل ما تفكرين به ويربكك كطفلة هكذا "

ثم اشار للولو وهمس بخفة ومرح

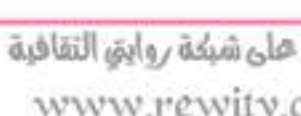
" خاصة وجوارك هذه الحارسة الشقية التي تستيقظ على رائحتي كجرو بوليسي مدرب .. فمن يستطيع فعل شيء بوجودها ؟! "

وجهها يشتعل احمرارا وهي تسأله باضطراب وبعض الحنق " ماذا تريد اذن يا رافد ؟"

يمرر يده من وجهه لعنقها ثم يتلكأ على كتفها فترتعش استجابة رغما عنها بينما يهمس لها بصوت أجش يفيض شجنا







" اريد ان أكون قربكما .. اريد ان .. انام جوارك غالية .. ان احتضنك بين ذراعي .. ان ارفع رأسي قليلا لأرى لولو نائمة قربنا نحن الاثنين ..."

نظرت في عينيه وهي لاتعرف ماذا تقول او تبرر فتهمس

" رافد .."

يقاطعها بالقول الحار النبرات

" ارحمي رافد يا منية قلب رافد منذ خلق اللّه له هذا القلب .. هل اطلب الكثير طفلتي ؟ لن ازعج نومك حتى .. سأتركك تنامين الليل بأكمله ولن آتي الا قرابة الفجر .."

احنت رأسها وانفاسها ما زالت مضطربة تعكس اضطرابها لتقول له اخيرا بنبرة ارادتها حازمة دون ان تفلح باظهار حزمها فعلا

" دعني... ادخل لو سمحت ..."

لحظات طويلة مشحونة مرت قبل ان يبتعد رافد بربع خطوة فتتحرك غالية سريعا تستغل فرصة الهرب منه فتدخل الغرفة دون ان تنظر اليه ثم تغلق الباب خلفها ..

تحرك منجذبا لبابها ...

هو يقف على جانب وهي على الجانب الاخر..

هو يرهف السمع وقلبه ينبض بقوة في جوف صدره يخشى ان يسمع تكة المفتاح..

وهي يدها مرتعشة على مقبض الباب ...

ثم تتحرك يدها نحو المفتاح اسفل

المقبض..

اغمضت عينيها وهي تتصارع مع احاسيسها

المختلفة و يدها مجمدة الحركة في الهواء ..

اخذت نفسا عميقا واطلقته قبل ان تتحرك

يدها للاعلى ناحية جسد لولو تلامس ظهرها

وهي تستدير ناحية السرير مبتعدة عن الباب

الذي تركته مغلقا دون اقفاله ... بالمفتاح ..



الفصل الثامن والعشرون

الساعة الثالثة بعد منتصف الليل..

قلبها اخذ يخفق بعنف في صدرها حالما سمعت صوت الباب يفتح بهدوء ثم تلك الخطوات التي تقترب ببطء جعلتها تطبق جفنيها بقوة وخفقات قلبها تدوي حتى حنجرتها !

كانت توليه ظهرها وتنام على حافة السرير البعيدة قدر الامكان ..

لاتعرف ما تنتظره لكنها قررت الخوض فيه..

انوثتها في حالة تأهب وترقب ما بين اشتياق غريب يدفعها للاستسلام وتراجع خائف يدفعها للـ...قلق ... !

اما قلبها .. فيعاني الامرين وهو يتخبط ثائرا مع انوثتها التي باتت متلهفة لكل نظرة عشق مشتعل وهمسة ملتاعة بالوجد ولمسة اشتياق مجنون يغدقها عليها رافد ...

شعرت بحرارة جسده قريبة منها قبل ان تلفحها انفاسه المتسارعة وهو يهمس بخفوت

" آه عذابي .. في قربك البعيد هذا !"

عضت شفتها السفلى تمنع تأوها يصدر عن فمها وتكاد دمعة تشق جفنيها دون ان تعرف لها سببا ...!





يلامس شعرها المفرود على الوسادة ثم يرفع اطرافه لانفه يتشممه ثم يلثمه بشفتيه وهو يتنهد ...

أمال جسده ليستلقي جوارها ومسافة ضئيلة نسبيا تفصله عنها ..

حواسه كلها تتعذب تبغي وصالها ...

مد يده لتحط على خصرها فيقشعر جسده وكأنه يلمسها لأول مرة !

يا الهي .. هل سيكون الامر معها هكذا دائما؟

هل ستدحره بالاشتياق لها حتى آخر عمره ؟

يده تتحرك بارتعاش فوقها ..

انه يعلم انها ليست نائمة .. انها لم تستطع النوم مثله بانتظار اللحظة التي سينفتح بها الباب وينضم اليها ...

انه يعلم ....انها... تتأثر من لمساته .. و ان قلبها الحبيب يشتهي هذا الشعور بخفقات الحب معه .. لكن غاليته خائفة ..

يكاد يشعر ان خوفها يطفو دائما ليشكل حاجزا غير مرئي بينهما ...

ترى مم تخاف حقا ؟!

لكن لايهم .. لايهم ..

لن يكون رافد المجنون بها ان لم يقهر كل الحواجز بينهما ...

سيصل .. اجل سيصل ...



وكيف لايملؤه الامل ان يصل للنهاية وغالية ها هنا في سريره ترتعش من لمسته ؟!

همسة بنبرة غير مصدقة (يا الهي) صدرت عنه وسبقت اقترابه الحميمي منها ليقلبها على ظهرها بحركة عنيفة بعض الشيء يلهث وهو يشرف فوقها ويتطلع لعينيها المتوهجتين في الظلمة..

همست بارتباك وصدرها يعلو ويهبط

" رافد ... لقد قلت .. لن تفعل ما..."

قاطعها وهو يضع يده على فمها ليميل مقتربا نحوها يغمر وجهه في حنايا رقبتها ويهمس باشتعال " لن افعل.. الآن .. ما تخافينه ويربكك كطفلة ... طفلتي انا .."

تنهيدة صدرت عنها فيضيف بشقاوة ونبرة مرتجفة بالمشاعر " لكني .. سأفعل ... كل شيء آخر ... عداه ..."

تأوهاتها تصاعدت وهو يلامسها بجرأة بيديه وشفتيه بل باتت تشعر انه هو بكليته يتوغل في استكشاف روحها فيمسك عمق انوثتها بين كفيه يرويها من سلسبيل عاطفة غريبة عنها لم تشعرها انوثتها يوما في حياتها ...

لم تعد تفقه ما يلمسه منها تحديدا .. بل اختلطت لمساته مع همساته وهي تلهث لتقاوم بينما تتشبث بكتفيه ...

همست باسمه " را...فد ..."



فجاء صوته هامسا خشنا " يا نبض رافد الذي يبقيه حيا حتى الآن .."

ذابت بين يديه بل ذابت فيه لكنها ما زالت تقاوم الاستسلام التام ...

" دادا ..."

صوت لولو ارتفع بالنداء مع صوت اذان الفجر القادم من الجامع القريب ...

خمد جسده تلقائيا وهو يغمر وجهه في رقبتها.. لم يقل شيئا فقط انفاسه الهادرة تعبر عما يعانيه ..

همست غالية بارتعاش " رافد .. ارجوك .. لولو .. تنظر ... الينا .."

لم ينطق بحرف وهو ينسحب بعذاب ليغادر السرير متوجها نحو الباب ولولو تناديه بغضب وخيبة امل " دادا ..دادا ..."

ما زالت غالية مستلقية على ظهرها تحدق في ابنتها وهي تناديه دون ان تبدي ردة فعل نحوها..

انفاسها لم تهدأ حتى بعد مرور دقائق على مغادرته لكن .. هناك ما تستشعره ...

اجل .. انها فقط .. غير منطقية !

لانها ببساطة تشعر كابنتها ...

تناديه خائبة الظن لان ... رحل وتركها..!



صباحا ...

تطلعت منيرة لابنها باستغراب وهو يتناول افطاره بصمت وهدوء مغيظين ...

انه سارح تماما مع افكاره الداخلية التي يوصد عليها ألف باب وباب فلا تستطيع حتى التكهن بها ...

ارادت ان تصب له مزيدا من الشاي فابدى اكتفاءه وهو يقف على قدميه ويقول بنفس هدوء صمته

" هل اتفقتِ مع جدايل ؟"

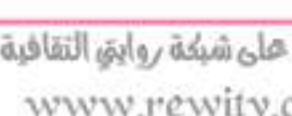
فهزت منيرة رأسها وهي تعقد حاجبيها في تفكير متعجب ثم تقول ردا على سؤاله

" ستأتي بعد ساعة لتقلني لمحل اثواب العرس وستلحقنا فائزة مع جودا وسهر حسب اتفاقنا ليلة الامس "

هز رأسه وهو يقول " جيد ... اذا احتجتم لشيء ابلغوني سأكون في مكتب الصرافة طوال اليوم .. "

ثم تحرك مبتعدا وامه ما زالت تعقد حاجبيها بتفكير ليلتفت اليها سعد فجأة ويقول لها بتحذير شديد وتأكيد جديد

" كما اتفقنا امي .. لن تسألي جودا او اي شخص عن اي شيء مما يثير فضولك منذ فترة.. الزواج سيتم ان شاء الله كما ترغبين لذلك لاتفعلي شيئا قد يعرقله "



هبت منيرة لتقول بلوعة خوف

" لا .. لا .. لن اسأل .. اقسم بالله لن اسأل .. وانا عند وعدي .. حالما تأتي الفتاة عروساً لك في بيتي سأجعل منها امرأة رائعة تليق بك .. كما فعلت مع جدايل قبلها ليأتي ويختطفها المحظوظ ابن المحظوظة .. ابن سليماني .."

تبسم سعد في وجهها ثم عاود الالتفات ليكمل طريقه للخروج ..

في محل اثواب الاعراس ..

تقف جدايل جوار فائزة تحدقان بعجز في النقاش الدائر بين سهر والخالة منيرة بينما اختارت البائعة ان تنسحب تاركة الاختيار الاخير لهم بعد ان اتعبوها باختلافهم حول تصميم الفستان بينما العروس تلتزم الصمت ولا تفعل شيئا الا الاستماع ببعض الشرود مع لمحات توتر رافقتها منذ خروجها صباحا ..

قالت سهر وهي تعقد حاجبيها وتشير لكتفي جودا الابيضين



" انظري اليها خالتي .. تبدو آية في الحسن مع هذا الفستان الراقي المذهل... جودا تمتلك كتفين رائعين يجب اظهارهما .. "

فتعقد منيرة حاجبيها هي الاخرى وتقول بحزم لسهر " تظهرهما لزوجها فقط وبين جدران بيته .. لا لخمسين نفرا يحدقون ببياض كتفيها الرائعين ! .."

تحاول سهر السيطرة على طبعها المعاند فتأخذ نفسا عميقا وتطلقه ببطء استعدادا لجولة اقناع جديدة مع الخالة منيرة ...

تدخلت جدايل لترفع السترة الخفيفة ذو قماش الدانتيل الرقيق الذي تحمله بيدها وتلوح به قائلة بابتسامة لطيفة تهدف لتهدئة حدة النقاش الدائر

" انا من رأيي ان اختيار البائعة لهذه السترة فوق الثوب ملائم جدا .."

فتعترض سهر بالقول " لكنه سيطفئ بعضا من وهج الفستان المميز .."

فتعلق منيرة بلؤم واستهانة " افضل من ان يشعل وهج الغضب لولدي ليلة عرسه .."

اتسعت عينا سهر ببعض العجب لتقول

" لكن لم سيغضب ؟ عدد الحضور قليل نسبيا اختصر للمعارف والاقارب المقربين .. لن يكون هناك غرباء خالتي .. والفستان محتشم ... ليس فاضحا .."



فترد منيرة بشهقة وهي تمد يدها وتربت على كتف جودا " كل هذا وليس فاضحا ؟! يا ابنتي في عرفنا هذه فضيحة سيتكلم عنها القاصي والداني لاشهر مقبلة "

ما زالت فائزة تلتزم الصمت لكن عينيها على جودا التي لاتبدي اي اهتمام بما يدور حولها..

تدخلت جدايل مرة اخرى وهي تلطف الاجواء بالقول " حسن .. اذن دعونا نرى رأي العروس الصامتة "

ثم اقتربت جدايل من جودا تبتسم لها وتسألها

" ما رأيك بالسترة عزيزتي ؟"

اخذت جودا تحدق في جدايل بتدقيق غريب جعل جدايل تتورد !

كانت تمعن النظر بملامح جدايل الرقيقة وسمرتها المحببة ورقة استدارة وجهها الذي حدده الحجاب ...

شعرت جدايل بالحرج من هذا التدقيق الصامت بينما منيرة تعبس وسهر تتأفف ضجرا ..

فجأة تحركت جودا لتأخذ السترة من يد جدايل وتتحرك متجاوزة النساء الثلاث قاصدة عمتها فائزة ..

وقفت امام عمتها المندهشة لتسأل جودا

" ما رأيك انتِ عمتي ؟ بسترة ام بدون سترة ؟"



ابتسامة رقيقة داعبت شفتي فائزة وفاضت عيناها حنانا وامتنانا لانها اعطتها اهمية خاصة في اخذ الرأي .. فردت فائزة وهي تربت على خد جودا

" اختاري ما يعجبك شرط ان يرضي زوجك صغيرتي .."

علا صوت منيرة بالقول " سلم فاك يا فائزة"

فاستدارت جودا لتواجه النساء الثلاث وهي تقف جوار عمتها لتقول

" سأخذه مع السترة ..."

علت زغرودة منيرة وسط المحل بينما سهر تمط شفتيها بغير رضا ومنيرة تمعن باغاظتها وهي تحرك حاجبيها باستمتاع و تبتسم بانشراح..

فقط جدايل من كانت لاهية عنهم تحدق بتفكير واهتمام في جودا التي اخذت تلبس السترة بمساعدة عمتها ... لقد اثارت جودا فضولها المعتاد نحو البشر ...

بعد دقائق دخلت جودا مع عمتها لغرفة التبديل حتى تساعدها بخلع الفستان بينما تحركت جدايل لتحاسب البائعة على ثمن الفستان فقد اصرت من البداية انه سيكون هديتها لسعد وجودا ...

أخذت سهر تمسد على جبينها وهي تبدو منزعجة نزقة ..

تفرست بها منيرة بطارف عينها تلاحظ شحوبها الخفيف بعين خبيرة ..



لم تتمالك منيرة نفسها لتسأل بلهجة شبه جافة تظهر لامبالاتها المصطنعة

" لاتقولي لي انك شاركت بالامس في ركوب الخيل المجنون كباقي المجانين .."

شعرت سهر تلقائيا بالنفور وعبست وهي ترد

" مستحيل ! لااطيق الرائحة هناك .."

اشتد فضول منيرة وهي تقترب من سهر وتسأل بصوت خافت " هل رائحة زوجك ايضا لاتطيقينها هذه الايام ؟"

فتبدي سهر امتعاضا فتقول بتضجر

" احيانا .. لكن لم السؤال خالتي ؟"

فتبتسم منيرة عفويا وهي تحرك حاجبيها وتسأل بابتهاج نسوي بحت

" ألم تخبرك والدتك عن الاشارات ؟"

بدت سهر لاتعي المقصد وهي ترد عليها

" اي اشارات ؟! تقصدين عن ركوب الخيل ؟"

تحرك منيرة اصابعها الاربعة معا مع حركة الشفتين من جانب لجانب تعبيرا عن استهجانها للجهل الذي تغرق فيه سهر وامها معا !

قالت منيرة اخيرا باسلوب ساخر مبطن

" انا لااتكلم عن الخيول ولكن عمن يمتطي الخيول .. يا ابنتي انت تحتاجين لبضعة نصائح من خالتك منيرة بما ان والدتك لم تعطِك حتى الاشارات "

فتحت سهر عينيها بتركيز وقد شدها الموضوع لتقول للخالة منيرة

" من البداية ارجوك خالتي .. اعيدي وفصّلي كل شيء من البداية لاني لم أكن بذهن صافٍ رائق لاستوعب كلامك "

انتفخت اوداج الخالة منيرة ورفعت حاجبا واحدا وهي تقول بفخر

" سأعطيك زبدة خبرتي يا فتاة وادعي لخالتك منيرة لانها ستنتشلك من مستنقع الجهل !.."

بعد ساعات .. في المطعم ..

دخلت سهر لمكتب زوجها وابتسامة عريضة من الاذن للاذن ..

اغلقت الباب خلفها بينما يرفع ياسر عينيه اليها فيبتسم عفويا لمرآها مبتسمة هكذا ..

ابعد الاوراق التي كان يعمل عليها ليتراجع في كرسيه يبتسم باسلوبه الساخر وهو يراها تتغندر بفستانها المشمشي ..

قال لها بصوت أجش " من تغندرك هذا يا مدللة ابيك اظنك انتصرت في أمر ما .."



فتضحك سهر بحبور وهي تلتف حول طاولة
مكتبه لتقف قبالته وتميل نحوه تقترب
بشفتيها من شفتيه دون ان تمسهما بل تحب ان
تثير اشتياقه لقبلة دون ان تعطيه اياها ..

فيبادر ان يطالها هو.. عنوة !

وكما توقعت حصل وهو يسحبها بخشونة
ليجلسها على حجره واصابعه تنغزر في لحمها
الرقيق يتحسس عظام قفصها الصدري من
الخلف بينما ينال شفتيها كما يشتهي ..

تنهدت بشبع وهي تبتعد بوجهها لتسند
جبينها على كتفه الصلب تتوجع بهمس
مشاكس " ايها المتوحش الخشن .. عاشق
العظام "

فيهمس لها بضحكة خافتة وانفاس لاهثة

" فقط عظامك انت ..."

يده تتحرك على ظهرها وهو يضمها اليه
اكثر فتخبره بخفوت متدلل

" اردت شراء فستان اعجبني جدا لكني
تراجعت لانك لن ترضى عن تصميمه .."

رد ويده ترتفع لخط فكها تلامسه بشغف

" جيد انك تراجعتِ .. لا احب الخسارات
المادية ..."

تضحك بينما يسألها بفطنة

" ما الذي يجعلك مستمتعة هكذا ؟ حسب خبرتي بك كنت ستبدين انزعاجا انثويا لانك لم تحصلي على الفستان الذي اعجبك..."

ارخت يدها على صدره وقالت بخفة

" انا مستمتعة بك .. احضني اكثر كما تفعل مع جودا .. "

يمسك يدها بخشونة ويقول بصوت مبحوح

" ايتها الغيورة .. توقفي عن مكرك الانثوي هذا ، اخبريني ماذا يدور في رأسك يا وردية؟"

ضحكت وهي تخفي وجهها في صدره دون ان تخبره بشيء بينما تستمتع بقوة ذراعيه تضمانها لصدره اكثر واكثر ....

عند المغرب ...

لاتعلم لماذا هي غير مرتاحة بجلوسها جواره في السيارة كما يفعلان كل يوم ...

هل هو شعور الحرج الذي يسيطر عليها مما حصل بينهما قبيل الفجر ام ان مشاعرها نحوه تغيرت بشكل يرعبها ولاتعرف كيف تتعامل معها..؟

ام ربما .. صمته المطبق .. تباعده باللمسات التي اعتادتها منه بل تباعده حتى بالنظرات .. وربما كل شيء يربكها ويشعرها بعدم الارتياح..



تنهدت غالية وهي تفكر انها كانت بحاجة ماسة لرؤية فريدة اليوم لكن صديقتها البشوشة مسافرة لبضعة ايام مع زوجها لحضور مؤتمر طبي خارج البلد ..

احمر وجه غالية وهي تتذكر لمساتها المرتبكة لكتفيه .. ما بين تشبث وافتتان !

اجل .. كان هناك خيط افتتان كأنثى برجل يعجبها ويملأ نواقصها ..

تاه منها اسم رافد الذي تعرفه ولدقائق طويلة تشاركتها معه بات (رافدا) اخر .. رجلا يبثها الغرام بحرارة موجعة تستجيب اليها بلهفة جائعة ولولا تلك المقاومة المستمرة في اعماقها لكانت استسلمت له ...

وكم يخيفها الاستسلام الكامل ..

يخيفها ان تخيب ظنه .. يخيفها ان لاتعطيه ما يستحقه .. انه يستحق امرأة فياضة المشاعر تبثه غراما بغرامه ...

" غالية ..."

اجفلت وهي تلتفت اليه لتراه يتفرس في ملامحها بعينين غائمتين فيقول رافد برقة

" اين كنت تسرحين ؟ لقد دخلنا لمرآب البيت وانت في عالم آخر.."

تطلعت غالية حولها لترى انهما يقفان في المرآب فعلا وعن مسافة وفي الحديقة تجلس خالتها اقبال تتطلع اليهما بنظرة مبهمة



ونورية تحمل صغيرتها لولو وهما تفتعلان اهازيج الابتهاج لعودة (ماما) ...

احنت رأسها وهي تفتح عتلة الباب وتهمس

" انا متعبة قليلا .. ربما من ركوب الخيل بالامس وقد تركته لسنوات .."

امسكها من ساعدها فرفعت عينيها اليه تطالعه وهو يقول بنظرات دافئة

" خذي حماما ساخنا طويلا في حوض الاستحمام ستشعرين بعدها بالتحسن "

تبسمت في وجهه بارتباك وترجلت من السيارة وهي تقول له " سأفعل .. حالا .."

تحرك بسيارته متراجعا للخلف ليغادر بينما تتوجه هي ناحية صغيرتها تحتضنها وتقبل وجهها ..

اقبال تنظر للاثنين معا وتستبشر خيرا ..

رغم وجع الروح الذي تنكره لكنها تستبشر خيرا .. الجليد القاسي يذوب بينهما وهذا تلاحظه من فترة دون ان تتدخل فيه ..

يكفيها انها تدخلت سابقا وشجعت ارتباط غالية براغب فكانت كارثة على هذا البيت الذي أرهقت عمرها وأفنت حياتها لاجله ...

هذه المرة ستترك الامور تجري بطبيعتها ..

لن تملك الا الدعاء ..

الدعاء من صميم القلب ...



قالت غالية وهي تقبل رأس خالتها

" سآخذ حماما ساخنا خالتي .. سأحاول ان لا أتاخر .. لكن عضلات جسدي تؤلمني قليلا بسبب ركوب الخيل بالامس .."

تبتسم لها اقبال بحنو وهي تقول

" خذي وقتك بنيتي .. نورية تستطيع البقاء لساعة او ساعتين وانا سأعطيها المال الكافي لسيارة اجرة بدلا من استخدام الحافلات .."

تبسمت غالية وهي تشيح بنظراتها الخجلى بعيدا عن تدقيق خالتها ..

انها تشعر بها .. تشعر انها تراقب ما يجري بفطنة وصمت ..

بعد ساعة دخلت غالية بمبذل الحمام لغرفتها وهي تجفف شعرها بمنشفة صغيرة وتدندن باغنية تحبها ...

اغلقت باب الغرفة خلفها وصوتها يعلو ليشدو في غناء رائق وحالما التفتت شهقت بعنف وسقطت المنشفة من يدها ارضا وهي تحدق في رافد الذي يجلس على حافة السرير يحدق فيها بنظرات متمعنة تفصلها تفصيلا

تمتمت وهي تبتلع ريقها بصعوبة

" ماذا .. تفعل هنا ؟ "

رد بصوت أجش وهو ما زال على جلسته وعيناه تستقران على ساقيها الظاهرتين من تحت حافة المبذل البني





" انتظرك تنهين حمامك .."

تحاول جهدها استعادة رباطة جاشها والتشبث بثقة واهية بالنفس وهي تتقدم لتتوسط الغرفة وتقول

" ظننتك عدت للمطعم "

ابتسامة جانبية شقية رقيقة تلاعب بزاوية فمه وهو يرد عليها بصوت مبحوح

" وانا ظننت نفسي ذاهبا لأجد نفسي عدت ادراجي الى حيث تركتك تلاعبين لولو .. "

تلامس شعرها المبلول وهي تسأله متجاوزة ارتباكها

" هل .. تحتاج لشيء ؟"

توهجت عيناه وهو يقف على قدميه ليقول بنبرة جدية وغامضة " اشيااء ..."

خطوة خذلتها وهي تعيدها للخلف بحركة دفاعية لم تستطع منعها لكن رافد لم يبال وهو يقف مكانه ويشير بيده للسرير ويقول بنبرة تبدو في ظاهرها عادية جدا

" اردت ان اخذ رأيك بتغيير اثاث .. هذه الغرفة ؟"

ارتفع حاجباها ببعض الدهشة وهي تتساءل

" تغييرها ؟! لكن لماذا انها جيدة .."

فيرد بنبرة ذائبة كنظراته نحوها

" السرير .. صغير .."



قلبها ارتج بين اضلعها واتسعت عيناها وهي

تنظر اليه .. لتقول بحشرجة

" انه.... يكفيني .."

عندها فقط تحرك ..

قدماه قطعتا بضعة خطوات نحوها بينما

قدماها تتراجعان بها للخلف وهي تسمعه

يهمس بحرارة مقصد واضح

" لكنه لايكفيني معك .."

بنبرة زاجرة لاهثة

" رافد !"

ارتطم ظهرها بالجدار خلفها ورافد في لحظة

تقدم ليحتجزها باسطا كفيه على جانبي

راسها دون ان يلمسها فيقول بلهاث حار

" هذا اقصى صبري غالية .. اريد ان أكون

معك .. انت لاتعرفين ما حصل لي فجر اليوم..

انا لم أعد احتمل .. بل لم أعد اريد

الاحتمال.. "

احدى يديه تتحرك لتلامس خدها وهي

تحرك رأسها بمقاومة يائسة بينما يضيف

رافد بخفة

" سأغير اثاث الغرفة ليكون مناسبا لشخصين

.. لنا نحن الاثنين فقط..."



بقلم كاردينيا73

همست ترفض بارتعاش

" رافد ..! لا ... ارجوك لاتفعل ..."

لكنه يستمر بهذره الدافئ ليقول مبتسما

" والصغيرة لولو سنجهز لها غرفتي فتكون غرفة لها .. ولاتقلقي ... سنضع جهازا حتى نسمع صوتها اذا استيقظت .."

ما زالت تردد كلمة (لا) بخفوت بينما يميل برأسه يكاد يصل بشفتيه اليها فيهمس بشقاوة

" ترى كيف هو طعمك بعد الحمام "

همسة معترضة تاهت بين شفتيه " راف......"

كادت ساقاها تخذلانها وهي ضائعة تتخبط في نيران عاطفته ولم تشعر الا بيده على حزام مبذلها تحاول فكه ..!

استعادت وعيها لتبعد رأسها جانبا وتتشبث بعقدة الحزام وهي تهمس

" لا ... رافد ... لااااا.. "

يهمس قرب اذنها بعاطفة رجولية تمزقها قبل ان تمزقه " اريد ان اراك غاليتي .. اريد أن ارى المرأة فيك .. "

ازدادت مقاومتها وهي تتشبث بالحزام وتقول

" لااستطيع .. ليس الان .."



فيسألها باشتعال يتوقد بغضب قديم

" اذن متى ؟ قولي لي متى ؟ انا اتعذب غالية ..
اتعذب ..."

عندها ناظرته وهي تلهث من شدة المقاومة ..
لاتعرف لم هذه المقاومة الشرسة التي تبديها
لكن كل استنفاراتها تدعوها بجزع كي
تقاومه ...

قالت بصوت مهزوز لكن لايخلُ من الحزم
والقرار القاطع

" ليس الآن ...وليس هكذا... لااستطيع
ببساطة ان .. أكون لك ..."

شيء ما حصل ..

جرح ..!

هناك جرح تحكي عنه عيناه ..

جرح نازف اوجعها في الصميم وجعلها تشعر
بالندم ...

رفع يديه عنها ببطء مصدوم ثم فجأة اشتعل
الغضب في عينيه .. غضب هادر مجنون فيضرب
بكلتيّ كفيه على الحائط خلفها وهو يهمس
بمشاعر مستعرة غضبا وانفعالا

" تبا غالية ... تبااااا... "

ثم تركها وابتعد بعنف ناحية الباب وما ان
فتحه حتى التفت اليها بملامح تفيض بالغضب
ليقول بشراسة غريبة عنه

" تذكري فقط عند الفجر .. وانت ذرائبة بين ذراعي .. تلامسيني كرجل تريدينه .. لست غبيا حتى لاافهم .. انت تقاومين نفسك غالية .. لاتقاوميني انا ... ففكري جيدا لماذا تقاومين ... "

ثم خرج واغلق الباب بعنف خلفه لتنهار غالية وتنثني ركبتاها حتى جلست ارضا وهي تحدق بعينين متسعتين في الباب المغلق ...

بعد اسبوع ...

تسير سوسن بخطوات متباطئة تحدق في فحوى الورقة التي تحملها بيدها ...

انها ورقة رسمية ممهورة بتوقيع رئيس الجامعة شخصيا ..

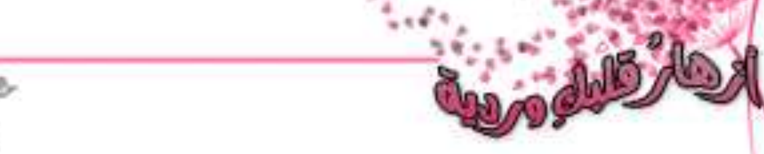
انه تعميم رسمي قادم من رئاسة الجامعة بتبليغ قانوني ملزم من المؤسسة العليا للتعليم..

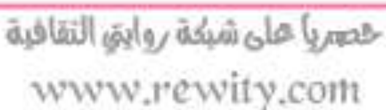
قرار .. بفصل الاستاذ طارق فصلا نهائيا لارجعة فيه لسوء استخدامه لمركزه الوظيفي واساءته لسمعة مهنة التدريس المقدسة...

هذا نص ما هو مكتوب ..

لكن ما ينتشر من اقاويل وشائعات مريعة عنه اسوأ بكثير ..









هناك من يقول انه اغوى احدى الفتيات واهلها من الريف جاؤه منتقمين فانتزعوا رجولة جسده ..

وهناك من يقول انه فعلها بنفسه عامدا متعمدا لانه يعاني من مرض خطير ..

وهناك من يقول انهم اهل زوجته من فعل به هذا عندما اكتشفوا خيانته المستمرة لها ..

ومن خلف تلك الشائعات تسري الهمهمات في أروقة القسم بل في كل ارجاء الجامعة حول ادعاءات واتهامات للاستاذ طارق بأنه يغوي طالباته وان بعض الاهالي تقدموا بشكاوي رسمية لادارة مؤسسة التعليم فأجري تحقيق سري جاءت نتيجته هذا القرار الذي انهى مستقبله كاستاذ جامعي الى الابد ..

فالقرار ملزم لكل جامعة تخضع لانظمة وضوابط وسلطة مؤسسة التعليم العليا ..

شيء ما تحرك في صدر سوسن ...

شعور يقبض على راحتها خلال الاسابيع الماضية لمغادرة هذا الحقير ...

لاتعرف ان كانت تشعر بالندم لانها لم تكن شجاعة بما يكفي لتكشف حقيقة ما حصل قبل سنوات فربما كانت ستنقذ فتيات اخريات غير جودا وقعن في فخه وحطم مستقبلهن ..

اجل انها تشعر انها جبانة .. جبانة جدا ..



العرف والتقاليد كبلاها وربما حتى انانيتها لانها تريد المحافظة على بيتها واسرتها ..

يكفي ما حصل ليلة زفافها على حسين ..

يكفي ما عانته معه حتى وصلا لحالة توازن مقبول ..

" مرحبا استاذة سوسن .."

التفتت سوسن لتجد امامها سعد ينظر اليها بهدوئه الغامض وكم بدى مختلفا عن ذاك اليوم المرعب ...

ابتسمت بلطف وهي ترد تحيته ببعض الحرج

" مرحبا ...كيف حالك..وكيف هي جودا ؟"

رد سعد بتعابير مغلقة " بخير الحمد لله .. انها تتحسن .. "

اطرقت برأسها واحساس الحرج يتزايد في داخلها .. تخاف ان تبدي ملاحظة من اي نوع يستشعرها سعد منها بمقصد مغاير ..

كان يتطلع اليها وكأنه يريد ان تفصح عن شيء ما لكنها لم تستطع تحديد تخميناتها ..

علقت عندما طال وقوفهما الصامت

" يؤسفني ان جودا لن تكمل العام الدراسي .."

رد بنفس النبرة الهادئة " انها تحتاج للاستقرار وستعوض العام المقبل ان شاء الله "

ما زالت عيناه تطلبان شيئا منها فاختارت تخمينا لتطرحه " اردت ان اعلمك .. ان الاستاذ طا... قد تم فصله نهائيا .. لن يطأ بوابة اي جامعة في البلد بطارف اصبعه .."

فرد سعد بسلاسة " علمت هذا اليوم ..."

بنبرة دهشة عبرت " علمت ؟!"

فرد وعيناه تومضان بغضب بارد

" انا كنت ابحث واتقصى عن اخباره هنا وهناك "

تمتمت سوسن بارتباك

" يا اخ سعد .. الاستاذ طارق اخذ جزاءه العادل ويكفيه انه اختفى مختزيا ووصمات من العار تلاحقه ..."

رد سعد وهو يستعيد هدوء نظراته

" اتمنى منك استاذة سوسن اذا علمت انه ظهر في اي مكان ان تخبريني .. "

ثم اضاف بعد لحظة توقف " لن أأمن على جودا اذا فكر بالانتقام ..."

اطرقت سوسن وهي تفكر بل تتذكر ردة فعل حسين في ليلة زفافهما ..

هناك امر ما مشترك بين حسين وسعد ..

انه الغضب والشعور بالتملك والرغبة الرجولية لاثبات احقيته بذاك التملك ..

تمتمت سوسن بهدوء " مؤكد .. لاتقلق .. سأخبرك مباشرة .."

فرد سعد وهو يستدير " شكرا لك .. ممتن لكل ما فعلته لاجل جودا.."

ودون ان ينتظر ردها تحرك مبتعدا وسوسن تشيعه بنظرات مشفقة ...





يكاد يصل لبيته وهو ينهي مكالمته مع ياسر بالقول

" اجل ياسر .. لقد اختفى من العاصمة تماما هو وزوجته .. اجل .. ليس بيدنا فعل المزيد .. حسن .. الى اللقاء .."

بعد دقائق دخل للمطبخ ليجدها هناك ..

لقد احضر جودا منذ الصباح لتقضي نهارها مع امه ..

منذ اسبوع وهو يفعل هذا ويتركها لتعتاد على بيتها الجديد وتخرج من قوقعة الانعزال التي تركن اليها ..

وقف على باب المطبخ فتتملى عيناه من قوامها الخلاب وهو يناظرها من الخلف دون ان تشعر به ..

نفس الفستان الكحلي ذو ياقة البحارة البيضاء .. كم يليق بها ويحرك مشاعره كرجل نحوها ..

غامت عيناه وهو يستعيد تلك القبلة الاولى التي جمعته بها عندما ارتدت هذا الفستان لاول مرة ..

بابتسامة جذلى قال بصوته الرجولي

" مرحبا ..."

التفت جودا بقوة مجفلة وهي تقول

" اخفتني سعد .."

ابتسم لها ابتسامته المشعة وهو يقترب منها

ويحدق اولا في كفيها المتلطخين بعجين

ابيض ثم ترتفع نظراتها لخديها وقد تناثر ت

بعض اللطخات البيضاء عليهما ..

سألها وهو يلامس لطخة على خدها الايسر

" ماذا تفعلين ؟"

ردت بابتسامة حلوة فخورة كالاطفال

" اعد عجين البيتزا كما علمتني خالتي .."

لسبب ما اضمحلت ابتسامته شيئا فشيئا وهو

يحدق في وجهها بغرابة ...

عقدت جودا حاجبيها وهي تسأله

" لماذا تنظر الي هكذا ؟"

رد وهو ينظر بنفس الطريقة

" تبدين جميلة .. جدا "

ودون مقدمات كان يلف ذراعيه حولها ليضمها

بقوة شديدة لصدره ويقبل شفتيها بعنف

عاطفي لم تفهمه ...!

ابتعدت عنه وهي تلهث محمرة الخدين لتهمس

بتقطع

" ماذا ..تفعل سعـ..د .. ستأتي ...خالتي "

شهقت وهو ينحني ليحملها بين ذراعيه ينظر

اليها بنفس عاطفة قبلته ثم قال بمرح

" خالتك منيرة حالما رأتني ادخل بسيارتي

سارعت للادعاء انها ذاهبة لتحدث زوجة

السيد مهيب بأمر عاجل حول الزفاف "

تعلقت برقبته تلطخها باثار العجين وهي تحدق في عينيه وتتمتم بدهشة " لم افهم ..."

كان يدرك ما الذي لاتفهمه ..

انها لاتفهم ما يعتمل في داخله ..

وهو ايضا لايستطيع تفسيره حتى لنفسه ..

انها المرة الاولى التي يشعر بها بكل هذا التشوش وتغلبه عواطف غريبة لاتخلو من شعور المرارة والرغبة في نفس الوقت ..

تمتم وهو يميل لشفتيها

" سأفهمك ..."

ثم سار بها لغرفة الضيوف فدخل واغلق الباب خلفه..

جلس على اقرب اريكة واجلسها في حجره ليشدد من احتضان جسدها المغري فتسري في عروقه الدماء حارة مشتعلة ...

همس وهو يداعب اذنها بشفتيه " هذا هو الوقت المناسب لتطبقي كل تعليمات الخالة منيرة عن كيفية معاملة الزوج "

يقبل عنقها بلهفة لاتعرف حدودا أو سيطرة بينما تذوب هي تارة وتتشنج تارة اخرى ولا تكف عن مناداة اسمه " سـ....عد..."

في داخله تضطرم النيران ما بين عشق وحاجة ملحة فيتمتم بضراوة

" انت زوجتي .. حلالي .. انا ..."



امسكت وجهه فجأة ترفعه ليقابل وجهها ..

انفاسها مجنونة كانفاسه لكن براءة عينيها البلوريتين لاتصدق ...

سألت بتقطع

" لماذا ...تبدو .. مختلفا ...؟! "

رد بغموض وعيناه المميزتان تهدران كهدير مشاعره وانفاسه

" زفافنا بعد اقل من اسبوعين ويجب ان تعتادي عليّ اكثر ...واكثر ..."

ودون ان يمنحها فرصة للتعمق في التفكير اغرقها في دوامة عاطفية اوشكت ان تغرقه هو قبل ان تغرقها هي...

عصرا ...

في عيادة الدكتورة فريدة

قالت فريدة ببشاشتها المعهودة "اذن (المتيم) تعلم اخيرا كيف يخاصمك"

عبست غالية وهي تسأل

" ماذا تقصدين فريدة ؟"

ردت فريدة وهي ترفع حاجبا واحدا بمشاكسة

" انه يفسدك دلالا واوشكت ان ايأس منه ليتعلم متى يرخي الحبل ومتي يشده"

شعرت غاليۃ بالضيق فتدافع عن نفسها بالقول

" انا لااتدلل فريدة ... لكني .. لم استطع ! انا .. خفت..."

سألتها فريدة بهدوء وتركيز

" هل خفت منه ؟ ام خفت على نفسك ؟"

ردت غاليۃ بصراحۃ يلونها الشجن

"خفت .. منه وعلى نفسي ..."

فعبرت فريدة عن تفهمها بابتسامۃ لتقف على قدميها و تخطو عدة خطوات حول طاولۃ مكتبها الابيض لتقول مفسرة وعيناه ترمقان تعابير غاليۃ

" انتِ خفت من ردة فعله ان لم تستطيعي ارضاءه كرجل فينعكس هذا سلبا عليك .."

ما لفت نظر فريدة ان غاليۃ لم تبدي ارتباكا شديدا ناحيۃ هذا الامر بل قالت بهدوء وكأنها تواجه علتها بصبر وتحكم

" هل تلومينني ؟ ما زلت في طور استعادة ثقتي بنفسي.. "

سألتها فريدة فجأة وهي تستند بكفها على حافۃ مكتبها " هل ستخبرينه عن علاقتك الجسديۃ براغب ؟"

ارتفع حاجبا غاليۃ واتسعت عيناها وهي ترد باستهجان

" مستحيل ..."

أمالت فريدة رأسها جانبا وكأنها تفكر للحظات قبل ان تتأوه وهي تتحرك لتعود لكرسيها مرددة

" اووه ... مؤكد .. مستحيل ..."

نادتها غالية فجأة " فريدة؟ "

تبسمت فريدة وهي تنظر اليها وترد ببساطة

" نعم .."

فسألتها غالية بشرود

" هل ترينني امرأة قد .. تثير رغبة الرجال ؟"

التمعت عينا فريدة بذكاء وهو ترد عليها بسلاسة

" وما همك انت من كل الرجال ؟! هناك رجل واحد متيم ينتظر رمشة قبول من عينيك ليريك معنى الاثارة.."

احمرت غالية وهي تسبل اهدابها لتسألها فريدة على حين غرّة

" هل ما زلت تفكرين براغب كرجل ؟"

بنفس التركيز لاحقت فريدة كل اختلاجات غالية ابتداء من السرعة المتوسطة التي رفعت بها رأسها الى تعابير التساؤل التي رسمت محياها ثم تلك النظرات في عينيها والتي تعبر عن استغرابها ..





قالت غالية تعكس الاستغراب في نبرات صوتها واختيار كلماتها

" راغب ؟! شيء غريب .. اراه كطيف بعيد شبه ضبابي وكأنه صديق طفولة او جار قديم اوشكت ان انسى ملامح وجهه..!! "

ثم حدقت في فريدة لتضيف سؤالا حائرا

" هل هذا طبيعي ..؟!!"

هزت فريدة كتفيها ثم قالت

" لم لا ... لايصح الا الصحيح وفي النهاية كل شخص في حياتنا يجب ان يأخذ وضعه المناسب وتأثيره الذي يستحقه .. وراغب كان يأخذ مساحة اكبر من استحقاقه في حياتك بل انه احتل الصورة بأكملها وبعنجهية كريهة منفرة وأحال ارضك الخصبة لصحراء جرداء بحمقه ورعونته وانانيته.."

صمتت غالية تفكر في كلام فريدة وتستذكر الماضي مرة اخرى ..

ماض عاشته في قصة حب وهمية لم تكن الا كرواية هابطة لاتجد ارض واقع تحتويها..

قالت فريدة اخيرا

" انت لم تعودي بحاجة الي يا غالية .. انت الان قادرة على توجيه ذاتك وتفسير ما يجري لك ومن حولك بوضوح .. كل ما تحتاجينه الان ان تكوني شجاعة في اخر خطوة لتبني اساس حياتك الجديدة ... "







بعد ربع ساعة كانت غالية تغادر عيادة فريدة لتفاجأ برافد وهو يغادر المصعد ..

لمحها فتوقفت خطواته ليتقدم منها عابسا وهو يسأل

" اين كنت ؟ كنت اتصل بك وهاتفك مغلق.."

تمتمت وهي تتطلع لملامحه العابسة

" اسفة .. انتهى شحن هاتفي .."

عيناه حادتا للقطعة المستطيلة المعلقة في مقدمة عيادة الدكتورة فريدة فارتفع حاجباه وهو يتمتم

" الدكتورة فريدة طبيبة نفسية ؟! ظننتها نسائية او اطفال ..."

ردت بتورد

" لا .. انها طبيبة نفسية .."

امعن النظر فيها بينما تسبل اهدابها هروبا منه.. وربما هروبا من خفقات قلبها التي تزايدت وهو يحدق فيها هكذا ..

منذ اسبوع وهو يعاملها بطريقة جافة تفوح برائحة الغضب المكبوت ..

منذ اسبوع لايلمسها ولا ينظر في وجهها حتى..

عادت نبرته لجفافها وهو يقول بخفوت " هيا بنا غالية لاعيدك للبيت حتى أعود لعملي.."

ببؤس راته كيف يستدير موليا اياها ظهره ..

انه .. يخاصمها ..



الفصل التاسع والعشرون والاخير

بعد منتصف الليل ..

تتقلب في سريرها ومشاعر سلبية تسيطر عليها..

ما بين خصام رافد المستمر لها من اسبوع ورحلة عودتهما للبيت هذا المساء كانت الاكثر كآبة وقد تخللتها غصة للقلب ..

اغمضت عينيها بقوة ووضعت كفها فوقهما وكأنما تريد محو ما حدث ..

تذكرت عندما كانا في السيارة واقفين على اشارة المرور الحمراء فتوقفت سيارة بيضاء حديثة الطراز نوعا ما بجانبهما ومن جهة رافد..

لاتعلم لم التفتت برأسها يسارا ناحية السيارة ! ربما لانها استشعرت شيئا معينا من رافد الذي كان يجلس جوارها متجهما كما يفعل منذ سبعة ايام مضت ...

غصة القلب حضرت عندما التقطت عيناها توهج الشعر الاحمر لسائقة السيارة البيضاء ..

ثم انعصر القلب وهي ترى رافد يلتفت اليها قليلا فيبتسم لها محييا بصمت وحمراء الشعر ترد له ابتسامته بشجن ثم تلتفت للامام وتنطلق بسيارتها سريعا بتغير الاشارة للاخضر..





ازهار قلبك وردية

زفرت غاليـة بقوة وهي تعنف نفسها تارة على غيرتها وتارة لانها صمتت ولم تنفجر به !

صوت باب يفتح جعلها تبعد يدها عن عينيها وهي ترفع رأسها قليلا عن وسادتها تتسمع للاصوات بترقب ودقات قلبها تتصاعد ...

لخيبـة أملها خطوات رافد لم تقترب من بابها بل تجاوزته ناحيـة السلم كما تظن ..

اعادت رأسها للوسادة وهي تتنهد باحباط ..

كيف تصالحه ؟ كيف تراضيه ؟

كيف تشرح له فربما سيعذرها ...

صوت باب اخر يفتح جعلها تتنبه مرة اخرى ..

عقدت غاليـة حاجبيها وهي تفكر بدهشـة انه لم ينزل السلم حقا .. لقد ذهب للغرفـة الصغيرة في اخر الطابق .. غرفـة الكراكيب!

تحركت لتجلس على السرير وهي تنتظر ..

لاتعرف ما تنتظره حقا لكنها ستنتظر اي اشارات ترشدها لما يفعله في هذا الوقت من الليل وفي غرفـة الكراكيب ..

قلبها نبض بقوة وهي تشعر بخطواته تعود فيدخل غرفته ليعاود الخروج بعد لحظات بخطوات اكثر عنفا وضوضاء ..

وكأنه غاضب ... ينفث لهب غضبه بخطواته !



انزلت قدميها للارض تبحث عن خفيها فتعاود خطوات رافد للاقتراب فيدخل غرفته مرة اخرى ليغيب لحظات اخر ثم يعاود الخروج !

تحركت غالية وهي تعبس بعزم لاكتشاف ما يفعله ..

غادرت غرفتها بقميص نومها القطني ذي الكمين الطويلين .. كان محتشما وقديما ولايحتاج ان تستره بشيء ...

تحركت نحو مصدر الاصوات الذي تعالى في غرفة الكراكيب وكأنه يدفع اغراضا او يسحبها !

وقفت على باب الغرفة المفتوح والانارة التي تعمها تكشف لها ما يفعله رافد ..

ارتفع حاجباها وكست الدهشة ملامحها وهي تراه يعد فرشا في جانب من الغرفة واضح انه اخلاه من بعض الاغراض المكسرة القديمة ..

همست عفويا وهي تحدق فيه محنيا يفترش شرشفا على الفرش القطني " ماذا تفعل ؟! "

التفت متفاجئا نحوها ليعبس في وجهها ويعود اليه تجهمه فيقول بجفاف

" عودي للنوم غالية .."

لكنها عاندته لتدخل الغرفة بثقة وتقترب ما بين الاغراض حتى تصل اليه فتتكتف امامه وتقول بتماسك

" لماذا تريد النوم هنا ؟ .."



لم ينظر اليها هذه المرة فقط بنفس النبرة الجافة يرد

" لادخل لك .. عودي لغرفتك حالا .."

امسكت ذراعه فتجمدت حركته والغطاء في يده فتهمس له بغصة

" انت .. ما زلت غاضبا مني ..."

لايلتفت اليها فقط يعتصر الغطاء بين اصابعه وهي تشدد بقبضتها على ذراعه فتحرك لسانها على شفتيها ترطب جفافهما قبل ان تهمس بارتباك

" رافد .. انا ..."

عندها نفض يدها بعنف واستدار ليواجهها فيقول من بين اسنانه

" ابتعدي عن طريقي غالية .. اريد احضار وسادة اخرى .."

نظرت في عينيه العاصفتين بالغضب والاتهام فتقول بتعقل " كيف ستنام هنا ؟ المكان غير نظيف تماما وضيق من حولك .."

عندها هو من امسك ذراعيها من الجانبين يهزها ويقول بسخرية مريرة

" قلت .... لا .. دخل .. لكِ .. اذهبي واستمتعي بالنوم في سريرك الغالي وحدك .. "

عاندته لتقول بغيظ " لاتكن طفلا ! "



هزها مرة اخرى وهو يقول بغيظ متفجر

" انا طفل .. هل ارتحت الآن .. اذهبي .. اخرجي من غرفتي .."

دفعها للخلف فتراجع جسدها بضع خطوات لكنها تشمخ برأسها وتقول بإصرار يزيد غيظه " انها ليست غرفتك .. هذه غرفة الكراكيب .."

فهتف بها " انها غرفتي الآن .. لاشأن لك بما افعله ..."

لترد عليه بتصميم يلمع في عينيها

" بل هو شأني ... "

فيهزأ منها بالقول الذي يفيض بألم روحه

" حقا ؟ شأنك ؟ ولماذا ؟ أ لأنك تحملين ورقة زواج مني موقوفة التنفيذ ؟!"

رغم تورد وجنتيها الا انها ردت بنفس التصميم

" سمها ما شئت .. لكني لن اسمح لك بالنوم هنا .."

تخصر وهو يقف بمواجهتها متحديا فيقول من بين اسنانه " أريني كيف ستمنعيني .."

لم تنظر اليه وهي تتحرك لتتجاوزه من الممر القصير بين الكراكيب حتى وصلت فرشته فتحمل الغطاء اولا وتستدير بينما يقف رافد في وجهها ويقول بانفاس لاهثة غضبا جنونيا

" اتركي الاغطية ... حالا غالية .."





رفعت عينيها اليه فتتحديانه بالنظرات والقول

" لن افعل ... وسأعاود لأخذ الفرش ايضا "

تجاوزته بخطوة واحدة فقط عندما سحبها بعنف من قميص نومها ليتمزق الكم الايمن من الكتف فاوقعت غالية الغطاء ارضا وهي تمسك بالكم الممزق وتهدر في رافد

" يا الهي .. انظر ما فعلت بسبب غضبك وجنونك .."

رد عليها وشحنات متفجرة تنتشر حولهما في المكان الضيق

" تستحقين ! كما اني سعيد بما حصل لقميص النوم القبيح هذا حتى لاترتدينه مرة اخرى .."

لاتعرف ما جرى لها لتغيظه اكثر وهي تقول بتحد " سأصلحه واعاود ارتداءه كل يوم .."

اتسعت عيناه وبانت زرقتهما كما لم ترهما يوما ليهمس بنبرة اخافتها

" تتحديني ؟! حسن .."

كانت خطوة واحدة تراجعتها للخلف لم تنقذها من جنون افعاله الليلة عندما امسك في لحظة بطرفي ياقة قميص النوم الدائرية وبحركة غاضبة مجنونة مزق القماش القطني لنصفين !

بصدمة تطلعت غالية لقميص النوم وهو يسقط عن جسدها لتظل بقميص داخلي يكاد يكشف معظم جسدها فتتمتم بذهول



" ماذا فعلت ؟!... هل ... هل جننت ؟"

لاتعلم ما جرى بعدها .. كانت استدارت لتغادر هذه الغرفة التي باتت كغرفة للمفرقعات المجنونة المتطايرة هنا وهناك وقبل ان تصل الباب المفتوح كان رافد يسبقها كشهاب ناري فيغلق الباب ويمسكها من ذراعيها العاريين بقسوة يلهث وعيناه تشتعلان بالمشاعر فيهمس هادرا بخشونة

" اجل جننت ... واقسم باللّه لن تخرجي من غرفة الكراكيب هذه حتى تحترقي بكل نيراني......."

قاومته وهي تترنح من صدمتها بما يحدث لكنه حملها عنوة وخفيّها تطايرا في الهواء ..

رمى جسدها على الفرش الارضي وبفقدان سيطرة كامل كان يمزق حتى قميصها الداخلي الرقيق ...

بعد ساعتين ...

عاري الصدر لايلبس الا بنطاله البيتي يجلس على الارض مستندا بظهره للحائط وعيناه لاتفارقان جسد غالية العاري المتكور على نفسه بينما شعرها متناثر يغطي كل وجهها..

لكنه يعرف انها .. مستيقظة ..

لايحتاج ان يبعد تلك الخصل الناعمة عن وجهها ليعرف ..



اخذ يضرب برأسه بخفة على الحائط خلفه

فيناديها همسا مجروحا

" غاليتي .. طفلتي .."

فلا تبدي اي ردة فعل ...

لايستطيع حتى اغماض عينيه ..

لايريد ان يتوقف عن النظر اليها ...

عض شفته السفلى باحتراق وهو يتذكر ما

جرى بينهما ...

قاومته في البداية نعم لكنها كانت بنفس

الوقت ..مرتعشة استجابة لجنون لمساته ..

لقد بادلته جنونه .. يا الهي .. لقد بادلته كل

شيء وكأنها اكثر عطشا منه ليشعر وتشعر ..

تصاعدت وتيرة انفاسه واشتعلت الدماء في

عروقه ... انها .. اجمل وانعم واكثر حرارة مما

حتى حلم به ...

لم يصدق وهو يسمع همسها باسمها " رافد "

تحرك على ركبتيه ليقترب من جسدها

يميل بشفتيه يلثم بشرتها فيهمس بعذاب

العشق " اسف طفلتي .. اسف غاليتي .. غالية

روحي ونبض قلبي .. فقط لو استطيع ايجاد

كلمات تشرح لك كيف اشعر نحوك .."

لم ترد عليه فقط يرتعش جسدها ارتعاشات

خفيفة ..

تطلع حوله مرتبكا فالتقط الشرشف ولفه

حولها ثم اتخذ قراره وهو يقف على قدميه





ليحملها بين ذراعيه وهو يلف الشرشف حولها جيدا ...

كانت في غاية الاستسلام وهو يأخذها للحمام ولم تعترض بهمسة وهو يضعها واقفة في حوض الاستحمام وينزع عنها الشرشف ليرميها بعيدا ..

لايعرف ما يفعله .. لكن شعر انها تحتاجه ..

فتح رشاش الماء الدافئ وأخذ يحممها كطفلة!

وحالما انتهى لفّها بمنشفة واعادها لغرفتها ..

كان يتعذب اكثر وهو يراها كالمخدرة هكذا ولايعرف بماذا تشعر حقا ..

لكن على الاقل هي لم تدفعه بعيدا عنها ..

البسها قميص نوم جديد وجفف لها شعرها ثم مددها على السرير فغطاها جيدا ..

ترك الغرفة ولم يغب الا عشر دقائق ليعود اليها مغتسلا رطب الشعر ودون كلمات تقال كان يضطجع قربها ويلفها بين ذراعيه لتستكين بكليتها فوق قلبه ...



صباحا ..

تطلع ياسر بطارف عينه لرافد وهو يتحرك كالابله بين الموائد فيتعثر هنا ويخبط بساقه هناك ...

كان في وضع غير متوازن على الاطلاق ..

مشوشا ومنتعشا .. ضائعا ما بين عبوس القلق وانشراح بشرارة عاطفية يبصرها الاعمي ..

" ما به رافد هذا الصباح ؟! أكلمه فيرد علي بكلام لاعلاقة له بكلامي ! وكأنه لم يسمعني اصلا .."

التفت ياسر لسهر وهو يقول لها بجلافة

" هل ستحشرين نفسك مع رافد الان ؟! اذهبي وجدي لنفسك عملا نافعا في المطعم .."

نظرت اليه من فوق لتحت قبل تقول بغلظة

" سأبحث في مطبخ قلبك عن بعض الفتات أقدمه لقلبي في القحط الذي يعيشه وسأغلق ابواب عقلك المتخم بالتعابير المخزية وافتتح بنفسي غرفة ملحقة جديدة احشوها حشوا بلطيف الكلام وغزل الغرام اقدمها كوجبات حصرية لي وحدي ..."

لم يتمالك ياسر نفسه ليرتد رأسه للخلف مقهقا بعلو صوته ثم يرمقها بنظرات خاصة تلتمع بمعان عاطفية في دكنة عينيه..



اقتربت منه فتحرك حاجبيها وتهمس بجلافة تعادل جلافته

" اكتفي بهذه النظرات يا داكن العنين فأنت كعاشق لاتجيد غيرها ...! وفي يوم ما ستجدني مهاجرة لجزيرة نائية معتكفة كل البشر بمن فيهم انت اولا .."

أسبل اهدابه وابتسامة صغيرة تتلاعب بخفة على فمه ...

" ياسر .. انا عائد للبيت .. عندي .. أمر مستعجل .."

التفت ياسر لرافد الذي يقف على بعد خطوات منه ويبدو في حالة اغرب من الغرابة ..

وقبل ان يرد عليه بشيء كان رافد يتحرك مبتعدا وهو يحرك رأسه وكأنه يكلم نفسه!

ضربت سهر كفا بكف وهي تقول بتذمر انثوي " اقسم باللّه الرجال كلهم غريبي الاطوار !"

دخل رافد البيت يلقي سلاما مستعجلا على والدته التي تجلس في غرفة المعيشة بينما يسألها " اين غالية ؟"

وقبل ان تنهي جملتها " انها في غرفتها.."

كان يتسلق درجات السلم هرولة ...

وقف عند بابها المغلق لاهثا ورفع قبضته ليطرق عليها بتوتر ..

لم ينتظر ردها ليفتح الباب وقلبه ينبض بجنون ..

رآها تجلس في سريرها وفي يدها كتاب ..

اخذت تبادله النظر للحظات عمها الصمت المطبق ..ثم .. همست باسمه ووجهها يتورد

" رافد .."

اقترب .. اقترب وقدماه تكادان لاتطيقان حمله اليها ..

وعند سريرها جثى على ركبتيه يتطلع اليها باعتذار معذب فيمد يده ويلتقط يدها هامسا

" قولي اني لم أؤذيك ؟ قولي اني منحتك ولو ربع السعادة التي منحتني اياها .."

تخضبت وجنتاها وهي تسبل اهدابها فيعاود توسله " قولي شيئا غاليتي .. انا تائه .. لاعرف كيف فعلت هذا معك .. كما لااستطيع منع نفسي من عيش سعادة وصالك "

انحني بوجهه يلثم باطن كفها بهيام هامسا بصوت مبحوح

" انا اعشقك غالية .. احبك بجنون .. اريدك بجنون .. جنون يجعلني اتصرف كأحمق وغبي وحتى همجي .. انا أحمق مدله بحبك واريد ان تكوني لي بكليتك .. اريد بيأس ان تهمسي اسمي بعاطفة من قلبك .. انا غبي يفتقد الصبر لاني اريد ان ..."



قاطعته بالقول الهامس المرتعش

" لاتؤنب نفسك .. رافد .. انا كنت استفزك اكثر وفي داخلي .. في داخلي .."

احنت وجهها وجملتها تتقطع وتتكرر فيمد يده لذقنها ويرفع وجهها اليه يسألها بلهفة تقطع قلبه تقطيعا

" في داخلك ماذا غالية ؟ افصحي بأي شيء يطفئ نيراني .."

ردت وهي ترفع يدها الحرة لشعرها بارتباك

" ربما ... في داخلي .. كنت اريدك ان .. تفعلها.. ان تجبرني ...على ... فعلها .. انا .. كنت خجلة منك .. مرتبكة وخائفة ان لا.. ارضيك .. "

آهة عذاب سبقت اقترابه منها ليمسك بوجهها بين كفيه ويهمس بنبض خلق لاجلها

" ارتبكي .. اخجلي .. لكن ابدا لاتخافي .. انت لاتعرفين ما فعلته بي ليلة الامس .. لاتعرفين غالية ..لو مت الآن فسأموت متخما بك .."

شهقت رغما عنها وهي تهمس بجزع

" لاتقل هذا .. لاتتذكر الموت .. "

جن بها وشفتاه تجننان بشفتيها ..

وهي ذائبة .. ذائبة جدا وغارقة في خجل فظيع وصور ما فعلته معه ليلة الامس لاتفارق مخيلتها ...



في بيت سعد

" ما الذي يزعجك هكذا ؟"

جملة قالها سعد وهو يحدق بنصف اغماضة في جودا التي تتململ في وقفتها امامه وبتوتر ملحوظ وشراسة نارية مقبلة لامحالة ..

ردت اخيرا وهي عابسة الوجه حانقة الملامح

" لااحب .. جدايل ..."

ارتفاع طفيف في حاجبيه وهو يميل نحوها قليلا متسائلا

" لاتحبين جدايل ؟! لماذا ؟"

هدرت فيه بطفوليتها المعهودة المتمردة

" لااحبها .. لااحبها .. لانك .. لانك تحبها.."

تنهد سعد قبل ان يحدق فيها بغموض ليقول بنبرة غريبة " جدايل ابنة خالتي وكأخت لي .. ان كان يزعجك كونها تملك ما يعجبني فيها كأمراة ناضجة العقل تصون نفسها بكل تصرفاتها فهذا لايفترض ان يجعلك تشعرين بسلبية نحوها .. على العكس .. تعلمي من كل جانب ايجابي يمر بك .. "

كانت تحدق فيه وقلبها يؤلمها بشدة لكن عقلها يلتقط كل كلمة ليضيف سعد بنفس الغموض الهادئ " يجب ان اذهب لعملي .. لقد تأخرت .. "



كانت ما تزال تحدق فيه ليبتسم في وجهها

ويقول بمزاج دافئ

" سيصل بعد ساعة او ساعتين اثاث غرفتنا

الجديدة .. والعمال سيركبونها .. "

ثم التمعت عيناه بشدة مضيفا بمعان مبطنة

" آمل ان يكون سريرنا .. مريحا لك .. كما

سيكون مريحا لي ..."

بعد اسبوعين .. (الخميس)

يوم العرس ...قاعة الحفل مساء ..

ببطنها البارزة يراقصها دون ان يكترث لاحد

خاصة لـ(حماته) المفترضة والتي تحمل لقب

(الخالة منيرة) بدلا من (الام)..

تهمس له جدايل بتوبيخ

" توقف ايهم .. "

لكنه يضحك وهو يلف بجسد زوجته النحيل

الصغير رغم حملها بولده في الشهر السادس..

يهمس قرب اذنها وهي يضمها لصدره دون حياء

من نظرات الاخرين لهما





" تبدين لذيذة يا سمرائي وانت تدعين النضج والرزانة كأي زوجة محافظة محترمة .."

تضحك بخفوت وهي ترد عليه متوعدة

" سأركلك أيهم وامام جميع الحضور ان لم تتوقف عن اغاظة خالتي .."

وكأنها استدعتها ليعلو صوت الخالة منيرة مشحونا بالغيظ " ستنفقع مرارتي ان لم تتوقف عن الدوران بها هكذا ؟! انها ليست دمية .. بل امرأة تحمل طفلك ان كنت لم تفقه هذه الحقيقة حتى الآن .. آآاه .."

شهقة متفاجئة من منيرة عندما باغتها ايهم وهو يميل برأسه نحوها ويطبع قبلة على خدها

ويقول غامزا لها " تبدين اجمل من العروس بثوبك الابيض هذا خالتي .. "

للحظة عبست منيرة وهي تدرس ملامحه الضاحكة وعندما ادركت انه حقا سعيد ومبتهج ولايقصد السخرية منها تخففت من عبوسها الا انها رمته بنظرة لامبالية وهي تقول له

" لاتحاول ألهائي بحلو الكلام عن مراقبة افعالك .. قد تضحك به على عقل ابنة اختي لكن انا ... انسَ ! .. لن تستطيع .. ستجدني كمدفع رشاش مدمر يحولك لمصفى الخضار اذا آذيت جدايل بأي طريقة .."



احمرت جدايل تكتم ضحكتها بينما

جلجلت ضحكات ايهم ليقول بعدها

" الآن علمت من اين تنتقي زوجتي جملها

لتكون خفيفة الظل بشكل مميز هكذا.."

أدعت منيرة انها لم تبالي باطرائه بينما

تتحرك مبتعدة عنهما والفخر يملؤها ...

قال ياسر بخشونة

" من الذي دعا هاجر للعرس ؟"

ردت سهر بحرج " اهدأ ياسر .. ارجوك

لاتحرجني اكثر .. انت تعرف لم يكن لائقا

ان لا ادعوها .. كما انها حضرت بصحبة

خطيبها .."

فيعلق ياسر بصلف وعيناه تبحثان رافد تحديدا

" انه ليس خطيبها رسميا .."

لترد سهر بنزق هذه المرة " بل انه خطيبها

الرسمي .. عقد قرانهما الاسبوع المقبل

وسيرتديان خاتميّ الخطبة "

ثم تأففت قبل ان تضيف " هل تظن انها ستجرؤ

على احضاره معه في مناسبة عامة وامام ابي

دون ان يكون الارتباط رسمي فعلا ؟"

زمّ ياسر شفتيه محبطا من عدم ايجاد رافد

حتى اللحظة بينما يتطلع من بعيد لحمراء

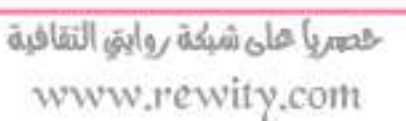
الشعر تلك .. ابنة عم زوجته التي تتمتع

بالجرأة وقلة الحياء كتمتعها بالجمال

الجذاب..

بفضول امعن النظر في خطيبها المفترض ..





شاب من سنه تقريبا بملامح خشنة وقامة متوسطة لكن نظراته لهاجر كان فيها شيء ما .. شيء لم يعجبه !

" شريكي العابس .. ألن تبتسم في وجوه المدعوين كثواب لوجه الله ؟"

ضحكت سهر رغما عنها بينما يلتفت ياسر لرافد وهو يقول " يكفي انك تبتسم ابتسامتك البلهاء هذه نيابة عنا نحن الاثنين!"

جلجلت ضحكات سهر ورافد وياسر يرمقهما مبتسما ...

سأل ياسر وهو يبحث بعينيه

" اين زوجتك ؟"

فيرد رافد وعيناه تلتمعان " نسيت حقيبتها في السيارة .. ستأتي حالا"

" مساء الخير .."

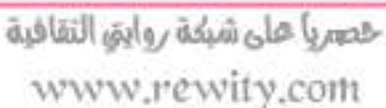
التفت الثلاثة ناحية غالية وهي تلقي تحية المساء ببهجة محببة وقد بدت متألقة قلبا وقالبا بثوبها البرونزي ...

في جناح العرائس ...

يخلع سترته وهو يتطلع للـ(فأرة) الفاتنة في ثوب عرسها وهي تحشر نفسها حشرا في احدى الزوايا وتتطلع اليها بتحفز واستعداد واضح للقتال !







ابتسم سعد وهو يلقي بسترته بعيدا ويفكر
انها كانت متأهبة طوال الليل لهذه اللحظة
التي سيختليان بها ...

الصغيرة المتوحشة قررت ان تبرز مخالبها
ولكن هيهات ان تمنعه ..!

في داخله رغبة عنيفة يصارعها منذ اسابيع ..
رغبة ان يمتلكها كامرأة ..

رغبة كان يعد جودا لتلقيها هذه الليلة ..

رغبة ابعد من ان تكون مجرد احتياج
جسدي..

هو احتياج رجولي بحت .. يبحث عن تأكيد
من نوع ما .. ان امرأته له .. ان يمحو كل
انتهاك تعرضت له باحتلاله الكامل لها ..

ثورة في داخله حاول قمعها بكل الوسائل
والطرق لكنه لم ينتصر .. حتى اللحظة !

كأن فطرته البدائية طغت على حلمه وسعة
صدره وصبره ..

كل ما يريده ان يحصل على هذا التأكيد
وهو واثق انه سيرتاح .. ويريحها معه ...

اقترب منها مبتسما وهو يخلع ربطة عنقه
ليقول بصوت رجولي هادئ

" تعالي يا بلورية العينين .. الزوايا الضيقة لا
تليق ان تضم جمالك .."

صدرها يعلو ويهبط وهي تلتصق التصاقا بتلك
الزاوية لتقول له بعبوس

" لقد قرأت كل شيء على شبكة الانترنت "



وقف قبالتها يستند بساعده على الحائط

جوارها يحدق في جمالها النادر وقد تكلل

بثوب العرس الابيض لتغدو امرأة تحمل فتنة

ساحرة خيالية كقصص الف ليلة وليلة ...

قصص تشعرها بقوة وتعيش سحرها لحظة

بلحظة حتى تغرقك لكنها تظل خيالية ..

تمتم برقة وهو يمد اصبعه يلامس خدها

" ماذا قرأت ؟"

نفضت وجهها بعنف لتبعد اصبعه وتواجهه

بالقول الصريح المتفجر

" كل ما يحدث .. بين العريسين .. ليلة

الزفاف "

قال بتسلية " حقا ؟ كل شيء ..كل شيء ؟"

تطاولت بقامتها وقد استعادت شجاعتها لتقول

له بشراسة " نعم .. وانا لااريد ..."

يطالع ملامحها بتأن وابتسامته ما زالت تداعب

ثغره ليقول بهمس مبحوح

" اذن قررتِ لعبة الفتاة الصغيرة لهذه الليلة "

فتحت فمها لترد لكنه سبقها وهو يميل

لشفتيها يقبلها بعنف عاطفي ثم يبتعد

للحظة يحاول السيطرة على انفاسه وهو يقول

بصوت أجش غريب

" اسف جودا .. الليلة سنطبق كلانا كل

خيالات خالتك منيرة .. وبحذافيرها "





ذراعاه التفتا حول خصرها يرفعها اليه دون

جهد يذكر وهي تحرك رأسها يمينا وشمالا

تقاومه بقلب خافق

" لا .. سعد ..لا .. لا "

فيلثم عنقها وهو يهمس بصوت رجولي

" بل نعم يا ثائرة العواطف .. يا حارة الدماء "

وضاعت اخر همسة من شفتيها باسمه

" سعـــ...ـعد ..."

صباح اليوم التالي .. الجمعة ..

استيقظت سهر بنشاطها المعتاد فأخذت

حمامها وارتدت ملابسها وهي تدندن بصوت

خافت ..

اقتربت من السرير فتنظر بسخرية مرحة

لزوجها الغارق في النوم فتميل نحوه وتقبل

رقبته وتقول

" ابق نائما .. فلينفعك الرقص المجنون مع

رافد ليلة الامس حتى انهككما التعب "

تحركت مستديرة عندما اجفلها وهو يمسك

بمعصمها فجأة ويشدها بقوة وخشونة فتسقط

على صدره متأوهة بينما يسألها بصوت ناعس



" الى اين تذهبين ؟"

رفعت وجهها لتقابل وجهه فترتكز بكوعيها فوق صدره وتقول بميوعة يحبها منها

" انا امرأة عاملة والزبائن بانتظاري لاقدم لهم الفطور "

يطبع قبلة على شفتيها ويقول بهمس خشن

" مغرورة متبجحة .. وكأنك تطهين الافطار بيديك ! "

هذه المرة هي من طبعت قبلة خشنة على شفتيه لتقول له بنفس الميوعة " حبيبي الجلف .. ما اجمل صباحاتي معك "

قهقه ياسر ضاحكا بينما تبتعد عنه سهر وهي تملس على ملابسها ..

بانهاك تام لاتخفف نسمات الصباح من دفء الجو فتخفف عنها بعض تعبها خاصة وهي في اواخر حملها .. تتحرك شهد من محل لآخر .. تكلم هذا وتتفاوض على الاسعار مع ذاك .. تريد ان تنهي الامور المتعلقة بالمشغل قبل ان يستيقظ اسامة فلا يجد جواره على السرير الا جروين صغيرين مشاكسين ..

عضت على شفتها وهي تسير على الرصيف تتجاهل عن تعمد تلك التقلصات المتباعدة ..

لا وقت لديها ... يجب ان تنهي التسوق للطلبيات ...فنجوى .... " آآآه ... "

رغما عنها ندت عن فمها تأوه وجع ، استندت لعمود الانارة وهي تمسك اسفل بطنها وتلهث..







أزهار قلبك وردية

رأتها ... بينما كانت تقود سيارتها ..

بطنها الكبير يكفي لجذب النظر ..

فما بالك بكونها شهد ... زوجة اسامة ...

رأتها كيف تستند لعمود الانارة وبدت متوجعة !

الناس التفوا حولها عندما رفعت شهد رأسها في توجع واضح ..

مباشرة ركنت سيارتها الوردية على جانب الرصيف وهرعت مترجلة منها نحو غريمتها السابقة ...

شهد ..

في المستشفى ..

تنفست سهر الصعداء وهي تستند بكتفها للحائط الابيض ...

حمدت الله انها نقلت شهد للمستشفى في الوقت المناسب...

لاتزال تذكر صرخاتها المتوجعة في السيارة وحالما وصلت بها المستشفى ادخلوها صالة الولادة ولم تمر ربع ساعة الا وانجبت توأمها ... بنتان ...

لامست سهر بطنها وهي تفكر بابتسامة سارحة ...





اصبح لاسامة اربعة اطفال ..

ولدان وبنتان توأم !

" سهر ... سهر ..."

رفعت وجهها لتجده يهرول نحوها ويمسك في كل يد بكف صبي صغير .. لاتحتاج لتفكير حتى تدرك انهما ولداه

ابراهيم واسماعيل ...

بدى في حالة يرثى لها هو وولداه وواضح انه البسهما كيفما اتفق فبدى الثلاث بقمصان مجعدة لم تزرر بشكل صحيح والصغير تحديدا كان عابسا وهو يجر بقميصه ليخرجه من بنطاله بحنق !

" انها بخير .. لاتقلق .."

اول جملة قالتها لوجهه الشاحب الملهوف ..

لتضيف برقة مشفقة على جزعه

" لقد انجبتهما بشكل طبيعي .. وهي تستريح الآن "

رد اسامة وهو يبتلع ريقه بصعوبة

" سأذهب ... اليها .."

سارعت سهر لتقول وهي تمد يديها للامام

" لن يسمحوا للصغيرين الآن .. ما زالت في غرفة الولادة .. اتركهما معي .."

سأل اسامة بتردد " هل انت واثقة .. اسف اننا اثقلنا عليك .."



ابتسمت في وجهه وعيناها تتعلقان بالشيب في شعره فتسرح للحظة وهي تفكر ببضعة شيبات تغزو شعر حبيبها داكن العينين ...

تمتمت بتورد من افكارها " لاعليك .. انا مدينة لكما بالكثير .."

لم يركز اسامة كثيرا بما قالته ليهرول مسرعا ناحية صالة الولادة ..

حدقت سهر في الولد الكبير الذي يشبه والديه معا وبشكل محير فلا تعرف ماذا بالضبط اخذ من كل واحد منهما وان كان واضحا ان اخذ لون عيني اسامة ...

قالت سهر بحلاوة " انت ابراهيم .."

فهز الفتى رأسه بـ(نعم) ابتسمت له قبل ان تلتفت للعابس الصغير الذي يفرك عينيه ناعسا وما زال يشد بقميصه في حركة تمرد واعتراض ليقول اسمه قبلها

" وانا اسماعيل .."

توقف اسماعيل عن دعك عينيه ليرفع وجهه اليها...

ارتفع حاجبا سهر وهي تحدق في نسخة ذكورية من شهد .. نفس البياض والشعر الاسود وهاتان العينان الواسعتان ..

رددت برقة انثوية

" اجمل الاسماء ..."



رن هاتفها فاخرجته سريعا من حقيبتها وقلبها ينبض ببعض الارتباك

اول ما سمعته عندما فتحت الخط صراخه الغاضب من شدة القلق

" اين انت بحق الله ؟!"

ردت سهر وهي تُجلس الولدين على مقاعد قريبة

" انا في المستشفى ...لكـ.."

قاطعها بصوت مبحوح يظهر مدى خوفه عليها

" مستشفى ؟! ماذا حصل ؟ هل تعرضت لحادث؟"

ابتسمت بمحبة ومشاعرها متأججة دون سبب واضح .. ترى .. هل هي الاشارات التي قالت عنها الخالة منيرة ؟

الا يفترض ان تجري التحليل الان ؟

ردت على زوجها الخشن بالقول

" لاتقلق ياسر .. انا بخير .. نقلت .. امرأة على وشك الولادة بسيارتي ..."

فجأة جاء صوت رجولي آخر من خلفها وبنبرة واثقة وواضحة تماما قال

" سهر .. يمكنك الذهاب الآن .. شكرا على كل شيء .."



التفتت سهر وقلبها مع ياسر على الجانب الاخر بينما تتطلع لاسامة بارتباك وهي ترد عليه

" لا شكر على واجب .. مبارك لك التوأم اسامة وابلغ شهد مباركتي ايضا .."

ردد اسامة بابتسامة جذابة

" مؤكد ..."

ثم التفت للولدين وهو يناديهما

" هيا ايها العفريتان .. سنرى الاناث تغزو مملكتنا الذكورية على حين غرة ! "

ابتعد اسامة مع صغيراه بينما ساد صمت مقلق عبر الهاتف ..

ابتلعت سهر ريقها وهي تسأل بهدوء

" ياسر ؟ هل ما زلت معي ؟"

جاء صوت ياسر غريبا مفعما بالشحنات غير المريحة " هل كانت المرأة الحامل .... زوجة اسامة الهاشمي ؟"

ردت والقلق يتصاعد داخلها

" نعم ..رأيتها في الـ.."

قاطعها بنبرة حادة كالسكين

" هل تتبعينه ؟"

هتفت به بحنق " ياسر ! "

ازدادت حدة نبراته مع برود ثلجي اكتسح صوته " هل تتبعين اخباره وتتحسرين ؟!"






جن جنونها وشعرت بطعنة غادرة في قلبها

فصرخت به دون ان تشعر

" انا لم أعد اطيق اسلوبك هذا .."

فصرخ بها بدوره

" لاترفعي صوتك سهر .. هل سمعت .. اياك

ان ترفعي صوتك علي ... "

اخذت دموع القهر تسيل على خديها وهي

تنفجر بعاطفية مبالغ فيها افلتت منها

" انا اثبت لك غرامي بك مرارا وتكرار

وصبرت على اسلوبك الجاف معي .. فعلت كل

شيء لاثبت لك انك من احب ومن فخورة

بانتمائي اليه .. لكني لم أعد اطيق هذا ..

ليس في كل مرة تشكك بي .. قد تغار ..

هذا افهمه لكن ان تشك وتجرحني هكذا

فأنا لم اعد احتمل .."

مسحت دموعها بعنف وهي تعلن بقسوة

" انا ذاهبة لبيت ابي .."

جاءها رد ياسر صادما

" تحركي خطوة خارج المستشفى قبل ان

آتيك بنفسي وستكونين ..طالق .."

في الفندق

تحرك سعد في السرير الواسع وهو يبتسم في نومه يكاد طعم لذة عروسه لايفارق مذاق فمه ...

احساس غريب بارد تسلل بعبث لدفء الامتلاء العاطفي الذي يرخي عليه بظلال النعاس ..

رمش وهو يفتح عينيه بينما كفاه عفويا تبحثان عمن تجاوره ..

صدمة برودة مكانها ايقظت حواسه ..

نهض بجذعه يتلفت حوله وهو يناديها فلا يلق الا الصمت من حوله !

عبس وهو ينزل قدميه للارض وقبل ان يقف رآى ورقة على المنضدة الجانبية ..

قلبه يخفق بحدس مسبق خطير ...

التقط الورقة وأخذ يقرؤها ...

ويا ليته لم يفعل ...!

اتسعت عيناه وتجهمت ملامحه وهو يقرأ خربشات خطها ...

تمتم اسمها من بين اسنانه

" جودا ..."



كان ينزل اولى درجات السلم عندما لاحقته بخطواتها المتعثرة ...

يبتسم بجذل وعيناه تسرحان الى ما ينكشف من فتحة الجلباب العسلي الذي توسلها هذا الصباح ان ترتديه من اجله ..

ابتسمت له بتورد وعيناها تتحاشيان النظر لعينيه مباشرة ..

ليلة الامس كانت مشتعلة هائجة .. ثائرة ..!

لولو كانت نائمة جوار جدتها مع نورية التي اقنعوا اهلها بالمبيت ليلا ...

لذلك الغرفة كانت لهما وحدهما ...

وكانا ..كلا منهما ... في جوع سافر لايرحم لعاطفة الاخر..

السرير ضاق بهما فوجدا نفسيهما يسقطان على الارض في جنون عاطفة منفلت طوّح بعقليهما..

قال رافد لها بصوت مبحوح

" لم تزرري الجلباب من الاعلى .."

زاد احمرارها وبيد مرتعشة فعلت ما نوه له بنظراته قبل كلماته ..

مال نحوها هامسا

" سنحضر سريرا جديدا .. واسعا جدا ليحتوي جنوني وهوسي بك غاليتي .."



تمتمت وهي تشعر بالنار تتوهج في خديها

" دعنا ننزل رافد .. خالتي اقبال .. تأخرنا عليها ولا بد ان لولو اتعبتها .."

تنهد بهيام وهو ينظر في عينيها قبل ان يميل لي يطبع قبلة بطيئة دافئة على عنقها ثم يبتعد متحسرا لينزل درجات السلم بتراخ ..

وجد أمه تقف عند باب المطبخ وهي تنادي نورية من الشباك المطل على الحديقة لاحضار لولو حتى تتناول طعامها ..

ابتسم رافد لها بينما يتهلل وجه اقبال سعادة وراحة لرؤياه ..

قالت له وعيناها تكادان تدمعان وهي ترى بوضوح ان علاقته بغالية استقرت

" صباح الخير ..."

فيقترب منها وينحني ليلتقط كفها يقبل ظاهره وهو يقول

" صباح الخير اماه .."

يرفع رأسه فتربت على خده وهي تقول

" وجهك منير بالبشر والفرح .."

ردد وعيناه تحيدان لغالية التي تلقي صباحا متعثرا مفعما بالخجل

" انا فقط ... سعيد ..."

تحركت غالية ناحية المطبخ فهمست اقبال لابنها وصوتها يتحشرج



" كنت اعرف.... انك ستنال منية قلبك...

يا قلب امك ..."

اسبل اهدابه وابتسامته تتسع ليرن هاتفه

فيقول رافد بتذمر

" لابد انه ياسر يشتكي من تأخري كعادته!"

عبس قليلا وهو يتطلع للشاشة فتسأله امه

" ما بك بنيّ ؟"

فيرد وهو يبرم شفتيه بحيرة

" انه رقم غريب .. يبدو من الخارج .."

عادت غالية من المطبخ بينما يفتح رافد

الخط وهو يقول بنبرة حيادية

" من معي ؟!"

لهاث ..

اول ما وصله هو لهاث غاضب !

ثم صوت .. صوت يعرفه طوال حياته

" ايها السارق ...الخائن !"

امتقع وجه رافد ولم يعد يرى اي شيء حوله

بينما يتمتم بصدمة

" راغب ! ..."

لم يكن يميز ترنح امه ولا صراخ غالية

" خالتي اقباااال ..."

فقط يسمع صوت اخيه الاصغر يقطر سما

وحقدا وكرها



" لولا ان قدمت على لجوء هنا لعدت اليك وانتزعتها منك .. كما سبق وانتزعتها من سنوات .."

اتسعت عينا رافد من هول ما يقوله اخوه ..

فيضيف راغب بنفس الحقد

" فقط تذكر .. كلما لمستها .. اني لمستها قبلك وبكل طريقة تخطر ببالك .."

كل شيء اخذ يتحرك حوله ببطء غريب وذهول قاتم ..

عيناه تركزتا على امه المفجوعة النظرات وغالية تسندها بهلع وهي تناديه ...

ثم فجأة اغلقت امه عينيها ولثاني مرة في حياته يرى امه تتهاوى امام ناظريه ...

لكن هذه المرة تجمد مكانه وقلبه...

ينعصر عصرا بألم لا يطاق في صدره ..



خواتم الأزهار

حصل ... في ذلك اليوم ...

فارس الكبرياء ..

مسحت دموعها بعنف وهي تعلن بقسوة

" انا ذاهبة لبيت ابي.."

جاءها رد ياسر صادما

" تحركي خطوة خارج المستشفى قبل ان آتيك بنفسي وستكونين ..طالق .."

كان يلهث وجنون الغيرة المطبق فقط من يحرك منطق عقله.. لا يشعر بلهاثها هي الاخرى على الجهة الاخرى .. لهاث الألم وغصة الصدمة لانه نطق بكلمة (الطلاق) ..

صرخ بها والهاتف يكاد يتكسر في يده

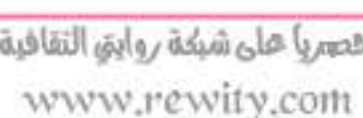
" في اي مستشفى انت ؟"

عندها فقط ردت .. ردت ببكاء هستيري لم يشهده في سهر يوما

" انا في مستشفى (...) للولادة .. تعال ياسر .. تعال واسأل عن شهد .. كلمها .. ستخبرك اني وجدتها على قارعة الطريق .. في الشارع الذي أمر به كل يوم في ذهابي للمطعم .. تأكد منها اني .. اني ..."

تصاعدت وتيرة البكاء فخنق كلماتها بينما ياسر متجمد لايعرف ما يحصل له ...









أزهار قلبك وردية

لتواصل سهر هتسيرية الكلام مع هستيرية البكاء صارخة بعنف وقسوة

" لكن لاتبحث عني هنا لانك .. لن تجدني .. ما دمت .. تبيعني رخيصا ... هكذا.. فانا مكاني ليس معك .. انا ذاهبة .. راحلة .. لبيت .. لبيت .. أأبـــ..."

تراخت الكلمة وتلاشى صوتها بينما عينا ياسر تتسعان بجمود هامسا باسمها بحشرجة ليسمع بعدها صوت ارتطام قوي ثم انقطع الخط ...

وصل للغرفة حيث قالوا له انها تعمل فحوصات الدم التي طلبتها الطبيبة ...

رفع يده لمقبض الباب ..

يده .. ترتعش ..

جسده .. يرتعش ..

قلبه الخشن في الغرام يرتعش ..

سهر ... حامل ؟!

يده لاتستقر على مقبض الباب وهو يغلق عينيه ويسند جبينه على السطح الابيض امامه ...

تمتم بانبهار غريب لايعرف كيف يصفه

" سهر .. حامل .. حامل ؟"







الطبيبة اكدت له الامر .. وظلت تلقي على مسامعه نصائح كيف يجب ان يترفق معها .. كيف يجب ان يتقبل برحابة صدر حدة مزاجها وسرعة بكائها ..كيف انها .. تحتاج لدعمه لانه .. حملها الاول ...

يا الهي .. حبيبته سهر تحمل طفله ..

الوردية ستنجب له طفلا ...

وهو الثور الفظ الغليظ الجلف آذاها ..

آذاها بشكل رهيب ...

تماسك قليلا وبدون ان يقرع الباب حرك مقبضه ليفتحه على مهل .. رويدا رويدا يتسمع للاصوات من خلف هذا الباب ..

جاءه اولا صوتها .. حبيبته المتدللة الحانقة وهي تغيظ في الممرضة قائلة

" قلت لك انا اخاف الابر .. بابا دوما كان معي ولايتركني اتعامل مع هذه الاشياء بمفردي "

رغما عنه تلاعبت ابتسامة على شفتيه ولم يكشف وجوده يتعلل بفضوله لسماع باقي الحوار بينما في الواقع كان يبحث عما يشد أزره ليجد طريقة ويسترضيها ..

يأتي صوت الممرضة صبورا دون ان تخفي هي الاخرى غيظها







" سيدة سهر .. هاتفك تحطم اثر سقوطه منك ارضا عندما اغمي عليك وللاسف ذاكرتك لاتسعفك لتذكر رقم واحد حتى نتصل به ! بمن فيهم والدك العزيز و ..زوجك ..."

تنهدت سهر لترد بنفس التدلل

" لم احفظ رقما في حياتي .. وما حاجتي لفعل ذلك عندما اجد ان من الاسهل الضغط على اسم الشخص في قائمة الاتصال بدلا من كتابة رقمه ! "

هذه المرة كانت تنهيدة الممرضة تؤشر على قرب فقدانها لصبرها فتقول من بين اسنانها

" والحل يا سيدة سهر ؟! الطبيبة تريد تحليل الدم لتكتب لك على فيتامينات ضرورية"

عندها قرر ياسر التدخل فشرع الباب لتسقط عيناه مباشرة على ورديته التي تجلس على حافة سرير ابيض للمعاينة الطارئة تحدق بعبوس في الحقنة التي تحملها الممرضة المتأهبة امامها ..

لكن عبوسها تلاشى حالما رأته وحدقت في عينيه ..

لحظات قصيرة جدا ثم ادارت وجهها بعنف للناحية الاخرى وجسدها النحيل يرتجف بوضوح ...



جف ريقه وهو يحدق فيها وطاقات من مشاعر مهولة تتفجر في داخله ..

تقدم نحوها بينما يسمع الممرضة تعترض على وجوده وتحاول اخراجه ليرد عليها بصوت مبحوح وعيناه لاتفارقان حبيبته الغاضبة

" انا زوجها ..."

هدأت الممرضة فورا بل تنفست الصعداء وهي تقول له

" في وقتك يا استاذ .. تعال واقنع زوجتك ان نأخذ منها عينة دم لاجل الفحوصات المطلوبة .."

تبسم ياسر وهو يقترب من زوجته حتى وقف قبالتها وهي ما زالت تدير وجهها جانبا وجسدها يشي بشدة توترها !

تذكر كلام الطبيبة (لايجب ان تتوتر .. ليس جيدا لها ولا للجنين خاصة في الاشهر الاولى من الحمل ..)

يده ارتفعت لتمسك بذراعها الايسر فتشنجت اكثر وابدت حركة تحاول تخليص ذراعها منه عندها مال لاذنها هامسا بسخرية رقيقة

" يا مدللة ابيك المرأة ستنتحر غيظا .. سأكون معك احميك من .. وخز الابر !"



التفتت نحوه بحدة تناظره بغضب مشتعل في عينيها القطيّتين فاوشك ان يرتكب فضيحة ويمددها عنوة على سرير الطوارئ ليشبعها بعنف عواطفه المستعرة الآن..

احمر خداها وعضّت شفتها السفلى ..

لقد ادركت ما يجول في خاطره من افكار حارة ..

عادت لتحيد برأسها جانبا بينما انفاسها الناعمة المتسارعة تفضحها ..

همست بتنعت رغم تأثرها

" لاتظن ان شيئا ما سيجعلني اتراجع .. انا ذاهبة لبيت والدي .."

تحركت كفه من ذراعها لكتفها وصولا لرأسها من الخلف فيضغطه فجأة ويضمه لجسده عند مستوى اعلى البطن ثم قال بجفاف للممرضة

" يمكنك اخذ العينة الآن .."

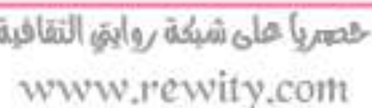
وبانصياع سلمت سهر ذراعها الايمن للممرضة بينما تضغط رأسها أكثر على جسد زوجها وهي تغمض عينيها بشدة تخاف كطفلة من وخزة ابرة ورغما عنها همست باسمه في استنجاد مضحك

" ياسر ..."

لم يرد عليها فقط اصابعه تتلاعب بين ثنايا شعرها عند مؤخرة الرأس ...





عندما خرجت الممرضة كانت سهر تمسح دمعة التوتر التي خانتها ودون ان تتطلع اليه ارادت ان تبتعد عنه فلم يمنحها بغيتها وهو يمسك وجهها بين كفيه بخشونة مألوفة منه ليحدق في عينيها المغمضتين ويسأل بصوت أجش

" هل آذتك الابرة يا مدللة ؟"

فتحرك رأسها بخفة (لا) ...

فيسأل بحشرجة هذه المرة

" لكن انا .. آذيتك .. اليس كذلك ؟"

عندها اخذت تختنق بعبرات البكاء المكتوم فيميل لخدها يقبله بحرارة ويقول هامسا بشعور الندم الفظيع

" انسي كل الهراء السخيف الذي قلته لك على الهاتف .. انا جلف لايطاق وانت تعرفين.."

فتحت عينيها لتفيض منهما الدموع وهي تقول بألم

" لن انسى ابدا ياسر .. انت لاتحبني ولاتعرفني حتى لتشك في حبي لك.."

قال ياسر بتأثر منفلت وانفاس متسارعة تفضح انفعاله وغيرته المجنونة

" انت لاتفهمين .. لاتفهمين جنون غيرتي منه هو تحديدا.. سهر انا .. انا تركت الوطن وما فيه عندما خطبتِ اليه .. قبل سبع سنوات .. لم احتمل .. هل تفهمين ؟ لم .. احتمل ..







وحتى هذه اللحظة في داخلي نار لاتهمد كلما تذكرت انه .. نال ... رضاك .. قبلي .."

قال اخر كلمتين بتقطع شرس متألم رغما عنه ..

حدقت فيه بانتباه مباغت ألهى كل حواسها ثم رفعت يدها تمسح دموعها وهي تسأل بفضول متعطش

" لماذا ياسر ؟ لماذا لم تخبرني ايام الجامعة عن .. عاطفتك نحوي ؟! "

رد ببعض التصلب ودكنة عينيه تشتدان

" لان لي كبريائي سهر .. كبريائي يسبق اي شيء حتى قلبي .. وانا لم يكن لدي ما اقدمه لك ليرضيك .. كنت في بداية طريقي لأبني نفسي وانت .. كنت متدللة فخورة ومتطلبة ولك مواصفات في فارس الاحلام لم تتركي مناسبة الا واعلنتها على الملأ.. فمن انا لاطلب منك الصبر معي ..؟! "

عبرت سهر وهي تنظر اليه بشجن رقيق

" الكبرياء في الحب .."

ثم تساءلت بعجب انثى ذاهلة

" كيف استطعت ان تخفي الامر عني ..؟ كنا دوما معا .. ! انت حتى لم تمنحني نظرة واحدة تشككني بك "

أسبل اهدابه ثم اعترف وهو يصارع عنفوانه

" اعتدت ان ...ارتدي نظارة سوداء ايام الجامعة دون حاجة فعلية لارتدائها .. لكني فعلت فقط لاحدق فيك كما اشاء .. و من بعيد .. دون ان تفطني الي ... الامر كان اشبه بأن احجز مشاعري نحوك في منطقة رمادية آمنة.. انظر اليك دون ان أقترب لألمسك وقد كان لمسك اغلى امنية لي .. "

ثم عاد لينظر اليها مضيفا بحشرجة

" ثم جاءت خطبتك .. له ... لتحطم كل آمالي "

عبست سهر فيعاودها الألم مما حصل بينهما على الهاتف لتهمس

" كل هذا لايمنحك العذر لما قلته لي يا ياسر .. الحب لايمنحك رخصة لتهين وتشكك وتجرح بذريعة الغيرة ..انا .. انا.."

قاطعها وهو يسأل بنبرة منفعلة ونظرات ملتمعة

" هل يرضيك ان اقولها لك ..؟ "

رمشت وهي تحدق في ملامحه المتصلبة فتتساءل " ماذا ؟! "

زفر بقوة قبل ان يرد بهمس وهو يحاوط خدها بكفه

" ان اقول كلمة صريحة طلبتها مني مرارا ولساني يبخل بها عليّ انا قبل ان يبخل بها عليك .. "





ارتفع حاجبا سهر وهي تغرق في دكنة عينيه

الآسرة المميزة التي بدت في أوج سحرها

ليضيف ياسر بجدية وثبات هذه المرة

" سأفعل .. الآن .. ان كان هذا سيخفف من أثر

ما قلته في لحظة رعناء غبية مني .."

بللت شفتيها بطارف لسانها بينما يسبل اهدابه

ليقول بتشنج فاجأها " انا .. انا ..."

لا تعرف كيف ارتفعت يدها لتغطي فمه فرفع

نظراته المتعجبة اليها بينما كانت تهز رأسها

برفض لتقول بعدها بتأثر

" لا .. ياسر .. لاتقلها هكذا .. اريدك ان

تقولها بعفوية .. ان تخرج على لسانك مغردة

بالعشق دون ضغط .. دون قيود .."

كانت تعني ما تقوله ..

ادرك ياسر هذا ..

ادرك انها لاتريد كلمة الحب منه الآن وبهذه

الطريقة التي قد تراها مفتعلة بمعاييرها

الانثوية ..

سأل وكفه تضغط بخشونة على خدها

" اذن ماذا افعل ؟! اخبريني ..."

نظرت اليه باحباط رقيق لتسأل بنبرة

متفكهة

" أيها الفظ الخشن .. أ لاتجيد المصالحة على

الاطلاق ..؟! "



يبتسم لعينيها ويقول بنبرة مشاكسة

" علميني .. انت .. يا .. ام ولدي ؟"

اتسعت عيناها واحمر خداها بعفوية وهي

تتساءل ببلاهة " هل علمت ؟! من اخبرك ؟ "

ضحك منها بخفة دون ان يرد فتتنهد سهر

وهي تبعد يده عن خدها بخشونة تعادل

خشونته قبل ان تقول بابتهاج لعينيه

الهائمتين بها " اريدها وردية .. داكنة

العينين .. فارسة بكبريائها المميز كأبيها ..

وعندها سننتقم منك نحن الاثنتين ايها

الجلف القاسي الذي لايجيد الكلام ..."

ضحكاته الصاخبة علت بينما سهر تنظر اليه

بتوعد ... وردي .. وخاص ...

فارس النبل ...

لم يشعر في حياته بكل هذا الخزي والخجل

وهو يسدد فاتورة الفندق بشكل مبكر وتحت

انظار موظفي الفندق الذين كانت اعينهم

تتساءل بوضوح (اين العروس ؟!)

اما الهمسات والهمهمات فكانت تضغط على

اعصابه اكثر ...

شتم سعد وهو يرمي الحقيبة في صندوق

السيارة .. حقيبة حشر فيها فستان جودا

الابيض حشرا مع باقي ملابسهما ..

(انا ذاهبة للخالة منيرة ، يجب ان اذهب

اليها..)



تلك الفتاة الطائشة ...

تكتب جملة مبهمة كهذه وتنسحب مغادرة الجناح الفندقي ببساطة !

كما توقع وجد امه بانتظاره ..

دخل للبيت وهي تلاحقه بكلامه تهدئه بينما هو يكاد ينفجر من شدة الغيظ والغضب

وقفت منيرة في طريق ابنها وهو في منتصف الممر المؤدي لغرفته تنهت وهي تعبس في وجهه وتقول

" يا فتى توقف ! قلبي لن يحتمل المزيد من ملاحقتك انت وعروسك .."

نظر في عيني امه وسأل من بين اسنانه

" لاترهقي قلبك في شيء اماه فقط ردي علي.. اين هي ؟ .."

وضعت منيرة كفيها على صدر ولدها وتراخى عبوسها لتبتسم في وجهه ابتسامة مضحكة وهي تقول له

" اهدأ بني .. اين ستكون ؟! مؤكد هي مختبئة كفأرة في غرفتكما "

حاول ان يتحرك ليتجاوزها لكنها تشبثت بقميصه وهي تقول له بانفعال

" الفتاة كانت خائفة .. بل قل مرعوبة .."



عقد سعد حاجبيه بقوة وهو يسأل

" مرعوبة ؟! من اي شيء بالضبط ارتعبت ؟! "

تنهدت منيرة بأسى قبل ان تميل نحوه لتهمس وعيناها المنفعلتان في عينيه

" تلك الهبلاء لم تركز في كلامي البارحة كانت في وادي آخر وانا اشرح لها ..! آه يا مرارك يا منيرة ... "

بدى سعد فاقدا لآخر ذرة من صبره وهو يسألها بانزعاج شديد

" امي ارجوك لست في مزاج لـ .."

قاطعته امه وهي تعاود همسها السري معه

" لقد استيقظت فجرا ووجدت بعض .. البقع على ملابسها .. اقصد بقع الـ..... "

قطعت كلمتها الهامسة لتتطاول بقامتها وتبثها في اذنه مباشرة ..

اتسعت عينا سعد بينما منيرة تهمس بغيظ

" المهبولة ظنت انها تعاني من نزيف .. فجاءتني تولول في فزع ..."

هدر سعد وهو يمرر يده فوق رأسه " يا الله ! "

هذه المرة لم تستطع ايقاف خطواته ليصل باب غرفته ويفتحه بقوة بينما عيناه تمران على امه التي لاحقته بندائها وخطواتها فيحذرها بصمت ان تدعه بمفرده مع عروسه المهبولة ..



تنهدت منيرة حسرة بينما ولدها يغلق الباب في وجهها يمنعها التدخل ...

حدقت امامه للحظات قبل ان تعبس وتقول بتجني

" مؤكد هي عين ابن سليماني التي تفلق الحجر ! يجب ان ابخر البيت حالا فيكفي ما عاناه ولدي في صبيحة زفافه .."

ثم تحركت ناحية المطبخ لتخرج من احدى الخزانات عدة البخور ...

اغلق سعد الباب وهو يلمحها تطل برأسها من خلف الخزانة !

ابتلع ريقه متأثرا فيقاوم غضبه وغيظه منها ..

ملامح الارتباك والنظرات البلورية تتوسل السماح الا انها بهذا الوجه الآسر تختطف ما تريد رغما عن انف صاحبه ...

تمتمت بتلهف وجزع وهي ما زالت على وقفتها المختبئة بكل جسدها خلف جانب الخزانة

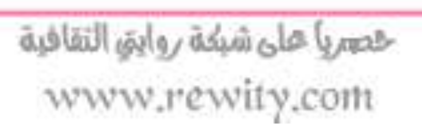
" سعد .. سعد ... انا .. اسفة .."

حدق فيها للحظات قبل ان يقول بصمود

" تعالي جودا .."

لم تتلكأ وهي تخرج بكليتها لتقف امامه ..

انحشرت انفاسه وهو يحدق بقميص نومها الازرق الشفاف ذو الحمالات الرفيعة عند الكتفين ...



شعرها كان مسدلا بعشوائية خلف ظهرها ..

تذكر ليلة الامس بتفاصيلها ..

بل بتفاصيل جودا فيها ..

كل الاعتراض والمخاوف تلاشت منها ما ان اطلق لعواطفه العنان ...

هل هناك انثى لديها كل تلك العواطف النارية المكبوتة لتتفجر دفعة واحدة بشكل عجائبي رهيب ليلة زفافها ؟!

كل لمسة منه كان لها صدا مدويا منها فتمنحه الاضعاف في المقابل ...

تستجيب بفطرة غريبة وكأن مشاعرها القوية نحوه كانت خير معلم لسذاجتها الفاضحة ...

تمتم سعد بصوت مبحوح بينما تقف على بعد متر واحد منه " ما هذا الذي ترتدينه؟"

ردت ببساطة وسلاسة

" خالتي منيرة قالت لي ان البسه لاطفئ غضبك .. كانت تفعل المثل مع والدك .."

حقا لم يستطع ! لم يستطع كتم ضحكته الخافتة لما قالته وبتلك النبرة ...

اقترب منها يريد ان يجد بداية لحوار مهم بينهما فما كان من جودا الا ان قفزت نحوه تتعلق برقبته تقبل شفتيه بحرارة وهي تهمس

" انا اسفة .. اسفة ... سامحني .. سامحني .."

بشق الانفس وبمصارعة رهيبة مع جنون

رغباته اوقفها .. ثم مال ليحملها بين ذراعيه

ويتقدم خطوتين ثم يجلس بها على السرير

المزدوج الابنوسي الجديد ...

بيد غير ثابتة اخذ يزيح خصل شعرها عن

وجهها ليهمس بصوت أجش " ايتها المجنونة ..

لماذا لم توقظيني اذا قلقت من أمر كهذا ؟ "

وجهها المحمر قبالة وجهه وهي تتكلم

بتسارع بتلكؤ

" انت لاتفهم بامور النساء .. حتى عمتي فائزة

لاتفهم لانها .. غير متزوجة .. "

ابتسم برقة وهو يشاكسها بالقول

" وانت يا متزوجة ألم تقولي انك قرات (كل

شيء ... كل شيء) على الانترنت ؟ "

ردت وهي تعقد حاجبيها " لم اصل لهذه

النقطة ..فقد صُدمت مما قبله ! "

تنهد .....لايعرف لم تنهد بالضبط ..

لكنه يشعر بافكار كثيرة تراوده وتحيره ..

قال يصارحها وبنبرة رجولية هادئة

" جودا .. انا لااستطيع منع استغرابي .. كلما

ظننت اني اعرفك اتفاجئ بامور جديدة

منك .. ألا تعرفين اي شيء عن العلاقة

الجسدية بين الزوجين ؟ ألم تتكلم احدى

صديقاتك امامك يوما ؟ ألم يثرك الفضول

لتعرفي قبلا ..؟! "



تغيرت نظراتها ...

بدت مختلفة بشكل عجيب ..

نظرات زجاجية وكأنها انفصلت عن عالمه ..

ردت اخيرا وبنبرة قاطعة ادهشته " لا .. انا دوما كنت ابتعد وأصم اذني عن السماع .. "

سألها وهي يضيق عينيه بتركيز

"لماذا جودا ؟ لماذا ؟"

عيناها لاتحيدان عن عينيه وتلك النظرات الزجاجية تثير فيه بعض القلق او ربما التوتر

فترد عليه " لااعلم .. لكني لم أرد ان اعرف .. كنت اشعر دوما انها منطقة .. خطرة ..الجهل بها افضل ...وأكثر امانا .."

فجأة قالت بتوهان

" دوما كنت اشعر بالتخبط فيما اريد معرفته واتوه في الطرق هنا وهناك .."

عادت نظراتها البلورية لطبيعتهما وهي تنظر اليه بامتنان عميق وعاطفة خاصة فتهمس

" انت سعد .. انت اول من جعلني ارغب ان اعرف حقا وانا .. مطمئنة للنتائج .. "

لامس اعلى خدها باطراف اصابعه وهو يقول

" لكنك قلتِ في البداية انك ..لاتريدين.."

فترد ببساطة منطقها الذي يذهله دوما

" وانت استطعت اقناعي خلال لحظات اني .. اريد .."



اخذ ينظر في عينيها بامعان ..

يتأكد اكثر من مرة من عمق وثبات ما تعبر عنه لانه بغاية الاهمية ان تعرف ما تريد حقا وتسعى لتحقيقه بشكل صحيح ..

قال سعد اخيرا

" ما حصل فجر اليوم .."

وثبت بجسدها لتطبع قبلة على خده تقاطع قوله وتقول " لن يتكرر .. اقسم لك .. سأكون افضل المرة القادمة .. ولن اخذلك.."

ضحك بخفة وهو يحاوط خصرها بذراعيه فيميل معها للخلف وهو يهمس بصوت مبحوح

" أشك ..."

فارس الألم

جالسا على كرسي في ممر المستشفى محني الظهر والرأس للامام ، ذراعاه مطويان وكفاه متشابكان فوق مؤخرة راسه المحني ..

الشعور بالذنب والقهر كرحّى طاحونة صخرية تدور وهو عالق وسطها ...

كلمات راغب تدور وتدور في رأسه فتطحنه طحنا ...

هل هذا راغب الذي رباه ؟!

هل هو اخاه الاصغر الذي ضحى لاجله بكل شيء ؟!



ضحى بغالية .. عشق عمره كله مذ كان صبيا ..

كتم عشقه لها عن الجميع وعض لسانه قبل ان يصدر آهة الوجع ...

لاجل راغب فعل .. لاجل امه فعل .. وعن طيب خاطر رضي بالعذاب الذي لم يعتقه ابدا..

" آآآآآآه ... آآآآآآآه "

لم يدري انه اصدر التأوهات الا عندما شعر بيدها فوق رأسه وصوتها العذب يهمس قرب اذنه

" ستكون بخير .. ان شاء اللّه ستكون بخير"

تحرك ليرفع رأسه اليها فرآها تقف قبالته وانعكاس عذابه في عينيها فيقول بقلب مرتعب

" ستموت .. انا اعلم انها ستموت هذه المرة .. لقد شعرت بهذا غالية .. شعرت اني .. سأفقدها!"

جلست غالية على الكرسي المجاور وهي تعقد حاجبيها وتسأل بتماسك

" عمّ تتحدث رافد ؟! "

رد وهو يصطلي بالألم في كل خلية من خلاياه



" لقد حدثتني قبل فترة عن رغبتها بالعمرة ..
يا الهي .. لقد شعرت حينها .. اني لن استطيع
تحقيق ما تهفو اليه نفسها .. اني سأفقدها قبل
ان احقق لها مبتغاها .."

عبوس غالية تضاعف وهي ترفع يدها
لتمسك كتفه بقسوة وتقول

" هل جننت يا رافد ؟! لا احد على الاطلاق
يستطيع التنبؤ بموت انسان حتى وان كان
اقرب المقربين اليه ... انه علم الغيب ام انك
نسيت هذا ..؟! "

ظل ينظر اليها .. يتشبث بطوق النجاة الذي
ترميه اليه ..

ينتفض جسده وهو يتجرع الألم ليهمس بوجع

" وان حصل غالية .. ان .. فقدتها ! ماذا سأفعل
بدونها ؟"

دمعت عيناها تأثرا رغما عنها لكنها قاومت
لاجله لتشد على كتفه وتقول بصلابة

" عندها سنكون معا .. نواسي بعضنا البعض
ونشد أزر بعض .. سنكون اقوياء مثلها ..
وسنتجلد ونصبر ..."

اطرق رافد برأسه بينما تهمس غالية باسمه

" رافد .."

لكن قبل ان تقول له شيئا خرج الطبيب
فانتفض كلاهما واقفين وبقلبين جزعين
يحدقان في وجه الرجل الاربعيني وهو يبتسم
اليهما معا ...



بعد شهر من ذلك اليوم ...

التفت برأسه باسما بانشراح في وجهها ..

جبينه يتصفد عرقا وهو يناظرها بحب

لايعدله اي حب اخر ..

لا احب على قلبه من حملها هكذا فوق ظهره

كطفلة .. ويسعى بها في الطواف حول

الكعبة ...

ولو حملها هكذا قاطعا بها الصحراء كلها

فلن يشتكي ... بل سيكون حامدا شاكرا

انها فقط موجودة في حياته ..

طفلته الاكثر غلاء من الدنيا وما فيها .. امه

التي يهون لاجلها كل صعب ...

غمزها وهو يسألها

" هل انت بخير يا جميلة ؟ "

دموعها تجري من فرط شعورها بالسعادة وهي

رحاب الكعبة تعتمر ...

تكتفي بهز رأسها ايجابا فعبرة فرح تُعجز

الكلمات على فمها فلا تنطلق .. لكن لاأروع

من ابتسامة تنير وجهها فتزيده حسنا وبهاء ..

تتشبث بكتفي بكرها حتى لاتقع بينما

يمشي بهمة ليكملا معا مناسك العمرة ..

الا يكفيه انها حية وتتنفس ؟!

لقد صدقت غالية ..

لا انسان يستطيع التنبؤ بموت احدهم مهما كان قريبا منه ...

كم يبدو ذاك اليوم بعيدا ...

عندما وقعت امه ارضا ونقلوها للمستشفى ..

ثم وهو منهار مصدوم على احد الكراسي البيضاء هناك ..

لقد كانت غالية معه ..

تشد أزره وتبثه القوة كما لم تفعل يوما في حياتها ..

بعدها لم يكن يستوعب والطبيب يخبره بأن أمه بخير....

انها حتى لم تكن جلطة...

كل ما حدث ... هبوط !

وها هي امه على ظهره وغاليته في مرمى بصره تطوف هي الاخرى حاملة لولو معها .. تتشبث بأستار الكعبة وتبكي من فرط التأثر ...

عودة للوطن....

خرج من غرفة امه وهو يغلق الباب على مهل ..

التفت ليتحرك نحو غرفة المعيشة عندما صادفها في طريقه ..

وقفا متقابلين يحدقان في بعضهما البعض ..





عيناها تقولان من العتب الرقيق.. الكثير ..

وهو .. يتجاهله ...

اطرق بنظراته ارضا وهو يسألها بصوت أجش

" اين لولو ..؟"

ردت بهدوء

" تنام في غرفتها .. اقصد غرفتك القديمة "

اغمض عينيه وهو يفكر بهذه الليلة واين سينام هو ؟!

قلبه ينبض بعنف في صدره...

لشهر كامل وهو يتباعد عنها ويقاوم اشتياقه المجنون اليها...

لشهر يلازم امه .. يعتني بها وينام جوارها يصحو فزعا وسط الليل ليتأكد من انفاسها !

الشعور بالذنب كان رفيقه ليل نهار فيهزم اشتياقه لغاليته ..

بعد مكالمة راغب ظل لاسابيه محطما بشعور الذنب ..

ذنب نحو اخيه الذي ساهم في افساد روحه وجعلها بهذا السواد ..

كاد يفقد كل اتزانه وهو يستعيد كل كلمة مسمومة نطق بها راغب ... فيقتله التفكير ...ويتساءل بلا تصديق ..

هل هذا حقا اخاه الصغير ؟!



وذنب نحو امه التي رضخ لها عندما طالبته بالزواج من غالية ، وهو لم يرضخ عن عدم قدرة بل رضخ لانه لم يقاوم تحقيق حلمه ولو بطريقة مشوهة... فيعذبه ضعفه ..

امه التي كسرها الشعور بالذنب نحوه ولولا رحمة الله وما منحه لهذه الام من قوة لكان استسلم قلبها لآلآمه وتتوقف نبضاته ...

ثم ذنبه نحو غالية ... التي .. لم يرحم ما مرت به من عذاب مع راغب ففرض نفسه زوجا عليها ولو بالاسم فقط حتى حين ....

كل هذا الكم من الذنب جعله يبتعد عن غالية ويقضي جُلّ وقته مع امه ويرعاها ...

ولم يخرجه من دوماته الا ذهابهم للعمرة ، لقد خفف عنه الكثير من وطأة هذه الذنوب .. بل شعر وكأن روحه اغتسلت بطهر المكان ...

قاطع سرحانه صوت غالية

" ستنام جواري الليلة ..."

ارتعش من نبرة صوتها التي فاضت بالتحدي كما فاضت بالاشتياق ..

ابتلع ريقه وهو يرفع عينيه اليها ليقول بابتسامة تتصنع المرح

" امي طردتني شر طرده من غرفتها مدعية ان اشخر في نومي واني ازعجتها كفاية بنومي جوراها لاسابيع مضت .. لذلك انا مضطر للجوء لغرفتك .."





تقدمت غالية نحوه لتقول باصرار

" انها غرفتنا معا يا رافد .. "

تلاشت ابتسامته المصطنعة وتشنجت قبضتاه الى جانبي جسده بينما تميل نحوه تهمس بتلهف من اعماقها

" انا اشتقت لك .."

صدمت وهي تراه يتباعد بجسده قليلا لكنها لم تستسلم لصدمتها لتمد يدها وتتشبث ببلوزته القطنية عند حافة العنق فتهزه وهي تهمس بانفعال وعتب من القلب

" مكالمة واحدة ... مكالمة واحدة يا رافد ولأقل من دقيقة تفعل بك كل هذا ؟!! "

اخذ يهز رأسه وهو يتمتم بألم

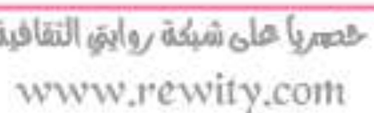
" انت لم تسمعي ما قاله .. كان .. كلاما بشعا..."

اخذت تهزه بقوة اكبر وهي تكاد تصرخ به لكنها ما زالت تتماسك لتكبت رغبة الصراخ وتخنقها العبرة لاستسلامه بينما تهمس له بحشرجة " البشاعة ليست في الكلمات يا رافد .. البشاعة من مصدر تلك الكلمات .. لاحتاج ان اعرف ما قاله لك لافهم ما يؤذيك هكذا.. لكن صدقني لن يكون ابشع ولا افظع مما كان يقوله لي انا ! كان يكرره ويعيده على مسامعي عشرات المرات دون ذرة رحمة حتى قتل كل احساس لدي.."









رفع وجهه اليها بحدة ينظر في عينيها المتألمتين ويقول من بين اسنانه

" ماذا كان يقول لك ؟! قولي غالية .."

صوت قصير باك افلت من حنجرتها قبل ان تتحشرج بالكلمات المتألمة

" لقد حطمني رافد .. أهان انوثتي مرارا ووصمني بابشع الصفات التي قد تشوه روح اي امرأة .. حطم ثقتي بنفسي وامتص رحيق الحياة مني .. كان ينتزع مني كل شيء .. وببطء .. بطء قاتل حتى لم أكن أشعر بما يفعله ..!"

اخذ رافد يشتم ويسب بينما تقترب غالية منه تناشده بالقول الرقيق

" هل ستجعله ينتصر ويحطمني مرة اخرى ؟! "

امسك ذراعيها يهزها دون وعيه وهو يقول بقوة " لن يحطمك شيء وانا موجود .."

اغرورقت عيناها بالدموع وكفاها يسترخيان على اعلى ذراعيه فتهمس له

" سأتحطم ان ... فقدتك .. "

اخذ يهز رأسه نفيا وهو يقول بنبرة قاطعة

" لن تفقديني الا بموتي غالية .."

شهقت بغصة البكاء وهي تلامس كتفيه وتقول

" انا افقدك وانت حي تتنفس امامي .. تهرب مني ... وهذا ... يقتلني قتلا .."



فجأة هدأت ثورته لمناصرتها ليعود مرة اخرى لنأيه الواهن عنها ...

مالت نحوه حتى اوشكت شفتاها ان تلامسا خده فتهمس له بحرارة

" لاتدعه يفعل هذا رافد .. لاتدعه يحقق مراده باتعاسنا .. انظر الي وانظر لامك .. وانظر للولو .. كلنا نعتمد عليك لتبثنا من روحك الرائعة ... روحك انت هي سر سعادتنا في هذا البيت .."

كان يرتجف وهو يقاومها بينما تتشجع لتطبع قبلاتها على خده وفكه وهو تهمس له بقلب متلهف

" ارجوك عد لتحبني .. ارجوك .. عد لتحبيني .. انا اموت بدونك .. لم اعد احتمل مجافاتك لي .. اتوسل اليك .. رافد .. را..فد .. ألم تشتاق لي .. قليلا .. قليلا جدا .."

اصبحت قبلاتها مشتعلة وهي تغمر رقبته وذراعاها تحاوطان كتفيه تشدهما اليها تبغيان دحر ممانعته ...

لم يعد يحتمل وقد تلاشت في رحاب (غاليته) كل الاسباب التي تجعله يقاوم .. كل شيء تراجع مدحورا امام قلبه المشتعل وجدا بعشقها ..

" آآآه ...غاااااالية .."





اخذ يضمها بجنون عاطفة منفلته تاقت روحه قبل جسده اليها ...

عاطفة عاشها معها كاملة الاشتعال لكن لفترة قصيرة قبل ان يحصل ما يحصل ...

الان عادت .. عادت تتأجج بنيرانه ...

همست وهي تبادله النيران بالنيران

" انا اشتقت ... اشتقت جدا لك .. آآه ..."

تأوهت باستجابة قوية له فتحرك بها بعنف واوشك ان يقع معها ارضا في غرفة المعيشة ليعيد معها غرام تلك الليالي ..

" غالية .. غاليتي .. قلبي يموت لاجل قلبك"

كان يحاول خلع ملابسها عنها عندما امسكت ذراعيه بقوة لتهمس له بلهاث

" شششششش ليس هنا .. وليس هكذا ..."

كانت انفاسه تهدر وهو يترنح غراما جائعا لها فيميل بجبينه ويسنده على كتفها ولايعرف كيف يسيطر على نفسه ...

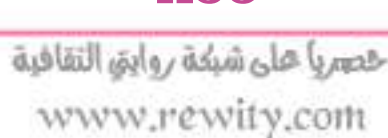
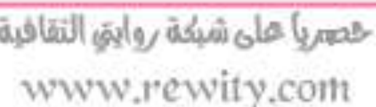
همس اخيرا

" اجل .. ليس هنا .. انا .. موجوع بك واحتاج منك للكثير .. للكثيييييير.."

تحرك ليميل جانبا وبصمت حملها بين ذراعيه وهي تتشبث به بلهفة تعادل لهفته فيتوجه بها ناحية السلم يصعد درجاته وقلبه يكاد يتوقف من لوعة الشوق ..





بعد اسبوع ..

تلامس خديّ حفيدتها المحمرين وتبتسم بمحبة خالصة ورضا نفس ...

تراجعت بظهرها للخلف تستند للوسائد خلفها بينما تتابع حركة غالية في الغرفة وهي ترتب اكوام الملابس ..

سألتها وهي تعاود التطلع لوجه حفيدتها النائمة جوارها

" هل أكملت عزل كل الملابس التي سنعطيها لنورية ؟"

ردت غالية وهي تمسح على جبينها

" نعم خالتي .. وسأضعها لها في اكياس النايلون .."

عينا غالية حادتا لابنتها النائمة لتقول بنبرة ارتياح

" الحمد للّه ان نورية استطاعت شغلها طوال النهار بحوض السباحة المطاطي والا لم أكن استطيع المتابعة مع عمال الاثاث وترتيب الملابس .."

تبسمت اقبال وهي تلتفت لغالية

" الشقيّة اثارت جنون الجيران بصراخها المستمتع طوال ساعات النهار وحتى مغيب الشمس رافضة مغادرة الحوض بكل استبداد"



ضحكت غالية وهي تطوي بعض الملابس وتقول

" لولا مجيء رافد واسلوبه في خداعها لكانت نائمة الآن في ذلك الحوض الوردي .."

نظرت اقبال للقميص الذي تطويه غالية قبل ان تقول بنبرة غريبة

" غالية .. افتحي باب الخزانة الاخير بنيتي"

وضعت غالية القميص جانبا وهي تتوجه لباب الخزانة المقصود قائلة بتساؤل

" هل هناك المزيد من الملابس التي تودين اعطائها خالتي ؟"

ردت اقبال بهدوء

" فقط افتحي باب الخزانة وانظري للفساتين القديمة هناك .."

كانت غالية قد فتحت باب الخزانة فعلا فتبسمت وهي ترفع يدها لتلامس بضع فساتين قديمة تعود لايام شباب خالتها .. فساتين جميلة ما زالت تحافظ على رونقها ..

عيناها التمعتا على فستان محدد جعل قلبها يهفو لطفولتها .. لازالت تذكر نظرتها المنبهرة كلما ارتدت خالتها اقبال هذا الفستان ..

فستان ابيض تناثرت عليه وردات بتلاتها كحلية ودوائر رحيقها ما بين برتقالي واصفر ووردي ..



كان بدون أكمام وملتصقا بالجذع حتى

منطقة الخصر وبعدها يستعرض بشكل مميز

وكأنه وردة بوضع مقلوب ولم تتفتح تماما ..

هذه الوردة المقلوبة هي اجمل جزء فيه ..

كانت خالتها كلما تحركت بكعب حذائها

العالي يتحرك القماش فيبدو وكأن بتلات

الوردة تتفتح حول ساقيها ...

تمتمت غالية بشرود وعيناها تلمعان كتلك

الطفلة التي كانتها يوما وتلاحق ظل خالتها

اقبال باعجاب شديد

" كنتِ تبدين مبهرة بهذا الفستان خالتي .."

جاء صوت اقبال رقيقا وهي تقول

" جدتك رحمها الله من خاطته لي في حفل

تخرجي ، واحتفظ به منذ ذلك الوقت فقط

وسعته قليلا عندما تزايد وزني .."

التفتت غالية لتغمز لخالتها وتقول

" انت رشيقة دوما .. حتى الآن تتمتعين

بالرشاقة .."

بدت اقبال غارقة في افكارها وهي تتطلع

لغالية ..

فجأة همست لنفسها

" كم كنت غبية ! "

ارتفع حاجبا غالية قليلا وهي تسأل

" عفوا خالتي لم اسمع ما قلتِ .."







عندها اسبلت اقبال اهدابها لتقول بابتسامة هادئة

" اقول .. انك كنت معجبة بالفستان في طفولتك .. لذلك هو هدية لك مني حافظي عليه لانه من رائحة امي رحمها الله "

اتسعت عينا غالية وهي تعاود التحديق في الفستان وتقول بانفعال

" حقا خالتي .. ستمنحيني هذا الفستان ؟"

ردت اقبال وهي تعدل من وضعية جسدها لتستلقي

" مؤكد حبيبتي .. خذيه الآن واطفئي الانوار لانام .. اشعر بالنعاس .."

سألتها غالية

" حسن خالتي .. سآخذ لولو ايضا .."

مانعت اقبال وهي تغمض عينيها

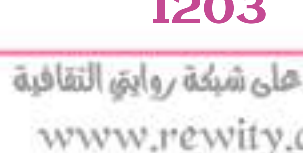
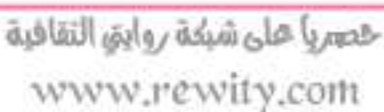
" لا ... دعيها جواري .. انها لن تصحو مبكرا في الغد مع كل النشاطات التي قامت بها هذا اليوم .."

ضحكت غالية وهي تمد يدها لتأخذ الفستان تتطلع اليه بينما تفكر في رافد الذي سيعود من المطعم خلال ساعة...

شكرت غالية خالتها وهي تقبل رأسها ثم اطفأت الاضواء وغادرت الغرفة مع فستانها تاركة اقبال تسترسل في ذكريات الماضي ..





بكرها الحبيب ابن الخامسة عشرة وهو يطلب

منها بكل لهفة ان تحتفظ بالفستان المورد

لاجل عروسه المرتقبة ...

تمتمت اقبال لنفسها تؤنبها

" كم كنتِ غبية يا اقبال وانت لاتفهمين

الاشارات ... مؤكد رآى غالية منبهرة

بالفستان.. ولدي الغالي .. كان يحلم بها

عروسا له منذ ذلك الوقت ..."

ثم ابتسمت وهي تحمد اللّه على ما انعم

عليها..

اغلق باب غرفة امه بهدوء ..

كالعادة يطمئن عليها يوميا عند عودته من

عمله فيجدها احيانا تقرأ القرآن واحيانا يراها

نائمة كما الليلة ...

ابتسامة رضا داعبت ثغره وهي يتمطى

متحركا ناحية السلم ..

تعب النهار ما بين عمال الاثاث في البيت

وعمال تجديد صباغة المطعم جعله يلهث هنا

وهناك بين المكانين ..

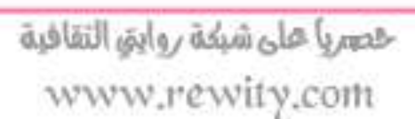
لكن النتيجة تستحق ..

المطعم استعاد رونقه .. والسرير العريض

بانتظاره مع غاليته ..

لن يستسلم لتعب الجسد ابدا ..





فتح باب الغرفة يكلم غالية متثائبا رغما عنه " غالية ... لماذا لولو تنام جوار ..."

توقف عن اتمام جملته وتطاير النعاس من جفنيه بينما يحدق في غالية التي تقف بخجل امامه ...

عيناه جحظتا وهو يحدق بفستانها ...

يا الهي .. انه هو الفستان .. نفس الفستان ..

همس بانفعال وكأنه يخشى التصديق

" هذا .. فستان امي ..."

غمغمت غالية وهي تبتسم بفرح

" اهدته لي .. كانت تعرف اني اعشقه منذ طفولتي .. لكنها لم تهده لي الا اليوم .."

خنقته العبرة ...

لا بد ان امه تذكرت وعدها له ...

قبل سنوات طويلة عندما بدأ يرسم اولى احلامه عن طفلته التي ستكبر وتصبح عروسه فكان يلاحق كل ما تحبه ويسعى ان يحضره لاجلها .. وعندما تنبه لانبهار غالية بهذا الفستان سارع ليأخذ وعدا من امه انها ستحافظ على الفستان لاجل عروسه هو ...

تقدمت غالية نحوه وشعرها الطويل اللامع مفرودا على كتفيها ويلامس ذراعيها فتسأله بلهفة طفلة تستشعر سعادتها

" ما رأيك..جميل جدا اليس كذلك ؟ انه جميل كالحلم..بل انه حلم طفولتي يتحقق "



فجأة رأت دموعا تلتمع في عينيه فترفع يدها عفويا لتلامس خده باضطراب وتهمس

" رافد ..ما بك ؟! عيناك تلتمعان بالدموع !
هل ما زلت قلقا على خالتي اقبال ؟ "

قال والعبرات تتكالب عليه

" خالتك اقبال..تحقق حلمنا نحن الاثنين .. "

رمشت غالية وهي تقول

" لم افهم ... ! "

دمعة واحدة خانته وسالت على خده بينما يقول بابتسامة ذائبة

" منذ مراهقتي اخذت منها وعدا انها ستحتفظ بالفستان لعروسي .."

ارتعشت ابتسامة غالية وهي تميل لتقبل دمعته السارحة على خده وتهمس بعذوبة

" وانا لحسن الحظ عروسك .."

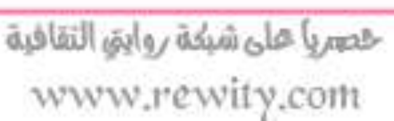
هز رأسه وهو يسبل اهدابه ويقول بتأثر بالغ

" انت لاتفهمين .. لقد كنتُ اريده لك انتِ ..
كنت اعرف كم تحبينه .."

فاضت كل مشاعرها نحوه ولم تشعر الا بدموعها التي اخذت تجري على خديها مدرارا بينما كانت تمسك وجهه بين كفيها لتقبله بجنون هامسة بلوعة

" من انت حقا وكيف تستطيع ان تكون هكذا انت ؟! "







همس اسمها وكأن قلبه من ينطق حروفه

" غاليۃ .."

ما زلت تفيض عليه بعواطفها فتهمس

باعترافات مرتعشۃ بحقائق الماضي والحاضر

" يا روح غاليۃ..كيف استطعت ان تكون لي

كل هذا؟! الاب الحاني علي والاخ الذي يذود

بروحه لاجلي .. الصديق الذي شاركني فرحي

وحزني .. انت .. انت ... فارسي المغوار .. فارس

قلبي ... بل كلي ... ملك لك ..."

من اعماق صدره خرج صوته ملتاعا وهو

يعتصرها لصدرها " آآآآه ... رباه ... الا حدود

لعذابك غاليتي .. "

غمرت نفسها فيه شفتاها اسفل رقبته تهمس

وهمسها يرسم كالوشم على بشرته

" انا .. احبك ... رافد .."

حطمت اسوار السنوات الماضيۃ واعادته لتلك

اللحظۃ عندما خطفت قلبه الفتيّ المراهق

بكلمۃ (احبك رافد) ..

وكأن ما كان لم يكن ..

هذه طفلته تخبره انها تحبه ..

فلا شيء بعدها سيكون له أثر كأثرها ..

تواصل هي الترديد بشغف (احبك ..)

وكأنها تتنفس الكلمۃ ثم تبثها في رئتيه هو

ليتشبع بها...



صوت ممزق خرج منه وقد فقد صوابه لوشوم همساتها .. يداه تكتسحان جسدها و نعومة شعرها .. ولم تكن هي بأقل منه بل كانت هذه المرة هي المبادرة اكثر فتغرقه بعاطفة لاتعرف ولاتعترف الا به هو ..

ومر شهر آخر ..

في بيت سعد ..

تختبئ خلف الخالة منيرة دون ان تخفي وجهها الذي تنطق ملامحه بالعفرتة والحنق ...

يشد على فكيه وهو يقول لها بهدوء يسبق العاصفة

" تعالي هنا جودا ..."

فتتدخل منيرة بابتسامة مداهنة تحاول بها تهدئة ولدها وهي تقول

" فتاة ساذجة ولم تتصور ان الامر بهذه الاهمية بني .."

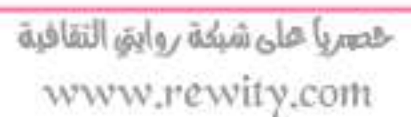
وانطلقت العاصفة ليرعد صوت سعد

" تعالي هنا .. حالا ..."

تتقافز جودا من خلف قامة منيرة وهي تتحداه بطفولية وتقول " لن افعل .. وسأخبر ياسر عنك.. سأقول انك.... انك .. تضربني ؟"

تجمدت ابتسامة المداهنة على فم منيرة لتقول من بين اسنانها المطبقة





" ايتها المجنونة البلهاء التي ستثير من حولنا الزوابع والاعاصير ! "

تقدم سعد والغضب يسطع من عينيه فتسارع منيرة لتقف في طريقه تاركة جودا خلفها لتحاوره وهي تترجاه بالقول اللين

" ارجوك بني .. اهدأ قليلا وسنصحح الضرر.."

قال سعد وعيناه ثابتتان على عيني جودا التي تشع عينيها تحديا

" امي ابتعدي فقط .. انها تفعلها في كل مرة وتهرع اليك مختبئة خلفك ... "

عادت تترجاه وهي تربت بكفيها على صدره العضلي " دعها لي هذه المرة فقط وسأجعلها تعترف بخطئها وتعتذر منك "

صرخ سعد وتكاد عيناه تجحظان كلما تذكر فعلتها هذا الصباح

" لقد مسحت قائمة الارقام بالكامل من هاتفي! كيف سأعرف زبائني الآن ؟ "

عندها صرخت جودا " بل قل الزبونات المتميعات يا محب النساء .."

زمجر سعد والحنق والغيظ يمسكان بتلابيبه فتعاود امه امساكه من صدره وهي تهتف لجودا بغيظ

" حسبي اللّه ونعم الوكيل .. سأقطع لسانك يا فتاة ان لم يسبقني ولدي لفعلها قبلي .."

لكن جودا ظلت تتقافز بتحفز وهي تقول

لخالتها منيرة " يستحق خالتي يستحق ..

سمعته يضحك معها منذ الصباح الباكر .. بل

كان يقهقه بعلو صوته .."

عبست منيرة وهي تسأل بفضول ناسية ولدها

الذي تتشبث بخناقه " من هي ؟ هل نعرفها ؟ "

ردت جودا بنفس التحفز وهي تحدق في عيني

حماتها " اسمها اسراء ... اسم سخيف مثلها ..

سمراء ... خضراء العينين تظن نفسها جميلة

تلك الجعداء الشعر المفلطحة الانف .."

أمالت منيرة رأسها وتضيق عينيها وكأنها

تفكر قبل ان تقول " لم تخبريني عن اسراء

هذه ! كيف رأيتها وعرفت شكلها ؟"

ردت جودا وهي تهز رأسها بفخر

" وجدت حسابها على الفيس بوك .. "

تركت منيرة ابنها والتفتت لجودا تطالبها

بمسكنة طفولية

" ستريني اياها جودا اليس كذلك ؟ "

ينقل نظره من امه لجودا ليضرب سعد كفا

بكف وهو يقول

" اعني يا اللّه.."

ثم استدار تاركا اياهما بمفردهما ليعود

للغرفة وهو يرغي ويزبد ..



غير ملابسه ومزاجه في أشد درجات التعكر ..

اخرج حذاءه وبينما كان يرتديه دخلت عليه جودا تقدم خطوة وتؤخر اخرى ...

لم يلتفت لها وهو يلتقط هاتفه ويتمتم

" عسى ان اجد مخزونا للذاكرة في حاسوب المكتب استعيد منه ارقام عملائي .."

تجاهلها وهو يمر من جانبها ناحية الباب فتجرأت تلك المتهورة الطائشة على الامساك بساعده ..

اغمض عينيه وهو يقول بصوت محذر

" لقد وصلت لآخري معك اليوم .. اتركيني الآن لدي مواعيد مهمة ..وحسابنا فيما بعد .."

قالت بنبرة تنضح بشعور الذنب

" انا لدي مخزون لذاكرة هاتفك .. خزنته قبل ان .. امحو سجل الارقام .."

فتح عينيه يحدق فيها وهو يحرك فكيه ساحقا اسنانه بينما يداه تغريانه بخنق عنقها الابيض هذا !

امسكت كفه المتوتر واخذت تدلكه بعزم حتى يلين وحالما سمعته يطلق تنهيدته رفعت تلك الكف لفمها تلثمه وهي تهمس

" انا اغار عليك بجنون .. لم أكن اعرف معنى هذا الشعور المؤلم الذي ينتابني كلما رأيت فتاة حولك .. لكن الان .. انا بتُّ اعرفه .. انا اغار عليك .. اغار جدا يا سعد .."







ابتسم لها وهو يلامس شفتيها ليقول بصوته الرجولي

" ايتها الطفلة الفائرة بالعواطف المجنونة..
ماذا تفعلين بي ؟! بت لا اعرف نفسي وانا انتقل
بسرعة الضوء من حال الى حال ! "

تضحك بخفة ثم تطبع قبلة حارة على باطن كفه لتقول بعدها

" اعطني هاتفك لاصلح خطأي .."

سحبها اليه ثم اغلق باب الغرفة بركلة من قدمه وهو يقول بصوت مبحوح

" ساساعدك في تصليح الخطأ .. انه قدري يا فتاة الادغال .. ان اصلح لك ومعك .. "

مساء...

حفل لعوائل الموظفين برعاية مؤسسة الجراح عوامة على ضفاف النهر ..

امسك طاهر الاحمدي بكف ابنة اخيه ليقدمها لرئيس المؤسسة قائلا بابتسامة ودودة
" سيد هيثم .. اقدم لك ابنة اخي هاجر ..
لقد اخبرتك عنها سابقا .. "

نظر هيثم الجراح للصهباء الجميلة وقد بدت له شاحبة بعض الشيء ونظراتها الواثقة الثابتة تخفيان ارتعاشا داخليا..

لقد تذكرها قبل اشهر..

في عرس ابنة طاهر الاحمدي ..



تمتم هيثم وهو يبتسم بلباقة قائلا

" نعم مؤكد استاذ طاهر .. سآمر صباح اول يوم عمل بتعيينها في القسم الاعلامي للمؤسسة "

تنبه لذلك التشنج المفاجئ من جسد شهرزاد الذي يلفه بذراعه كعادته فتحركت كل حواسه نحوها تراقبها عن كثب قلق ...

فقد تركيزه تماما عندما دفعت ذراعه بسلاسة عن خصرها وهي تقول ببرود غامض اربكه اكثر

" ساذهب لاحضر لنفسي بعض العصير .. "

انسحبت شهرزاد بينما هيثم يشعر بالضيق والحنق لابتعادها ...

دوما لاتشعره بالراحة عندما تتعمد الانسحاب والانغلاق وتجعله يفكر بألف فكرة عما يدور في خلدها ..

شهرزاد لم تعد ابدا ذاك الكتاب المفتوح امامه .. بل ربما هو من توهم انها كانت يوما ما كتابا مفتوحا له بينما في الواقع لم يعرف كيف يقرأها الا بعد الطلاق الذي حصل ...

" مساء الخير ... "

التفت هيثم ليحيي بلطف سهر الاحمدي .. مخفيا بحكنة تشتت افكاره مع زوجته ..

ابتسمت سهر لوجه هاجر بتشجيع وهي تقول لها ببشاشة " مبروك الوظيفة الجديدة .. "



ردت هاجر بابتسامة شاحبة كشحوب داخلها بينما اخذت سهر تناغش والدها وتعتب عليه بدلع لانه لم يسعَ لايجاد وظيفة لها كما فعل مع ابنة اخيه فيضحك طاهر الاحمدي بحبور بينما كفه لاتزال تمسك بكف ابنة اخيه تشد عليها وهي تطرق برأسها ارضا تحاول استعادة رباطة جأشها التي تفلت منها بين فينة واخرى ...

لم تدرك هاجر ان زوجان من العيون تراقبانها عن كثب ..

زوج رمادي يراقبها بفضول واعجاب ذكوري وهو يحاول التذكر اين رآها سابقا ..

وزوج .. بني داكن .. بنظرات تفيض خشونة كخشونة ملامحه القاسية الغاضبة ..

الاول كان منذر والثاني لم يكن الا فرقد الذي يتوارى في زاوية لايراه فيها احد على الاطلاق ...

عن مسافة ليست بالقصيرة يراقب ياسر ورديته بفخر يلتمع في دكنة عينيه ..

يراها كيف تتدلل وتتميع فوق كتف ابيها..

تلك الوردية لن تتغير...

تبسم ياسر وهو يرتشف من عصيره ويفكر ...

انه لا يريدها ان تتغير..



انه يحبها هكذا وجلافته تتلهف دوما لتشاكس ميوعتها..

رآها تتحرك نحوه بفستاها الفضي والتميمة تتأرجح على صدرها ..

فستانها لايخفي بروز بطنها الطفيف ..

انها تحمل طفله .. طفله هو ..

يناكفها على الدوام مدعيا رغبته بولد ذكر ليستمتع بها وهي تصر انها تحمل وردية صغيرة داكنة العينين كابيها ..

اسبل اهدابه وهو يفكر بما يتنويه الليلة ..

شبكت يدها بيده وهي تقول ببعض التوتر

" هاجر تقلقني يا ياسر .."

ارتفع بنظراته اليها يحدق في خضرة عينيها للحظة قبل ان ينتقل بنظراته ناحية الصهباء التي تمسك بيد عمها وكأنها طفلة خائفة رغم ادعائها الشجاعة والتماسك ..

قال ياسر " ألم تعرفي لماذا فسخت خطبتها على فرقد ذاك ؟"

ردت سهر ببعض التوتر " لاتريد ان تتكلم في الموضوع مع احد .. لكنني أشك بأن ابي ربما يعرف .."

سالها وهو يعاود الاتشاف من عصيره

" هل فسخا عقد القران رسميا ؟"






ردت سهر بتنهيدة

" نعم ... والدي انهاه اليوم تحديدا وتوسط لها لتعمل في مؤسسة الجراح بعد ان تركت العمل في المحطة الفضائية .. لهذا أصر ان تحضر حفل الليلة ... "

ثم اضافت والحنق يتجلى في عينيها القطيتين

" لحسن الحظ تخلصنا دون مشاكل كبيرة من ذلك السافل الذي لانعرف ما فعله بهاجر لتغدو غير متوازنة هكذا ! "

تبسّم ياسر بطريقة مستفزة ليمد يده يتلاعب بالتميمة بين اصابعه وهو يقول

" اصبحت شرسة وعدوانية .. هورمونات الحمل تفعل الاعاجيب بك .."

ضربته على يده ليترك تميمتها ثم اخذت تحدق فيه عاقدة الحاجبين وكأنه فعل او يفعل ما يضايقها ..

سألها بنبرة ساخرة مرحة

" لماذا تنظرين الي هكذا وكأنك تريدين صفعي وانت تعلمين انك لاتستطيعين فعلها !"

عنفته بحنق

" ايها المغرور .. الفظ .. انا حامل وانت تستفزني.."

يضحك بينما عيناه تستقران على التميمة فيغيظها اكثر لتهدر به

" لماذا تنظر للتميمة هكذا ؟! بل لماذا طلبت مني ارتداءها الليلة ؟! "





رد ببراءة مغيظة وهو ينهي ارتشاف عصيره

" لانها تليق بفستانك "

عضت شفتها السفلى بقهر وهي تحاول استفزازه بالقول " انها هدية من معجب ... هل تذكر ؟"

هز كتفيه بلامبالاة وهو يعلق ساخرا

" وربما مقلب من احداهن ! ألم يكن هذا كلامك سابقا ؟ "

ضربت بقدمها الارض وهي تهمس بقهر مدللة

" ياسر ! ألم تعد تغار علي ؟"

عيناه تمعنان في وجهها المحتقن انفعالا فيهمس لها " سأحضر لك بعض العصير البارد تبدين .. على وشك الاشتعال.. "

اوشكت ان تنفجر به عندما تركها ومضى وقبل ان تخطو خطوة لتلاحقه بنيرانها جاءها صوت انثوي يسبقه عطر مسكي مميز

" مرحبا .. انت سهر ابنة السيد طاهر اليس كذلك ؟"

اخذت سهر نفسا لتستعيد هدوئها بينما تلتفت بابتسامة حلوة قائلة

" نعم .. مرحبا سيدة شهرزاد "

حدقت سهر باعجاب شديد بجمال هذا المرأة المميزة .. جمال خمري عجيب لايحتاج لشيء ليبرز انوثتها .. انها تملك هبة جمال ربانية تسعى الآف النساء لنيلها ...



تمتمت شهرزاد بابتسامة ساحرة زادتها تميزا

" ارجوك نادني شهرزاد نحن من نفس العمر فلا معنى للالقاب "

اكتفت سهر بالابتسام عندما فاجأتها النظرة في عيني شهرزاد وهي تركز على تميمتها ثم تسألها بنبرة غريبة " جميلة هي تميمتك .. من اين حصلت عليها ؟"

شعرت سهر ببعض الحرج وهي ترد

" انها هدية ..."

فتسأل شهرزاد وهي تنظر في عيني سهر بفضول اثار استغراب سهر اكثر

" هدية من زوجك ؟"

صوت ياسر كان قاطعا هادئا وهو يرد نيابة عن زوجته " نعم .. انا اهديتها اياها .."

اعطى ياسر كأس عصير لزوجته مكتفيا بما قال بينما ابتسمت شهرزاد ابتسامة صغيرة وهي تقول

" لقد ذكرتني بقلادة ما رأيتها سابقا .."

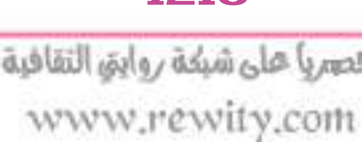
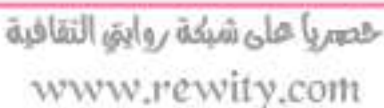
ارتفع حاجبي سهر لتسأل بفضول

" حقا ؟! هل رأيت مثلها ؟"

عينا شهرزاد حادتا بعيدا لتصل زوجها فتراه كيف يضاحك طاهر الاحمدي وللحظة طرفت عينه للصهباء الصامتة الواقفة جوار عمها ...





في نفس اللحظة حرك هيثم رأسه وكأنه

يبحث عنها لتتلاقى نظراتهما معا فتشع زرقة

عينيه ويبتسم بجذل نحوها ..

ارتعشت انوثتها في استجابة فطرية لتهمس

ردا على سؤال سهر

" نعم .. رأيت مثلها .. قيل لي عنها انها ..

تميمة عشق سحرية ... "

رددت سهر وفضولها يتزايد

" تميمة عشق سحرية ؟"

عادت شهرزاد بتركيزها لسهر فتقول

بابتسامة شموخ وكبرياء

" لفترة صدقتها لكني اكتشفت انني واهمة

واننا من نخلق السحر في حياتنا لو اردنا "

بدت سهر محتارة بعض الشيء وهي تنظر

لشهرزاد وكأن هناك ما لاتفهمه من كلماتها

بينما ياسر يلتزم الصمت التام ولتزداد حيرة

سهر انه حتى لايبدِ ضيقا بحديث النساء !

عادت ملامح شهرزاد لطبيعتها المسترخية

بينما تقول بابتسامة لطيفة صادقة

" علمت انك حامل من والدتك .. مبارك

عزيزتي .. اتمنى لك كل السعادة .."

ثم حيت ياسر بحركة من رأسها وانسحبت..

التفتت سهر نحو ياسر وعقلها يفيض بالتساؤل

لكنها وجدته يعبس وهو يحدق في اتجاه

آخر..

تتبعت مسار اهتمامه فعلمت ما يزعجه ..



هذا الغيور الفطن !

لقد كانت العمة فائزة تقف جوار امها ومعهما

احد معارف والدها من العمل ...

الرجل الخمسيني بدى مهتما بالعمة وفي

المقابل بدت العمة متوردة وهي تتحدث اليه

واما امها فكانت راضية عما يجري بين

الاثنين !

سأل فجأة

" من هذا الرجل الذي يقف مع عمتي

ووالدتك ؟"

فترد سهر مدعية البراءة

" اممممممممم اظنه يعمل مع والدي في

مؤسسة الجراح .."

ازداد عبوس ياسر وهو يقول

" جو هذا الحفل لايلائمنا .."

ارادت ان تلهيه فقررت استغلال الفرصة لتسأله

عما يحيرها

" بالمناسبة لماذا كذبت على شهرزاد ؟ لماذا

قلت ان التميمة هدية منك ؟ "

نظر اليها بغموض لكن على الاقل عبوسه

تلاشى ليقول بصوت أجش فاجأها

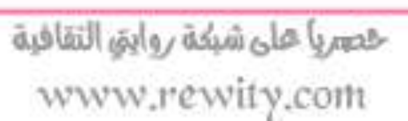
" تعالي نخرج قليلا من هنا .."

امسك بيدها ليتحرك وهو يسحبها خلفه

بينما تعترض سهر بدهشة " الى اين ياسر ؟

انهم لم يفتتحوا مائدة الطعام حتى ..! وماذا

عن العمة فائزة ؟ "





رد بفظاظته المألوفة

" كفي عن تذمرك يا مدللة ابيك ..

سنخرج لنصف ساعة فقط ونعود مع افتتاح

مائدة الطعام ايتها الشرهة .. احتاج لاخرج

فقد اختنقت من جو الحفل السخيف هذا "

عند الباب سألت بنفس الدهشة

" اين تأخذني ؟"

رد ساخرا

" كم انت لجوجة ولا تعرفين الصبر .. اصبري

قليلا وستعرفين ... لن نبعد عن حضن ابيك

باكثر من خمس دقائق بالسيارة.. "

على ضفاف النهر يقفان قرب السور والمكان

خال ومظلم ...

اخذت سهر تحرك مهفتها الهوائية

المزركشة بينما تتذمر

" ياسر .. لماذا احضرتني عند النهر ؟ الجو حار

حتى في الليل ..."

لم يلتفت لشكواها وقد بدى تركيزه في

مكان آخر ...

عبست سهر وهي تراه بوضع غير طبيعي ..

وكأنه يستعد لأمر ما .. و كله مشحون

بالاستنفار والتأهب .. تستطيع لمس تلك

الشحنات حوله و بيديها المجردتين !





وضع يده على السور وهو يطرق قليلا براسه

ويقول بنبرة غامضة

" الا تريدين معرفة من اين أتت هذه ...

التميمة ؟ "

تساءلت بحذر تماشي مزاجه الغريب

" من اين ؟"

رفع وجهه اليها ثم اشار بيده ناحية النهر وهو

يقول بنفس النبرة المحيرة

" من هنا .. من هذا النهر ؟"

عبست سهر لتقول ببعض الارتباك

" هل أتيت بي الى هنا لتسخر مني كعادتك "

ابتسم .. وابتسامته بدت بشكل غريب

مرتعشة !

قال بصوت مبحوح وكانه يسرد حكاية

" كنت اسبح انا ورافد كما نفعل كل فترة ..

وفزت عليه كالعادة .."

صوته مع صوت جريان الماء في النهر سحرها ..

قلبها اخذ يخفق وحدسها يرسل كل الاشارات

انها ستكتشف امرا لايصدق خلال لحظات ...

أكمل حكايته " تمددنا ضاحكين على

شاطئ النهر فشعرت بشيء ما ينغز ظهري ..

بحثت فوجدتها ... كانت هذه القلادة.."



اتسعت عينا سهر وانقطعت انفاسها بينما يبدو
مستمتعا متسليا لردة فعلها فيكمل

" كانت متسخة وشبه صدئة لذلك اخذتها
لصائغ صديق لي حتى ينظفها ويجليها ويعيد
رونقها اليها .. لقد خمنت انها.. قيمة نوعا ما ..
و ليست مجرد حديد رخيص .."

وقعت المهفة من يد سهر وهي تهز رأسها
بانفعال " انت تكذب .. لايمكن .. التميمة
وجدتها على سيارتي في صباح احد الايام "

فرد ياسر وعيناه تلمعان في الظلام

" وانا كنت انظر اليك عبر الشارع وانت
تلتقطين الظرف "

قلبها ينبض بقوة .. ومع كل نبضه ما زالت
تخشى ان يكون يسخر منها فتهمس

" لماذا تفعل هذا .. لماذا تسخر مني ..؟"

للحظات لاترى الا التماعة عينيه ثم مد يده
وامسك بالتميمة فيقول بصوت مبحوح

" تميمتي تميمتي اوصليني اليها هل السحر
فيك ام في مقلتيها .."

شهقت وهي تضع يدها على فمها و تتراجع
للخلف خطوتين بينما تحاول التذكر او
التأكد انها لم تذكر هذه الجملة امامه من
قبل ...

وحين أكد لها عقلها انها لم تفعل بل ولم تطلع احدا ابدا على تلك الورقة الصغيرة تمتمت بذهول

" مستحيل ! هل انت من كتبها ؟!"

تقدم نحوها ليعود لابتسامة السخرية وهو يقول " انت تحبين القصص الرومانسية ..

فدعيني أسرد لك حكاية من ماض بعيد يؤمن صديقي الصائغ انها واقعية بل حتى نسبها لاحد اجداده .."

كانت سهر ترتعش تاثرا بينما يضيف ياسر

" قيل قبل مئتي عام صائغ شاب عشق فتاة .. لكن تلك الفتاة رفضته ولم تبادله الحب .. كان يبث هيامه للغائد والرائح ..

وفي ليلة أرقه السهاد قرر ان يعمل لانجاز شيء مبتكر .. تميمة بحروف اخترعها هو .. خلط عدة معادن لينجزها وطوال الليل كان يردد جملته الاثيرة وكأنه كان يبث التميمة الحياة "

تمتمت سهر اسمه بتأثر " ياسر ! "

اطرق ياسر وكأنه يخفي تأثره هو الآخر بينما يواصل حكايته

" عندما اشرقت شمس الصباح كان جبينه يتصبب عرقا من شدة الانهاك لكنه بدى سعيدا وهو يحمل التميمة في كفه .. ولم تمض ساعة حتى انتظر حبيبته على قارعة الطريق وحالما لمح طيفها اقترب



ومد لها يده بالتميمة وتوسلها انها تقبل بها فقط كتذكار ... شرح لها بالتفصيل كيف قضى الليل وكيف اخترع حروف لغة جديدة ليكون جملته السحرية .."

يد ياسر اخذت تتحرك على السور كأنه صبي خجول يصارح حبيبته الاولى بغرامه ...

ذاب قلبها لذاك الكبرياء الذي يحمله بين جنبات رجولته ولاجلها هي يحاول جاهدا ان يقاومه ليعترف .. ولو باسلوبه الملتوي هذا ..

اكمل ياسر وهو يتطلع للنهر وما زالت يده تتلاعب على حافة السور " يقال ان الفتاة ارتدتها ولم يعرف اهلها ما حصل لها .. لانها اخذت ترفض العرسان واحدا تلو الاخر "

سالته بلهفة عاطفية " وتزوجها ؟"

توقفت يده وتجمد كله للحظات قبل ان يلتفت اليها ببطء ويقول " نعم ... تزوجها.."

صدرها يعلو ويهبط وعيناها تدمعان تاثرا وانفعالا وهو صامت صامد كالجبل امامها ...

سألها " هل تظنين ان التميمة سحرية ؟"

لم تحتمل وهي ترمي نفسها على صدره تضمه اليها وتقول " ايها الغليظ الذي لايفهم .. مؤكد لا ..... لم يكن السحر .. الفتاة فقط تأثرت بما انجزه الصائغ الشاب لاجلها ..."

يده تلامس خصرها بتردد وبدى وكأنه .. وكأنه ... مرتبك !



رفعت وجهها اليه ودمعات رقيقات كأنوثتها

تتمايل على خديها وكأنها جداول فرح ..

همست لوجهه الحائر

" الا تفهم يا داكن العينين ؟ المرأة تحب

التميز في عيني الرجل الذي يحبها وهو

اشعرها بذاك التميز "

قال بخشونة وهو يحدق فيها " انا لااجيد

الكلام بلغتنا حتى اخترع لغة لاجلك !

فكيف اوصل لك تميزك عندي ..؟ "

ضحكت وهي تسند ذقنها على صدره ووجهها

يقابل وجهه فتهمس بميوعة

" بل لديك لغتك الخاصة .. وانا الانثى

الوحيدة التي افهمها .. لذلك انا مميزة

بك.."

همس اسمها وهو يحيطها بذراعيه ويشدها

بعنف لصدره اغمضت عينيها بتنهيدة عشق

تنتظر قبلته الجامحة في ظلمة هذا الليل

وعلى ضفاف النهر الذي كان سببا لسعادتها

بعطاياه ...

" احبك ..."

تجمدت وهمس الكلمة يلامس شفتيها ..

" انا.... احبك ..."

اعادها ..! اعادها وهي لاتفتح عينيها حتى..!



فقط تشعر بشفتيه تلامسان شفتيها بهمسه

بتلك الكلمة التي ظنت انها لن تسمعها منه

يوما ....

" هل نمتِ يا مدللة ابيك ؟! اتمنى انك لن

تشخري وتفضحينا وسط ظلمة الشارع .."

كلماته الساخرة الضاحكة كانت

كالمطرقة ضربت فوق رأسها دون رحمة..

فتحت عينيها وهي تشتمه وتضرب على صدره

بينما هو يضحك " ايها الفظ المغرور الجلف ..

لن اسامحك ابدا على افساد الامر .. على

افساد لحظتي الخاصة هذه .. مهما علمتك

فلا فائدة ترجى منك .. ستظل كما انت ..

ايها البليد الاحساس .. ابتعد .. ابتعد .."

كان يضحك ويضحك وهي تحاول التخلص

من ذراعيه اللتين تسجنان جسدها بغلظة ..

عاودت شتمه عندما اخرس كلماتها بلغته

الخاصة التي تفهمها هي وحدها لتهمس بين

قبلاته وهي تتوجع بميوعتها

" آآآآه ياسر .. آآه .. انت تؤذيني آآآه .. عظامي يا

مجنون .. اقسم سأشكوك لوالدي حالما نعود

.. ايها .. الجلف .. الخشـ....ـن..."

*** تمت ***

